

نزار يوسف

أنا و الملاك-I



نزار يوسف

أنا و أملاك

(رواية)

The Angel and I
(Novel)

موافقة اتحاد الكتاب العرب رقم / ٥٤٥ / تاريخ ٢٠٦/٦/٥

الفرات للنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

هذه الرواية لا تقرأ من وجه واحد
بل لها وجوه عدة للقراءة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
TM لا يجوز كتابة أو طباعة هذه الرواية أو الاقتباس منها
دون إذن خطي من المؤلف

إن جميع الأحداث و الشخصيات الواردة
في هذه الرواية هي من محض الخيال
و لا تمت إلى الواقع بصلة . و إذا تصادف
وجود تشابه بينها و بين شيء من
الواقع .. تكون المصادفة حتماً
هي التي لعبت دورها

المحتوى

٥	العاصمة
٥٦	العاصمة من جديد
٩٤	الصراع الداخلي
١٧٠	ظهور الملاك
٢٥٣	الحياة الجديدة
٢٨٤	الهبوط إلى القاع
٣٦٦	ملاك و لكن
٤٠٢	إلى القمة
٤٣٦	صراع و حقائق
٦١٠	ظهور الوحش
٦٨٣	النهاية

العاصمة

في ذلك اليوم من شهر كانون ، كان الليل بارداً ، و الرياح قوية جداً و تعصف من كل ناحية ، تارة تهب باتجاه الشمال ، و تارة باتجاه الجنوب ، و تارة تدور حول نفسها ، من المؤكد أنها تبحث عن شيء ما . الثلج كان يهبط بانتظام ، ولكن من دون اكرتاث على عكس الرياح الهائجة المتوقعة . فجأة بدأت السماء السوداء الحالكة تغير نظرتها نحو البلدة ، فخف هبوط الثلج الذي كان قد بدأ منذ البارحة و أخذ السواد يتغير شيئاً فشيئاً ، إنه الخضوع لقانون تعاقب الليل و النهار الأبدي . اقترب الفجر و بدأت الطيور بالاستيقاظ على صوت منبه البلدة كلها ، هو الديك الذي يعلن بصياحه إيداناً بفجر جديد ، كان هذا الصياح يخرج من أماكن عدة في البلدة ، و كلها أماكن استراتيجية ، حيث لا يبقى بيت إلا و يصله ذلك الصوت الرتيب إنه برتابته و توقيته الدائم ومدته أشبه بساعة منبه ، إنه على كل حال يعلن كل يوم عن القانون الأبدي ، و يقرؤه على مسامع البلدة و لكن من غير المعروف و المؤكد إن كان هو فعلاً مكلفاً بذلك ، لعله يريد أن يعبر عن شيء ما ... شيء يختلج في داخله ، لبني جنسه أو لبني البشر ، و لعله لاحظ أنه لا يستطيع أحد فهم ذلك ، فاختار هذا الوقت بالذات ليوقظ الناس على الشيء الذي يريد أن يبوح به .

كان أول من استيقظ في البيت هي الوالدة ، إنها معتادة بحكم عمل زوجها أن تستيقظ في هذا الوقت لتعد الطعام ، طعام الفطور للأولاد الذي هو في الوقت نفسه عشاء للأب أيضاً الذي سيخلد للنوم بعد ذلك .

الأب حارس ليلي لمصنع الفوسفات الواقع خارج البلدة ، يبدأ عمله من الساعة العاشرة ليلاً و حتى السادسة صباحاً ، هو المعيل الوحيد لتلك الأسرة البائسة التي لم يشب أبناؤها عن الطوق . خدم في الجيش في أثناء الحرب العالمية الثانية ، و أصيب في إحدى المعارك الثانوية بشظية قنبلة انفجرت على مقربة منه . كان مكلفاً بإحدى العمليات في مؤخرة العدو مع مجموعة من رفاقه ، فقام بمهمته خير قيام ، و لكن تبادل النيران الكثيف بين مجموعته و المجموعة المعادية أدى إلى إصابته بتلك الشظية التي استقرت في أسفل بطنه ، تم إسعافه و لكن الإصابة أثرت في قدرته على الإنجاب فيما بعد . و بعد انتهاء الحرب ، و نتيجة لبسالته و شجاعته و انضباطه و كونه جندياً مخلصاً لا تشوب سيرته شائبة ، و حاصلاً على الوسام الحربي الأعلى ، قررت الدولة إرساله للعلاج على يد أمهر الأطباء . بعد شهر من العلاج أخبره الطبيب أنه لن يكون قادراً على الإنجاب قبل مدة طويلة قد تمتد لعشر سنوات ، و عليه المواظبة على الدواء و برنامج العلاج الذاتي ، كان لسوء حظه قد تزوج قبل سنين من إصابته . لقد كان يحس آنذاك بعقدة الذنب تجاه زوجته و يعتصره الألم و الندم لأنه لم يحاول الإنجاب منها خلال الفترة الماضية ، لكن المبرر كان موجوداً أمامه ليعدل من كفة الألم و الندم ، فالحرب منعتهما من اللقاء طوال السنتين تقريباً باستثناء لقاءات قصيرة خاطفة ، لم يكن يزيد من ألمه سوى صبر تلك المرأة المثالية القنوعة التي لم تكن تبدي أدنى استياء أو تدمر من ذلك . لا بأس ، فعلى كل حال كان عليه أن ينتظر حتى سن الأربعين تقريباً لتنجب له زوجته أول طفل ، لقد تحققت نبوءة الطبيب بعد أن كاد يئس عنها . أحس الأب أنها هدية من السماء جاءت، أحس أنه خلق من جديد ، أحس أن هذا الطفل هو ذاته نفسها ، ذاته التي فقدتها و قد رُدت إليه و لذلك وضع نصب عينيه أن هذا الطفل هو شأنه هو فقط ، تربيته ، سلوكه ، تعليمه ، صفاته . عند ولادته قالت له المرضة التي أشرفت على الولادة " لقد جاءك صبي ، إنه كالملاك ، انظر إليه " وقتها نظر إليه و وجدته فعلاً كالملاك . و مع أنه رزق بعد سنتين بولد ثان و بعده بطفلة ، فإن سام الابن الأول كان محور اهتمامه . كان يتخيله وهو شاب

ماذا سيكون ، تارة يتخيله جندياً مثالياً ، و تارة ضابطاً لامعاً ، و تارة شيئاً ما ، و في جميع الأحوال كان يتخيله بطلاً عسكرياً يقوم بمهمات بطولية خارقة . كان يقضي معظم وقته بصحبته ، يرشده ، يعلمه ، ينصحه، يجبره عن حياته و ماضيه ، و أشد ما يفرحه و يبهجه أن الولد يتعلم كل شيء بسرعة ودقة . كانت معظم تصرفاته تدل على أنه يشابه أباه ، الذكاء الأدب النظام الأخلاق الرفيعة العالية ، ومع ذلك فقد كان الأب يلاحظ أن هناك شيئاً ما يتميز به الولد وحده ، شيء يميزه عن بقية أبناء البشر و حتى عنه هو .. أبوه نفسه . لم يكن هناك شيء يعيبه أو يؤخذ عليه بالرغم من كونه صغيراً ، كان أبوه يراه ولا يصدق ، أحس أن حياته تغيرت بولادة هذا الصبي . عندما سرح من الخدمة بعد انتهاء الحرب ، أمنت له الدولة عملاً وظيفياً في إحدى الدوائر المالية في العاصمة ، وقتها كان يعتقد أن حياة السلم مثل حياة الحرب تحتاج إلى الأبطال و الشرفاء و أصحاب المبادئ ، و لكن و على ما يبدو فإن لكل زمن ظروفه و لكل مرحلة أحداثها و رجالها . لقد أخذ يصطدم نتيجة لنزاهته المطلقة و عفته العمياء بمن حوله في البداية ، ثم لم تلبث دائرة الصدام أن اتسعت شيئاً فشيئاً لتشمل أناساً كانوا مقرين إليه جداً ، أناساً كان يعدهم قدوة و مثلاً له . وتطور الصدام و بدأت المشاكل تظهر وهو لا يستطيع السكوت عن الخطأ مهما كان ، فبدأت المؤامرات تحاك ضده و كاد في إحداها أن يدخل السجن لولا تدخل أحد المسؤولين في الدولة و الذي كان يعرفه من أيام الخدمة العسكرية . عندها أيقن أن للحياة وجهاً آخر لا بد أن يستمر ، فطلب نقله إلى بلده ، و هناك أمن عمله في ذلك المصنع و استمر حتى الآن ، لم يدر وقتها لماذا أقدم على تلك الخطوة التي جعلته يتراجع مهنيّاً و اجتماعياً إلى الوراء ، فأصبح مجرد حارس ليلي في مصنع ناء في بلدة نائية ، تلفه غياهب النسيان ، أكان ذلك شرفه و كرامته العسكرية التي ورثها عن الجيش و حملها على رقبتة كصخرة ثقيلة ليزين بها صدره بالوسام الذي كان يعلقه على بذلته الرسمية في العمل و الذي كان أحياناً يثير حس الفكاهة و التعجب لدى الموظفين معه في المكتب و المراجعين الذين كانوا يحدقون به و يتسمون بلطف .

كان من المعروف عندهم أن حياة الإنسان المهنية و المستقبلية يرثها من الجيش . تذكر أحد المجندين عندهم ، كان بواقاً و كانت مهمته إيقاظ الجنود عند الفجر و إعلامهم بوقت الغداء أو الاجتماع أو النوم أو الغارة أو .. أو . قبل الانخراط في الجيش ، لم يكن هذا الجندي يعرف شيئاً عن الموسيقى ، أما الآن فقد أصبح من العازفين المرموقين و لديه مخزن لتجارة الآلات الموسيقية . شخص آخر كان يعرفه في الجيش مجند قذفوا به في قسم الإشارة و اللاسلكي ، أصبح الآن يملك شركة ضخمة لصناعة الهوائيات التلفزيونية و الهواتف ، شخص آخر و آخر و آخر . هو أيضاً ورث من الجيش ، كان يقول دائماً لنفسه " ورثت هذا الوسام العسكري الرفيع " آه لو كان بإمكانني استثماره في عمل تجاري ما أن أؤسس شركة لصناعة الأوسمة مثلاً . على كل حال هذا ما أقدم عليه و انتهى الأمر، هكذا كان يقول لنفسه ، ربما أراد الانعزال عن تلك الحياة و إيجاد مساحة خاصة به للتأمل و الراحة النفسية ، فوجد في تلك الوظيفة الجديدة ملاذاً له .

وصل الأب إلى البيت متعباً ، كانت الزوجة قد أعدت الطعام و باشرت عملية إيقاظ الأطفال . نظرت إلى زوجها يدخل باحة المنزل ببطء و قالت له " أهلاً و سهلاً ، أراك متعباً الليلة " . " نعم قليلاً ... هل استيقظ الأولاد" قال الزوج . "استيقظوا للتو أوه يبدو أنك متعب جداً ، أخشى أن تكون مصاباً بالزكام ، و لكن لا بأس لقد حضرت لك حساءً ساخناً قبل أن تذهب إلى الفراش " . اجتمعت الأسرة على طاولة الطعام تأكل بصمت ، كان واضحاً أنه لم يكن لأحد منهم همّة للكلام ، فالأولاد لازالت آثار النعاس بادية عليهم ، و الأب متعب من السهر الليلي و الأم صامته . فجأة رفع سام رأسه عن الطعام و قال لأبيه " آه ، أبي ، لقد تذكرت ... البارحة قالت لي مديرة المدرسة إنها تريد رؤيتك لأمر ضروري " . " ما هو ؟ " - " لا أدري يا أبي " . و هنا صاحت الوالدة " أبوك متعب اليوم ، قل لها أن تؤجل الموضوع إلى يوم آخر . " لا.. لا ، ليست مشكلة (قال الوالد) سأذهب و أرى ما هو الموضوع ، و لكن ... هل هناك إشكال ما يا سام (قال الوالد وقد ظهرت إمارات الحزم على وجهه) هل قمت بإساءة التصرف مع

أحد " . " لا يا والدي لم أفعل شيئاً من هذا القبيل " - " كيف كانت لهجة المديرية معك ؟ هل كانت غاضبة ؟ هل كانت لهجة تفرغ أم ماذا ؟؟ " . " سأل الوالد . " لا يا أبي لم تكن كذلك ، لقد استدعيتني إلى غرفتها و هناك رحبت بي و طلبت مني أن تراك ، لأنها كما قالت ، تريد مناقشتك بموضوع يخصني أنا " . " ألم تقل لك ما هو؟ " سأل الأب باهتمام . " لا يا أبي لم تقل " قال سام و هو يشرب ما تبقى في كأس الشاي دفعة واحدة علامة على انتهائه من الطعام . تتمم الوالد " حسناً سأذهب لرؤيتها ، و لكن أخشى أن أنام في مكتبها " . تدمرت الأم و تأففت " أرجوك أجل هذا الموضوع يا عزيزي ، ألا تعلم هذه المديرية أنك حارس ليلى " . " وما الفرق يا عزيزتي ، إذا لم أذهب اليوم سأذهب غداً " . نهض سام عن الطاولة و قال و هو ينتزع حقيبته الجلدية " عفواً أبي ، يوجد لدي حل " . " ما هو؟ " . رمى سام حقيبته خلف ظهره وقال " هي لم تحدد بالضبط المدرسة مكاناً للقاء ، و لذلك يمكنني أن أقترح عليها أن تكون المقابلة بعد الظهر في منزلها أو منزلنا ، ما رأيك " ابتلع الأب لقمة كانت في فمه و قال " فكرة معقولة ، حسناً لا بأس اطرح عليها الأمر و إذا طلبت أن يكون اللقاء في المدرسة أذهب معك غداً و لكن كن حذراً في أثناء طرح الفكرة عليها و حاول تجنب إغضابها ، إنها عجوز من النوع المعقد الصارم . " لا تخش يا أبي ، إنهم جميعاً في المدرسة يكونون لي نوعاً من الاحترام الخاص و المعاملة المميزة حتى المديرية . هز الأب برأسه "حسناً أيها القائد الفتى ، اذهب مع إخوتك الصغار إلى المدرسة و عد إلي بالجواب بعد الظهر " . حمل الأولاد حقائبهم خلف ظهورهم و انطلقوا نحو باحة المنزل الخارجية باتجاه المدرسة . تابعهم الأب بنظراته ثم صرخ منادياً ابنه الأكبر "سام ، انتبه لأختك الصغيرة دائماً ، إن أخوك هذا ليس له أدنى حس عاطفي تجاهها" . عاد الأب إلى الداخل و كأس الشاي بيده . " ماذا يمكن أن يكون الموضوع الذي تريدك فيه المديرية ؟ " قالت الأم . " لا أدري ، ربما يكون من أجل الأقساط المدرسية و لكن لا ، لقد سددت منذ شهر جميع الأقساط . ربما من أجل اللعنة إنني لا أستطيع التكهن بما تريده هذه

العجوز المرعبة ، إن طبيعتها و نفسيتها توحيان للشخص بأن تصرفاتها غير طبيعية ، عندما قابلتها منذ سنتين في المدرسة يوم فاز سام بالمركز الأول بالمسابقات العلمية للمقاطعة ، أحسست بالرهبة أمامها عندما بادرت بتهنئتي ، لقد كانت تفرض سيطرتها المطلقة على الجميع من مدرسين ومدرسات و طلاب ، كان الجميع يقف و كأنهم في اجتماع عسكري ، و بدت هي كجنرال في الجيش عندما تقدمت منا أنا و سام و هنأتنا و قامت بتقديم شهادة الامتياز له ، كان الموقف مشابهاً إلى حد ما يوم قلدني القائد الوسام العسكري ، التصرف نفسه الطريقة ذاتها . إنني فخور بهذا الشاب ، يومها أحسست و كأنني ولدت من جديد في شخصه إن هذا الولد سيكون له شأن كبير في المستقبل ، أشعر أنني أستطيع الاعتماد عليه منذ الآن " قال الأب و هو يتمدد على الأريكة من التعب . أخذت الأم ترفع الطعام عن الطاولة قائلة " إنه فعلاً ولد رائع إنني أخشى عليه من الحسد فلتحفظه الملائكة لنا ، إنه يتكفل برعاية إخوته و تعليمهم في أثناء غيابك لقد رفع عني حملاً ثقيلاً في تربيتهم . اضطجع الأب أكثر على الأريكة الكبيرة المريحة و المفضلة لديه "سوف أنام أيقظيني الساعة الثانية ظهراً" .

بعد الظهر جاء الأولاد ، ورموا بحقائبهم و انكبوا على الطعام . " ماذا حصل معك يا سام " سألت الأم . رفع سام رأسه عن الطعام قائلاً " ذهبت إليها في أثناء الاستراحة و طرحت عليها الموضوع فقالت إنها ستأتي اليوم للبيت الساعة السادسة تماماً . " ألم تعرف ما هو الموضوع ؟ - " لا ، و لكنها سألتني إذا كان لي أقارب في العاصمة " - "غريب " تمتم الأم ثم نظرت إلى الساعة و قالت " إنها الثالثة ، يجب أن أوقف أباك ليستعد " . استيقظ الأب ، كان يحس بدوار خفيف . أعلنت الأم " لقد قالت المديرة أنها ستأتي في الساعة السادسة " - " حسناً فلتأتي ، فلتأتي " قال الأب بتناقل . " ساعد لك الغداء و أجهز لك البزة الكتان لتلبسها ، بالمناسبة لقد سألت سام إذا كان له أقارب بالعاصمة ، برأيك ما هو ... " - " لا أريد الآن الخوض في هذا الأمر ، عندما ستأتي سنعرف منها كل شيء ، جهزي لي الطعام و نادي على سام ليأتي " .

كانت الساعة الخامسة و النصف تقريباً ، البيت نظيف و مرتب ، الأب و سام يجلسان وحدهما في غرفة الاستقبال يتحاوران ، و الأم و أولادها الاثنان في غرفة مجاورة . " إذن هذا هو ما حصل (قال الأب) .. حسناً سنعرف ذلك بعد قليل ، و الآن أخبرني ماهي آخر أخبار المدرسة " - " إنها جيدة ، باستثناء صرامة المدير ، إنها لا تتغاضى عن الخطأ مهما كان صغيراً ، إنها مثقفة جداً يقال إنها أمضت في سلك التعليم قرابة الثلاثين عاماً آه .. إن أشد ما يؤلمني هو تلك المكتبة التي تملكها في المدرسة ، لكم أتمنى أن أقرأ كل ما تحتويه من كتب " - " إنها فعلاً مكتبة ضخمة (قال الأب) لقد رأيتها عندما ذهبت إلى الحفلة التي أقاموها على شرفك ... و لكن ما شأنك أنت بها ، عليك أن تهتم بالكتب التي تناسب مستواك ، يوجد عندنا مكتبة هنا في البيت ، لقد جمعت كتباً عدة منذ أيام الحرب و حتى الآن " - " لقد نسيت أن أخبرك يا أبي أنني منذ فترة أنهيت معظم الكتب الأدبية الموجودة في المكتبة " - " ماذا تقول؟ كلها ، كلها؟ هل صحيح ما تقول ؟ " - " اسألني عن أي كتاب تريد ، وأنا أجيبك عن مضمونه " - " وهل أستطيع التذكر يا بني (تحسر الأب) لقد انقطعت عن القراءة منذ مدة طويلة ، لم تعد لي رغبة في شيء ، أصبحت مدمناً على حياة الليل ، على كل حال أنا فخور بك يا بني .. ولكن لم تخبرني عن المدرسين " - " إنهم كما هم ينفذون أوامر المديرة بالحرف و يتقيدون بآرائها و طريقتها الصارمة في التعليم ، إنهم لا يجروون على دخول مكتبها إذا لم تدعوهم إليه ، أظن أن لها نفوذاً في العاصمة " - "حدثني عن علاقتك بالمدرسين يا سام هل هي جيدة أم ماذا ؟ " كان الأب في طرحه لتلك الأسئلة يحاول أن يشتت شيئاً ما عن زيارة المديرة ، لقد أحس في داخله أنه أمر يتعلق بسام ، أمر لن يستطيع تقبله . "علاقتي بالمدرسين جيدة ، و أكثرها متانة مع أستاذ الفلسفة و أستاذ التربية الدينية " - " لماذا؟ " - " لأنه دائماً تحصل مناقشات في أثناء الدرس بيني و بينهم ، و أحياناً أسألهم أسئلة محرجة نوعاً ما ... أتعلم أن أستاذ الفلسفة يقول إنني سأصبح في المستقبل

فيلسوفاً و أستاذ في مادة التربية الدينية يقول إنني سأصبح رجل دين ذا شأن ، لقد دار بينهما نقاش حاد في الفترة الأخيرة في غرفة المدرسين بسبب ذلك و كل منهما طرح وجهة نظره و أيدها بمعرفته بي ، أستاذ الفلسفة يقول إن أفكاره و كلامي يحملان فلسفة عميقة ، و أستاذ التربية الدينية يقول إن أخلاقي و تصرفاتي أشبه إلى حد بعيد بتصرفات ناسك مؤمن متعبد ، ولم يستطع أحدهما إقناع الآخر برأيه ، حتى المدرسون الذين كانوا موجودين لم يرجحوا كفة واحد على الآخر " حسناً حسناً ... كفى ... لا بأس (قال الأب مقاطعاً كلام ابنه بوجل ثم عدل من طريقة كلامه) على كل حال يا بني الدين و الفلسفة قد يكملان بعضهما بعضاً ، و هذا موضوع سابق لأوانه " لقد أحس الأب في تلك اللحظة بالذات بالخوف من شيء مجهول ، شيء لم يستطع إدراكه ، أحس أن ذكاء ابنه الذي يفوق سنه بكثير قد يجره إلى المتاعب و إلى أمور لا تعرف عواقبها . أخذ سام يتحدث عن المدرسة و الطلاب و أمور أخرى ، ولكن الأب لم يعد مصغياً لكلام ابنه بل شرد بعيداً .. كان يفكر في مستقبل هذا الشاب . و أخذت الخيالات و الأفكار تتوارد إلى ذهنه سريعة أحياناً و بطيئة أحياناً أخرى ، تارة مركزة و تارة مشتتة ، إلى أن قطع عليه سيل أفكاره، زوجته التي أتت تنبئهم باقتراب المديرية من المنزل . أسرع الأب يصرف ابنه سام إلى الغرفة المجاورة لينضم إلى أمه و إخوته ، و ما هي إلا لحظات حتى سمع طرقاتاً على الباب فذهبت الأم تفتح الباب لتظهر أمامها امرأة عجوز بوجه جامد تغطيه المساحيق ، وقبعة مستديرة و ثياب أنيقة فاخرة تزيينها وردة في الجيب العلوي من السترة مع حقيبة نسائية تتدلى من كتفها . قالت بصوت ناعم حاد " مرحباً ، أنا مديرة المدرسة التجهيزية في البلدة ، ولدي موعد مع والد سام " - " أهلاً وسهلاً سيدتي (ردت الأم بشيء من الارتباك) ، تفضلي إنه بانتظار حضرتكم " . دلفت العجوز المتأنقة إلى الداخل حيث كان بانتظارها والد سام " أهلاً و سهلاً سيدتي ، إنه لشرف كبير أن نحظى بقدوم حضرتكم إلى منزلنا المتواضع " - " شكراً جزيلاً لك سيدي على هذه الجملة الرقيقة ، الشرف لي أنا " قالت المديرة و هي تجلس على الكرسي

بطريقة رسمية . ارتبك والد سام قليلاً ثم سأل المديرية عن ضيافتها . " أوه سيدي ، كأس عصير من الليمون الحامض و لكن من دون سكر"عاود الأب ضبط نفسه قائلاً " في الحقيقة أرجو منك يا سيدتي الجليلة أن تقبلي اعتذاري الشديد لعدم استطاعتي الحضور إلى المدرسة ، أظن أن ابني سام قد شرح لحضرتك الموقف . أومت العجوز برأسها بهدوء وقالت " نعم ، نعم ، أقدر ذلك سيدي ، و على كل حال فقد قررت الحضور لأرى منزل طالبي المتفوق سام ، و أطلع على طريقة حياتكم و ظروفكم العائلية " - " هذا لطف كبير منك سيدتي (قال الأب و قد تشجع قليلاً) بالمناسبة ماهي أخبار المدرسة ، لقد سمعت أنكم ستقومون بعملية ترميم لبنائها القديم ، أظن أن هناك معونة مادية ستصلكم من العاصمة " - "نعم في الواقع قد تصلنا معونة مادية أو ستقوم الدولة مشكورة بإرسال ورشة متخصصة في هذا المجال ، في الواقع لم يتحدد هذا الأمر بشكل نهائي ، أنت تعرف ... المدرسة ضخمة جداً و يقع على عاتقها تعليم جميع أبناء البلدة و القرى المجاورة لها و إيصالهم لمستوى يؤهلهم لدخول المعاهد و الجامعات " . دار حوار بسيط بين الأب و المديرية حول المدرسة و البلدة و المصنع، لكن الأب كان متشوقاً لمعرفة الموضوع الذي أتت لأجله المديرية . وضعت المديرية كأس الليمون على الطاولة أمامها و كأنها أدركت بجدسها ما يجول برأس الأب ثم قالت " حسناً سيدي ، في الحقيقة هناك موضوع أريد أن أفاتحك به ، إنه بخصوص سام " - " تفضلي سيدتي ، إنني مصغ " - " لا يخفى عليك سيدي أن ابنك سام هو الطالب المتفوق الأول بالبلدة ، لا بل في المقاطعة كلها و الموضوع باختصار ، هو أنني أريد ترشيح سام لمتابعة دراسته في مؤسسة ألفا التعليمية بالعاصمة ، إنها من أرقى المؤسسات التعليمية في البلاد كلها و حتى في البلدان المجاورة ، و يتبع لها معاهد و كليات و مدارس تحضيرية عدة ، و عقود مع جامعات خارجية عدة ، و معظم الشركات التجارية و الصناعية ، توقع عقوداً مع خريجها كونهم يحملون شهادتهم من تلك المؤسسة العريقة ، هذا هو الموضوع باختصار شديد " . لم يستوعب الأب في البداية الكلام الذي كان ينزل عليه كالفدائف الصاروخية ، ولكن

عندما بدأ يدرك معناه و مجمله ، أصبح يشكل له صدمة قاسية رهيبية ، مرت لحظات أصيب فيها بالذهول ، ولكنه عاد واستجمع مداركه الذهنية وبادر بالكلام متلعثماً قليلاً "في الحقيقة ... هذا أمر... مفاجئ جداً و هو يدعوني إلى الفخر بسام إنه فرصة لا تفوت ... و لكن أخشى ألا تكونوا في صورة الوضع العائلي لدينا " حدقت المديرة العجوز بعينيها الغائرتين بالأب و زمت شفيتها ثم قالت باقتضاب " أوضح من فضلك " . فكر الأب قليلاً ثم قال "إن سام هو الذي يدير شؤون الأسرة هنا ، و كما تعرفين ، أنني حارس ليلي أقضي الليل كله خارج المنزل و النهار أفضيه في المنزل نائماً ، و ليس لي إلا بضع ساعات أفضيها هنا ، إنه يتكفل بتعليم إخوته الأصغر منه و تربيتهم و مساعدة والدته في جميع أعمال المنزل إنه كما قلت لك عرض مغر و لكن ... لا أعرف ... أخشى أن يسبب غياب سام بلبلة في المنزل ، فضلاً عن ذلك لا أظنك تجهلين وضعنا المادي ، فمن أين لنا تدبر مصاريف الفتى و سكنه و ما هنالك لا أعرف كيف أعبر عن الفكرة بشكل أوضح و لكن أظن أنها مفهومة " . هزت المديرة برأسها علامة النفي ثم قالت للأب " نو ، نو سيدي ، سأشرح لك .. بالنسبة للأموال المادية فإن مؤسسة ألفا تتكفل للطلبة الأوائل بأقساط الدراسة و الإقامة و تأمين الكتب و لوازمها ، و بالنسبة للطعام و الشراب ، هي عادة لا تتكفل بذلك و لكنها تمنح الطلبة المتفوقين مرتباً شهرياً يتكفل لهم بذلك ، هذا حسب كفاءتهم الدراسية و كلما كان الطالب متفوقاً بالمواد العلمية ، كان اهتمام المؤسسة به أكبر ، كما أنها تؤمن لطلابها بعد انتهاء الدراسة ، أعمالاً مجزية في شركات مرموقة ، و كن على ثقة يا سيدي أن سام سيكون الطالب المميز هناك و إنني سأندبر تأمين أموره كلها ، أما بالنسبة لأموالكم العائلية فإني على ثقة أنها مشاكل بسيطة قادر أنت على تدبر حل لها " . انبرت المديرة تشرح للأب عن تلك المؤسسة و مزاياها ، و في النهاية قالت له " سيدي ، لا يسعني إلا القول إن مستقبل ابنك سام و حياته العلمية و المهنية ، قد أصبحا الآن ينبآن بالخير ، و كل ما أرجوه منك هو أن تزن الأمر بعناية و لا تجعل العاطفة تؤثر في اتخاذ قرار قد يغير حياة ابنك و

يمنحه فرصة ذهبية أتت إليه ... وداعاً ، و أنا بانتظار ردك الأسبوع المقبل . عندما غادرت المديرية المنزل وهي تودع الأب بابتسامة مقتضبة ، جاءت الأم و الأولاد إلى غرفة الاستقبال . " أخبرنا ماذا حصل .. ماذا تريد المديرية ؟ (سألت الأم) - " أظن أنكم جميعاً سمعتم من وراء الباب نتكلم لاحقاً عن هذا الموضوع ، حضري لي شيئاً آكله قبل ذهابي إلى المصنع.

بالرغم من كون الطقس بارداً جداً في ذلك الليل المدهم ، و السماء ترعد و تزيد أحياناً بغضب شديد ، فقد جلس الحارس في الحديقة الخارجية للمصنع و هو غارق في تفكير عميق يتأمل ذرات الثلج التي تتساقط أمامه و تتجمع على الأرض أو تذوب عندما تصل إلى كأس الشاي الساخن أمامه . ابنه سام سيبتعد عنه إلى العاصمة ، و لم يعد بإمكانه أن يراه إلا مرة واحدة في السنة ، قد تكون يوماً أو يومين أو ، أسبوعاً أو أسبوعين ، أو ربما شهراً ، و لكن بعدها سيبتعد مرة أخرى ، تذكر فجأة أن اللقاء بينه و بين ابنه قد خف كثيرا في الفترات الماضية ، ربما منذ سنتين أو أكثر ، و لكن مع ذلك فإن فكرة الابتعاد عنه أمر صعب للغاية ... "لا بد أن يكون الولد تحت الأنظار .. (قال في نفسه) إن هذه فرصة ذهبية فعلاً قد تحقق لسام كل مبتغاه ، إنها فرصة مناسبة لشاب مثله و لكن كيف سيكون البيت من دونه ، كيف سأكون أنا من دونه ، من المؤكد أنني سوف أشغل أنا و أمه تماماً " ، أخذ يتخيل كيف سيكون الأمر بدونه ، إنه خائف ، خائف من هذا الجهول الذي برز أمامه فجأة ، إنه يعرف نفسية سام جيداً .. سينجح في العلم حتماً و لكنه سيفشل في الحياة الاجتماعية و بالذات في العاصمة و قد يكون فشله كارثة له ، اللعنة على هذه العجوز الشمطاء (هَبّ واقفاً) ما الذي أتى بها إلى المنزل ، إنه يخشى أن، تتكرر قصته هو مع ابنه سام ... العاصمة ، و فيها ما فيها قد تؤثر على الولد و تحرفه في متاهات ، قد... قد.. أخذت الأفكار تتوارد أمامه و تتصادم في مخيلته .

في اليوم التالي رجع الأب إلى المنزل ، هذه المرة عاد بعد ذهاب الأولاد إلى المدرسة ، كان يحرص دائماً على العودة في أثناء وجودهم في المنزل ليراهم و هم متجهون إلى المدرسة ، هذا المنظر يجب رؤيته كثيراً ، لكنه هذه المرة أثر العودة بعد ذهابهم ، كان في قرارة نفسه يخشى مواجهة سام ، يخشى نظرات الفرح و القبول في عينيه من المؤكد أنه متلهف إلى للذهاب إلى العاصمة و الدراسة في ألفا . " ما الذي أخرجك اليوم يا عزيزي هذا ليس من عادتك " - " لا ، لاشيء ، إنها أمور تتعلق بالمصنع.. هل الطعام جاهز " - "نعم إنه جاهز " قالت الأم و أخذت تضع الأطباق على الطاولة ، ثم أردفت " يا إلهي إنها فرصة ذهبية لن تعوض ، إن مستقبل سام بات مؤمناً ، يا إلهي لقد ابتسم لنا الحظ آه كم أتمنى....." - " حسناً ، حسناً دعيني أكمل الطعام بهدوء (صرخ الأب بانزعاج) " . اعتدلت الأم في جلستها و قالت " مابك يا عزيزي ، أراك مضطرباً ، قل لي ما الأمر؟ " - " إنه موضوع سام الذي يفرحك ، إنني لست مرتاحاً لذلك إنني خائف عليه لا أدري لماذا " قال الأب و قد كف عن مضغ الطعام . " ما هذا الكلام ، ابنك سيذهب إلى العاصمة ، و سيتابع تعليمه في أحدث المؤسسات العلمية و أضخمها ، لقد رأيتهم مرة يتحدثون في التلفاز عن مؤسسة ألفا إنها حلم يا عزيزي حلم ، نعم حلم (قالت الأم باستهجان) ، سوف تفتح له أبواب العلم و العمل و المستقبل فماذا تريد أكثر من ذلك ، إنها فرصته التي يحلم بها " - " أعلم ، أعلم و لكنني خائف عليه ألا تعرفين سام ، إنه صحيح ذكي ، و لكنه بسيط و طيب القلب إلى أبعد الحدود ، ليس في تصرفاته كلها أو كلامه ما هو معيب أو ما يؤخذ عليه ، لا أذكر مرة أنه أخطأ في أمر ، كل الناس يمدحون في أخلاقه و صفاته ، لم أجد أو أسمع في حياتي كلها ملاحظة عليه من أحد ، أتدرين إنني أحياناً أحس بأن هذا الشاب هو ملاك ، ملاك حقيقي " قال الأب و قد تسارعت أنفاسه قليلاً . مطت الأم شفيتها و أمالت برأسها ثم قالت " فلتحفظه الملائكة لنا ، و لكن ما العيب في هذا إن هذا شيء جيد و سيكون خير معين له

في حياته ، لطالما شعرت بالفخر عندما يتحدث أهل البلدة أمامي عن سام و أشعر نفسي فوق كل هؤلاء الناس جميعاً " _ " إن هذا بالذات ما يخيفني ، هذا ما يجعله معرضاً للمشاكل و المتاعب ، إنه لا يعرف الكذب ، لا يعرف البخل و لا الأذى و لا حتى التملق و المجاملة ، كل ما يصل إلى جيبه أو يده يعطيه للغير منذ أن كان صغيراً ، نعم لقد ظهرت هذه العادة فيه منذ كان صغيراً بالمناسبة ما هو رأيه في كلام المديرية " - " أوه ، إنه في غاية الفرح و السعادة لدرجة أنه لم يصدق البارحة ما سمعه ... يا لولدي الحبيب " قالت الأم . أطلق الأب زفرة طويلة ثم تتمم بهدوء " إنني متعب الآن ، أيقظيني الساعة الرابعة . "

كان البرد قد خف بعض الشيء تقريباً و تحول الثلج الأبيض إلى قطرات ماء خفيفة تنزل من السماء محدثة صوتاً عذباً. جلس الأب على الأريكة المحيية لديه يرتشف الشاي مع سام " أظن يا بني أنك سمعت البارحة كل شيء و أظن الآن أنك قد كونت رأيك عن الموضوع أو لنقل قرارك " . أطرق سام برأسه ثم قال " إنه حلم حياتي يا والدي ، لا بل إنه فوق مستوى الحلم ، إن أقصى ما كنت أحلم به و أتمناه هو الدراسة في جامعة الدولة الرسمية ، فكيف الآن في مؤسسة إلفا " صمت الأب و هو يحدق بكوب الشاي أمامه على الطاولة ، بينما كان سام ينظر إليه من أسفل حاجبيه و مطأطئ قليلاً . بقي الأب هكذا صامتاً لفترة ، كان داخله ممتلئاً بالمشاعر و العواطف المتصارعة للوصول إلى قرار . رفع نظره عن كوب الشاي و حدق باتجاه الحائط قائلاً " حسناً يا ولدي سأقابل المديرية غداً و أبلغها قرار الموافقة " . قفز قلب سام من الفرح و انطلق نحو الخارج نظر إلى الغابة الداكنة أمامه ، فتح ذراعيه للريح الباردة القادمة من الشمال و رفع وجهه نحو السماء مستقبلاً المطر ، أحس و كأن السماء فرحت لأجله فتوقف البرق و خف المطر قليلاً ، حدق

النظر في السماء و خيل إليه أن العاصمة نجمة لامعة تومض أمامه تدعوه للقدوم بسرعة ، و ما لبث الغيم أن غطاها فجأة و عاد البرق و المطر من جديد ، فاستدار عائداً إلى الداخل نحو المدفأة .

اخذ الأب ينظر إلى تلك المكتبة الضخمة التي تملأ الحائط أمامه ، ثم حول نظره إلى أثاث المكتب و الطاولة الكبيرة ، و مجسم الكرة الأرضية ثم إلى خارطة العالم المعلقة على الحائط و بجانبها خارطة الدولة . فجأة فتح الباب ليقطع عليه تأملاته ، دخلت المديرية إلى الغرفة " أهلاً بك سيدي ، تفضل اجلس ، لقد أبلغني الفرائش بقدومك ، كنت في جولتي التفقدية الصباحية ، أشكرك على قدومك ، أظن أنك تحب أن تشرب كوباً من الشاي السيلاني الأحمر " قالت المديرية وقد جلست خلف طاولتها بوقار . اعتدل الأب في جلسته و حك ذقنه قليلاً ثم قال " نعم ، نعم ، شكراً جزيلاً ، في الواقع لقد أتيت بخصوص الموضوع الذي تكلمنا فيه أول أمس عندنا في المنزل " - " عظيم جداً ، و ماذا قررتم سيدي ؟ " - " الموافقة مع الشكر الجزيل لحضرتكم و لكن المشكلة تكمن في أنني لا أستطيع القضاء كاملاً على هواجسي التي حدثتكم عنها في المنزل بخصوص سام " - " نو ، نو مسيو ، لا داعي لتحميل الموضوع أموراً إضافية فوق طاقته ، و كما حدثتكم من قبل هناك جانب عاطفي و جانب علمي منطقي في الموضوع ، و أنا برأيي أنه في قضية كتلك ، تخص المستقبل و الحياة العلمية و المهنية ، فإنني أرى اعتماد الجانب العلمي و المنطقي في الموضوع و تغليب على الجانب العاطفي ، و على كل حال فإنه إذا تمت الموافقة في مؤسسة إفا على توقيع العقد ، فإنه ستمضي سنة قبل أن يلتحق بها سام و يذهب إلى العاصمة ، و في هذه السنة تكون الجوانب العاطفية قد اتضحت لكم أكثر و في الوقت نفسه يمكن تهيئة سام لأجواء العاصمة التي سيدخلها لأول مرة على ما أظن ، و الآن أرجو أن تتكرم و تتطلع على العقود التي ستوقعها أنت و سام و تتفحصها بعناية ، و أنا جاهزة لأي استفسار أو توضيح " .

في الشرفة أخذ سام يتأمل الغابات و المروج الخضراء الممتدة أمامه على طول النظر ، كان منزل صديقه كيم أعلى من منزلهم تقريباً ويطل على مساحات أكبر ، صب كيم الشاي الساخن و قال لسام " يبدو أننا سنفتقدك يا سام ، إنها فرصة لا تعوض ، هذا ما أعطتك إياه السماء لأنك تستحق ذلك ، إنني أتمنى لك كل خير يا صديقي العزيز ، و لكن يجب أن تعرف أن المدينة فيها عادات و أمور تختلف عما لدينا هنا يا سام ، لي أقارب بالعاصمة و قد زرتهم أكثر من مرة ، إن العاصمة شيء مختلف عن هنا ، مختلف جداً " .

رشف سام من الكأس الساخن و قال " أعرف ذلك يا كيم ، و لكن أظن أن الفرصة حانت الآن لكي أتعرف على العاصمة بشكل أفضل ، وهذا ما يشوقني للذهاب إليها إنني متشجع لذلك جداً " - " و لكن هل الأمور المادية محلولة بالنسبة لكم يا سام ، أنا أعرف أن وضعكم المادي ليس بهذه السوية المرتفعة التي تسمح بالتمدد " . رد سام ببهجة " الدراسة و المعيشة ستكون على حساب مؤسسة إلغا يا كيم ، و هذا أهم شيء كان يقلق الوالد و يقلقني أنا أيضاً ، أتعلم .. هناك أشياء كثيرة أحلم بها و أتمنى حصولها ، و لكن المال يقف حائلاً دون ذلك ، ومع هذا لا أكثرث " - " إنني أحسدك على هذه الميزة يا سام .. ميزة عدم الاكتراث بالمال ... انظر إلى الجميع ، لا يوجد أحد إلا و يهتم بالمال و يسعى لأجله.. الجميع ، الجميع بلا استثناء إلا أنت ، أنت الوحيد الذي يمتلك قناعة هائلة، أنت الوحيد يا سام ، أتدري .. إنني أحاول أن يكون لي مثل قناعتك ، لكن لا أستطيع ، أعرف الكثير من الناس لهم قناعات و لكن قناعات تختلف عن قناعتك أنت و تبدو ضئيلة أمامها ، ما رأيك أنت بهذا ؟" . رنا سام ببصره نحو الأراضي الخضراء الممتدة أمامه ، لبرهة ثم قال " لا أحس بأن لي مثل هذه القناعة التي تتكلم عنها يا صديقي العزيز و لكن لا أدري ... قد يكون كلامك صحيحاً ، لقد سمعت هذا الشيء من أكثر من شخص ومنهم أستاذ الفلسفة و أستاذ التربية الدينية و لكن لا أدري لماذا في داخلي لا أحس بهذا المقدار ، ربما هو عدم

الاكتراث ، لا أعرف " - " أتدري يا سام .. أنا برأبي إن المال هو كل شيء في هذه الأرض و من دونه ليس لحياة الإنسان أي معنى ، بل لا وجود للإنسان ذاته ، فهو معيار قيمة الإنسان " - " إنني لا أشاطرك هذا الرأي يا كيم " - " أعلم ذلك ، و أتمنى أن أشاطرك أنا رأيك أنت " - " دعنا الآن من المال يا كيم و حدثني عن العاصمة ، لقد جئتكم اليوم خصيصاً لهذا الغرض " .

في صباح اليوم التالي جلس سام مع والده على الإفطار " هل استعلمت من صديقك كيم عن العاصمة يا سام ؟ " سأل الأب باقتضاب . أوماً سام بالإيجاب و شرع يحدث أباه عما دار بينه و بين صديقه بالأمس . و عندما انتهى سأل والده " ما رأيك يا أبي بهذا الذي قاله كيم عني ، أرجو ألا تحسب أن سكوتي عن ضيقنا هذا و تجاهلي ، هو ملل و استهزاء أو كسل ، و لكن حقيقة أنا لا أكرث لشيء من ذلك " . تنهد الأب قائلاً " أعرف ذلك يا ولدي أعرف ، و لا أحد يعرفك أكثر مني ، لا أستاذ الفلسفة و لا غيره . إن قناعتك و حسن نيتك هي فعلاً صحيحة و لا تشوبها شائبة ، و تختلف فعلاً عن بقية الناس ، و السبب في ذلك هو أن هذا الأمر موجود فيك مذ كنت صغيراً ، حيث ينعدم الوعي و الإدراك الموجودان عند الراشدين ، و تكون العفوية البريئة الصادقة التي تعبر عن نفس الطفل و مكنوناتها ، و لا مجال للتلاعب و الخداع ، و هذا ما ميزك في الماضي عن باقي الأولاد في البلدة ، و اعلم يا سام يا ولدي إنني في البداية لم أكن متحمساً لذهابك إلى العاصمة التي يوجد فيها مالا يوجد هنا في البلدة ، كنت خائفاً عليك من التورط و الوقوع في أمور قد لا تدرك أبعادها ، و لكن قناعتك و عفتك و طهارتك ، هي التي جعلتني أوافق في النهاية ، لأنها صمام أمان ربما يحميك من المشاكل " - " بالمناسبة يا أبي لقد أخبرتني المديرية اليوم أن الموافقة قد وصلت من مؤسسة إلفا وأنه لم يبق سوى ستة أشهر للمغادرة " . نظر الأب إلى ابنه و قال بنبرة حزينة " أتمنى لك التوفيق يا ولدي ، و على كل حال فإنه من المفيد لك أن تطلع على أمور و تجارب

جديدة في الحياة و تصقل خبرتك و موهبتك ، فالحياة في البلدة هنا هي بالنسبة لعاصمة كالفرق بين الحجر الصغير و الهرم الكبير .

مرت الأيام بطيئة بالنسبة لسام ، كان متلهفاً لقدم اليوم الذي سيذهب فيه إلى العاصمة . كل يوم يمر كان يتخيل فيه شكل العاصمة و هيئتها و أبنيتها و طبيعة البشر فيها و طريقة كلامهم و تصرفاتهم ، هل سيكون غريباً بينهم ، هل سيلفت أنظارهم أو هم سيلفتون أنظاره ، هل سيكون له أصدقاء و من سيكون هؤلاء الأصدقاء ، كيف سيكون شكل مؤسسة إلفا هل هي مشابهة للمؤسسة الاستهلاكية التي عندهم هنا في البلدة أو أكبر أو ماذا . كان كل يوم يسهر في الليل و يتأمل السماء و النجوم و الطبيعة و يفكر بالعاصمة في مساء اليوم الأخير خرج إلى الشرفة ، وقف وحيداً يتأمل السماء و النجوم و الطبيعة ، لأول مرة انتابه شعور قوي بالحزن و رغبة شديدة بالبكاء ، لأول مرة أخذ يحس بلوعة الفراق ، لأول مرة بدأ يحس بالحزن الذي كان يثمن على صدر أبيه ، لماذا لم يكن يلاحظ ذلك من قبل ؟ "يا إلهي كم أنا قاس و جلف و ظالم (قال في نفسه) لقد كان أبي يبكي كل يوم ألف مرة و لكني لم أبصر ذلك لقد أعمت العاصمة قلبي " فجأة راوده شعور خاطف بالتراجع عن قرار الذهاب إلى العاصمة ، و لكنه نفذ رأسه و نظر إلى السماء نظرة أخيرة ، و دخل إلى المنزل.

كان الجو صحواً و السماء صافية و الشمس شارفت اعتلاء صهوة السماء ، عندما اجتمعت الأسرة أمام باب المدرسة حيث كانت السيارة بالانتظار لتقل سام إلى العاصمة . وقف الأب و الأم و أخوة سام يعانقونه و كذلك أستاذ الفلسفة الذي حضر خصيصاً بالإضافة إلى رفاق سام ، اقتربت المديرية من سام و صافحته بجملة ، ثم أعطته مغلفاً كبيراً و قالت له " تفضل يا سام هذه عقودك جاهزة ، و فيها رسالة إلى مدير شؤون الطلاب بالمؤسسة ، هو سيتكفل بكل شيء أريدك أن تكون كما عهدتك طالباً مجداً مثابراً ، لا

وقت له إلا للدراسة فقط " . اقترب أستاذ الفلسفة قائلاً " سام أمامك مستقبل واعد و حياة جديدة تعلم منها و اغرف بحكمة و حذر " . أخيراً عانق الأب ابنه و أوصاه " بني ، اعتن بنفسك جيداً وانتبه لدرسك ، و كن عند حسن ظني بك ، لاشيء لدي أضيفه غير ذلك ... إلى اللقاء " . لوح سام للجميع و صعد إلى السيارة التي انطلقت إلى العاصمة .

في الطريق أخذ سام يتأمل المناظر الجانبية و هي تمر من أمامه مسرعة ، أخذ يتخيل مرة أخرى شكل العاصمة و الهيئة التي ستبدو فيها ، هذه المرة كان ينتابه خوف شديد مقرون بالحزن و الكآبة ، اكتشف أنه معتاد على البلدة و ليس مؤهلاً لمغادرتها إلى أماكن بعيدة نائية و مجهولة أيضاً ، مثل العاصمة . شعر و كأنه ذاهب لمبارزة ، تخيل العاصمة إنساناً سيراه و يتحدث إليه ، تراءى له أن العاصمة الآن تنتظره على أحر من الجمر ، فجأة خامره شعور بأنه عندما سيدخل إلى العاصمة سيفقد القدرة على الكلام فيها و لن يستطيع التحدث إلى أحد ، و إن استطاع التحدث ، فإن الناس لن يفهموا لغته و لا هو سيفهم لغتهم ، ثم انتابه شعور آخر جديد بأنه ذاهب إلى حلبة ملاكمة و أن الخصم هو العاصمة و تبدأ المباراة و يبدأ الخصم بكيل الضربات و اللكمات له حتى يفقده الوعي " لماذا لم يخطر لي كل هذا عندما كنت في البلدة (قال في نفسه) لطالما فكرت كثيراً بالعاصمة فلماذا الآن أحس بذلك ، لماذا ؟ حاول أن يتذكر كلام صديقه كيم عن العاصمة عله يتشجع قليلاً ولكنه نسي كل شيء . بدأ يحس كلما ابتعد عن البلدة بفقدان شيء من قواه ، كأنها قوة سحرية كانت تلازمه في البلدة ثم بدأت تتلاشى شيئاً فشيئاً . لماذا لم يفكر بكل هذا طوال السنة الفائتة ؟ لماذا لم تخطر على باله كل تلك الأفكار اللعينة . لاحظ عليه السائق الوجوم و الارتباك فسأله " ما بك أيها الشاب ، أراك مضطرباً ؟ " - " لاشيء ... يبدو أنه .. أنه .. دوار السفر " . حاول السائق أن يفتح حديثاً مع سام ، فالطريق إلى العاصمة طويل و لا بد من التسلية " إن بلدتكم جميلة جدا ، يا هذه المناطق الرائعة ، الجبال ، الغابات ، الوديان ، إن مقاطعة الشمال هي المقاطعة الوحيدة التي تمتاز بهذه الميزة

السياحية ، ولا عجب أن جميع بلداتها و قرأها و منها بلدتكم تمتلك هذه التضاريس الرائعة ، آه كم أحب قضاء العطلة بين الغابات و الثلوج و الجبال ، ربما في السنة القادمة سأصطحب العائلة لقضاء العطلة عندكم في البلدة هل سترحبون بي " - "أهلاً و سهلاً بك ... و لكن ... من أي مقاطعة أنت " - " أنا من العاصمة " . تجمد الدم في عروق سام ، أحس انه فعلاً عاجز عن الكلام ، أحس أن هذا الرجل الذي بجانبه يتحكم به و بمقدرته كما يتحكم بالسيارة ، حاول أن يسأله عن العاصمة عن أي شيء ، أن يتكلم و لكنه لم يستطع . أخذ الرجل يتكلم معه بلهجة ودية و عادية ، ربما لم يدرك ما كان سام يفكر به " أنا أعمل سائقاً منذ عشرين عاماً في مؤسسة إلفا و هذه السيارة تابعة لهم ، أنا متأكد من أنك شاب مجتهد و إلا لما تم قبولك في الدراسة على حساب المؤسسة ، إن العلم شيء جميل جداً إنه حاجة ملحة للأسف فإنني لم أستطع تجاوز المرحلة الإعدادية حيث لم يكن لي رغبة في العلم مذ كنت صغيراً و لذلك فشلت " هنا أدرك سام بأن قدرته على الكلام قد بدأت تعود إليه شيئاً فشيئاً . تابع السائق كلامه " و لكن ما يجز في نفسي أكثر هو ولدي ، إنه غبي ولا يجب الدراسة لقد وصل إلى المرحلة الإعدادية و توقف مثلي تماماً ... اللعنة ، أظن أن هذا الأمور هي أيضاً وراثية.... لقد تقدمت إلى مدير المؤسسة لإدخاله في أحد المعاهد المهنية التخصصية التابعة للمؤسسة ، ووافق المدير بسبب كوني سائقاً قي المؤسسة و مخلصاً في عملي طوال السنين السابقة ، وتم إدخاله في قسم الميكانيك و هو الآن يتخبط في الدراسة ، إنني لست واثقاً من قدرته على المتابعة ، إنه بليد و أرجو أن أجد له مكاناً في المؤسسة كعامل إن لم يستطع النجاح فيها كطالب . وهنا أحس سام بأن قواه الذهنية و ثقته بنفسه و قدرته على الكلام قد عادت إليه جميعاً و أحس انه يستطيع الخوض في نقاش مع ذلك الرجل الذي أدرك أنه ليس من الصنف المخيف أو المؤثر و أنه لا فرق بينهما .

مرت ثلاث ساعات أخرى و فجأة قال السائق " ها قد وصلنا إلى العاصمة " . بدأت السيارة تقترب من العاصمة ، نظر سام ، فرأى كتلة بعيدة من البناء أخذت تكبر شيئاً فشيئاً ، كأنها ماردر كبير يخرج من

القمقم حتى غدت عند دخول السيارة إلى العاصمة ، عملاقاً كبيراً من البناء العالي المتراصف و الشوارع الطويلة الواسعة اللامتناهية و السيارات المكتظة و الضجيج الصاخب . أحس سام أنه دخل في متاهة و أنه لن يستطيع الخروج منها ، ولكن سرعان مازال اضطرابه ليحل محله دهشة و استغراب و فضول ، للمشاهد المتسارعة التي يراها أمامه لأول مرة .

شقت السيارة طريقها بين الأبنية و الساحات ، تارة تنعطف يميناً و تارة تنعطف شمالاً ، حتى وصلت إلى مجموعة من الأبنية الضخمة يحيط بها سور حجري . " لقد وصلنا ، هذه هي مؤسسة إلفا ، جميع هذه المباني الكبيرة التي تراها أمامك من بداية هذا الشارع و حتى نهايته ، تابعة لمؤسسة إلفا ، مخابر ، قاعات دروس ومحاضرات ، مكاتب ، صالات رياضية ، انظر إلى هذا البناء الضخم البعيد هناك ، إنه مشفى كلية الطب التابع للمؤسسة ، و الآن هيا لمقابلة مسؤول شؤون الطلاب . هبط سام من السيارة ببطء شديد و كأن الجاذبية الأرضية قد تضاعفت عدة مرات ، كان قلبه يخفق بقوة ، حمل السائق حقائب سام ودخلوا إلى المبنى الكبير . في غرفة المسؤول جلس سام على المقعد الفخم بينما كان الرجل خلف الطاولة الخشبية الفاخرة منهمك بقراءة رسالة المديرية التي أرسلتها له مع سام ، كان الخوف و الاضطراب ملازمين لسام قبل دخوله غرفة المسؤول ، و لكن بشاشة الرجل و ترحيبه به بشكل لائق ، خففت من حدة التوتر لديه ، و أدرك سام أن الرجل يحمل درجة علمية لا بأس بها من خلال الشهادات المعلقة خلف مكتبه . مرت دقائق الصمت و الرجل مستغرق بهدوء بقراءة رسالة المديرية . لاحظ سام أمراً آخر ، لقد توقف الرجل مرتين عن القراءة و نظر إليه نظرات فاحصة مدققة ، كأن هنالك شيئاً مكتوباً في الرسالة تخبره المديرية عنه .. يا ترى ماذا كتبت المديرية في الرسالة . أنهى المسؤول قراءة الرسالة و نظر إلى سام مبتسماً " حسناً سيد سام ، بعد اطلاعي على أوراقك المدرسية و نتائج الاختبارات و العقود ، و أخيراً رسالة السيدة المديرية يسرني إعلان قبولك في كلية العلوم ، و بما أنك راغب في دراسة الكيمياء ، فذلك يتوقف على الامتحان

الابتدائي. انبرى المسؤول يشرح لسام طبيعة الحياة الجامعية و يملي عليه التوجيهات و النصائح ، وفجأة توقف قليلاً و نظر إليه وقال " أحب أن أقول لك شيئاً آخر يا سام ، إن الحياة هنا في العاصمة تختلف تماماً عن الحياة في البلدة عندكم ، هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى إن المغالاة في المبادئ و القيم قد تعود على صاحبها بالضرر ، خاصة إذا كانت غير مستندة على أسس واقعية و منطقية و يأخذ الخيال و العواطف مكاناً كبيراً فيها ... أتمنى لك إقامة سعيدة و دراسة موفقة ، و إذا صادفتك مشاكل أو صعوبات معينة ، عليك مراجعة مدير الكلية ، و إذا كان الأمر يستوجب أهمية أكبر ، فيمكنك مراجعتي على الفور . كانت الكلمات الأخيرة للمسؤول قد أخذت لها على الفور مكاناً في ذهن سام ، لماذا قال له هذا الكلام بالذات ، و ما معنى ذلك ؟ من المؤكد أن رسالة المديرية هي السبب ، و لكن ما الذي كتب فيها ؟؟ .

قرع الموظف الباب ، و بعد قليل فتح الباب ليطل منه شاب أشقر نحيل أزرق العينين مع نظارات طبية سميقة . " هذا الطالب الجديد سيشاركك الغرفة يا جان ، هيا أيها الفتى أدخل حقائبك ، هذه هي غرفتك ، و هذا هو المفتاح " انصرف الموظف و بقي الشابان في الغرفة . " أهلاً و سهلاً بك ، اسمي جان ، أدرس الكهرباء و أنا من مقاطعة الجنوب و يسعدني أن تكون رفيقي في الغرفة " - " شكراً لك ، أنا سام أتيت لأدرس الكيمياء ، و أنا من مقاطعة الشمال " - " حقاً ؟ إنها من أجمل مناطق البلاد بالإضافة إلى كونها المقاطعة الزراعية الأولى ، لقد زرتها أكثر من مرة في أثناء الرحلات الكشفية ، إنها على عكس المقاطعة الجنوبية التي تخلو تقريباً من المناطق الزراعية و السياحية ، و لكنها المقاطعة الصناعية الأولى". وبدأ حديث تعارف بين الشابين ، كان كل منهما يحاول التعرف على الآخر و على طبيعته و نفسيته .

بدأت حياة سام الدراسية في العاصمة ، كانت أولى بداياته جحيماً لا يطاق ، لم يعتد حياة الغربية من قبل و
بخاصة في مكان غريب عن عاداته و حياته الاجتماعية ، أحس أنه وحيد و ضعيف ، كانت تحتلجه مابين
الحين و الحين الرغبة في ترك الدراسة و العودة إلى البلدة ، لا أحد يأبه به هنا ، إنهم جميعاً يبدون وكأنهم
مجردون من الإحساس و الرابطة الاجتماعية ، كان الجلوس الآن في بيته في البلدة أمام الموقد ، يمثل أعلى و
أصعب أمنياته . و شيئاً فشيئاً ، أخذت أواصر الصداقة تزداد بينه و بين جان ، و في الوقت نفسه كوّن سام
فكرة واضحة عن صديقه الجديد ، ذكاء حاد و بديهة سريعة ، هوس بالكهرباء ، شهوة جنسية قوية
ولكنها مكبوتة ذاتياً ، تهذيب و لكن دون تقييد مطلق بالأخلاق ، حب الخير من دون تمسك مطلق
بالمبادئ و الفضائل ، ليس لديه ميول للأذى أو الحقد أو الغضب ، إنه بمجمل الأحوال إنسان عاقل و واع ،
و هذا ما جذب سام إليه . و شيئاً فشيئاً بدأت تتضح لسام الحياة الجديدة في العاصمة خاصة بعد أن كان
ينزل هو و جان في أوقات الفراغ للتسوق ، حيث كان جان يتنازع قطعاً كهربائية خاصة به لإجراء
التجارب عليها . كان جان دليلاً في العاصمة بشكل غير مباشر و معلمه الاجتماعي . في بداية حياته
الدراسية كان يتصل كل أسبوع مع والده في المصنع ، و لكن ومع مرور الوقت و اعتياده على جو
العاصمة الجديد ، بدأت المكالمات تخف تدريجياً . كانت أيامه في العاصمة روتينية بعض الشيء ، الاستيقاظ
في الساعة السادسة و النصف صباحاً ، الاستحمام و حلاقة الذقن يومياً .. هاتان العادتان تعلمهما من
صديقه جان .. ثم الذهاب في السابعة إلى مطعم الجامعة للإفطار ، ثم التوجه في الثامنة إلى قاعات
المحاضرات ، حيث يفترق الشبان ، جان إلى كلية الكهرباء و سام إلى كلية العلوم . في الثالثة يلتقيان في
المطعم الجامعي ، و من هناك يتوجهان إلى الغرفة في السكن الجامعي حيث يراجعان الدروس ، وفي الليل
يبدأ وقت الفراغ الذي يكون أحياناً قصيراً أو يتم إلغاؤه إذا كان ضغط الدروس كبيراً ، أحياناً كانا يقومان
بجولة في العاصمة التي يعرفها جان جيداً ، أو يترددان على أصدقاء جان ، أو يبقيان في الغرفة حيث يتابع

جان تجاربه الكهربائيه ، و سام يراجع دروسه أو يراقب جان و هو يعمل " ألن ينتهي مشروعك الكهربائي بعد يا جان ؟ " - " إنه معقد و شائك جداً يا سام ، و لكنه إذا نجح معي ، فسيكون فاتحة خير بالنسبة لي مع مؤسسة إلفا " - " هل تعتقد أنه سينجح ؟ " - " أظن ذلك ، و على كل حال هذا يتوقف على قسم الشؤون التطبيقية في المؤسسة ، حيث سيتم اختباره و إجراء التجارب عليه ، و إذا نجح في الاستخدام فسيوافقون عليه و بالتالي ممكن أن أوقع عقداً مع المؤسسة أتقاضى بموجبه مرتباً شهرياً ، و غير ذلك فإن الجهاز إذا أثبت كفاءته و قدرته على العمل بشكل سليم ، فإن المؤسسة قد تمنحني براءة اختراع و قد تقوم بتسويق الجهاز في السوق ، و ذلك سيدر علي أموالاً طائلة " - " هل تحب المال يا جان ؟ " قهقهه جان و هو يثبت سلكاً رفيعاً بمفك صغير " هل تمزح معي يا سام ، ومن لا يحب المال ؟ آه لقد نسيت ربما أنت ..ها ها" . عاد سام للسؤال " وهل بإمكان مؤسسة إلفا أن تفعل لك كل ذلك ؟ " - " بالتأكيد يا سام ، إن مؤسسة إلفا بالإضافة إلى كونها مؤسسة علمية ، فهي أيضاً مؤسسة تجارية ، إنها قوة اقتصادية كبيرة في هذا البلد ، يكفي أن تتبنى أي مشروع أو إنجاز أو عمل ما ، حتى يلاقي النجاح " قال جان وهو منهمك بفحص إحدى الدارات الكهربائيه بمكبيرة كانت معه . فكر سام قليلاً ثم قال " أتدري يا جان ، لقد تفاجئت كثيراً بهذه المؤسسة ، كنت أظنها عبارة عن جامعة علمية كبيرة ، صحيح إنني كنت أسمع بها من قبل و لكن لم أكن أتوقعها بهذه الضخامة و بهذا الشكل " . فرد جان " ليس هذا فقط ، بل أكثر بكثير " قال جان . وضع سام كتاباً كان يقرأ فيه ثم قال لجان " ماذا ، هل هناك جديد أيضاً " - " لا ، لا شيء " - " أرى على وجهك كلاماً تريد قوله يا جان " - " لا ، لا " - " هل ستخفي عني أسراراً يا جان ؟ " - " إنه موضوع لا يستحق الكلام و لا داعي له " - " و أنا أريد أن أعرفه " . وضع جان أدواته جانباً ثم تنهد و قال " حسناً ، إن مؤسسة إلفا تبلغ من الضخامة حداً بحيث إنها تتدخل في الحياة السياسية ، إنها قوة هائلة لا أستطيع أن أصفها لك ، إنها مجمع كبير ضخمة تفعل أي شيء و كل شيء ، و منها يخرج

أصحاب الملايين ، و يقال إنها تدعم بعض الأحزاب و الحركات السياسية في البلد " - " و من هم أصحابها (سأل سام باهتمام) " - " بالضبط لا أعرف ، و على كل حال أرى أنه لا داعي للخوض في هذه الأمور التي لا فائدة منها ، نحن هنا طلاب علم و مجال عملنا هو مستقبلنا المهني فقط (تابع جان محاولاً تغيير الموضوع) بالمناسبة يا سام أنا لا أراك تتكلم مع البنات هنا في الجامعة ، ألاحظ إنهن يحاولن فتح أحاديث معك و كسب صداقتك ، و لكنك بارد معهن جداً " - " و أنت أيضاً يا جان ألاحظ أنك لا تحب البنات ، فعندما يتكلمن معك يعلو وجهك الاحمرار من الخجل " - " بالعكس يا سام أنا أحب البنات لدرجة الجنون و أحب الحديث معهن ، و لكن لا أدري ... أصاب بالخجل عندما يتحدثن معي ، و لكن مع ذلك أحبهن ، أما أنت فأحس أنك عديم الإحساس نهائياً تجاه البنات ، لا معنى للحب لديك " أطرق سام بجزن ، فلاحظ جان ذلك " أنا آسف يا سام ، لم أقصد الإساءة ، أرجو أن ... " - " لا ، لا يا جان أنا هكذا فعلاً ، دائماً كانوا يقولون لي هذا الكلام في البلدة ، حتى أهلي ، هل هذا عيب يا جان أو خلل؟ ، إنني فعلاً لا أملك أي إحساس أو شعور تجاه الجنس الآخر ، هل هذا خطأ أو خلل؟ ، أرجوك قل لي " - " لا يا سام إنه ليس عيب أو خطأ ، و لكن لا مانع من أن يشعر المرء بالحب تجاه الفتيات.... (لمعت عينا جان قليلاً) لحظة يا سام .. (فتح الدرج و أخرج منه كتاباً فيه صور إباحية) خذ هذا يا سام " - " ما هذا يا جان " تبسم جان و قال " افتحه و ستعرف بنفسك " . فتح سام الكتاب و أخذ يتصفح أوراقه ، كان جان يراقبه و على وجهه ابتسامة ماكرة . بان على سام الفضول و لكن لم يبد عليه أنه تأثر أو انفع ، وضع الكتاب بهدوء و لم يقل شيئاً ، عادت به الذاكرة إلى البلدة ، تذكر مرة كيف أن ابنة الجيران تعرت أمامه في أحد حقول الأشجار و هو واقف ينظر إليها ببلادة ، فغضبت منه و دفعته ثم لبست ثيابها و هرولت مسرعة ، تذكر عندما كان في المدرسة كيف كان أقرانه يتحدثون عن الفتيات و عن مغامراتهم و صداقاتهم معهن ، ماعده هو ، لم يخطر بباله يوماً أن يفكر بهذا الموضوع . هزه جان من كتفيه " هيه ،

هيه سام أين أنت شارد ، ألم يعجبك هذا الكتاب ، حسناً يوجد واحد آخر بإمكانك تصفحه (قهقهه جان) إنه معلم ممتاز " - لا حاجة لي به يا جان ، لا حاجة " .

مضت الأيام و شارفت السنة الدراسية على الانتهاء و أثبت سام خلالها تفوقه و ذكائه المطلق في التحصيل العلمي ، كان محط إعجاب زملائه من الجنسين و محط تقدير أساتذته ، و عند قدوم الامتحانات آخر السنة ، كان هو الأول في كلية العلوم . لقد كانت السنة الدراسية الأولى بمثابة التجربة الابتدائية له في معترك الحياة العملية ، أحس في داخله أن الحظ قد حالفه بصديقه جان الذي كان معلمه الأول ، فهو قد عرفه على العاصمة و أرشده لكل عاداتها ، كان يصحبه معه في كل جولاته التي كان يقوم بها إلى السوق ، و شيئاً فشيئاً اطلع سام على معالم العاصمة و شوارعها و أسواقها و أحيائها و لم تمض نهاية السنة حتى كان بمقدوره أن يتجول فيها بمفرده .

انقضت السنة الدراسية و انقضت معها الامتحانات و جاءت العطلة الصيفية . كان سام ينتظر بفارغ الصبر قدوم الإجازة ، كان مشتاقاً إلى البلدة ، و لهذا كان اليوم الذي عاد فيه إليها من أجمل أيامه . أحس بشيء من الفخر و الرجولة عندما حجز بمفرده تذكرة لنفسه في القطار المتجه إلى مقاطعة الشمال . في المساء قام بتوديع صديقه جان متفقاً و إياه على أن يقدموا طلباً إلى إدارة المؤسسة في السنة القادمة ليسكنوا معاً في غرفة واحدة ، لقد أحبه جان ، و أحب هو جان . و في الصباح الباكر كان سام يجلس في مقعده المريح في القطار و ينظر من النافذة إلى المناظر التي تمر أمامه ، و أخذ يستعيد أيامه الماضية . كيف غادر البلدة ، و كيف كانت بداياته في العاصمة ، و كيف تعرف على جان و كيف نزل معه أول مرة إلى السوق . عندما بدأت المناظر الجانبية التي تطل على نافذة القطار ، تكتسي بالخضرة و الأشجار ، أدرك سام أن القطار قد دخل المقاطعة الشمالية ، كانت قد مضت حوالي ثلاث ساعات و قد بقي خمس ساعات أخرى ليصل

القطار إلى المحطة الأخيرة . تظمط سام في مقعده و استغرق بتأمل الطبيعة المسرعة من أمامه و التفكير . حوالي الساعة الخامسة بعد الظهر و صل القطار إلى المحطة الرئيسية ، كان صفير القطار يعلو في الفضاء عندما بدأ الركاب يغادرون المقصورات ، حمل سام حقائبه و نزل من المقصورة التي كان فيها ، ابتسم قليلاً و أخذ يشتم رائحة الهواء " يا إلهي أنها رائحة الشمال ... نعم إنها هي ... رائحة الصيف المزوج بالربيع ... آاه منذ زمن لم أشم هذه الرائحة " أشار لسيارة أجرة كانت متوقفة مع سيارات كثيرة . وضع الحقائب في المقعد الخلفي و انطلق باتجاه البلدة . كان الجميع ينتظرونه ، أفراد عائلته و أصدقائه . كانت فرحة اللقاء لا توصف ، العناق و القبلات الحارة ، كان أكثر من تأثر بمجيئه هو أبوه الذي كان ينظر إليه بفخر و اعتزاز صامتين . توجه الجميع إلى المنزل ، و هناك التف حوله جميع أفراد العائلة ليصغوا إليه وهو يتكلم عن العاصمة .

في الأسبوع الأول كان معظم أفراد بلدته و أصدقائه يأتون لزيارته مهنيين و مستمعين ، كان سام يحس أنه شيء مميز ، أو ربما كان الآخرون يشعرونه بذلك من خلال تصرفاتهم معه ، ومع هذا فقد لاحظ سام فعلاً أن هناك شيئاً قد تغير بداخله، لاحظ أن هذه السنة التي قضاها في العاصمة ، قد أثرت فيه بشكل خفي لم يعرف مكانه أو ما هو ، لم يدرك ذلك إلا بعد عودته إلى البلدة . إنه لم يحس بتغيره هذا خلال كل هذه السنة التي قضاها في العاصمة مع أنها هي السبب في هذا التغيير الخفي الحاصل له ، لماذا لم يحس بذلك إلا عندما أتى إلى البلدة .

في اليوم التالي جلس سام مع والدته في الشرفة الخارجية ، لم يكن والده قد أتى من نوبة الحراسة الليلية بعد ، عادت إليه الذكريات القديمة عندما كان يستيقظ تماماً في مثل هذه الفترة هو ووالدته و يقوم بإيقاظ أخوته و تقوم هي بإعداد الفطور لهم و لوالدهم ، تذكر كيف كان يساعد في شؤون المنزل قبل الذهاب

إلى المدرسة ، أما الآن فلم يدر لماذا أحس بنوع من الكسل .. لا ، لا إنه ليس الكسل قال في نفسه ، إنه .. إنه لا يدري ، شيء مثل كأنه أصبح له وضع جديد عما سبق ، كأن العاصمة أعطته حقنة معنوية خدرته و أثرت في تصرفاته ، نظر إلى أمه و قال لها " أمي هل أساعدك بشيء " - "مستحيل يا ولدي الحبيب أن أدعك تفعل ذلك أنت الآن رجل ، يجب أن تجلس و ترتاح ، هذا هو ما يتوجب عليك عمله" فكر سام في نفسه " هل هذا هو السبب يا ترى؟" . لم تمض برهة حتى كان الوالد قد عاد . أعدت الأم طعام الإفطار ، كان أخوة سام ما زالوا نياماً " هل تجولت خلال هذا الأسبوع في البلدة أو زرت أحداً يا ولدي؟ " سأل الأب هو يخلع نعليه . " حتى الآن ، لا يا أبي ، إنني أجد متعة كبيرة في البقاء في المنزل و التجول في حديقته ، و الزوار لم يتركوا لي فرصة حتى الآن للمغادرة ، و لكن ابتداء من الغد سأباشر زيارة البلدة أتدري يا أبي ، أحس أن بداخلي شيئاً ما قد تغير ، بالمناسبة هل تحس أنت و أمي بأنني قد تغيرت " نظر الأب إلى ابنه متمعناً قليلاً ، ثم قال ببرود " لا يا بني ، لا يبدو عليك أي تغير ، هذا أنت منذ أن ذهبت إلى العاصمة " . هز سام برأسه و تتمم قائلاً " ربما معك حق بالمناسبة ماهي أخبار أستاذ الفلسفة إنني مشتاق إليه كثيراً " - " إنه كما هو ، ربما يتقاعد السنة القادمة ، إنه دائماً يسألني عنك ، لقد افتقدك كثيراً ، لقد كنت أحب الطلاب إليه... أحياناً يأتي و يزورني في المصنع" - " يزورك في المصنع، في الليل !!؟ " - " نعم يا سام أنت تعلم أنه صديقي القديم مذ كنا في العاصمة ، من عاداته أن يخرج و يتمشى في الليل خارج البلدة و عندما يكون بجوار المصنع يأتي و يزورني " . وضعت الأم طعام الإفطار و قالت لسام " لقد سألت مديرة المدرسة أخوك عنك منذ يومين ، أظن أنها علمت بقدمك " - " و لماذا لم تخبريني يا أمي " - " لقد نسيت يا بني " - " حسناً سأزورها هي الأخرى " .

أخذ سام يتأمل اللوحة المعلقة في الغرفة الداخلية المطلة على شرفة الحديقة ، كانت عبارة عن خطوط و ألوان متقاطعة بشكل بدا له عشوائياً ، حاول أن يعرف مغزى هذه التداخلات و التقاطعات ، ليقطع عليه تأملاته دخول أستاذ الفلسفة و بيده الشاي " لاشيء يوازي الفلسفة الصينية و الهندية إلا الشاي الذي أتى من هناك (قال أستاذ الفلسفة و هو يضع الشاي على الطاولة الصغيرة).. هكذا إذًا ، أصبحت مشتاقاً إلى العاصمة بعد أن كانت في البداية جحيماً لا يطاق بالنسبة إليك ، هذا شيء طبيعي بالنسبة لمعظم الناس ، فعندما ينتقل الإنسان من بيئة عاش فيها جل وقته إلى بيئة أخرى جديدة ، يحس في بداية الأمر بنوع من الاكتئاب الذي لا يلبث أن يزول تدريجياً ، سنتك الأولى في العاصمة كما رويتها لي ، جيدة جداً ، و أظن من حيث المبدأ أنك ستتابع دراستك بنجاح فائق هناك " .. أمسك سام كأس الشاي و قال " و لكن هناك شيء يشغلني دائماً يا أستاذ " - " ماهو ؟ " - " لدي إحساس بأنني قد تغيرت و أن العاصمة قد أثرت فيّ بشكل لا أقدر أن أميزه أو أحدد كنهه ، كيف تراني يا أستاذ هل تحس بأنني قد تغيرت ؟ " . رشف أستاذ الفلسفة قليلاً من الشاي ، ثم أشعل سيكارة و نفث دخانها في الهواء .. كان هذا من علائم تهيئة نفسه للدخول في نقاش ما " لا ، لم أشعر بهذا أبداً ، بالعكس إنني أراك كما أنت كأنك لم تغادر البلدة ، وهذا ما جعلني أوكد نظرتي بك ، لوالدك " - "والدي ؟ " - " نعم والدك ، لقد كان أكثر ما يخيفه هو أن تتغير و تتأثر بحياة العاصمة ، أو بشكل أدق الجانب السلبي لمجتمع المدينة ، لقد كلمني مرة عن هذا الموضوع ، و قلت له وقتها إن طبيعتك و معدنك يجعلان من الصعوبة بمكان أن تتغير " . هز سام برأسه قليلاً يفكر ، ثم قال " و لكن بماذا تفسر إحساسي بذلك التغيير " . رشف أستاذ الفلسفة مرة أخرى من كأس الشاي ثم مج من سيجارته و نفث الدخان في الهواء للأعلى و قال " أظن أن إحساسك هذا نابع من كونك قد رأيت في العاصمة أموراً جديدة عليك لم تمر بها من قبل أو لم تكن موجودة حتى في نطاق تفكيرك ، و أنت مذ كنت طفلاً صغيراً ، نشأت و شبيت على نمط واحد و أخلاق ثابتة لم تتغير فيك حتى الآن ، و أنا أتذكر

ذلك جيداً ، إنك مذ كنت طفلاً ، كانت لديك تصرفات واعية و عقلانية مثل الكبار تماماً ، ليس هذا فقط بل كانت كل هذه التصرفات تندرج في إطار الخير و الأخلاق ، أي كان هناك أمران وجدا فيك و هما الوعي و الخير ، وهذا من النادر جداً أن يوجد في طفل من هذا العالم " . حك سام رأسه ثم قال " و لكن ما علاقة كل هذا بموضوعنا " - "كل العلاقة ، فأنت ذهبت إلى المدينة و اطلعت على طبيعة الحياة فيها و طبيعة علاقة الإنسان بالإنسان ، وهي أمور جديدة عليك كل الجدة و بالتالي فإن هذه الأمور والأفكار الجديدة لا بد لها من أن تأخذ مكاناً في عقلك ، كأمر بديهي و طبيعي ، و لكن هنا و في حالتك أنت فإن هذه الأفكار لن تأخذ مكانها النهائي في عقلك حتى تسمح لها أفكارك و طباعك الموجودة فيك مذ الصغر بالدخول ، أي دعنا نقل إن هناك استجواباً أو امتحاناً بالاشعور بين أفكارك و طباعك المتأصلة فيك و بين ما رأيته في المدينة ، و لكن حتى الآن لم يحسم الأمر أو لم تنته ... دعنا نسميها محاكمة أو امتحاناً ، و لهذا أنت الآن تحس أن بداخلك شيئاً تغير لا تعرف ما هو و لكن في الحقيقة هو ليس تغيير بل محاولة للحسم و الاستقرار على أمر معين " . هز سام برأسه قائلاً " كلام معقول " . تابع الأستاذ قائلاً " دائماً يا سام إذا أردت أن تحل مشكلة ما أو ظاهرة معينة ، عليك أن تلجأ إلى تحليلها و تنظر إلى التصرفات و الأمور العفوية فيها " أخذ سام رشفة سريعة من كأس الشاي و قال " أنت فيلسوف كبير يا أستاذ و كلامك مقنع جداً ، إنني أتساءل لماذا فضلت مهنة التعليم هنا في البلدة على التدريس في جامعة الدولة " . ابتسم الأستاذ و قال لسام " أشكرك على هذه المجاملة ، و لكن الفلسفة برأبي موهبة أكثر منها علم ، لقد اخترت دراسة الفلسفة لأنها أكثر حرية و اتساعاً و بعد التخرج تلقيت عرضاً للعمل في الجامعة ، و لكنني فضلت العودة إلى الطبيعة لأنها أكثر راحة و استقراراً لي ، و هنا في البلدة لم يكن أحد غيري قد درس الفلسفة في الجامعة و من يومها أصبحوا يطلقون علي أستاذ الفلسفة بدلاً من اسمي الحقيقي ، لقد أصبح هذا لقبني و اسمي " . ضحك سام و قال " نعم يا أستاذ أعرف هذا منذ صغري و أنا أعرفك بهذا الاسم ، و

لكن بالنسبة لوضعك المادي ، ألم يكن باستطاعتك أن تعمل في العاصمة لفترة معينة ثم تعود إلى البلدة ، بعد أن تكون قد أمنت نفسك بشكل أفضل " - " نعم و الحقيقة إن هذا ما حصل معي في البداية ، و لكن في النهاية قررت العودة إلى البلدة " . اعتدل سام في جلسته قليلاً و نظر إلى الأستاذ قائلاً " إن لم يكن لديك مانع أتمنى أن أعرف إذا كان هناك أسباب أخرى دعتك للعودة إلى البلدة " كان سام قد تحمس لكلام أستاذ الفلسفة الذي أثار فضوله ، فهذه أول مرة يسمع منه مثل هذا الكلام . و مرة أخرى رشف أستاذ الفلسفة من كأس الشاي و مج مجة عميقة من سيجارته وقد أغمض عينيه قليلاً ثم نفث الدخان في الهواء قائلاً " في أثناء الدراسة في الجامعة ، كنت مسؤول الحركة الطلابية في حزب الشعلة الحمراء الاشتراكي ، وقد تم انتخابي من قبل الطلبة كوني كنت الأقدر على صياغة الخطابات و الأفكار و البيانات ، و كانت الأحزاب السياسية لها جذور في الجامعات و المعاهد ، حيث اشتدت الأزمات السياسية بعد الحرب ، و كان الصراع متركزاً بشكل أساس بين الاتجاه الرأسمالي و الاتجاه الاشتراكي ، أي بين أحزاب اليمين و أحزاب اليسار ، و بعد الانتهاء من الجامعة عرضت علي الرئاسة في الحزب مركزاً قيادياً ، و بالرغم من كوني كنت أحب نفسي متحرراً و كنت أفضل أن أكون صاحب ميول و أهواء سياسية ، فقد تابعت ، و قبلت بالمنصب ، و كان مجال عملي هو التنظير العقائدي للمرحلة التي تلت الحرب و كنت المسؤول عن شعبة العلاقات الخارجية ، و كنت أنا الذي أصوغ خطب الحزب الداخلية و الخارجية ، و كانت هذه هي فترة الصعود بالنسبة لي " - " و ما الذي حصل بعد ذلك (قال سام متلهفاً) . أخذ الأستاذ مجة عميقة من سيجارته و نظر إلى الأعلى و كأنه يسترجع الماضي " بعد ذلك جاءت الانتخابات النيابية و قد فاز الحزب وقتها بخمسة و ثلاثين مقعداً ، و هي نسبة قوية في ذلك الحين و كنت أنا المسؤول عن الحملة الانتخابية بالرغم من صغر سني " - " إذاً يمكن القول إنك أنت السبب في إنجاح الحزب بالبرلمان " . تردد الأستاذ قليلاً قبل أن يقول "شيء من هذا القبيل " - " و لكن لماذا عدت بعد كل هذا النجاح !!!؟؟ " - " كما

قلت لك ، بعد نجاح الحزب بالبرلمان لأول مرة ، برز هناك عدد من القوانين الاشتراكية التي تبناها الحزب ل طرحها في البرلمان ، يقابلها قوانين الاقتصاد الحر التي طرحتها الأحزاب الرأسمالية و كانت تلك أدق فترة في تاريخ البلاد ، إذ إنها كانت ستحدد التوجه العام للبلاد .. اشتراكية أو رأسمالية ، كان أهم شيء هو أن يصوت البرلمان على القوانين لكي تصبح سارية المفعول ، كانت الأحزاب الرأسمالية أو البرجوازية لها حضورها القوي في البرلمان أيضاً . كان ذلك يستوجب مداولات و مناقشات قوية حتى يقتنع النواب و الشعب أيضاً بأهمية هذا القانون أو ذاك لاعتماده ، و البرلمان لم يكن أيضاً مؤلفاً من نواب اشتراكيين و نواب بورجوازيين ، بل كان هناك نسبة لا بأس بها من النواب المحايدين و المستقلين من أحزاب ثانوية أخرى أو حركات اجتماعية أو دينية و ما شابه ، وعملياً هؤلاء هم في النهاية بيضة القبان التي ستحدد اعتماد القوانين ، بانحيازهم إلى هذا الطرف أو ذاك و طبعاً مع مراعاة بعض قوانينهم و متطلباتهم الخاصة بهم ، و كان أهم شيء بالنسبة لحزب الشعلة الشيوعي هو موافقة البرلمان على القوانين الاشتراكية و ذلك عن طريق إقناع النواب المحايدين بها ، من خلال المناقشات و المداولات ، و هنا برزت الحاجة الماسة إلى شخص يصوغ أفكاراً معينة تقدم من قبل النواب الاشتراكيين في البرلمان في أثناء المداولات تجعل تلك القوانين تلقى القبول من النواب المحايدين و حتى بعض الرأسماليين " - وطبعاً كنت أنت هو الشخص " - "بالضبط ، لقد كانت مرحلة حساسة جداً و توقف ذلك كله علي بدأت العمل ففقت بدراسة القوانين و جمعت النواب و شرحت لهم الأفكار المطروحة و كيفية مناقشتها و استمر ذلك أسابيع ، لقد كنت الشخص رقم واحد في الحزب " . رشف سام من كأسه ووضعه بسرعة و قال مستدركاً " و العدو رقم واحد للجهات الأخرى " . أحنى أستاذ الفلسفة رأسه إلى الأسفل و هو ينفث دخان سيجارته و قال " نظرياً نعم ، أما عملياً فلا " - "لماذا !!! ؟؟ " صاح سام بتعجب . " السبب يا سام هو أن قوانينهم كانت مقنعة للجمهور أيضاً و أفكارهم لها منطقيتها في عقول الناس كذلك ، لم يكن من السهل إقناع

الناس بأفكارنا التي كانت تدعو إلى التأميم و إلغاء الملكية ، و إقناعهم بأن الرأسمالية هي خطأ أو استغلال أو ما شابه ، لأن البرجوازية كانت قد أجرت إصلاحات جوهرية قبل ذلك في النظام الاقتصادي و الاجتماعي و كان لها مشاريعها الضخمة في البلد ، فضلاً عن ذلك فقد بدت أفكارنا البلشفية في عين الناس و كأنها جاءت لتلغي كل شيء حتى دور و كيان الإنسان ... لا أدري ربما هكذا تراءى لهم ، أو هكذا فهموا أو أفهموا ... لا أدري اسمع يا سام (قال الأستاذ و قد تغيرت نبرة صوته) المهم الشعب ، المهم أن يقتنع الشعب ، الناس ، إذا لم تقتنع الناس يا سام ، فلا فائدة ، الناس يهملها الإنجازات يهملها فقط الشيء الذي تراه أمامها ... لا يهملها الأفكار بقدر ما يهملها الأفعال ، و بخاصة إذا لم يكن هناك ظلم أو ضائقة اجتماعية ، إذا كان هناك رخاء و الطعام متوفر فلا فائدة من المناذاة بأفكار أخرى ... الناس يا سام تهتم بخصوصياتها جداً و تعدها مقدسة ، و من الصعب أن تقنع أحداً ما بالتخلي عن خصوصيته الذاتية و كيانه الشخصي ، مهما كانت مبادئه و أخلاقه سامية " . لم يهضم سام الكلام الذي سمعه جيداً و لكنه تابع السؤال " و أنت ماذا حصل معك بعد ذلك ؟ " - " لقد تمت عملية إزاحتي " - " كيف !!؟ (قال سام بسرعة و لكنه تراجع مستدركاً) أنا أسف يا أستاذ ربما أتدخل في شيء لا يعنيني " .

أوماً الأستاذ بيده و هز برأسه علامة النفي " لا ، لا يا سام ، ليس من الضير أن تعرف و يكون عندك فكرة عن الحياة و المجتمع و الناس ، خاصة و قد أصبحت الآن ... (صمت الأستاذ يفكر قليلاً ثم تابع) لقد تم توريطي بقضية كنت سأدخل السجن بسببها ، و آثرت بعد ذلك التخلي عن العمل السياسي و العودة إلى البلدة للتفرغ للتدريس " - " هل الأحزاب المعادية هي السبب ؟ " . ضحك أستاذ الفلسفة بسخرية مريرة و رفع يديه بالهواء قائلاً " الأحزاب الأخرى موقفها قوي ياسام ... ألم تسمع .. لقد قلت لك من قبل .. الضربة جاءتني من الداخل (رشف من كأسه الشاي المتبقي و رفع الكأس إلى الهواء و نفث الدخان و تابع ببرود) قضية اختلاس من أموال الحزب اللعنة ... اللعنة (ضحك بتهكم) ... لو أني فعلتها

حقاً و رميت الأموال بأقنية الصرف الصحي أو طوحت بها فوق نهر العاصمة... اللعنة لهذه الدرجة كنت أشكل خطراً عليهم " أدرك سام مدى حزن أستاذه و حنقه فحاول تغيير الموضوع قائلاً " آه ، بالمناسبة يا أستاذ ، ماذا تعبر هذه اللوحة المعلقة ، إنني لم أفهم منها شيئاً " . تمنع الأستاذ بها و قال و هو لا يزال ينظر إليها " كيف تراها ، أنت ؟ " - " إنني أرى في المنتصف دائرة .. أو كأنها لطخة عليها زوائد صغيرة و محاطة بسياج من الخطوط المتشابكة من كل مكان كأنها تعبر عن وجه بشري ، وهذا المربع المحيط بها بشكل متعرج ... من رسم هذه اللوحة ياأستاذ ؟ " - " أنا يا سام " - "ماذا تقصد بها ؟" - " إنها تعبر بشكل غير مباشر عن الموضوع الذي كنا نتكلم فيه قبل قليل ، إنها تعبير عن الشخص الذي يكون أسيراً لأفكاره و ذلك حسب تخيلي طبعاً " . حدق سام بأستاذ الفلسفة و سأله " هل أنت الآن، أسير أفكارك يا أستاذ؟" . حدق الأستاذ هو الآخر بسام و قال " أظن ... نعم " .

في الطريق إلى المنزل ، استغرق سام بالتفكير في كلام أستاذه السابق ، كان تفكيره مشوشاً بعض الشيء . و وصل إلى المنزل و كان جائعاً ، فجلس يتناول الطعام مع والده " لقد فاجئني أستاذ الفلسفة بكلامه و حيرني ، لم أكن أعرف أنه كان في يوم من الأيام شخصاً مهماً إلى هذه الدرجة التي تكلم بها عن نفسه " . و وضع الأب لقمة من الطعام في فمه و قال لسام و هو يمضغها " هذه هي طبيعة الحياة يا بني ، إنها في تغير مستمر و دائم .. أستاذك يا سام صاحب مبادئ عنيد و لا يتنازل عنها و مع كل ما حصل معه و له من أصدقائه ، و بالرغم من كل ما قاله عن الرأسمالية و البرجوازية فإنه بقي مخلصاً لعقيدته و نظرتة البلشفية ، و كلامه هذا هو نوع من الحسرة على ما أظن أو نوع من الإقرار بالواقع ، إنه رجل صريح و لا يجامل حتى و لو كان الأمر لا يناسب أهواءه أو رأيه ، يذكر إيجابياته .. ربما ما حصل معه من موقف أصدقائه .. ربما يكون له يد في ذلك " . ابتلع سام لقمة كانت في فمه و قال " بالمناسبة يا أباي كيف تجري

أمور البيت .. لقد قالت لي أمي إنكم استلقتم قرضاً من المصرف ... لماذا لم تجربني بذلك يا أبي " اطرق الأب متنهداً و قال " بصراحة يا بني الظروف التي حصلت معنا كانت صعبة ، أمك مرضت في أثناء و جودك في العاصمة و استلزم العلاج و الأدوية مصاريف كثيرة ، و القسم الشرقي من المنزل تصدع قليلاً بفعل الثلوج و الأمطار و كان بحاجة إلى ترميم فوري ، جاءت النكسات كلها مع بعضها بعضاً ، لقد حاولت القيام بعمل إضافي في المصنع، و لكن كان ذلك صعباً علي جداً ، فاضطررنا للاستدانة من المصرف " - " و كيف تسددون القرض يا أبي ؟ " - " يحسم من الراتب الشهري و يحول إلى المصرف ، مع الفوائد طبعاً " . أرجع سام لقمة كانت قد وصلت إلى فمه إلى طبق الطعام و قال " و العمل؟؟ أليس هناك حل ؟ " . تنهد الأب مرة أخرى و قال " لا يا بني ليس هناك حل آخر ، ليست مشكلة ، سنحتمل الوضع قليلاً ، لدينا الآن حليب البقرة و بيض الدجاج ، إنهما يساعدان قليلاً بالمصرف .

في المساء جلس سام وحيداً في باحة المنزل يفكر ، وضع مرفقيه على ركبتيه و أسند وجهه على يديه و راح يفكر بوجوم ، لقد أحس منذ وصوله إلى البلدة بان أسرته في ضائقة ، لقد أحس بالضيق في تصرفات كل فرد من أفراد أسرته ، و أكثر ما لاحظته في أخته الصغيرة التي كانت تعلن تدمرها و تبرمها .. ليس لديها ثياب جديدة ... ليس لديها ألعاب مثل بعض صديقاتها ، كذلك أخوه الأصغر منه كان يعلن تدمره هو أيضاً بين الحين و الآخر . لعل هذا الأمر له علاقة بالإحساس الخفي الذي ينتابه ... فعلاً قد يكون له علاقة ، هكذا فكر في نفسه . قد يكون هذا التغيير الذي يحس به في قرارة نفسه هو ذاته التغيير الذي أحس به منذ قدومه من العاصمة ، و لم يجبروه به حتى الآن . أحس بالضيق .. طلب من والدته كأساً من الشاي و ذهب إلى شرفة المنزل العلوية . جلس على الكرسي الخشبي و أخذ يتأمل الجبال أمامه ، لا يعرف بماذا يفكر ، و فجأة أحس برعشة تسري في جميع أوصاله ، لقد انتابه إحساس جديد هذه المرة ، إحساس

بالخوف ممزوج بالضيق و العجز ، إنه خائف من شيء ما قد يحدث له في المستقبل ، هل هو كلام أستاذ الفلسفة أو كلام والده ؟ أو الاثنين معاً . لقد أحس بالضيق عندما كان في العاصمة ، و لكن هذا النوع من الضيق يشعر به لأول مرة في حياته مع أن الأحداث هي تقريباً مشابهة . في بداية حياته في العاصمة أحس بالضيق الشديد من الحياة الجديدة ، و لكن كان بمقدوره العودة إلى البلدة و ليس هناك من يمنعه ، بالإضافة إلى ذلك كان يعلم أن هذا الشعور بالضيق سوف يزول . في أثناء الدراسة تبرع بقسم كبير من راتبه الشهري لأحد أصدقائه المحتاجين و من دون مقابل ، بل و من دون أن يرف له جفن ، كان قسم كبير من أدوات صديقه جان الكهربائية من تمويله هو و لم يحس بأي ضيق مادي مع أنه لم يبق لديه سوى النزر اليسير الذي لا يكاد يكفي ، لا بل كان يحس بالمتعة واللذة ، متعة المساعدة و التبرع بالأموال . تذكر مرة أنه و قبل نهاية الشهر بأسبوع لم يتبق معه إلا القليل من المال و كان عائداً هو و جان ليلاً إلى السكن الجامعي ، فصادفهم أحد المتشردين يطلب مالاً ، فأخرج النقود من جيبه بالاشعور و تقاسمها مع ذلك المتشرد ، و اضطر بعد ذلك أن يستغني عن وجبة العشاء في المطعم الجامعي حتى نهاية الشهر . لم يتذكر وقتها أنه أحس بالضيق . تذكر مرة كيف أنه تبرع بنصف مرتبه عندما قبضه من محاسب الصندوق في الجامعة لطالب بالكاد يعرفه ، فقط لأنه كان محتاجاً للمال ، و اضطر لأن يمضي الشهر بأكمله بنصف المرتب ، و مع هذا لم يشعر بالضيق . و لكنه الآن يحس بالضيق ، لماذا ؟ هل لأن الأمر لا يتعلق به هو بل بأسرته ، وهو يعرف جيداً أباه و أمه و ما عانوه في الماضي . إن أبوه قد كبر في السن و لم يعد لديه هذه القوة الكافية لعمل إضافي ، إذن لم يبق غيره هو . أحس بنوع من المسؤولية يجثم لأول مرة على صدره ، يتغلغل في كيانه . أخذ يفكر إنه يجب ألا يبقى مكتوف الأيدي ، و لكن كيف ؟ كيف ؟ ، فكر مرة أخرى العاصمة ... إنها الحل ، بقي شهر واحد لكي يعود إلى الكلية ، توصل إلى نتيجة في ذهنه . مبدئياً سيخصص نصف مرتبه الذي يتقاضاه من الجامعة و يرسله إلى والده و في الصيف القادم لن يعود إلى

البلدة بل سيقضي الإجازة في العاصمة للبحث عن عمل و إذا استطاع التوفيق بين العمل و الدرس فإنه سيعمل في أثناء الدراسة ، وبذلك سيزيل عبئاً كبيراً عن كاهل أسرته " إنه حل معقول (فكر بارتياح نفسي من الداخل) ماهذا الكلام ... يقولون المال ، المال ، المال كل شيء ... إنه لا شيء و لا يشكل أدنى مشكلة ، كيف يقولون إن المرء لا يستطيع العيش من دون مال ، بالتأكيد أنه يستطيع " . تمنى لو يستطيع أن يحس بالحاجة إلى المال لكي يعرف سر حب الناس له .

عندما بدأ أول خيط من الضوء يعبر الجبال المكسوة بالغابات الخضراء ، كان سام أول من استيقظ ، خرج إلى الشرفة المطلة على حديقة المنزل ، أخذ ينقل نظره في أرجاء الغابة ، و فجأة انتبه إلى بيت جارهم ، فرآه جالساً يجتسي النييد و يدخن السيكار الضخم ، التقت الوجوه من بعيد ، فلوح له جاره يدعوه إليه ، بالكاد فهم سام ماذا يريد ، كان بيت الجار بعيداً عنهم قليلاً داخل الغابة . اتجه سام نحو بيت جاره ماراً بين أشجار الكينا و السرو و الحور ، مع أن الجو كان صيفاً فقد أحس بلسعة خفيفة من البرد . استقبله جاره بالترحاب " أهلاً و سهلاً ، أهلاً بك أيها الأكاديمي المتفوق ، يبدو أنك اليوم مستيقظ على غير عادتك باكراً ، منذ فترة و أنا أراقبك " - " هذا صحيح لقد كنت بانتظار الوالد " - " أظن أنه لن يأتي قبل ساعة ، ما رأيك بكأس من النييد الفاخر " - " أشكرك سيد فرانكو ، لا أتمتع كثيراً بمذاقه ، و لكن هل من عادتك أن تستيقظ في مثل هذا الوقت " - " طبعاً ، أنت تعلم أنني أعمل منذ سنين في زراعة الزهور و الورود ، يجب علي الاستيقاظ باكراً للكشف على البيوت الزجاجية و تهوية الشتول و الأزهار " - " وهل تستيقظ في الشتاء في مثل هذا الوقت ؟ " - " غالباً لا ، لأن الوقت يكون ظلاماً و الجو بارداً جداً عفواً ، تفضل هذا سيكاراً " - " لا شكراً ، لا أدخن " . فغر تاجر الزهور فمه قائلاً " معقول!! لقد ظننت أنه بعد عودتك من العاصمة ، لا بد أن تكون قد تعلمت التدخين و المشروبات الروحية ... و ال

(فهقه الجار مبتسماً) " . ابتسم سام بأدب و قال " لا يا سيدي ، في الواقع لا تستهويني هذه الأمور ، و لم أفكر فيها يوماً " - " و لكن هذه الأمور يا عزيزي هي المتعة الحقيقية ، من يستطيع العيش من دونها من يستطيع أن يجلس في هذا الوقت و يتأمل هذه المناظر الخلابة من دون أن يشرب كأساً من الخمر المعتقة أو الويسكي و سيكاراً فاخراً و" - " حسناً يا سيدي أظن أنك كنت تلوح لي من بعيد ، كأن هناك أمراً ما كنت تريد قوله لي " قال سام . " نعم ، نعم ... حسناً يا سام ، اسمع ، أنت تعرف إنني أعمل في مجال الزهور ، و هو عمل ليس بهذا التعقيد ، و لكنه متعب و مكلف نوعاً ما ، أنني أزرع الزهور و أبيعها إلى التجار الذين يوزعونها في كل أنحاء البلاد و زراعة الزهور الرسمية بشكل صحيح تحتاج إلى بيوت زجاجية خاصة بها و إلى أمور تقنية كالتدفئة و التهوية و الإضاءة و تحديد الرطوبة إلى ما هنالك من أمور ، بالإضافة إلى كونها يجب أن تكون مزودة بأنابيب خاصة للري و هذه الأمور كلها مكلفة ، يضاف إلى ذلك التعب و الإرهاق ، فالزهور مثلها كمثل الطفل الوليد تحتاج إلى رعاية ورقابة دائمة ، أنت تعرف ذلك جيداً ، ألا تذكر عندما عملت معي منذ ثلاث سنوات لمدة شهر " - " نعم أذكر ، ولكن لا أستطيع تكوين فكرة كاملة في هذه الفترة القصيرة ، ولكن قل لي ، هل جميع الزهور أو الشتول تحضرها من هنا ؟ " - " لا بالطبع ، هناك شتول و بذور أقوم بإحضارها من هولندا أو فرنسا ، و هناك شتول أستنبتها هنا " - " و لكن هل جميع الزهور تنمو هنا ؟ " سأل سام . غب الرجل جرعة من الخمر و قال " نعم ، إن طبيعة و مناخ البلد هنا مناسب لنمو عدة أنواع شهيرة من الزهور العالمية و هذا ما ساعدني كثيراً ، ولكن أحياناً يتعرض المرء لخسارة جسيمة ، أنت تعرف ، لقد حصل هذا معي منذ ثلاث سنوات عندما ساعدتني في العمل ، يومها كنت قد أحضرت شتولاً لأزهار غالية و نادرة من أمستردام و بكميات لا بأس بها و اضطررت للاستدانة من المصرف ، فجاء الصقيع و البرد و ضرب جميع الأزهار و كسر الزجاج ، لقد كانت خسارة فادحة ، خاصة بعد أن وقعت عقود التسليم مع التجار " . هز سام برأسه و قال " نعم ، نعم

، لا أزال أذكر هذا جيداً ، كنت عائداً من الغابة و مررت بالصدفة من أمام مزرعتك و كنت تقف تحت المطر مبللاً دون حراك و تنظر بصمت إلى البيت الزجاجي المكسور و الأزهار و الشتول المدمرة ، لقد آلني هذا المشهد كثيراً... زهور رائعة ممزقة و ممزوجة بالوحل و الطين و قطع الزجاج المكسور يا إلهي كم تألمت يومها ، عندما نظرت إليك أحسست أن بداخلك بركاناً سينفجر ، ولا زلت أذكر قبل ذلك الحادث بأسبوع ، كنت ماراً أيضاً بجانب المزرعة أيضاً و كان الطقس صحواً ، لقد كانت الأزهار تلمع تحت أشعة الشمس و قطرات الندى لازالت عليها لم تجف ، كان منظرًا رائعاً . لقد تحمست من كل قلبي لمساعدتك و انخرطت فوراً بالعمل " . غب تاجر الزهور مرة أخرى من كأس الخمر و زم شفثيه متلذذاً و هو يحدق بسام " لقد كنت تعمل و كأن الأزهار هي أزهارك ، لقد ساعدتني و تعبت معي كثيراً في إعمار البيت ، بارك الله بك ، و لكنك أزعجتني عندما رفضت أن تتقاضى أي أجر على عملك ، صحيح أنني كنت بأمس الحاجة إلى المال ، و لكن بعد سنة عندما تحسنت أموري المادية و زالت عني الضائقة و الديون قصدتك في المنزل لأعطيك المال و رفضت أيضاً " . هز سام برأسه "عمل الخير لا يستوجب المال " - " صحيح إنه عمل خير و لكن ليس لشهر متواصل من التعب و الإرهاق من حقلك أن تأخذ و لو مبلغاً ما من المال " - "لا أستطيع يا سيدي لا أستطيع ذلك " - " أعرف هذا ، و لذلك هناك موضوع سأطرحه عليك اسمع يا سام ، أنا أعرف أنكم تمررون الآن بضائقة مالية ، لقد أخبرني والدك بذلك و الموضوع الذي سأطرحه عليك ، إذا وافقت عليه قد يساعد أسرتك " - " أوضح لي من فضلك " - " كما قلت لك يا سام أنا أوزع منتجاتي من الزهور في كل أنحاء البلاد و بعضها أقوم بتصديره إلى الخارج ، و معظم عملي هو في العاصمة حيث يوجد لدي وكلاء هناك يقومون بتصريف الزهور ، و عملية التصريف و البيع تكون غالباً عن طريق الأمانة أي القبض بعد المبيع ، فالزهور ليس لها حتى الآن سعر ثابت ، بل تخضع للرغبات و كوني مجبراً على الإقامة هنا في البلدة لمتابعة البيوت الزجاجية ، فأنا لا أستطيع التأكد من صحة المبيعات

هناك، و لهذا أنا بحاجة لشخص أمين و شريف و موثوق به ، أسلمه البضاعة و أنا واثق من أنه لن يأخذ منها فلساً واحداً و كل ما يبيعه سيسلمه لي " - " و هل الوكلاء يقعون تحت إغراء النقود " - " كل الناس ، إلا هذا الشخص الذي كلمتك عنه " - " و من هو هذا الشخص ، هل أعرفه؟ " - " نعم تعرفه حق المعرفة ، إنه أنت " - " أنا !!؟ " - " نعم يا سام أنت ، و أرجو منك أن تفكر بهذا الموضوع جيداً " . صمت سام قليلاً يفكر ثم قال " و لكن كيف تعرف أو تضمن أنني هذا الشخص المطلوب ، و أنني لن أغشك " . ضحك الرجل ضحكة خفيفة و هو يلوح بسيكاره بين إصبعيه " أنا أعرفك يا سام أكثر من نفسك ، لقد عرفتكَ عندما كنت صغيراً ، و عندما كبرت و رأيتك كيف كنت تعمل عندي " - " ربما كنت مخطئاً أو مبالغاً في تقديرك هذا يا سيدي " - " لا ، لست مخطئاً ، أنا تاجر ، و تفكيري هو تفكير تجاري و لي خبرتي بالناس ، لقد عاركت كثيراً في هذه الحياة و رأيت الكثير فيها ، و كما صديقكم أستاذ الفلسفة له نظرتة في الحياة و الناس ، فأنا أيضاً لي نظرتي و خبرتي الخاصة إنك يا سام من الأشخاص النادرين الذين أعرفهم ... (مج الرجل من سيكاره الضخم بمتعة) .. ها ، و الآن ما رأيك بالموضوع " . حك سام رأسه وقال " في الواقع لا أعرف إذا كنت أستطيع التوفيق بين العمل و الدراسة ، فمن حيث المبدأ لا مانع لدي أبداً و لكن " . سارع الرجل إلى القول " العمل مريح جداً يا سام ، إنه ليس عملاً بالمعنى المجازي ، قد يمر أسبوعان أو أكثر و تعمل يوماً واحداً ، إن الزهور يتم إرسالها على دفعات ، ها ما قولك ؟ " - " في هذه الحالة أنا موافق و لكن لن أتقاضى منك أي أجر " . انتفض الرجل قائلاً " ماذا ... ؟؟!!! ما هذا الكلام أيعقل أن تعمل من دون أجر " - " إنه ليس عمل ، إنها مساعدة ، عندما أعمل من دون تعب .. ثم إنك جارنا و من غير المعقول أن أتقاضى منك أجراً " - " و لكن لماذا ما المانع ، العمل هو عمل مهما كان بسيطاً ، و هذه ليست مساعدة إنها عمل وظيفي حسناً ، اسمع لدي حل .. بما أن عائلتك تمر الآن في ضائقة مالية ، فسوف أدفع المال لوالدك ، أو لحظة يمكن أن

يكون لك حساب في البنك و أنا أحول المبلغ لحسابك كل شهر ، وبهذا تكون قد تخلصت من فكرة استلام المال بيديك و تخلصت أنا من عذاب الضمير (يضحك) و يبقى المال موجوداً بالبنك لحين الحاجة إليه ، ها أيها الشريف المتذكري و الآن ما رأيك " . حك سام أرنبه أنفه و قال " آسف ، آسف جداً ، أنا لست بحاجة إلى المال ، سأساعدك من دون مال " - " و لكن هذا مستحيل ، لا يمكن القبول به " . رد سام باقتضاب " أنت حر " . فكر الرجل قليلاً ثم قال " اسمع يا سام عندما عملت معي قبل ثلاث سنوات و لم ترض قبول المال ، تفهمت أنا هذا الأمر على مضض ، كوني كنت أمر بخسارة جسيمة ، و كونك عملت عندي ... أو ، عفواً ، ساعدتني لمدة شهر فقط ، أما الآن فأنت يا عزيزي سام سوف تعمل معي كموظف لقد تقبلت يومها وجهة نظرك يا بني (قال فرانكو بنبرة عطف جدية) أما الآن فلا حجة لديك أنا الآن من الأغنياء في البلدة و الميسورين ، فما عندك أنت " . نفخ سام الهواء من فيه قائلاً " عندي أولاً هو أنك جارنا و من واجبي تقديم المساعدة لك دون أجر ، ثانياً إنك تقول إن العمل مريح جداً " - " و لكن أنا لا أحب أن تؤدي لي خدمة من دون أن تؤدي من أجلها " - " و أنا لا أحب أن أقبض أجراً لعمل الخير " - " و لكن هذا عملاً غير عقلانياً " - "على العكس ، عمل الخير و المساعدة الإنسانية ، هما قمة الأعمال العقلانية ، ثم ماهي المشكلة يا سيدي طالما أنا راض بذلك ... أوه ، هذا هو والذي قادم إلى المنزل أستميحك عذراً ... فكر بالموضوع أنا جاهز ، و لكن من دون مال .. صحيح لقد تذكرت أيضاً .. أريد أن أشتري منك باقة من الزهور المتنوعة لأقدمها إلى مديرة المدرسة سأزورها اليوم كم ثمنها ؟ " - " إنها مجانية " - "مستحيل " - "حسناً اعتبرها هدية مني لك بمناسبة قدومك من العاصمة " - " و لكن " - " اذهب يا رجل قبل أن أفقد صبري و أخنقك بيدي هاتين ، لقد بدأت توتر لي أعصابي ، بعد ساعتين ستكون عندك الباقة " شكر سام الرجل و قفل عائداً إلى منزله و ما أن قطع مسافة قصيرة حتى سمع

ضحكة جاره المدوية ، التفت إلى الخلف فرأى جاره قد خر على ركبتيه من الضحك "سام ، و أنا أيضاً لا أحب أن أتقاضى أجراً على عمل الخير" . ضحك سام و رفع من بعيد إبهامه لجاره .

في المنزل كان الوالد بيدل ثيابه ببطء و تعب . " صباح الخير يا أبي " - " صباح الخير يا بني ، أراك قادماً من الغابة " - " نعم يا والدي كنت عند جارنا فرانكو صاحب الزهور " - " كيف هي أموره منذ مدة لم ألتق معه (قال الأب و هو يعقد أزرار قميص بيجامته) هل مزاجه رائق دائماً مثل العادة " - " نعم يا أبي ، إنه كذلك ، إنه من النوع الذي لا يحمل الهموم و لا يكثر بشيء " - " ربما لأنه ميسور و يملك المال (قال الأب و هو ما يزال منهمكاً بعقد أزرار سترته) " - " لا يا أبي لا أظن ذلك ، أظن أن هذه هي طبيعته ، ثم مالكم جميعاً تتحدثون عن المال ، ألا يوجد شيء غير المال " - " كلا يا بني ، لا يوجد شيء غير المال (تمتم الأب بصوت خفيف و هو ينهي لبس قميصه) " - " بالمناسبة يا أبي لقد عرض علي أن أكون مندوبه في العاصمة ، أوزع الزهور على التجار ، لقد عرض علي أن أتقاضى مرتباً و لكنني رفضت أن أتقاضى أي مبلغ " . نظر الأب إلى ابنه و قال بجدية " إنني أرى يا بني أن تركز كل جهودك على الدراسة ، فهي الهدف الأول و الأخير ، و أنا من رأيي أن تعتذر له ، سواء بالمال أم من دونه ، إن المساعدة يا بني يجب ألا تلهيك عن واجبك " . نظر سام إلى والده و هو يتحضر لتناول طعام الإفطار و قال " ربما أنت على حق يا والدي ، و لكن بالنسبة لموضوع الضائقة المالية التي تمر بها ، إنه أمر يشغل بالي يا أبي ... و لقد توصلت البارحة إلى حل بهذا الشأن " - " حل ؟ أي حل ؟ (سأل الأب باستغراب) " - " سوف أرسل لكم مبدئياً نصف المرتب الشهري الذي أتقاضاه من مؤسسة إلفا ، و في الصيف القادم سأبقى في العاصمة و أجد عملاً و أرسل لكم المال " . ترك الأب ملعقة الطعام من يده و قال " لا يا بني ، نحن لا نريدك أن تحرم نفسك و تكون محتاجاً ، أنت فقط اهتم بدراستك و نحن نتدبر أمرنا ، و حتى في الصيف لا

داعي لأن تتعب نفسك بالعمل ، وجودك عندنا في العطلة الصيفية أفضل من أي مبلغ مال ترسله إلينا " .
هز سام برأسه قائلاً " لا يا أبي ، لا ، لا تخش شيئاً إنني لن أكون في ضائقة و لن أجهد نفسي بالعمل ، إذا
لم أساعدكم فمن سأساعد ؟ منذ قليل كنت أفكر في مساعدة جارنا ، فكيف لا أساعدكم أنتم " . مضغ
الأب طعامه و قال بكآبة " بارك الله بك يا بني ، إنني فعلاً فخور بك ، و لكن أتمنى من كل قلبي أن تغير
نظرتك قليلاً نحو الحياة و المجتمع ، و ألا تحمل الأمور أكثر من طاقتها " .

بدأت الشمس تميل نحو الغروب ، كانت أشعتها تعطي لوناً فضياً لامعاً على الأشجار الحرجية الكثيفة
المنحدرة من أعلى الجبل الضخم ، إلى أسفل الوادي مشى سام وحيدا في الطريق المرصوف بالحجارة ،
حاملاً بيده باقة من الورود " يا لهذه الورود الجميلة الرائعة (قال في نفسه) كيف طواعه قلبه أن يقطفها " .
اقترب من منزل المديرية الذي كان منزلاً ضخماً مبنياً من حجارة قاسية صفراء و يعلوه القرميد الأحمر و
تحيط به حديقة ضخمة يلفها سور حجري منمق . نظر إلى ساعته فرأى أنه أتى قبل الموعد المحدد بخمس
دقائق ، فأبطأ من سرعته قليلاً ، كان يعرف أن المديرية تتقيد بالمواعيد بشكل صارم جداً و لا يمكن زيارتها
إلا بناء على موعد مسبق . وصل إلى البوابة ، كانت السادسة و النصف تماماً ، دق الجرس عند باب
السور منتظراً بعد قليل فتح الباب الضخم ليطل منه البواب كان رجل أشيب في سن الكهولة و يلبس
ثياباً رسمية أنيقة ، تحدث مع سام بكل لباقة ثم قاده بكل أدب عبر الحديقة إلى باب المنزل الداخلي ليسلمه
إلى الخادمة التي أوصلته إلى الصالون الأرضي ، لاحظ سام أن المكان كله مرتب بعناية فائقة و يتمتع بشكل
لا بأس به من النظافة ، جلس في الصالون يتأمل أثاث المنزل الفخم . بعد قليل نزلت المديرية من الطابق
العلوي بوقار و بثياب رسمية متأنقة " أهلاً بك يا سام أهلاً بك يا عزيزي " . انتصب سام واقفاً باستعداد
و صافح المديرية بأدب شديد مع الخنساء خفيفة ، كانت لا تزال تزرع الرهبة في نفسه "قل لي يا سام ،

كيف كانت السنة الأولى في الجامعة ؟ ، هل كنت مرتاحاً ؟ و كيف كان درسك ؟ " - " كل شيء على ما يرام ، و الفضل في ذلك يعود إلى سيادتكم الكريمة ، لقد فتحتم لي آفاقاً جديدة لم أكن لأحلم بها ، و أنا شاكر لكم هذا الجميل و لن أنساه مدى الحياة ". هزت المديرية برأسها الأشيب علامة الرضى و قالت " لقد أبلغوني في إلفا أنك نلت الامتياز في السنة الأولى ، و كنت الأول في الكلية ، أنا فخورة بك جداً يا سام و أرجو أن تتابع على هذا المنوال ... إذن كنت مرتاحاً بشكل عام .. هل واجهتك مصاعب معينة ، أظن أن مؤسسة إلفا تحقق للطالب كل مبتغاه ، أليس كذلك ؟ " - " نعم ، نعم يا سيدتي ، و أستطيع أن أقول لكم إنه لم تصادفني أي عقبات أو إشكالات ، كل شيء كان مريحاً تماماً " - " قل لي يا سام ، ما هو رأيك بمؤسسة إلفا " . كان سؤالاً مفاجئاً لسام ، تساءل في نفسه عن سبب هذا السؤال الغريب قبل أن يجيب " إنها ... منشأة تعليمية هامة جداً ... و ... صرح ... علمي كبير ... و بها كل .. ما يحتاجه الطالب " . أشارت العجوز بيدها " أقصد يا سام كيف هي معاملة الأساتذة و هيئة التدريس و الهيئة الإدارية بشكل عام ؟ " - " إنها جيدة يا سيدتي و كلهم يبذلون أقصى جهودهم لتدريس الطلاب و تعليمهم " - " عظيم ، و الإجازة في البلدة هنا كيف تسير هل على ما يرام " . أخذ سام يتحدث للمديرة عن إجازته في البلدة ، و بعد قليل جاءت الخادمة تحمل الشاي ، و وضعته بكل أدب على الطاولة و سكبت في الأكواب بحركات مدروسة و منظمة بعناية . رشفت المديرية من كأسها و قالت " هكذا إذن ، عرض عليك بائع الزهور أن تعمل لديه في العاصمة ، إنني مع الرأي الذي تبناه والدك ، ينبغي عليك الآن، أن تركز جهودك على الدراسة ، إنها أهم شيء بالنسبة إليك الآن ، و لا داعي لهذا الاهتمام الزائد بالناس " - " و لكنهم أسرتي و ينبغي أن ... " - " لا أتكلم عن أسرتك و إنما عن أصدقائك هنا أو في العاصمة ، اعتن بنفسك و كون شخصيتك و أمن مستقبلك ... بالمناسبة هل قابلت أستاذ الفلسفة ؟ " - " نعم ، لماذا ؟ " - " لا ، لا شيء ... المهم كما أوصيتك عليك التركيز على دراستك فقط " .

غادر سام منزل المديرية ، كان يفكر الكلام الذي قالته له ، هل هي مصيبة في كلامها يا ترى ، و لكن لا يمكن أن أوافقها على أن الإنسان يجب أن يهتم بنفسه فقط ، هذا كلام غير مقبول ، لماذا لم يناقشها ؟ ...

لقد أحس بالخوف أمامها لقد سيطرت عليه منذ اللحظة الأولى " إنها سيدة قوية فعلاً (قال في نفسه) و لكن كيف عرفت بأمر أصدقائي في العاصمة ، لابد أن أحداً ما قد أخبرها بذلك ، إنه مسؤول شؤون الطلاب ، و لكن كيف يعرف هو ، و سألها عن أستاذ الفلسفة ، لماذا؟ " أسئلة كثيرة كانت تدور في مخيلة سام و هو عائد في طريقه إلى المنزل . عندما وصل أخبره أخوه أن صديقه بالداخل ، سأل عن والده ، فقال له إنه ذهب إلى المصنع منذ قليل ، فدخل لاستقبال صديقه و جلسا يتحدثان " كيف رأيت العاصمة يا سام ؟ يقال إن فيها كل شيء " . نعم إنها مدينة ضخمة جداً ، كل ما تشتهي عينيك و مخيلتك ، موجود فيها ، أبنيتها كبيرة و ضخمة و شوارعها طويلة و عريضة و التنقل فيها يحتاج حتماً إلى سيارة أو حافلة و ليس كما عندنا هنا تستطيع أن تجوب البلدة كلها مشياً على الأقدام " - " آه كم أتمنى أن أراها " - " أهلاً و سهلاً بك يا صديقي أنني أدعوك لزيارتي في الجامعة متى شئت " - " أشكرك من كل قلبي يا صديقي العزيز (قال الشاب و أخرج من جيبه مبلغاً من المال) تفضل يا سام هذا قسم من المبلغ الذي استدنته منك عند وصولك من العاصمة ، و أنا شاكر لك جداً موقفك هذا " . دفع سام يد صديقه إلى الورا غاضباً " مستحيل ، ما هذا الكلام يا رجل لقد كنت بحاجة إلى المال و أعطيتك إياه ، و أنا أعرف أنك لا تزال بحاجة للمال ، لا أريد منك شيئاً على الإطلاق " - " و لكن يا سام " - " أرجوك يا صديقي أرجوك ، فلننه النقاش بهذا الموضوع ... حسناً ما هذا الكتاب الذي معك " . قال سام محاولاً تغيير الموضوع . رد الشاب المال إلى جيبه ووجهه محمراً من الخجل " أشكرك من كل قلبي يا سام ، أنت دائماً تثبت أنك مثال الإنسان المثالي في كل شيء ، لقد حاولت الاستدانة من كل أصدقائي في البلدة ، و لكنني لم أفجح ، و جئت أنت و أعطيتني المبلغ بطيبة خاطر لقد سألتني عن الكتاب .. إنه كتاب

يتكلم عن الثورة البلشفية في روسيا و بعض الأفكار الماركسية ، أنت تعرف أنه لدي بعض الميول السياسية الاشتراكية " . نظر سام إلى صديقه باستغراب قائلاً " أعرف أنك تحب القراءة و المطالعة في هذه الأمور ، و لكن السياسة !! هذا أمر جديد علي " - "عندما كنت أنت في العاصمة ، كنت أطلع على بعض الدوريات التي يصدرها حزب الشعلة الحمراء عن طريق أحد الزملاء من البلدة المجاورة ، فاقنعت بها و تحمست لها و صرت أشتريها من المكتبات بشكل منتظم ، و شيئاً فشيئاً بدأت أحضر أحياناً بعض الجلسات التي يكون فيها أعضاء من الحزب ، و الآن أفكر بتقديم طلب للانتساب بالمناسبة ، لماذا لا تنتسب أنت يا سام ، إن شخصاً مثلك بهذه الصفات سيكون مكسباً للحزب ، ما رأيك أن أعيرك الكتاب أو تحضر معي إحدى الجلسات في مبنى البلدية ، لقد استأجر الحزب قاعة هناك " . تملل سام قليلاً في جلسته و قال " أشكرك يا صديقي ، و لكن في الحقيقة هذا الموضوع لم أبت فيه بعد و تركيزي الآن هو على الدراسة فقط " . نظر الصديق إلى المكتبة الموجودة في غرفة الاستقبال و قال " و لكنني رأيت بعض الكتب لماركس و أنجلز و لينين في المكتبة عندهم " - "في الواقع إنها للوالد .. كان في الماضي يهتم بالكتب و القراءة ، و لكن منذ زمن طويل انقطع عن القراءة " . نظر الصديق إلى المكتبة بإعجاب و قال " إنها مكتبة كبيرة ، لقد اطلعت عليها قبل أن تأتي ، و قد رأيت فيها كتباً قديمة قيمة ، من أين جئتم بها " . نظر سام إلى المكتبة بعمق و قال " هذه المكتبة يا عزيزي كان مهيباً لها أن تكون أريكة كبيرة و طاولة ، قبل زواج والدي ، و لكن لا أدري ما الذي غير رأيه في ذلك الوقت فطلب من النجار أن يصنعها مكتبة ، ربما لأنه كان في شبابه يحب القراءة ، أما هذه الكتب النادرة التي تراها فيها ، فهذه قصتها تعود لأيام الحرب عندما لجأ والدي مع مجموعة من رفاقه إلى أحد البيوت المهجورة في مدينة لا أذكر بالضبط ما أسمها ، كان الناس كلهم قد غادروا المدينة بعد ورود أنباء عن تقدم القوات المعادية و اقترابها و كانت مهمة والدي استطلاعية لمعرفة حجم و عدد القوات ، فدخلوا إلى المدينة و لكن يبدو أن أمرهم قد كشف فتعرضت المنطقة التي هم فيها

إلى القصف المدفعي فلجؤوا إلى هذا المنزل و كان على ما يبدو منزلاً لأحد الأثرياء و ظلوا فيه لمدة يومين ، و تعرض المنزل للقصف مرة أخرى و هبت فيه النيران ، وهناك لاحظ والدي مجموعة من الكتب النادرة ، فأثر أخذها معه بدل أن تلتهمها النيران بينما أخذ رفاقه ما خف وزنه و غلا ثمنه ، و أتى والدي بهذه الكتب إلى البلدة ، و عندما تم تسريحه من الجيش أعطاه قائد القطعة العسكرية كتباً من عنده ، فأضافها إلى المكتبة . و كان كلما اشترى كتاباً أو أهده أحد ما كتاباً ، ضمه إلى الكتب الموجودة و عندما كبرت أنا أكملت بعض النواقص أيضاً " . تأمل الصديق المكتبة بإعجاب و سأل سام " و هل قرأت هذه الكتب كلها ؟ " - "معظمها " - " أنا واثق إن من يقرأ هذه الكتب ، لا بد من أن يصبح مثقفاً جيداً هل أستطيع يا سام استعارة بعض الكتب من عندكم " - " نعم بالتأكيد ، المكتبة مفتوحة لك و سأوصي أهلي أن يعيرونك الكتب عندما أكون في العاصمة " .

عندما غادر الصديق جلس سام يفكر " يا إلهي ، كلما ألتقي بشخص أعرفه ، يفاجئني بشيء ما ، بكلام ما ، بعمل ما ، كل هذا بعد نزولي إلى العاصمة " . قطع عليه تفكيره أخوه الذي أخبره أن موظف البريد رآه اليوم و قال إنه يوجد رسالة باسمه وصلت البارحة .

في اليوم التالي استيقظ سام متأخراً بعض الشيء ، كان والده قد وصل من المصنع، جلسا سوياً يتناولان طعام الإفطار ، كانت هذه هي عاداتهم منذ سنين ، سام و أبوه يتناولان الإفطار معاً بينما بقية الأولاد الذين مازالوا نياماً ، يتناولون الإفطار مع والديهم . صبت الأم الشاي لسام ووالده " أخبرني يا ولدي كم بقي معك من المال (سأل الأب) " - " القليل يا أبي ... ما يكفيني للعودة إلى العاصمة " - " يجب عليك يا بني أن تنتبه إلى مصروفك جيداً ، فأنت بحاجة إلى المال أو على الأقل قد تحتاجه في أي ظرف طارئ ، أنا لا أتكلم من ناحية التبذير و الإسراف لأنني أعرف أنك بعيد تماماً عن هذه الأمور ، و لكن أتكلم عن المساعدات و المال الذي تقدمه لغيرك ، أنت إنسان طيب يا ولدي ، و ذو قلب كبير جداً ، و لكن أتمنى أن

يكون ذلك ضمن المعقول و لأجلك أنت ، فلا تخيب رجائي ، البارحة جاءني أحد الفلاحين يشكرني لأنك دفعت له ثمن كيس السماد ، إني فخور بك يا بني ... و لكن كما قلت لك .. بالمعقول " . طأطأ سام برأسه إلى الأرض و قال " لا بأس يا أبي ، لا بأس " . بعد قليل استيقظ بقية الأولاد و بدؤوا بتناول الإفطار ، ذهب الوالد إلى حديقة المنزل ليتفحص النباتات الموجودة ، بينما انطلق سام إلى مركز البريد ، خامره شعور قوي أن الرسالة من صديقه جان . في الطريق مر بسوق البلدة الصغير ، كان عبارة عن مجموعة من الحوانيت حول ساحة متوسطة ، يتفرع منها طرق عدة، دخل إلى الساحة النظيفة المرصوفة بالحجارة يتأمل الناس و التجار و السيارات القادمة و الخارجة من البلدة ، و فجأة سمع صوتاً يناديه "سام ... سام " التفت نحو مصدر الصوت فإذا هو اللحام ، فرجع نحوه " أوه ، سام ، أيها العزيز ، أي ريح طيبة أتت بك إلى هنا ، أهلاً ، أهلاً بك في حانوتي الصغير ، إنه لشيء جميل أن أستقبلك هنا " - " أشكرك يا سيدي ، كيف هي صحتك ؟ هل تشعر بتحسن الآن " . ضحك اللحام البدين ضحكة اهتز لها كرشه الضخم " طبعاً ، بالتأكيد ، إنها مجرد وعكة عابرة إني آسف جداً لأنني لم أزرك في البيت ، و لكنني لم أعلم بقدمك من العاصمة إلا منذ يومين فقط ، و كنت أنوي زيارتك في القريب العاجل ، و لكنك فاجأتني الآن ، يا لها من مفاجأة سعيدة ، أنني أشكرك من كل قلبي لأجل علبه الدواء التي أرسلتها لي من العاصمة ، لقد كانت مفقودة عندنا هنا في المقاطعة و لم أدر كيف أتدبر أمري ، تفضل هذا هو ثمنها " مد اللحام يده إلى نحره و أخرج ورقة نقدية قدمها إلى سام ، الذي صدها معتذراً " لا يا سيدي احتفظ بنقودك ، إنه أمر لا يستحق " - " و لكنك دفعت ثمنها من جيبيك ، و تكبذت عناء إرسالها إلي " - " حسناً ، اعتبرها هدية مني " - " و لكن " - " أرجوك يا سيدي ، لا داعي لتحميل الأمر أكثر مما يستحق .. إني أرجوك " . أعاد اللحام الورقة النقدية إلى نحره مرة أخرى و قال " أشكرك من كل قلبي أيها الشاب النبيل ، و أحترم فيك شهامتك و رجولتك ، و لهذا سأقدم لك هدية عربون محبتي و امتناني ،

مجموعة من النقائق الفاخرة ، لقد صنعتها بنفسي ، إنها من أغلى الأنواع " - " لا يا سيدي ، لا داعي ،
إنني لم أقم إلا بواجبي ، و كل ما فعلته هو شراء علبة دواء " - " و لكنها غالية ، أنا أعرف أن كل أدوية
القلب غالية ، يضاف إلى ذلك عناؤك و تكبدك مصاريف إرسالها إلى هنا ... لا يا عزيزي ، لا ... لا بد
من التعبير عن الامتنان لك ... هدية بهدية ، أنا مصر على ذلك " - " حسناً يا سيدي كما تشاء ، و لكن
احتفظ بها حتى أعود من البريد فأخذها معي ، إلى اللقاء " . لم يكد سام يمشي بضع خطوات ، حتى
أحس بيدين قويتين تقبضان عليه و تطوقانه بشدة ، كان اللحام الذي قهقه ساخراً " هه ، هه ، هه ، أتظن
أنك تستطيع الضحك علي ، أني أعرفك أكثر من نفسك ، إنك لن تعود إلى هنا أبداً ، لأنك لا تحب أن
تأخذ شيئاً بالمقابل ، أمسك يا عزيزي ، أمسك ، هذه النقائق لذيدة مع السباكيتي أو البيض أو البطاطا " -
" و لكنها كمية كبيرة " - " لا بأس ، أنت تستحق أكثر " .

وصل سام إلى مكتب البريد الذي كان عبارة عن بيت حجري قديم ، صعد الدرجات القليلة المؤدية إلى
الباب ، كان الموظف خلف الطاولة يقرأ جريدة الصباح ، أحس بحركة داخل الغرفة ، رفع نظره و رأى
سام " أهلاً بك سيد سام ، زيارة سعيدة ، كيف الحال " - " بخير ، شكراً لك ، قيل لي إنه يوجد رسالة
باسمي " - " هذا صحيح ، و نحن آسفون جداً لأننا لم نوصلها إلى المنزل ، فالعجوز بيتر مريض ، و أخذ
استراحة لمدة أسبوع ، و أنا لا أستطيع ترك البريد و لو للحظة تفضل هذه هي الرسالة ، و إذا سمحت
وقع هنا . وقع سام على الورقة و مضى خارجاً ، نظر إلى الرسالة ، إنها فعلاً من جان ، لم ينتظر حتى
يصل إلى البيت ، بل سارع إلى المقعد الخشبي المجاور لمكتب البريد و جلس يفتح الرسالة بسرعة و يقرأها
بلهفة و فرحة " عزيزي سام ، كيف حالك ، أرجو أن تكون بخير و بأتم الصحة و العافية . أكتب
إليك من مقاطعة الجنوب و كلي لهفة و شوق إلى رؤيتك أيها الصديق العزيز ، أكتب لك هذه الرسالة و أنا
محاط بدخان المصانع و السيارات و الضجيج ، و أعرف أنك الآن تقرأ هذه الرسالة و أنت بين الأشجار و

الخضرة و الهدوء و السكينة . أتمنى أن تكون قد قضيت إجازة ممتعة و أنا واثق من ذلك . عزيزي سام ،
وقد شارفت الإجازة على الانتهاء ، أعلمك أنني سأكون في العاصمة في العاشر من أيلول بالضبط ، و كما
اتفقنا سأحجز لي و لك غرفة في السكن الجامعي . بلغ تحياتي لجميع أفراد أسرتك و أرجو أن أراك قريباً ،
أنا بالانتظار، المخلص جان " . طوى سام الرسالة و شرد لحظة في الغابة ، ثم قفل عائداً إلى المنزل .

في الظهيرة اجتمعت الأسرة كلها على طاولة الغداء ، كانت النقانق هي الوجبة الرئيسية " إنها فعلاً شهية
هذه النقانق (قال الأب) " . وضع الأخ الصغير قطعة من اللحم في فمه و قال " لم أتذوق مثل هذه النقانق
إلا عندما ذهبت في رحلة صيد مع ابن الجيران و أكلنا لحم البط و الأرناب بالمناسبة يا سام ، أرجو
أن تشتري لي بندقية صيد من العاصمة ، السنة القادمة ، من فضلك " - " آسف يا عزيزي " - " لماذا ؟
(قال الأخ بحسرة) " - " لأن الصيد حرام و أنا لا أومن بهذه الفكرة على الإطلاق ، إنها غير إنسانية ،
أليس من المحزن أن تقتل أرناباً أو بطة أو حتى عصفوراً صغيراً ، ربما يكون لديهم صغار ينتظرون طعامهم
" . مضغ الأخ الصغير طعامه ببطء و حزن وقال " و لكن هذه النقانق الشهية التي تأكلها الآن ، أليست
لحم كائن حي ؟ " - " هناك فرق بين أن تأكل لحم حيوان لم تقتله ، و بين أن تقتل بيدك ، هل فهمت الآن
يا عزيزي " - " أرجوك يا سام لبي لي هذا الطلب ، إنني أنا الذي سأصطاد و ليس أنت ، و بذلك تكون
قد برئت نفسك من تهمة القتل " - " و لكنني أنا من سيشتري السلاح أي أداة القتل ، إذن أنا شريك
أساسي في الجريمة " . و هنا تدخل الأب قائلاً " كفى يا أبنائي ، هذا ليس موضوعاً للمناقشة ، أكملوا
طعامكم " - " و لكن يا والدي هل من الخطأ أن يكون لدي بندقية صيد (احتج الأخ) " - " كلا كما على
حق ، و كل منكما له وجهة نظره " - " و لكن لماذا لا تقنعه يا أبي (احتج الأخ مرة أخرى) " - " و كيف
أقنعه و هو في حياته كلها لم يقتل ذبابة " (قال الأب بانفعال) . شاركت الأم أيضاً في النقاش الدائر قائلة "

لازلت أذكر عندما كان سام في الرابعة عشرة من عمره ، كيف قام بسكب علبة المبيدات في المرحاض عندما علم أننا سنقوم بمكافحة الحشرات المنتشرة في الحديقة " . انزعج الأب من هذا الكلام على الطعام فقال منهياً الموضوع "دعونا من هذا النقاش العقيم ، هيا يا عزيزتي حضري لنا كأساً من الشاي بعد هذه الوجبة اللذيذة ، اليوم سأذهب باكراً إلى المصنع " . انتهى الإفطار ، و خرج كل شخص إلى عمله . كان سام يحب الخروج و جيداً إلى الغابة ، جو الغابات كان مكاناً رائعاً جداً له ، ينسيه أي هم أو قلق حتى العاصمة كان ينساها ، لذلك قرر أن يخرج يوماً إلى الغابة حتى نهاية إجازته .

اجتمعت الأسرة باكراً ، كانت الحقائق موزبة ، تناول الجميع طعام الإفطار و بعد قليل جاءت السيارة التي ستقلهم إلى محطة القطار . في المحطة عانق سام أفراد أسرته واحداً واحداً ، كانت لوعة الفراق أخف مما هي عليه في السنة الماضية . صعد سام إلى عربة القطار ، أحس بشعور من الرضا و السعادة ، و لكن ما إن بدأ القطار يتحرك مبتعداً عن المحطة ، حتى أحس سام بالخوف ينتابه من جديد و بخاصة عندما اجتاز القطار حدود البلدة ، هو الخوف نفسه الذي شعر به السنة الماضية عندما نزل إلى العاصمة لأول مرة ، و الخوف نفسه الذي شعر به عندما صارحه والده بوضع الأسرة . كان كلما تذكر أنه سيبقى في العاصمة لفترة طويلة ، ينتابه الخوف و الكآبة من جديد . ازدادت سرعة القطار فجأة و سام شارد الذهن في المناظر الخارجية . كان صوت العجلات المعدنية الرتيب أشبه بسمفونية حزينة تعزف أمامه ، تمنى في نفسه لو يقفز من القطار و يعود إلى البلدة ، إلى الغابات و الأشجار ، إلى أستاذ الفلسفة إلى بائع الزهور إلى اللحام ، و يجلس بينهم ، يعمل لديهم و يسمع أحاديثهم ، هكذا يحس بالأمان أكثر ، أما الآن فهو وحيد ، . شيئاً فشيئاً بدأت الألوان الخضراء الخارجية تتلاشى من أمامه ليظهر مكانها اللون البني الفاتح الكالح ، لون التربة و الصخور ، و هنا أدرك سام أنه فقد شيئاً عزيزاً و أنه أصبح تحت الأمر الواقع ، انهمرت الدموع من عينيه

، لم يكن يشعر بالنعاس و لكنه أغمض عينيه محاولاً النوم ، عله يكون في حلم و يكون موعد النزول إلى العاصمة لم يكن بعد .

العاصمة من جديد

استيقظ سام على يد تربت على كتفه ، كان موظف القطار " عفواً سيدي ، لقد و صلنا إلى العاصمة " نزل سام من العربة ببطء شديد ، كان يحس بامتعاض و انزعاج كبيرين ، استقل سيارة أجرة و انطلق إلى إلفا . عندما وصل إلى السكن الجامعي ، ذهب إلى المسؤول العام و أخذ رقم غرفته و مفتاحها و صعد إليها . فرحة اللقاء مع جان كانت لا توصف، و لوهلة نسي سام لوعة فراق البلدة . تعانق الصديقان طويلاً ، و جلسا يتحدثان " لقد اشتقت إليك كثيراً يا سام ، أتعلم .. كنت أود أن أسافر إليك في الشمال لأراك (قال جان بفرح) " - " في المرة القادمة سنذهب سوياً يا صديقي العزيز ... هل وزعوا المنهاج الدراسي في الكليات ؟ " - " أظن أنهم سيوزعونه غداً ، و لكن كأني أراك حزيناً .. هل هي لوعة فراق البلدة ؟ ... حسناً هيا بنا إلى مطعم الجامعة ... اليوم أنت مدعو على حسابي ... هيا بنا أني جائع " .

بدأت الدراسة في الكلية ، و أقبل سام على الدرس بهمة و نشاط ، و شيئاً فشيئاً نسي البلدة ، كان يريد أن يشغل نفسه بالدرس فقط ، و كما وعد أهله ، فقد كان يرسل لهم شهرياً نصف مرتبه ، كان يحوله إلى حساب والده المدين في المصرف .

خلال الأشهر الأولى كانت الحياة روتينية بعض الشيء باستثناء بعض جولاته هو و جان ، كان مسروراً جداً عندما علقت إدارة المؤسسة التعليمية صور و أسماء الطلاب الأوائل في مختلف كليات و صفوف الجامعة ، كانت صورته من بينهم ، كلما نزل إلى البهو الأرضي للمؤسسة ينظر إليها بسعادة و فخر ، يتأملها قليلاً ثم يمضي إلى المطعم أو قاعة المحاضرات . و ذات يوم عندما كان خارجاً من قسم شؤون

الامتحانات في الجامعة لاحت منه التفاتة إلى صدر الممر الداخلي فرأى باباً و فوقه لافتة معدنية محفور عليها كلمة " المكتبة " ، نظر إليها مستغرباً ثم تقدم نحو الباب مدققاً ، تعجب لأنه لم يسبق له أن رآها من قبل ، توقف مشدوهاً لبرهة ثم باللاشعور اقترب من الباب ، و وضع يده على المزلاج و فتح الباب . نظر إلى الداخل ، كانت قاعة كبيرة مليئة بالكتب و المجلدات و الصحف و بها عدد من الطلاب يقرؤون بصمت . أجال نظره في المكان ، فرأى جناحاً صغيراً فيه طاولة جلست خلفها موظفة متوسطة العمر أنيقة بدت له أنها هي المسؤولة عن المكتبة . أغلق سام الباب خلفه و دخل ، اقترب من الموظفة و سأها بارتباك "عفوا سيدتي ، هل مسموح القراءة هنا في المكتبة ، أقصد هل هناك شروط معينة لذلك " . ابتسمت الموظفة برحابة قائلة " لا ، لا فقط البطاقة الجامعية ، هل أنت طالب هنا؟" - " نعم أنا كذلك ، و هذه هي بطاقتي " . نظرت الموظفة إلى البطاقة ثم ابتسمت مرة أخرى " حسناً ، سيد سام بإمكانك الاطلاع على فهارس الكتب و العناوين الموجودة في تلك الخزانة ، إنها مرتبة حسب الحروف الأبجدية ، عليك فقط أن تسجل اسم و رقم الكتاب على البطاقة" . ذهب سام يطلع على الفهارس و العناوين . كان أمامه عدد هائل من الأسماء و البطاقات ، احتار ماذا يختار ، وقف برهة يفكر ، فجأة تذكر أن أستاذ الفلسفة قد حدثه منذ ثلاث سنوات عن كتاب قيم ... كانا يتناقشان حول فكرة معينة فذكر له أستاذه اسم الكتاب و قال أنها موجودة فيه و إنه يتمنى الحصول عليه إلا أن ثمنه يمنعه من ذلك . "هل يمكن أن يكون موجوداً هنا يا ترى " قال في نفسه ثم أخذ يبحث بفضول بين الفهارس ، حتى وجد اسمه و رقمه ، لمعت عيناه بوميض فرح ، سجل اسم الكتاب و رقمه و اتجه مسرعاً نحو الموظفة التي نظرت إلى البطاقة ثم قالت مبتسمة " إنه موجود ، و لكن أظن أن أحداً ما قد طلبه أوه ، إنه السيد أندريه " . هز سام برأسه و قال "كم كنت متلهفاً لقراءته " - "حسناً إن السيد أندريه طلب أكثر من كتاب ، انتظر قليلاً سأرى إن كان لا يريد أن يقرأ فيه . ذهبت الموظفة بهدوء إلى قاعة المطالعة و اقتربت من إحدى الطاولات ، حيث

جلس شاب يبدو عليه أنه في العقد الثالث من عمره ، نحيل بوجه ملتحي و شعر طويل نسبياً ، كأنه رسام أو نحّات أو شاعر ، هكذا تبادر لسام . اقتربت الموظفة منه وهمست في أذنه و هي تشير إلى كتاب موجود أمامه على الطاولة ثم أشارت إلى سام ، رفع الشاب رأسه بهدوء شديد و نظر إلى سام ، أخذ يحدق به ملياً من دون أية تعابير ، كان وجهه جامداً ، مضت برهة و الشاب مستغرق بالنظر إلى سام ، ثم كأنه ابتسم و أوماً بالإيجاب . أخذت الموظفة الكتاب و عادت به إلى سام " تفضل هذا هو الكتاب ، عجيب كيف ابتسم ، إنه نادراً ما يفعل ذلك " - "أشكرك سيدتي ... هل هو طالب هنا " - " أظن ذلك ، بطاقته تقول إنه يدرس في كلية الزراعة ، دائماً يأتي و يطالع الكتب السياسية التي لها علاقة بالشيوعية أو الاشتراكية و ما شابه حسناً و قع هنا يا سيدي نعم شكراً " . أخذ سام الكتاب و اتجه به إلى إحدى الطاولات الفارغة ، و عندما جلس حانت منه التفاتة فرأى الشاب ينظر إليه متمعناً ، ابتسم سام و أوماً له بيده علامة الامتنان ، هز الشاب برأسه من دون أي تعبير . فتح سام الكتاب و أخذ يقرأ بنهم ، مرت ساعة و نصف و هو مستغرق بالقراءة " فعلاً إنه كتاب قيم و نادر " قال في نفسه ، شعر بالإرهاق قليلاً فتوقف عن القراءة ، نظر إلى طاولة الشاب ، فلم يره ، كان قد غادر على ما يبدو ، وضع سام إشارة على الورقة التي وصل إليها في القراءة و حمل معه الكتاب و أعاده إلى الموظفة و استلم بطاقته ، ثم خرج . توقع أن يجد جان في الكافتيريا فذهب إلى هناك و جلس على إحدى الطاولات و طلب فنجاناً من القهوة ، جلس ينتظر جان . و بعد قليل أتاه صوت من جانبه " أتمنى أن يكون الكتاب قد أعجبك " . نظر سام فإذا الشاب نفسه الذي كان في المكتبة ، نهض واقفاً يرحب به " أشكرك على بادرتك الطيبة ، إنه فعلاً كتاب ممتع ، تفضل ، تفضل اجلس " . جلس الشاب ، فبادر سام بالكلام " أتمنى ألا أكون قد أزعجتك باستعارتي للكتاب " - " أبداً ، أبداً ، كنت مشغولاً بكتاب آخر فلا بأس " - " اسمي سام و أدرس الكيمياء السنة الثانية " - "تشرفنا ، أنا أندريه أدرس الزراعة السنة الأخيرة ... في الواقع لقد فوجئت بطلبك للكتاب أقصد أن

هذا الكتاب لا يقرؤه إلا ذوو اتجاهات و ميول معينة ، هو شيق و مفيد في الوقت نفسه ، أنا شخصياً قرأته مرتين و هذه المرة كنت قد طلبته للمراجعة ... و لكن ما هو سبب طلبك لهذا الكتاب بالذات ؟ هل لديك اهتمامات معينة (سأل أندريه و هو يحاول أن يتعرف على سام بشكل أفضل) " - " لا يا صديقي ، و لكن سمعت عنه مرة و أحببت أن أقرأه " . تفرس أندريه بسام و قال " و لكنه كتاب صعب قليلاً ، أفصد أنه موجه بالدرجة الأولى للمختصين و قراءتك له توحى بأن لديك سوية ثقافية لا بأس بها تؤهلك لقراءته " - " ربما (قال سام) ، إنني أهتم بالدراسة و المطالعة نوعاً ما " - " من أي مقاطعة أنت يا سام ؟ " - " أنا من الشمال " - " يبدو عليك أنك من أسرة كادحة فقيرة ، فكيف استطعت أن تؤمن مصاريف الأقساط الدراسية هنا و في مؤسسة إلفا بالذات " - " في الحقيقة إنها منحة حصلت عليها من المؤسسة كوني كنت الطالب الأول بالمقاطعة كلها ، و إلا فإنني لم أكن لأستطيع القدوم إلى العاصمة من الأساس " . نظر أندريه إلى سام ملياً ثم فرقع إصبعيه قائلاً "نعم ، نعم ، تذكرت ... أنت لك صورة في لوحة الطلاب الأوائل على ما أظن ، لقد رأيتها ، وحدهم الطلاب الفقراء هم الأذكياء فقط ، إنك طالب رائع يا سام ويسعدني التعرف إلى أمثالك قل لي أين و صلت في الكتاب ؟" - " أظن أنني وصلت إلى الفصل الخامس " - " رائع يا سام ، يبدو لي أنك قارئ متمكن ، ما رأيك بالمواضيع المطروحة " - " إنها فعلاً جيدة و تحوي أفكاراً جديدة نوعاً ما " - " ما هو أكثر شيء أعجبك فيها (سأل أندريه) " . أحس سام و كأن أندريه يريد أن يختبره و يعرف توجهاته فقال "أعجبني الفصل الثالث الذي يتحدث فيه الكاتب عن المال كعنصر أساسي في الحياة و ضرورة توزيعه توزيعاً عادلاً ، و لكنني أحسست و كأنه يببالغ قليلاً في تهجمه على بعض الفئات " - " لا لا يا سام إن الاستعباد و الظلم الذي ينتج عن تراكم رأس المال في يد فئات قليلة من المجتمع هما سبب كاف لتسلط هذه الفئات على السواد الأعظم من الكادحين و العمال و الفلاحين " . صمت سام قليلاً ثم قال " و لكن تركيزه بهذا الشكل الكبير على المال فقط ، يلغي جميع المفاهيم و الأمور

الأخرى ، و هذا ما لا أراه مبرراً بشكل كاف ، فهو يربط جميع مفاهيم الحياة و مقوماتها بالمال فقط و يرى أن السبب في البؤس الاجتماعي هو نقص المال " . تفرس أندريه مرة أخرى بسام و قال " قل لي يا سام ، هل لديك انتماء سياسي ؟ " - " لم أفهم " - " أقصد هل أنت منتم إلى حزب معين " - " حتى الآن ، لا " أجاب سام . صمت أندريه قليلاً يفكر ثم عاد و سأل سام "هل لك توجهات أو ميول سياسية " . هز سام برأسه قائلاً " و هذه أيضاً لم أفهمها " - " بصراحة أقصد هل لك ميول اشتراكية أم رأسمالية ؟ هل أنت من مؤيدي حزب الشعلة الحمراء مثلاً أم الحزب الديمقراطي ، أم الحزب الوطني و هما حزبان رأسماليان " - في الواقع حتى الآن ليس لدي أي انتماء سياسي ، ربما لأن السياسة ليست من مجال اهتمامي في الوقت الحاضر ، و لكن تستطيع القول إنني أميل قليلاً نحو الاشتراكية ، ليس ميلاً بمعنى الميل ولكن ... هكذا مجرد شعور " . هز أندريه برأسه علامة التفهم و قال " إن السياسة يا سام لا بد منها ، و كل إنسان في هذه الحياة يجب أن يكون له سياسة و هدف معين " - " ممكن ، و لكن ألا تلاحظ معي يا أندريه أن مفهومي الاشتراكية و الرأسمالية هما اجتماعيان أكثر منهما سياسيان ؟ " . لمعت عينا أندريه و صمت ، بدا و كأنه أخرج قليلاً " أنت يا سام إنسان مثقف و ذكي و مرة أخرى أقول لك ، إنني مسرور بالتعرف إليك " . استمرت المناقشة بين الاثنين و خرج كل منهما بانطباع عن الآخر . أندريه خرج بانطباع ، بأنه أمام شاب مثالي من الدرجة الأولى في الأخلاق و العلم و الثقافة، و سام خرج بانطباع ، بأنه أمام شخص ذكي و موهوب و مثقف .

في المساء عندما عاد سام إلى الغرفة ، وجد جان و أحد أصدقائه " أعرفك على صديقي يا سام إنه من عندنا من الجنوب و هو يدرس الزراعة . تعرف الشابان على بعضهما بعضاً ، صب جان كأساً من القهوة لسام " أين كنت اليوم يا سام انتظرتك في المطعم و لم تأت ، هل كان عندكم اليوم دروس إضافية ؟ " رشف

سام من كأسه قائلاً " لا ، و لكنني اليوم فوجئت بوجود مكتبة ضخمة في الجامعة لم أعلم بوجودها إلا اليوم " . فقال صديق جان "لقد أنشئت بعد بناء المؤسسة ، إنها حديثة العهد ، سمعت أنهم اضطروا لفتح ممر جانبي من آخر غرفة في الطابق الأرضي ، فأصبحت بذلك معزولة قليلاً " - " هذا سبب منطقي " قال جان . " و لكنها مكتبة ضخمة و فيها أنواع كثيرة من الكتب (قال سام) و اعتباراً من الآن سوف أزورها بشكل دائم " - " لقد جلبوا لها الكتب من مختلف البقاع (قال صديق جان) و قد سمعت أن مؤسسة إلفا كانت تدفع بسخاء " . نظر سام إلى صديق جان و قال له " قلت لي إنك تدرس في كلية الزراعة ؟ اليوم تعرفت في المكتبة على شاب يدرس عندكم في الكلية ، في السنة الأخيرة ، اسمه أندريه ، هل تعرفه ؟ " سأل سام صديق جان الذي قال " معرفة شخصية لا ، و لكن بالشكل فقط ، أظن أنه عضو في حزب الشعلة الحمراء الشيوعي ، هو معقد قليلاً و ليس له أصدقاء تقريباً إلا ممن لهم نفس الميول و التوجهات ، و لكن يقال إنه مثقف و متحدث بارع " - " أيسكن هنا في الجامعة (سأل سام) " - " لا أظن ، أظن أنه مقيم في العاصمة عند أحد أصدقائه من أعضاء الحزب التابع له " - " هل هو سيء ؟ " - " لا أظن و لكنه كما قلت لك معقد قليلاً ، و يكره كل ما له علاقة بالرأسمالية ، و يكره كل الأغنياء ، و كل شخص ميسور ، و يرى أن المجتمع شر كله و أن المحيطين به هم أيضاً أشرار ، حتى مؤسسة إلفا التي يدرس فيها ، يراها مؤسسة رأسمالية تستغل الطلاب و الناس " و هنا تدخل جان و سأل صديقه " و لكن لماذا ؟ " . هز الصديق برأسه قائلاً " لا أدري ، ربما لأنه من عائلة فقيرة " . فسأله جان مرة أخرى " و لكن كيف تمكن من الدراسة في مؤسسة إلفا هل هو متفوق " . قهقهه الصديق ضاحكاً " متفوق؟؟!! إنه بالكاد ينجح في السنة ، بالرغم من كونه مثقفاً ، أظن أنه يدرس لحساب حزب الشعلة الحمراء ، فمؤسسة إلفا تعطي كل سنة مقعداً أو مقعدين للأحزاب الموجودة في البلد " . هنا تدخل سام قائلاً " لحظة يا جماعة ، لحظة من فضلكم ، إنني لم أعد أستوعب شيئاً كيف تعطي مؤسسة إلفا مقاعد لأشخاص أو أحزاب معادية لها

من حيث التوجه أو الرأي أو السياسة ؟ " - " أنت تعلم أن مؤسسة إلفا هي مؤسسة ديمقراطية عريقة تعمل لأجل الصالح العام (قال الصديق) و لا تقف عند هذه الأمور أو القضايا " . حك سام رأسه و أخذ يفكر ، إنها الحياة في العاصمة ، كل يوم يخرج له شيئاً جديداً ، كل يوم يكتشف أمر جديد عليه كل الجدة .

مرت الأيام بالنسبة لسام سريعاً في الجامعة ، جاء الامتحان النصفى و قدمه بنجاح ، كان يحصد الدرجة الكاملة في كل مادة تقريباً كان محط إعجاب الجميع ، أساتذته ، زملائه و حتى إدارة المؤسسة ، نجاحه و تفوقه المطلقان في الدراسة و أخلاقه و صفاته المتميزة ، كانوا جواز سفره و عبوره إلى قلوب كل الذين عرفوه و تعاملوا معه . كان يزور المكتبة بشكل متواصل و يلتقي مع أندريه ، في البداية توجس منه قليلاً ، و لكن سرعان ما توطدت علاقتهما ، كانا يتناقشان كثيراً . أندريه أعجب به و بذكائه و أخلاقه ، و سام أعجب بثقافة أندريه و كلامه عن الفقراء و العدل و الظلم و الإصلاح الاجتماعي و التفاوت الطبقي .

توضحت له العاصمة أكثر ، و اكتشف فيها أموراً لم يكن يعرفها من قبل ، أموراً فتحت له آفاقاً حياتية جديدة . و لكن و بالرغم من كل ذلك ، فقد بقي هناك همّ يلازمه دائماً ، و هو تأمين المال الكافي لأسرته ، كان يبعث لهم بنصف راتبه ، و لكنه في قرارة نفسه كان يرى أن هذا المبلغ غير كاف ، ولهذا فإنه كان متلهفاً لانتهاى العام الدراسي لكي يجد عملاً و يبعث إلى أهله بالمزيد من المال . كان هناك ... بعيداً في أغوار نفسه ... شعور خفي بالاصطدام مع المال ، طوال حياته و حتى الآن سمع المحيطين به في البلدة و العاصمة يتحدثون عن المال ، و ينحنون إجلالاً و تعظيماً له ، أما هو فلا . خامره شعور بالخوف من أنه إذا اصطدم مع المال ، فمن سينحني للآخر؟؟ هو أم المال ، دائماً كان يقول في قرارة نفسه " أنا مستقيم و شريف و قنوع و لذلك لن يهمني المال في يوم من الأيام ، و لن يكون محور تفكيري " . في الجامعة كان يلاحظ أن معظم الطلاب هم من الأثرياء و الميسورين أو المتفوقين في المدارس ، كان يلاحظ لباس الطبقة الغنية الفاخر و سياراتهم الفخمة و بيوتهم الرائعة . لاحظ أنهم يسكنون بمعظمهم في

حي واحد و هو من أفخم الأحياء و أنظفها و أرتبها ، تذكر كيف مر يوماً بالصدفة هو و جان في هذا الحي ، فبهرة روعته و جماله و بيوته الفخمة ، فسأله عنه ، فقال له " هذا أفضل حي بالعاصمة ، يقطنه الأثرياء و رجال الدولة و التجار الكبار و يسمى حي البرج ، لاحظ سام بانبهار البيوت الحجرية المنحوتة و الأشجار الجانبية ، و السيارات الفخمة المصطفة على الجانبين و الصمت و الهدوء اللذين يسودان المكان ، لاحظ سام أنه حي هادئ على عكس بقية الأحياء ، فسأل جان الذي ضحك و قال له " الناس هنا يا سام لا يتكلمون ، إنهم يفعلون ، بينما في بقية الأحياء الأخرى يتكلمون و لا يفعلون انظر نحن هنا الآن في هذا الشارع ، هل ترى إلا الأشجار و السيارات و الأسوار الحجرية و أنا و أنت ؟ . تذكر سام كل هذه الأمور التي مرت في خاطره سريعاً ، و لوهلة أحس أنها لا تعني له شيئاً .

اقترب العام الدراسي من نهايته، و برزت أمام سام مشكلة عويصة ، إنها البقاء في العاصمة و إيجاد عمل في الصيف إنه مجبر على ذلك ، فلا زال هناك ثلاث سنوات كي ينتهي القسط اللعين الذي يدفعه والده كل شهر ، و في الصيف تمتنع مؤسسة إلفا عن دفع الرواتب للطلاب المقيمين . أحس فعلاً بالضيق، هذه أول مرة يشعر بالحاجة ، الحاجة إلى الناس ، الحاجة إلى المال ، و لكن ما كان يعزیه و يرضيه ، هو أن هذه الحاجة لم تكن لأجله بل لأجل أهله و أسرته ، فلولا أسرته ، لم يكن مضطراً لكل ذلك .

انتهى العام الدراسي و حاز سام المرتبة الأولى على الجامعة كلها من حيث المعدلات ، بدأ يأخذ نوعاً من الشهرة بعد أن تم تتويجه لسنتين متتاليتين ، ملكاً على عرش التفوق ، الأول على كليته ، و الأول على الجامعة من حيث المعدل العام ، كانت نتيجته ٩٨٪ ، كان هذا يعطيه دفعاً معنوياً بعض الشيء . أعطوه في الجامعة مكافأة مالية أرسلها إلى حساب أبيه المدين في المصرف ، حيث كان أبوه قد طلب منه ذلك . بعد النتائج النهائية جلس سام يفكر كيف يمكن له أن يتدبر عملاً في الصيف . كان قد تقدم بطلب

للاحتفاظ بالغرفة في أثناء الصيف ، و عندما سأل رئيس قسم شؤون الطلاب عن إمكانية العمل في الجامعة ، أجابه الرجل بأن المؤسسة تؤمن عملاً للطلاب فقط بعد التخرج . عندما التقى مع أندريه لأخر مرة ، سأله إذا كان باستطاعته أن يساعده في تأمين عمل له ، فأخبره أندريه أنه لا يعرف أحداً . ذهب إلى الكافتيريا مهموماً " يا إلهي ما العمل ، هل سدت الطرق كلها ، كيف سأتدبر عملاً هنا ، يبدو أنني سأعود إلى البلدة خالي الوفاض ، من سأسأل ؟ " ، فجأة تذكر شيئاً ... تذكر أنه عندما كان هو و جان في حي البرج ، انعطفوا بالطريق لزيارة أحد أصدقاء جان الذي كان يعمل في أحد المخازن الغذائية الضخمة هناك ، نعم ، نعم إنه لا يزال يذكر لقد أعطاهم الشاب يومها علبة من الجبن الفاخر هدية ، كان شاباً لطيفاً ، تذكر سام أنه كان يعمل وحده " ربما يحتاج إلى موظف يساعده " قال في نفسه . شرب فنجان القهوة دفعة واحدة و دفع الحساب و أسرع إلى الغرفة ، ليفتح جان بالأمر . في الغرفة كان جان يوضب أغراضه ، سوف يسافر بعد يومين إلى الجنوب ، دخل سام مسرعاً و فاتح صديقه بالأمر . " بكل سرور يا صديقي العزيز ، سأتكلم معه ، كيف فاتني ذلك ، و لكن الوقت أصبح متأخراً الليلة ، غداً صباحاً نذهب إليه سوياً ، و بعون الله ستسير الأمور على ما يرام " - " هل تعتقد ذلك يا جان (سأل سام بخوف) " - " نعم ، فصديقي ديفيد يعمل منذ فترة طويلة بالمخزن ، و قد حاز على ثقة صاحبه لدرجة أنه أصبح يتركه له و يذهب إلى أعماله الخاصة ، و قد أعطاه صلاحية واسعة في التصرف ، ألا تذكر كيف أعطانا علبة من الجبن الفرنسي الفاخر على حساب المخزن ، هذا دليل على أنه يستطيع التصرف و يتمتع بثقة المالك ، ثم إن مخزناً ضخماً كهذا لا بد أنه يحتاج إلى موظف آخر ، على كل حال لا تقلق ، فديفيد يحترمني جداً ، و سوف تسير الأمور على ما يرام " .

في صباح اليوم التالي و بعد الإفطار ، توجه الصديقان إلى المخزن ، كان سام متوتراً بعض الشيء و خائفاً من ألا تسير الأمور كما يشتهي ، كان يفكر أنه إذا فشل هذا الأمر أيضاً فسوف يذهب فوراً إلى محطة القطار ليقطع بطاقة إلى الشمال . وصل الشابان إلى الحي و دخلا في أحد الشوارع الطويلة لينعظفا في شارع آخر ، وفي النهاية كانا يقفان أمام باب المخزن . " أهلاً ، أهلاً بصديقي جان ، كيف هي أمورك ، أين أنت يا رجل ، إنني لا أراك إلا مرة واحدة في السنة (قال الشاب مرحباً) " - " أنت تعرف يا عزيزي أمور الدراسة و الالكترونيات ، ليس هناك متسع من الوقت ... بالمناسبة ألا تريد تركيب جهاز إنذار للمخزن أو كاميرا للمراقبة لدي مجموعة رائعة (قال جان و هو يضحك) " - " بالتأكيد يا صديقي ، عندما تقع أول سرقة في المخزن أو عملية سطو سألجأ إليك حتماً " (ضحك الجميع) . تنحج جان قليلاً و عدل من ياقته و قال " حسناً أيها الصديق ، لي رجاء عندك ، و أظن أنك قادر على المساعدة " - "تفضل يا صديقي إنني مصغ" - " هذا صديقي سام ، أنت تذكره ، لقد جاء معي قبل سنة إلى هنا . في الواقع هو يريد أن يبقى هذا الصيف هنا ، إنه بحاجة إلى عمل ، كون أسرته تتمر في ضائقة مالية ، و هو يريد أن يرسل المال إليهم ، في الواقع لقد خطر لي أن أسألك إذا كان هناك مجال للعمل هنا عندك في المخزن ، أو في أي مكان آخر تستطيع أن تساعدنا فيه ، أظن إنك تعرف سام ، و لا حاجة لأن أشرح لك عن أخلاقه " .

أطرق الشاب قليلاً يفكر ثم قال " سام إنسان مهذب و خلوق ، صحيح أنني رأيته مرة واحدة ، و لكنه ترك لدي انطباعاً جيداً و في الواقع إننا بحاجة فعلاً إلى موظف في المخزن ، و لكن لم يطرح هذا الموضوع من قبل ، إنه مخزن كبير و تقريباً أقوم أنا وحدي بمعظم الأعمال من ترتيب و جرد و تدقيق ، هناك شخص آخر يعمل ، و لكن أعماله تنحصر فقط في التنظيف على كل حال و من حيث المبدأ ، لا مانع لدي أبداً بل أرحب بذلك ، و لكن لا بد من مشورة صاحب المخزن و خاصة في مثل هذه الأمور " . أوماً جان برأسه موافقاً و قال "و لكن يا عزيزي أنا سأغادر بعد يومين ، و يهمني أن أطمئن

على وضع سام قبل السفر " . فكر الشاب قليلاً و قال " لا بأس ، لا بأس ، اليوم ظهراً في أثناء الاستراحة سأذهب إلى بيت صاحب المخزن إنه قريب من هنا ، و سأطرح عليه الموضوع و أبين له وجهة نظري فيه ، و أظن أنه سيوافق طالما أن العمل سيكون في الصيف فقط " . ربت جان على كتف صديقه و قال له "أشكرك يا صديقي من كل قلبي ، و لن أنسى لك ذلك ما حييت بالمناسبة من هو صاحب المخزن؟

" - " إنه رجل عجوز أرمل لديه ولد واحد فقط يعيش خارج العاصمة ، يأتي هو و زوجته لزيارته كل أسبوع ، إنه يسكن قريباً من هنا ، وهو رجل انعزالي و لا يختلط كثيراً بالناس يهتم بتربية القطط و لديه أيضاً حديقة في المنزل يهتم بها دائماً ، و كل فترة يأتي لتفقد المخزن " - " إن وصفك له غير مطمئن يا عزيزي (قال جان) هل من الممكن أن يوافق " - " إنه غريب الأطوار قليلاً ، و لكن قلبه طيب ، على كل حال لا تقلق ، اعتمد علي في هذه المسألة " . أوماً جان برأسه موافقاً و قال "حسناً يا عزيزي ، تصرف كما تشاء ، و لكن أتمنى أن تعطيني الجواب اليوم إذا أمكن ، لا بد لي من الاطمئنان على سام قبل سفري " . ابتسم الشاب قائلاً " هذه بطاقة المخزن و فيها رقم الهاتف ، اتصلا بي في المساء و سيكون الرد جاهزاً " . أخذ جان البطاقة و قال " أشكرك يا صديقي العزيز ، أشكرك من كل قلبي حتى وإن لم تسر الأمور كما نشتهي ، قد أكون مشغولاً في المساء بتوضيب أغراضي ، و لذلك سيتصل معك سام ، و الآن إلى اللقاء ، أراك بخير " . كان سام ينصت طوال الوقت إلى الحوار دون أن ينبس بكلمة ، و عندما خرجا من المخزن ، أخبر جان أنه غير متأكد من نجاح الموضوع ، و لكن جان طمأنه .

عندما عادوا في الظهر إلى السكن الجامعي ، جلس سام في الغرفة و لم يغادرها ، كان توتره يمنعه من الخروج ، ولذلك استلقى على السرير و راح يفكر " إذا لم يكمل الأمر بالنجاح ، فسوف أحجز من الغد إلى البلدة " قال في نفسه و هو ينظر إلى السقف . عندما حل المساء ، نزل إلى الطابق الأرضي حيث كان يوجد هاتف عمومي ، أخرج الكرت من جيبه ثم و ضع قطعة نقدية في الحصالة و ضرب الرقم ، بعد قليل

سمع صوتاً على الطرف الآخر "الو" - " مرحباً سيد ديفيد ، معك سام " - " أهلاً بك سيد سام ، أكيد إنك تتصل لتعرف النتيجة ... حسناً يا عزيزي ، بإمكانك المباشرة بالعمل من يوم غد و إذا أحببت ، ابتداء من أول الشهر القادم أي بعد ثلاثة أيام ، و لكن لا بأس من أن تأتي في الغد لتتعلم كيفية العمل و تتدرب " - " أشكرك يا سيد ديفيد و أنا ممتن لك جداً ، غداً صباحاً سأكون عندك " - " أنا بالانتظار و أرجو أن تبلغ تحياتي إلى جان و تخبره النتيجة من كل بد " .

كانت فرحة سام كبيرة جداً و وضع السماعة و أسرع الخطى نحو مقهى الجامعة ليتناول كأساً من النسكافيه المحبب إلى قلبه ، أحس و كأنهما قد انزاح عن قلبه ، جلس يرتشف القهوة و يفكر ، عموماً كان يشعر بالارتياح ، و لكن في أعماق قلبه ، في الجذور ، كان يشعر بشيء من الضيق ، الضيق من ماذا ؟ من ماذا ؟ أخذ يفكر ، علمه أستاذ الفلسفة في البلدة أنه إذا أراد أن يعرف لماذا يكون منزعجاً أو متضيقاً ، أن يسترخي و يغمض عينيه و يفكر في ذاته فقط . وضع فنجان القهوة أمامه ثم أغمض عينيه و دخل في أغوار نفسه ، أو هكذا حاول ، ثم فكر و فكر ، فجأة فتح عينيه ، نعم إنه هو ، الانزعاج من الارتياح ، إنه منزعج لأنه ارتاح من هذا الكابوس الذي كان يثمن فوق صدره ، كابوس إيجاد العمل ، و لكن لماذا ؟ أغمض عينيه مرة أخرى و استغرق في التفكير ، هذه المرة أطال التفكير ، و فجأة فتح عينيه ، إن مجرد شعوره بأنه قد ارتاح من هذا الهم المحيط به ، يعني أنه ضعيف ، يعني أنه خائف من ألا يحصل على المال و هو الذي يأنف أن يكون تابعاً للمال ، هكذا تصور ، هكذا خطر له . "ما الذي أجبرني على ذلك (قال في نفسه) إنه أبي ، نعم أنه أبي ، كل هذا بسببه ، أكان من الضروري أن يستلف قرضاً من المصرف ، هل كان محتاجاً للمال لهذه الدرجة الكبيرة ؟؟ (تساءل في نفسه) ، طوال حياتي .. منذ خلقت و حتى الآن لم أطلب المال و لم أشعر بأنني محتاجاً إليه على كل حال المال ليس لي ، إنه لأهلي " و هكذا وجد لنفسه عذراً ، و لكن لماذا كل هذه السعادة الغامرة بإيجاد العمل ربما هي السعادة لأجل أسرته و ليس

لأجل المال . تداخلت الأفكار في رأسه و هو جالس ، أخذ يرشف من الفنجان و ينظر حوله ، بعض الطلبة كانوا يمرون به و يلقون التحية عليه باحترام ، حتى الأغنياء منهم و الأثرياء ، شعر بشيء من الفخر و الاعتزاز . بعد قليل ظهر جان من بوابة الكافيتريا ، جال بنظره على الموجودين حتى وقع نظره على سام ، فأسرع إليه " توقعت أن أراك هنا ، هل اتصلت مع ديفيد ؟ " - " نعم و قد وافق صاحب المخزن على طلبه " - " ممتاز ، تهانينا ، أظن أن مشكلتك الآن قد حلت ، هل قال لك كم ستتقاضى شهرياً ؟ " - " لا لم نتحدث في هذا الموضوع ، إنه لا يهمني و لن أدخل في نقاش معه حول ذلك هل أتممت عملك في العاصمة ؟ " - " نعم ، لقد اشترت بعض الحاجيات و بعض القطع الإلكترونية ، سأتسلى بها في الصيف ، لقد حجزت منذ الآن بالقطار فالازدحام كان كبيراً ، إنه وقت انتهاء الدراسة الجامعية و معظم الطلاب يعودون إلى مقاطعاتهم و لذلك لا بد من الحجز باكراً و خاصة إلى مقاطعة الجنوب " . طلب سام كوباً من القهوة لجان و نظر إليه قائلاً " أتدري ، لقد لاحظت أن معظم الطلاب في مؤسسة إلفا ، إما من العاصمة أو المقاطعة الجنوبية أو بعض المقاطعات الأخرى ، و لكن من المقاطعة الشمالية لا يوجد سوى عدد قليل " . هز جان برأسه و قال باقتضاب " ربما ذلك صدفة " . لاحت التفاتته من سام نحو الباب فرأى أندريه يدخل الكافيتريا ، عندما رآهم اتجه إليهم مباشرة " مرحباً سام أراك هنا " . نهض سام مرحباً " أهلاً أندريه تفضل اجلس " . جلس أندريه على الكرسي ثم توجه بكلامه لسام " هل وجدت عملاً أخيراً " - " نعم ، في مخزن للمواد الغذائية " - " عظيم ، إذاً ستبقى هذه السنة في العاصمة ؟ " - " نعم ، و أنت هل ستغادر إلى بلدتك ؟ " - " طبعاً ، سأحجز بعد يومين و أسافر " - " و لكن لماذا لا تحجز من الآن ، يقول جان إن هناك ازدحاماً في محطة القطار " . شرب أندريه من كوبه و قال ببرود " الازدحام فقط على المقاطعات الجنوبية و الوسطى ، أما إلى المقاطعات الشمالية فهو أخف حدة " . و وضع سام كوبه على الطاولة و قال " آه صحيح ، لقد كنا أنا و جان نتكلم قبل قليل بهذا الموضوع ، لقد لاحظت أن نسبة

كبيرة من طلاب مؤسسة إلفا هم من العاصمة أو الجنوب ، بينما من الشمال هم قلة ، أنا و جان لم نجد تفسيراً لهذا الأمر سوى أنه صدفة " - " لا ، إنه ليس صدفة " . قال أندريه ببرود و هدوء . بهت سام و جان لهذا الجواب و نظرا لبعضهما إلى بعضاً . تابع أندريه كلامه و كأنه يلقي محاضرة " لا أيها السادة إنها ليست صدفة ، و أحسنت يا سام بملاحظتك تلك . إن السبب يا أعزائي هو سبب سياسي " . بقي سام و جان صامتين باستغراب ، بينما تابع أندريه كلامه " إن إلفا ، هي مؤسسة ذات ميول وتوجهات رأسمالية ، و معظم الأحزاب اليمينية الرأسمالية المسيطرة على اقتصاد هذا البلد و المستغلة له هم من مقاطعة الجنوب ، أما الأحزاب اليسارية الأخرى ، فمعظم أفرادها من مقاطعة الشمال ، أي بمعنى آخر ، إن الرأسماليين في هذا البلد هم من الجنوب ذي المعامل و المصانع الرأسمالية ، و الشيوعيين أو اليساريين هم من الشمال ذي الأراضي الزراعية " . أخذ سام و قد بدا مرتبكاً قليلاً ينظر إلى أندريه و جان ، و لكن أندريه استمر بالكلام عن الشمال و الجنوب ، فتدخل سام هذه المرة موجهاً كلامه لجان " أرجو يا عزيزي ألا تكون قد انزعجت " . هز جان برأسه و قد بدا واضحاً أنه منزعج " لا يا سام ، إن السيد أندريه حر بما يقوله ثم إنني لا أهتم كثيراً بالسياسة و هذا ليس من ضمن مجال اهتمامي " . فتح أندريه فمه ليتكلم ، و لكن سام بادر فوراً " أستم جائعين ، ما رأيكم أن نذهب إلى مطعم الجامعة ، فأنا أشعر بالجوع ، هيا بنا " . أحس أندريه بتصرف سام المقاطع له فقال " اعذرني يا سام ، فلدي أشغال خاصة ، أتمنى لك وقتاً ممتعاً في العاصمة ، و إن كنت سأفتقدك ، و لا تنس أن تراسلني " - " أشكرك يا أندريه ، و حتماً سأراسلك لأنني أنا الآخر سأفتقدك ، و سأفتقد مناقشاتك و مناظراتك المطولة معي ، و على كل حال سنلتقي بعد ثلاثة أشهر . انصرف أندريه بينما أكمل سام و جان طريقهما إلى مطعم الجامعة " أعذرني يا جان ، لم أكن أتوقع أن يتكلم أندريه هكذا (قال سام بمرج) " - " لاعليك يا سام ، إنه يعبر عن رأيه هو فقط ، المهم أنني فخور بمقاطعتي ، و أعرفها جيداً " .

في صباح اليوم التالي ذهب سام إلى المخزن ، استقل باص النقل العام باتجاه أقرب منطقة إلى حي البرج ، ومن ثم ترجل ماشياً إلى المخزن ، هناك استقبله ديفيد بالترحاب " أهلاً بك يا سام ، أراك مبكراً اليوم ، يبدو إن لديك همّة على العمل منذ الآن ، هل سافر جان ؟ " - " غداً سوف يسافر ، سأشتاق إليه كثيراً هو و صديق آخر اسمه أندريه " - " لا بأس ، على كل حال أتمنى أن تتمتع جيداً هذا الصيف في العاصمة و الآن اسمع يا عزيزي ، العمل هنا بشكل عام هو إدارة المخزن ، و كما ترى هنا ، المخزن يحتوي أنواعاً عديدة من السلع و الأدوات ، و العملية الأولى لدينا ، هي البيع للمستهلك ، مثلاً يأتي زبون و يطلب مادة معينة ، فنقوم بإحضارها و نضعها في الكيس المخصص لحجمها و نوعها و نقبض ثمنها بعد أن نعطيه إيها ، و هذا الأمر يتطلب أولاً حفظ مكان البضاعة و معرفة ثمنها ، فالمواد كما قلت لك هي كثيرة و متنوعة . العملية الثانية هي ترتيب البضاعة و جردها كل شهر ، العملية الثالثة و الأهم و هي معاملة الزبائن ، فالزوار هنا من الطبقة الراقية و يجب أن تكون حذراً جداً في التعامل معهم ، أي خطأ يكلف غالباً و دائماً يجب أن يكون الحق معهم " - " عفواً هذه لم أفهمها !!! ؟؟ " . ابتسم ديفيد و تابع " لا بأس ، المهم تذكر دائماً أن تكون المعاملة مع الزبائن مميزة ، و على كل حال الأسبوع الأول ستكون مهمتك مراقبتي ، راقبني جيداً يا سام و احفظ طريقة كلامي و تعاملي مع الزبائن و كل حركة و تصرف من تصرفاتي ، لا أريد أية أخطاء .. أو كي ؟ " .

بدأ سام بالعمل في المخزن سريعاً ، و لم تمض فترة قصيرة حتى تعلم كل عمليات البيع و الأسعار و المواد ، كان يراقب ديفيد و كيف يتعامل مع الزبائن ، لاحظ أنه يتزلف لهم كثيراً و يجاملهم بشكل كبير ، و يعاملهم باحترام فائق . و لكنه لاحظ بعد فترة أن درجة الاحترام و التعامل ليست على وتيرة واحدة ، فقد

لاحظ أن هناك زبائن معينين يحترمهم ديفيد بشكل كبير جداً و هناك زبائن غيرهم يحترمهم و لكن بدرجة أقل ، و غيرهم بدرجة أقل و هكذا . لاحظ أن الاحترام يشمل الجميع و لكن بنسب متفاوتة . في البداية لم يعرف السبب ، اعتقد أنه ربما يكونون أصدقاءه أن أقرباءه أو شيئاً من هذا القبيل ، و لكنه اكتشف فيما بعد أنه لاهذا و لا ذاك . اكتشف أن الاحترام يكون بحسب درجة الغنى و الثراء ، كان يتضايق كثيراً من تصرفات ديفيد و لكنه كان يصمت ، صحيح أن ديفيد كان شاباً طيباً ، و لكن هذه التصرفات لا تناسبه أبداً ، لماذا يفعل ذلك ؟ كان سام يتساءل . الشيء الآخر الذي أزعجه ، هو أن عدداً من الزبائن الذين كانوا يشترون من ديفيد ، كانوا يدفعون له مبلغاً معيناً و لا يأخذون الباقي بل يتركونه له . و لما سأل ديفيد عن هذا الموضوع ، وهل هو خطأ أم صواب ، قال له " هذا يسمونه بخشيش أو إكرامية وهو ليس خطأ لأنه بمحض إرادة الزبون و هو يعطيه لأنه ليس بحاجة له أو ثمناً للمعاملة التي يلقاها إلى ما هنالك " - " ولكنني ألاحظ أن كمية البخشيش أحيانا تكون كبيرة " - " هذا الأمر يعود تقديره للزبون يا سام ، و لا نستطيع نحن أن نحدد له ما يريد إعطائه " . لاحظ سام أن ديفيد لم يكلفه حتى الآن بالمبيع للزبائن و ذلك لكي يبقى البخشيش من نصيبه ، بل جعل مهمته فقط إحضار البضاعة و تعبئتها فقط ، أما محاسبة الزبائن فقد بقيت محصورة بديفيد . و لكن ديفيد لم يلاحظ أو ينتبه إلى أن سام لا يهتم بهذه الأمور كلها و لا يريدتها .

كان سام يتقاضى مرتباً لا بأس به يعادل تقريباً مرتب موظف عادي ، أما ديفيد فقد كان مرتاحاً جداً بالتعامل معه ، فسام لم يترك له أية ملاحظة بل أثبت أنه الموظف الذكي و النبيه ، و بخاصة أنه لا يتدخل فيما لا يعنيه . و بالمقابل لاحظ سام أن ديفيد شاب ذكي و غير متعال و مريح ، و لكنه يحب المال ، مع أنه أمين جداً ، وهو من النوع الذي لا يجب الكلام كثيراً و ليس من النوع الذي يجب فتح الأحاديث ، و

إذا سأله سام عن أمر ما فإنه يجيب باقتضاب ، أحس أيضاً أن ديفيد و بالرغم من احترامه له ، فإنه يريد أن تكون علاقتهما رسمية بعض الشيء .

كان عمل سام في المخزن على فترتين ، قبل الظهر و بعده ، يبدأ عمله من الساعة الثامنة صباحاً و حتى الساعة الثالثة بعد الظهر ، ثم يغلق المخزن لمدة ساعتين و بعدها تبدأ الفترة الثانية من الساعة الخامسة و حتى الثامنة مساء حيث يغادر سام و يبقى ديفيد . في أثناء الاستراحة كان يعود إلى السكن الجامعي ليرتاح و من ثم يعود إلى المخزن . في إحدى المرات عندما كان خارجاً من المخزن في أثناء الاستراحة خطر له أن يتجول في حي البرج و ألا يذهب إلى السكن الجامعي ، و فعلاً افترق عن ديفيد و أخذ يتمشى في الشوارع بين الأبنية و السيارات الفخمة ، كان المكان هادئاً جداً إلى حد الصمت . انتهى إلى ساحة صغيرة يتفرع منها عدة شوارع ، سار في إحداها حتى وصل إلى حديقة جميلة في نهاية الشارع ، دخل إليها ، كانت خالية تقريباً ، جلس على أحد المقاعد و أخذ يستمتع بالمناظر الرائعة . كانت أمامه بحيرة اصطناعية محاطة بالعشب الأخضر و الأشجار الجميلة ، أخذ ينقل بصره فيما حوله ، كان المكان يبعث على الهدوء و الراحة ، فجأة وقع نظره على بناء ضخيم خارج الحديقة ، كان شكله غريباً قليلاً و مع هذا أعجبه بناؤه " لا يبدو عليه أنه مبنى حكومي أو معهد أو ما شابه ... ما هو يا ترى ؟ شكله غريب و لكن جميل " . ثم لاحت منه التفاتة أخرى فرأى مبنى آخر ضخماً أيضاً ، كانت تقف أمامه سيارات جميلة مختلفة ، من الواضح أنه مطعم أو فندق . اخذ سام يتأمل هذه المناظر أمامه و هو يشعر بالسعادة و الطمأنينة . شارف وقت الاستراحة على الانتهاء ، نهض سام من مقعده و خرج من بوابة الحديقة و سار باتجاه المخزن ، ألقى نظرة على البناء الغريب ثم أكمل سيره . عندما وصل إلى المخزن ، كان ما يزال مغلقاً ، فوقف ينتظر خارجاً ، و بعد قليل جاء ديفيد الذي تفاجأ بوجوده " أراك مبكراً بالحيء هذه المرة يا سام !! ؟؟ " - "الحقيقة أنني لم أذهب اليوم إلى السكن الجامعي بل فضلت أن أتجول قليلاً في حي البرج هذا " . فتح ديفيد

المخزن و دخل الاثنان " هل أعجبك حي البرج يا سام " - "للصراحة ، نعم ، إنه حي جميل فعلاً " .
جلس ديفيد خلف طاولة الصندوق و شغل الحصاله الإلكترونيه ، ألقى نظرة سريعة على حساب اليوم ثم
التفت فجأة إلى سام قائلاً " سام ، أين تناولت غداءك إذاً ؟ " - " لم أكل شيئاً " - " و لكن لماذا ؟ " - "أنا
من النوع الذي لا أكل كثيراً ، في اليوم أكل وجبة أو وجبتين خفيفتين فقط " - " ولكن الطعام لا يمكن
الاستغناء عنه ، إنك نحيل أكثر من اللازم " - " هذه عادتي مذ كنت صغيراً " - " حسناً ، حسناً ، اذهب و
افتح علبة من لحم السمك أو الدجاج و معها علبة خضار " - " أشكرك يا ديفيد ، و لكن لا أشعر بالجوع
" - " و لكن يا سام وجبة الغداء أساسية و لا يجوز إهمالها " - " صدقني هذه هي عادتي منذ أن كنت
صغيراً ، معظم الأيام أكل و جبتين ، مرة أتخلى عن وجبة الإفطار و مرة عن وجبة الغداء و مرة ، العشاء ،
و معظم طعامي هو نباتي " . وضع ديفيد كوعه إلى الطاولة و أسند ذقنه إليه و نظر إلى سام قائلاً " لا
أدري يا سام ، أحياناً أحس أنك شخص غريب الأطوار " - " ربما ، ربما ، بالمناسبة يا ديفيد ، اليوم و في
أثناء جولتي في حي البرج لاحظت بناء غريب الشكل ، و لم أدر ما هو " - " أين رأيته بالضبط ؟ " - "
قرب الحديقة الواقعة في نهاية الشارع الخلفي الموازي للشارع القادم إلى هنا " فكر ديفيد قليلاً و هو يحاول
حل هذه المعادلة ثم قال " آه نعم ، الآن عرفت ، عند الحديقة حيث كنت ، يوجد نادي موسيقي ، و
يوجد في الجهة المقابلة له من الغرب فندق و مطعم في بناء واحد ، و أمامك مباشرة في الجهة الأخرى حيث
كنت تجلس يوجد على ما أظن مبنى لأحد الطوائف أو الجمعيات الدينية " - " جمعية دينية ؟ ما معنى ذلك
بالضبط ؟ " - " لا أدري بالضبط ، و لكنه على ما أظن معهد اجتماعي ديني " - " هل هو للدولة ؟ " - "
لا، لا أظن ، إنه معهد خاص على ما أظن و رئيسه هو رجل راهب متصوف ، إنه محترم جداً و له هيئته و
مكانته و نفوذه في المجتمع ، و يقدم الخير و المساعدة لكل إنسان و يهتم بإصلاح المجتمع و الأسرة و الفرد
(هكذا يقال) وله مؤلفات في هذا المجال ، و هنالك عائلات و أسر كثيرة تعتمد في مواردها عليه " - " إنه

شيء جميل في الحياة أن يكون عمل الإنسان كله في سبيل الخير (قال سام باهتمام) و لكن هل كل هذا المبني لأجل المساعدات و عمل الخير ، أو يوجد نشاطات أخرى " . طوى ديفيد شفثيه و قال بلا مبالاة " إنه حسب ما يقال يعطي محاضرات و دروساً دينية و اجتماعية و يقوم بنوع من التبشير في المجتمع و يدعو إلى الإصلاح ، و لديه أتباع و مریدون كثر و من مختلف الطوائف و الأصقاع ، حتى من خارج البلاد ، و ... يقال إنه رجل صالح و تقوي و عمله ينحصر في العبادة و فعل الخير ، و هذا كل شيء " . عاد سام في ذلك المساء إلى غرفته ، أطفأ النور و استلقى في فراشه .. وضع ذراعيه خلف رأسه و أخذ يفكر ، كانت الجمعية التي حدثه عنها ديفيد اليوم تستحوذ تفكيره ، و الشخص الذي يديرها يلهب خياله " كيف هو شكله يا ترى ، و ماذا يفعل ... كيف ماذا ؟ .. (أسئلة كثيرة دارت في مخيلته) .. آه منك أيتها العاصمة ، كل يوم يخرج منك شيء جديد ، أنت موسوعة أيتها العاصمة ... موسوعة " .

مضى شهر على وجود سام في المخزن ، كان يقضي معظم أوقات الاستراحة في الحديقة يتأمل الأشجار و الزهور و العشب الأخضر ، كان يحس براحة نفسية في ذلك المكان ، ربما لأنه يذكره بالبلدة . حي البرج كان يجعله يحس بالفارق الطبقي بين الأغنياء و المتوسطين و الفقراء ، عندما كان يمر في ذلك الحي في أثناء الذهاب إلى المخزن أو العودة منه ، كان يتذكر كلام أندريه عن الاشتراكية و هجومه على الأغنياء و الرأسماليين ، و كلامه عن الفوارق الطبقيّة ، و مع ذلك فإن هذا الأمر لم يكن قد أخذ حيزاً في تفكيره بعد ، فالشيء الذي كان يفكر فيه بالدرجة الأولى هو أسرته . عندما أعطاه ديفيد الراتب عن الشهر الأول احتفظ بربعه، و أرسل الباقي إلى حساب والده في المصرف ، كان أبوه هو من طلب منه ألا يرسل المال إليه بل أن يحوله إلى حساب المصرف " مسكين أبي (قال سام) لقد فعل ذلك كي لا يرجني في دفع المال إليه بل عن طريق المصرف لأكون حراً عندما لا أستطيع أن أسدد في يوم من الأيام " .

في المخزن بدأ ديفيد يوكل إليه أعمال الإدارة عندما تأكد من قدرته على القيام بالبيع بشكل كامل و بالأخص عندما وثق و تأكد من أمانته و نزاهته . كان ديفيد يضطر أحياناً للغياب عن المخزن ، فيأخذ سام مكانه في البيع و محاسبة الزبائن ، معظمهم كان من الطبقات الرفيعة ، كانوا بشكل عام يتوقعون الاحترام و التبجيل و المعاملة المميّزة من عمال المخزن ، منهم من كان يرسل الخدم للشراء ، و منهم من كان يحب هواية الشراء بنفسه . كان سام يعاملهم بأدب و احترام و تواضع ، و لكن من باب الأخلاق و التهذيب العام ، بعضهم كان يريد أكثر من ذلك و بعضهم الآخر يريد ثمناً أكثر من ذلك للشراء من المخزن و دفعه البخشيش ، هذه الأمور كانت بشكل أو بآخر ترسخ كلام أندريه في ذهن سام ، كانت هذه أول تجربة فعلية لسام بالحياة ، كان يحس بضيق و امتعاض شديد أحياناً بالنسبة للتعامل مع الزبائن ، كان يحس بأن هذا ليس عمله ، إنه يجب العمل ، و لكن ليس هذا النوع من العمل الذي فيه نوع من الخضوع النفسي لبعض الزبائن الأثرياء ، كان لا يعرف المجاملة معهم أبداً و يرفض البخشيش منهم بشكل مطلق . بعضهم كان ينزعج لرفض البخشيش و لا يرضى بالاحترام الذي يقدمه سام بل يريد نوعاً من الاحترام الخاص ، و هذا ما لم يكن سام ليفهمه تمام الفهم ، أو على استعداد ليقدمه . في البداية عندما استلم العمل من ديفيد ، كانت الأمور تسير على ما يرام ، و لكن و بعد فترة بدأ النفور الصامت يأخذ طريقه بين سام و بين بعض الزبائن الأرستقراطيين ، سام كان يعزي نفسه بأنه بقي شهر ونصف حتى تنتهي العطلة الصيفية و يبدأ العام الدراسي و ينتهي من هذا الوضع ، كان مشتاقاً لرؤية صديقه جان و أندريه ، و لسبب ما كان مشتاقاً لأندريه أكثر مع إن جان هو صديقه الحميم ، هل كل هذا الذي رآه في المخزن و في حي البرج هو السبب ...؟؟ ربما .

في أحد الأيام دخل أحد الزبائن إلى المخزن ، كان رجل في العقد الخامس من عمره أشيب الشعر ، هادئ الملامح و النظرات ، مع نظارة طبية أنيقة ، يبدو عليه الوقار و التهذيب ، ألقى التحية على ديفيد ، ثم أخذ يتجول في أرجاء المخزن منتقياً بعض السلع من الرفوف . كان ديفيد و سام يتناقشان بصوت مسموع . " اسمع يا سام صحيح أنه يوجد هناك مبادئ و أخلاق و قيم ، و لكن هناك أيضاً ظروف و أمور يجب أن تراعى " - " و لكن يا ديفيد أظن أنك أصبحت تعرفني جيداً و تعرف طباعي ، إنني أرفض مجرد فكرة الاستدانة أو الحصول على المال إلا مقابل شيء ، فكيف تريدني أن أقبل البخشيش " - "يا عزيزي ، يا عزيزي ، أنا أقدر مبادئك و أخلاقك ، و لكن هناك أمر لا تدركه و هو أنه عندما ترفض البخشيش من الزبائن و بخاصة إذا كانوا من المستوى الراقى ، فهذه يعدونها إهانة لهم و بالتالي لا يأتون مرة أخرى إلى المخزن ، إن هذه الأمور حساسة بالنسبة لهم جداً (قال ديفيد بعصبية ظاهرة) لقد اشتكى لي بعضهم منك يا سام ، بأنك لا تأخذ البخشيش منهم و ترفض أخذ السلع لهم إلى السيارة . البارحة وأنا مار قرب فيلا السيد هنري ، صرخ لي من الداخل و أخبرني أنه منذ فترة جاء إلى المخزن و اشترى علبة من السيجار الكوبي و قال إنك رفضت أخذ البخشيش و رفضت إيصالها إلى السيارة ، لقد أعطاك ورقة من فئة المائة و طلب منك الاحتفاظ بها ولكنك أصريت على إعادة المبلغ المتبقي ، أتدري أن المبلغ المتبقي كان يعادل ربع ثمن علبة السيجار... اسمع يا سام بالنسبة لموضوع إيصال البضاعة إلى السيارة أو المنزل ، يمكنك أن تكلف العامل بذلك ، أما بالنسبة لموضوع البخشيش فلا بد من أخذه و بخاصة من هؤلاء الذين هم من الطبقة الراقية ، إنه موضوع كرامة بالنسبة إليهم ، و على كل حال أنت خذ البخشيش و ضعه في صندوق خاص به و لا تحتفظ به لنفسك إذا أردت " - " أرجوك يا ديفيد اعفني من هذا الموضوع " . و هنا صرخ ديفيد بانفعال " إنك غريب الأطوار فعلاً ، ترفض فكرة المال رفضاً قاطعاً ، و تعده شيئاً مشيناً ، كل شخص يبدو عليه الغنى و الثراء تنظر إليه نظرات ازدراء ، تتبرع بأموالك و مرتبك لمن تعرفه و من لا

تعرفه ، تأكل وجبة واحدة في اليوم و كلها نباتية ، تتجنب قتل الحشرات في المخزن لأنه حرام ولأنه لا يجوز ... كل شيء عندك حرام ... لقد فلقنتني يا رجل قريباً سأجن حتماً " . كان الرجل ينصت للحوار و هو ينتقي بضائعه ، و لكن كلام ديفيد الأخير جعله يلتفت بهدوء و يمعن النظر بسام من فوق نظارته . نتمم سام باكتئاب " حسناً يا ديفيد ، لقد بقي نصف شهر فقط على انتهاء العطلة ، و بالنسبة للبخشيش ، عندي حل " - " ما هو؟ " - " سأخذه ، و لكن سأعطيهِ للعامل " - " ماذا؟ (قال ديفيد بارتباك) " . " أأستريد أن أستلم البخشيش من الزبائن لكي لا أخرج مشاعرهم و كرامتهم ... حسناً لك ذلك ، و لكن سأعطيهِ للعامل و بالتالي تكون قد حلت المسألة ، و هذا أقصى ما يمكنني فعله " - " حسناً ، حسناً يا سام (هدر ديفيد بصوت خافت) بقي نصف شهر كما قلت ، المشكلة أنني لا أستطيع إغضاب صديقي جان " . كان ديفيد يريد أن يأخذ البخشيش لنفسه ، كونه يعرف أن سام لن يأخذ شيئاً ، و لكنه صمت على مضض . في هذه الأثناء دفع الرجل الحساب و خرج .

في اليوم التالي عندما أغلق المخزن في أثناء الاستراحة، خرج سام كعادته إلى الحديقة ، كان متعباً و متوتراً بعض الشيء جلس في المقعد أمام البحيرة الاصطناعية يتأمل الإوز و البط و هو يسبح ، مد بصره إلى العشب الأخضر و الأشجار حوله و استرخى على المقعد " يا إلهي ، ما الذي أوقع بي في كل هذه المطبات ، أكان من الضروري يا أبي أن تستدين من المصرف (قال في نفسه) ، أكان من الضروري ترميم المنزل ، هل أنا مجبر على تحمل هذه الضغوط النفسية في المخزن " فكر في أن يترك العمل حالاً ، ولا ينتظر حتى نهاية الشهر " لا ، لا (نفص رأسه) ، لا بد من إرسال المال ، لم يبق إلا القليل فلاأتحمل " ، أخذ يتأمل الطيور و هي تسبح ، كانت الحديقة خالية تقريباً ، مد ساقيه إلى الأمام و هبط بجسمه قليلاً ، و أخذ يفكر في العمل ، في المخزن ، في حي البرج ، في الأغنياء ، فجأة خطر له سؤال ، طالما أن الأغنياء و الأثرياء هم

أشخاص سيئون و شريرون كما قال أندريه فلماذا يتغاضون عن قسم من المال كبخشيش و يتكرمون به على البائعين ؟ حاول أن يجد تفسيراً و لكنه سرعان ما انتقل إلى التفكير في أمر آخر . بعد قليل اقترب منه رجل . لم ينتبه سام له ، كان غارقاً في تفكيره وتأملاته . كان الرجل نفسه الذي دخل البارحة إلى المخزن و سمع شجاره مع ديفيد . " عفواً سيدي ، هل أستطيع الجلوس " قال الرجل بأدب . اعتدل سام في جلسته فوراً و نظر إلى الرجل مستغرباً بعض الشيء ثم استدرج قائلاً " نعم ، نعم ، تفضل " - "اسمي جاكوب ، و أنا آسف جداً لأنني قطعت عليك خلوتك ، وأتمنى ألا أكون قد أزعجتك " . أصلح سام من هندامه و قال " لا ، لا ، أبدأ اسمي سام " - "في الواقع لقد رأيتك أكثر من مرة في المخزن القريب من هنا ، و قد أعجبتني كثيراً معاملةك اللطيفة و المهذبة ، و البارحة ، تصادف وجودي هناك ، و استمعت لحوارك أنت و السيد ديفيد ، فزادني كلامك إعجاباً بك و رغبة في التعرف إليك ، هل أنت من العاصمة ؟ " - " لا ، أنا من الشمال و قد حصلت على منحة لدراسة الكيمياء في مؤسسة إلفا ، و قد أنهيت دراسة السنة الثانية ، و حالياً أعمل في ذلك المتجر لأعيل أسرتي " - " جيد جداً ، هذه شهامة منك أن تجد الوقت الكافي للدراسة و لإعالة أسرتك ، و لكن هل جو العاصمة مريح أو مناسب لك ؟ " - " في البداية واجهت صعوبات ، و لكن الآن أصبحت معتاداً على ذلك " - " و لكن حسب ما أعرف ، أن الدراسة في مؤسسة إلفا تتطلب مالاً كثيراً ، و المنحة منها ليست بالأمر السهل ، و أنت تقول الآن أنك تعيل أسرتك !!؟؟ " - " في الواقع يا سيدي لقد أحرزت المركز الأول في الدراسة الثانوية بمقاطعة الشمال كلها فتم قبولي في إلفا " . هز السيد جاكوب رأسه و نظر إلى سام بإعجاب قائلاً " رائع جداً يا سام ، هذا يزيد إعجابي بك إنك فعلاً شاب مميز " . تشجع سام قليلاً و سأل السيد جاكوب " و أنت ماذا تعمل يا سيدي ؟ " - " أنا عضو في المؤسسة الخيرية الاجتماعية التبشيرية ، و مركزها هناك ... المبنى الذي أمامنا مباشرة " . سرت رجفة في أوصال سام ، لقد كان المبنى الذي أشار إليه السيد جاكوب ، نفسه المبنى ذو الشكل الغريب و الذي

تحدث عنه مرة لديفيد . كانت مفاجأة تامة له ، و لكن كلام السيد جاكوب الرقيق شجعه على السؤال " في الحقيقة إنني طالما كنت أتساءل عن هذا المبنى عندما كنت أجلس في الحديقة ، و قد حدثني ديفيد عنه و أثار فضولي في حديثه عنه " . اعتدل السيد جاكوب في جلسته و قال " إذن ، فإنه من دواعي سروري يا أخ سام - و اسمح لي أن أحاطبك هكذا إذا لم يكن لديك مانع - من دواعي سروري أن أدعوك لزيارة جمعيتنا المتواضعة " . تفاجأ سام بالدعوة فسأل " الآن ؟ " - " و لم لا ، إذا لم يكن لديك مانع " - " لا ، بالعكس ، إنه يسعدني ذلك و يشرفني ، ولكن المشكلة أن الوقت داهمني الآن ، لقد حان وقت عودتي إلى المخزن " - " إذن ما رأيك أن تأتي باكراً في الغد " - " إنها فكرة جيدة .. في الغد قبل الاستراحة بساعة بالمناسبة ما هو بالضبط عمل جمعيتكم ؟ " - " إنها جمعية خيرية تهتم بالمساعدة الإنسانية و تتلقى التبرعات ، و تهتم أيضاً بالتوجيه الديني و الاجتماعي و تدعو إلى المحبة و التسامح و الإخاء ، و صاحبها و مؤسسها هو الأستاذ الدكتور المعلم رالف ، إنه رجل تقي و زاهد و يدعو إلى المحبة و الإصلاح ، و يقوم بالأعمال الخيرية الإنسانية و يقدم المساعدة لكل إنسان ... بالمناسبة ، إنه يهتم بالشباب كثيراً و يعدم أساس المجتمع و يسعى إلى حل مشكلاتهم ... على كل حال غداً ستتعرف على الجمعية و نشاطاتها بشكل مفصل " .

في اليوم التالي استأذن سام من ديفيد بالذهاب قبل ساعة من موعد الاستراحة و انطلق باتجاه مبنى الجمعية . أحس بشيء من الرهبة في داخله ، كيف سيكون شكل المؤسسة من الداخل ، و من سيكون فيها ؟ ، هل سيلتقي مع المعلم رالف ؟ و كيف سيكون شكله ؟ و ما هي طريقة كلامه . أسئلة كثيرة دارت في رأس سام و هو يحث الخطى بشكل متوافق مع ضربات قلبه السريعة . وصل إلى المبنى و دخل بتردد من بوابة السور الخارجية ، كان السيد جاكوب بانتظاره عند بهو المبنى الأرضي " أهلاً بك يا أخ سام في مبنى

مؤسستنا المتواضعة ، تفضل ، هذا هو مكتبي سنشرب قليلاً من القهوة ثم أعرفك على أقسام الجمعية .

جلس السيد جاكوب و سام أمام طاولة المكتب الأنيق . " أتمنى أن يكون الخلاف قد انتهى بينك و بين السيد ديفيد حول البخشيش (قال السيد جاكوب ضاحكاً) " - " نعم ، لقد انتهى منذ اللحظة التي بدأ فيها ، كنت أنت موجوداً " - " على كل حال أظن أن السيد ديفيد شاب طيب فأنا أعرفه منذ فترة ، معرفة سطحية طبعاً ، من خلال شراء بعض الحوائج " - " نعم إنه شاب طيب (قال سام) و أنا أقدر حرصه على المتجر و مراعاته للزبائن " - " قل لي يا أخ سام ، ما هو سبب رفضك للمال ؟ " . أجاب سام مفكراً " ليس رفض بالمعنى المجرد ، فأنا أعرف أن للمال قيمته ، أنت ترى ، إنني أعمل في المتجر لأجل المال ، لكي أعيّل أسرتي ، و لكن القضية هي أن المال بالنسبة لي لا يعني شيئاً ، هذا هو الموضوع ببساطة " - " إن القليلين من أمثالك يا سام يفكرون مثل هذا التفكير ، فالمال هو هاجس الناس جميعاً ، و لكن لا بد من الاعتراف بأنه ضروري أحياناً لقضاء حاجات معينة " . صمت سام و لم يتكلم . أنهى السيد جاكوب شرب قهوته و قال " و الآن بعد أن أنهينا شرب القهوة ، ما رأيك بجولة في المبنى لأعرفك على أقسامه " . نهض سام و رافق السيد جاكوب في أرجاء المبنى الذي كان متواضعاً من الداخل و لكنه ضخم . أخذ السيد جاكوب يشرح له " انظر يا سام ، هنا قاعة المحاضرات حيث يأتي مفكرون و رجال دين و مصلحون اجتماعيون ، ليحاضروا هنا و يقدموا أفكارهم و آراءهم للناس ، و هناك أمامنا مباشرة ، قاعة المطالعة و فيها كتب دينية و فلسفية واجتماعية مختلفة . و هنا يوجد السلم المؤدي للقبو حيث يتم تخزين المواد التي تشتريها الجمعية لتوزيعها على الفقراء و المحتاجين و المتشردين ، و هناك في الجانب الأيمن لحديقة الجمعية يوجد مطعم مفتوح لكل من يريد أن يأكل ، يأتي إليه المتشردون و المحتاجون ، و يأكلون بالجمان ، وهو يفتح مرتين كل أسبوع .. (صعدا إلى الطابق الثاني) .. هنا في الطابق الثاني قاعة لتعليم الأميين أو الضعفاء بالقراءة و الكتابة ، و هي أيضاً قاعة للتوجيه التربوي و الاجتماعي و مخصصة بشكل عام لأرباب

الأسر " . استرعى الأمر اهتمام سام و إعجابه فقال " و لكن ما الفرق بين القاعة في الطابق الأرضي و القاعة هنا ؟ " . أجاب السيد جاكوب بثقة " القاعة الأرضية هي للمثقفين و أصحاب الشهادات ، يأتي إليها مثقفون من مختلف الآراء و التوجهات و بعضهم يحمل شهادات أكاديمية ، و يتم النقاش حول مختلف الآراء و المواضيع ، بينما القاعة هنا هي قاعة تعليم بالدرجة الأولى و لأصحاب المستويات الثقافية البسيطة " هز سام رأسه وقال بدهشة " و جميع هذه الأمور موجودة في الجمعية هنا ؟ " - "نعم ، و لكن الأعمال تنحصر بالدرجة الأولى في المساعدات و المعونات التي تقدمها المؤسسة للمحتاجين " - " و لكن ما الهدف من قاعات المحاضرات بشكل عام ؟ " - " الهدف هو التوعية الاجتماعية ، أما المحاضرات و الندوات في القاعة الأرضية فيمكن أن تعدها نوعاً من حرية التعبير و النقاش و بوحه آخر ، وسيلة للوصول إلى الأهداف السامية و النبيلة " . صمت سام و استغرق في التفكير ، كان هذا الكلام جديد عليه كل الجدة ، أحس و كأنه في عالم غريب ، ثم من هو الدكتور رالف و كيف صنع كل هذا . كل هذه الأسئلة كانت تمر في ذهنه . قطع عليه تفكيره صوت السيد جاكوب " كأني بك يا أخ سام تقول في نفسك من هو المعلم رالف و كيف و لماذا يفعل كل ذلك و من أين له كل هذا.. حسناً سأقول لك .. إن المعلم رالف يمكن أن تعده مثلك عندما كان شاباً ، و لكن الفرق بينه و بينك ، هو أنه ولد لأسرة غنية ، و لما مات أبوه ، تم تقاسم الميراث ، و كانت حصته ، منزل العائلة و مزرعة للخيول و رصيد في البنك فقام ببيع المزرعة و حول المنزل إلى هذا المبنى الذي نحن فيه الآن ، و لهذا تراه غريباً بعض الشيء ، و اشترى بالمبلغ الذي كان معه جميع مستلزمات الجمعية ، و هو حاصل على شهادة الدكتوراه في الأدب و الفلسفة هذا باختصار شديد المعلم رالف " - " إنه إنسان رائع (قال سام بانبهار) " - " و متواضع أيضاً و إذا أردت ، ممكن أن أعرفك عليه " أجل ، أجل ، إنه من دواعي سروري " - " حسناً ، في الغد إذاً ، لأنه لن يحضر اليوم ، و الآن دعنا نعد إلى مكتبي و نكمل حديثنا هناك " .

في المساء عاد سام إلى السكن الجامعي ، كان تفكيره مشتتاً بعض الشيء ، كان يفكر في كلام السيد جاكوب و ما شاهده اليوم ، و في المخزن و بكلام أندريه و حي البرج ، أمور كلها تداخلت في تفكيره ، و تقاطعت أمامه ، لكن أكثر ما كان يثير اهتمامه و فضوله ، هو المعلم رالف رئيس الجمعية ، كان يحاول تصويره في مخيلته ، و كيف هو شكله ، و كلام السيد جاكوب عنه ، عندما فكر أنه سيقابله غداً أحس برهبة في داخله ، ظل يتقلب في فراشه و هو يفكر ، في النهاية وصل إلى مرحلة تشوش فيها فكره تماماً ، فأغمض عينيه و استسلم للنوم .

في صباح اليوم التالي ، انطلق سام إلى المخزن ، عندما كان يمر في حي البرج ، كان ينتابه إحساس بأنه غريب في بقعة مجهولة ، و وصل إلى المخزن و ألقى التحية على ديفيد ، كان هناك نوع من الجفاء الخفي قد بدأ يجد طريقه إليهم ، كل منهما شعر بذلك ، و لكن لم يشأ أحد منهما ييوح بذلك أو يظهره إلى العلن ، فأيام فراقهما أصبحت معدودة ، ولذلك عض كل منهما على نفسه ، و حافظ على اللياقة الرسمية . أتى وقت الظهر ، فانطلق سام إلى الجمعية مسرعاً ، عندما وصل أحس بالرغبة بالدخول إلى الحديقة العامة أولاً ، فدخل و جلس على المقعد نفسه الذي كان يرتاده ، تأمل المرج الأخضر و الأشجار و البحيرة و البط الذي يسبح فيها ، ف شعر أن رهبة اللقاء قد زالت عنه قليلاً ، أغمض عينيه و قطع التفكير و أخذ نفساً عميقاً ثم زفر و فتح عينيه ، نهض عن المقعد و مشى باتجاه الجمعية . دخل من السور الخارجي إلى مكتب السيد جاكوب الذي نهض مرحباً " أهلاً أخ سام ، تفضل " - " أخشى أن أكون قد تأخرت " - " لا أبداً ، المعلم رالف بانتظارنا في الحديقة ، إنه يجب الجلوس هناك ، حتى في فصل الشتاء أحياناً " - " أليس له مكتب ؟ " - " بالطبع ، هناك على اليمين ، و لكنه نادراً ما يجلس فيه ، هيا بنا " . خرج الاثنان إلى الحديقة و مشيا بين الأشجار ، كان السيد جاكوب يمشي متمهلاً و يلتفت بهدوء يمنة و يسرى و هو

يبحث عن المعلم رالف ، كان يبدو عليه من تصرفاته الاحترام لمن يبحث عنه ، كأنه مملوك يبحث عن مولاه و خلفه كان سام . هذا الأمر زرع في سام الرهبة و الخوف من جديد . بعد قليل ظهر رجل من بين الأشجار ، كان يجلس على مقعد خشبي تحت شجرة كبيرة ، اقترب منه الاثنان ، كان يبدو رجلاً كبيراً في السن قليلاً أشيب الشعر وذو لحية بيضاء مشدبة ، ينظر أمامه إلى الأرض مباشرة ، كان يبدو عليه الوقار و الهيبة . " التحية لك يا سيدي " . رفع الرجل رأسه ببطء و قال بهدوء " لك التحية يا جاكوب " . انحنى جاكوب قليلاً و قال باحترام بالغ " هذا هو سام الذي حدثتك عنه ، و الذي أنا فخور بالتعرف عليه ، و يسعدني أن أعرفك عليه " - " أهلاً و سهلاً بكما تفضلاً بالجلوس (قال المعلم رالف بصوت هادئ ناعم) كيف حالك يا أخ سام ، لقد أخبرني عنك الأخ جاكوب ، و الحقيقة أنني أنا أيضاً فخور بالتعرف إليك " - " أشكرك يا سيدي " - " لا ، لا ، كلمة سيدي هذه لا أحبها ، إنها تخفي في طياتها شيئاً من العبودية أو السيادة نادني بالأخ رالف " . أحس سام بالارتياح الشديد و زال عنه كابوس الرهبة تماماً ، فقد كان المعلم رالف يتكلم بتواضع و تهذيب شديد و كأنه يعرف سام منذ زمن طويل ، و لذلك تشجع سام و قال " لقد حدثني الأخ جاكوب مطولاً عن هذه الجمعية التي أسستها ، و لقد أثارت إعجابي و فضولي عندما دخلتها " . سال المعلم رالف بهدوء " و لماذا فضولك يا أخ سام ؟ " - " فضولي هو حول الدافع الرئيسي لإنشاء هذه الجمعية " - " إن حب الله و عمل الخير يا أخ سام ، لا يحتاجان إلى أي دافع أو سبب ، و إذا كان لا بد ، فإن هذا الدافع يكون متأصلاً في نفس الإنسان ، و يأتي من أعماق تفكيره و وجدانه ، يكون ممزوجاً مع روحه منذ وجوده " - " لا شك أن من يقوم بهذا العمل الإنساني لهو قريب من الله " - " شكراً لمجاملتك يا أخ سام ، و لكنني لا أستحق هذا الإطراء ، إنني أعد نفسي مقصر كثيراً ، و أسعى دائماً للأفضل " . كان حديث المعلم رالف ممتعاً بالنسبة لسام الذي أحس براحة كبيرة و هو يسمع كلامه ، و عندما اقترب موعد انتهاء الاستراحة ، قال " إن حديثك يا معلم رالف مريح جداً ، أه لو أن

مؤعد الاستراحة يطول أكثر ، أفكر بألا أذهب إلى المخزن وليخصم ديفيد المرتب " . و هنا تدخل السيد جاكوب " لا يا سام إن عملك أهم شيء ، فلا تهمله " - " و أين تعمل يا أخ سام (سأل المعلم رالف) - " إنه يعمل في متجر قريب من هنا ، يعمل لكي يعيل أسرته(قال السيد جاكوب) و سوف ينتهي عمله بعد مدة قصيرة ، ولا ينوي الاستمرار هناك ، و هو بحاجة إلى العمل من أجل أسرته ، فهل بالإمكان أن يعمل هنا أيها المعلم ، إذا أراد العمل" - " إن أبواب مؤسستنا مفتوحة له في أي وقت يشاء " . كان هذا العرض مفاجئاً لسام الذي قال " أشكرك من أعماق قلبي أيها المعلم رالف ، إن هذا جل ما أتمناه و لكن المشكلة في الجامعة ، أظن أن السنة الثالثة هي من أصعب سنوات الدراسة " - " كما تشاء يا أخ سام ، على كل حال أبواب الجمعية مفتوحة لك " . هنا فكر سام قليلاً ثم قال "سوف يكون هناك فترة فراغ بين تركي العمل في المخزن و بين بداية السنة الدراسية الجديدة ... فهل ... إذا لم يكن لديكم مانع أن أشارك في أي نشاط تقوم به الجمعية " - " لقد قلت لك قبل قليل يا سام ، أهلاً بك في أي وقت " . كانت فرحة سام لا توصف ، استأذن بالانصراف و غادر باتجاه المخزن . في الطريق كان يفكر " هذا هو العمل الذي أحلم أن أقوم به ، هنا أرى نفسي ، هنا أرى كياني ، هنا تتفجر عواظفي و أحاسيسي و مشاعري ، وأستطيع التعبير عنها بأكبر قدر ممكن ، يا إلهي كم هي الحياة جميلة و ممتعة ، أين كنت قبل ذلك ، فعلاً كما يقولون عندنا في البلدة إن العاصمة فيها كل شيء ... كل شيء " .

في آخر الشهر انتهى عمل سام في المخزن ، أعطاه ديفيد أجره مع مكافأة صغيرة . ودعا بعضهما بعضاً على أمل اللقاء ثانية ، خرج سام من المخزن و هو يعلم أنه لن يرجع إليه مرة أخرى . توجه إلى الجمعية مباشرة ، وصل إلى البوابة الخارجية و من هناك اتجه إلى مكتب جاكوب . " لقد أنهيت اليوم العمل في المخزن " (قال سام بفرح) - "حقاً ، المهم ألا يكون قد حصل خلاف بينك و بين ديفيد " - " أبداً فقد

سارت الأمور على ما يرام " - " أتدري يا سام ، لقد أعجب بك المعلم رالف ، و بخاصة بعد أن عرف كل شيء عنك ، عن تفوقك في الجامعة و عن أخلاقك و تعاملك مع أصدقائك و مع الناس " . أحس سام بالرضا ، فقال لجاكوب " من اليوم و حتى افتتاح الجامعة عندنا ، أي حوالي خمسة عشر يوماً سيكون لدي وقت فراغ ضائع ، وأنتم يا سيد جاكوب قلتم لي من قبل ، إنه باستطاعتي المشاركة في نشاطات الجمعية هنا ، فهل يمكنني القيام بذلك " - " طبعاً ، طبعاً ، يا سام إنه من دواعي سرورنا " - "هل يحتاج هذا الأمر إلى عضوية ؟ " - " ليس من الضروري ، و على كل حال العضوية عندنا ليست قضية صعبة " - " و لكن بالنسبة إلى المعلم رالف ، هل يقبل ؟ " - " بالطبع يا سام إنه يقبل ، ألم يقل لك من قبل إن أبواب الجمعية مفتوحة لك في أي وقت انظر هاهو قادم " . كان المعلم رالف يدخل من باب الجمعية و عندما التفت إلى مكتب جاكوب شاهد سام فدخل "إنها مصادفة سعيدة أن أرى الأخ سام هنا " . نهض سام واقفاً و صافح المعلم رالف بسعادة . أشار السيد جاكوب إلى سام و ابتسم قائلاً " إن الأخ سام قد ترك العمل في المخزن ، و هو يجب أن يشارك في نشاطات الجمعية حتى تفتح الجامعة أبوابها ، وقد سألتني إذا كان ذلك يحتاج العضوية أو موافقتك يا معلم " . ابتسم المعلم رالف و قال " أنت يا أخ سام عضو في هذه الجمعية منذ أن كنت صغيراً " . فقال سام مستغرباً " أنا !! كيف ؟؟ " - " طالما أنك تحب الله و تحب عمل الخير ، فأنت عضو في جمعيتنا ، و أنا يسعدني و يشرفني أن يكون شخص مثلك عضواً في مؤسستنا .. إن حب الله و حب الخير لا يحتاج إلى عضوية طالما أنه نابع من قلب الإنسان و صميم إرادته و ملء حرите ، و أنت فيك كل هذه الصفات ، إن شخصاً مثلك يا أخ سام يزيد الجمعية مكانة و رفعة " انفرجت أسارير سام و شعر بالخجل فقال " إنك تغمرنني بعطفك و حنانك يا سيد رالف " - " أخ رالف " - " عفواً أنا آسف " - " تستطيع يا أخ سام أن تأتي متى تشاء و تفعل ما تشاء ، وإذا أحببت أن تشارك بشكل رسمي فسوف نخصص لك مرتباً شهرياً " - " لا يا أخ رالف إن عملي سيكون خدمة للجمعية و لأجل الخير ، و

على كل حال سيكون عملي مبدئياً حتى افتتاح الجامعة و بعدها سأرى إذا كان يمكنني التوفيق بينها و بين الجمعية " - لا يا أخ سام ، إذا كانت الجمعية ستؤثر على دراستك ، فلا ، أرجوك ، إن ما يهمنا هو أن تنجح في دراستك ، أما في أوقات الفراغ ، أو الأوقات التي ترى فيها نفسك متفرغاً فأهلاً بك بالمناسبة ، قلت لي إنك كنت تعمل كي تساعد أهلك ، فرجاء يا أخ سام ، إذا كانوا بحاجة لأي مبلغ ، نحن جاهزون هنا في الجمعية " - " إنني ممتن لك أيها الأخ رالف ، عندما أحتاج فلن أتردد في طلب المساعدة منكم " - " أرجو ذلك يا أخ سام " .

عندما عاد سام إلى السكن الجامعي في الظهيرة ، توجه إلى مكتب البريد ليرسل المبلغ إلى المصرف في البلدة عن طريق حوالة بريدية و هناك أخبروه أن له رسالة . كانت من صديقه جان ، أخبره فيها أنه سيأتي قبل خمسة أيام من افتتاح الجامعة، و طلب منه أن يحجز له في الغرفة معه ، كانت فرحة سام عظيمة ، خرج من مكتب البريد يمشي في الرواق المؤدي إلى بهو الجامعة الرئيسي . أحس أنه مرتاح نفسياً ، لقد تخلص من عبء المال الذي كان يوزح فوق صدره ، و تخلص من الوضع النفسي الذي كان يعيشه في المخزن و الذي لم يكن يلائمه أبداً ، و انفتحت له أبواب التعرف على أناس قرييين منه مثل السيد جاكوب و المعلم رالف . أحس أنه قادم على سنة دراسية مريحة . فجأة تذكر أنه لم يبعث برسالة إلى أندريه ، " و لكن لماذا ؟.. ، آه تذكرت ، عنوانه ليس معي ، لقد وعدني أن يبعث لي برسالة أولاً يخبرني فيها عن عنوانه بالضبط ، و لكنه لم يفعل !! ربما يكون قد نسي ، و لكن لا يهم ، سأراه قريباً جداً " .

في اليوم التالي ذهب سام إلى الجمعية ، كان متحمساً ليشترك فيها ، كان يحس برغبة قوية تشده إلى المعلم رالف . عندما وصل ، كان المعلم رالف يلقي محاضرة في القاعة الرئيسية . كان هناك عدد من الأشخاص جالسون في القاعة ينصتون ، و بعضهم كان يدون ملاحظاته في دفتر صغير . وقف سام خارجاً ينظر إلى

الداخل ، إنه لا يعرف هل يسمح له بالدخول أو لا ، رآه المعلم رالف ، فأشار إليه بالدخول وهو يلقي محاضرتة ، . دخل سام ، إلى القاعة و هو مرتبك قليلاً ، ألقى التحية على الحضور ، ولكن لم يلتفت إليه أحد ، جلس في أحد المقاعد يستمع ، كان المعلم رالف ، يتحدث عن المجتمع و دور الفرد فيه ، بعد انتهاء المحاضرة ، بدأ النقاش بين الحضور و المعلم رالف ، كان سام يستمع إلى الأسئلة و إلى الإجابات ، و لاحظ أن الحضور هو فعلاً من الطبقة المثقفة ، و ذلك من خلال أسئلتهم ، و حتى من خلال أشكاهم و وجوههم ، و لاحظ أيضاً من أجوبة المعلم رالف لهم أنه رجل مثقف و مطلع ، كان الحوار بين الحضور ، راقياً جداً ، كانوا كلهم يتكلمون بالمصطلحات و المفاهيم العلمية و الفلسفية ، و بشكل مستطرد ، حتى إن بعض الكلام لم يستوعبه بشكل جيد ، عندها أدرك أنه بين أناس كبار ليس من مستواهم ، حتى صديقه أندريه الذي كان يعده أستاذه في البلاغة و الخطابة ، بدا له بالنسبة لبعضهم تلميذاً مبتدئاً . بعد انتهاء المحاضرة ، خرج الجميع من القاعة ، و بقي المعلم رالف مع اثنين من الحضور يتكلمون على انفراد ، خرج سام من القاعة إلى مكتب جاكوب الذي كان يدقق بعض الأوراق . " أهلاً سام تفضل ، رأيتك تدخل إلى القاعة الرئيسية ، هل أعجبتك المحاضرة ؟ " - " لم أحضرها من البداية ، و لكنها بدت لي مهمة و مفيدة ، و إن كان هناك بعض النقاط لم أستوعبها جيداً ، لقد كنت محقاً عندما قلت لي إن هذه القاعة للمستويات العالية " - " ليس كذلك بالضبط ، إنها ليست محصورة و مخصصة حتماً لفئة بعينها ، و لكن بشكل عام الذين يرتادونها ، هم كذلك ، و يمكن لأي كان أن يدخلها فعندما دخلتها أنت هل منعك أحد من الدخول ؟ " - " لا بالعكس ، حتى إن المعلم رالف أشار لي بالدخول " . لم يكده سام ينهي كلامه ، حتى دخل المعلم رالف . " هل أعجبتك المحاضرة اليوم يا سام ؟ " - " نعم أيها المعلم ، و لو أنها كانت في بعض أجزاءها صعبة الفهم علي " . ضحك المعلم رالف و قال " لا بأس يا سام ، عليك بالمطالعة و التثقف جيداً ، إن القراءة يا سام هي غذاء الروح و العقل معاً ، إن الإنسان كلما قرأ و زاد في قراءته ، كلما

تفتحت أمامه آفاق جديدة من المعرفة " أوأ سام برأسه موافقاً وقال " و لكني يا معلم قرأت الكثير من الكتب الأدبية و القصص و الروايات و ال " - " هذه لا تكفي يا سام ، إنها جيدة و لكن لا تؤهلك لتكون ملماً بالأمر الدينية و الاجتماعية ، يوجد لدينا في المكتبة هنا كتب كثيرة مختصة بهذه المجالات ، تستطيع أن تقرأها، و شيئاً فشيئاً تتكون لديك خميرة ثقافية جيدة و تستطيع المناقشة و إبداء الرأي في معظم المحافل و الجلسات " - "كلامك سليم يا معلم رالف ، و أشكرك على هذه النصيحة القيمة ، سوف أنفذها فوراً و لكنني لاحظت أن معظم الحضور هم من سويات ثقافية عليا " - " طبعاً ، طبعاً ، منهم الباحثون و منهم رجال دين ، و منهم أكاديميون ، و معظمهم حاصل على شهادات عليا " - " و لكن ما هو الغرض من ذلك يا معلم ، أقصد الغرض من المحاضرات ؟ " - "الغرض هو الإفادة و الاستفادة نعطي آراءنا و وجهات نظرنا في الحياة و المجتمع و يدون هم آراءهم و أسئلتهم ، و هذا يؤدي إلى تكوين فكرة أفضل أو مفهوم أفضل حول قضية ما اجتماعية أو تربوية أو دينية ... " - " أو سياسية " - " لا ، السياسة ، لا " . استغرب سام هذا الرد من المعلم رالف الذي تابع قائلاً "إياك يا سام أن تقع في مطب السياسة ، ليس لأنها مخيفة أو ما شابه ، و لكنها ليست هي الأساس و ليست هي المشكلة ، إن الأساس يا سام هو المجتمع ، المشاكل الاجتماعية هي الأساس و ليس السياسية ، السياسة مظهر مخادع يا سام ، و المشاكل السياسية هي وهم للذين يتوهمون أنها مشاكل و يحاولون إصلاحها أو انتقادها ، إنها سراب ، إنها وهم لا وجود له ، المشاكل الاجتماعية هي الأساس ، الذهنية و العقلية هي الأساس يا سام .. انتبه لهذا الكلام جيداً يا سام ... هذا الكلام يعرفه القلة فقط على كل حال بالنسبة للعمل هنا سيطلعك الأخ جاكوب على التفاصيل ، أما أنا فإنني مضطر للاعتذار منك يا سام ، هناك ضيوف بانتظارني في المكتب ، و سوف أراك لاحقاً " . انصرف المعلم رالف و بقي كلامه مستحوذا على تفكير سام ، كان يقلبه من وجوهه كلها و يفكر فيه " المعلم رالف شخص يأسرك بكلامه حقاً (قال سام في نفسه) منذ أن تعرفت عليه و إلى الآن لم

يتكلم كلاماً عبثياً لا معنى له بل كل كلامه دقيق و موجه و مليء بالمعاني و العبر " . قطع عليه تفكيره صوت السيد جاكوب " حسناً يا سام ماذا تحب أن تعمل ؟ هل تريد العمل في مجال التبرعات أو في مجال المكتب هنا أو في مجال التوعية الاجتماعية و الدينية ؟ " . أطرق سام برأسه إلى الأرض ثم قال " بالضبط لا أعرف ، اختر لي أنت " - " حسناً ، أظن أن ما يناسبك ، هو مجال التبرعات أو العمل الإداري هنا في المكتب باعتبارك مبتدئاً ، فماذا تفضل ؟ " . صمت سام مرة أخرى يفكر ثم قال " أظن أن مجال التبرعات يناسبني أكثر " - " حسناً ، إذاً .. اسمع يا سام ... إن المؤسسة هنا توزع كل فترة على الناس المحتاجين و الأسر الفقيرة مواد التبرع و هي ، ثياب صوفية و شتوية ، ألبسة داخلية ، أحذية ، و هذه المواد تعطى مرة واحدة في السنة أو مرتين حسب الظروف .. و هناك المواد الغذائية أيضاً و هي الزيت و السكر و الشاي و بعض الحبوب و المعلبات و الحليب المجفف الذي يعطى فقط للأسر التي لديها أطفال رضع تقل أعمارهم عن السنة و النصف ، و المواد الغذائية هذه تعطى مرات عدة في السنة ... و هناك أيضاً الأدوية و هي تعطى عند الحاجة و بناء على تقرير طبيب الجمعية ، أو تقرير طبي مصدق أصولاً من الجهات المختصة ، و هناك أيضاً تغطية تكاليف العمليات الجراحية في حالات معينة ، ولكن هذا موضوع خاص قليلاً و يهتم به المعلم رالف بالذات هذه التبرعات كلها تعطى لأشخاص مسجلة أسماؤهم و عناوينهم عندنا هنا في الجمعية ، في سجل خاص ، و عندما يحين موعد التبرعات نوزعها عليهم ، وهم على الأغلب موجودون في العاصمة و ضواحيها المجاورة (صمت السيد جاكوب قليلاً و سام يصغي إليه باهتمام بالغ ، ثم تابع كلامه) هناك أيضاً قضية ملحققة بموضوع التبرعات ، و هي قضية إضافة محتاجين جدد و ضمهم إلى قوائم و سجلات الجمعية ، و إخراج بعضهم الآخر منها " - " و لكن لماذا ؟ " سأل سام باستغراب . ابتسم السيد جاكوب و قال " تصل بهم الأمور إلى وضع يصبحون فيه غير محتاجين للتبرعات ، كأن يتمكنوا من إيجاد عمل مناسب و بالغالب نحن من نساعدهم على ذلك أو يصلوا هم إلى وضع مريح ، بشكل أو

بآخر ... لا يذهبن تفكيرك بعيداً ، فنحن لا نخرج أحداً من دون سبب أو نظلمه " - " لا ، لم أقصد ... " -
" لقد قرأت أفكارك جيداً يا سام و على كل حال لا بأس فسؤالك وجيه و في محله ... حسناً ، نعود إلى
العمل هناك أيضاً موضوع آخر ملحق بالتبرعات و هو المطعم ، حيث يأتي بعض الفقراء و المتشردين
و المتسولين أحياناً و يتناولون وجبة العشاء ثم يتصرفون ، و هناك أيضاً المجال الآخر من نشاط الجمعية ، و
هو التوعية الاجتماعية و نشر أفكار و آراء المؤسسة في المجتمع ، و هذا الأمر حالياً هو صعب عليك لأنه
يحتاج إلى مؤهلات و ثقافة و خبرة خاصة ، و لكن يمكن مع مرور الوقت إذا تابعت المحاضرات في الجمعية
هنا و قرأت الكتب الموجودة في المكتبة هنا ، أن تصل إلى هذه المرحلة ، و الآن مبدئياً طالما أنك ستبدأ
الدراسة خلال فترة وجيزة ، فلا بأس من أن تبدأ بالشؤون الإدارية هنا ، فتتعرف أولاً على نشاطات
الجمعية بشكل مفصل و تتكون لديك فكرة شاملة، و خبرة نظرية و بعدها ندخل في مجال التبرعات " - " لا
بأس ، لا بأس " قال سام بفرح و نشوة بالغين .

بدأ سام عمله في الجمعية ، كان يحس بمتعة في العمل و في جو الجمعية المحيط به ، كان يلقي المعاملة الطيبة
و الرعاية من المعلم رالف و من السيد جاكوب و من جميع أعضاء الجمعية ، و لذلك مالبت أن بدأ يشعر
بجو من الاطمئنان و الراحة النفسية ، و ما هياها لذلك ، هو الفارق بين جو المخزن الذي كان يعمل به و
الذي لم يكن يستسيغه ، و جو الجمعية المريح ، كان يقضي معظم يومه في الجمعية ، من الصباح و حتى
المساء ، حيث يعود إلى السكن الجامعي ليستغرق في النوم ، و يعود صباح اليوم التالي إلى الجمعية ، و
هكذا . كان يعمل بحماس و جد ، و يتابع المحاضرات و النقاشات في القاعة الرئيسية ، كان يشعر
بالامتعاض عندما يتذكر موعد افتتاح الجامعة ، و يتمنى في قرارة نفسه أن يتأجل لسبب أو لآخر . و لكن
قدوم صديقه جان أفرحه جداً و أزال بعض الهم ، و لكن فرحته زادت عندما أخبره جاكوب إن الجمعية

ستوزع المساعدات الشتوية على الفقراء ، و طلب منه أن يشارك بذلك "هذه فرصتك يا سام ، أظن أنك متحمس لذلك " - " نعم إنني متحمس جداً ، لطالما كنت أتمنى ذلك " - " هذا العمل سيكسبك خبرة جديدة و يعطيك دفعاً إضافياً من النشاط و الهمة " - " والمعلم رالف هل يعرف بذلك ؟ " - " طبعاً ، إنه هو من وجهني لذلك الأمر و طلب إشراكك فيه ، لا بل طلب أن تكون أنت المشرف على المهمة " - " و لكن هذه أول مرة أقوم بذلك ، وهذا يشعرني بالرهبة قليلاً " - " لا يا سام ، مثلك لا خوف عليه ، لقد تأكدت خلال الفترة التي قضيتها هنا ، أنك شاب كفوء ، و قادر على القيام بعمل يوكل إليك ، و على كل حال سيكون معك ثلاثة شبان مدربين على ذلك و سيساعدونك ، سيكون هناك سيارة شاحنة تحت تصرفكم ، العمل سهل جداً ، انظر هذه قائمة بأسماء الأشخاص الذين سيتلقون التبرعات منكم و عناوينهم أيضاً ، و إلى جانب كل شخص منهم المواد التي ستعطى له ، السائق يعرف المدينة و العناوين جيداً ، اجلس لأخبرك بالتفصيل عن كيفية العمل " .

في اليوم التالي انطلق سام في عمله الجديد ، اكتشف و لأول مرة أحياء جديدة في العاصمة ، أحياء فقيرة حول المدينة ، معظمها من الصفيح و يبدو عليها البؤس والقذارة قياساً لأحياء المدينة الراقية. العمل كان مجهداً بعض الشيء ، كان عليه أن يسلم أربعة أنواع من المواد ، و كمية هذه المواد تتحدد بتعداد الأسر المستلمة ، و كان عليه أن يدقق القوائم و السجلات التي معه في كل مرة . لقد فتحت هذه الرحلة أمام سام أموراً كثيرة ، و جعلته يدرك أن للحياة أكثر من وجه ، و أن هناك أمور و أشياء لم يعرفها و لم يشعر بها ، بالرغم من كل قراءاته و مطالعته ، جعلته هذه الرحلة يكتشف المزيد من أغوار نفسه الداخلية ، و هكذا عندما عاد في الساعة الحادية عشرة ليلاً كان مرهقاً تماماً و لكنه كان سعيداً جداً ، أحس و كأنه قام بعمل سام نبيل ، إنه بالذات العمل الذي يريده ، إنه راض الآن عن نفسه تماماً . كان المعلم رالف و

السيد جاكوب بانتظاره " أراك منهكاً يا سام ، هل قمت بالعمل على ما يرام " - "أظن ذلك ، أتدري أيها المعلم أشعر بأنني سعيد ، أشعر أن هذا هو مكاني ، وهذا هو عملي ، أحس أن الدنيا مليئة بالخير و ليس هناك مكان للشر فيها ، لقد رأيت اليوم أموراً و أشياء لم أرها من قبل ، أمور أراها لأول مرة " هز المعلم رالف رأسه و هو يتأمل سام بشيء من الغبطة و قال " دائماً يا سام الخير و الشر موجودان في هذه الدنيا ، و لكن الإنسان يستطيع بطبيعته و نفسه و إرادته أن يجعل أحدهما طاغياً على الآخر ، يستطيع أن يظهر أحدهما ، و يخفي الآخر ، و ذلك كله حسب طبيعته و تربيته لاحظ مثلاً ..أنت تقول الآن إنك سعيد جداً و أنك قمت بعمل رائع ، لماذا ؟ لأن طبيعتك هي حب الخير ، و نفسك هي نفس خيرة طاهرة نقية ، و لهذا طغى جانب الخير و الفضيلة فيك على جانب الشر و أصبحت ترى أن الدنيا بخير" .

جانب الشر فيك ... هذه العبارة استرعت انتباه سام ، فقال في نفسه " هل يوجد فيّ جانب من الشر " فجأة انتابه شعور بالخوف الشديد ، نفخ رأسه و نظر إلى المعلم رالف و قال " خلال هذا العمل يا معلم ، نسيت كل شيء ، نسيت البلدة و الجامعة و الدراسة و أسرتي و أصدقائي ، إلا واحداً اسمه أندريه ، تذكرته و أنا منهمك بالعمل ، لأنه إنسان خير أيضاً " - " و ماذا يعمل صديقك هذا يا سام ؟ (سأل المعلم رالف بدهشة و فضول) " - "إنه يدرس في الجامعة ، وهو منتسب إلى حزب الشعلة الحمراء " . تغيرت نظرات المعلم رالف و بدا وجهه جامداً قليلاً ، و لم ينبس بشفة ، بينما وقف جاكوب ساكناً أيضاً و هو ينقل بصره بين المعلم رالف و بين سام . " حسناً يا أخ سام (قال المعلم رالف) لقد قمت اليوم بعمل رائع اذهب الآن مع جاكوب ليوصلك بسيارته إلى السكن الجامعي ، لقد أصبح الوقت متأخراً و لم يعد هناك وسيلة نقل موجودة ، لك شكري و تقديري و اعتزازي ، و غداً صباحاً تراجعون ما تم إنجازه اليوم .

في الطريق سأل سام السيد جاكوب " كأي ، لاحظت أن المعلم رالف قد انزعج عندما أخبرته عن صديقي أندريه ، هل لاحظت أنت ذلك سيد جاكوب ؟ " - "لا لم ألاحظ ، و لماذا ينزعج؟ " - "لا أدري

، و لكن عندما ذكرت له حزب الشعلة الحمراء ، لاحظت عليه كأنه فوجئ أو تضايق قليلاً ، هل هناك إشكال بينكم و بين هذا الحزب ؟ " - " لا ، بالنسبة لنا نحن ، لا يوجد إشكال ، فنحن لا نتدخل بالسياسة ولا علاقة لنا بالأحزاب لا من قريب و لا من بعيد ، و أظن أن المعلم رالف قد أخبرك بهذا من قبل ، و أخبرك رأييه بالسياسة ، و لكن أنت تعرف أن جماعة هذا الحزب لا يعترفون بالدين أبداً ، و يحطون من قدره ، و نحن أساساً جمعية دينية ، و لكن أوكد لك أن المعلم رالف لا يهتم أبداً بهذه الأمور بالمناسبة هل أنت منتم إلى أحد الأحزاب السياسية " - "لا" - "لقد لاحظت عليك أنك لا تهتم بالسياسة ، فكيف تعرفت إذن على صديقك هذا " - " بالصدفة ، عندما كنت في مكتبة الجامعة ، إنه شاب طيب ، و قد تعرفت عليه منذ سنة " - " و لكن كيف استمرت صداقتكما ، طالما هو مهتم بالسياسة أو دعنا نقول أنه سياسي ، و أنت لا تهتم بالسياسة ، أو ربما أنا مخطئ " - " لا ، إنك غير مخطئ ، فأنا فعلاً لا أهتم بالسياسة ، و لكن كما أخبرتك ، هو يدرس بالجامعة نفسها ، و حصل التعارف ، على كل حال أنا كما أخبرتك يا سيد جاكوب ، لا أهتم بهذه الأمور كثيراً ، إن جل اهتمامي هو عمل الخير و التقرب من الله " - " هذا هو الصحيح يا سام ، إن العبارة الأخيرة التي قلتها هي جوهر الحقيقة وهي الأساس الذي يجب أن يركز عليه الإنسان ، و كل ماعداه هراء محض هراء ... و ستثبت الأيام لك ذلك .

الصراع الداخلي

بدأت السنة الدراسية الجديدة في مؤسسة إلفا التعليمية ، كانت فرحة سام لا توصف بلقائه مع صديقيه الحميمين جان وأندريه ، في الأسبوع الأول كان منهماكاً في أمور التسجيل و الأوراق و السكن ، أما في الأسبوع الثاني فقد بدأت الدراسة بشكل جدي ، كان المنهاج مكثفاً جداً في الفصل الأول ، و كانت بعض المواد تطبق عملياً ، كان الطلاب في تلك السنة يقضون معظم وقتهم في المخابر ، ولهذا لم يجد سام وقتاً كافياً للراحة ، أحياناً كان يلتقي مع أندريه في مطعم الجامعة في أثناء الاستراحة فيتبادلان أطراف الحديث ، ليعود بعدها إلى المخبر ، وجان لم يكن يراه تقريباً إلا في الغرفة عند المساء ، أما مؤسسة المعلم رالف ، فلم يكن لديه الوقت الكافي للذهاب إليها ، ولكنه كان يتصل من وقت لآخر بالسيد جاكوب ، و بالمعلم رالف هاتفياً . كان يومه الدراسي مقسماً إلى ثلاث فترات ، الفترة الأولى هي فترة الدروس النظرية ، و كانت تمتد من الصباح و حتى الساعة الثالثة ، و الفترة الثانية هي فترة الدروس العملية و تمتد من الساعة الرابعة و حتى الساعة الثامنة و تكون عادة في المخابر ، أما الفترة الثالثة فهي فترة المراجعة و تكون في الغرفة حيث يراجع الدروس و المواد العملية ، و معه صديقه جان ، وأحياناً نادرة كان أندريه ينضم إليهم لشرب الشاي ثم يغادر . كان هم سام هو أن يتخطى السنة الثالثة بنجاح ، وخاصة الفصل الأول ، و لهذا كان تركيزه منصباً بالدرجة الأولى على الدراسة ، في بداية السنة الدراسية حثه والده عندما اتصل معه على الدراسة و تركيز كل جهده عليها ، حتى المعلم رالف عندما كان يتصل معه كان يحثه

هو الآخر و يشجعه على الدراسة ، فشغل كل وقته بها ، كان شبه مقطوع و معزول عن العالم الخارجي ، و لهذا لم ينتبه ربما للأحداث السياسية التي كانت تحصل . لقد كان هناك موجة من الاضطرابات التي بدأت تظهر في البلاد . ذات مساء أتى أندريه إلى الغرفة و كان متوترا و غاضباً ، للتو أنهى سام دراسته ، أما جان فقد كان يفك قطع من أجزاء جهاز راديو مستعمل اشتراه من السوق ، كان الشاي لا يزال ساخناً ، عندما طُرق الباب ترك جان الترانزستور و ذهب ليفتح الباب . دخل أندريه و جلس على الأريكة المقابلة و هو يضرب ذقنه بقبضة يده ضربات خفيفة متلاحقة دون أن ينبس بشفة . نظر سام إليه مستغرباً و قال " أراك متوتراً يا أندريه " - " و كيف لا أتوتر ، إنه أمر فظيع ، ألا تسمع الأخبار " . و وضع سام كأس الشاي من يده و قال "في الحقيقة ، لا ، أنت تعرف أنني مكرس وقتي كله للدراسة ، السنة الثالثة هي أصعب سنة في الدراسة كلها " . أشعل أندريه سيجارة ، و صب لنفسه كأساً من الشاي ثم أخذ مجة من سيجارته و قال بغضب و هو يركز على أسنانه "الحكومة ستوقع اتفاقية عسكرية تسمح بموجبها بوضع قواعد عسكرية ، وقوات أجنبية " - " نعم كأنني سمعت حول هذا الموضوع (قال جان) و لكن ماهي المشكلة في ذلك يا أندريه ؟ " . ابتسم أندريه بغضب و قال " فكر جيداً يا جان ، أعرفك ذكياً و نبيهاً ، ألا ترى أن وضع قواعد عسكرية في البلاد أمر خطير ، و فيه خطر كبير على البلد ؟ " . هز جان رأسه و قال " لا أدري ، و لكنني قرأت البارحة في الجريدة لأحد الكتاب السياسيين ، أن تلك المعاهدة ستعود بفوائد اقتصادية على البلد ، لأن دول الحلف ستدفع ما يقارب مائتي مليون دولار سنوياً كإيجار أو مساعدة ، و دولتنا هي عضو في هذا الحلف ، أنا لا أهتم كثيراً بالسياسة ، و لا أعرف بالضبط وجه الخطورة في ذلك " . رفع أندريه ذراعيه في الهواء و قال وهو يبتسم مرة أخرى بعصبية ظاهرة " عزيزي جان ، أيها الكهربائي الحاذق ، انتبه إلي ... الخطورة في ذلك يا عزيزي هي أن القاعدة العسكرية ستشتمل على قواعد للصواريخ النووية ، و سيكون الميناء البحري أيضاً مكاناً للغواصات النووية ، و هذه كلها ستكون

موجهة إلى دول المحور الاشتراكي و بالذات إلى الاتحاد السوفييتي ، الذي سيوجه صواريخه النووية كرد فعل على ذلك ، إلى دولتنا تحسباً ووقاية ، و بالتالي فأن دولتنا معرضة لأن تكون مسرحاً للحروب و الدمار ، هل فهمت يا عزيزي جان (قال أندريه بابتسامة وادعة) " . كان سام ينصت إلى الحوار ، و لكنه تدخل هذه المرة قائلاً " إنني أوافق أندريه في هذه النقطة ، فالأسلحة الذرية تسبب الدمار الشامل بكافة الأحوال " . نظر أندريه إلى سام و هز رأسه موافقاً ثم عاد و حول نظره إلى جان قائلاً " يجب أن تعرف يا جان أن الأمور لا تؤخذ بظواهرها فقط ، بل يجب أن تدرك أبعادها جيداً و تعرف ما وراءها " . هز جان كتفيه وقال " ربما أنت عل حق يا أندريه ، فأنا لست خبيراً مثلك بالسياسة " . انفجرت أسارير أندريه قليلاً و قال بوقار "أعلم ذلك يا جان ، إنك شاب طيب . و لكن يجب أن يكون لك إلمام بالسياسة و بخاصة فيما يتعلق بأمور بلدك و دولتك ، يجب على كل إنسان أن يكون له ثقافة سياسية ، و لو إلى الحد الأدنى الذي يسمح بإدراك ما يحصل في العالم ، أليس كذلك يا سام ؟؟؟ " سأل أندريه و هو يحدق بسام الذي هز برأسه هو الآخر و قال بارتباك " لا أدري ، أنا من ناحيتي ، لا أهتم أيضاً بالسياسة ... و لكن لا مانع من أن يكون للإنسان إلمام و لو بسيط بها " . أوما أندريه برأسه و هو ينفث دخان سيجارته كتنين هائج و قال " ليس ذلك فقط يا سام ، بل على الإنسان المثقف أن يكون له اتجاهه و ميوله السياسي ، فلا يكفي أن يكون لديه إلمام فقط بالسياسة ، السياسة يا رفاق ، كالبحر و الإنسان كالسفينة ، فإذا لم يكن لهذه السفينة وجهة محددة ، فإنها تتوه في البحر و تتقاذفها الأمواج ، أما إذا كانت لها وجهة محددة ، فهي تسير نحو هدفها بوضوح ، ليس هذا فقط ، بل يجب أن تكون الوجهة هي الوجهة الصحيحة (و هنا شد أندريه على كلامه و زادت نبرة صوته) وهنا إما أن تقصد وجهة الرياح و العواصف (و أشار بيده اليمنى) فتتكسر و تغرق ... و إما أن تقصد بر الأمان و الاطمئنان (و أشار بيده اليسرى) فتصل سالمة غانمة " . نظر كل من سام و جان إلى بعضهما بعضاً بصمت و لم يتكلما ، و لكن بعد قليل سأل سام " و

الآن ماذا حصل بشأن الاتفاقية ؟ " أمسك أندريه بكأس الشاي ثم نظر إلى قعره و قال " هناك معارضة قوية لها من بعض الأحزاب و بخاصة من حزب الشعلة، و لن يبت بها في البرلمان قبل ستة أشهر ، إن حزبنا عازم على إطلاق مظاهرة أمام مبنى الحكومة و البرلمان " .

عندما غادر أندريه سأل جان " ما رأيك يا سام بهذا الكلام الذي قاله أندريه ؟ " استلقى سام على السرير و وضع ذراعيه خلف رأسه و قال " لا أدري ماذا أقول يا جان ، و لكن لا يجب الحكم على الأمور قبل معرفة أبعادها الحقيقية ، أليس كذلك ؟ " - "نعم ، هذا صحيح ، و أندريه له وجهة نظره أيضاً ، ألم تلاحظ كيف أشار بيده اليمنى عندما تحدث عن العواصف و الرياح ، و بيده اليسرى عندما تحدث عن السلامة و الأمان " - " لا لم أنتبه ، هل فعل هذا حقاً ؟ " - " نعم ، لقد لاحظت عليه ذلك ، أظن أنه كان يقصد الأحزاب اليمينية و اليسارية في البلد " - " ربما " - "إنه متحمس لحزبه كثيراً " - "هذا شيء طبيعي يا جان ، كل يتعصب لأرائه و أفكاره و وجهات نظره " - " ما رأيك أنت بالسياسة يا سام ؟ " - " أنا مثلك يا جان لا أهتم كثيراً ، ولكن بدأت أظن أن كلام أندريه صحيح من ناحية الإمام و الثقيف السياسي ، على الأقل يجب أن يكون هناك إطلاع و ثقافة عامة " - " ومن حيث الاتجاه السياسي ؟ " - " هذا شيء حتمي إذا أراد الإنسان التعمق في السياسة ، لأنه مضطر لأن يأخذ اتجاهاً معيناً " - " و ما رأيك بوجهة نظره و إشارته عن الأحزاب اليمينية و اليسارية ؟ " - " هذا شيء يخصه هو يا إلهي لقد تأخر الوقت ، هيا بنا إلى النوم ، غداً لدينا كم هائل من التفكير و التركيز الذهني " .

بدأ الامتحان النصفى في الجامعة ، و كان سام مستعداً له . قدم جميع موادته بنجاح كبير ، و لم تلبث أن جاءت ثمرات تعب و جهده ، عندما ظهرت نتائج الامتحان ، لقد كان معدله هو الأعلى من بين جميع زملائه ، و بذلك اجتاز أصعب مرحلة في الجامعة ، و لم يبق غير النصف الثاني من السنة الدراسية و هي

فترة صعبة أيضاً و لكنها أخف من الفترة الأولى قليلاً، كان همه الأساسي هو الانتهاء من السنة الثالثة ، و لذلك زج بنفسه في معمعة الفصل الثاني . لقد نسي البلدة و نسي أهله و من حوله . في العاصمة كانت الأوضاع متوترة ، ولكنه لم يكن يحتك بالوسط الخارجي ، معظم الأخبار كان يسمعه من أندريه عندما كانا يلتقيان أحياناً في الغرفة أو الكافتيريا . كان يشعر بالضيق من الوضع الصارم الذي وضع نفسه فيه ، و لكن تشجيع أساتذته له على المواظبة و الاستمرار كان يخفف عنه بعض الشيء و يشعره بنوع من الاقتناع و التبرير لما يفعله ، فالسنة الثالثة هي أصعب سنة في الكلية ، و النجاح فيها صعب ، و هناك الكثير من الطلاب بقوا فيها سنتين أو ثلاثة . كان شبح الرسوب يجد ذاته هاجساً مخيفاً له و سبباً لتركيز وقته كله على الدراسة . في إحدى المرات استدعاه مسؤول شؤون الطلاب إلى مكتبه ، كان هو نفسه الذي التقى معه أول مرة عندما وصل إلى الجامعة " أهلاً سيد سام ، تفضل " استقبله الرجل بترحاب و بشاشة و احترام مميز لم يخف عليه . " قل لي كيف دراستك ، لقد سمعت أنك اجتزت الفصل الأول من هذه السنة بنجاح باهر " - " نعم يا سيدي " - " إن مؤسسة إلفا فخورة بك جداً و تعدك من طلابها المميزين قل لي هل هناك مشاكل في الدراسة أو في الجامعة ؟ " - " لا يا سيدي ، فقط الإجهاد النفسي و العقلي في الحفظ " . اعتدل المسؤول في جلسته و راح يتكلم بإسهاب " هذا شيء طبيعي يا سام ، يجب أن تركز جل وقتك على الدراسة لأنها هي فقط تضمن لك النجاح في حياتك و تعطيك مركزاً مرموقاً في المجتمع ، و وظيفة تضمن لك مستقبلاً باهراً ، و لهذا يجب عليك أن تعطي تفكيرك كله لها و ليس لأي شيء آخر ممكن أن يشغلك عنها ، و أنت تعرف أن مؤسسة إلفا تكرم طلابها المتفوقين بإيجاد أعمال مجزية لهم بعد تخرجهم " - " إن هذا هو أقصى ما أطمح إليه و أتمناه ، أن أجد عملاً لائقاً يكفيني و يكفي أسرتي " - " سيحصل هذا بالتأكيد إذا استمررت في نجاحك و تفوقك و وضعت الدراسة نصب عينيك، فقط الدراسة " قال المسؤول و هو يحدق بسام الذي أجاب و قد أحس أن شيئاً ما يدور في خلد الرجل " هذا بالضبط ما أقوم به يا

سيدي " . حدق المسؤول مرة أخرى بسام بعمق و سأله " قل لي يا سام ، هل لك نشاطات أخرى غير الدراسة مثلاً هوايات معينة أو نشاطات رياضية أو اجتماعية ... أو مثلاً سياسية ؟ " . وضع سام يديه على ركبتيه و هو ينظر أمامه و قال " حتى الآن لا ، و إن كنت في الصيف الماضي قد عملت في احد المخازن التجارية و اشتغلت بعدها لفترة قصيرة في إحدى المؤسسات الخيرية " - " أهى مؤسسة المعلم رالف ؟ " - " نعم ! هل تعرفها ؟ " - " بالطبع ، إنها إحدى مؤسسة دينية مشهورة و معروفة حتى خارج البلاد " . التفت سام إلى مسؤول شؤون الطلاب و قال بشيء من الإحراج و الخجل " وكيف عرفت أنني ... كنت أعمل هناك يا سيدي !!!؟؟ " - " من باب التخمين و الصدفة ، فقط ، بالمناسبة يا سام ، لقد قابلت مديرة مدرستك في البلدة ، منذ أسبوع ، وقد سألتني عنك " - " حقاً ، أحب أن أراها ، أين هي الآن ؟ " - "أظن أنها سافرت إلى البلدة ، كان لديها بعض الأعمال في العاصمة و قد قابلتها عند أحد الأصدقاء ، و أخبرتها عن تفوقك و اجتهادك في الدراسة ، لقد سرت كثيراً بهذا و تطلب منك المتابعة على الدراسة و عدم الانشغال بأي شيء آخر " - " إن السيدة المديرة لها فضل كبير علي ، و لولاها لما جئت إلى هنا أبداً ، إنني أكن لها الكثير من الاحترام " . حدق الرجل بسام و قال " شيء جميل يا سام أن يعترف الإنسان بفضل من لهم فضل عليه ، و هذه نقطة إيجابية جديدة أسجلها لك و لكن قل لي يا سام ، ماهي الفروق التي لاحظتها بين الحياة في العاصمة هنا و بين الحياة في البلدة عندكم . فوجئ سام بالسؤال ، و لكنه سأل بدوره " من أية ناحية يا سيدي ؟ " - " من كل النواحي ... مثلاً من الحياة الاجتماعية ، الناس ، العلاقات بين الناس ، الأمور المادية و غيرها ، الوعي " . أطرق سام قليلاً يفكر ثم قال " في الواقع نعم ، لقد لاحظت أن هناك فروقاً ، فالحياة الاجتماعية في العاصمة غير مترابطة كما هو الحال عندنا في البلدة ، أي بمعنى أن كل شخص هنا في العاصمة يهتم بنفسه بالدرجة الأولى ، و لا يهتم الآخرين ، كما أن صلات القربى هي أيضاً أخف عما هو عليه في الشمال ، الناس عندنا بسيطين و طيبين

و المشاكل نوعاً ما خفيفة عندهم ، و العكس هنا صحيح ، أما الوعي ... فأظن إن الوعي الثقافي و العلمي في العاصمة، هو أكبر بكثير مما هو عليه هناك ، كون العاصمة تحوي جميع المراكز الثقافية و العلمية و الصناعية و الاقتصادية ، والناس بشكل عام مثقفون و يحملون شهادات عالية " كان مسؤول شؤون الطلاب ينصت باهتمام إلى سام و هو يضع يده على خده ، حرك رأسه قليلاً و قال " أنا لا أقصد الوعي بالمعنى العلمي البحت أو الأكاديمي ، بل الثقافة العامة أو الأدب أو السياسة مثلاً ، هل فهمتني يا سام ؟ " - " نعم يا سيدي فهمت ، ربما في هذه المجالات يوجد في الشمال أناس مثقفون في مجالات الأدب و الفلسفة و الشعر " . كان هناك نوع من لعبة القط و الفأر بين سام و بين مسؤول شؤون الطلاب الذي قال " و حتى السياسة على ما أظن فكثير من السياسيين في حزب الشعلة هم من الشمال و عددهم لا بأس به ، أليس كذلك يا سام ؟ " - " في الواقع يا سيدي أنا ليس لدي هذا الاحتكاك المباشر بالأمر السياسية ، و لكن حسب ما أسمع ، ربما يكون هذا الكلام صحيحاً ، فهناك العديد ممن يتعاطون السياسة عندنا في الشمال " نظر الموظف المسؤول إلى سام و قال مبتسماً " و أنت يا سام ، ألا تتعاطى السياسة أو تحب العمل في السياسة ؟ " - " أحبذ أن يكون لدى المرء ثقافة سياسية ، و لربما في المستقبل عندما يتاح لي بعض من وقت الفراغ ... ربما أهتم بالأمر السياسية ، و لو من باب الاطلاع ، فأنا من النوع الذي يجب أن يقرأ و يعرف كل شيء ، أما الآن فإن اهتمامي منصب فقط على الدراسة " - "رائع يا سام ، رائع ، إنك مثال الطالب المجد و المتفوق ، و تأكد أن تعبك لن يضيع سدى ، لأن مؤسسة إلفا تهتم بالطلاب المميزين لديها و تفتح أمامهم مجالات واسعة ، فلا تشغل نفسك بأمر ثانوية عقيمة تلهيك عن مصلحتك الأساسية كما يفعل بعض الطلاب الفاشلين عندنا هنا في المؤسسة ، الذين يحشرون أنوفهم في السياسة و بأمر لا تغنيهم من جوع ، بدل أن يلتفتوا إلى دراستهم و شؤونهم الخاصة ، فتراهم يتدخلون بالأمر السياسية و يقيمون الدولة و المجتمع و كأنهم فلاسفة عصرهم ، حتى في مجال الاتفاقيات التي توقعها الدولة

مع الخارج ، و منها مثلاً الاتفاقية العسكرية ، أكيد إنك سمعت بها " (قال المسؤول و هو يحدق بسام) .
" نعم سمعت (قال سام باقتضاب) " . و هنا نهض مسؤول شؤون الطلاب من خلف طاولته و راح يتكلم
و هو يمشي جيئة و ذهاباً " هذه الأمور برأبي أنها ليست من اختصاص الطلاب ، بل هناك دولة و
مؤسسات عسكرية و وزارات و برلمان هم الذين يقررون مدى فائدة هذه الاتفاقية أو تلك أو أي شيء آخر
يتعلق بالبلاد ، فأنا الآن إذا سألتني عن رأيي في هذه الاتفاقية ، أقول لك : لا أدري ، إنها ليست من
شأني " . كان كلام أندريه و تعليقه عن الاتفاقية لا يزال ماثلاً في ذهن سام ، فجرب مناقشة المسؤول به
قائلاً " و لكن يا سيدي أظن أن مصلحة البلد هي من شأن كل مواطن ، أليس كذلك ؟ " - " صحيح ،
صحيح يا سام ، معك حق في ذلك ، كلنا نحب الوطن و نسعى لفائدته و عدم تضرره ، و لكن أنا لا
أقصد هذه الناحية التي تتكلم عنها أنت ، بل ما أريد قوله هو أن الأمور التقنية و السياسية المعقدة ، هي من
مجال أهل الخبرة و الاختصاص في هذا الموضوع ، فعلى سبيل المثال ، الاتفاقية العسكرية التي تكلمنا
عنها .. أنا شخصياً لا أعرف مدى فائدتها و ضررها على الوطن بالرغم من كوني أستاذاً و مثقفاً ، ربما
أخمن تخميناً فقط ، و لكن قراري يبقى ناقصاً و في وارد الظن ، لأنه ليس لدي خبرة عميقة بالأمور
العسكرية و الإستراتيجية و لا بالصواريخ النووية أو الغواصات ، هناك خبراء عسكريون في البلد و
مستشارون سياسيون هم أدرى مني و منك و من أي مواطن عادي بهذه الأمور ، فما بالك أن يأتي طالب
عادي في الجامعة ليس له أية خبرة عملية في السياسة أو الأمور العسكرية ، و يريد أن يقيم سياسات الدول
من منظار عاطفي ضيق و سطحي و مشحون ، هل فهمت إلى ما أرمي إليه يا سيد سام ؟ " - " نعم ، نعم
، لقد فهمت " قال سام و قد أدرك بأن المقصود بذلك هو أندريه .

مضى شهران على بداية الفصل الثاني ، وبقي شهر و نصف على الامتحانات النهائية . كانت حياة سام الرتيبة هي نفسها ، الروتين نفسه و الأعمال نفسها ، و لكن الصعوبة خفت حدها قليلاً عن الماضي ، لم تعد هناك دروس عملية كثيرة ، و خفت زيارة المخابر بشكل ملحوظ ، و لكن هذه الأمور لم تكن لتثني سام عن الدراسة ، فالامتحان النهائي بدأ يقترب و يجب إملأء أوقات الفراغ تلك بالدراسة ، وهذا ما خطط له سام . الاستراحة الوحيدة التي كان يأخذها ، كانت بعد الغداء ، في المطعم حيث كان يجلس لمدة ساعة هو و أندريه يحتسيان القهوة أو الشاي ، و الحوار غالباً ما كان يدور حول الأمور السياسية و بالذات الاتفاقية العسكرية و الرأسمالية و الاشتراكية ، كان أندريه دائماً هو الذي يفتح النقاش في هذه الأمور ، أما سام فكان في الغالب يستمع و لا يعارض ، ربما لأن ثقافته في هذه الأمور ليست بهذا الحجم الكبير ، كان يعد أندريه بمنزلة مصدر مهم للثقافة السياسية ، حتى جان الذي لم يكن يهتم كثيراً بالسياسة أصبح هو الآخر يجلس معهم باستمرار و ينصت إلى كلام أندريه و لهجته الخطابية و فصاحته في التعبير . كان لدى أندريه مقدرة قوية على الإقناع أما سام و بعد أن سمع كلام مسؤول شؤون الطلاب في مؤسسة إلفا أصبح متأرجحاً بين الرفض و القبول ، و لكن عندما كان يسمع كلام أندريه عن الفقراء و الكادحين و المساواة و العدل و العمل و العمال ، يحس برغبة شديدة في الدخول إلى عالم السياسة . كلام أندريه كان يصور له السياسة عبارة عن عمل الخير و التفاني في خدمة و إسعاد الناس . في إحدى المرات كانوا جالسين في الكافيتيريا بعد الغداء ، فانبرى أندريه يهاجم الاتفاقية العسكرية ، وهنا تذكر سام كلام الموظف المسؤول في إلفا ، فقرر أن يعرف ماذا سيكون رد أندريه عليه ، فقال " و لكن يا أندريه ألا ترى معي أن مثل هذه الاتفاقيات يلزمها خبراء و مختصين ليقرروا ما إذا كانت نافعة للبلد أم لا ، فنحن المواطنين العاديين ، قد لا نكون ملمين بجميع أبعاد هذه الاتفاقيات حتى نقرر مدى نفعها أو ضررها فكلامنا ربما يكون في الإطار العاطفي فقط" . تعمد سام أن يكرر كلام الموظف لكي يرى رد فعل أندريه عليه . توقف أندريه عن شرب

القهوة ، و كأنه تفاجئ بكلام سام " هل أنت مؤيد لهذه الاتفاقية يا سام ؟ " - " أؤيد ماذا يا رجل !!؟!
إنني حتى الآن لم أسمع بهذه الاتفاقية إلا منك ، و حتى الآن لا أعرف مضمونها بالضبط ، فكيف أعارض
أو أؤيد " - " ولكن كلامك بعد كل ما أخبرتك عنها " - "دعك من كلامي ، أنا شخصياً ربما
لست مؤيداً لها ، و لكن لنفترض شخصاً من المؤيدين لها مثلاً أو شخصاً آخر حيادياً ، طرح هذا السؤال
" . حذق أندريه بعينه الحادثين بسام و ابتسم قائلاً " إذن هذا الكلام ليس كلامك ؟ " - " في الحقيقة ، لا ،
إنه ليس كلامي إنه كلام أحدهم " - " كنت أعرف أنه ليس كلامك ، لأنني أعرفك جيداً يا سام ، كلام
من هذا ؟ " - " إنه كلام مسؤول شؤون الطلاب في إلغا " . و هنا ثارت نائرة أندريه " هذا البرجوازي
اللعين ، من الطبيعي أن يتحدث و يدافع عن ... " - " دعك من هذا الكلام يا أندريه و رد على كلامه
" . قال سام بهدوء . رشف أندريه من كأسه ثم أخذ مجة من سيجارته و نفث الدخان في الهواء ، فكر
قليلاً ثم قال "من الطبيعي يا سام أنه لا يمكن الحكم على أمر ما إلا بعد معرفة جميع أبعاده و خلفياته ، و
لكن هذا الأمر لا ينطبق على هذه الاتفاقية ، لأنها واضحة و لا تحتاج إلى تفسير أو تأويل ، و خطورتها
واضحة على البلاد ... و إلا فما معنى أن تجلب صواريخ نووية و تضعها في بلادك و توجهها إلى الاتحاد
السوفييتي ، ألا يعرض هذا بلادنا إلى الخطر " - " ولكن أليس هناك خبراء عسكريون و مختصون يقدرون
هذه النواحي ؟ " - " نعم يوجد و لكن ربما يخضعون لقرارات أعلى " - " و لكنني سمعت أن هذا الأمر
سيقرر في البرلمان " . ضرب أندريه بيده على الطاولة و صاح " و هنا مكنم الخطورة" . غب سام ما
تبقى من قهوة في كوبه و قال " على كل حال هذه الأمور تبقى بعيدة عن مجالي ، إن كل همي الآن هو
أن أجتاز هذه السنة بنجاح ، لقد اقترب الامتحان النهائي و يجب أن أكون مستعداً له بشكل جيد " .

لم يمض شهر حتى بدأ الامتحان النهائي ، و عندما قدم سام المادة الأخيرة منه ، أحس و كأن حملاً ثقيلاً قد انزاح عنه ، لقد انقضت أصعب مرحلة دراسية في الجامعة كلها ، و أصبح الآتي أسهل ، فالسنة الرابعة و الأخيرة هي سنة نخصص ، و هي أسهل سنوات الدراسة . فكر سام ماذا سيفعل ، أول ما تبادر إلى ذهنه ، أهله وأسرتة ، كان يرسل إليهم نصف المرتب الذي يتقاضاه من مؤسسة إلفا ، أما في العطلة الصيفية و قد توقف المرتب ، فكان لابد من إيجاد عمل ما ، كما في السنة الماضية . و لكن و بما أن اشتياقه لأسرتة كان يستحوذ على تفكيره ، فقد قرر أولاً أن يقضي شهراً في البلدة ثم يعود إلى العاصمة لإيجاد عمل و لكن كيف سيجد عملاً ؟ خطر له المخزن الذي عمل فيه السنة الماضية ، و لكنه استبعد الفكرة فوراً ، إنه لا يريد أن يقوم بعمل هو غير مقتنع به ولا يتوافق مع مبادئه ، ولذلك قرر أن يستعين بجان مرة أخرى " هذه مشكلة بسيطة يا سام ، سأتكلم اليوم مع ديفيد لتعود إلى المخزن " - " لا ، لا أرجوك ، أريد مكاناً آخرًا غير المخزن " - " و لكن لماذا يا سام !!!؟؟ " - " العمل هناك غير مريح نفسياً " - " نفسياً !!؟؟ " (سأل جان بدهشة) هل أزعجك ديفيد بشيء ؟ " - " لا أبداً ، ولكن كما قلت لك لم أشعر بالارتياح في المرة الماضية " . أطرق جان برأسه و هو يفكر ثم قال "المشكلة يا عزيزي أنني لا أعرف غير ديفيد ، و لكن هل سألت أندريه ؟" - " لقد سألته السنة الماضية و قال إنه لا يعرف ، و سألته هذه السنة فكان الجواب نفسه " . وفجأة حدق في الفراغ ثم قال "وجدتها " . الجمعية ، نعم الجمعية ، كيف لم يخطر له هذا من قبل ، " من المؤكد أن المعلم رالف يمكن أن يساعدني في هذا الموضوع " .

في صباح اليوم التالي توجه سام إلى مؤسسة المعلم رالف ، استقبله السيد جاكوب بالترحاب الشديد " لقد اشتقنا إليك كثيراً يا أخ سام ، منذ مدة لم تتصل معنا ، دائماً يسأل عنك المعلم رالف " - " في الواقع يا أخ جاكوب كنت مشغولاً جداً بالامتحانات النهائية " - " كانت آخر مرة اتصلت فيها معنا منذ شهر

ونصف ... قل لي كيف كانت أمور الدراسة " - " الحمد لله ، كانت ممتازة ، لقد اجتزت السنة الثالثة بتفوق وأصبح الآتي سهلاً جداً ، و لذلك وابتداء من الآن سوف تروني دائماً ، لقد اشتقت للمحاضرات ، لتوزيع المساعدات في العاصمة " - " أهلاً بك يا سام في كل وقت الجمعية تفتح لك أبوابها دائماً " .

أطرق سام قليلاً يفكر ثم قال " في الحقيقة يا سيد جاكوب هناك موضوع أريد مفاتحتك به ، ولا أعرف إذا كان بإمكانكم مساعدتي " - "تكلم يا سام ، تكلم ، أنت تعرف أننا لا نبخل عليك بشيء " - أنت تعرف يا سيد جاكوب أنني في السنة الماضية كنت أعمل في المخزن الذي رأيتني فيه لأول مرة ، والسبب هو إعالة أسرتي ، وها قد جاءت العطلة الصيفية و أريد أن أعمل مرة أخرى لنفس السبب ، و لكن ليس في المخزن ، أنت تعرف لماذا ، و لكنني حتى الآن لم استطع إيجاد عمل " . هز السيد جاكوب برأسه و قال " فهمت ... المشكلة محلولة يا سام ، ستعمل هنا في الجمعية ، العمل الذي أحببته و رغبت فيه " - " عفواً سيد جاكوب ، العمل هنا في الجمعية لا أستطيع أن أتقاضى عنه أي مرتب ، لقد أحببتكم من كل قلبي ، و يكفيني سروري و سعادتي عندما أقوم بتوزيع التبرعات و جولتي بالعاصمة و أنا في السيارة الشاحنة إنه أكبر أجر لي ، أنت تعرف ذلك جيداً سيد جاكوب " - "و لكن يا سام من غير الممكن أن تعمل بلا أجر " - " سيد جاكوب ، عندما أخرج لأوزع المساعدات على الأسر الفقيرة ، و أمر على كل منزل ، أطرق الباب فيفتحون لي ، وعندما أسلمهم التبرعات و أراهم كيف تغمرهم السعادة و الدعاء لي بالتوفيق و البركة ، و أرى السعادة في عيون أطفالهم الرضع ، نعم الرضع ، لا أدري كيف أصف لك السعادة أو الشعور الذي يدخل إلى كياني ، فهل تريدني أن أقبض أجراً على ذلك سيد جاكوب " . نظر السيد جاكوب إلى سام و قال له " كم أنت قريب من القلب يا سام ، إذن أنت تريد عملاً آخر تأخذ عليه أجراً " - " بالضبط سيد جاكوب ، و لكن ليس الآن ، بل بعد شهر تقريباً ، أنت تعرف منذ سنتين لم أرى أهلي ، و لذلك سوف أسافر إلى البلدة لمدة شهر و بعدها أعود لأستلم عملي " . فكر السيد جاكوب قليلاً ثم قال

"حسناً يا سام ... سافر الآن إلى البلدة و اطمئن على أهلك و عندما تعود سيكون عمك بانتظارك " -
أشكرك من كل قلبي سيد جاكوب ، و لكن أنت تعرف ... إن عملي بالجمعية سيكون مجاناً " . ابتسم
السيد جاكوب و قال "سام الملاك ... اذهب الآن إلى البلدة ، و عند عودتك سيكون لكل حادث حديث
" - " و لكن أين المعلم رالف ، ألا يجب أن نبحث معه هذا الموضوع" - " إنه مسافر خارج البلاد لحضور
أحد المؤتمرات ، و سيعود بعد خمسة عشر يوماً ، و هو الذي سيؤمن لك العمل ، كان سيسر بوجودك
الآن لو كان هنا " .

في صباح اليوم التالي ودع سام صديقه جان و انطلق إلى البلدة ، كان أندريه قد أخبره أنه ربما يزوره في
البلدة . في القطار جلس سام يتأمل المناظر الجانبية التي تمر من أمامه بسرعة و ينصت بالاشعور إلى صوت
العجلات الرتيب ، هذه المناظر و الأصوات تساعده بشكل أو بآخر على التفكير ، كان يفكر بالسنوات
الثلاث التي مرت معه سابقاً ، لقد أثرت فيه كثيراً ، و أعطت تفكيره بعداً إضافياً جديداً ، لقد تعلم في
العاصمة أشياء من غير الممكن أن يتعلمها و هو في البلدة ، لقد كان إلى جانب الجامعة التي يدرس بها ،
جامعة أخرى علمته أموراً كثيرة ، أموراً لا تعلمه إياها البلدة أو منهاج الجامعة التدريسي ، أموراً حياتية ،
رآها و عاينها عن كتب أعطته أفقاً ورؤية جديدة ، لكنه في داخله كان يدرك أن كل هذه الأمور التي
رآها و تعلمها ، لم تغير من طبيعته شيئاً ، بل بقي كما هو . عادت به الذاكرة إلى البلدة عندما زارها قبل
سنتين ، تذكر كيف انتابه ذلك الشعور و الإحساس بالخوف من شيء مجهول . أدرك الآن أن هذا الخوف
، هو أن تؤثر فيه العاصمة ، و أدرك الآن في تلك اللحظة أن هذا الخوف قد زال تماماً و لن تؤثر به
العاصمة بعد الآن ، شعر بثقة بالنفس ، فراح يمتع نفسه بالمناظر الجانبية التي بدأت تتحول إلى اللون
الأخضر إيداناً بدخول مقاطعة الشمال . عند المغرب وصل القطار إلى المحطة الأخيرة ، و من هناك استقل

سام سيارة إلى البلدة . كان أهله كلهم بانتظاره ، و في هذه اللحظة ، لحظة اللقاء نسي كل شيء في هذه الدنيا كانت فرحة أهله لا توصف ، في البداية لم يتمعن بهم كثيراً ، لأن فرحة اللقاء طغت على كل شيء ، و لكن عندما جلسوا و أعدوا له العشاء ، لاحظ سام أن اخوته الصغار قد تغيرت ملامحهم ، أخوه الصغير أصبح طويلاً و ظهرت بعض الشعيرات على ذقنه و فوق شفثيه ، و كذلك أخته أصبحت أطول مما كانت بشكل ملموس . رتب ثيابه في الخزانة و أفرغ حقائبه ، ثم خرج إلى شرفة الحديقة في المنزل ، الشرفة التي أحبها واعتاد أن يجلس فيها يتأمل الطبيعة ، أخذ يستنشق رائحة الهواء بعمق ، الهواء المملوء برائحة الأشجار الحراجية ، و الصنوبر و الكينا و الحور ، لطالما اشتاق سام لهذه الرائحة . أحضرت الأم الكراسي من الداخل ، كانت الشمس قد غابت تماماً وراء الجبل ، نظر سام إلى الحديقة فأحس أن الأزهار و الأشجار فيها قد كبرت هي أيضاً ، بعد قليل أحضرت الأم الشاي و جلس الجميع . بادر سام بالكلام " أرى أن كل شيء هنا قد كبر حتى أنت يا أخي ، لقد تغيرت كثيراً " - " كلنا تغيرنا ماعدا أنت يا سام أنت ما زلت نحيلاً كما كنت ، لقد توقعتك أن تكون سميناً بعض الشيء " . ضحك سام و قال " أنا هكذا يا أخي العزيز سأبقى هكذا كما أنا " . بعد قليل دخل أخوة سام إلى المنزل لينشغلوا بالأشياء التي أحضرها أخوهم من العاصمة ، و بقي سام و أبوه وأمه . نظر إلى أبيه ، و أول سؤال سأله إياه "هل كان يصلكم المال بانتظام يا أبي ؟ " - " نعم يا بني كان يصل إلى المصرف الزراعي شهرياً ، فعندما كنت أذهب لآخذ إيصلاً بالقسط الشهري ، كان موظف الحسابات يجبرني انه وصلت حوالة من العاصمة " - " و لكن يا أبي لماذا تدفع أنت أيضاً يكفي ، المال الذي أرسله أنا من العاصمة و لا داعي لأن تضيقوا على أنفسكم " - " هكذا أفضل يا بني ، فعندما ندفع نحن الاثنان ، تقل مدة القسط ، لقد بقي الآن ثلاث سنوات على انتهاء القرض بدلاً من أربعة ، أنني لن أرتاح قبل الانتهاء من هذا القرض اللعين ، و لن أشعر بالأمان و الاطمئنان طالما أن هذا القرض جاثم على صدورنا.... و لكن قل لي يا سام ، كيف تدبرت أمر إرسال المال إلينا في

الصيف ؟ هل كانت مؤسسة إلفا تعطيك مرتبات في أثناء العطلة ؟ " - " لا يا أبي ، لقد عملت في أحد المخازن التجارية ، ألم أخبركم بذلك ؟ " - " لقد اشتقنا لك كثيراً يا ولدي (قالت الأم) و تمنينا لو كنت معنا السنة الماضية " . رشف الأب قليلاً من الشاي و سأل " كم ستبقى هنا في البلدة يا بني ؟ " - " حوالي الشهر " - " شهر فقط !! ؟ و لكن لماذا يا ولدي ؟ هل لديك أمور تستدعي عودتك إلى العاصمة ؟ " - " نعم يا أبي العمل ، يجب أن أعمل لكي أرسل لكم المال " - " و لكن يا بني نحن لا نريدك أن تتعب نفسك أو تشغل عن دراستك ، إننا نستطيع أن نتدبر أنفسنا " - " لا يا أبي ، ليس هناك تعب ، ألم تقل قبل قليل إنك تريد أن تنتهي من هذا القرض بأي ثمن ؟ فإذا لم نتعاون أنا و أنت ، فكيف سينتهي هذا القرض ، ثم أنت تعرف أن المال لا يهمني و لا أتضايق من أجله كثيراً " - " كما تشاء يا بني ، كما تشاء " قال الأب بنبرة تعب .

بدأت الزيارات سريعاً تأخذ طريقها إلى منزل سام ، و لكن كان أكثر من يزوره هو أستاذ الفلسفة ، كانت الزيارات متبادلة بين الاثنين ، يتحدثان عن البلدة و العاصمة و الناس ، نادراً ما كان أستاذ الفلسفة يتحدث بالسياسة ، كان يقول لسام " لقد تحدثت في الماضي كثيراً بالسياسة ، و الآن مللت و لم أعد أريد ذلك ، أحب الفلسفة و الطبيعة ، إنهما غذاء الروح يا سام ... اعشقهما يا سام ، عليك أن تعشقهما ، إنهما الأساس في هذه الحياة ، إنهما سر الوجود ، و كنه الخلود " .

في ذلك اليوم دعا سام أستاذ الفلسفة إلى منزله ، كان صديقه أندريه أخبره أنه سيأتي اليوم ، أحب أن يتعرف أندريه مع أستاذ الفلسفة ، لقد حدث كل منهما عن الآخر ، و بالتالي أصبح كل منهما متشوقاً لمعرفة الآخر . كان والد سام قد وصل منذ ساعتين من المصنع ، و لذلك عندما رأى أستاذ الفلسفة (صديقه

القديم) جالسا مع سام ، أحضر كرسيًا و انضم إليهما ، في الشرفة كان سام يحدث أستاذه عن العاصمة و عن الأحداث التي حصلت معه فيها ، بينما كان الأب منصتًا ، كان سام منهمكًا في الحديث عندما لمح من بعيد خيال شخص يقترب من الطريق الترابية المؤدية إلى المنزل ، توقف قليلاً و أمعن النظر به ... إنه أندريه ، انتفض من مكانه صائحاً " إنه أندريه ، نعم إنه هو" ، صعد إلى المصطبة و أخذ يلوح له ، ما لبث أندريه أن رأى سام بدوره فلوح هو الآخر له مسرعاً الخطى . انحدر سام مسرعاً نحو البوابة . تعانق الصديقان طويلاً ، ثم دخلا إلى حديقة المنزل " أعرفكم على صديقي أندريه ، إنه أعز صديق لي في الجامعة .. أعرفك يا أندريه على والدي ، و على صديقي أستاذ الفلسفة الذي حدثتكَ عنه . سلم أندريه على والد سام وعلى أستاذ الفلسفة ، بحرارة ، ثم جلس الجميع . " قل لي يا أندريه ، هل لاقيت صعوبة في الوصول إلى هنا " سأل سام صديقه بفرح . أجابه أندريه و هو يمسح العرق عن وجهه بمنديل كان معه " لا يا سام ، لم أجد صعوبة ، فعندما أوصلتني السيارة إلى الساحة الرئيسية ، سألت الناس هناك عن منزلكم ، فتبرع على ما أظن حوالي مئة شخص لإيصالني إلى هنا ، و لكنني اخترت أحد الصبية الذي أوصلني إلى مفترق الطرق هناك ثم أشار على منزلكم من بعيد ، يبدو أن لك شعبية كبيرة هنا يا سام ، لقد لاحظت أن الجميع يكون لك الاحترام " . و هنا تدخل أستاذ الفلسفة قائلاً " إن سام يا أستاذ أندريه من أنبل و أفضل من عرفت في حياتي ، و هنا في هذه البلدة ، يضرب به المثل بالنبل و الأخلاق ، وهذا الأمر أعرفه فيه منذ أن كان صغيراً ، كوني صديق العائلة ، و أستاذه سابقاً في المدرسة " . أوماً أندريه برأسه موافقاً و قال " إنه كذلك أيضاً في العاصمة ، وجميع أصدقائه يحبونه و يحترمونه ، و ليس له أي أعداء على الإطلاق بالمناسبة يا أستاذ ، لقد حدثني سام عنك كثيراً و عن ماضيك النضالي المشرف ، و أخبرني أنك من الرفاق القدامى ، لقد كنت دائماً متشوقاً للقائك و التحدث معك " - " أشكرك على هذه اللفتة الكريمة ، أنتم الجيل الجديد لم تعانوا كما عانينا نحن في الحزب " - " نعم ، نعم أعرف هذا ، و أنا فخور الآن لأنني أجلس في حضرة

مناضل قديم " - "أشكرك ، و لكن لست إلى هذا الحد الذي تصفني فيه.... بالمناسبة من هو المسؤول عنكم الآن في العاصمة " - " إنه الرفيق إدوارد " - " بلغه تحياتي إذا رأته " - " هل تعرفه؟؟ " - " إنه من أصدقائي القدامى كنا في قسم واحد سوياً ، كنت مسؤولاً عنه ، أرجو أن تبلغه تحياتي ، و إذا احتجت لأي مساعدة فاطلبها منه عن لساني " - "أشكرك يا أستاذ ، و سأفعل ذلك حتماً (قال أندريه) ... بالمناسبة لقد قال لي سام أنك تركت الحزب منذ فترة طويلة " - " نعم ، فعلت ذلك لأسباب صحية ، وسياسية ، لقد تعبت كثيراً و فضلت أن أعتزل السياسة ، و الآن جاء دوركم أنتم الجيل الجديد لكي تقوموا بالمهمة عنا " - " إن نضالكم القديم هو حافز لنا في العمل و لغيرنا من الشباب المجددين الخلوقين أمثال سام للانضمام إلينا ، ما رأيك أنت يا أستاذ؟ " . فكر الأستاذ قليلاً ثم قال " هذا الموضوع يخص سام بالدرجة الأولى ، و أنا لا أستطيع أن أبدي رأبي في هذه القضية " - " لا شك أن شاباً نادراً مثل سام هو مكسب كبير للحزب (قال أندريه) . و هنا تدخل والد سام قائلاً بنبرة خوف " أنا برأبي أن الدراسة في الوقت الحاضر هي أهم شيء بالنسبة لسام " - "لاشك في ذلك يا صديقي العزيز(قال أستاذ الفلسفة) و كما قلت قبل قليل إن هذا الموضوع يخص سام ، صحيح نحن لنا آراؤنا ، و لكن سام في النهاية هو الأدرى بمصلحته ، أليس كذلك يا سام إننا حتى الآن لم نسمع رأيك " - " أنا في الحقيقة كما قال والدي ... الدراسة عندي أهم شيء الآن ، و تأتي بالمرتبة الأولى ، و لكن لا بأس عندما أنتهي منها أو على الأقل يكون لدي متسع كافٍ من الوقت ، و سبب دخولي في معترك السياسة سيكون أولاً و أخيراً لعمل الخير للناس و المجتمع ، هذا هو مبدئي في السياسة " - " هذا هو الرأي الصائب " قال أستاذ الفلسفة . نظر أندريه إلى أستاذ الفلسفة و قال له " بالمناسبة يا أستاذ ، كيف تقيم الوضع الآن في ظل اتفاقية الصواريخ النووية التي قد توقعها الدولة؟ " - " في الحقيقة إن الوضع حرج جداً ، و يجب على الحكومة التروي في ذلك كثيراً " . نظر أندريه إلى سام مبتسماً و قال لأستاذ الفلسفة " لقد حصل جدال بيني و بين سام في

ذلك ، فسام يقول إن القرار في ذلك يعود لأهل الخبرة و الاختصاص وهم الذين يقررون ذلك و ليس عامة الشعب " - " إنني لم أقل ذلك يا أندريه فلماذا هذا الافتراء " - " أعرف أن مسؤول الطلاب في مؤسسة إلفا هو الذي قال لك ذلك ، و لكن دعنا نسمع رأي أستاذ الفلسفة" صمت أستاذ الفلسفة قليلاً ثم قال " أنا أرى أن هذه الاتفاقية تشكل خطورة على البلاد و أنه لا داعي لها من الأساس ، و السبب في ذلك ، أنها ستكون موجهة ضد الاتحاد السوفييتي أو منظومة الدول الاشتراكية ، و الاتحاد السوفييتي لديه صواريخ نووية أيضاً ، فإذا قامت أي حرب عالمية جديدة فهذا يعني أن بلادنا ستكون معرضة للضربات النووية ، أما بالنسبة إلى رأي أو فكرة أن هذا الموضوع هو من اختصاص أهل الخبرة و الدراية ، فأنا أقول إن خطورة السلاح النووي على الإنسان و كوكب الأرض ، لا يحتاج إلى أهل خبرة أو اختصاص ، فكل الناس ، كبيرهم و صغيرهم ، يدرك خطورة هذا السلاح " . استمرت المحادثات بين أستاذ الفلسفة و أندريه و سام ، أما الوالد الذي كان ينوي كعادته الذهاب للنوم ظهراً ، فقد أجل نومه و جلس ينصت للشرح و التعليق . بعد ساعة خرجت والدته سام لتعلن أن الغداء جاهز ، استأذن أستاذ الفلسفة بالانصراف ، فألح عليه سام وأبوه بالبقاء ، و لكنه اعتذر قائلاً " إنني مضطر للعودة إلى المنزل ، و أنا أدعوكم بعد الغداء إلى كأس من الشاي في منزلي ، إنه يقع في أعلى البلدة أنظر إليه يا سيد أندريه إنه هناك " . ابتسم أندريه و قال " بالتأكيد سنفعل أيها الرفيق ، ولكن ليس من أجل كأس من الشاي ، بل من أجل كأس ويسكي معتق كعتقك أنت في الحزب " . ضحك أستاذ الفلسفة و قال " منذ مدة طويلة لم أتناول المشروبات الروحية ، لقد كادت أن تودي بمعدتي و كبدي في يوم من الأيام ، و على كل حال سأجلب لك قارورة ويسكي كاملة من أجلك يا سيد أندريه ، و لكن انتبه ستشربها أنت وحدك ، أنا بانتظاركم ، إلى اللقاء " .

بعد الغداء انطلق سام وأندريه إلى منزل أستاذ الفلسفة ، أما الوالد الذي لم يعد يستطيع فتح عينيه ، فقد استلقى على الأريكة و غط في نوم عميق . في الطريق قال أندريه " أتدري يا سام ، لقد أعجبت كثيراً بأستاذك ، إنه مثقف جداً و واسع الاطلاع ، وأكثر ما أعجبنى فيه ، هو أنه يستخدم الفلسفة في عرض آرائه ، لقد كنا نتحدث بالسياسة ، و لكنني وجدت بعض الملامح الفلسفية في كلامه ، كما أعجبتني أيضاً طريقتة الهادئة الرزينة في الكلام ، إن شخصاً مثله يستحق التقدير " . اقترب الاثنان من منزل الأستاذ ، كانت الدرب الأخيرة المؤدية إلى المنزل ضيقة ووعرة قليلاً ، بذل الاثنان جهداً ملحوظاً في الصعود ، وبعد قليل أطل الأستاذ من الشرفة " أهلاً و سهلاً ، تفضلوا ، أراكم تلهثون من التعب " . وقف أندريه قليلاً و هو يلتقط أنفاسه و قال " إن دربك يا أستاذ و عرة ولسنا متعودين عليها " - " ربما أنت كذلك يا أندريه (قال الأستاذ) و لكن سام سام الذي كان يأتي لزيارتي مرتين أو ثلاث في الأسبوع و يجتاز الدرب كالغزال " . نظر سام هو الآخر إلى الأستاذ و قال و هو يلتقط أنفاسه " لقد أثرت فيّ العاصمة يا أستاذ ، سنتان متواصلتان من دون حراك تقريباً أليس كذلك يا أندريه " - " نعم ، نعم يا أستاذ و بالذات هذه السنة ، لقد أمضاها إما في غرفته و إما خلف مقاعد الدراسة أو خلف طاولة المخبر " هز أستاذ الفلسفة رأسه و هو يضحك و قال " إن جسم الإنسان إذا ألف و اعتاد على وضعية معينة ، فإنه يجد صعوبة في تغييرها ، و لكن أنت يا أندريه يجب أن تكون معتاداً على ذلك ، أنت من الشمال " . هز أندريه رأسه موافقاً و قال " و لكن المشكلة يا أستاذ أن بلدتي تقع في منطقة كلها عبارة عن سهول متدرجة ، إننا في الشمال الشرقي من الشمال " . أحضر الأستاذ الشاي و الويسكي معاً ، و بدأ الثلاثة يتجادبون أطراف الحديث . صب أندريه كأساً ثانية من الويسكي و أخذ يتأمل المنظر الطبيعي أمامه بإعجاب قائلاً " إن إطلالة منزلك يا أستاذ رائعة جداً ، لعلها هي التي توحى إليك بتلك الأفكار الفلسفية " - " ربما أنت على حق يا أندريه (قال الأستاذ) هذه المناظر توحى بالفعل للإنسان بأشياء كثيرة " . أشعل أندريه سيجارة و قال " من الناحية الفلسفية ،

كيف تقييم أو تفسر انضمام الإنسان إلى اتجاه أو حزب سياسي معين يا أستاذ؟ " أشعل أستاذ الفلسفة هو الآخر سيجارة و نفث دخانها ، ثم نظر إليه و هو يتطاير في الهواء و قال " إن أي إنسان يا أندريه عندما يتخذ موقفاً أو اتجاهاً معيناً ، فإن ذلك برأبي يكون منطلقاً من ثلاثة عوامل : أولاً العامل النفسي أو الداخلي ثم العامل الخارجي ، ثم الحدث الآني الذي يحصل في لحظة معينة و يجبرك على اتخاذ هذا القرار أو الموقف ، فإذا أخذنا قضية الانتماء السياسي إلى حزب معين ، فإن ذلك يرتبط بهذه العوامل الثلاث ، العامل النفسي أو الداخلي أي أن طبيعتك الداخلية و سيكولوجيتك و طباعك الموروثة تلعب دوراً بارزاً في تحديد انتمائك السياسي ، فإذا كنت بطبعك تحب الخير لغيرك و تؤمن بالمساواة مع غيرك من الناس و تحب التعاون ، فإنك تكون مؤهلاً لتبني الاتجاه السياسي الذي يناسب هذه الطباع ، ثم يأتي العامل الآخر و هو العامل الخارجي ، أي الأحداث الخارجية التي تحدث أمامك سواء في محيطك أم في بلدك أم العالم ، فأنت عندما ترى مثلاً المجاعة في إفريقيا أو غيرها من البلدان الفقيرة و ترى الترف الحاصل في البلدان الرأسمالية الغربية ، فإن ذلك يدفعك إلى تبني الموقف الاشتراكي إذا كنت في البلدان الفقيرة ، و يدفعك إلى تبني الموقف الرأسمالي إذا كنت في البلدان المتطورة الراقية ، كل حسب رأيه و قناعته بصوابية هذا الاتجاه أو ذاك ، و هذان العاملان أو الدافعان ، هما سببان غير مباشرين ، ثم يأتي العامل الثالث و هو الحدث الآني الذي يحصل معك أو يصادفك ، و قد يتمثل بحرب مثلاً كما حصل معي أنا أو قضية معينة كالاتفاقية العسكرية التي يتكلمون عنها في البلد و هذا سبب مباشر " . رفع أندريه كأسه في الهواء و قال " إنه تحليل رائع يا أستاذ ، وأنا أرى أن هذا الكلام معقول جداً ما رأيك يا سام بهذا الكلام " . هز سام كتفيه و قال " إنه كلام معقول " . نظر إليه أندريه و قال " يعني إنك إذا اخترت انتماءك السياسي ، هل ستحدد هذه العوامل الثلاث طبيعة انتمائك؟ " . هز سام مرة أخرى بكتفيه و قال " ربما " - " إذن اسمح لي يا صديقي العزيز (قال أندريه) أن أقول لك إنه حان الوقت لكي تحدد انتماءك السياسي " - " الآن؟ " - " ليس الآن ،

في هذه اللحظة ، و لكن ابتداء من الآن .. ما رأيك بهذا الكلام يا أستاذ" . نظر الأستاذ إلى سام وقال " برأبي الشخصي أنه لا يوجد هناك شيء يمنع سام من الدخول في العمل السياسي ، إنه شاب ناضج و عاقل و محبوب و مثقف و يمتلك الأرضية التي تخوله الانخراط في العمل السياسي ، و أنا لا أرى مانعاً من ذلك سوى الدراسة فقط " - " كأنني لاحظت أن والدك يا سام يمانع انخراطك في العمل السياسي فلماذا ؟ " - " في الحقيقة يا أندريه هو يريدني أن أنهي دراستي و أتفرغ لعملي ، و بحسب رأيه إن السياسة كلها كلام فارغ ولا يأتي منها إلا المصاعب و المتاعب " . وضع أندريه كأسه و قال " يجب أن تعلم يا سام أن السياسة هي سلاح ذو حدين ، فهي إما أن تكون لخير الناس و المجتمع ، و إما لضرر الناس و المجتمع ، و لقد أعجبني مبدؤك حول السياسة عندما قلت أنك ستدخلها فقط لخير الناس ، وهذا الأمر زاد من إعجابي بك ، فلا مانع و الحالة هذه أن تعمل في السياسة لأجل الناس و خيرهم ، لأنك صاحب ضمير و مبدأ " . لاحظ أستاذ الفلسفة إلحاح أندريه على سام ، فقال مرة أخرى " و لكن أعود و أذكر ، إن هذا الأمر من اختصاص سام لوحده ، هو الذي يقرر ، و أنا شخصياً نصحتته ذات مرة بالفلسفة" - "على كل حال فكر يا سام و اتخذ القرار الذي تراه مناسباً " قال أندريه و هو يجرع آخر ما تبقى في كأسه .

كانت الشمس قد بدأت تغرب عندما ودع سام صديقه أندريه في ساحة البلدة ، و انتظره حتى صعد إلى السيارة ، ثم قفل عائداً إلى منزله . عندما وصل كان أبوه قد غادر إلى المصنع، طلب من أمه كأساً من الشاي ، و خرج إلى الشرفة يفكر ، كان كلام أندريه دعوة واضحة له للانضمام إلى حزب الشعلة ، أما كلام أستاذه فقد كان غامضاً بعض الشيء ، صحيح إنه لم يمانع عملياً من دخوله في عالم السياسة ، و لكن أيضاً لم يشجع هذا التشجيع الكافي ، ليس هذا فقط ، بل إنه اتخذ موقفاً حيادياً بين الاشتراكية و

الرأسمالية ، ربما أندريه لم يلاحظ ذلك ، و لكن هو لاحظ ، قرر أن يتكلم مع أستاذه في هذا الأمر ... و الآن . وضع كأس الشاي من يده وبدل ثيابه ، و انطلق إلى بيت أستاذه .

في الشرفة المطلة على البلدة كلها ، جلس أستاذ الفلسفة صامتاً ، يديه على ركبتيه و وجهه على يديه ، و سام واقف أمامه ينظر إليه هو يلهث من التعب " إنك الآن يا سام تمسكني من المنطقة الأكثر إبلاماً و وجعاً لي ، لقد قلت لك في السابق على ما أظن ، ما معناه أن الشيء الذي يقنع الناس أكثر هو الصواب الاشتراكية يا سام و الرأسمالية هما شيء واحد ، و كل منهما يسعى للهدف ذاته مع فرق بسيط ، هذه تذهب من اليسار ، و هذه تذهب من اليمين ، و يبقى الأمر في النهاية هو القناعة الشخصية ، من المستحيل أن تقنع مواطناً في الدول الغنية يعيش مرفهاً و تؤمن له الدولة كل شيء ، أسمع .. كل شيء ، كل ما يحتاجه ، حتى العدالة و الحرية ، من المستحيل أن تقنع هذا المواطن بالاشتراكية ، و هو يرى كيف تعيش دول المنظومة الاشتراكية ، يقال أن هناك تغيرات بدأت تحصل في الاتحاد السوفيتي لا أدري أظن أن الدنيا كلها تتغير المهم يا سام لقد قلت لك من قبل ... عليك بالفلسفة و إذا كنت تحب السياسة و ترى نفسك فيها فادخلها ، المهم أن تختار أنت ما تراه مناسب لك " - " و لكن بما تنصحني أنت يا " - " آسف يا سام ، لا أريد أن أتحمل وزر هذه الخطيئة ، و في هذه الظروف بالذات ، لا أريد أن أوجهك في طريق ، أنا لم أعد أعرف أين يسير " . عاد سام إلى بيته في الليل و هو مشتمت الذهن ، لم يدر لماذا أحس أن الطريق في المنحدر كان أصعب منه بالصعود ، مع إن العكس هو الصحيح . " يجب أن أعود إلى العاصمة ، إلى المعلم رالف ، هناك أحس بالأمان أكثر" قال في نفسه .

انقضى الشهر ، و استعداد سام للعودة إلى العاصمة ، في ذلك الصباح جهز حقائبه و انطلق إلى المحطة برفقة أهله ، و هناك ودعهم واحداً ، واحداً " لا تقلقوا من أجلي (قال لهم) هذه السنة يقولون أنها من أسهل السنوات كلها ، من يدري ربما أراكم في فترة قريبة جداً ، اعتنوا بأنفسكم جيداً ، و أنت يا أبي لا تقلق سأرسل المال بانتظام ، أراكم بخير ، إلى اللقاء " . صعد سام إلى العربة ، و ما هي إلا دقائق ، حتى انطلق القطار نحو العاصمة . لم يشعر هذه المرة بالحزن ، لم يحس أنه ذاهب إلى الجحيم ، و لم ينتابه شعور بالكآبة ، بل على العكس ، كان يشعر بالفرح و السعادة ، لقد تحولت المناظر الجانبية في القطار من ألوان قاتمة باهتة كئيبة إلى ألوان زاهية متحركة ، و الصوت الرتيب الكئيب لعجلات القطار ، تحول إلى سيمفونية فرح راقصة . لماذا هو سعيد هكذا ، هل لأنه سيقابل المعلم رالف ، هل لأنه سيتدبر له عملاً ، أو لأنه سيقوم بجولاته على أحياء المدينة الفقيرة و يوزع المساعدات و التبرعات ، أو ربما لأن السنة القادمة هي سنة مريحة له . أخذ يسأل نفسه و يفكر ، كان أستاذ الفلسفة هو من علمه هذه العادة " دائماً يا سام ، إذا كنت سعيداً أو حزيناً ، أسأل نفسك لماذا ؟ لماذا أنا حزين أو سعيد ، إنه أول تمرين فلسفي لك في هذه الحياة ، تعلمه و أتقنه ، فهو مفيد لك " . هذه المرة لم ينام كعادته ، بل ظل مستيقظاً حتى وصول القطار إلى العاصمة . عندما وصل في المساء ، نزل بنشاط من العربة ، واستقل سيارة تاكسي و انطلق نحو السكن الجامعي ، حيث كان قد حجز غرفة قبل ذهابه إلى البلدة . و هناك قام بتوضيب ثيابه و أغراضه في الخزانة الخشبية ، كانت غرفته في الطابق العاشر ، وقف أمام النافذة و أخذ يتأمل العاصمة ليلاً . " ترى هل عاد المعلم رالف من الخارج ؟ و هل أمن لي عملاً ؟ ترى ما هو هذا العمل ؟ هل هو في مخزن آخر ، أم في شركة ، أم في ورشة ، أم ماذا ؟ ، هل ... هل ... هل ... يا إلهي لقد تعب ذهني من الأسئلة ... تعال يا فراش الجامعة ، أنت من سأفكر فيه الآن " .

في صباح اليوم التالي توجه إلى الجمعية ، و الفضول يملئ قلبه و عقله و السعادة بادية عليه . و صل إلى الجمعية و دخل ، بالصدفة كان المعلم رالف جالساً في الحديقة و معه السيد جاكوب . " سام أيها العزيز ، لقد اشتقت لك كثيراً " . تعانق سام و المعلم رالف و السيد جاكوب ، ثم جلسوا يتحدثون عن الدراسة والبلدة والجمعية ، وبعد المجاملات و تجاذب أطراف الحديث ، قال المعلم رالف " لقد أخبرني الأخ جاكوب أنك تبحث عن عمل " - " نعم أيها المعلم إنه كذلك ، لقد أخبرت السيد جاكوب عن السبب ، وهو أنني مضطر لأعيل أسرتي ، و بخاصة في تلك الفترة حيث اقترض والدي مبلغاً مالياً من البنك ، و هو مضطر للتسديد شهرياً ، و لذلك أنا مضطر للعمل كي أخفف عنهم العبء ، كان يجب أن أكون الآن معهم في البلدة ، وليس في العاصمة" . ابتسم السيد جاكوب و قال للمعلم رالف " سام يريد العمل في الجمعية مجاناً ، و هو مصر على ذلك يا معلم ، لقد حاولت معه كثيراً و لكنه أبى إلا أن يعمل مجاناً " . اطرق المعلم رالف برأسه إلى الأرض أمام قدميه ، و قال بصوت هادئ " إنك يا سام ، ملاك .. ملاك حقيقي ، و مؤسسنا هذه ، لها الفخر و الشرف أن يكون فيها شاب مثلك ، إنك و سام تعلقه المؤسسة على صدرها ، و لا أقول لك ذلك مجاملة ، بل بكل جدية ، لقد سمعت عنك الكثير بالإضافة لمعرفة بك ، على كل حال ، لا بأس ، بالنسبة إلى عملك خارج الجمعية هو أيضاً جاهز " . انفرجت أسارير سام و قال بفرح " أشكرك من كل قلبي يا معلم ، ولن أنسى لك هذا الجميل أبداً " . أبقى المعلم رالف رأسه منحنيًا يتأمل التراب أمام قدميه الممدودتين و تابع كلامه بهدوء " لقد أخبرني الأخ جاكوب أن عملك الصيف الماضي لم يكن مريحاً لك ، و لهذا سننتقي لك عملاً يناسبك ، هنالك خيارات عدة ، سننتقي لك أفضلها من الناحية المادية و النفسية ، و خلال أسبوع من الآن ستباشر عملك " . لم تسع الفرحة سام الذي قال " أشكرك مرة أخرى يا معلم ، أنا عاجز عن التعبير ، و لا يسعني إلا أن أقول شكراً

جزيلاً لك ، بالمناسبة هل يمكنني العمل في الجمعية من الآن " - " الآن و غداً و في أي وقت ، هذه الجمعية يا سام هي جمعيتك ، و أنت عضو فيها ، فلا تسألني هذا السؤال مرة أخرى " .

بدأ سام عمله في الجمعية ، كان يقضي معظم يومه فيها ، يستمع إلى المحاضرات التي تلقى في القاعة الرئيسية أو يساعد جاكوب في تنظيم الأمور الخيرية ، و لم يمر أسبوع ، حتى أخبره السيد جاكوب أن المعلم رالف يريد في الحديقة . ترك سام الأوراق التي كانت بيده و ذهب إلى حديقة الجمعية ، عندما وصل ، كان المعلم رالف يجلس على أحد المقاعد و بجواره جلس رجل أشقر في الأربعينيات من عمره حليق الوجه ، أخضر العينين هيئته جميلة و يدل وجهه على البشاشة و الحبور و الوسامة ، كأنه عارض أزياء . "أهلاً سام ، تفضل بالجلوس " قال المعلم رالف . جلس سام على المقعد الذي كان بشكل حرف L ، قبالة المعلم رالف و الرجل و قد بدا عليه الارتباك قليلاً " أعرفك يا سام على الدكتور بروكلمان ، أخصائي في علم النفس ، وهو من رواد الجمعية عندنا ، لقد كلمته عنك ، وهو موافق أن تعمل عنده في العيادة " . فوجئ سام بالرجل ، لقد خطر بباله كل شيء ، إلا أن يكون هذا الرجل دكتوراً في علم النفس ، فكر قليلاً وقال " و لكنني لا أملك خبرة في الأمور الطبية " . ابتسم المعلم رالف و قال " أعرف ذلك يا سام ، و لهذا سيشرح لك الدكتور بروكلمان طبيعة العمل ... تفضل دكتور " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام مبتسماً ثم قال " في البداية يسعدني التعرف إليك يا سيد سام ، و أتمنى لك النجاح و التوفيق ، عملك عندي هو سهل للغاية ، وطبيعة العمل هي كسكرتير المكتب ، أي فقط استقبال المرضى و إدخالهم و تسجيل أسمائهم ، و حجز المواعيد و تلقي الاتصالات الهاتفية في حال غيابي ، عملك هو إداري محض ، و سيكون دوامك بعد الظهر من الساعة الخامسة و حتى الساعة التاسعة كحد أقصى ، حسب تواجد المرضى .. سأدريك أنا على كيفية العمل في اليوم الأول ، و بإمكانك المباشرة من الغد إذا أحببت ، و هذا هو العنوان " مد

الدكتور بروكلمان يده إلى جيب قميصه و أخرج بطاقة صغيرة أعطاها لسام الذي أخذها قائلاً " أشكرك كثيراً يا دكتور و لن أنسى هذا الجميل طوال حياتي " . و هنا علق المعلم رالف " أظن يا سام أن هذا العمل مناسب لك تماماً و من كل النواحي ، الدكتور بروكلمان هو صديق عزيز ، و هو إنسان طيب جداً و محترم و مثقف ، وستسر كثيراً بالتعامل معه " .

في اليوم التالي ذهب سام إلى العنوان الذي أعطاه إياه الدكتور بروكلمان ، كانت العيادة في وسط العاصمة تقريباً ، وصل إلى مبنى حجري مؤلف من ثمانية طوابق كانت عيادة الدكتور في الطابق الثالث ، طرق الباب ودخل ، كانت غرفة الانتظار خالية ، و لا يوجد أحد .. اقترب من باب غرفة الدكتور الذي كان مفتوحاً قليلاً ونظر إلى الداخل فرأى الدكتور بروكلمان خلف الطاولة ، يقرأ في كتاب ضخيم ، كأنه مرجع أو شيء من هذا القبيل ، فنقر بيده نقرة خفيفة على الباب . " أهلاً و سهلاً سيد سام ، تفضل " . وضع الدكتور بروكلمان الكتاب من يده ، و انتزع نظارته الطبية الدائرية و وضعها على الكتاب بطريقة هادئة و أكمل " لقد أخبرني المعلم رالف عنك يا سام ، وفي الحقيقة أنا معجب بك كثيراً ويسعدني أن نكون أصدقاء ، لقد قيل لي إنك شاب متفوق في دراستك و بامتياز ، و أنك شاب مثقف جداً بالإضافة إلى كونك مثلاً رائعاً في الأخلاق و التهذيب ، و هذا يعني أن التعامل معك سيكون مريحاً و سهلاً ... أعرفك على نفسي أكثر ، أنا من العاصمة وقد درست علم النفس في هولندا و تخرجت منها ، و أعمل هنا في العاصمة منذ عشرة سنوات " . أحس سام بالارتياح فقال " تشرفنا دكتور هل أنت صديق للمعلم رالف ؟ " - " نعم و أتردد أحياناً إلى مؤسسته حيث أحضر بعض المناقشات ، يجب على الإنسان ألا يهمل الثقافة و العلم أبداً ، و بحسب ما فهمت من المعلم رالف ، أنك تعمل في الجمعية أيضاً " . أجاب سام " نعم ، و أنا مسرور بعملتي كثيراً " . وضع الدكتور بروكلمان يديه على الطاولة و قال لسام

بابتسامة لطيفة " أحب أن أعرف لمحة عن حياتك يا سام ، إذا لم يكن لديك مانع " . أخذ سام يروي للدكتور بروكلمان عن حياته ، و أسرته و بلدته منذ أن كان صغيراً ، إلى أن دخل مؤسسة إلفا بينما كان الدكتور بروكلمان ينصت إليه باهتمام ، و عندما انتهى قال له " عظيم يا سام و الآن سأشرح لك عن طريقة العمل ، تعال معي (في غرفة الاستقبال تابع الدكتور كلامه) العمل كما قلت لك البارحة هو عبارة عن استقبال الزوار في غرفة الانتظار، هذه هي طاولتك ، و لكل زائر أو مريض إضبارة خاصة به ، و هناك سجل للزوار أو المرضى حسب ترتيب الحروف الأبجدية فإذا كان زائراً سابقاً ، يكون اسمه موجوداً بالسجل و أمامه رقم إضبارته ، و الأضابير مرتبة هنا في هذه المكتبة حسب الأرقام ، فتقوم أنت باستخراج الإضبارة حسب الرقم المطلوب ، و تعطيني إيها عند دخول الزائر أو المريض إلى غرفة المعاينة ، بالإضافة إلى تسجيل مواعيد الزوار أو المرضى على الهاتف (صمت الدكتور بروكلمان قليلاً ثم تابع) و هناك أمر مهم يا سام بالنسبة للمرضى أو المراجعين ، إياك أن تدخل في نقاش معهم أو محادثات في أثناء الانتظار " استغرب سام الموضوع فسأل " هل هناك سبب معين يا دكتور؟؟!! " - " سبب طبي بحت ، لأن المريض أو الزائر يكون تفكيره عادة مشوشاً أو مضطرباً ، و الأفكار التي قد يتلقاها من غير الطبيب ، قد تؤثر عليه سلباً ، حتى و لو كانت ذات نية حسنة ، فالمرضى يستحسن أن يكون مهياً نفسياً للدخول إلى الطبيب ، و على كل حال هذه أمور طبية طويلة و متشعبة و شرحها يطول ، المهم كما قلت لك ، ابق صامتاً " . حك سام رأسه و قال " و لكن إذا فتح المريض حواراً معي فماذا أفعل ؟ " . رد الدكتور بروكلمان على الفور " ابق مستمعاً فقط و أنصت ، طبعاً يجب أن تعاملهم برحابة صدر و بشاشة ، وإذا اضطرت للكلام معهم لسبب ما فحاول قدر الإمكان الاقتضاب ، و هناك أمر مهم أيضاً وهو السرية ، لا يجوز أن تخرج أسماء المرضى أو الزوار و حالاتهم ، خارج العيادة و لأي شخص أو جهة كانت ، و يجب ألا تبوح بما تراه هنا في العيادة لأحد ، تذكر هذا الكلام يا سام إنه أهم شيء عليك التقييد به ، إن السبب الرئيس الذي جعلني

أثق بك و أقبل بوجودك هنا ، هو كلام المعلم رالف عنك ، و ضمانته لك أمامي " . كان كلام الدكتور بروكلمان اللطيف مع سام قد أزال عنه رهبة اللقاء الأول تماماً و شجعه على الكلام فسأل " و لكن يا دكتور سمعتك تقول عبارة المريض و الزائر ، فهل هناك فرق ؟ " - " طبعاً هناك فرق بين المريض النفسي الذي نكون قواه العقلية عادة مختلفة عن الناس العاديين ، و تصرفاته غريبة و غير طبيعية ، و بين الإنسان العادي الذي تكون تصرفاته طبيعية تماماً و لكنه يعاني من مشاكل أو ضغوط نفسية داخلية و يحتاج إلى الحل الأمثل لعلاجها و تفاديها ، و على كل حال سترى أمامك نماذج من النوعين " . كان حديث الدكتور بروكلمان مشوقاً لسام الذي سأل مرة ثانية " و لكن هل يمكن أن يكون المريض في الحالة الأولى مجنوناً ؟ " - " لا ليس بالضرورة ، الجنون هو حالة خاصة ، أي أن يفقد الإنسان عقله بصورة كاملة أو جزئية ، وهو غير المرض النفسي الذي هو عبارة عن اضطراب في التفكير أو التصرفات نتيجة لأمر معينة أو خلل عضوي " شعر سام بالرهبة قليلاً ، فقال باضطراب " و هل يأتي .. مجانين إلى ... هنا يا دكتور ؟ " ضحك الدكتور بروكلمان بعمق و قال " لا يا سام اطمئن ، هنا في العيادة بشكل عام لا نعالج حالات الجنون ، بل هذه الأمور تتكفل فيها المصحات و المشافي العقلية ، بالمناسبة ماذا تحب أن تشرب ؟ " - " شاي " - " إذا هيا قم و حضر لنا الشاي بنفسك لأن هذا سيكون من مجال عملك أيضاً ، في المطبخ هناك تجد كل شيء " - " بكل سرور " . عاد سام بالشاي و جلس يتابع حديثه مع الدكتور بروكلمان الذي قال له " من حسن حظك يا سام أنه لا يوجد مرضى في هذا الوقت ، و لذلك تستطيع أن تسأل عن كل ما يخطر بذهنك " - " في الحقيقة يا دكتور إن كلمة مريض نفسياً مرتبطة بأذهان الناس مع كلمة الجنون " . رشف الدكتور من كأس الشاي الساخن و قال " ربما ، و لكن في المفهوم العلمي أو الطبي ، هناك فرق كبير ، و كل كلمة أو مصطلح لها مدلول ومعنى خاص ، علم النفس يا سام هو من أرقى العلوم و أصعبها و هو كالبحر لا يقف على حد " - " أليس كبقية العلوم الطبية الأخرى ؟ " - " إنه يختلف عنها ،

فعندما يأتي مريض يشكو من ألم عضوي في جسده ، ليكن مثلاً يتعلق بالجهاز الهضمي ، فإن الطبيب المختص سيكون مقيداً بوصفات محددة ، أي أن هذه العلة ، لها طريقة علاج معينة وواضحة ، بينما في علم النفس ، لا تكون المشكلة واضحة و لا حتى العلاج ، بل يجب عليك أن تبحث أنت عن المشكلة و تبحث في الوقت نفسه عن العلاج الأمثل ، المريض الذي يشكو من ألم عضوي ، يحدد لك الوجود فوراً و يقول لك يؤلمني رأسي أو يدي أو بطني أو .. أو ، بينما المريض عندنا عادة لا يعرف ماهي مشكلته ، و حتى عندما تتحدد المشكلة ، فإن العلاج لا يكون واضحاً تماماً ، بل يكون لديك عدة خيارات و احتمالات " . كان الدكتور بروكلمان يتكلم و سام ينصت بانتباه مركز ، بدا مشدوداً إلى كلامه ، هذه أول مرة في حياته كلها يسمع مثل هذا الكلام ، و أول مرة يجلس مع دكتور في علم النفس . و عندما عاد في ذلك المساء إلى السكن الجامعي جلس في سريره يفكر بكلام الدكتور ، أحس و كأنه في عالم جديد لم يعرفه من قبل ، كان كلما تذكر كلام الدكتور يحس برهبة في داخله ، رهبة من شيء مجهول قادم إليه ، و لوهلة فكر أن يترك العمل ، و لكن فضوله و رغبة الاكتشاف لديه منعاه من ذلك ، أخذ يتذكر العيادة ، إنها مجهزة بأثاث فخم و مكتبة كبيرة مليئة بالكتب ، تذكر كلام الدكتور بروكلمان إنه قريب من القلب و واسع الاطلاع ، أحس أنه سيكون مرتاحاً معه . أغمض عينيه و استسلم للنوم سريعاً .

هذا الصيف كان بالنسبة لسام مريحاً أكثر من الصيف الماضي . في الصباح ينطلق إلى مؤسسة المعلم رالف الاجتماعية ، و يقضي وقته في القراءة أو الاستماع إلى بعض المحاضرات الدينية التي يلقيها المعلم رالف وأحياناً يشارك في توزيع المساعدات الخيرية التي تقوم بها الجمعية من وقت لآخر ، و في الظهر يعود إلى السكن الجامعي ليرتاح ، و بعد الظهر يذهب إلى عمله في عيادة الدكتور بروكلمان ، كان وضعه مريحاً جداً ، لم يكن هناك أية إزعاجات له ، كان يفكر في نفسه و يقول " لم يعد هناك مشاكل ، خلال سنتين

ينتهي قسط المصرف و يكون هو قد أنهى دراسته و أمنت له مؤسسة إلفا عملاً هذا هو كل ما يريده ، إذاً لم يعد هناك مشاكل ، لم يعد هناك شيء اسمه مشكلة المال أو هاجس المال ، هذه هي لذة الحياة ، ألا تكون بحاجة إلى شيء ، أن تكون مرتاحاً و قنوعاً " إنني أرى الحياة بسيطة جداً و خالية من المشاكل (قال في نفسه) كل هذه المشاكل التي يتحدث عنها الناس هي من صنعهم هم " . كان كلام المعلم رالف ملهماً له في هذا الأمر و مصدر الأمل ، كان المعلم رالف يقول له " أنت مثلي يا سام ، تفكيرك مثل تفكيري ، و لهذا أحببتك ، تحب الخير لغيرك و لا تأبه ، المال عندك لا يساوي شيئاً " . المعلم رالف كان أحياناً يتكلم في محاضراته عن الدنيا و الناس و المجتمع . المحاضرة اليوم كانت بهذا الخصوص ، جلس سام بين الحضور ينصت للمعلم و هو يتكلم " إن الإنسان يا إخوتي أصبح همه في هذه الدنيا المال ، المال فقط ، سخر نفسه له ، سخر كل مبادئه و أحاسيسه بل و حتى إنسانيته له ، لدرجة أن أصبح محور حياته ، فابتعد بذلك عن ربه و عن تعاليمه ، ابتعد عن الخير و الفضيلة ، انظروا يا إخوتي إلى العالم الآن ، كل المشاكل و الحروب و الصراعات و النزاعات بسبب المال ، كل الجرائم في المجتمع كالسطو و السرقة و القتل تتمحور حول المال ، حتى أمور الزواج و الطلاق و التربية و التعليم ، تدور كلها في فلك المال ، الفساد في المجتمع لأجل المال ، و هذه سببها الإنسان الفرد في المجتمع وليس الدولة أو الحكومة أو المؤسسات أو الأحزاب ، الفساد ينبع من الفرد نفسه ، يجب أن يعرف الإنسان منا أنه لن يعيش في هذه الدنيا أكثر من مائة عام كحد أقصى ، إذن يجب أن تعرف أن هذه الدنيا لا شيء ، إنها زائلة ، المال ليس كل شيء في هذه الحياة و ليس هو مصدر السعادة ، انظروا أيها الأحبة هناك إلى مطعم الجمعية ، أترون هؤلاء المتشردين الفقراء كيف يأكلون بشهية ، انظروا إلى تعابيرهم و تقسيمات وجوههم كيف تطفح بالسعادة ، هل تعتقدون أيها السادة إن هؤلاء يحملون همماً ؟ لا ، هل تعتقدون أنهم يسعون نحو المال ؟ لا ، إنهم ينامون في أكواخ القصدير و أحياناً في العراء ، أو على الطرقات . و لكن من خلال معاملتي معهم و اختلاطي بهم ، لم أرهم يوماً

متدمرين أو مهمومين ، أترون ذلك المتسول الحليق الرأس ذا الثياب الوسخة المهترئة الذي يجلس في جهة اليمين خلف الباب و يلتهم الطعام بشهية - هل تعرفون أنني قبل أسبوع تقريباً عرضت عليه مبلغاً كبيراً من المال ، ليتصرف به كما يشاء ، فرفضه ، في البداية ظننت أنه ربما يتظاهر بالرفض أو بمجاملتي ، و لكن عندما ألحيت عليه ، أصر على الرفض فسألته عن السبب ، فنظر إلي نظرة عميقة و كأنه أدرك ما يجول بخاطري ثم قال : لا تظنن يا سيدي أنني أتظاهر بالرفض ، ولا تظن أنني أرفض هذا المبلغ الكبير من باب تحقير المال أو التعالي أو الكبرياء ، و لكنني أرفضه لسبب واحد بسيط و هو أنه لا حاجة لي به . فقلت له إن هناك أموراً كثيرة يمكن أن يفعلها بهذا المبلغ ، و مشاكل كثيرة يمكن له أن يحلها ، فأجابني بالحرف الواحد : ولكن المشكلة يا سيدي هي أنني لا أرى أنه لدي مشاكل أبداً . أتعرفون أيها السادة أن هذا الفقير المتشرد قد نطق بحكمة رائعة و جوهريّة . قد تقولون إن هذا رجل متشرد لا يقرأ و لا يكتب ، و بالتالي من المؤكد ألا يكون له شيء يعمل به . و لكن هذا غير صحيح ، لأنه مهما كان الإنسان منا قنوعاً ، لا بد و أن يضعف أمام إغراء المال خاصة إن كان محتاجاً ، و لكن ليست هنا القضية ، القضية أيها السادة في معنى و مضمون الكلام الذي قاله هذا الرجل ، علينا أن نفهم أبعاده جيداً ، من هنا يجب علينا أن ننطلق ، هو أدرك ما يجول بخاطري ، إذن هو ليس غيبياً ، قال لي إنه لا يرفض المال من باب الكبرياء و الفضيلة أو العفة ، أو رد الفعل ، و لكن لأنه ليس بحاجة له ، لأنه أدرك بذكائه و حدسه أنه ليس هناك مشاكل تستحق أن نفني لأجلها مبادئنا و أخلاقنا و قيمنا بسبب المال . إنها القناعة بعينها أيها السادة ، و هنا لب الموضوع يجب على الإنسان أن يكون قنوعاً . يجب أن ينظر إلى الأمور ببساطة كبيرة ، يجب أن يدرك أن هذه الدنيا لا يوجد بها شيء يستحق أن يثير مشاكل ، هذه الأمور يلخصها جواب هذا الرجل المتشرد ، مع كل فقره وبؤسه لا يجد لديه مشاكل ، و هنا يجب أن نتساءل ... طالما هذا الرجل الفقير البائس الذي لا يملك شيئاً

في هذه الدنيا يرى أنه ليس لديه مشاكل ، أليس من الأجدر بنا نحن الذين لدينا بيوت و طعام و أموال و سيارات ألا يكون لدينا مشاكل " .

عندما انتهت المحاضرة خرج سام إلى حديقة الجمعية جلس على أحد المقاعد يفكر بكلام المعلم رالف "هذا هو ما كنت أبحث عنه ، هذا هو الشيء الذي أتمتع به و لم أكن أعرف ما هو ، القناعة ، نعم القناعة ، لقد فتح المعلم رالف ذهني على أمور كثيرة كنت أجهلها أو كنت أحس بها ولا أعرف ماهي" . حانت منه التفاتة فرأى المعلم رالف يجلس على أحد المقاعد و قد وضع يده على ركبتيه منحنيًا قليلاً و رأسه مطأطأ نحو الأسفل ، كانت هذه هي عادته في الجلوس ، أحياناً يرفع رأسه و ينظر إلى السماء ، فيعرف من يراه أنه غير نائم ، و أحياناً يوحى شكله بالحزن ، اقترب سام منه " أرجو ألا أكون قد أزعجتك أيها المعلم" رفع المعلم رالف رأسه و قال " بالعكس يا سام تفضل أسرني قدومك " . جلس سام بأدب و قال " أعرف أنك تخلو بنفسك دائماً هنا ، و تحب أن تكون بمفردك " . أوما المعلم رالف برأسه موافقاً و قال " الخلوة يا سام و التأمل هما غذاء الروح و العقل ، و راحة للنفس ، خاصة في الطبيعة ، الحكماء و المتدينون كانوا يفعلون ذلك ، يجب عليك دائماً أن تخلق لنفسك جواً من العزلة بعيداً عن الناس ، عن الضجة و الضوضاء لتستعيد توازنك الفكري و الروحي ، و تستعيد الفطرة الأولية التي أنت عليها " - " لم أفهم بالضبط ، أوضح لي أكثر يا معلمي العزيز " - " حسناً ، سأضرب لك مثلاً ، أنت يا سام لديك شخصيتك و عاداتك ، أو لنقل طبيعتك و تصرفاتك منذ أن كنت صغيراً ، و لكن عندما تختلط مع الناس و تتأثر فيهم و بكلامهم و تخرج قليلاً عن طبائعك و عاداتك ، و عندما تخلو بنفسك و تتأمل بذاتك تعود على طبيعتك إلتى كنت معتاداً عليها ، هذا الأمر ينطبق بشكل ما على مفهوم الخلوة و التأمل ، لأنك عندما تنعزل عن الناس و تفكر بالله ، فأنت تفكر في نفسك أيضاً ، و بخاصة عندما تكون في الطبيعة ، لأن الطبيعة هي الخير و العطاء ، هي البساطة ، أنت من مقاطعة الشمال حيث الغابات و السهول ، ربما هذه الطبيعة الرائعة هي

التي أثرت فيك منذ نشأتك و كانت سبباً في طبيعتك الخيرة " . نظر سام إلى المعلم رالف متأملاً و قال له " أراك دائماً حزيناً يا معلم أو ربما شكلك يوحي بالحزن " . تبسم المعلم رالف و قال " إن الحياة يا سام صعبة جداً " - " و لكنك قلت أن المال لا يساوي شيئاً " - "نعم قلت هذا ، و لكن عندما تفكر بغيرك من الناس المحتاجين و بمشاكلهم و همومهم ، ألا يكون ذلك هم بالنسبة إليك ؟ " . أطرق سام مرة أخرى إلى الأرض ثم رفع رأسه و قال " أراك دائماً تجلس على هذا المقعد تحت شجرة الكينا الكبيرة هذه " - " إن هذه الجمعية يا سام بما فيها و المبنى و الحديقة الضخمة هذه ، كانت في الماضي منزل عائلتي ، هنا تربيت و ترعرعت ، طبعاً كان هذا قصر و لكن المعالم تغيرت الآن ، عائلتي كانت من الأسر الأرستقراطية الكبيرة ، رزقت بثلاثة أطفال ، أخي الكبير المقيم الآن في السويد و الثانية أختي المقيمة في بلجيكا و أنا ، عندما كنت صغيراً ، كنت دائماً ألعب في هذا المكان حيث نجلس الآن ، كان لدي كوخ صغير هنا ، و كانت شجرة الكينا تلك غرسة صغيرة ، غرسها والدي لأجلي ، في هذا المكان ، كان لي ذكريات كثيرة ، و ربما لهذا السبب تراني أجلس هنا دائماً " . شعر سام بالحزن لأجل المعلم رالف فقال " أعذرني لتظفلي يا معلم ، أنا لا أحب التدخل في خصوصيات غيري و لكن محبتي و احترامي الشديدين لك ، يجعلاني أرغب بسؤال آخر " - " اسأل ما تريد يا سام ، أنا غالباً لا أتكلم لأحد عن أموري العائلية ، و لكن أنت مستثنى من ذلك ، لقد أحببتك من كل قلبي لأنك إنسان طيب و ذو قلب كبير قلما يحمله أحد و لذلك أسمح لك بسؤال آخر فقط " - " في الحقيقة يا معلم أحب أن أعرف كيف أنشأت هذه المؤسسة الضخمة " . ابتسم المعلم رالف و هو ينظر إلى التراب أمامه و قال " بعد وفاة والدي توزعت التراكات بيننا ، و كان نصيبي أنا القصر و الحديقة و بعض الممتلكات و رصيد في البنك ، فحولت هذا القصر إلى هذه المؤسسة التي تراها (صمت المعلم رالف كأنه يسترجع الماضي) و في أثناء الحرب العالمية الثانية تبددت ممتلكاتنا كلها بسبب الحرب و الدمار ، و عندما دخلت قوات الحلفاء إلى البلاد تعرفت أختي على جندي بلجيكي

و تزوجت منه و سافرت معه أما أخي فقد آثر السفر إلى السويد في أثناء الحرب و بقي فيها ، وأنا بقيت هنا ، في أثناء الحرب كان القصر قد تعرض للقصف مرات عدة فتضرر كثيراً ، و تغيرت معالمة بشكل كبير ، فقامت بعد الحرب بترميمه و لكن طلبت من المهندس الذي أشرف على هذه العملية ألا يعيده إلى شكله السابق بل على هذا الشكل الذي تراه الآن ، لأنه آنذاك كانت قد خطرت لي فكرة إقامة هذه المؤسسة " .

نظر سام مرة أخرى إلى المعلم رالف و قال له مبتسماً بنجل " أرجوك يا معلم بقي لدي سؤال واحد و أخير " . أوما المعلم رالف برأسه مبتسماً ، فقال سام " لماذا لم تتزوج حتى الآن يا معلم !!؟؟ " - " لقد نذرت نفسي لله يا سام و كرست حياتي للعبادة و عمل الخير ، الحياة يا سام لا تستحق أن نعمل فيها لأنفسنا أمجاد بقدر ما نعمل فيها لغيرنا ، و نساعد من هم بحاجة إلينا ، أموالنا و أولادنا و أزواجنا و أقاربنا و حتى أصدقائنا ، كل هذه الأشياء التي نسعى لتكوينها في هذه الدنيا ستزول ، و يبقى إيماننا بالله و عمل الخير للناس " . أطرق سام يرأسه إلى الأرض بعد هذا الكلام الذي سمعه ، لم يعد لديه شيء يقوله .

بعد الظهر ذهب سام إلى عيادة الدكتور بروكلمان ، كان قد بدأ يعتاد عمله الجديد ، كان يجلس خلف الطاولة و يستمع إلى كلام المرضى و الزوار ، يتحدثون عن مشاكلهم و معاناتهم ، فهم سام أن بعضهم كانوا مثقفين و منهم من يحمل شهادة علمية ، و منهم من كان يبدو عليه الغنى بشكل واضح . كان سام يستغرب أن يكون لمثل هؤلاء مشاكل ، كانوا يتحدثون و هم غير راضين عن حياتهم ، هكذا كان بعضهم يتحدث ، ملاءه الفضول ليعرف السبب "لماذا؟؟... لماذا؟" سأل نفسه ، حاول أن يسألهم ، أن يدخل في نقاش معهم و لكنه صمت متذكراً كلام الدكتور بروكلمان ، بعدم التحدث إليهم ، معظم الأحيان كان فضوله يدفعه للتحدث معهم و مناقشتهم ، و في إحدى المرات لم يعد يحتمل ، و كاد أن يفتح نقاشاً مع أحد المرضى و يتحدث معه ، و لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة ، كان رجلاً تبدو عليه كل ملامح الغنى و

الأبهة ، و عرف سام من إضبارته انه مثقف و يحمل شهادة جامعية عليا ، جلس الرجل على الكرسي و أخذ ييدي انزعاجه من الحياة لأنه سئم منها ، و هو يفكر بالانتحار الانتحار !!؟؟ ... أول مرة يسمع سام هذه الكلمة ، لقد سمع بها من قبل ككلمة ذات معنى لغوي ، أما أن يسمعا كحالة تظهر أمامه من أحد الأشخاص ، فهذه أول مرة يحصل معه هذا الموقف .. فكر في نفسه ، إن أفضل شيء أن يسأل الدكتور بروكلمان عن جميع هذه الأمور . " نعم يا سام ، ليس بالضرورة ألا يكون للشخص مشاكل مادية ملموسة ، حتى نقول إنه مرتاح نفسياً أو إنه سعيد لقد رأيت خلال عملي هنا بالعيادة ، حتى الآن نماذج عدة من المرضى و بعضهم كما لاحظت أناس مثقفون و ميسورون" . رد سام بدهشة " أقسم أنني لو لم أرحم في العيادة هنا و لم أعرف أنهم يأتون إلى هنا ، لقلت أنهم أناس طبيعيين و ليسوا مرضى " - "و من قال لك إنهم ليسوا طبيعيين ، إنهم فعلاً كذلك في الحياة العامة ، و ربما في علاقاتهم مع الناس تكون أمورهم طبيعية ، و لكن في أمورهم الداخلية و في حيز واحد من حياتهم أو مجال واحد ، يكون هناك خلل ما أو شيء غير طبيعي في علم النفس يا سام ، هناك أمر قد لا تعرفه أنت ، وهو أن المريض النفسي أو الشخص الذي يأتي على العيادة النفسية ، ليس بالضرورة أن يكون تفكيره خاطئاً ، حتى في الأمر الذي هو مضطرب فيه نفسياً ، و طبعاً في حالات خاصة فقط و ليس في كل الحالات " - "معقول !!؟؟ " - " طبعاً يا سام .. لنقل ذلك بصورة أخرى .. إن الحالة النفسية التي تنشأ لدى المريض ، قد تكون في حالات معينة ناتجة عن خلل في المجتمع مثلاً ، أي هذا الشخص هو شخص سليم و تفكيره تفكير سليم و لكن الوسط الذي يعيش فيه و ليكن مثلاً أسرته ، عمله ، أصدقاءه ، الوسط الاجتماعي من حوله ، هو وسط غير سليم منذ يومين سألتني عن ذلك الشخص الذي كان يتكلم وحده في غرفة الانتظار ، هذا الشخص يا سام يعد من العباقرة في العلوم الأكاديمية ، و هو حاصل على شهادة دبلوم عليا في الفيزياء و الرياضيات ، و بامتياز ، قضى حياته كلها في الدراسة بين الكتب ، منذ شهرين عُرِضت علي مشكلته ... طبعاً أعود و

أكرر لك أن هذه الأمور سرية تماماً ، أنا أقولها لك ، لثقتي بك ، ولأعطيك فكرة و شرح .. هذا الشخص تتلخص مشكلته في أنه يتكلم لوحده و كأنه يتحدث مع شخص غير موجود ، و هذه الحالة تطورت لديه لدرجة أخذ الناس يعتقدون أنه مجنون ، فجاءني أحد أقبائه و هو صديق لي و أخبرني عن حالته ، و أن تصرفاته غير طبيعية و أنهم يخشون أن يكون قد فقد عقله أو ما شابه ، فطلبت منه أن أراه ، فجاء الرجل و جلست معه مراراً عدة حتى الآن و اكتشفت أنه غير مجنون وأنه إنسان عاقل و ذكي جداً ، ليس هذا فقط بل علمت أن كبار الأساتذة في الجامعات يستشيرونه في بعض القضايا و المسائل العلمية التي تعترضهم ، لقد أجريت له اختبارات ذهنية و عقلية و اكتشفت انه سليم تماماً و ليس به أي نقص ، بل على العكس لديه قدرات ذهنية و عقلية هائلة ، و لكن مشكلته تتلخص في أنه قضى كل وقته و حياته في الدراسة و التحليل منعزلاً عن الناس ، و طبيعة دراسته تقتضي المحاكاة و الافتراض و هذا أمر شائع في الرياضيات و العلوم التجريبية ، لقد أصبح الرجل معتاداً على هذا الأمر لسنوات طويلة ، يتكلم مع نفسه في الأمور العلمية ومع صديق له من المستوى العلمي نفسه ، و لكنه مع الناس طبيعي تماماً ، فلم يلاحظ الناس عليه ذلك ، إلى أن جاء يوم تم فيه نقل صديقه الذي كان يعمل معه و يناقشان سوياً لسنوات طويلة ، إلى خارج البلاد ليعمل في إحدى الشركات ، فبقي هو وحيداً لا يجد أحداً ليتناقش معه ، و بعد فترة قصيرة أيضاً تم نقله هو الآخر إلى مكان آخر ذي طبيعة إدارية بحتة و لا مجال للنقاش فيه ، أي أن حياته تغيرت كلها فجأة ، رأساً على عقب ، هذه الأمور أوجدت له نوعاً من الصدمة وأدت إلى هذه الحالة ، إنها ليست جنوناً أو اضطراباً ، بل هي نوع من محاولة العودة إلى الوضع السابق الذي كان يعيشه و أصبح معتاداً عليه ، إنه يحاول بالاشعور أن يخلق لنفسه جواً كالذي كان يعيشه " هز سام برأسه موافقاً ثم قال " ربما أنت على حق يا دكتور ، و لكن لماذا شخص لا يبدو عليه الفقر أو الحاجة أو الضيق أو حتى أية مشاكل ، لماذا يفكر بالانتحار مثل هذا الذي كان هنا اليوم ؟ " - " الحياة يا سام ليست بهذه السهولة التي تراها فيها ، الحياة يا

سام معقدة ، معقدة جداً، و كلما أطلع الإنسان على أمور جديدة ازداد التعقيد و المتاعب " - " ولكن لماذا !!!؟؟ " - "هذه هي الحياة ، أنت مثلاً ألم تحس أن حياتك في البلدة كانت أبسط من الحياة في العاصمة ؟ " - " نعم " - " ألم تكن مشاكلك في البلدة أخف منها في العاصمة ؟ " - "نعم ، و لكن أريد أن أسألك يا دكتور ، لقد بدأت أحس بأن علم النفس هو فعلاً علم معقد كما ذكرت لي ، فلماذا؟ " . ابتسم الدكتور بروكلمان وقال " إنه أمر في غاية البساطة ، من اسمه تعرف لماذا هو معقد ، إنه علم النفس ، أي نفس الإنسان ، و نفس الإنسان هي كائن معقد جداً " . استند سام بظهره إلى الكرسي و سأل " هل قلت كائن يا دكتور؟ " - " نعم ، نفس الإنسان كائن مستقل و معقد جداً ، و هذا هو سبب تعقيد علم النفس و صعوبته " - " و لكنه على ما يبدو علم شيق و ممتع ، و لو أنني كنت على إطلاع على كل ما أخبرتني عنه ، قبل دراستي في الجامعة لاخترت علم النفس حتماً ، أحياناً عندما أسمع كلام المرضى و أحاديثهم و انفعالاتهم ، تتابني الرغبة بالتحدث معهم و لكنني التزم بتعليماتك يا دكتور " - " طبعاً ، طبعاً يا سام ، إياك و التحدث معهم " - " و هل الأمر خطير إلى هذه الدرجة يا دكتور !!!؟؟ " - " بالتأكيد، إنه مثل الدواء بالنسبة للأمراض العضوية فعندما يعطي الطبيب دواءً لمريض ، ثم يأتي شخص آخر لا علاقة له بالطب و يعطيه دواءً آخر لا يعرف ما هو ، فإن هذا الأمر قد يسبب له ضرراً كبيراً. كذلك الأمر في علم النفس الذي يعتمد في قسم كبير منه على الكلام و الإيحاء ، علم النفس يا سام بالرغم من كونه علماً صعباً و معقداً إلا انه من أرقى أنواع العلوم و أسماها ، من الصعب عليك يا سام أن تدخل إلى أغوار نفسك و خباياها ، تخيل نفسك في نهر يجري بسرعة كبيرة و أنت تسبح بعكس التيار و تحاول جاهداً السباحة بيديك و قدميك ، لتتقدم نحو الأمام و التيار يدفعك نحو الخلف ، هذا الأمر يشبه إلى حد بعيد الصراع للدخول إلى النفس " - "للدخول !!؟؟ " - " للدخول و الخروج أيضاً يا سام " . رفع سام يديه في الهواء و قال " لم أفهم ؟ " - " الصراع من أجل الدخول إلى النفس ، والصراع من أجل التحرر من النفس ،

كلاهما واحد ، التيار الذي يواجهك و أنت تسبح للدخول إلى معرفة نفسك هو نفسه التيار الذي يواجهك و أنت تحاول التحرر من شهوات نفسك و سيطرتها عليك " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال " و لكن يا دكتور أنا شخصياً حتى الآن لم أحس بكل هذه الأمور " . حدق الدكتور بروكلمان بسام و قال له بهدوء " لأنك حتى الآن لم تنزل إلى النهر " .

في المساء عاد سام إلى غرفته في السكن الجامعي ، كان تفكيره مشوشاً تماماً ، كان يفكر بكلام الدكتور بروكلمان ، استلقى في فراشه و أخذ يفكر ... المرضى .. كلامهم و أحاديثهم ... الانتحار ... علم النفس .. الأدوية ... الحركات .. الإيماءات .. الحياة ال ال أمور كثيرة تدافعت في رأسه و ازدحمت حول بوابة تفكيره تريد الدخول دفعة واحدة . بعد قليل لم يلبث أن شعر بالإعياء فأغمض عينيه و نام . في الليل رأى حلماً غريباً . كان واقفاً في غابة خضراء جميلة ، كلها أشجار و زهور و عشب أخضر طري ، الجو ربيعي و أصوات البلابل في كل مكان ، كان جالساً على ضفة نهر جميل هادئ ، في النهر أناس يسبحون ببهجة و متعة ، كانوا ينادونه وهم يصيحون بسعادة " تعال يا سام ، تعال ، انزل و اسبح معنا ، هيا تعال ... تعال... تعال تعال ، لم يستطع أن يميز هؤلاء الناس أو يتعرف عليهم ، و لكنه أحس أنهم يعرفونه ، صرخوا له ضاحكين مبتهجين " هيا ، هيا يا سام انزل و تمتع بالماء" وقف ينظر إليهم متردداً ، لم تكن لديه رغبة بالنزول ، و لكنه في النهاية نزل إلى النهر و في اللحظة التي نزل فيها ، تغير كل شيء فجأة تحول النهار إلى ظلام و الربيع إلى شتاء ، و الأشجار كلها زالت أوراقها ، و تحول اللون الأخضر إلى لون رمادي باهت . أما النهر فقد تغير لونه و ازدادت سرعته بشكل كبير مخيف و اختفى كل الناس منه ، و بدأ سام يتخبط مقاوماً التيار الذي أخذ يجرفه نحو شلال كبير يهدر بصوت مخيف ، قاوم بضراوة و شدة ، ولكن التيار كان أقوى منه ، و في اللحظة التي وقع فيها داخل

الشلال ، أفاق مذعوراً من نومه ، كان العرق يتصبب منه ، ذهب إلى الحمام وأخذ دوشاً بارداً ، ثم خرج و جلس يفكر ، لقد كان حلماً مربعاً إنه كابوس . أعد كوباً من الشاي وأخذ يرشف منه ببطء ، كان متضيقاً و منزعجاً جداً ، آثار الحلم لم تكن قد زالت عنه بعد ، كلما تذكره يشعر بالخوف و الاضطراب ، هذا النهر اللعين ، كيف تحول فجأة من نهر جميل هادئ ، إلى نهر أسود جارف ، أو هذا الشلال المربع . أخذ يستعيد تفاصيل الحلم من البداية و حتى لحظة سقوطه في الشلال ، " إنه كابوس مخيف بالفعل ، و لكن مهلاً كيف نزلت إلى هذا النهر اللعين " ، رشف قليلاً من الشاي و أخذ يتذكر ، و لكنه لم يستطع أن يتذكر كيف نزل إلى النهر ، تذكر كل شيء في الحلم إلا هذه النقطة ، تذكر كيف كان واقفاً على الضفة و كيف كان الناس في النهر يدعونه للنزول ، و لكن لماذا نزل ، لم يتذكر ، كان هناك سبب و لكنه لم يتذكر ماهو ، تساءل في نفسه ، لماذا يأتي هذا الحلم بعد الكلام الذي سمعه من الدكتور بروكلمان ، قرر أن يسأله عن هذا الموضوع ربما يكون لديه جواب . جرع ما تبقى في كأسه دفعة واحدة ، و أخذ يتأمل العاصمة .

في مساء اليوم التالي عندما غادر آخر مريض العيادة ، جلس سام مع الدكتور بروكلمان " هل هذا هو كل الحلم ؟ " - " نعم يا دكتور ، و لكني أتساءل لماذا يأتي هذا الحلم في نفس اليوم الذي كنا نتكلم فيه و حول نفس الموضوع الذي تكلمنا عنه " - " الأحلام يا سام تأتي أحياناً نتيجة للتفكير في موضوع معين ، فإذا كنت تفكر بموضوع ما وشغل هذا الموضوع تفكيرك فشيء طبيعي أن تراه في منامك ، لأن الأحلام في عالم النفس ترتبط أحياناً بالتفكير ، و هذا يعني أنك كنت تفكر في الكلام الذي تحدثنا فيه البارحة " - " نعم يا دكتور ، لقد فكرت بذلك و لكن بالنسبة للأحلام ، هل يتذكر الشخص بشكل عام الحلم الذي يراه " - " بشكل عام ، لا ، فمعظم الأشخاص لا يتذكرون الأحلام التي يرونها ، و إذا تذكروها ،

فإنهم يتذكرون ملامح منها ، لأن الأحلام بشكل عام لا تبقى في ذاكرة الشخص طويلاً و القليل منها هو الذي يبقى و يتذكره الشخص ... لقد لاحظت من خلال حديثك لي عن حلمك الذي رأيته البارحة ، أنك قد تذكرته جيداً ، فقد رويته لي بكل تفاصيله " - " نعم ، و لكن هناك أمر واحد لم أتذكره " - " ماهو ؟ " - "سبب نزولي إلى النهر ، حتى الآن لم أتذكر لماذا نزلت إلى النهر " . فكر الدكتور بروكلمان قليلاً ثم قال " ربما لا يكون هناك سبب ، أنت قلت لي إن هناك مجموعة من الأشخاص كانت تدعوك للنزول ، و أنت ترددت في البداية ثم نزلت ، إذن السبب هو دعوة هؤلاء الأشخاص لك بالنزول و قبولك أنت ، فطالما تذكرت الحلم بكل تفاصيله ، فمن غير المرجح أن يكون هناك سبب " . حذق سام في الفراغ لبرهة ثم قال بصوت ثابت " لا يا دكتور ، لقد كان الأشخاص يدعونني للنزول و لكنني لم أنزل بناء على دعوتهم ، بل أذكر أنه كان هناك شيء آخر جعلني أبادر بالنزول ، سبب ما جعلني أنزل ، أنا متأكد من ذلك ، و لكن ماهو هذا السبب ، لا أعرف ، لم أعد أتذكر " - " هل هو شخص أم شيء آخر ؟ " - " لا أدري ، لقد حاولت ، و لكنني لم أفصح في ذلك " - " إذن هناك حلقة مفقودة بين دعوة هؤلاء الأشخاص لك و بين رؤية نفسك في النهر ؟ " - " بالضبط يا دكتور ، بالضبط " . بدا الدكتور بروكلمان مهتماً كثيراً بكلام سام ، فكر قليلاً ثم نهض من مقعده وقال له " تعال يا سام ، استلقِ على هذه الطاولة " - " ماذا ستفعل يا دكتور !!؟؟ " - " سأنومك مغناطيسياً " - " لماذا !!!!؟؟؟ " - " حتى أعرف ما هو السبب الذي جعلك تنزل إلى النهر " - " و هل تستطيع ذلك !!؟ " - " نعم ، لأن التنويم المغناطيسي يجعلك تعود مرة أخرى إلى الحلم و تتذكر كل ما حصل لك " . أجفل سام من هذا الكلام و قال " لا يا دكتور ، أرجوك ، لا أريد أن أعود مرة أخرى إلى هذا الحلم البشع ، و على كل حال لست مهتماً كثيراً بمعرفة السبب ، إنه مجرد حلم مزعج " - " و لكن يجب أن تهتم بالسبب يا سام " - " لماذا ؟ " - " لأن الأحلام أحياناً تكون صادقة ، و تعبر عما سيحدث في المستقبل ، و لهذا فإن السبب الذي دفعك إلى النزول في النهر ، قد يكون

سبباً مهماً جداً و موجوداً معك في حياتك اليومية ، وأنت لا تراه ، و أني لأكاد أجزم بأن عدم تذكرك هذا السبب هو دليل على أنه سبب كامن و غير ظاهر في نفسيتك ، و لكنه موجود و أنت لا تحس به ، اسمع كلامي يا سام فانا أمارس هذه المهنة منذ مدة طويلة و خبير بهذه الأمور تماماً" - " أرجوك يا دكتور أعفني من هذا الموضوع ، إن مجرد فكرة العودة إلى هذا الحلم المزعج تخيفني ، كما أنه يمكن أن يكون أضغاث أحلام أو نتيجة للتفكير بما قلته لي البارحة ، أليس كذلك ؟ " - " لا بأس يا سام كما تريد ، إن كلامك ربما يكون صحيحاً ، ربما هي أضغاث أحلام ، و لكن كما تريد " .

نسي سام موضوع الحلم و عاد إلى متابعة حياته اليومية الروتينية ، في الصباح كان يذهب إلى المؤسسة الخيرية ، و بعد الظهر يذهب إلى عيادة الدكتور بروكلمان . لقد كانت هذه المرحلة مرحلة جوهرية بالنسبة إليه ، من حيث الاطلاع و المعرفة ، بالإضافة إلى أنها أثرت فيه كثيراً من الناحية النفسية و أعطته أبعاداً جديدة في الحياة كان يجهلها تماماً . يوماً و بعد ذهاب المرضى من العيادة ، يجلس و يتحدث مع الدكتور بروكلمان ، لقد تعلق كثيراً بعلم النفس ، أحياناً عندما لا يكون أحد في العيادة يدخل إلى المكتبة و يقرأ بعض الكتب المختصة بعلم النفس . حياته أيضاً في المؤسسة الخيرية ، أثرت فيه كثيراً ، دائماً كان يسمع كلام المعلم رالف عن الحياة و المال و العبادة كان يتوق كثيراً إلى موعد تسليم التبرعات الذي يأتي بشكل دوري . كلام المعلم رالف جعله أكثر صرامة و تزمناً و تديناً ، أصبح يهتم بالدين أكثر و يكرس بعضاً من وقته للتفكير بهذا الكون و خالقه ، أصبح أكثر زهداً في هذه الحياة و أكثر ورعاً و حباً للخير ، و في الوقت نفسه كان متأثراً بعمله بعد الظهر في العيادة النفسية . كان يرى نماذج مختلفة من الناس و التصرفات ، يسمع كلامهم و قصصهم ، هذا الأمر أعطاه أيضاً بعداً جديداً في الحياة ، أعطاه نوعاً من الحكمة و نوعاً من الخبرة ، بالإضافة إلى أنه أفتعه بوجهة نظره بالنسبة إلى الدنيا ، أصبح يرى أن تعاسة

هؤلاء هي في المال . الدكتور بروكلمان أيضاً كان يعطيه أفكاراً جديدة و رؤى معينة في علم النفس . و مع الوقت ، أصبح سام يرى أن هذين الشخصين ، المعلم رالف و الدكتور بروكلمان ، ملهمان له . المعلم رالف كان يحدثه عن صفاء النفس ، و الدكتور بروكلمان يحدثه عن علم النفس ، و سام كان يريد الاثنين ... صفاء النفس ... و ..علم النفس . و هذان الأمران أصبحا جل اهتمامه لدرجة أنه قد نسي كل شيء ، نسي أهله و نسي البلدة و نسي أصدقاءه أندريه و جان . في الصباح كان يقرأ الكتب الدينية و يستمع إلى المحاضرات الروحية ، و في المساء يقرأ كتب علم النفس و يستمع إلى أحاديث المرضى أو كلام الدكتور بروكلمان ، لقد تعلم منه الكثير هو و المعلم رالف ، أي موضوع أو أمر يصعب عليه فهمه ، كان يسأل المعلم رالف أو الدكتور بروكلمان ، كان يثق بهما كثيراً و يحترمهما ، المعلم رالف كان الأب الروحي له ، و الدكتور بروكلمان كان بمنزلة الأخ الكبير الذي لا ييخل عليه بأي شيء و يعطيه الجواب عن أي شيء بتجرد و موضوعية ، كان يعده مثال الرجل المثقف الصادق النبيل الذي يزن الأمور بشكل علمي منطقي و يقيمها بكل شفافية .

لم يمض وقت قصير حتى فتحت الجامعة أبوابها ، كانت فرحة سام كبيرة جداً بلقاء صديقيه أندريه و جان ، و لكنه لم يعد يستطيع أن يرى أندريه في الجامعة ، لأنه أنهى دراسته . عندما استلم جدول الدوام الأسبوعي أدرك سام أن منهاجه و دوامه في الجامعة ، سيكونان سهلين جداً ، كان لديه أربعة أيام دراسية في الأسبوع ، وفترة الدراسة فيها كانت قليلة أيضاً ، سوف يكون لديه وقت فراغ كبير .

في الغرفة جلس هو و صديقه جان الذي كان للتو قد انتهى من توضيب أغراضه في الغرفة . " هل أمضيت عطلة مميزة هذه السنة يا سام ؟ " - " نعم يا جان كانت فترة مهمة بالنسبة لي ، لقد تعرفت على أمور كثيرة كنت أجهلها ، لم أكن أظن أن الحياة فيها كل هذه المشاكل و العقده ، هنالك أمور لا تعرفها تمام المعرفة إذا

لم تعشها و تراها بنفسك ، مهما سمعت عنها " . و فجأة أتى صوت من الخارج " إنك حتى الآن لم تر شيئاً يا سام " . كان صوت أندريه الذي أطل من باب الغرفة ، تعانق الأصدقاء طويلاً . " أين أصبحت الآن يا أندريه " - " في الواقع يا سام لقد تم توظيفي في مؤسسة زراعية عن طريق مؤسسة إلفا " - " إن مؤسسة إلفا لها فضل كبير على طلابها (قال جان) وخاصة بعد التخرج " . و هنا صرخ أندريه بغضب " لا ، ليس لها فضل ، نحن نعمل بشهادتنا و علمنا و خبرتنا و نقدم كل ذلك إلى تلك المؤسسات الخاصة التي توظفنا بها إلفا ، نحن أيضاً لنا فضل كبير عليهم ... إلى متى ستبقى بليداً يا جان ، هل نحن إلى هذه الدرجة أغبياء و ليس لدينا خبرة و علم حتى تتصدق علينا الشركات الخاصة بالعمل " . و هنا تدخل سام مغيراً مجرى الحديث " إذن لن نراك يا أندريه بعد الآن " - " بالطبع سوف ترونني ، سأتي لزيارتكم كل فترة " - " ما هي طبيعة عملك بالضبط ؟ " - " بحسب ما فهمت منهم ، في البداية سيكون فترة تدريب لمدة شهر ، و بعد ذلك سيكون عملي في مجال البذار و الشتول في الحقول الخاصة بالشركة التي سأعمل بها " - " و كيف هو المرتب (سأل جان) ؟ " - " لا بأس ، و لكنه سيزيد كل فترة معينه حسب الخبرة " . و هنا هز جان رأسه بحسرة " ها قد ذهبت أنت يا أندريه ، و بعد سنة سيذهب سام ، و سأبقى أنا وحيداً " . ربت سام على كتف صديقه قائلاً " لا تخف يا صديقي العزيز ، حتى ولو تركت الجامعة ، سنلتقي دائماً " هز جان رأسه مرة أخرى و قال " مستحيل أن يكون الشخص الذي سأسكن معه السنة القادمة ، مثلك يا سام ، مستحيل .. مستحيل ، أنت لا تعوض أبداً يا سام " . أمسك أندريه كتاباً على الطاولة و أخذ يقلب أوراقه ثم سأل " قل لي يا سام ، ماذا فعلت في هذا الصيف ، و هل سارت أمورك على ما يرام ؟ " - " لقد تدبرت عملاً في عيادة أحد الأطباء النفسانيين ، و في الوقت نفسه كنت أعمل في إحدى المؤسسات الخيرية " - " و هل كنت مرتاحاً بعملك هذا ؟ " - " نعم يا أندريه ، كنت مرتاحاً جداً ، لقد اطلعت على أمور كثيرة ، و تعلمت أشياء جديدة " - " يقولون أن علم النفس علم شيق و ممتع " - " نعم يا أندريه

إنه كذلك ، و لو كنت أعرف هذا الأمر قبل ذلك أو التقيت بالدكتور بروكلمان ، لكنت درست علم النفس بالتأكيد .

بدأت السنة الدراسية لدى سام ، كانت كل مواد نظرية بجته بالإضافة إلى أنه كان لديه وقت فراغ كبير ، و لذلك كان يمضي معظم أوقات فراغه إما في مؤسسة المعلم رالف و إما عند الدكتور بروكلمان . كان قد ترك العمل لديه و لكنه لم ينقطع عن التردد إليه في العيادة ، و أحياناً كان يلتقي معه عند المعلم رالف ، أما أندريه فكان يلتقي معه مساءً في السكن الجامعي . كانت الأوضاع في البلد قد بدأت بالتوتر ، و كانت الاضطرابات قد بدأت تعم العاصمة ، بسبب الاتفاقية العسكرية التي ستوقعها الحكومة ، كان هناك تياران رئيسان في البلد أحدهما معارض و هو حزب الشعلة الحمراء ، الذي كان يقف وراء المظاهرات و الاضطرابات ، و الطرف المؤيد لهذه الاتفاقية وهما الحزب الديمقراطي و الحزب الوطني، و كان تحركهما يتم في وسائل الإعلام و الصحف التي يسيطران عليها ، كان هناك صراع شديد بين التيارين ، و تزايد هذا الصراع عند اقتراب موعد البت بشأن الاتفاقية في البرلمان . كان سام في هذه الفترة مطلعاً على الأحداث ، كان يقرأ الصحف و يشاهد التلفاز و يسمع الناس في الشوارع و الجامعة . في أحد الأيام كان جالساً في كافيتيريا الجامعة ، يقرأ الصحيفة اليومية و يشرب القهوة عندما أتى أندريه ، كانا يلتقيان هنا أحياناً . " يقولون في الصحف إن الحكومة ستوقع الاتفاقية ، هل هذا صحيح يا أندريه " - " هراء ، إن الأحزاب عندنا تضغط بشكل قوي لمنع ذلك ، و هناك مظاهرات قد بدأت تخرج من أجل ذلك ، يجب أن نساهم كلنا في إيقاف تلك الاتفاقية ، كل فرد فينا يجب أن يفعل ما بوسعه لأجل هذا الأمر ، أليس كذلك يا سام " . طوى سام الجريدة ووضعها أمامه ، و قال " لا أدري لقد أصبحت متخبطاً في هذا الموضوع ، خاصة عندما أسمع كلاماً متبايناً " . حملق أندريه بسام مندهشاً و قال له " ما هذا الكلام يا سام ، ألم

تستطع حتى الآن أن تحدد موقفك ؟ " - " المشكلة يا أندريه أن الأمور السياسية المعقدة بمجملها ، أحسها لا تعينني لا من قريب و لا من بعيد ، أنت تعرف أن أكثر ما يهمني هو عمل الخير و حب الناس و الله و العبادة ، حتى الأمور النفسية و الفلسفية التي يقولون إنها صعبة و معقدة ، أحس أنني أفهمها أكثر من الأمور السياسية" . أطرق أندريه يفكر ، استغرق فترة و هو ينظر إلى الأرض يفكر صامتاً ثم رفع رأسه مبتسماً و قال " إن الأمور التي أكلمك عنها يا سام هي من صلب الأمور التي تتكلم أنت عنها ، و إذا نظرت إليها من منظار غير منظار السياسة ، ستري أن كلامي صحيح " - " لم أفهم ؟ " . اعتدل أندريه في جلسته و قال " حسناً يا سام برأيك الشخصي من هو الأفضل الاشتراكية أم الرأسمالية ؟ " . صمت سام يفكر ثم قال " لا أدري و لكن أحس بأن الاشتراكية هي أفضل " - " عظيم جداً يا سام ، و كتب ماركس و لينين و أنجلز التي كنت أعيرك إياها ، ألم تقنعك أن الاشتراكية هي الحل الأمثل لمشكلات المجتمع ؟ " - " في الواقع نعم " - " عظيم ، إذن نحن متفقان يا سام " - " أيضاً لم أفهم " . صمت أندريه قليلاً و عاد للتفكير مرة أخرى ثم قال " أنت يا سام تقول إنك تعمل في هذه الجمعية التي تسميها دينية أو خيرية أو اجتماعية إلى ما هنالك من أسماء فارغة لا معنى لها " - " لا تتكلم هكذا عن الجمعية يا أندريه " . صرخ سام بهياج شديد و هو يضرب على الطاولة ، لدرجة أن جميع من كان في الكافيتيريا التفت نحوهم . "اجلس يا سام اجلس ، أنا أعتذر لم أقصد الإساءة ، اجلس يا صديقي العزيز ، أنا آسف " . جلس سام و يدها ترتجفان " أنت دائماً يا أندريه منذ أن أخبرتك عن المعلم رالف و عن مؤسسته و أعماله ، تتكلم عنه بنوع من السخرية و الاستهزاء " . نظر أندريه إلى سام بقلق ثم قال له " مابك يا سام ، يداك و قدماك ترتجفان ، هل أنت مريض !! ؟؟ " . حاول سام ضبط نفسه قليلاً ثم قال " لا ، لا أبداً ، و لكن كلامك أغضبني جداً " - " أرجوك لا تؤاخذني ، أنت تعلم كم أنا أحبك يا سام ، و لا أقصد أن أسيء إلى مشاعرك ، أنت إنسان رائع و تحب الخير ، و أنا أعلم ذلك و متأكد منه ، و لكن الذي أردت أن أقوله

لك هو أن عمل الخير ، عمل واسع جداً و كبير ، و لا ينحصر في مجال واحد ، أنا لا أنكر أن توزيع الملابس و الأغذية على الفقراء ليس عمل خير ، بالعكس إنه عمل رائع ، و لكن إذا عرض عليك عمل خير آخر أكبر منه و أوسع ، ألا توافق " هداً سام قليلاً و نظر إلى أندريه بفضول و قال " إذا كان باستطاعتي ، أوافق على الفور " . أشعل أندريه سيكارة و اعتدل في جلسته أيضاً و هو ينفث الدخان في الهواء و قال " أنت الآن يا سام تشارك في هذه الجمعية التي تقول إنها خيرية و تعمل في مساعدة الفقراء أو المحتاجين ، سمهم ما شئت ، و لكن هؤلاء كم عددهم بالضبط يا سام " - " بالضبط لا أدري و لكن أظن أن عددهم فوق الألف " - " عظيم ، و برأيك أنت هل هؤلاء هم كل الفقراء في البلاد ، ألا يوجد غيرهم " . صمت سام قليلاً ثم قال " بلى ... يوجد غيرهم " - " و هؤلاء ألا يجب مساعدتهم برأيك ؟ " - " نعم يجب مساعدتهم ، و لكن كيف ؟ " - " بالعمل من أجلهم .. بالدفاع عنهم و عن قضاياهم و عن حقوقهم ، لماذا نقف عند مساعدة ألف شخص و نحن نستطيع مساعدة مئة ألف شخص ، و لماذا نكتفي بتوزيع الثياب الداخلية و الصابون و المعلبات بينما توجد أمور أخرى أهم بكثير من هذه الأمور ، أمور دائمة تلازمهم مدى الحياة " . استرعى الأمر اهتمام سام ، فسأل " و ماهي هذه الأمور يا أندريه ؟ " - " التعليم المجاني ... الطبابة المجانية ... تخفيض ساعات العمل إلى ست ساعات في اليوم ، تخفيض أسعار المواد الأساسية كالحبذ و السكر و غيرها ، لماذا لا نساعدهم على تأمين مساكن شعبية بأسعار مناسبة ، هل فهمت ما أقصد يا سام ؟ هل فهمتني الآن يا عزيزي ؟ " . أطرق سام نحو الأرض و بقي صامتاً لا ينبس بشفة و أندريه ينظر إليه . رفع رأسه بتعب واضح و قال له " إن كلامك صحيح يا أندريه و لكن ما العمل ؟ " - " يوجد أشياء كثيرة يا سام جاهزة للعمل ، المهم هل أنت مقتنع ؟ " . أطرق سام مرة أخرى إلى الأرض بكآبة ، ثم رفع رأسه و قال بنبرة تعب " لقد اقتنعت الآن يا أندريه ، اقتنعت " . انفرجت أسارير أندريه و تنهد تنهيدة عميقة و قال " و أخيراً يا سام ... أخيراً ، كنت أعرف منذ البداية أنك ستنضم إلينا ... لقد سألتني ما العمل ،

حسناً .. العمل هو أن نقف مع أولئك العمال المحرومين ، و نبنى قضاياهم و ندافع عنها ، و بذلك نكون قد فعلنا أكبر خير من أجلهم .. ما رأيك أن تذهب معي غداً إلى مركز الحزب الثقافي ، و تستمع إلى المحاضرة التي يلقيها كل أسبوع ، و هناك ستعرف بنفسك حقيقة الأمور ، و كيف يكون فعل الخير الكبير ، بدلا من المحاضرات التي عفواً .. لاشي ، لاشي " .

في اليوم التالي ذهب سام و أندريه إلى مركز الحزب الثقافي ، كان هناك عدد كبير من الناس في القاعة التي كانت مزدحمة جداً بهم ، لدرجة أن بعضهم كان واقفاً . " أين سنجلس يا أندريه ، لا يوجد أماكن للجلوس ؟ " - " لا تقلق يا سام أماكننا محجوزة " . و فعلاً بعد قليل اقترب شاب من أندريه و حياه باحترام قائلاً " تفضل أيها الرفيق المقاعد هناك في الصف الأول " . جلس أندريه و سام ، و بعد قليل بدأت المحاضرة التي كان يلقيها رجل في الأربعينات من عمره ، ساد الصمت في القاعة . انحنى أندريه نحو سام و قال له " هذا هو المسؤول الثقافي عندنا " . بدأ الرجل محاضرتة ، فتكلم أولاً عن الاتفاقية العسكرية و أخذ يهاجمها هجوماً عنيفاً ، و أخذ يعدد مخاطرها و سيئاتها ، كان يخطب بصوت عال و من دون ورقة ، و تميز خطابه بالحدة ، و أحياناً كان يضرب على الطاولة بقبضته ، كان يبدو عليه أنه خطيباً مفوهاً و مثقفاً ، و بعد ذلك انتقل إلى موضوع الاشتراكية العالمية ، فتحدث عن الثورة البلشفية و عن لينين و ماركس و ستالين و انتصار الاتحاد السوفييتي على الألمان في الحرب العالمية الثانية ، أحياناً كان الجمهور يقاطعه بتصفيق حاد .

بعد انتهاء المحاضرة و خروج الجمهور اصطحب أندريه سام إلى الطابق العلوي ، و هناك اقترب من إحدى الغرف و طرق الباب ، ثم دخل هو و سام ، كان المسؤول الثقافي يجلس خلف الطاولة ، فنهض لاستقبالهما. " أعرفك يا رفيق على صديقي سام ، و الذي حدثتكَ كثيراً عنه " . مد الرجل يده مصافحاً

سام ببشاشة و حبور قائلاً " أهلاً بك يا رفيق سام في مركزنا هنا ، لقد حدثني الرفيق أندريه عنك ، و أنا أحييك و أهنئك على أخلاقك العالية و اجتهادك و تفوقك في الدراسة ، و أهنئك أيضاً على قيمك النبيلة و الخيرة في المجتمع ، لأن مساعدة المحتاجين هو عمل سام نبيل " . ابتسم سام بنجمل و قال "أشكرك يا سيدي على هذا الإطراء الذي لا أستحقه ، و في الحقيقة ، لقد أعجبت بكلامك في المحاضرة التي ألقيتها ، لقد عبرت عن أمور كثيرة في المجتمع و مشاكل لا بد من حلها " . نظر أندريه إلى الرجل و قال " لقد كنت دائماً أدعو سام إلى الانضمام إلينا أيها الرفيق و لكنه كان متردداً و البارحة فقط اقتنع " . نظر المسؤول الثقافي إلى أندريه و قال " إن سام يا أندريه ، لم ينضم إلينا منذ البارحة ، و إنما منذ زمن بعيد ، منذ أن كانت فيه تلك الأخلاق والصفات النبيلة ، و كل شخص مثل سام ، هو منا يا أندريه " . التفت سام إلى الرجل و قال له بحماسة " أنا مستعد لتقديم أية خدمة للحزب ، و أن أشارك في النشاطات التي تطلب مني " . ربت المسؤول الثقافي على كتف سام و قال له " الحزب يا سام يرحب بك ، و يسعدنا أن تكون عضواً بارزاً فعالاً فيه ، وبالنسبة للنشاطات فأن أهم شيء هو نشر مبادئ الحزب و أفكاره بين الطلاب و الناس ، في الجامعة و المسرح ، في الشارع و المطعم ، في كل مكان ، و تستطيع الاعتماد على أندريه في ذلك .

في المساء جلس سام و أندريه و جان بالغرفة يشربون الشاي . أخذ أندريه حجة من سيجارته و نفث دخانها و هو ينظر إلى سام ثم قال " أدري يا سام ، لقد لاحظت منذ أن التقينا في بداية السنة الدراسية ، أنك تغيرت ، هناك شيء فيك قد تغير ، و لكن لا أدري ما هو ، أليس كذلك يا جان ؟" - " نعم يا أندريه ، لقد لاحظت ذلك على سام ، لقد أصبح أكثر جدية و هدوءاً و صمتاً ، لا أتذكر أنني رأيته يضحك منذ بداية السنة ... فعلاً يا سام ، ما خطبك ؟ " . رفع سام كأس الشاي بهدوء و قال " لا أدري يا رفاق ، أحس أن هذه الدنيا كلها مليئة بالشور ، أحس أن المجتمع قد أصبح فاسداً ، و كل فرد فيه أصبح فاسداً ،

كل هذا بسبب المال و الطمع و الجشع ، لقد آمنت معك يا أندريه أن الخير ليس فقط بالتبرعات ، بل بالإصلاح ، لقد أقنعتني اليوم كلام المسؤول الثقافي في الحزب ، يجب أن تسود العدالة و المساواة بين الناس - أحس أن كل ما عملته حتى الآن لا يساوي شيئاً ، عندما رأيت المشردين في جمعية المعلم رالف ، عرفت أن هناك شراً في هذه الدنيا و أنه لا بد من عمل الخير، و عندما رأيت المرضى في عيادة الدكتور بروكلمان ، عرفت أن هناك شروراً أخرى في المجتمع ، أعقد من الأولى ، و عندما قرأت كتبك يا أندريه و سمعت كلامك و كلام المحاضر ، عرفت أن هناك أموراً أخرى أعقد و أكبر و أشمل ، و لكن هذه الشورور جميعها تتمحور حول المال و الجشع و الطمع ، حول نفس الإنسان الشريرة ، و لذلك أصبحت على قناعة بأنه يجب علي أن أعمل في كل المجالات ، ربما هذا هو الشي الذي جعلكم تعتقدون أنني تغيرت " .

في اليوم التالي ، كان سام عائداً من الجمعية .. الجو ماطر و البرد متغلغل في كل شوارع العاصمة ، إنه شهر شباط البارد ذو الصقيع و الرياح الشمالية . في الطريق صادف سام مظاهرة غاضبة صاحبة لحزب الشعلة الحمراء ، فانضم إليها ، و بدأ يهتف ضد الاتفاقية العسكرية ، و ضد الرأسمالية و البرجوازية ، كان الجمهور الغاضب يحمل لافتات كبيرة كتب عليها عبارات ضد الاتفاقية و الرأسمالية ، و شعارات و صور اشتراكية ، و يهتف بغضب . استمرت المظاهرة حوالي خمس ساعات ثم تفرقت لوحدها . في المساء عاد سام إلى الغرفة منهكاً و متعباً ، بدا عليه التعب و الإرهاق الشديد . كان أندريه و جان بانتظاره في الغرفة ، دخل و جلس على الكرسي صامتاً من دون حراك . نظر إليه أندريه بقلق و سأله " أين كنت يا سام ، و لماذا أنت متعب هكذا و تتنفس بسرعة !!؟؟ " . ظل سام صامتاً لا يتكلم . اقترب منه جان و أمسكه بكتفيه و هزه برفق " سام صديقي العزيز ما بك ؟ هل أنت بخير ؟ " . رفع سام رأسه ببطء و قال بصوت خافت ضعيف " نعم أنا بخير " . اقترب منه أندريه و قال له "أين كنت لقد قلقتنا عليك " - " لقد شاركت

في المظاهرة التي حصلت الليلة ضد الاتفاقية " - " حقاً (صاح أندريه مبتهجاً) إنك رائع يا سام لقد كبرت في عيني كثيراً ، بالتأكيد إنك متعب الآن ، و لذلك سأدعك ترتاح ، و غداً بعد الظهر أزورك ... إلى اللقاء " . عندما غادر أندريه سأل جان " هل صحيح أنك انتسبت إلى حزب الشعلة الحمراء كما أخبرني أندريه قبل قليل . استلقى سام على الفراش و فتح يديه و ساقيه و نظر إلى السقف إلى لا شيء و قال " نعم يا جان أصبحت أعمل معهم ، و لكن الانتساب ، لن يتم قبل سنة كما قيل لي " - " و لكن هل فكرت يا سام بهذا الموضوع جيداً ... هل فكرت قبل الإقدام على هذه الخطوة ؟؟؟؟ " . انتفض سام في سريره و قال " أي تفكير يا جان ، و هل يحتاج هذا الأمر "إلى تفكير ، هل يحتاج العمل من أجل العدالة و المساواة ، من أجل العمال و الفلاحين و الفقراء إلى تفكير ، ثم ما هو هذا التفكير ، و بماذا ، هيا قل لي يا جان ، قل لي ، إني مصغ " . نفض جان علبة الأقلام الموضوعية على الطاولة بعنف و عصبية ، و قال بانفعال شديد " أية مساواة و أية عدالة يا رجل ، إني أتساءل عن هذا الجحيم الذي يصوره لنا أندريه منذ سنتين في هذا البلد . أين هو أني لا أراه ، أين الفقر و الجوع ، هل تعد بضعة متشردين و متسولين في البلد كارثة ، و واجب وطني أخلاقي و تقصير حكومي ، أين المرض و البؤس و الجوع يا سام ، بربك قل لي أين هما ، أني لا أراهما ، هل تعرف ماذا قال اقتراح أحد نواب حزب الشعلة منذ عدة سنين ، اقترح إلغاء المطاعم الخاصة و استبدالها بمطاعم حكومية تقدم الطعام للأشخاص على نظام البطاقات ، و ممنوع أن يكون فيها مقاعد ، بل على الشخص أن يشتري الوجبة و يأكلها و هو ذاهب إلى عمله ، منعاً لهدر الوقت ، انظر ، انظر إلى هذا الجهاز الذي صار لي ثلاث سنوات أصممه ، منذ فترة أخذ أندريه يتأمله و عندما عرف أنني سأبيعه و أقبض عليه أجراً ، قال لي " كم أتمنى يا جان أن تكون الآن في الإتحاد السوفييتي لكي يأخذوا الجهاز منك و يعطوك لأجله شهادة تقدير تعلقها و ساماً على صدرك بدلاً من أن تعطيه لمن سيحني أرباحاً طائلة من ورائه " بقي سام محمداً باللاشيء ، وقال وهو كذلك و بصوت هادئ " أنت لا ترى يا

جان ، و لكنني أنا أرى " . اقترب جان من سرير سام و ركع أمامه قائلاً بصوت حزين " و لكن أأست أنت القائل إنك لا تحب التدخل في السياسة ، و إنك مهتم فقط بدراستك ... اسمعني جيداً يا سام ، أنا لست صاحب ميول و أهواء سياسية ، و لست مع هذا الطرف أو ذاك ، أنا مع الذي يؤمن لي كل مقومات الحياة و الرفاهية و الكرامة الشخصية و يحترم شخصيتي و خصوصياتي المقدسة بالنسبة لي . المستقبل أمامك يا سام فدع السياسة لأهلها " حرك سام أطرافه بتعب و أخذ يدلك عضلاته النحيلة المتشنجة و قال " إذا كان ذلك من أجل خير الناس و المجتمع ، فلم لا " ثم نهض فجأة من مكانه و كأنه اكتشف شيئاً مهماً و قال " أتدري يا جان ، إن المعلم رالف علمني حب الله و عمل الخير ، و الماركسية علمتني أي نوع من الخير يجب أن أعمل ، و أفضل طريقة لفعل هذا الخير ، هل فهمت يا جان " . أخذ جان يهز رأسه و يضحك بألم و هو يقول " فهمت ، فهمت " .

في اليوم التالي استيقظ سام متأخراً جداً ، كانت الساعة الواحدة ظهراً ، نهض بصعوبة من الفراش ، كانت أضلعه و عضلاته كلها تؤلمه ، جال بنظره في الغرفة ، لم يكن جان موجوداً ، نهض ببطء و ذهب إلى الحمام و أخذ دوشاً ساخناً فشعر بالانتعاش ، خرج و هو يصفرّ و أعد لنفسه كوباً من الشاي الساخن ، بعد قليل تذكر أنه على موعد مع أندريه ارتدى ثيابه و نزل إلى الكافتيريا ، طلب كوباً من القهوة ، و أخذ يتأمل الجالسين بشرود . بعد قليل ظهر أندريه من بوابة الكافتيريا ، و عندما وقع بصره عليه أتجه نحوه مباشرة "كيف أنت اليوم يا سام " - " بخير يا أندريه ، لقد زال التعب نهائياً " - " لقد بدأ الضغط الشعبي يا سام يزداد ضد الاتفاقية العسكرية ، و بالمقابل هناك محاولات مضادة من أنصار الحزب الديمقراطي و الحزب الوطني ، و لكننا سننتصر في النهاية ، أهم شيء هو أن ننشر رأي الحزب في هذه القضية بين الطلاب هنا في الجامعة ، إنهم جميعاً يثقون بك و يحترمونك و يعرفون أنك لا تكذب أبداً ، و لا تراوغ ،

بل تقول الحقيقة ، و لهذا سيقتنعون بكلامك ، و حتى خارج الجامعة ، أينما ذهبت ، يجب عليك أن تفعل الشيء نفسه " . شد سام على قبضته النحيلة و قال " هذا ما أفعله يا أندريه " - " عظيم جداً ، و أنا من ناحيتي يا سام ، أقوم بالعمل نفسه في الشركة التي أعمل بها ، و دائماً أتكلم مع الفلاحين و العمال الذين يعملون معي و أشرح لهم عن كل مشاكلهم ، و عن الظلم و الغبن الذي يتعرضون له ، عليك تركيز جهودك يا سام و تكثيفها و تذكر أن العضوية عندنا لا يمكن نيلها إذا لم يقدم الشخص خدمات للحزب . "

بدأ سام ينفذ كل التعليمات و الخطط التي يعطيه إياها أندريه ، فكان يتحدث في الجامعة و بين الطلاب عن أفكار و آراء حزب الشعلة و عن الاتفاقية العسكرية ، و في الشارع كان يقوم بالعمل نفسه مع كل من يلقاه ، كان يساعد في نشر الملصقات و الدعاية ، ولكنه عندما يذهب إلى مؤسسة المعلم رالف ، كان لا يستطيع أن يتكلم في هذا الموضوع إطلاقاً ، كان يحس أنه عاجز تماماً عن ذلك ، يحاول ولا يستطيع ، لم يدري لماذا يتغير كيانه كله فجأة ، عندما يدخل إلى مؤسسة المعلم رالف ، و يشعر أنه أصبح في عالم آخر ، عالم لا علاقة له بكل هذه الأمور ، مع أن المؤسسة هي أفضل مكان لنشر هذه الآراء و الأفكار ، لكنه يحس أنه لا يملك القدرة على الكلام في هذا الموضوع ، هناك سبب خفي يمنعه من ذلك ، هل هو الخوف ؟ هل هو الإحساس بأنه يخون المعلم رالف الذي عبر له أكثر من مرة بأنه غير مقتنع بأفكار حزب الشعلة الحمراء ، إنه لا يدري . و لكن بعد صراع طويل في هذا الموضوع و بعد مخاض مرير ، قرر أن يفصل كل شيء على حدة ، ما للجمعية ، للجمعية و ما للحزب ، للحزب .

في أحد الأيام استدعاه المسؤول عن شؤون الطلاب في مؤسسة إلفا "تفضل يا سيد سام اجلس" في الواقع لقد وردتني أنباء عنك يا سام ، يقولون أنك أصبحت غريب الأطوار ، و تصرفاتك تتسم بالحدة و التطرف ، و قيل لي أيضاً أنك بدأت تتعاطى بالسياسة " . نظر سام إلى الموظف المسؤول و قال بهدوء و بشيء من الثقة بالنفس " و ما المانع في ذلك يا سيدي ؟ " - " أنت تعرف يا سام أنني أقدرك جداً و أحترمك ، و طوال هذه السنين الثلاث ، كنت أرى فيك مثال الطالب الذكي المهذب الخلق و العقلائي ، و أكرر .. العقلائي الذي يتعامل مع الأمور بالعقل و المنطق ، سام الذي كان يهتم بدراسته دائماً و يجعلها هدفه الوحيد ، و يرفض التدخل و الخوض في أي أمر يلهيه عنها ، يأتي بعد كل هذا و في آخر سنة دراسية له في الجامعة و يتوقف عليها مستقبله ، يأتي لينساق وراء أمور و متاهات سياسية ليست من شأنه و لا من اختصاصه و تؤثر على مستقبله المهني الواعد الذي ينتظره " . و ضع سام رجلاً فوق رجل و نظر مرة أخرى إلى المسؤول و قال ببرود و بثقة بالنفس " أنني لم أفهم ما تعنيه بالضبط يا سيدي " حذق الرجل بسام و قال له " سأكون صريحاً معك يا سام ، ارتباطك بحزب الشعلة الآن و في هذه المرحلة ، ليس في صالحك أبداً و هو غير مناسب لك لا تظن أنني أقول هذا الكلام كوني أنتمي إلى الحزب الديمقراطي الذي هو العدو السياسي لحزب الشعلة ، و كون مؤسسة إلفا التي تدرس أنت الآن على حسابها متوافقة أكثر مع الحزب الديمقراطي و الأحزاب الأخرى ذات التوجه الحر ... لا يا سام ، و لكنني أقول لك و من منطلق حيادي تماماً .. إن عملك الآن بالسياسة و مع حزب الشعلة الحمراء ، هو غير مناسب لشخص مثلك ، أنا أستطيع أن أشرح لك ، الآن إذا أردت عن الرأسمالية و عن اقتصاد السوق الحر و نظرية العرض و الطلب و أبين لك أنها هي الأنسب ، ولكنني لا أريد ذلك ، لكي لا تظن ، أنني اطلب منك ترك حزب الشعلة ، فقط لأنني ضده فكرياً و سياسياً " - " و لكنني يا أستاذ مقتنع تماماً بالماركسية و الاشتراكية ، و برأيي أنها الطريقة الأمثل لحل مشاكل المجتمعات البشرية و لتطورها و رقيها ، لأنها تنطلق

من مبدأ الاجتماعية ، و أنا لا مانع لدي ، إذا كان عندك وجهة نظر معينة أن تطرحها ، وأنا مستعد لتقبلها بكل رحابة صدر ، دون أن يشكل ذلك لي أي إزعاج أو سوء ظن " . نهض الرجل من مقعده وراء الطاولة ووقف أمام سام و قال له "حسناً يا سام ، أنت تقول ، إن الماركسية أو الاشتراكية هي الحل الأمثل ، و أنا أقول لك ، لا ، إنها ليست كذلك ، و الدليل على ذلك هو مجتمعات و دول المنظومة الاشتراكية ، إنها فقيرة و غير متطورة ، تقنياً و تكنولوجياً ، حتى الاتحاد السوفيتي ، الذي يعد الآن دولة عظمى ، هو متطور فقط بالسلاح ، أما في الأمور الاجتماعية و التقنية الأخرى ، فصناعاته كلها متخلفة ، و متأخرة عن الصناعات في الدول الغربية ذات النظام أو التوجه الاقتصادي الحر ، و تعد بدائية بالنسبة لها ، بالإضافة إلى أن شعوب هذه البلدان لا تملك الحرية و الديمقراطية التي تمتلكها الشعوب في المجتمعات الغربية ، و أظنك قرأت عن ستالين و غيره ، و الدليل على ذلك هو أن تقارن بين الحياة في الدول الغربية و الحياة في الدول الشيوعية ، الرأسمالية يا سام تعطي الخيار للأفضل ، تعطي مجالاً للإبداع و الابتكار ، تعطي للإنسان أقدس حق من حقوقه و هو حق الملكية الذي هو مفقود في الدول الشيوعية ، و الرأسمالية أو البرجوازية ، تعطي الحرية لكل شخص أن يتفوق و يقدم أفضل ما عنده و هذا غير موجود لدى الشيوعية التي تفرض على الإنسان السير وفق نظام محدد و مبرمج سلفاً من قبل الدولة و بالتالي تقتل كل إبداع ، الاقتصاد الحر يعتمد مبدأ المنافسة في السوق ، و هذا يعني أن المنتج الأجود و الأفضل و الأرخص هو الذي يفرض نفسه في السوق و بالتالي سيسعى الناس إلى تقديم أفضل ما عندهم " - " و لكن الرأسمالية لها مشاكل كثيرة ، هناك التفاوت الطبقي ، الظلم الاجتماعي ، الاحتكار ، و هذه كلها غير موجودة في الاشتراكية التي على الأقل تساوي بين الناس ، و إذا كانت الرأسمالية تهتم بالإنسان من ناحية الأدوات و التكنولوجيا ، فأن الاشتراكية تهتم بالإنسان نفسه ، تبحث عن كرامة الإنسان ، تحقق العدالة للإنسان ، و أفكار ماركس كلها تعبر عن ذلك " . ابتسم مسؤول شؤون الطلاب قائلاً " و من قال لك "إن الرأسمالية

لا تفعل ذلك يا سام ، إنها أيضاً تفعل الأمر ذاته ، و لكن بأسلوب مختلف ، و البرجوازية أو الرأسمالية هي أيضاً ثورة مثل الثورة البلشفية التي قامت في روسيا القيصرية ، فهي قامت ضد الإقطاعية التي كانت تمثل التخلف ، والاستغلال في أوروبا ، و لكن لها أسلوبها و نظرياتها و أفكارها المختلفة عن الشيوعية ، و إذا قرأت كتب آدم سميث ، و ديفيد ريكاردو و غيرهم من المفكرين الليبراليين البرجوازيين الكبار ، ستري أن البرجوازية الليبرالية تسعى أيضاً إلى تحقيق الفائدة للفرد في المجتمع ، أما ما تتحدث عنه من مشاكل اجتماعية ، فالبرجوازية تسعى دائماً إلى إصلاح نفسها و تدارك الأخطاء و العلل ، من المؤكد أنه يوجد في كل مفهوم أو نظرية أخطاء و سلبيات " . أرخى سام قدمه عن الأخرى و فكر قليلاً ثم قال " أنت تقول يا أستاذ إن البرجوازية أو الليبرالية تعتمد على الديمقراطية و الحرية ، و لكني ألاحظ أنكم تحاربون كل ما له علاقة بالشيوعية " - " لا يا سام ، نحن ضد الشيوعية كفكرة و مفهوم ، و لكن ليس بهذه الطريقة التي تتحدث عنها ، نحن لا ندعو إلى إزالة تلك الأحزاب أو المفاهيم كما يفعلون هم ، بل نقبل بالتعايش معها من مبدأ الحرية و الديمقراطية التي هي من أساس و صلب عقيدتنا و من مبدأ أن المفهوم الأقوى والذي يثبت فائدته في الحياة هو الذي يجب أن يسود ، وأكبر مثال على ذلك هو صديقك أندريه الذي يهاجمنا دائماً ، لقد سمحنا له بالدراسة في مؤسسة إلفا و أمنا له وظيفة لائقة بعد التخرج في إحدى الشركات الرأسمالية البرجوازية الليبرالية الخاصة ، و هو يعمل فيها بكل حرية ، و هو الذي قال أكثر من مرة إنه يتمنى لو لم تكن مؤسسة إلفا موجودة ، فأين الحرب في ذلك ، نحن سنوياً نسمح بقبول عدد من الطلاب من حزب الشعلة و على حسابنا ، فهل يفعلون هم المثل لو كانوا مكاننا ، بالطبع لا ، و أنت تعرف هذا جيداً ، هم من يشنون الحرب علينا و على الديمقراطية ، ليس ذلك فقط بل على الدين أيضاً ، هناك ركن أساس من أركان الماركسية ، اسمه ديكتاتورية البروليتاريا ، إنه مفهوم أساس عندهم ، و هناك مفهوم آخر لديهم هو المفهوم الإلحادي و يدرس عندهم في الجامعات ، هل تعلم أن أول شيء سيفعلونه إذا وصلوا إلى

السلطة هو إزالة مؤسسة المعلم رالف .. و المعلم رالف من الوجود ، نحن يا سام لسنا كما تتوهم .. أو كما يتم إبهامك، هل تعلم أننا أحياناً نقبل ببعض المفاهيم الاشتراكية أما هم فلا يقبلون بأي مفهوم ليبرالي ، و هناك كثير من الدول التي تطبق النظام الاشتراكي هي على نقيض معهم فقط لأنها تسمح بشيء من اقتصاد السوق الحر ، أو لأنها تعطي الحرية لمواطنيها بالتملك بل و حتى بإبداء الرأي و الاعتراض إلى حد معين و تسمح بحرية الشعائر الدينية " . كان مسؤول شؤون الطلاب يتكلم بإسهاب وهو يحرك يديه بالهواء بلهجة خطابية . و هنا أحس سام أن محاوره أقوى منه بالكلام و المناورة و يمسك بزمام الأمور ، و أنه قد أصبح في وضعية الدفاع بدل الهجوم ، و لهذا فضل الانسحاب بهدوء و إيقاف الكلام عند هذا الحد ، فالتفت إلى الرجل قائلاً : على كل حال يا أستاذ ، أنا لست مطلعاً بهذا الشكل الواسع الذي تتخيله ، على الرأسمالية أو الاشتراكية أو الليبرالية ، و لهذا لا أستطيع الدخول في هذه التفاصيل الدقيقة بالنقاش ، و لكن ربما في وقت لاحق نستطيع النقاش أكثر " . عدل مسؤول شؤون الطلاب من ياقته بوقار و قال و قد أحس أنه كسب النقاش " معك حق يا سام ، و لهذا أنصحك بقراءة كتب آدم سميث ، ريكاردو و روبرت مالتوس أو جون ستيوارت ميل حتى تكون مطلعاً أكثر ، و تستطيع تحديد الخطأ من الصواب ، إنها موجودة عندنا هنا في المكتبة كما الكتب الماركسية و أمثالها موجودة " . عندما خرج سام من الغرفة ، رفع المسؤول الإداري سماعة الهاتف و ضرب رقماً معيناً و بعد قليل تحدث قائلاً "أخشى أننا جئنا متأخرين ، لقد سبقونا إليه نعم ، نعم معك حق ، كان يجب أن نتدارك هذا الأمر من السنة الماضية لا إنه ليس تقاعساً منا ، و لكن المشكلة يا سيدي ، أنه لم يخطر ببالنا أن شخصاً يعمل في مؤسسة المعلم رالف و متحمساً لها و لأفكارها ، ينقلب بين ليلة و ضحاها إلى حزب الشعلة و لكن أظن أنني أثرت فيه الآن حسناً ، لا بأس ، كما تريد " .

عندما خرج سام من غرفة المسؤول ، كان فكره مشوشاً ، أدرك أنه ينقصه الكثير من الثقافة السياسية ، و لهذا ذهب إلى أندريه يستشيريه في ذلك . " ما كان عليك يا سام أن تتورط في النقاش معه ، إنه خبيث و بارع في الكلام و التلاعب بالألفاظ و قد يخدعك ببعض الكلام المعسول ، و لهذا يجب عليك أن تبدأ بتثقيف نفسك سياسياً و فكرياً بأن تتطلع على الكتب و المنشورات التي يوزعها حزبنا ، و تحضر المحاضرات الثقافية التي يلقيها المسؤول الثقافي عندنا ، آه لو كنت معك أنا لعرفت كيف أرد عليه " . حك سام أرنبه أنفه و هو ينظر إلى أندريه و قال " و لكن ماذا كنت ستقول له يا أندريه ، كيف كنت سترد على كلامه الذي قاله ؟ " . كَحَ أندريه قليلاً ثم نظر إلى ساعته و قال " هناك محاضرة في المركز الثقافي عندنا في الحزب ستبدأ بعد قليل ، ما رأيك أن نذهب و نحضرها " . انطلق الاثنان نحو موقف باص النقل العام و من هناك صعدا في أول باص .

كان كلام المسؤول الثقافي في المحاضرة التي ألقاها اليوم ، عن بعض رموز الثورة البلشفية في روسيا ، و بعض أبطالها ، كان يتحدث عن أفعالهم و تضحياتهم و تفانيهم في خدمة الحزب ، كان يتحدث بحماسة و انفعال و عواطف جياشة ، حتى وصل إلى إحدى الشخصيات ، و كان طفلاً صغيراً ، فأخذ يتحدث عنه و كيف أن الجماعة قد حصلت في إحدى الفترات بعد قيام دولة الاتحاد السوفييتي مباشرة ، فطلبت السلطات من كل مواطن عدم تخزين الحبوب و تقديم الفائض إلى السلطات لتوزع على الشعب تحت طائلة الإعدام بوصفه عدواً للشعب ولكن والد هذا الطفل لم يمثل لهذه الأوامر و راح يكدس الحبوب في المنزل ، فقام الولد الصغير بإبلاغ السلطات عن أبيه ، فحوكم الوالد و أعدم رمياً بالرصاص ، و كوفئ الولد الصغير من قبل السلطات . أخذ المسؤول يتحدث عن هذا الولد و كيف فضل مصلحة الشعب على حياته و حياة أبيه و كيف فضل أن يجوع هو وأسرته و أن يحاكم أبوه في سبيل مصلحة الشعب و أنه عندما

قام مجموعة من الفلاحين بقتله انتقاماً لأبيه ، قامت السلطات السوفيتية بإقامة تمثالاً له و سمت أحد الميادين باسمه . عندما انتهت المحاضرة خرج سام إلى الشارع ، كان تفكيره كله يدور حول هذا الولد الذي تحدث عنه المسؤول الثقافي في المحاضرة ، طوال الطريق كان يفكر به و يتخيله ، لقد أعجب به إعجاباً شديداً ، و في المساء عندما استلقى كعادته على السرير و أخذ يحدق في السقف في الفراغ ، و في غمرة التحديق بالفراغ ، اتخذ قراراً في نفسه ، قرر أن يقطع المبلغ الذي يحوله إلى أسرته كل شهر و يتبرع به إلى صندوق الحزب ، و في اليوم التالي عندما التقى بأندريه في مركز الحزب ، أخبره بقراره هذا ، و لكن أندريه اعترض على ذلك " لا يا سام ، إنني لا أرى داعياً لذلك ، أسرته هي أحق بالمبلغ من أي شخص آخر " - " و لكنهم ليسوا بحاجة ماسة له ، إنهم يستخدمونه من أجل تسريع انقضاء فترة القرض ، وهو يضاف إلى المبلغ الذي يسدده والذي إلى المصرف ، لا أكثر ولا أقل و هناك أناس أكثر بحاجة إليه " . هز أندريه رأسه و أوماً بيده نافياً " لا ، لا يا سام ، قرارك هذا ليس حكيماً ثم ما هو المبلغ الذي ستدعم به الحزب إنه مبلغ ضئيل ليس إلا ، و على كل حال هاهو المسؤول الثقافي للحزب قادم و هو سيقدر " . كان المسؤول الثقافي قادماً بالفعل " مساء الخير أيها الرفاق ، كيف حالك يا سام " - " بخير أيها الرفيق " . التفت أندريه إلى المسؤول الثقافي و قال له " أيها الرفيق ، إن سام و بعد سماعه محاضرتك الأخيرة ، قرر أن يقطع المبلغ الذي يحوله إلى أسرته كل شهر ، و يريد أن يضعه تحت تصرف الحزب ، و هو عبارة عن نصف المرتب الذي كنا نتقاضاه من الجامعة في أثناء الدراسة فقط ، إنني لم أوافقك الرأي في ذلك ، فما رأيك أنت أيها الرفيق في ذلك ؟ " . التفت المسؤول الثقافي إلى سام و وضع يده على كتفه و قال " و أنا أيضاً لا أوافقك في ذلك ، أبداً ، أبداً . إن أسرته يا سام هي أولى الناس بهذا المبلغ ، كان من الممكن أن أوافقك الرأي لو أن أهلك ليسوا بحاجة إلى هذا المبلغ ، و لكن بما أنهم بحاجة ماسة له ، فهم إذن يستحقونه و أنت أولى الناس بإعطائهم إياه " . أطرقت سام برأسه إلى الأرض و يد المسؤول الثقافي ما تزال فوق كتفه ، فكر قليلاً ،

ثم رفع رأسه و قال بضيق " و لكن أيها الرفيق إنهم ليسوا بحاجة ماسة له ، وأظن أن هناك من هو أولى منهم بذلك " . أبقى المسؤول الثقافي يده فوق كتف سام و لكن هذه المرة أخذ يربت عليه برفق و بإيقاع متناغم مع كلامه " طالما أن والدك يسدد قرض المصرف من راتبه الشهري الذي ليس له دخل غيره ، فهو إذاً بحاجة إلى المال ، لأن المصرف عندما يأخذ القسط من مرتبه الشهري ، سيقع حتماً في ضائقة مالية ، و نحن هنا في الحزب لدينا مبدأ يقول { من كل حسب طاقته ، و لكل حسب حاجته } و هذا يعني أن الذي سيعطي أو سيقدم ، يجب أن يتوفر فيه شرط القدرة على التقديم ، و الذي سيأخذ يجب أن يتوفر لديه شرط الحاجة إلى الأخذ ، و لهذا فأنا أدعوك إلى إعادة تحويل المبلغ الذي كنت ترسله إلى أسرته ، فوراً " . أطرقت سام على الأرض و لم ينبس بشفة .

بدأت الأحداث في البلد تزداد اضطراباً ، و كان سام متأثراً بهذه الأحداث تأثراً شديداً . كان الصراع على أشده بين المعارضين للاتفاقية العسكرية و المؤيدين لها ، و لهذا قررت الحكومة تأجيل قضية البت بهذه القضية في البرلمان إلى ثلاثة شهور أخرى ، حتى يتضح الموقف أكثر . كان سام قد انغمس أكثر فأكثر في حزب الشعلة ، و في الوقت نفسه تابع عمله في مؤسسة المعلم رالف ، و لكن بشكل أخف من السابق . كل يوم كانت تنتابه أحاسيس جياشة لا يعرف مصدرها فيذهب إلى مكان آخر ليخفف عن نفسه قليلاً و لكنه يفاجأ بالضيق في المكان الذي يذهب إليه ، عندما يكون في المركز الثقافي لحزب الشعلة و يسمع كلام المحاضرين عن العدالة و المساواة و العمال و الفلاحين و الاشتراكية و الثورة ، كان يشعر بالضيق الشديد فيذهب إلى مؤسسة المعلم رالف ، و هناك يسمع الكلام عن المجتمع و عن فساد الإنسان و التبرعات و المال و العبادة و الإصلاح و الإنسان و الخطأ و النفس و الروح ، يشعر مرة أخرى بالضيق الشديد فيذهب إلى عيادة الدكتور بروكلمان في المساء و هناك يقرأ عن علم النفس إذا كان هناك مرضى أو يتحدث مع

الدكتور بروكلمان ، إنه يحاول إيجاد فسحة فارغة ليس فيها مشاكل أو هموم ، عند الدكتور بروكلمان لم يكن يجرؤ على مفاتحه بشيء ، الدكتور كان يلاحظ عليه ذلك و يسأله ، و لكن سام لم يكن يجيب ، كان يتعلل بالتعب أو الدراسة ، في عيادة الدكتور بروكلمان كان يرى المرضى و يسمع تصرفاتهم فينتابه هذا الضيق الشديد الذي لا يعرف ما هو ، فيخرج إلى الشارع و يمشي وحيداً في الليل فيشعر بالارتياح قليلاً ، فيكمل إلى السكن الجامعي مشياً على الأقدام .

في أحد الأيام ، كان جالساً في الكافيتيريا يتناول القهوة ، و يتأمل الطلاب الجالسين أمامه ، شبان و شبانات يجلسون على الطاولات و يتحدثون بمرح ، يمسكون دفاتر و أقلام ، يتكلمون عن المحاضرات و أمور أخرى ، كان يحدق بهم من دون شعور ، أو إحساس معين ، إنهم بشر مجرد بشر ، يضحكون و يمرحون ، هكذا من دون سبب ، لا يحسون بشيء ، رفع نظره قليلاً ، حوالي العشر درجات فارتطم بالزجاج و منه تسرب إلى الخارج مخترقاً إياه محققاً بالاشيء .. مفكراً بالاشيء " كم هو جميل التفكير بالاشيء و التحديق بالاشيء ، إنه يمنح الشعور بالأمان " قال في نفسه و هو يحتسي القهوة ببطء . بينما هو كذلك ، دخل أندريه ، كان وجهه عابساً غاضباً ، و يبدو عليه الضيق الشديد ، جلس على الطاولة دون أن يتكلم . ترك سام التحديق بالاشيء و التفت إلى أندريه " ما بك يا أندريه ، لماذا أنت حزين و منزعج هكذا ؟ " . وضع أندريه يديه على الطاولة و أشار للنادل بكوب من القهوة ثم أشعل سيكارة و أخذ ينفث دخانها في الهواء . " ماذا هناك يا أندريه ، لم تجبني؟؟ " سأل سام بقلق " - الأندال ، لقد طردوني من العمل " . انتفض سام في مقعده وقال "ماذا ؟ ماذا قلت يا أندريه ؟ " . كان النادل قد وصل ، فأخذ أندريه فنجان القهوة ووضعه أمامه و أخذ يدوره بين أصابعه ثم تكلم وهو يحدق بالسواد داخله و سيكارتته في فمه مشرعة للأعلى " اليوم طلبني المدير و أبلغني قرار الاستغناء عن خدماتي " - " لماذا !!؟؟ " - " لأنني أقوم بتحريض

العمال في الشركة ضد الإدارة " - " و الآن ماذا ستفعل ؟ " - " لا أدري ، و لكن يجب أن نستمر في النضال ، إنهم يحاولون إجهاضنا و إحباطنا ، و لكننا يجب أن نكون أقوى منهم ، يجب أن نجعلهم يعرفون أننا لسنا بحاجة لهم و أننا أقوى منهم " . التفت سام مرة أخرى إلى اللاشيء أمامه و قال بشروود " نعم ، نعم ، يجب أن يعرفوا أننا أقوى منهم " . كانت ردة فعل سام عنيفة على هذا الموضوع ، عندما جاء آخر الشهر لم يذهب لاستلام راتبه ، و بقي من دون مال ، كان يذهب إلى مؤسسة المعلم رالف سيراً على الأقدام و يأكل من هناك و يعود بالطريقة نفسها . كل تنقلاته كانت بالطريقة نفسها ، لأنه لم يكن يملك أية نقود ، أراد أن يثبت للعالم و لنفسه أنه لا يأبه بالمال . بعد فترة استدعاه مسؤول شؤون الطلاب في الجامعة "لماذا لم تقبض راتبك يا سام !!؟؟؟ " - " لست بحاجة إليه " - " و هل هناك أحد لا يحتاج إلى المال يا سام !!؟؟ " - " نعم ، هناك أناس لا يحتاجون إلى المال الذي تقيمون عليه نظرياتكم و أفكاركم و تعدونه أساس قيام المجتمعات و أساس حياة الفرد ، هذا المال لا يساوي لي شيئاً ، لا يعني لي شيئاً ، إنه لا شيء ، هل تسمع ، لا شيء " . نظر مسؤول شؤون الطلاب إلى سام بريية و استغراب و حدق به بنظرة متفحصة " إن تصرفاتك غريبة يا سام ، و أفكارك أيضاً أغرب ، ما بك !!؟؟ ما الذي حصل معك؟؟ شكلك تغير ووجهك شاحب و تعب و يداك تهتران ، على كل حال لن أناقشك الآن ، و لكن أحب أن أقول لك أن المؤسسة قررت زيادة مرتبك ، و بعد ثلاثة أشهر عند انتهاء السنة الدراسية و تخرجك ، سيكون عملك بانتظارك ، و الآن تفضل هذا هو مرتبك " نفض سام يديه إلى الوراء بحركة عصبية و قال بنبرة حادة " لا أريد مالاً ، لست بحاجة إليه ، إنه لا يهمني ، لا يعنيني ، و حتى العمل الذي نتحدث عنه ، لا أريده ، لأنني لست بحاجة إليه أيضاً ، هل تظنون أنكم تستطيعون التحكم بنا ، أنتم مخطئون و سأثبت لك ذلك ، و الآن أشكرك على هذه المبادرة الفاشلة ، إلى اللقاء " . استدار سام بهدوء و خرج من الغرفة ، بينما بقي الموظف بلا حراك ينظر إليه و قد فغرفاه من الدهشة .

بدأت حياة سام تتغير شيئاً فشيئاً ، كانت تصرفاته تزداد عدائية و حدة ، كان يقضي يومه إما عند المعلم رالف حيث كان يأكل وجبة واحدة في اليوم و يستمع إلى كلامه و أحاديثه ، و إما في مركز حزب الشعلة حيث يستمع إلى المحاضرات و الندوات التي تقام هناك أو يطالع الكتب ، أصبح هزياً و لم يعد يهتم بالدراسة كما في السابق ، و عندما وصلت رسالة من والده يعلمه فيها عن انقطاع المبلغ الذي يرسله إلى البنك ، بعث إليه برسالة يخبره فيها أنه لن يرسل بعد الآن أي مبلغ . و عندما انتهت السنة الدراسية و تخرج من مؤسسة إلفا ، رفض التوقيع على عقد عمل في إحدى الشركات ، كان عقداً مغرياً و لكنه رفض ، قذف العقد بوجه مسؤول العلاقات العامة في مؤسسة إلفا و خرج من الغرفة . فضل أن يعيش حياة الزهد و التقشف ، كان يحس بنوع من الأمان عندما يكون بقرب المعلم رالف ، أطلق لحيته و ابتعد عن أحداث الشارع نوعاً ما ، أحياناً كان يلتقي في الجمعية مع الدكتور بروكلمان ، كان يتناقش معه و يستمع إليه . أما أندريه فإنه لم يعد يراه ، أحياناً يذهب إلى مركز الحزب و يسأل عنه ، فلا يجده ، يترك له خبراً عند أصدقائه ، فلا يأتي ، هل هو مشغول ، ربما .

في أحد الأيام ، وبعد أن تناول وجبته الوحيدة ، ذهب إلى مكتب السيد جاكوب الذي كان يقرأ في الصحيفة اليومية و يشرب القهوة كعادته " هل قرأت هذا الخبر يا سام ؟ " - " أي خبر ؟ " - " لقد أقر البرلمان الاتفاقية العسكرية اليوم " - " مستحيل " . قال سام و خطف الجريدة من يد السيد جاكوب و أخذ يقرأ بذهول ، لقد كان الخبر صحيحاً . ترك الجريدة من يده و خرج مسرعاً من الجمعية إلى مقر الحزب الاشتراكي ، كان يركض بسرعة في الشارع و هو يلهث من التعب ، و مع ذلك ظل يركض . عندما وصل إلى هناك أخذ يبحث عن أندريه ، كان المكان مزدحماً جداً و الأصوات تعلو من هنا و هناك ، وقف

سام قليلاً و أخذ يلتفت يمنة و يسرة ، و فجأة لمح أندريه من بعيد ، صرخ له بصوت عال ، و لكن أندريه لم يلتفت إليه و اختفى بين الزحام ، أخذ يصرخ بكل ما أوتي من قوة و لكن أندريه لم يظهر ، انطلق نحو مكتب المسؤول الثقافي و دخل دون أن يطرق الباب . " من سمح لك بالدخول هكذا يا سام ؟ " سأل الرجل بغضب . وقف سام محاولاً استعادة أنفاسه ثم قال " أرجوك أخبرني أيها الرفيق ، هل صحيح أن الاتفاقية قد تم توقيعها " - " نعم يا سيدي لقد تم توقيعها " - " ولماذا ؟؟؟!! " . نظر الرجل إلى سام نظرة استهجان و قال ببرود " يبدو أنهم في البرلمان لم يروا مانعاً من توقيعها فوقعوها ، البلد يا سام بحاجة إلى المال " . حملق سام بالمسؤول الثقافي و هو بالكاد يقف على قدميه و قال " و لكنكم تختلفون مع الأحزاب الأخرى في هذه النقطة ، المال ، فكيف تعدون الآن أن المال هو الأساس و أتم ترفضونه !! ؟؟ " . نظر الرجل إلى سام باستغراب قائلاً " و من قال لك يا سام إننا نرفض المال ، صحيح أننا نختلف مع الأحزاب الأخرى في طريقة توزيع المال و في طريقة التصرف به ، و لكننا لا نرفض المال ، المال يا سام موجود في المجتمعات منذ ظهور البشرية ، إنه موجود في كيان و تفكير كل إنسان ، موجود في كل مصطلح و مفهوم ، جاء آدم شميث أبو المفهوم الرأسمالي ، فتحدث عن المال وفق طريقته و مفهومه هو ، و بعد ذلك جاء كارل ماركس و أيضاً تحدث عن المال ، و لكنه وضع الطريقة المثلى للتصرف به " - " لقد ظننت يا " - "ماذا ظننت يا سام ، وأنا الذي ظننت أنك فهمت الأفكار و المبادئ الاشتراكية و قرأتها جيداً ، ولكن يبدو أن هذه الأفكار التي يلقنونك إياها في الجمعيات الدينية قد أثرت في تفكيرك ، والآن أعذرني فأنا مشغول جداً " . أحس سام بدوار شديد و صداع عنيف ، فترك المسؤول الثقافي و خرج من الغرفة ، سار في الممر بين الناس المجتمععة في مقر الحزب ، كان هناك صياح و صخب و أصوات في كل مكان ، و لكن سام لم يكن يسمع شيئاً ، الصداع الشديد يمزق رأسه ، خرج من مقر الحزب و سار باتجاه الجمعية ، كان متعباً ، أراد أن يستقل الحافلة ، و لكن لم يكن معه نقود ، فاضطر للسير مشياً على الأقدام ، كان يسير

لمسافة معينة ثم يجلس على الرصيف ليسترخ ، حتى وصل إلى بوابة الجمعية ، و هنا بدأت الدنيا تدور أمامه ، حاول الدخول ولكنه ارتطم بعنف بالجدار ، فسقط على الأرض .

في اليوم التالي عندما استيقظ وجد نفسه مستلقياً على سرير في غرفة صغيرة ، نظر حوله فرأى سيروماً معلقاً إلى جانبه و متصلاً بيده ، حاول النهوض و لكنه أحس بالضعف الشديد فبقي مستلقياً ، بعد قليل فتح الباب و دخلت ممرضة بتياب بيضاء سألته بابتسامة لطيفة كيف " تشعر الآن يا سيدي " . تلفت سام حوله بدهشة ، نظر إلى السقف ثم إلى الحائط ، ثم إلى السيروم المعلق فسأل بدهشة " أين أنا !!! ؟؟ " أجابت الممرضة بابتسامة " أنت في المستشفى " - " و كيف جئت إلى هنا ؟؟؟ " - " أنت لم تأت ، هم أحضروك " - " و لكن .. " - " أرجوك ابقَ مستريحاً الآن ولا تتكلم " ، بعد أن قاست الممرضة حرارته و ضغطه ، قالت له " لقد تحسنت الآن عن البارحة ، ابق مستريحاً و سأذهب لأخبر الطبيب بأنك استيقظت " . خرجت الممرضة و بعد قليل دخل الطبيب و معه الدكتور بروكلمان " كيف أنت الآن يا سام ، كيف تشعر ؟ " - " بخير و لكن ما الذي حصل معي !! ؟؟ " . ابتسم الدكتور بروكلمان و قال " لقد أغمي عليك البارحة أمام الجمعية ، فأسعفناك إلى هنا و لم تستيقظ حتى الآن " . بعد أن فحصه الطبيب سأله الدكتور بروكلمان عن وضعه ، فأجاب " لقد تحسن بالنسبة للبارحة ، لقد مر بأزمة إرهاق و نقص تغذية شديدين ، بالإضافة إلى انهيار عصبي ، أنصح ببقائه في المستشفى هنا لمدة يومين آخرين و بعد ذلك من الممكن أن يخرج ، أما بالنسبة للأمور العصبية و النفسية فأنت أدرى يا دكتور بهذا الشأن ، إنه لك الآن " . عندما خرج الطبيب جلس الدكتور بروكلمان إلى جانب السرير " لقد قسوت على نفسك يا سام كثيراً ، فلماذا كل هذا " . نظر سام إلى السقف إلى اللاشيء و قال " أشعر بالإحباط يا دكتور " . وضع الدكتور بروكلمان يده على ركبته و قال " لماذا لم تخبرني عما حصل معك يا سام .. ها إنني مصغ

الآن ، فقل لي ما الذي يؤرقك " . روى سام للدكتور بروكلمان ما حصل معه في السنة الدراسية الأخيرة و حتى الآن . كان الدكتور بروكلمان ينصت باهتمام شديد و قد تفاجأ أن يكون كل ذلك قد حصل مع سام دون علمه ، و في النهاية قال له " اسمع يا سام ، في الحياة أمور كثيرة ، و تناقضات أكثر و مشاكل أكثر فأكثر ، و كلما عاش الإنسان في هذه الحياة ، كلما رأى أموراً جديدة و ظهرت له مفاهيم وأشياء لم يعرفها من قبل ، و هذه الأمور و الأشياء إما أنها تحمل تناقضاتها معها أو على الأقل لا بد من وجود نقيض لها من خارج وسطها ، لكن من المهم للإنسان أن يميز و يدرك هذه التناقضات و يتعامل معها بحكمة و دراية و موضوعية و اعتدال ، لأن التطرف في الآراء و المغالاة فيها يؤدي بالإنسان إلى المتاعب ، و الكلام الذي قاله لك المسؤول الثقافي بحزب الشعلة هو صحيح يا سام ولا غبار عليه ، إن الاختلاف بين الاشتراكية و الرأسمالية هو في كيفية التصرف بالمال ، كلا الطرفين يعتمدان المفهوم المادي و يعدانه وسيلة لحل المشاكل الإنسانية ، كل بحسب رأيه و معتقده ، المال يا سام موجود و لا نستطيع الاستغناء عنه " . حاول سام التحرك في فراشه و النهوض و لكن التعب و الإعياء منعه من ذلك فعاد إلى النظر مرة أخرى إلى السقف ، إلى اللاشيء و قال بشيء من التعب " بل نستطيع يا دكتور ، نستطيع ، ها أنذا منذ أكثر من خمسة أشهر لم أقبض فلساً واحداً و مع ذلك عشت حياة طبيعية ، بل لقد أحسست بنوع من الارتياح النفسي ، أنت دكتور في علم النفس و أظنك تعرف ما أعنيه ، هل تستطيع أن تقول لي لماذا ؟ ... أنا في داخلي أعرف لماذا ، و لكن أريد أن أسمع منك أنت ، حتى أتأكد من مهارتك في علم النفس ، صمت الدكتور بروكلمان قليلاً ثم نظر إلى سام و قال "لأنك في داخلك تريد العودة إلى حياتك الطبيعية التي عشتها في البلدة ، إلى طفولتك ، لأنك تريد أن تخلق هذه الحياة من حولك ، هنا في العاصمة " رفع سام ذراعه النحيلة و أشار بإصبعه إلى الدكتور بروكلمان قائلاً بصوت ضعيف خافت " كلامك صحيح يا دكتور ، هذا بالضبط ما كنت أشعر به ، و لكن لماذا أريد أن أفعل ذلك يا ترى ، هذه المرة أنا لا أعرف ،

فهل تعرف أنت؟". ابتسم الدكتور بروكلمان وقال بحركة كاريكاتورية مقلداً المحاضرين و مماًزحاً سام " نعم أعرف ، لأنك في العاصمة هنا عشت تناقضات عدة في آن واحد ، و هذه التناقضات هي خفية بالنسبة إليك " - " لم أفهم يا دكتور " . عدل الدكتور بروكلمان من لهجته و قال بجدية " لقد قبلت يا سام ، أو تعاملت مع ثلاثة مفاهيم في آن واحد .. الدين ، الماركسية ، الرأسمالية ، و هذه المفاهيم الثلاثة هي متناقضة مع بعضها بشكل أو بآخر ، إما أنك لم تكن تراه و تعلمه ، أو أنك رأيته و علمته و لكنك بشكل غير مباشر كنت تحاول تجاوزه إلى المثالية المطلقة التي تجمع بين هذه العناصر الثلاث حتى اصطدمت بالتناقض الحاصل بينها ، و بشكل عنيف ، أنت تأثرت بكل هذه المفاهيم وبشكل قوي جداً ، في البداية تفاعلت مع جامعتك و تفوقت فيها بشكل مطلق ، ثم تفاعلت مع مؤسسة المعلم رالف و أيضاً تفوقت فيها و استوعبت أفكارها ، و تفاعلت مع حزب الشعلة و اقتنعت أيضاً بأفكاره و عملت لأجلها ، حتى في مجال علم النفس عندما عملت عندي في العيادة حاولت الاطلاع و الاستفادة قدر الإمكان ، المهم يا سام إنك وقعت من دون شعور بين هذه المفاهيم كلها و في الصراع الخفي أو الظاهر بينها ، فحاولت من دون شعور أيضاً أن تعود إلى وضعيتك الأولى ، أي الحياة التي كنت تعيشها في البلدة ، فرضت المال من أساسه و عشت حياتك هذه من دون مال ، لقد ظننت يا سام أنك تستطيع تعميم تفوقك في الدراسة والجامعة على كل مفاهيم الحياة و مشاكلها ، و هذا لا يمكن أن يكون أبداً " حدق سام مرة أخرى بالسقف و حرك شفثيه قائلاً " ربما كلامك صحيح يا دكتور ، لقد كنت أحس فعلاً بأنني ممزق ، مشتت ، كمن يمسك بالأشياء و لا يستطيع التحكم بها ، تماماً كما يفعل البهلوان في السيرك حين يقذف ثلاث كرات في الهواء و يحاول تلقفها بالتناوب و لكنها تسقط جميعها من يده ، و مع هذا بقيت على ولائي و محبتي للمعلم رالف و مرتاحاً جداً بالتعامل معه ، أحس بأن طبيعتي قريبة من طبيعته ، أنا مقتنع تماماً بأن المال هو سبب كل مشاكل الإنسان " . جلس الدكتور بروكلمان على السرير قرب سام ، و وضع رجلاً فوق

رجل و قال له " اسمع يا سام ، المال هو مشكلة و ليس مشكلة في الوقت نفسه ، فإن كان المال هو مشكلة ، فإن حل هذه المشكلة هو المال نفسه ، و إن لم يكن كذلك ، فلا ضير من التعامل معه ، هذا الكلام قد لا تفهمه الآن ، و لكن أستطيع أن أقول لك أن العبرة ليست بالمال ، وإنما بكيفية استخدام المال " حول سام نظره من السقف إلى الدكتور بروكلمان و قال " أتدري يا دكتور ، لقد نهتني بما قلته لي قبل قليل ، إلى أشياء مهمة جداً " - " المهم الآن أن ترتاح ، و ألا تتعب نفسك ، و أنا برأيي بعد أن تخرج من المشفى أن تعود إلى البلدة و تمكث فيها حتى تستعيد توازنك النفسي و تتخلص من كل التناقضات الفكرية و الذهنية التي قد تؤثر فيك ، و بعدها تقرر ماذا يمكن أن تفعل و كيف ستبني مستقبلك من جديد ، الحياة مليئة بالمشاكل يا سام و علينا أن نجد الحلول العقلانية المنطقية لها ، هل فهمتني يا سام " - " نعم ، فهمتك يا دكتور " . بعد قليل طرق الباب و دخل المعلم رالف ، حاول سام النهوض و لكن الدكتور بروكلمان منعه ، اقترب منه المعلم رالف و قال بابتسامة حزينة " ابقَ مستريحاً يا سام ، كيف أصبحت اليوم كيف أصبح اليوم يا دكتور " - " إنه بخير ، لقد تحسن عن يوم أمس كثيراً و لكنه سيبقى لمدة يومين كما أخبرني الطبيب هنا " . نظر المعلم رالف إلى سام بجزن شديد و قال " إنني أحبك من كل أعماقي يا سام و أعتبرك مثل ولدي تماماً ، لقد رأيتك تقسو على نفسك كثيراً خلال الفترة الماضية ، حاولت أن أمنعك ، أن أخفف عنك ، و لكن لا أدري لماذا لم أفعل ذلك ، شيء ما كان يمنعني لا أدري ما هو ، تصور يا دكتور (تابع المعلم رالف و عيناه دامعتان) إنه يأكل وجبة واحدة خفيفة في اليوم ، و يقوم بعمل جبار ، يقرأ الكتب و يقوم بمساعدة جاكوب و يعمل في المطبخ و يعطي دروساً للأمين و هو واقف على قدميه ، ينزل إلى المطعم و يتكلم مع الفقراء و المتسولين و المتشردين ، يزرع فيهم الأمل و البهجة ، لقد أصبحوا يحبونه كثيراً ، و في الليل يقضي معظم وقته في العبادة ، كنت أراه و أراقبه و هو يجهد نفسه ، لم يكن يتعب ، لم يكن يرتاح ، حاولت أن أمنعه ، أن أجعله يخفف من إجهاده ، ولكنني خشيت في داخلي أن

أخطئ بحقه ، نعم ، خشيت أن أخطئ في حقه ، ترددت في منعه لأنني رأيت نفسي فيه ، لأنني كنت أرى كل تعاليمي و أفكاري تتحقق في هذا الشاب ، فلم أشأ أن أدعه يتوقف ، إنني أعترف بذلك " . ربت الدكتور بروكلمان على كتف المعلم رالف و قال له " على كل حال ، أنا من رأيي أن يذهب إلى البلدة بعد خروجه من المشفى و يمكث هناك لفترة حتى تستريح أعصابه و يستعيد قواه ، و من ثم يقرر ماذا يمكن أن يفعل ، و نحن سنساعده بالتأكيد، ما رأيك يا معلم في ذلك " هز المعلم رالف برأسه و هو يمسح الدموع من عينيه و قال موافقاً "نعم ، نعم ، أوافق على ذلك ، أنت أيها الصديق بروكلمان كلمتك مسموعة دائماً و رأيك محل الصواب و التقدير ، و أنا معك في كل ما تقوله " - " إذن أقنعه في ذلك ، أنا الآن مضطر للذهاب إلى العيادة و سأعود في الليل ، إنني لم أشأ أن أغادر قبل أن يستيقظ سام ، عندما هم الدكتور بروكلمان بالخروج صاح به سام بصوت ضعيف " دكتور " . التفت الدكتور إلى الورا " مابك يا سام هل تريد شيئاً ؟ هل أحضر لك شيئاً من العاصمة ؟ " - " لا ، لا ، يا دكتور ، أريد أن تخبر صديقي أندريه أنني هنا في المستشفى ، أريد أن أراه ، إنه موجود في مقر حزب الشيعة ، أعرف أنه أمر صعب عليك القيام به ، و لكن أرجوك " . نظر الدكتور بروكلمان و المعلم رالف إلى بعضهما بعضاً ، فغمز الدكتور بروكلمان المعلم رالف بعينه مشيراً له ألا يتكلم مع سام في هذا الموضوع ، ثم التفت إلى سام و قال له " بطيبة خاطر يا سام سأذهب الآن مباشرة قبل العيادة إلى هناك و أخبره بذلك " . عندما خرج الدكتور بروكلمان ، التفت المعلم رالف إلى سام و قال له " الدكتور بروكلمان من أعز أصدقائي ، و صداقتنا تعود لوقت طويل ، وأنا أستشيريه دائماً في أي أمر طارئ أو مشكلة ، إنه مثال الإنسان الحكيم الواعي ، و اعلم أن كل ما يقوله لأي شخص هو لصالحه ، و هو لا يقول أي شيء إلا بعد تفكير و تمعن في الأمر ، و أنا أؤيده في رأيه بأن تذهب إلى البلدة بعد خروجك من المستشفى ، و قبل أن تسافر حاول أن تذهب إلى مؤسسة إلفا و ترى إذا كان لا يزال لديهم عمل لك فرواتب الشركات التي تتعاقد معهم

مغرية ، و أنت يجب عليك و من حقتك أن يكون لديك عمل " . عاد سام إلى للنظر إلى السقف محققاً بالا شيء و هو يسأل " هل هذا هو رأيك يا معلم ؟ " - "نعم إنه رأيي ، يجب أن تعرف شيئاً واحداً يا سام ، و هو أن الإنسان طالما لا يقوم بأي عمل خاطئ و محرم من قبل الله فهو إنسان صالح ، المال ليس حراماً يا سام بل إن طريقة استخدامه و استعماله و الحصول عليه ، هي التي تحدد إذا كان حلالاً أم حراماً ، و خذني أنا مثلاً لك ، فأنا امتلكت المال و لكنني وجهته في سبيل الخير و إرادة الله ، تخيل لو أنه لم يكن لدي مال أو رفضت الميراث الذي آل إلي ، من كان سيطلع أولئك المساكين ، و من كان سيقوم بالتبرعات و من كان سيقوم بإعطاء الدروس الدينية ، إذاً فالمال هو السبب ، المال يا سام هو أداة إما للخير أو للشر ، هل فهمتني يا سام " (قال المعلم رالف و هو يحدق بسام بعينه الحادتين) . أوماً سام برأسه و قال بكآبة " نعم ، نعم فهمت " .

بقي سام يومين في المشفى ، كان المعلم رالف و الدكتور بروكلمان وحدهما اللذان واطبا على زيارته باستمرار، السيد جاكوب زاره مرة واحدة فقط ، لكونه لا يستطيع ترك المؤسسة ، أما أندريه فإنه لم يأت لزيارته أبداً ، و هذا الأمر سبب له حزناً و ألماً كبيرين ، و عندما زاره الدكتور بروكلمان في اليوم الأخير ليخرجه من المشفى إلى مؤسسة المعلم رالف سأله سام " هل تأكدت يا دكتور أن أندريه قد علم بوجودي هنا " - " نعم يا سام ، لأنني أنا بنفسني ذهبت إلى مقر الحزب كما طلبت مني و سألت عنه و قابلته و أخبرته بنفسني أنك هنا ، و أنك تريد رؤيته ، و أنك منذ فترة تبحث عنه و لا تجده " - " و ماذا قال لك ؟؟؟ " - " هز برأسه و قال إن وقته ضيق جداً و لم يكلف نفسه عناء السؤال عنك ، بل حتى الوقوف معي ، قال كلامه و استأذن بالانصراف مباشرة " . سكت سام و لم يتكلم ، كان وجهه شاحباً و قلبه ينفطر من الألم . دفع الدكتور بروكلمان مصاريف المشفى و خرج هو و سام إلى السيارة ، ثم انطلقوا إلى مؤسسة

المعلم رالف . لم تسع الفرحة أعضاء الجمعية بوصول سام ، أعد له جاكوب مكاناً ليرتاح فيه ، و في المساء تقرر أن يذهب سام غداً إلى مؤسسة إلفا ليسأل عن العمل الذي أمنته المؤسسة له .

في اليوم التالي استيقظ سام باكراً ، تناول طعام الإفطار ، ثم خرج إلى الحديقة و جلس مع المعلم رالف يتحدثان ، و بعد حوالي الساعة ، انطلق إلى مؤسسة إلفا لمقابلة مسؤول شؤون الطلاب ، في العادة عندما كان يذهب إلى هناك ، كان يسمح له بالدخول فوراً ، أما في هذه المرة فقد بقي أكثر من ساعة في غرفة الانتظار حتى سمح له بالدخول ، كان المسؤول يجلس خلف طاولته و يدخن غليوناً ، بقي جالساً في مقعده و لم يقف ليصافح سام ، بل لم يدعه حتى للجلوس " حسناً ، ما الأمر " (قال المسؤول بلهجة جافة) .

كان سام لا يزال واقفاً ، فقال بصوت خافت " أتيت إليك من أجل موضوع العمل ، بعد التخرج " - " و ما هو المطلوب ؟ " - "المساعدة في إيجاد عمل لي مع إحدى الشركات التي لها علاقة بكم " . و هنا انبرى الرجل بالكلام بلهجة حادة " آسف ، لا يمكنني مساعدتك ، لقد رفضت العمل بنفسك و هذه إهانة لنا ، ليس ذلك فقط بل تهجمت علينا وأهنتنا ، نحن الذين ساعدناك و علمناك في جامعاتنا التي يحلم أي شخص بالدراسة فيها ، هذه المؤسسة التي يدفع الطلاب مبالغ باهظة للدراسة فيها ، قبلت بك مجاناً ، ليس ذلك فحسب بل و أعطتك سكناً و راتباً شهرياً ، صرفت منه إلى أسرتك و ساعدتهم في تسديد القرض الذي استلفوه من المصرف ، ثم تأتي بعد هذا لتعض اليد التي قدمت لك المساعدة ، أنت و هذا التافه السافل الذي يدعى أندريه ، الذي يهاجمنا و يأكل من خبزنا ، لقد طالبت بطرده أكثر من مرة من الجامعة ، و لكن إدارة المؤسسة رفضت ، لولانا لما كان هذا الصعلوك التافه ليستطيع الدراسة في الجامعة ، ماذا فعل لأجلك هو و حزبه بماذا خدموك ، هيا قل لي ، أجبني ، لقد حاربتهم الاتفاقيه العسكرية و عارضتموها ليس بسبب الخطر النووي على حد زعمكم بل من أجل عيون الاتحاد السوفييتي الذي هو نفسه الآن مهدد

بالسقوط و الانهيار ، من تظن نفسك يا سام ؟؟ من أنت ؟؟ لولانا لم تكن لتحقق أي شيء ، على كل حال احتفظ بشهادة التخرج فربما تنفعك بشيء ، و الآن عليك الانصراف فوقتي ضيق " . كان المسؤول يتكلم ببرود شديد و بنوع من العنجهية ، كان يتحدث و كأنه قائد روماني خرج منتصراً من معركة .

خرج سام من الغرفة شاحباً صامتاً ، كانت يدها و شفتاه ترتجفان ، أعصابه انهارت تماماً ، أحس أنه فقد كل شيء ، وصل إلى مؤسسة المعلم رالف ، دخل من الباب إلى الحديقة مباشرة ، بالمصادفة كان المعلم رالف و الدكتور بروكلمان جالسين بالحديقة ، و لم يكدا يراهما حتى انفجر بالبكاء ، أسرع إليه المعلم رالف و ضمه إلى صدره بقوة ثم أجلسه على المقعد "مابك يا سام ما الذي حصل معك !! ؟؟" . روى سام لهم كل ما حصل معه . نظر إليه الدكتور بروكلمان وقال له مشجعاً " لا بأس يا سام ، طالما أن الشهادة موجودة معك تستطيع أن تتدبر عملاً " . حدق سام بهما و عيناه محمرتان من الغضب و هدر بصوت أحش " أين هي الشهادة ؟ " - " إنها في مكنتي (قال المعلم رالف) لقد احتفظت لك بها بعد دخولك المستشفى ، هل أحضرها لك؟ " - " نعم أحضرها لي يا معلم ، سوف أمزقها " . انتفض المعلم رالف قائلاً " ماذا ؟ مستحيل يا سام " . تنهد سام بتعب ، ثم استأنف كلامه "أريد الشهادة ، أريدها الآن ، أريد أن أمزقها الآن (صرخ بهياج) سأريهم أنني لست بحاجة إليهم " . هدا المعلم رالف من روعه قائلاً " اهدأ يا سام اهدأ ، أنت مريض " . وهنا تدخل الدكتور بروكلمان " حسناً ، حسناً يا سام أصغ إلي أنا عندي طريقة أفضل إذا مزقت الشهادة الآن فلن تستفيد شيئاً ، لأنهم لن يعرفوا بذلك ، و لهذا فإن أفضل طريقة لإغاثتهم هي إعادة الشهادة إليهم ، و هكذا تكون قد عبرت لهذا المسؤول عن عدم اكرثائك به ورددت له الإهانة ، و أنا أقترح ألا تذهب أنت بل يذهب واحد منا ، أنا أو المعلم رالف ، ما رأيك يا معلم بهذا الاقتراح أليست فكرة جيدة " نظر الدكتور بروكلمان إلى المعلم رالف وغمزه بعينه . " نعم ، نعم الدكتور بروكلمان على حق ، سيذهب هو غداً إلى مؤسسة إلفا و يقابل ذلك

المسؤول ويعطيه الشهادة و يقول له إن سام يرسل لك هذه الشهادة لأنه ليس بحاجة لها " نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و قال له " أما أنت يا سام فاعتباراً من الغد ستذهب إلى البلدة لترتاح هناك ، و الآن اذهب إلى النوم و هب نفسك للسفر غداً . عندما ذهب سام إلى غرفته ، قال المعلم رالف للدكتور بروكلمان " رائع يا دكتور لقد تصرفت بحكمة ، و لكن ماذا سنفعل بالشهادة ؟" - " نحتفظ بها عندي أو عندك ، المهم أن نحافظ عليها ، من المؤكد أنه سيحتاجها في يوم من الأيام ، فهي ثمرة تعب المضني في الدراسة طوال تلك السنين ، إنها أدوات الوحيدة في إيجاد عمل لائق في المستقبل " . هز المعلم رالف برأسه متحسراً و قال " مسكين سام ، إنه لا يستحق كل هذا الذي يحصل له ، في حياتي كلها لم أر شخصاً مثله ، إنه حساس و رقيق للغاية ، إنه ملاك يا بروكلمان " . أوماً الدكتور بروكلمان برأسه و أشار بيده قائلاً " مشكلة سام يا معلم أنه لا يعرف الكذب و لا النفاق و لا المجاملة و لا الإساءة و ليس لديه أي صفة تعييه ، ليس ذلك فقط ، بل إنه يمتلك كل الصفات الإنسانية الخيرة و الإيجابية ، و لذلك أظن أنه سيواجه مشاكل كثيرة في حياته إذا بقي على هذا المنوال " . كتف المعلم رالف يديه على بعضهما بعضاً و فكر قائلاً " أنا أقول يا دكتور أن يبقى هنا ، سأدبر له عملاً في المؤسسة عندي ، إنه أفضل شخص مؤهل لأن أعتد عليه ، إنه مثال الرجل التقى الصالح ، إنه قديس يا رجل ، قد أدار التبرعات و الأعمال هنا في الجمعية بشكل لا مثيل له ، لم أتوقع منه ذلك " . هز الدكتور بروكلمان برأسه و أشار بيده نائفاً " ليس الآن يا معلم ، ليس الآن ، إن وضعه النفسي غير مستقر أبداً ، عليه أن يمكث فترة من الزمن في بلدته في الريف ، بعيداً عن كل المشاكل و التوترات العاطفية و النفسية ، إنه يمر الآن بفترة مضطربة جداً و لا أحبذ بقاءه حالياً هنا ، و سوف أعطيه بعض الأدوية و المهدئات " . نظر المعلم رالف إلى الدكتور بروكلمان بتمعن و سأله " هل تقصد أنه متعب نفسياً !!؟؟ " - " نعم ، و لكن ليس إلى هذه الدرجة الخطيرة ، و على الأرجح في البلدة سيستعيد توازنه النفسي ، المهم أن تحاول إقناعه بالعودة قليلاً إلى حياته الطبيعية و العادية ، و أن تنتزع

بعض الأفكار المتطرفة منه ، لقد تحدثت معه في المستشفى ، و أظنه تفهم وجهة نظري بعض الشيء ، وأنت حاول كذلك قبل أن يسافر ، سأعطيه الآن حقنة منومة " . تنهد المعلم رالف بعمق و قال " كما تريد يا دكتور ، أنت أدري مني بهذه الأمور " .

ظل سام نائماً حتى ساعة متأخرة من صباح اليوم التالي ، كانت الجمعية خالية نوعاً ما عندما استيقظ . خرج إلى الحديقة ، كان المعلم رالف جالساً وحيداً ، عندما رآه نهض مسرعاً إليه " تعال يا سام ، تعال اجلس هنا ، كيف أصبحت اليوم ؟ " - " بخير ، و لو أنني أشعر بصداع خفيف في رأسي " - "هل أنت مستعد للسفر يا سام ؟ " - "نعم أظن ذلك " - " لقد حجز لك السيد جاكوب اليوم في الساعة الحادية عشرة ليلاً ، و هذا يعني أنك ستصل إلى البلدة غداً صباحاً ، و الآن ماذا قررت أن تفعل؟؟ " . نظر سام بإعياء إلى ما بين الأشجار في الحديقة و قال بشرود " لا أدري ، و لكن أظن أن الدكتور بروكلمان على حق أشعر أنني بحاجة إلى الراحة " . تأمل المعلم رالف سام بجزن و قال " سأساعدك في أي شيء تريده و سأبقى إلى جانبك دائماً ، حتى مؤسسة إلفا أستطيع إجبارهم على إيجاد عمل محترم لك ، رغم أنوفهم ، إنني أعرف أناساً كبار على علاقة قوية بمديرها و هم يكونون لي الكثير من الاحترام و يحسبون لي ألف حساب ، يجب أن تفكر بالمستقبل يا سام ، و تنسى الماضي ، الخير و الشر موجودان في هذا العالم منذ القدم و في كل شيء ، في البشر و في الأرواح و في الملائكة ، هناك ملاك للخير و ملاك للشر ، ملاك الشر هو الذي يوجه البشر للأعمال الشريرة ، يحاول أن يؤثر فيهم ، في الماضي كان يظهر للأنبياء و الصالحين و القديسين و يحاول إغراءهم و ثنيهم و حرفهم عن الطريق الصحيح ، طريق الرب ، و لكنه كان يفشل دائماً و لا ينجح إلا مع ضعاف النفوس ، أو الذين لا إيمان لهم ، بينما ملاك الخير هو الذي يظهر لمساعدة كل المؤمنين و الوقوف إلى جانبهم لهدايتهم ، أتدري يا سام عندما كنت شاباً و قبل أن أنشئ هذه الجمعية

، ظهر لي ملاك في الغابة و طلب مني إنشاء هذه المؤسسة الدينية و عمل الخير لكل الناس ، و عندما أخبرت أصدقائي بذلك قالوا لي إنه ربما يكون حلماً أو رؤية ، و لكنني أظن أنه لم يكن كذلك ، بل حقيقة واضحة ، لقد طلب مني أن استخدم مالي في عمل الخير و مساعدة الناس " - " حقاً (سأل سام باهتمام) " - " نعم يا سام نعم " . بدا سام مهتماً كثيراً بالقصة ، فأكمل المعلم رالف " إن ما أريد أن أقوله لك يا سام ، هو أن المال لا يتعارض أبداً مع المبادئ و الأخلاق الإنسانية و حتى مع الدين ، و لو كان الأمر كذلك لما طلب مني هذا الملاك أن أستخدم المال في فعل الخير ، صحيح أنني في محاضراتي ، كنت أحياناً أهاجم المال و أعدده سبباً في تعاسة الإنسان و لكن المقصود هنا هو طريقة استخدام هذا الإنسان للمال ، فطلب المال هو حق مشروع إذا كان الإنسان سيستخدمه في فعل الخير ، هل فهمتني يا سام ؟ " - " نعم يا معلم فهمتك " - " بالمناسبة ماهي أخبار أهلك ؟ " - " لا أدري ، منذ ستة أشهر لم أعرف عنهم شيئاً ، و لكن لا بأس غداً سأكون عندهم " .

في المساء جاء الدكتور بروكلمان ليصطحب سام إلى محطة القطار ، كان سام في الداخل يوضب أغراضه ، جلس الدكتور بروكلمان مع المعلم رالف "هل تكلمت معه يا معلم ؟ " - " أجل يا دكتور ، و أظن أنني ربما أثرت فيه ، لقد اختلقت له رواية حول ملاك ظهر لي ، لكي أقنعه ، لقد بدا مهتماً بالموضوع و متأثراً به " - " عظيم ، إن أهم شيء هو أن يستعيد توازنه النفسي قليلاً " . ضرب المعلم رالف كفاً بكف و قال " لديه براءة الأطفال تماماً ، و هذا هو السبب في صفاء قلبه و روحه ، سأفتقده كثيراً في هذه الفترة يا دكتور " . بعد قليل خرج سام إلى الحديقة . " هل أنت جاهز يا سام ؟ " - " نعم يا دكتور إنني جاهز " . كان وداع سام للمعلم رالف مؤثراً جداً ، فقد أجهش الاثنان بالبكاء " اعتنِ بنفسك يا سام و لا تنس ما قلته لك " (قال المعلم رالف) و الدموع تنهمر من عينيه . وضع سام الحقيبة في سيارة الدكتور بروكلمان

و صافح المعلم رالف للمرة الأخيرة ، ثم صعد في السيارة التي انطلقت نحو محطة القطار . كانت الأضواء تنير العاصمة في كل مكان ، نظر سام من نافذة السيارة و أخذ يتأمل الشوارع و السيارات و الأضواء ، أحس بالحزن ، هذه هي العاصمة التي عاش فيها أربع سنوات كاملة ، ستركها الآن و ربما لا يعود إليها ، أخذ يسترجع ذكرياته فيها ، كيف أتى إليها ، و كيف سيغادرها الآن . وصلت السيارة إلى المحطة ، كان الركاب يصعدون إلى القطار . ودع الدكتور بروكلمان سام بجرارة ، تعانقا طويلاً . " إلى اللقاء يا سام ، اعتن بنفسك جيداً ، أريدك أن تكون رجلاً بكل معنى الكلمة ، و أنا واثق من أنك ستكون كذلك ، الأدوية التي أعطيتك إياها ، واطب عليها بانتظام ، إنها مؤقتة ، العلبة البيضاء تناولها كاملة حتى تنتهي أما العلبة الزرقاء فخذ منها حبة كلما شعرت بالضيق و لا تجدد الدواء دون إذن مني ، و إذا احتجت إلى أي شيء ، اتصل بي على الفور ، و الآن رافقتك السلامة " . صعد سام إلى القطار الذي كان يطلق صفارته إيذاناً بالرحيل ، جلس قرب النافذة و نظر بجزن و كآبة إلى الدكتور بروكلمان الذي كان لا يزال يقف على الرصيف ، بعد قليل تحرك القطار ، لوح سام بيده و الدموع تنهمر من عينيه ، كذلك فعل الدكتور بروكلمان . انطلق القطار مسرعاً ، كانت الدموع في عيني سام قد جعلت أنوار العاصمة تبدو له ، كمزيج متداخل أكثر سطوعاً ، أحس أنه قد فقد العاصمة إلى الأبد و لن يعود إليها بعد الآن ، أكثر ما كان يحزنه ، هو فراق المعلم رالف و الدكتور بروكلمان ، اعترته الرغبة في أن يقفز من القطار و يعود إلى الدكتور بروكلمان ، لم يدر لماذا في تلك اللحظة أحس بأن الدكتور بروكلمان قريب جداً إلى قلبه . اتكأ إلى الوراء ، و أخذ يستعيد ذكرياته منذ أن أتى إلى العاصمة ، أول مرة ، كانت أنوار العاصمة قد بدأت تتلاشى شيئاً فشيئاً ليحل محلها الظلام الدامس و صوت العجلات الفولاذية الرتيب " اللعنة على هذا الصوت ، أربع سنوات وأنا أسمع نفسه ، يتكرر كل مرة " ، هذه المرة تحول صوت العجلات الفولاذية الرتيب إلى صوت تقريع و سباب و شتيمة ، حرك يديه محاولاً إبعاد الصوت الرتيب ، و لكنه تذكر أنه لا يمكنه ذلك ،

حاول التفكير في أمر آخر ، عاد ليتذكر كيف وصل أول مرة إلى العاصمة و كيف تعرف على جان ثم على أندريه و كيف عمل في المخزن و كيف تعرف على السيد جاكوب و إلى المعلم رالف و الدكتور بروكلمان ، تذكر أيامه مع جان في السنة الأولى و الثانية ، كانت أياماً جميلة جداً تمنى حقاً لو تعود الآن، لقد سافر جان إلى الجنوب ليقضي الإجازة و لن يراه بعد الآن، تمنى لو تعود السنة الأولى فقط ، فقط السنة الأولى لأنها من أحلى أيام حياته ، لم يكن لديه هموم أو مشاكل ، و لا حتى أهله ، تذكر أهله " يا إلهي ماذا يفعلون الآن ، و كيف يعيشون ، كيف يسددون القسط للمصرف " ، أحس بالندم الشديد لأنه قطع عنهم المبلغ الذي كان يرسله شهرياً ، و عندما تذكر كيف اخبر والده أنه لن يرسل النقود بعد الآن ، أجهش بالبكاء " يا الله ، ماذا فعلت أنا ، كيف تصرفت مثل هذا التصرف ، إنني مجرم ، حقاً مجرم ، كيف سأواجه أبي ، كيف سأواجه أمي أخوتي ... أبي ... يا أعز إنسان على قلبي ، يا من أفنيت حياتك و عمرك لأجلنا ، أمي .. أيتها الحنونة الصامتة ، أخوتي الأحبة " رق صوت العجلات الرتيب عليه ، فتحول من صوت شتيمة و تقريع إلى صوت ترنيمة نوم لطفل ، أغمض عينيه و استسلم للنوم .

ظهور الملاك

في صباح اليوم التالي أفاق سام على صوت عامل القطار " استيقظ يا سيدي لقد وصلنا إلى المحطة الأخيرة " . نزل سام من العربة و أخذ يجول بناظره في ساحة المحطة ، لم تكن لديه الرغبة بالذهاب إلى البلدة ، و لكنه أحنى رأسه قليلاً و ذهب باتجاه سيارة الأجرة التي انطلقت نحو البلدة . بدأ قلبه يخفق في الطريق نحو المنزل . كان خائفاً و مضطرباً ، وصل إلى البوابة الخارجية ، أطل برأسه من فوق السور ، لقد أتى أبوه قبل قليل على ما يبدو ، وأمه تعد الإفطار و أخوه في الحديقة يضع العلف للبقرة ، هل يدخل ، و لكن كيف ، لا ، لا ، لن يدخل سيبقى هنا خلف السور و يقرر . ما أن هم بالجلوس فوق الحجارة ، حتى أطلت أخته فجأة من النافذة العلوية للمنزل وشاهدته ، فصرخت بفرح " سام ، إنه سام ، لقد أتى سام " . اندفع الجميع إلى الخارج ، ماعدا الوالد الذي بقي واقفاً عند الباب ينظر إلى سام و هو يعانق أمه و أخوته بجمرة ، اتجه سام إلى والده ، تعانقا طويلاً ، ثم دخل الجميع إلى البيت فرحين مبتهجين ، إلا سام الذي كان منقبضاً ، بدؤوا يسألونه عن العاصمة و عن أحواله و عن الجامعة و عن ... فجأة انتبهوا إلى شحوب وجهه و نحول جسده و لحيته التي رأوها لأول مرة صمتوا جميعهم و أخذوا ينظرون إلى بعضهم بعضاً و إلى سام . أول من ابتدأ بالكلام كان أمه التي سألت بلهفة و خوف "مابك يا سام لماذا أنت هكذا ، هل حصل لك شيء ؟؟؟؟ " - " إنني متعب قليلاً ، لقد تعرضت لوعكة صحية " . نظر الأب إلى ابنه بقلق و سأله " لقد

انقطعت أخبارك عنا طوال ستة شهور ، فلماذا لم تتصل بنا أو تكلمنا ، ما الذي حصل معك يا بني؟؟
اخبرني " . ، صمت سام قليلاً ، ثم فكر في نفسه "إنني متعب و مرهق ، فلأخبرهم كل شيء و أنتهي من
هذه القضية برمتها ، لقد تعبت ، تعبت " تنهد بعمق و أسى ثم بدأ بالكلام ، روى لأهله كل ما حصل
معه خلال السنتين الماضيتين منذ أن غادرهم آخر مرة و حتى الآن . جن جنون الأب فصرخ بشكل
هستيري " ما هذا الذي تقوله يا بني ، مستحيل ، لا يعقل ، كل تعبك خلال السنين الماضية ذهب سدى ،
مستحيل مستحيل " ثم أمسك به يهزه بعنف " أين شهادتك يا سام ، أين هي ، لماذا تركتهم يمزقونها؟؟
لماذا يا سام؟؟؟ لماذا " - " و ما الفائدة منها يا أبي لقد رفضوا أن يعينوني في أية وظيفة ، كل ذلك بسبب
ولائي لحزب الشعلة ، إنني لا أريد هذه الشهادة لا أريدها ، لقد أهانوني و أهانوا كرامتي يا أبي ، و لولا
المعلم رالف و الدكتور بروكلمان لكنت الآن في عداد الأموات ، هل تسمع يا أبي ... في عداد الأموات
" . أمسك الأب مرة أخرى بابنه ثم هزه بعنف و كشر عن أسنانه بغضب " و لكنك قلت الآن إنك أنت
من رفض العمل لديهم أولاً ، و حزب الشعلة ألم يهنوا كرامتك؟؟ ، و هذا السافل أندريه ألم يهن كرامتك
و شعورك ، و هو السبب في كل ذلك ، هو الذي دفعك إلى كل هذا ، اللعنة ، كان علي أن أقتلع عينيه
عندما أتى إلى هنا و أخذ يتحدث بالسياسة ، كان علي أن أطرده كالكلب المسعور " طأطأ سام برأسه إلى
الأرض و قال " ماذا ستفعل لي شهادتهم يا أبي ، العمل؟ المال؟ لا يهم ، ممكن أن أعمل من دون شهادة
" . وضع الأب يده حول رأسه مترنحاً ، ثم سقط على الكرسي من الإعياء . التف حوله الجميع بينما
أحضرت الأم كأساً من الماء و أخذت ترش به على وجهه ، فاعتدل في جلسته . أسرع سام إليه " سامحني
يا أبي لم أقصد إزعاجك أبداً ، و لكن صدقني ، كل ما حصل لي ، ليس بإرادتي ، لم يكن لدي حيلة " .
نظر الأب إلى ابنه وقال له بصوت ضعيف " يا بني ، إن كل ما أريده هو سعادتك أنت و أخوتك ، إنني

أتمنى أن تكون رجلاً و أن تؤمن لنفسك مستقبلاً مريحاً و لا تكون بحاجة لأحد و الآن دعوني جميعكم ، أريد أن أنام حتى المساء و لا يوقظني أحد " .

في بداية قدومه إلى البلدة ، لم يخرج سام من المنزل أبداً ، كان يقضي معظم وقته إما في غرفته و إما في الحديقة أو يساعد أمه ، و عندما كان أبوه يأتي من العمل كانا يجلسان معاً و يتحدثان عن العاصمة ، و عندما كان يذهب أبوه ، كان يهجع هو إلى فراشه ، و لكن أكثر وقته كان في الحديقة ، أحب الجلوس فيها ، ربما لأنها كانت تذكره بالمعلم رالف أو لأنه كان خمولاً بعض الشيء ، كان يأخذ الحبوب التي أعطاها إياها الدكتور بروكلمان ، كل يوم يأخذ حبة واحدة ، لقد أحس بالخمول و الارتخاء " ربما تكون هي السبب في البلادة و الخمول اللذين يحصلان معي (قال في نفسه) الدكتور بروكلمان قال لي إنها قد تسبب لي بذلك ، و لكن هل تسبب لي بعض التخيلات كما قال ، لا أظن ذلك " . كان سام يحس أن والده متضايق كثيراً و حزين بالرغم من كلامه و حديثه في المنزل ، و في الآونة الأخيرة أصبح نادراً ما يتكلم . و عندما جاء من المصنع ذات صباح اقترب منه سام " هل مازلت غاضباً مني يا أبي ؟ " . وضع الأب يديه على ركبتيه ليسند جذعه المتقوس ثم نظر إلى ابنه بابتسامة حزينة و قال " لا يا بني ، أنت تعرف أنني لا أغضب منك أبداً مهما فعلت ، و لكنني حزين من أجلك ، كنت أتمنى أن أراك في وضع أفضل من هذا ، إنني أفكر فيك دائماً ، لقد حزنت كثيراً من أجلك و لا أزال (صمت قليلاً و زاد من انحنائه على ركبتيه و تابع كلامه) لا أدري لماذا كان يخالجنني شعور بأنه سيحدث لك شيء ما في العاصمة ، شيء شبيه بما حصل معي ، شعور بأنك ستتعب ، ستتهار ... العاصمة ليست لنا يا بني ، و لكن لا بأس المهم أنك أمامي في صحة جيدة ، هذا أهم شيء بالنسبة لي بالمناسبة يا سام أود من أعماق قلبي أن أقابل هذين الشخصين الذين وقفا إلى جانبك طوال محنتك و تكفلا بمصاريف المستشفى و مصاريف سفرك المعلم

رالف و الدكتور بروكلمان ، إن حديثك لي عنهما و ما فعلاه لأجلك جعلني معجباً بهما كثيراً و أود أن أعبر لهما عن امتناني و شكري (التفت إلى ابنه و ربت على كتفه) إن عزائي الوحيد يا سام هو أنك ساعدت كثيراً من الناس في مؤسسة المعلم رالف " - " نعم يا أبي ، لقد كنت أجوب المدينة باحثاً عن أي إنسان فقير أو محتاج ، فأحضره إلى الجمعية ليأكل و يأخذ ما يحتاجه من لباس و غيره ، كنت إذا علمت بوجود أسرة فقيرة و بحاجة إلى مساعدة ما ، أذهب إلى المعلم رالف و أشرح له وضعهم ، فيسمح لي بالتصرف ، كان يثق بي كثيراً ، و لم يسألني مرة ماذا أخذت و أين صرفت ، لقد ساعدت أسراً و عائلات كثيرة ، و أضفت أسماءهم إلى الجمعية ، لقد علمت الكثير من الأميين الكتابة و القراءة ، و أشعر بالسعادة كلما تذكرت ذلك " هز الأب برأسه موافقاً و أكمل خلع حذائه و تبديل ثيابه استعداداً للفطور . هم سام أن ينهض و يحضر الفطور ، ولكنه عاد ، التفت إلى والده و سأله " و لكن يا أبي لم تحدثني حتى الآن عن وضعكم ، كيف تعيشون ؟ هل يكفيكم الراتب الشهري ؟؟؟ " - " في الواقع يا بني لا ، إننا في وضع حرج و صعب للغاية ، قسط المصرف أرهقنا كثيراً ، لقد اضطرت أمك للعمل في البيوت المنزلية ، و أنا كما ترى يا بني ، صحتي لا تسمح لي بالعمل أكثر من العمل الذي أقوم به " . كان هذا الكلام آخر شيء يتمنى سام أن يسمعه ، بحث عن اللاشيء ليحذق به ، فوجده في امتداد الجبال الحراجية أمامه ، حاول أن يركز تفكيره فلم يستطع ، ففكر بشروود ثم نظر إلى والده و قال " اعتباراً من يوم غد سأبحث عن عمل هنا في البلدة ، و لكن هذه الحبوب اللينة إنها تشعرني بالخمول و الإعياء " - " هل أنت مضطر لأخذها يا بني ؟؟ " - " نعم يا والدي ، هكذا أوصاني الدكتور بروكلمان ، لقد أكد لي ألا أنقطع عنها من تلقاء نفسي مهما كانت الأسباب " سأل الأب بقلق " و هل ستطول معك يا بني ؟ " - " لا يا أبي خلال شهر تنتهي و بعدها أعود إلى وضعي الطبيعي و تعود لي قواي الجسمية ، و هناك حبوب أخذها عند الحاجة فقط ... لا تقلق يا أبي سأساعدكم و سأبقى معكم و لن أفارقكم بعد الآن ، أريد أن أتحمل مسؤولياتي و أقوم بواجبي

، و سأخفف عنكم عبئاً كبيراً " . وضعت الأم الإفطار على الطاولة الصغيرة أمامهم و دعتهم للطعام .
"اليوم و أنا قادم رأيت أستاذ الفلسفة فأخبرته هذه المرة أنك موجود هنا منذ فترة ، لقد عاتبني بداية ، و
لكنتني شرحت له ظروفك يا سام ، لقد فوجئ و تألم في الوقت نفسه ، أظن أنه سيأتي اليوم لرؤيتك " .
أطرق سام بغم ، ماذا سيقول لأستاذه إذا واجهه ، و هل سيتقبل الأستاذ الموقف . بعد انتهاء الإفطار ذهب
الأب إلى النوم بينما أخذت الأم ترتب المنزل . أما سام فقد صعد إلى سطح المنزل و استلقى تحت العريشة
منتظراً قدوم أستاذ الفلسفة ، مر الوقت سريعاً و هو مستلق على الأريكة و يمد ببصره نحو الغابة ، و فجأة
ظهر الأستاذ من بعيد و هو يقترب من المنزل ، سارع سام إلى النزول ، أصلح من هندامه و خرج ليستقبل
أستاذه الذي وصل إلى البوابة الخارجية ، عندما رآه الأستاذ وقف قليلاً ، أصيب بنوبة من الحزن و لكنه
تدارك الموقف قائلاً لسام بشيء من المزاح " لقد قيل لي إنه أصبح لك لحية طويلة ، و لكن لم أعلم أنها لحية
مفكرين " و انبرى لمعاقبة سام الذي انهمرت دموعه من لحظة اللقاء " أنا عاتب عليك يا سام ، كل هذه
المدة ولا أعلم بوجودك ، تعال ، تعال يا سام و أخبرني عن كل ما حصل معك " . طلب سام من أمه أن
تعد لهم الشاي ، ثم جلس هو و الأستاذ أمام حديقة المنزل يروي له كل ما حصل معه في العاصمة . بعد
حوالي نصف ساعة أحضرت الأم الشاي و صبته لهم و انصرفت لشؤون المنزل . أشعل الأستاذ سيكارة و
ثم نفث دخانها و هو يهز رأسه بأسى " لقد أحزنتني الآن يا سام ، هذه الظروف التي تعرضت لها ليست
سهلة أبداً و بخاصة الشهادة العلمية ، إنها ثمرة تعبك طوال الأربع سنين الماضية " - " هذا ما حصل يا أستاذ
" . رشف الأستاذ من كأس الشاي و سحب من سيكارتته و قال و هو ينفث الدخان " و لكن ألا تستطيع
استردادها؟؟؟" . هز سام ي رأسه نافياً و قال " لا أظن ذلك ، أظن أنهم قد مزقوها أو رموها في سلة المهملات
، لقد أرسلتها لهم مع رسالة بأني لست بحاجة لها و لا لهم أنفسهم " . تنهد أستاذ الفلسفة بأسى " ما كان
يجب عليك أن تفعل ذلك يا سام " . هز سام كتفيه و أدار يديه قائلاً " ما حصل قد حصل يا أستاذ ، و

على كل حال هذا الموضوع لم يعد يهمني كثيراً ، إن أكثر ما يهمني الآن هو المحنة التي نمر بها ، إننا في ضائقة كبيرة ، و والدي وحده لا يستطيع تحمل كل هذه الأعباء ، تصور أن أمي تعمل و لأول مرة في البيوت المنزلية لبعض الأسر الغنية في البلدة ، إنه أمر مؤلم بالنسبة لي ، لولا هذه الحبوب اللعينة ، لكنك الآن أعمل في أي شيء ... أتدري إنها أحياناً تشعرني بنوع من الاطمئنان و السكينة " - " المهم أن تنتهي منها ، و بعدها عندما تستعيد نشاطك ، سأساعدك في إيجاد عمل مسكين يا سام ، لقد مررت بتجربة قاسية و دفعت ثمنها غالياً جداً " - " هذا هو قدري يا أستاذ " . أشار أستاذ الفلسفة بيده إلى سام و قال " إن كلامك عن المعلم رالف و الدكتور بروكلمان ، زادني إعجاباً بهما ، إنهما يستحقان التقدير و الإعجاب فعلاً ، و بخاصة في هذا الزمن الذي زالت فيه الرحمة من قلوب الناس ليحل محلها الأنانية والاستغلال و الانتهازية و هذا السافل أندريه لقد سقط من عيني كثيراً و أنا الذي كنت أظنه شهماً و صاحب مبادئ " - " و لكن يا أستاذ ربما لديه ظروف معينة ، أو لعله..... " - " لا ، لا يا سام ، لقد قلت لي إن الدكتور بروكلمان أخبره و إنه لم يأت ، إنه إنسان ساقط ، إنه تافه يا سام ، إنه شخص انتهازي ، بالمناسبة شكله لم يرق لي كثيراً منذ أن التقينا الصيف الماضي هنا على كل حال يا سام لا تقلق ، أنت فقط أنه الدواء و بعدها لكل حادث حديث " .

استمرت حياة سام الرتيبة و المملة حوالي الشهر تقريباً ، و ما أن انتهى من الدواء ، حتى بدأ يحس بقواه تعود إليه شيئاً فشيئاً ، و عندما استيقظ في صباح ذلك اليوم ، ذهب إلى الحلاق و قص شعره و لحيته الطويلين ، ثم عاد إلى المنزل و أخذ حماماً فاتراً ، فأحس بنشاط غير طبيعي يسري في جسمه ، شعر بسعادة غامرة ، أحس كأنه خرج من كل الفترة الماضية ، وقف أمام المرآة و نظر إلى نفسه و تذكر كلام الدكتور بروكلمان الأخير له {كن رجلاً يا سام ، فأنت حقاً رجل} . خرج إلى الشرفة ، كان أبوه قد عاد من

المصنع و جلس مع والدته على الشرفة يتناولان طعام الإفطار ، انفرجت أساريهما عندما نظرا إليه ، كان شكله و مظهره قد تغير فعلاً . سأله أبوه و هو ما يزال يمضغ الطعام " إلى أين أنت ذاهب يا سام ؟" قفز سام فوق السلم الحجري و صاح "إلى أستاذ الفلسفة ، قال لي أن أمر عليه من أجل العمل ، يجب علي أن أعمل و أن أساعدكم يا أبي ، و الآن إلى اللقاء " . انطلق سام في الطريق الترابي المليء بالحصى المستديرة . كانت المروج الخضراء متموجة أمامه صعوداً و نزولاً من أعلى الجبال إلى أسفلها ، تناثرت هنا و هناك بعض الأبقار و الأغنام و الطيور ، أشعره المنظر بالسعادة ، فأسرع الخطى و هو يلوح بيده بانتظام كأنه في مشية عسكرية ، في الطريق صادف بعض الفلاحين الذين كانوا يعملون في الحقول ، لوح لهم بيده فبادروا كلهم إلى تحيته باحترام شديد و هم يتابعوه بنظراتهم ، و عندما ابتعد عنهم قليلاً أخذوا يتحدثون عنه "يقولون إنه عاد صفر اليدين من العاصمة " " لا ، لا ، لا يقولون إنه هو من كان قائد الحملة ضد الاتفاقية العسكرية " " لقد سمعت أنه أخذ الدكتوراه من جامعة أخرى و في علم النفس ، بالمناسبة ما معنى علم النفس ؟؟؟؟؟!! " " ليس هذا و لا ذاك ، يقولون إنه استلم إدارة إحدى الجمعيات الدينية ، ألم تروا لحيته عندما أتى من العاصمة " " يقولون " " يقولون " " يقولون " .

عندما وصل سام إلى الساحة ، كان أستاذ الفلسفة بانتظاره ، فاجأه منظره الجديد "لقد تغير شكلك يا سام ، لم أعرفك في البداية ، على كل حال هذا أفضل ، شكلك الآن أكثر وسامة ، هيا بنا " . في الطريق أخذ الأستاذ يشرح لسام طبيعة العمل الجديد " إنها مزرعة لأحد الملاكين ، إنه يكن لي نوعاً من الاحترام ، كوني في الماضي كنت أعطيه دروساً في محو الأمية ، منذ حوالي سنتين طلب مني أن أعلمه الفلسفة الأخ يريد أن يصبح فيلسوفاً المهم الآن ، أن العمل سيكون من الصباح و حتى بعد الظهر تقريباً ، و طبيعة العمل هي الإشراف على المزرعة و الاعتناء بها من سقاية الأشجار و إلى آخره من أعمال زراعية ،

على كل حال هو سيحدد لك طبيعة العمل " . وصلاً إلى المزرعة التي كانت كبيرة ، و هناك التقى سام و الأستاذ بصاحب المزرعة ، الذي أرشده إلى طبيعة العمل ، الأجر لم يكن كبيراً ، و لكنه كان معقولاً نوعاً ما . ابتداءً سام العمل بسرعة كان يذهب صباحاً و يعود بعد الظهر ، و أحياناً قبل المساء ، يتناول طعام العشاء ثم يخلد إلى النوم ليعود صباحاً إلى العمل . الشهر الأول كان ممتعاً له ، و لكنه في الشهر الثاني بدأ يشعر بالتعب و الإرهاق، كان عمله صعباً و مجهداً ، كان عليه تقديم العلف للأبقار ثم حلبها و سقاية الأشجار و الخضراوات و قلع الأعشاب و جمعها و إطعام الطيور و تنظيف الحظائر ، كان يشعر بالإرهاك فعلاً و لكنه مضطر للعمل ، كانت فكرة العوز و الضيق اللذين تمر بهما أسرته تجعله ينسى كل تعب و إرهاقه ، أحياناً كان يأخذ حبة من الحبوب التي بقيت لديه .

في أحد الأيام كان يعمل في الحقل و بقره صاحب المزرعة و معه تاجر خضار ، كان يتناقشان في موضوع البيع و فجأة أخرج صاحب المزرعة من جيبه قلماً ، و أخذ يبحث عن ورقة فلم يجد ، نظر إلى سام و سأله " سام هل معك ورقة هنا في جيبك ، فتش سام جيوبه فعثر على ورقة لأحد الأدوية التي كان يستعملها ، كان قد احتفظ بها كي يتذكر اسمها عند شرائه علبة أخرى ، لم يخطر بباله أن يقرأ ما فيها ، أعطاهها لصاحب المزرعة الذي أخذ يسجل عليها بعض الأرقام ، و لكنه انتبه فجأة لوجود كتابة خلفها ، قلب الورقة و أخذ يقرأ ما فيها ، كانت شرحاً لتركيب الدواء و استطبباته و الجرعات التي يجب أخذها ، فجأة وقعت عيناه على عبارة تقول " يعطى للأشخاص المولعين بالقتال " ، انتفض الرجل و أخذ يحملق بسام الذي كان يعمل ، فكر قليلاً ثم صاح به " سام ... ما هذه الورقة التي أعطيتني إياها ؟؟ " . مسح سام العرق عن جبينه بتعب و قال "إنها وصفة دواء أستخدمه " نظر الرجل إليه برية و قال " منذ متى أصبح لك مشاكل هنا في البلدة ، و منذ متى أصبحت تصرفاتك غير طبيعية ؟؟؟ " . بهت سام من كلام

صاحب المزرعة و قال بغضب " و لكنني لست كذلك " - " و لكن هذا الدواء الذي تأخذه يقول إنك كذلك ، إنه يعطى للأشخاص المولعين بالقتال و الذين لديهم اضطرابات نفسية " . ركض سام باتجاه الرجل و خطف الورقة منه و أخذ يقرأ ما فيها ، و لم يكد ينهي قراءتها حتى قام بتمزيقها بعصبية و توتر ، اقترب منه الملاك البدن قائلاً " هل أنت مولع بالقتال فعلاً يا سام ، هل تحب المعارك " . كان ضيق سام من الموقف شديداً جداً ، اعتذر بأدب و عاد إلى المنزل مهرولاً ، ظل يجري حتى وصل منهوك القوى ، ذهب إلى فراشه و ارتدى فيه و هو يبكي بحرقة " اللعنة على هذه الأدوية ، اللعنة عليها ، اللعنة علي أنا ، كيف نسيته هكذا ماذا سيقول عني الناس " . ظل هكذا في غرفته مغلقاً الباب على نفسه ، حتى طرقت أمه الباب و أعلمته بوجود أستاذ الفلسفة في شرفة الحديقة . عندما خرج نظر إلى الأستاذ بنجمل ، هب الأستاذ واقفاً " سام ما الذي حصل معك اليوم ، لقد اتصل بي صاحب المزرعة و أخبرني عن مغادرتك " . جلس سام على الكرسي بتعب و قال " أنا آسف يا أستاذ ، لقد علم بالمصادفة بأمر الدواء الذي كنت أتأوله " . هز الأستاذ برأسه و قال " نعم ، نعم ، لقد أخبرني بذلك ، و لكنني قلت له من أهمية الأمر و أخبرته أنها حالة عرضية ، و أنك تعرضت في العاصمة ذات مرة لإجهاد نفسي فوصفوا لك هذه الحبوب لمرة واحدة و انتهى الأمر " - " و لكنه يا أستاذ أخذ يسألني " - " إنه غبي جاهل يا سام و متفذلك ، فلا تعر كلامه اهتماماً ، لقد طلب مني ذات مرة أن أعلمه الفلسفة و هو لم يكد ينهي أميته ، على كل حال لا تقلق ، لقد أوصيته ألا يتكلم لأحد ، قل لي كيف تسير الأمور معك " خبط سام يديه على ركبتيه و قال متنهداً " العمل متعب يا أستاذ و مرهق ، لا أعرف كم أستطيع التحمل " - " حاول ألا ترهق نفسك يا سام ، و حتى يأتي ذلك الوقت نرى ما يمكن عمله ، المهم أن تذهب غداً صباحاً إلى المزرعة و كأن شيئاً لم يكن الآن أنا مضطر للذهاب ، إلى اللقاء " . عندما غادر أستاذ الفلسفة ، وقف سام يفكر ، ثم ذهب إلى الهاتف و اتصل مع الدكتور بروكلمان وأخبره عما حصل معه " هذا أمر

طبيعي يا سام و عادي جداً ، و أقل من عادي ، الدواء الذي كنت تستخدمه له علاجات متعددة و هذه العبارة لا تعني بالضرورة أنك كذلك المهم ألا تخبر أحداً بذلك ، ربما عندكم لم يصلوا إلى مستوى إدراك أن هذه الأمور عادية هل أنهيت الدواء؟؟ عظيم جداً بقيت العلبة الثانية ، إنها للإرهاق فقط و لا تأخذ منها إلا عند الحاجة هل سمعتني يا سام ، عند الحاجة طمئني عنك أنت ، كيف تجري أمورك؟؟ لا بأس يا سام ، لا بأس ، عليك بالراحة و عدم التفكير بشيء ، لقد تعمدت إرسالك إلى البلدة لأنها أفضل مكان لك حالياً و كما أوصيتك كن رجلاً ، لأنك رجل حقيقي " .

استمر سام بالعمل في المزرعة و هو يشد على تعبه و إرهاقه ، مضى شهر و هو يحاول الصمود و التحمل ، و لكن عندما أتى الشهر الذي يليه ، لم يعد يستطيع التحمل أكثر ، فذهب إلى مالك المزرعة يطلب منه تخفيض مدة العمل إلى الظهر فقط . دفع الرجل بقدمه كرسي الهزاز الجالس عليه و قال " لا بأس كما تريد ، لقد كلمني أستاذ الفلسفة بشأنك ، و لكن أجرك سينخفض إلى النصف ، هل أنت موافق أيها المقاتل الشرس ؟ " هز سام رأسه بتعب علامة الموافقة ، فنظر إليه الرجل البدين و هو يهتز جيئة و ذهاباً على كرسيه و قال " إنني أتساءل لماذا لست مولعاً بالعمل مثلما أنت مولع بالقتال " ، لم يجب سام بل أدار جسده النحيل و ذهب ليتابع عمله . كان المبلغ ضئيلاً جداً و كان يتبخر خلال الأسبوع الأول من الشهر و لم يمض شهران آخران حتى عاوده التعب من جديد ، حاول الاستمرار و لكن لم يستطيع التحمل أكثر من أسبوع . ذهب إلى أستاذ الفلسفة و سأله إذا كان يوجد لديه عمل آخر " للأسف يا سام لا يوجد عندنا هنا سوى الأعمال الزراعية ، أنت تعرف هذا جيداً و كل الأعمال مشابهة لطبيعة عملك في المزرعة إن لم تكن أصعب " - " المشكلة يا أستاذ أنني لم اعد أستطيع التحمل أكثر ، جسمي منهك جداً ، إنني غير

معتاد على تلك الأعمال ، عندما كنت أصغر بالسن قليلاً ، كنت أعمل بنشاط ، ولكن لا أدري الآن ما الذي حصل لي " - " و لكن ألا يوجد عمل في مصنع الفوسفات حيث يعمل والدك " - "لقد سأل والدي منذ البداية و لكن المدير أخبره ، أنه لا يمكن ذلك حتى يتوفر مكان شاغر أو يترك أحد ما العمل ، نحن بانتظار ذلك و لكن متى ؟ " . أشعل أستاذ الفلسفة سيكارة و أخذ يفكر ، ثم رفع رأسه فجأة و قال لسام "لحظة .. لماذا لا تسأل بائع الزهور ، إنه جاركم تقريباً و ربما يحتاج لأحد ما ، يعمل معه ، أظن أن عمله أسهل نسبياً من العمل في مزرعة ذلك المخبول " . التفت سام إلى أستاذ الفلسفة و صاح بفرح " نعم يا أستاذ كلامك صحيح ، كيف لم أنتبه لذلك ، اليوم سأكون عنده ، من المؤكد أنه سيقبل ، لقد عرض علي العمل ذات يوم " .

في البيت الزجاجي كان السيد فرانكو جاثياً و مشغولاً بوضع عدد من زهر الزنبق في أصائص صغيرة ، و سام واقف ينظر إليه ، بعد قليل أنهى الرجل عمله و نهض واقفاً ، مد يده إلى صندوق قرب الحائط و أخرج منه سيجاراً ضخماً " ما رأيك بسيجار يا سام " - " لا شكراً ، أنا لا أدخن " جلس الرجل على جذع خشبي و أخذ يتلوى معبراً عن تبعه ثم نظر إلى سام " ماذا قلت لي بالضبط يا سام؟؟ " - " لقد سألتك يا سيد فرانكو إذا كنت بحاجة لمن يعمل لديك في زراعة الزهور ، حيث إنني أرغب بالعمل " . أشعل السيد فرانكو سيجاره ثم أخرجه من فمه و أخذ ينظر إليه و هو ينفث الدخان " أنت تعرف يا عزيزي أن العمل في الزهور ليس معقداً لهذه الدرجة ، و لا يحتاج إلى مجهود كبير ، و كما تعرف فأنا أقوم بالأعمال بمفردي هنا ، و بالرغم من كل ذلك يبقى لدي وقت فراغ أحياناً " - " ولكنك طلبت مني ذات يوم أن أساعدك في العمل " - " صحيح لقد طلبت منك ذلك ، و لكن ليس هنا بل في العاصمة حيث أنني كنت محتاجاً إلى شخص يساعدني في التسويق ، و هذا ليس عملاً دائماً بل إنه موسمي و قد استطعت تأمين

أحد الوكلاء عندما رفضت أنت" . أدرك سام أنه لا فائدة من النقاش ، فعاد إلى المنزل و هو كئيب و متعب و شاحب " اللعنة على هؤلاء الناس ، عندما يكونون بحاجة يتسمون لك ، و عندما تكون بحاجةهم يصبحون جديين و رسميين ، حتى قبل أن تتحدث معهم ، كأن لديهم حاسة سادسة بحاجةهم إليهم" . وصل إلى المنزل ، دخل بشروء إلى غرفته و ارتدى على السرير . في صباح اليوم التالي استيقظ من فراشه ، كان يشعر بالقرف لبس ثيابه و انطلق نحو المزرعة التي كان يعمل فيها ، و لكنه ما أن بدأ العمل حتى أحس بتعب شديد في أنحاء جسده كلها ، شد على المعول الذي كان معه وتابع العمل ببطء ، و لكن لم تمض ساعة حتى وقف فجأة .. ترك المعول من يده .. أدار ظهره و أخذ يمشي ببطء خارج المزرعة . من الخلف لحقت به أصوات صاحب المزرعة " سام سام ... إلى أين أنت ذاهب سام ... لم ينته العمل بعد سام أيها المقاتل الطيب ، هل تسمعي . سام سام..... " شيئاً فشيئاً تلاشت الأصوات من خلفه . عاد إلى المنزل مرة ثانية و عادت له الكآبة و الحزن من جديد . كانت فترة سيئة جداً بالنسبة إلى العائلة ، لم يعد يخرج من المنزل أبداً ، لقد قرف الحياة كلها ، كان يومياً يصعد إلى السطح و يستلقي تحت العريشة و ينظر إلى اللاشيء ، هناك شيء في اللاشيء و لكنه لم يعرف ما هو ، نعم ، نعم ، هناك شيء ، يجب أن يعرف ما هو " سأظل أنظر إلى اللاشيء حتى أعرف الشيء الموجود في اللاشيء " قال في نفسه و هو مستلق على ظهره تحت العريشة و يحرق بأشعة الشمس المتغلغلة من بين أوراقها ، أستاذ الفلسفة كان من وقت لآخر يمر عليهم و يواسي سام واعداً إياه بمساعدته في أقرب وقت ممكن .

كان سام مستلقياً كعادته تحت العريشة في الصباح الباكر يحرق بالاشيء ، عندما سمع صوت والده يبحث عنه ، كأن لهجته هذه المرة كانت مشوبة ببعض الفرح "سام ، سام ، أين أنت يا بني إنني أريدك تعال " نهض سام ببطء ، ثم نزل على السلم ، كان رأسه ثقيلاً جداً . " ماذا هناك يا أبي ؟ " . نظر الأب إلى

سام و قد لمعت عيناه ببريق أمل ممزوج بالفرح " البارحة ترك أحد الموظفين العمل في المصنع ، لقد أخبرني المدير بذلك و هو يريد أن يراك ، لقد أصبح عمك جاهزاً يا بني هيا أسرع و ارتد ثيابك فوراً ، سنذهب لمقابلة المدير ، إذا سارت الأمور على ما يرام ستباشر عملك في فترة قصيرة جداً ، هيا أسرع ارتدي ثيابك سنذهب مباشرة " . أسرع سام إلى الداخل و بعد قليل خرج مرتدياً ثيابه ، و انطلق الاثنان إلى المصنع. كان المدير رجلاً أصلع في الأربعينيات من عمره سمين نوعاً ما ، حليق الوجه ، و لكنه حسب ما أخبر الأب سام ، يمزح و يضحك دائماً . عندما وصلا استقبلهما المدير ببشاشة و ترحاب " أهلاً و سهلاً بك يا سام يسرني التعرف إليك ، أنت و أنا زملاء في الدراسة ، فأنا مثلك درست الكيمياء في الجامعة ، لقد ترك أحد العمال الوظيفة هنا ، و بإمكانك العمل مكانه ابتداءً من الأسبوع القادم ، و من حسن حظك أن العمل مريح و مرتبك سيكون مضاعفاً كونك تحمل شهادة جامعية ، و عندما يصبح مكاني أنا شاغراً سأضعك مكاني و لكن عليك الانتظار طويلاً (ينفجر المدير ضاحكاً) تفضل هذه هي الأوراق المطلوبة ، أحضرها كي أقوم بالإجراءات اللازمة ، إن والدك من العمال المجددين و المخلصين في العمل ، و احتراماً له و لهذه الفترة الطويلة التي أمضاها في العمل هنا بإخلاص و تفاني ، فأني اخترتك أنت من بين كل الذين تقدموا لهذا العمل ، و الآن أرجو أن تحضر لي هذه الأوراق المسجلة في الورقة التي معك ، كي يتم إنجاز العمل بسرعة " . نظر سام و والده إلى بعضهما بعضاً بتردد ، ثم التفت سام إلى المدير و قال بنجل " للأسف الشديد يا سيدي فإنني لا....لا أملك الشهادة الجامعية " - " لماذا !!؟؟؟ (صاح المدير بدهشة) ألم تنه الدراسة الجامعية !!!؟؟؟ " . أطرق سام بنجل مرة أخرى و قال " بلى يا سيدي ، و لكن في الواقع حصلت معي ظروف خاصة قليلاً ، منعتني من استلام الشهادة " . وهنا تدخل الوالد قائلاً بصوت حزين متوسل " أرجوك أيها المدير لا تدع هذه الوظيفة تفوت سام أرجوك ، إنني لا أريد غير هذا الطلب منك " . صمت المدير قليلاً و على وجهه علائم الدهشة و

الاستغراب ، وضع يديه على صلعته اللامعة و فكر ، ثم قال " لا بأس سأندبر الوضع ، و لكن في هذه الحالة سينخفض راتبك إلى النصف " . صمت سام و هو يفكر في نفسه " يا إلهي ، هذه الكلمة اللعينة { سينخفض راتبك إلى النصف } إن مجرد سماعها يسبب لي الإحباط " رفع رأسه و نظر إلى المدير الذي كان يحملق به بابتسامة منتظراً الجواب " حسناً يا سيدي ، ما دام الأمر هكذا فإنه لا خيار أمامي سوى القبول " - " عظيم ، إذن خلال يومين أحضر لي الأوراق المتبقية المطلوبة كي نرسلها إلى العاصمة للتصديق و القبول ، عندما تعود من هناك ، يمكنك المباشرة بالعمل (قال المدير هذا ثم التفت إلى والد سام قائلاً) بالمناسبة يا سيدي ، لدي اقتراح من أجلك " - " ما هو ؟!!؟ " مط المدير شفثيه وقال " كنت قد طلبت مني في الفترة الأخيرة إبدال فترة عملك الليلي بالفترة النهارية بسبب وضعك الصحي و لكننا لم نستطع ذلك كونه لم يكن يوجد بديل ، أما الآن و قد أصبح الشاغر الذي سيحل محله سام في الفترة النهارية ، فما رأيك أن نستبدلك أنت و سام ، فتحل أنت محله و يحل هو محلك " . انبرى سام على الفور قائلاً " إنني موافق " . التفت الأب إلى ابنه قائلاً " و لكن يا ولدي قد لا تناسبك الفترة الليلية " - " بالعكس يا والدي إنها مناسبة لي تماماً ، أن لك أن ترتاح في المنزل ، أيها المدير إنني موافق و أرجو أن تلبية لي هذا الطلب إذا تكرمت " . رفع المدير يديه في الهواء و قال " حسناً ، إذن احضر لي أوراقك غداً إذا أمكن و بعد الموافقة الرسمية ، سأصدر قرار نقلك إلى الفترة الليلية و أبوك إلى الفترة النهارية ، و إذا كنت من هواة الوحدة ، فإن الفترة الليلية هي فترة مناسبة لك تماماً " . في الطريق إلى المنزل قال الوالد لابنه " الحمد لله يا بني ، لقد انزاحت من أمامنا مشكلة عملك ، إنها نعمة من السماء ، و لكن هل تستطيع العمل في الليل ، ستكون وحيداً أنت و الحارس الليلي الخارجي ، أنا قد اعتدت على هذا العمل و لكن أخشى ألا يناسبك أنت " - " لا يا أبي ، إنه مناسب لي تماماً ، لقد أصبحت أحب الوحدة و الليل كثيراً ، هكذا كان يفعل المعلم رالف ، أما أنت يا أبي فيجب أن ترتاح قليلاً ، و تعود إلى حياتك الطبيعية " - " بورك فيك يا بني " .

عندما أطلا من بعيد على المنزل ، لاحظ الأب سيارة تقف أمامه " كأنني أرى سيارة تقف أمام المنزل يا سام ، أليس كذلك ، لمن هي يا ترى ؟؟! " . عندما تقدما أكثر نحو المنزل ، تمنع سام بالسيارة متفحصاً ، و فجأة صرخ بفرحة كبيرة " إنها سيارة الدكتور بروكلمان ، نعم إنها هي " و انطلق مهرولاً باتجاه المنزل ، فصاح به أبوه " لماذا تركض يا سام ، انتظرني ... لمن هذه السيارة ؟؟ " . صرخ سام و قد ابتعد مهرولاً عن والده " إنها سيارة الدكتور بروكلمان يا أبي ، إنه هنا ، إنه عندنا في المنزل ، في المنزل يا أبي " و أكمل طريقه مهرولاً . هرول الأب هو الآخر وراء ابنه و الدموع تهطل من عينيه . وصل سام إلى المنزل و هو يلهث ، دخل من باب السور الخارجي مسرعاً ، كان المعلم رالف و الدكتور بروكلمان يجلسان في حديقة المنزل و حولهما والدة سام و أخوته ، اندفع سام نحوهم بفرح ، نهض المعلم رالف و اتجه نحو سام ، تعانق الاثنان عناقاً شديداً ، كذلك كان الأمر مع الدكتور بروكلمان " إنني لا أصدق نفسي ، هذا أجمل يوم في حياتي ، إنه يوم سعدي ، اليوم حصلت على وظيفة في مصنع البلدة ، و اليوم أيضاً أراكما هنا في المنزل إنني لا أصدق نفسي " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و قال له " كيف حالك يا سام ، لقد اشتقنا لك كثيراً ، فقررنا أنا و المعلم رالف أن نزورك هنا لنطمئن عليك ، خاصة بعد أن اتصلت معي منذ فترة " - "إنني بخير ، و أنا بدوري قد اشتقت إليكم كثيراً" قال سام بفرح و سعادة غامرة . بعد قليل دخل الأب من البوابة و هو يلهث ، فبادر سام قائلاً بفرح " أبي ، تعال ، أريد أن أعرفك على الضيوف الأعزاء ، هذا هو المعلم رالف و هذا هو الدكتور بروكلمان " . صافح الأب الضيفين و هو يشد على يديهما بجرارة قائلاً " أهلاً و سهلاً بكما ، إنني سعيد بالتشرف بمعرفتكما أيها السيدان النبيلان ، لقد حدثني سام عنكما كثيراً ، و أنا شاكر و ممتن لكما من كل أعماق قلبي ، أنتما الوحيدان اللذان وقفتما مع سام في محنته و ساعدتماه ، في الوقت الذي تحلى عنه غيركما ، و هذا جميل لن أنساه لكما مدى الحياة " . بادر

المعلم رالف بالقول "إننا لم نفعل شيئاً أيها الأخ الكريم ، و كل ما فعلناه أقل من الواجب ، أقل مما قام به سام في المؤسسة عندنا اسمح لي أن أهنئك من أعماق قلبي أنا أيضاً على ابنك سام ، لديك ابن طاهر مؤمن ذو أخلاق نبيلة و سامية (ثم التفت إلى سام قائلاً) كيف أصبحت الآن يا سام أراك قد حلقت لحيتك و لكنك مازلت نحيلاً " - "إنني بخير يا معلم و مشتاق لكم كثيراً إنني إن نسيت ، فلن أنسى تلك الأيام التي قضيتها معكم في العاصمة " - "وهل أنت سعيد هنا في البلدة " - "ليس كثيراً ، بعد أن أنهيت الدواء ، تدبرت عملاً هنا في البلدة و لكن الأمور لم تسر على ما يرام " . و هنا سأل الدكتور بروكلمان " و لكنك قلت قبل قليل إنك وجدت وظيفة في مصنع البلدة !!!؟؟ " أو ما سام بالإيجاب " نعم يا دكتور أخيراً و بعد تعب و مشقة ، شاءت الأقدار أن أجد وظيفة مريحة في مصنع البلدة إنه مصنع للسجاد الزراعي ، و لكن حتى في هذا الأمر لم تسر الأمور على ما يرام " - "لماذا !!!؟؟" سأل الدكتور بروكلمان و المعلم رالف معاً . رفع سام يديه في الهواء وقال "كوني لا أملك شهادة جامعية ، فإن المرتب سيكون ضعيفاً ، من المؤكد أن إدارة مؤسسة إلفا قد أتلفتها ، عل كل حال لا يهم ، ما حصل قد حصل ، كنت أتمنى قدر الإمكان أن يكون المرتب كبيراً لأخفف عن أسرتي " . نظر كل من المعلم رالف و الدكتور بروكلمان إلى بعضهما بعضاً و ابتسما ابتسامتين عريضتين ، ثم تناول الدكتور بروكلمان حقيبة جلدية كانت معه و أخرج منها الشهادة الجامعية و أعطها لسام قائلاً "تفضل يا سام ، هذه هي شهادتك الجامعية ، لقد أردت أن تمزقها فلم ندعك تفعل ذلك بل احتفظنا لك بها حتى طلبتها أنت ، فها هي قد عادت إليك ، خذها إنها ملكك ، إنها ثمرة تعبك ، إنها لك و ليست لمؤسسة إلفا ، إنها اعتراف منهم بأنك رجل مثقف متعلم " . كان الجميع يملق بالشهادة و هي تنتقل من يد الدكتور بروكلمان إلى يد سام التي كانت ترتعش . كانت عبارة عن صحيفة خضراء فاخرة من الورق المقوى مع كتابة ناعمة بلون الذهب و ختم داكن بلون الحمرة ، أكثر الجميع فرحاً كان والد سام ، كان يذرف الدموع من الفرحة ، لم يستطع أن يتمالك نفسه

فنهض إلى ابنه سام يضمه إلى صدره ثم اتجه إلى الدكتور بروكلمان قائلاً " دعني أقبلك و أضمك إلى صدري أيها الدكتور النبيل و أنت كذلك أيها المعلم رالف ، لقد أعدتma الحياة إلي من جديد ، إني عاجز عن الشكر و عاجز عن الكلام " . ربت الدكتور بروكلمان على كتف الوالد برفق "إننا لم نفعل شيئاً يا سيدي ، هذه الشهادة هي ثمرة تعب سام ، و كل ما عملناه هو أننا احتفظنا له بها ، إنها من حقه و لا ندين له بشيء أليس كذلك أيها المعلم رالف " - " طبعاً ، طبعاً يا سيدي ، إننا نعيد لسام جزءاً بسيطاً جداً مما قدمه لنا ، و بالذات لي أنا ، لقد خدمني كثيراً في الجمعية و يستحق كل جميل و عرفان " قال المعلم رالف ذلك ثم التفت إلى سام " المهم أنك تدبرت الآن عملاً مناسباً يا سام " - "نعم يا معلم إنه مناسب لي جداً ، إنه سيكون في الليل ، سأكون مرتاحاً ، لا أصوات ، لا إزعاج ، إنه وقت مناسب جداً للتأمل ، ما رأيك " نظر المعلم رالف إلى سام نظرة فيها شيء من الحزن و قال له بهدوء " إذاً لن نراك في العاصمة؟؟ " - "لا أدري يا معلم ، و لكن حالياً أفضل البقاء هنا في البلدة طالما أن عملي أصبح قرب منزلي و أهلي ، إنهم بحاجة للعناية و المساعدة" . هز المعلم رالف رأسه بابتسامة حزينة و قال " على كل حال يا سام إن مكانك محفوظ في الجمعية و متى أردت المجيء فأهلاً بك في أي وقت ، لقد افتقدوك كثيراً هناك و دائماً يسألون عنك ، لقد احبك الجميع هناك يا سام " . هز سام رأسه بحزن و قال " سوف أزورك ككلما سنحت لي الفرصة يا معلم أعدكم بذلك " . هنا بادرت الأم بالسؤال ماذا تحبون أن تأكلوا على الغداء أيها السادة " . أشار لها المعلم رالف بابتسامة قائلاً " لا داعي لذلك ، إننا جئنا فقط لتتعرف على هذه العائلة المباركة ، عائلة سام الطيب ، و لنطمئن على سام من جهة أخرى ، إننا مضطرون للعودة الليلة ، فلدينا أعمال لا يمكن تأخيرها " . هتف الأب باحتجاج " مستحيل أن تخرجوا من هنا من دون غداء ، هيا أيها المعلم رالف اختر زوجاً من ديوك الحبش تلك أو من ذلك البط" عبس المعلم رالف قليلاً و صمت ، و هنا تدخل الدكتور بروكلمان على الفور " إن المعلم رالف لا يأكل اللحوم مطلقاً ، ليس ذلك فقط بل إنه من

أنصار الرفق بالحيوانات و لا يسمح مطلقاً بإيذائها مهما كان نوعها ، له مشاكل عديدة مع جمعيات الصيد و غيرها من الجمعيات التي تتعامل بالحيوانات وله في التلفاز برامج عدة حول ذلك ، حتى إنه ضد فكرة السيرك " . أطرق الأب يفكر ثم قال " أعتذر يا معلم ، أنا آسف حسنا إذن ، في هذه الحالة عليك انتقاء البقول و الخضار التي تريد من هذه الحديقة " . ابتسم المعلم رالف و هز رأسه موافقاً . أسرعت الأم لتخضر الغداء بينما جلس الضيوف يتأملون الطبيعة المحيطة بهم بإعجاب ، و لم يلبث بعد قليل أن حضر استاذ الفلسفة ، و بعد التعارف ، أطلق الأب زفيراً عميقاً ثم قال بفرح " إنه يوم مبارك ، في الصباح يجبرني المدير أنه يوجد وظيفة لسام ، ثم نتعرف عليكم أيها السادة الأكارم ، ثم تأتي شهادة سام ، إنها بركة السماء ، أليس كذلك أيها المعلم رالف " - " نعم ، نعم بالطبع ، إن الإنسان الذي لا يؤمن بالله هو الإنسان الذي يعتقد أن كل شيء يتم بالصدفة ، بينما الإنسان الصالح المؤمن ، هو الذي يعرف ألا شيء يتم إلا بمشيئة الله " . بعد الغداء و دع سام و عائلته المعلم رالف و الدكتور بروكلمان " كنا نتمنى أن تبقوا الليلة هنا أيها السادة " قال الأب . اعتذر الدكتور بروكلمان قائلاً " و نحن أيضاً نتمنى ذلك و لكننا مضطرون اعتن بنفسك يا سام و لا تنس أن تزورنا في أقرب فرصة ممكنة و إذا احتجت لأي شيء اتصل بي على الفور " عانق المعلم رالف سام قائلاً " سأفتقدك كثيراً يا سام و كما قلت لك ، مكانك و عملك محفوظان في الجمعية " . عندما غادر الضيفان ، دخل سام و أسرته إلى المنزل حيث وضع سام الشهادة بفرح على الطاولة و أخذ الجميع يتأملونها بفرح و فضول .

بعد يومين أخذ سام الأوراق المطلوبة و من ضمنها الشهادة و ذهب ليقابل مدير المصنع " تفضل يا سيدي هذه هي الأوراق المطلوبة " . تفحص المدير الأوراق و هو يهز برأسه بالإيجاب ، و فجأة رفع رأسه متعجباً و نظر إلى سام "أليست هذه هي الشهادة الجامعية التي أخبرتني عنها ؟؟؟!! " - " نعم يا سيدي " - " و

لكنك قلت لي أنك لا تملك الشهادة نتيجة لظروف خاصة!!؟؟" - " صحيح يا سيدي ، و لكن الآن طرأت ظروف خاصة جديدة حصلت فيها على الشهادة " قال سام و قد عجز عن منع نفسه من الضحك . نظر المدير إلى سام بريية و قال مبتسماً هو الآخر " لقد سمعت عنك يا سام أنك أصبحت غريب الأطوار و تصرفاتك غريبة ، أرجو ألا يكون هذا الكلام صحيحاً..... على كل حال ستعمل لدينا مبدئياً بموجب عقد سنوي ، و سوف أعتمد لك هذه الشهادة ، و ستأخذ راتباً يعادلها ، و من الغد سأرسل هذه الأوراق إلى العاصمة للتصديق ، فإذا تم القبول سيتم تعيينك ابتداء من الأسبوع القادم..... و لكن هل مازلت مصرّاً على العمل الليلي ؟ " . أجاب سام بثقة " نعم يا سيدي " . فقال له المدير مستغرباً و موضحاً " و لكن هذه الشهادة تخولك العمل في النهار فقط ، و في الليل لن يكون لديك عمل سوى الحراسة " أوماً سام برأسه علامة الموافقة " لا بأس يا سيدي أنا موافق " ابتسم المدير لسام ابتسامة رسمية و قال له " حسناً ، اتفقنا إذن " .

في نهاية الأسبوع ذهب سام إلى المصنع للاستفسار عن النتيجة ، كانت الأوراق قد جاءت من العاصمة بالقبول ، فرجع إلى المنزل سعيداً ، و عندما وصل ألقى الخبر السعيد على أسرته " ابتداء من الأسبوع القادم سأبدأ العمل في المصنع ، ليس هذا فقط ، بل سوف يكون بمقدوركم رؤية والدي بعد الظهر و في الليل هنا في البيت ، لأن عمله سيكون من الثامنة صباحاً و حتى الثانية ظهراً " صرخ الجميع بابتهاج ، في حياتهم كلها لم يعتادوا على وجود الأب معهم في الليل " هل سأرى أبي في الليل يا سام ؟ " سألته أخته . أوماً سام رأسه بالإيجاب مبتسماً ثم نظر إلى أمه و ابتسم لها أيضاً ، فضحكت و دخلت لتعد طعام الإفطار .

لم يمض أسبوع حتى بدأ سام بالعمل ، كان يسهر وحيداً في الليل يراقب و يتأمل السماء في باحة المصنع الداخلية ، بينما كان هناك حارس آخر مسلح لمراقبة المصنع من الخارج ، كان يكن احتراماً مميّزاً لسام لمعرفة به و بوالده ، و لكونه أرفع منه درجة بسبب شهادته الجامعية . في الليل كان سام يفكر بوضعه و بوضع أسرته ، و بالعاصمة ، و بالمعلم رالف و الدكتور بروكلمان ، لقد عاش أياماً سعيدة معهم ، كان يجلس وحيداً في الباحة الداخلية و يشعل البوتوجاز الصغير و يضع إبريق الشاي عليه ، قمة المتعة لديه أن يعد الشاي على هذا البوتوجاز ، و مع الأيام اللاحقة أصبح ذلك عادة مستحكمة لديه ، يشرب الشاي و يفكر في وضعه و في أسرته و في المال "اللعنة ، إن المال هو الذي تسبب لي بكل ذلك " . أصبح هاجسه الوضع الذي كانوا يعيشونه و لكن ، المكان هنا في الليل كان مثالياً للتفكير ، لقد فكر و فكر كثيراً و تبينت له أمور كثيرة ، كل مرة كان يسترجع شريط ذكرياته في العاصمة ، كانت تظهر له أمور جديدة لم يدركها آنذاك ، لقد تلقى درساً قاسياً " هذا أكيد " قال في نفسه و لكنه درس قاس جداً ، جداً ، متعة التفكير عنده كانت في هذا المكان " كم كنت سعيداً يا أبي ، و لكن هل كنت تفكر كما أنا الآن أفكر " ، حتى اللاشيء الذي كان يحدق به في النهار تحت العريشة ، نقله معه إلى هنا إلى الليل و أصبح هو السماء الصافية و النجوم اللامعة و القمر المضيء ، و لكن و لكن أحياناً كان يحس أن أحداً ما يراقبه أحداً ما ينظر إليه و يتمعن به .. يتفرس فيه . و عندما يلتفت لا يرى أحداً ، أكثر من مرة حصل معه هذا الشيء ، مرة عندما كان ينظر إلى السماء و يتأمل النجوم أحس أن هناك أحداً ما يراقبه ، أحد ما يتأمله بهدوء ، و يدرس حركاته و سكناته ، التفت فجأة فلم ير أحداً ، " اللعنة ، أيمن أن تكون تلك الحبوب اللعينة هي السبب ، و لكنني أوقفتها منذ مدة..... لقد قال لي الدكتور بروكلمان مرة إن أثرها ممكن أن يمتد لفترة معينة " . بعد ذلك بأسبوع كان يعد الشاي ، وضع الإبريق فوق البوتوغاز ، و جلس القرفصاء ، و لكن ما أن بدأ يصب الشاي ، حتى أحس فجأة أن أحداً ما يقف أمامه و يراقب كيفية صبه للشاي ، هذه المرة

كان قريباً جداً منه ، لفحته نسمة ساخنة التفتت حول رقبته و نزلت على صدره متدحرجة للأسفل ، وضع الكأس على الأرض ببطء ، و ببطء نهض ، ثم فجأة رفع رأسه و نظر لا أحد ، الساحة خالية تماماً و الرياح الشمالية الباردة تصفر في أرجائها إيذاناً بقدوم فصل الشتاء . نفض رأسه و عاد لشرب الشاي محاولاً التفكير بشيء آخر " يجب أن أنمي نفسي روحياً ، كما أوصاني المعلم رالف ، إنه مثال لي ، يجب أن يكون مثلاً لي ، يجب أن أقتدي بكل أفعاله و آرائه " فكر في نفسه و هو يرتشف الشاي و يراقب المكان بجذر .

كان الشتاء قد أتى فعلاً ، و سام جالساً في الساحة الداخلية كعادته رغم البرد ، يشتم ريح الشمال الباردة ، و يحرك وجهه قبلتها ، كأنه يستحم بها ، و فجأة أحس بنسمة ساخنة كتلك التي كان يشعر بها سابقاً ، و انتابه شعور حاد أن هناك من يراقبه فعلاً ، أخذ يلتفت يميناً و شمالاً ، أمامه و خلفه ، فلم ير أحداً فكر قائلاً " إن الجو بارد ، فمن أين جاءت موجة الحرارة القوية تلك يا إلهي هل من الممكن أن يكون مصدرها من المصنع!! ؟؟ هل هو حريق !! ؟؟" اندفع بسرعة راكضاً إلى المصنع. في الداخل كانت الآلات كلها متوقفة فضلاً عن أن الجو في الداخل كان بارداً أيضاً ، هرع إلى غرفة المراحل و الحرّاقات ، كان كل شيء طبيعياً و الهدوء يلف المكان ، خرج إلى الساحة الداخلية ثم جلس على الكرسي و هو يلتفت من حوله بجذر و قلق شديد ، جلس على الكرسي بصمت و أبقى رأسه ثابتاً و عيناه تتحركان يمنة و يسرة ، كان الجو بارداً و هناك نسيمات باردة تجوب المكان قادمة من الغابة . بعد قليل عادت الموجة الحارة لتضرب صفحات وجهه ، نظر من حوله كان كل شيء هادئاً و طبيعياً ، رشف من الشاي و عيناه تتلاعبان بالمكان ، ثم أسند ظهره إلى الكرسي متأملاً الأضواء الخارجية لسور المصنع، فجأة تراءى له و كأن شيئاً غريباً يتحرك أمامه ، نوع من الهيولى الموسورية ، لوهلة بقي صامتاً في مكانه ثم انتفض من مكانه و

هو يفرك عينيه ، كان ذلك الشيء قد اختفى ، استرخى مرة أخرى على الكرسي ، و فجأة عادت الهيولى الموسورية من جديد ، انتفض من مقعده و عاد يفرك عينيه من جديد و لكن الهيولى هذه المرة بقيت في مكانها و لم تتحرك ، أخذ يحدق بها جيداً ، كانت عبارة عن كتلة شفافة لامعة تبدو الأشياء من خلفها متعددة بكثرة ، تماماً كما ينظر الشخص إلى شيء ما عبر موشور فيراه عدة أشياء ، ظل سام يحدق بالكتلة اللامعة المتموجة أمامه بذهول ، وفجأة خرج منها صوت رخيم هادئ ناعم "هل أنت حزين ؟" . تجمد سام في مكانه بلا حراك ، هل هو في حلم أم أنه يهذي ، أم أن الأدوية التي أخذها قد أثرت في عقله و تفكيره . عاد الصوت بعد قليل يسأل من جديد " هل أنت حزين ؟" . صاح سام بصوت مخنوق مبسوح " من هناك ؟ من أنت " . أتاه الصوت مجيئاً " لا تخف يا عزيزي ، أنا هنا لمساعدتك" . هز سام رأسه بخوف و توتر " مستحيل ، مستحيل ، أنا أحلم ، من المؤكد أنني أحلم " . عاد الصوت الرخيم الرقيق مرة ثانية " لا ، لا ، لا يا عزيزي ، أنت لا تحلم أنا ملاك وقد أتيت لمساعدتك ، لقد رأيتك حزيناً جداً و متألماً و دائم التفكير ، فجئت أخفف عنك و أواسيك ، أنت لا تحلم يا سام ، أنا ملاك أظهر للناس الطيبين أمثالك ، فأستمع إليهم و أعمل ما بوسعي لمساعدتهم و التخفيف عنهم " . كان الشلل قد عقد جسد سام عن الحركة ، و لكنه بعدما سمع هذا الكلام المهدي للأعصاب و في الوقت نفسه تذكر كلام المعلم رالف عن الملاك الذي حدثه عنه ، استعاد شيئاً من رباطة جأشه و قال بصوت أقل بحجة من السابق " من أنت ؟؟؟؟؟ " . أتاه الصوت مرة أخرى " كما قلت لك يا سام ، أنا ملاك وقد أحسست بك و بآلامك و أوجاعك و عرفت الظروف التي مررت بها و التي قاسيتها و عانيت منها ، فتأثرت لذلك بالغ التأثر و قررت أن أحاول مساعدتك بقدر الإمكان ، فظهرت لك الآن " . بالرغم مما كان يسمعه ، كان الذهول و الاضطراب لا يزالان يسيطران على سام الذي تتمم بذهول " و لكنني حتى الآن غير مصدق مستحيل ، كأنني في حلم ، أحقاً أنا لا أحلم" . جاء الصوت الرخيم مرة أخرى " معك حق في ذلك يا سام ، أنا

أعرف أنك مذهول و متفاجئ ، فنحن معشر الملائكة ، لا نظهر للناس عادة ، وخاصة في هذا العصر ، و لكن يجب عليك أن تصدق يا سام ، فأنت كما أعرف رجل مؤمن صالح ، ألم تقرأ في الكتب كيف أن الملائكة كانت تظهر للصلحين في الماضي " . كان الصوت الرخيم الهادئ يوحى بالثقة و الاطمئنان ، و لذلك فقد تشجع سام قليلاً أكثر من السابق و قال " و لكن لا أدري فحتى الآن أشعر و كأنني أحلم " .
جاءه الصوت مرة أخرى " عندما سيتكرر هذا الأمر ، ستعرف حتماً أنك لم تكن تحلم ، و الآن أخبرني لماذا أنت حزين يا سام ، احك لي عن وضعك علي أستطيع مساعدتك يا عزيزي " .صمت سام قليلاً يفكر ، كان هول المفاجأة لا يزال يسيطر على كيانه و عقله ، و لكنه لم يدر لماذا دبث فيه الحماسة فجأة ، فأخذ يروي قصته للملاك و كيف نزل إلى العاصمة ، إلى أن جاء إلى هنا ، أخذ يتكلم و يتكلم و لوهلة أحس أنه وحيد و أنه يريد أن يفرغ كل أحاسيسه و مشاعره المكبوتة في داخله و يطلقها في الهواء ، و عندما انتهى من كلامه كان يلهث من التعب و كأن حملاً ثقيلاً قد انزاح عنه ، لم يشأ أن يرفع رأسه ، لخوفه هذه المرة من ألا يرى الملاك و أن يكون مارآه حلماً ووهماً ، هذه المرة لم يشعر بالخوف بل بالرغبة أن يكون الملاك حقيقة فعلاً . و لكن الصوت أتاه مرة أخرى ليبدد خوفه من الوهم " أنتم البشر لديكم مشاكل كثيرة ، تخلقون لأنفسكم مشاكل و تظلمون أنفسكم كثيراً ، لا أدري لماذا " . رفع سام رأسه ببطء و نظر إلى الهيولى الموشورية المتماوجة أمامه و قال بكآبة "معك حق ، هذه هي طبيعتنا ، و لكن يوجد بيننا أناس صالحون و مؤمنون و خيرون ، و هؤلاء هم التعساء " . أتاه الصوت مستفسراً " و لكن ما سبب هذه المشاكل التي تصيب البشر برأيك أنت يا سام ؟ " - "السبب هو طبيعة الشر لدى الإنسان ، فالإنسان يحمل في داخله جانب الخير و جانب الشر ، و عندما يغلب جانب الشر على جانب الخير لديه ، تصبح كل صفاته و أعماله شريرة ، يضاف إلى ذلك الطمع الجشع و الحسد و البخل " - " و لكن ألا يستطيع الإنسان برأيك أن يحل هذه المشاكل بمفرده أنت مثلاً ، لماذا لم تجرب أن تحل هذه المشاكل التي تعرضت لها؟؟

" . رفع سام يديه بالهواء و قال و قد عد للحظة أنه في حالة محاكاة داخلية مع نفسه " لا أستطيع ، لأن السبب ليس مني بل من الغير " . أتاه الصوت من فوقه " و لكنك تقول إن المشاكل التي تصيبكم أنتم البشر هي منكم أنتم البشر أنفسكم ، فلماذا لا تحلونها ، طالما أن مصدرها منكم أنتم !!؟؟ " . عاد سام إلى الطأطأة مرة أخرى و قال " السبب هو أن المشكلة التي تصيب شخصاً ما ، قد لا يكون سببها عادة الشخص نفسه ، بل شخص آخر ، أو قد تكون ناجمة عن ظروف خارج إرادته ، و في أحيان أخر تكون بسببه هو نفسه " جاء الصوت مرة أخرى " لقد أعجبني كلامك يا سام ، و كلامك هذا يشجعني على أن أساعدك فعلاً ، فهل تقبل ذلك مني أيها الشاب الطيب ؟ " . أخذت أنفاس سام تتسارع ، هل هو في حلم أم في يقظة ، فجأة خطرت على باله كل المتاعب التي حصلت معه في العاصمة و في البلدة هنا " تتمم بهدوء "إنني عاجز ، إنني أحتاج إلى المساعدة فعلاً.... و لكن كيف؟؟.... كيف؟؟ " . رن الصوت الرخيم الهادئ في أذنه " هذا الأمر سنناقشه سوياً في الغد ، في مثل هذا الوقت لكي نتوصل إلى الحل الأمثل ، والآن سأتركك لتريح نفسك ، فأنا أعرف أنك الآن مذهول و متفاجئ.... أراك غداً ... إلى اللقاء " اختفت الصورة من أمام سام وسط صفير متواصل ، و بعد ذلك خيم صمت و هدوء مطبق على المكان ، من جديد عاد الذهول إلى سام ، لفترة من الوقت بدا جامداً صامتاً لا يتحرك ، بعد قليل وكأنه صحا من ذهوله ، التفت حوله ببطء ، كان كل شيء ساكن ، صمت مطبق ، حتى الأشجار التي كانت تتحرك قبل قليل ، أصبحت ساكنة ، نهض سام من مكانه و راح يفكر في نفسه " يا إلهي ، هل أنا في حلم أم في يقظة " مستحيل (قال و هو يضرب رأسه علامة الاستنكار) و لكنه كان يقف هنا ، نعم كان يقف في هذه النقطة بالذات ، نعم و أنا كنت أجلس هنا أمامه ، يا إلهي هل أنا مجنون (قال بصوت مرتجف) هل من المعقول أن تكون الحبوب التي أعطاني إيها الدكتور بروكلمان قد أثرت في؟؟ لا ، لا ، مستحيل ، أيها الملاك " صرخ بأعلى صوته منادياً عليه ، و لكنه لم يسمع شيئاً ، بعد قليل جاء الحارس الذي يقف على

الباب الخارجي و هو يحمل بندقيته الآلية " هل هناك أمر ما يا سيدي ، سمعتك تصيح ، هل ناديت علي " - " لا ، لا ، لا أيها الحارس ، أحببت أن أسلي نفسي قليلاً ، لا بأس انصرف أنت و لكن .. لحظة ... توقف ... مهلاً .. قل لي ، هل لاحظت شيئاً غير عادي قبل قليل " - " منذ كم يا سيدي !!؟؟ " - " منذ منذ ..حوالي نصف ساعة و حتى الآن " - " لا يا سيدي لم ألاحظ أي شيء ، كل شيء كان طبيعياً " - " حسناً ، لا بأس انصرف " . انصرف الحارس ، و بقي سام يفكر ، عاد و جلس على الكرسي ، و أخذ يستعيد كل ما حصل له منذ ظهور الملاك و حتى مغادرته . ظل على الكرسي منتظراً ، على أن يعود الملاك ، و لكنه لم يعد .

في الصباح عاد إلى المنزل بخطى بطيئة ، كان لا يزال يفكر بما حصل معه البارحة ، كان ينتابه إحساسان ، إحساس بالذهول مما حصل معه ، وإحساس بالفرحة الغامرة ، الفرحة من شيء لم يعرف ما هو بالضبط ، و لكنه على كل حال كان يشعر بالفرحة . عندما وصل إلى المنزل، اتجه فوراً إلى غرفته و أقفل الباب على نفسه ، جاءت أمه لتخبره أن الفطور جاهز .. اعتذر عن الطعام ، لم تكن لديه الرغبة لا في الطعام ولا في الجلوس ولا في النوم ، أخذ يدور في الغرفة " ما الذي يحصل معي ، من المؤكد أنها أضغاث أحلام ، لقد أخبرني الدكتور بروكلمان ذات مرة بأن الإنسان من الممكن أن يصل إلى مرحلة يتخيل فيها أشياء تحصل أمامه ، خاصة إذا كان متعباً نفسياً و حتى جسدياً ، و البارحة كنت مرهقاً جداً لم أنم جيداً و من المؤكد أن ما حصل معي البارحة هو بسبب ذلك " أخذ يدور و يدور وهو يفكر و يبرر و يخمن ، حتى أصابه الإعياء الشديد ، فاستلقى على الفراش بثياب العمل و غط في نوم عميق ، و لم يستيقظ إلا في الساعة السادسة بعد الظهر ، كان يشعر بالجوع و بدوار في رأسه ، ذهب إلى الحمام و أخذ دوشاً ساخناً و عندما خرج ، وضعت أمه الطعام له ، ابتسمت له وقالت " لم أكن أدري يا ولدي أنك ستحل مكان والدك في العمل ،

فيما مضى كنت أضع هذا الطعام له و الآن أصبحت أنت ، إنني لم أتوقع هذا في يوم من الأيام " . لم يجب سام بكلمة لأن عقله لم يكن معها ، لم يسمع ولا كلمة مما قالت ، كان تفكيره كله بالملاك الملاك فقط الملاك ولا شيء سواه ، " هل سيظهر اليوم ، هل بدأت أجن ، سأتكلم مع الدكتور بروكلمان و أحدثه عن تلك الحالة ، لا ، لا ربما يعدني مجنوناً رسمياً " ظل هكذا شارداً حتى جاء والده و جلس معه يشربان الشاي . " أراك مضطرباً يا سام ، أمك قالت لي إنك لم تتناول طعام الإفطار اليوم ، و منذ مجيئك و أنت نائم ، هل حصل شيء في المصنع!!؟؟ " . نظر سام بشرود إلى الغابة و قال وهو يحديق في الفراغ " لا يا بي ، لا شيء ، إنه فقط الإرهاق و لا شيء أكثر ، وها قد استعدت الآن نشاطي " ، كان يفكر هل سيظهر هذا الملاك اليوم أيضاً أم لا ، أو على الأصح إذا لم يكن هناك ملاك و لا من يجزنون ، هل ستعود له تلك الحالة ، و في كلتا الحالتين ماذا سيقول له على كل حال يجب التأكد أولاً من أن هذا الذي حصل هو إما حلم و إما حقيقة ، إذا لم يأت اليوم ، فهي حالة من التخيل نتيجة الإرهاق و التعب ... و لكن ماذا لو عاد . كانت كل هذه الهواجس تنتابه كدولاب دائري ، واحدة تلو الأخرى حتى تنتهي ، لتعود من جديد . بعد حوالي الساعة ارتدى ثيابه و انطلق إلى المصنع. كان قلبه يخفق بشدة ، كان في داخله يتمنى ألا يظهر له هذا الملاك مطلقاً ثم يعود و يغير رأيه متمنياً ظهوره ، لأن صورته و كلامه البارحة جعلاه يتمنى ظهوره . هذان الإحساسان المتناقضان كانا مسيطرين على تفكير سام و هو في طريقه إلى المصنع. وصل إلى البوابة الخارجية . ألقى التحية على الحارس الثاني و دخل إلى الباحة الداخلية ، جلس هكذا يتأمل و في الليل قام ليعد الشاي وضع إبريق الماء على البوتوغاز الصغير ، كان الجو ساكناً تماماً و ليس هناك صوت أو ضجة ، و لا حتى نسمة هواء ، الأشجار كانت جامدة من دون أي حراك أو اهتزاز . ظل الوضع هكذا و سام يترقب ، و فجأة تحركت الأشجار مرتعدة بعنف كأن موجة ريح قوية عصفت بها ، فانطفأ البوتوغاز ، و لم تلبث بعدها أن ظهرت تلك الهيولى الموشورية لتظهر بعدها صورة هذا الملاك

نفسه ، كل هذا و سام جامد مذهول لا يتحرك . أتاه الصوت ذاته الذي سمعه البارحة " مرحباً سام ، أرجو أن يكون الوقت مناسباً للقاء " تتمم سام بذهول وعيناه فاغرتان وفمه مفتوح " نعم ، نعم " . نظر إليه الملاك و قال " أراك في حالة ذهول ، هل ما زلت غير مصدق ما يحصل الآن و تعتقد أنك تحلم يجب أن تعتاد على هذا الأمر لأننا سنتقابل كثيراً ، أم أن لك رأياً آخر " . رفض سام رأسه بعنف محاولاً التخلص من الارتباك الذي يشله و استعداد رباطة جأشه و قال " لا ، لا كلامك صحيح ، و لكن أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة " - " تفضل " . صمت سام قليلاً يفكر ، و في لحظة واحدة تواردت إلى ذهنه كل الأفكار التي كانت تخطر بباله في المنزل ، رفض رأسه مرة أخرى و نظر إلى الملاك الذي كان يبدو بصورة رجل جميل الهيئة و الطلعة " كيف عرفت اسمي ، و لماذا اخترتني أنا بالذات " . ابتسم الملاك قائلاً " نحن يا سام لدينا قدرات تفوق قدراتكم أنتم البشر ، وأظنك تعرف هذا من خلال مطالعتك للكتب الدينية ، أما بالنسبة لاختياري إياك ، فأنا قد اطلعت على حياتك الماضية و رأيت أنك الأنسب لأن أظهر لك و أعرض عليك مساعدتي ، باختصار هذا هو الأمر " . لمعت عيننا سام من جراءة سطوع الهيولى أمامه و قال " إنني أقصد كيف عرفت بي ، أو هل أنت تعرف كل البشر " . أوماً الملاك برأسه و قال " يمكنك قول ذلك ، فأنا في ذاكرتي لا أعرف كل البشر و لكن إذا أردت ، فمن الممكن أن أعرفهم ، و هذا الأمر يمكن أن تشبهه بشيء من عندكم و اسمه الكمبيوتر على ما أظن ، أنا أعمل تقريبا بطريقة مشابهة و لكن بشكل متطور كثيراً جداً عما عندكم ، ربما تسألني عن شيء معين مثلاً ، أو شخص ما و لا أعطيك الجواب فوراً ، بل حتى أبحث عنه و احصل على كل ملفه إن صحت التسمية ، و أعرف كل شيء عنه طريقة عملنا يا سام هي شيء معقد جداً و لا أعرف كيف أصفها لك ، لأنك لن تفهمها ، و لكن بشكل مبسط ، نحن نعمل هكذا ، و بالنسبة لاختيارك أنت ، فإن الأمر كان بمحض الصدفة ، هل هناك المزيد من الأسئلة ؟ " - " لا ، لا ، لا مزيد و لكن هل تريد مساعدتي حقاً " - " طبعاً طبعاً

يا سام ، أريد مساعدتك ، لأنك رجل طيب و تستحق المساعدة ، و لكن أظن أنه يجب أن نناقش هذا الأمر معاً لنصل إلى حل معقول لمشكلتك ، أليس كذلك ؟ - " بلى إنه كذلك " . نظر الملاك إلى سام و قال له " قل لي أولاً يا سام ، هل أنت مقتنع بفكرة المساعدة من الغير ؟ " . أوماً سام موافقاً " نعم أيها الملاك ، بكل تأكيد ، و بخاصة إذا كان من ملاك خيّر مثلك ... بالمناسبة ما هو اسمك أيها الملاك الطيب الذي يجب أن أدعوك به؟" . صمت الملاك قليلاً و كأنه تفاجأ بالسؤال ثم قال " في الواقع ليس هناك اسم معين لي ، نحن لسنا مثلكم أنتم البشر ، تحملون أسماء لكل واحد منكم ... يمكنك أن تعدني ملاكاً يحب المساعدة و حسب ، نادني بالملاك فقط ... و الآن لنعد إلى موضوعنا الأساس قل لي يا سام ما هو سبب اقتناعك بفكرة المساعدة من الغير بعد أن كنت في البداية لا تؤمن بهذا المبدأ كما أخبرتني البارحة " . فكر سام مرة أخرى و عاد يقول " السبب هو أنني توصلت لنتيجة و مفادها طالما أن مشاكل الإنسان هي من الغير ، فإن مساعدته على حلها يجب أن تكون من الغير أيضاً ، باختصار هذا هو السبب " . نظر الملاك إلى سام و قال له " من دواعي سروري يا سام أن تطلب مساعدتي ، و ثق أنني سأبذل ما بوسعي لمساعدتك و لكن برأيك يا سام ، ما هي أهم أسباب مشاكلك ، أقصد كيف تستطيع أن تلخص لي مشكلتك " حك سام أرنبة أنفه و من بعدها رأسه و فكر بعض الوقت ثم قال " لقد فكرت في الآونة الأخيرة بهذا الأمر ، و وجدت أن مشكلتي تتلخص في الضائقة أولاً ، أي الحاجة ، فهناك أمور كثيرة بحاجة لها أنا و أسرتي ولا أستطيع الحصول عليها ، ثانياً التبعية و الوقوع تحت رحمة الغير (أخذ الملاك ينصت باهتمام شديد جداً و هو يحدق بسام الذي قال متابعاً) أي أن تكون تابعاً للناس فيتحكمون بك ، أو الخضوع لأمر و ظروف اجتماعية معينة تختلف مع أحلامي و رغباتي و هذا أيضاً يسبب لي مشكلة هناك سبب آخر و هو أنني أرى أشخاصاً آخرين غيري بحاجة للمساعدة و لا أستطيع مساعدتهم ، و هذا شيء يؤرقني باختصار مشكلتي هي أنني مسلوب الإرادة و القدرة ، هناك أشياء كثيرة أريد أن

أقوم بها و لا أستطيع " . هز الملاك برأسه علامة التفهم لما قاله سام ثم قال " و لكن أليس من الممكن أن تكون تلك المشاكل جميعها آنية و تحل بمرور الزمن ، أو أنها مرتبطة بعامل زمني مؤقت ، تزول بزواله " .

عاد سام مرة أخرى يفكر وقد أطرق رأسه ، و لوهلة مرت أمامه المشاكل التي حصلت له في العاصمة و في البلدة هنا ، كان يشعر بسعادة خفية، هذه أول مرة يقول له شخص فيها (ما هي مشاكلك ، لخص لي مشكلتك) أول مرة يسمع هذه العبارة ، أول مرة ترن في أذنه ، لقد أعجبتة فكرة النقاش هذه ، رفع رأسه و نظر إلى الهيولى المتراقصة أمامه و قال " لا أيها الملاك ، لا أظن ذلك ، هذه المشاكل باقية و لن تزول مع الزمن ، لا بل إنها ستزيد و تتراكم لأن أسبابها باقية ، و هي لن تزول إلا بزوال هذه الأسباب التي تحدثت لك عنها " . صمت الملاك قليلاً ثم قال " و لكن يا سام بحسب ما عرفت عنك ، إن كل هذه الأمور لم تكن تعني لك شيئاً و لم تكن تهتم بها ، و هذا يعني أنها من المفروض ألا تسبب لك بالإشكال أو المتاعب " . هز سام برأسه موافقاً " نعم هذا صحيح أيها الملاك ، و لكن ذلك كان في الماضي ، أما الآن و نتيجة للأمر و الظروف التي ألت بي و أظن أنك تعرفها كلها كما يبدو لي ، أعدت التفكير في هذه الأمور جميعها و في الماضي كله " . حدق الملاك بسام و قال له بهدوء " و إلى ماذا خلصت يا سام " فكر سام متردداً ثم قال " خلصت إلى أن هذه الأمور موجودة و لا يمكن تجاهلها و لا بد من التعامل معها بشكل أو بآخر " . نم وجه الملاك عن ابتسامة واسعة ، حدق بسام و قال له " لقد بدأت تعجبني يا سام ، أقصد أن ذكائك يعجبني " . استغرب سام قائلاً " لماذا أيها الملاك !!؟؟ " - " لأنك تلعب معي لعبة تسمونها أنتم البشر لعبة القط و الفأر " - " كيف !!؟؟ " - " كلامك لي ليس واضحاً ، إنك تدور حول أمر ما ، نقطة معينة ، ولكنك على ما يبدو متردد في الدخول إليها " هذه المرة صمت سام و لم يتكلم ، طأطأ برأسه إلى الأرض و ظل ساكناً ، أحس و كأنه وصل إلى مفترق طرق حاسم و لا بد من الاختيار ، أحس و كأنه وصل إلى الحقيقة التي كان يخشاها دائماً و التي لا مناص من تجاهلها ، تذكر مرة كيف أنه

في المرة الأولى التي عاد فيها إلى البلدة من العاصمة ، و كان جالساً في الليل يفكر ، تذكر أنه شعر بخوف شديد لم يعرف سببه أو معناه ، و أدرك الآن أنه عرف السبب . أتاه صوت الملاك و كان هذه المرة كأنه قادم من أعماقه من أعماق نفسه ، صوتاً هادئاً بارداً " هيا يا سام هيا يا عزيزي تشجع وقل لي باختصار شديد ما هو الحل لكل هذه المشاكل التي تعاني منها " . ظل سام مطأطئ رأسه إلى الأرض ، لقد جاءت اللحظة التي كان يخشاها بالخفاء ، التي كان يخشاها بالسر ، أحس بالضيق الشديد ، هناك شيء ما في داخله ، شيء يريد أن يخرج و لكنه لا يستطيع ، إنه يضغط ليخرجه ولكنه لا يستطيع ، لوهلة أحس أنه وحده و إن كل ما يحصل الآن معه هو تخيلات ، أبقى رأسه مطأطأً إلى الأرض و جهد ليخرج هذا الشيء الذي في أحشائه ، أخذ يشد على نفسه ، أرتفع الدم إلى وجهه و في الوقت نفسه بدأ هذا الشيء يتحرك في جوفه صعوداً نحو الأعلى ، اخذ يضغط و يضغط على نفسه و يحرك رأسه بعنف ، تفجرت قطرات العرق من أنحاء جسده كلها و اتخذت لها مجرى من أعلى رأسه مروراً بجذعه إلى ما بين ساقيه إلى نعليه و منها إلى التراب لتغلغل فيه ، و في الوقت نفسه اتخذ الشيء المتحرك في جوفه مجرى له ببطء عبر صدره مروراً برقبته و بلعومه حتى وصل إلى فمه ، إلى طرف لسانه الذي أخذ يتذبذب بشكل هستيري ، ليخرج من فمه و هو يلهث " المال ، المال ، نعم المال " أحس براحة لذيذة و بالعرق البارد المنعش الذي يغطي أنحاء جسده كلها ، رفع رأسه ببطء و نظر إلى الهيولى المتراقصة أمامه و قد ازداد بريقتها و وهجها . أتاه الصوت الرخيم الناعم الهادئ مرة أخرى " ماذا قلت يا سام ؟ أعد علي ما قلت " . ابتسم سام ابتسامة انعكس عليها بريق و ضوء الكتلة المتماوجة المتراقصة أمامه ، ابتسامة ليست بلهاء و لكن لا تعبر عن شيء " قلت المال ، المال ... المال هو الحل لجميع مشاكلي ، أظن أن جوابي صريح هذه المرة ، و ليس هناك قط ولا فأر " . أطرق الملاك هذه المرة يفكر ثم نظر إلى سام الذي كان هو الآخر ينظر إليه بدوره منتظراً الجواب " برأيك يا سام هل هذه المشاكل جميعها التي تمر فيها ، لا حل لها سوى المال ؟؟ " .

هز سام برأسه و قد أحس أنه تحمس للكلام بشكل مفاجئ لم يعهده من قبل " طبعاً أيها الملاك " . نظر إليه الملاك بتمعن و سأله " و قرارك هذا هل هو وليد هذه اللحظة ، أم أنك فكرت فيه من قبل " صمت سام ، رفع يده يريد الإجابة و لكنه صمت مرة أخرى ، إنه لا يعرف ، حقيقة لا يعرف بالضبط . هز يديه ثم قال " لا أعرف أيها الملاك ، ربما هذا ربما ذاك ، ربما الاثنان معاً ، لا أستطيع أن أعطي إجابة واضحة ، و لكن كل ما أعرفه أن هذه هي المرة الأولى التي أقول هذا الكلام " . هز الملاك برأسه و قال " و لكن يا سام ، ألا توجد هناك حلول أخرى غير المال ، برأيك ؟ " . وقف سام قليلاً يفكر ، مسح العرق عن جبينه و رفع يديه في الهواء و قال " لا ، أظن أنه لا يوجد حل سوى المال لهذه المشاكل ، لا شيء سوى المال ، طبعاً هناك مشاكل كثيرة لها حلول غير المال ، و لكن مشاكلي أنا و التي أمر بها الآن ، لا حل لها سوى المال " . تفرس الملاك بسام قليلاً و هز رأسه قائلاً " حسناً يا سام و كيف تريدني أن أساعدك " . ابتسم سام و قال بشكل بديهي " بالحصول على المال " . أطرق الملاك يفكر ، و ظل هكذا لبرهة . فسأله سام " ما رأيك أيها الملاك بهذا الحل ، ألا تريد مساعدتي ؟؟؟ " . انتبه الملاك من سكونه و قال بسرعة " طبعاً ، طبعاً يا سام ، لقد قلت لك منذ البداية ، إنني سوف أساعدك ، و ظهوري لك هو من أجل هذه الغاية ، و لكن كما اتفقنا سوية أنا و أنت ، يجب أن نناقش الحلول لكي نتوصل إلى حل أفضل " . نظر سام إلى الملاك باستغراب و قال " لم أفهم قصدك أيها الملاك بالضبط " - " قصدي هو أنني سأتركك الآن و أغيب لمدة يومين ، وسأفكر خلالهما بالحل الذي قلته لي من كل جوانبه ، و في الوقت نفسه تفكر أنت أيضاً بهذا الحل أو بجل آخر ، و بعدها نلتقي ، و نقرر " - " حسناً أيها الملاك الطيب ، كما تريد " - " إلى اللقاء يا سام " - " إلى اللقاء أيها الملاك " . اختفى الملاك وسط زوبعة خفيفة تاركاً سام مرة أخرى وحده بحالة ذهول . هبط على الكرسي ، أراد أن يفكر ، و لكنه لم يعرف بماذا يفكر و كيف يفكر و لماذا يفكر ، لم يستطع أن يمسك فكرة معينة ليفكر فيها ، بقي هكذا جالساً على الكرسي ، مد قدميه إلى الأمام و أرخى

ذراعيه و أخذ بنظر إلى سور المصنع بشروود . ظل هكذا حتى الصباح . عندما بدأت الخيوط الأولى للفجر تنبلج ، نهض من مكانه بشيء من التعب ، و أعاد البوتوغاز و الكرسي إلى الغرفة المخصصة له ثم لبس سترته و مضى في طريقه إلى المنزل . مر يومان كان خلالهما سام ، يفكر في كل ما حصل له ، في اليوم الأول حاول أن يجد تفسيراً منطقياً يبرر لنفسه فيه ، كل هذا الذي يحصل ، فلم يتوصل إلى نتيجة ، هل ما يحصل معه حقيقة أم وهم ، هل هو من بنات أفكاره و وحي خياله ، هل هو صوت ضميره ، هل هو اللام شعور في ذاته ، هل هو الجانب الآخر من شخصيته ، لا ، لا ، لا يمكن لقد رآه أمامه مباشرة ، لقد رآه بنفسه ، بأعينه ، لقد كان يقف أمامه على بعد خمسة أمتار ، نعم لقد كان كذلك ، أكثر من مرة ففكر بالاتصال مع الدكتور بروكلمان ، و لكنه كان يتراجع في اللحظة الأخيرة . أما في اليوم الثاني فقد فكر بالكلام الذي سمعه من الملاك لماذا لم يعطه جواباً مباشراً ، لماذا أعطاه مهلة يومين ، و هل هناك حل آخر غير المال ، لقد انتهت المهلة اليوم ، و بعد حوالي الساعة سيذهب إلى المصنع، يجب أن يكون قد اتخذ قراره النهائي ، يجب أن يكون الحل النهائي جاهزاً . وقف على سطح المنزل و مد بصره نحو الغابة أمامه و أخذ يفكر ، كأنه سمع صوتاً من داخله ، أو هو كان يفكر " منذ يوم ولادتي و حتى الآن ، لم أطلب المال ، و لم أسع إليه يوماً لم أره حلاً في يوم من الأيام ، و لم أعترف به كحل حتى أمام نفسي و الآن و بعد أن اعترفت به جهاراً منذ يومين و أقررت أنه الحل الوحيد و طلبته ، أمام الملاك إذا كان حقيقة ، أو أمام نفسي إذا كان وهماً ... أعود و أتخلى عنه؟؟ أعود و أتراجع؟؟ لا لقد خطوات الخطوة الأولى ، فلأكملها و أدخل هذا العالم الذي يقولون عنه إنه عالم المال ، فليكن ذلك امتحاناً لي " . أشاح ببصره عن الغابة و نزل إلى البيت ، ارتدى ثيابه بهدوء شديد ، و نزل إلى البوابة الخارجية للمنزل و سار ببطء باتجاه المصنع، هذه المرة زالت الرهبة و الخوف عنه ، و حل مكانهما شيء من الإثارة و الفضول و الرغبة في الاكتشاف ، اكتشاف ماذا ؟ لا يعلم ، كان يفكر ، هل سيوافق الملاك على هذا الحل ، أم لديه

حل آخر و ماذا لو اقترح له حلاً غير المال ؟؟؟ " على كل حال ، أنا صاحب الخيار " قال في نفسه و أكمل طريقه . عندما وصل ألقى التحية على حارس البوابة الخارجية ، ثم دخل إلى المصنع ، و عند الواحدة ليلاً جلس في مكانه المعتاد و أخذ ينتظر ، كان الفضول و الإثارة قد منعاه من أن يعد الشاي كعادته ، و لذلك أخذ مكانه على الكرسي ينتظر ، الصمت مخيم على المكان و لا شيء مسموع سوى ضربات قلبه القوية و السريعة ، و بعد قليل لم يلبث أن تغير الجو فجأة ليظهر له الملاك من جديد " مرحباً سام ، أظن أنك كنت في انتظاري ، أليس كذلك " . هب سام من مكانه واقفاً و علائم الفرحة و الدهشة في الوقت نفسه على وجهه " بلى ، بلى إنه كذلك " - " حسناً و ماذا قررت " - " في الواقع أيها الملاك إنني فكرت ، ولكن لم أجد حلاً أفضل من المال " . هز الملاك برأسه و قال " حسناً يا سام ، لقد فكرت أنا أيضاً ، و وجدت أن المال عندكم أنتم البشر مرغوب به كثيراً ، و إن أعمالكم هي كلها مكرسة لأجله ، و إنه بالفعل يحل جميع المشاكل " . هتف سام " إذن كلامي صحيح " - " نعم يا سام إنه صحيح ، و لكنني وجدت أن المال عندكم هو أيضاً سبب للمشاكل ، أو أنه يحل مشاكل معينة و لكنه يتسبب بمشاكل أخرى " . تساءل سام بدهشة قائلاً " لم أفهم أيها الملاك " . ابتسم الملاك و قال " أظن أنك فهمت ، و لكن لا بأس سأشرح لك لقد وجدت أنه عندما يكون لدى أحدكم أنتم البشر مال كثير ، فإنه يعود عليه بالضرر إذا لم يعرف كيف يتصرف به ، أي أنه حسب ما وجدت ، فإن المال يحتاج إلى عقل راجح للتصرف فيه ، و علمت أنه يوجد لديكم أنتم البشر قول مأثور و هو (قرش مال يحتاج إلى فنطار عقل) ، هل فهمت ما أقصد يا سام ؟ " - " نعم فهمت ، و أنا معك في هذا الكلام " . و هنا نظر الملاك إلى سام و قال " إذن في هذه الحالة ألا تعتقد يا سام أن المال قد لا يكون هو الحل الأمثل لمشاكلك " و على الفور أجاب سام الذي كان قد حسم خياره مسبقاً " لا ، لا أظن ذلك ، لأن المال في الفترة الماضية لم يكن يعني أي شيء بالنسبة لي ، كما أن المال الذي أريده و أبحث عنه ، سأستخدمه بالدرجة الأولى لسد الحاجات

الضرورية لي و لأسرتي ثم بعد ذلك أساعد الناس المحتاجين ، و هذا هدف نبيل بالنسبة لي ، وأظن أن المال في هذه الحالة لن يسبب لي الضرر ، أليس كذلك ؟ " هز الملاك رأسه بإعجاب ، لهذا الجواب و قال "ربما ، و لكن تبقى هناك محاذير يجب أخذها بعين الاعتبار ، و على كل حال ، لا بأس، أنا قررت أن أساعدك ، و لكن في الوقت نفسه أيضاً أعرض عليك خدماتي الاستشارية كما تسمونها أنتم ، و هي أيضاً تدرج في باب المساعدة ، و لكن في النهاية ، أنت وحدك تقرر الطريقة المثلى لحل مشاكلك و في الوقت نفسه أنت وحدك تتحمل هذه المسؤولية اتفقنا ؟ " . هز سام برأسه موافقاً "اتفقنا " - " حسناً ... و الآن يا سام قل لي ، ماهي الطريقة المثلى التي تريدني أن أساعدك بها للحصول على المال " . صمت سام قليلاً ثم قال " بأسهل طريقة ممكنة " - " كيف؟؟ " - " أن تحضر المال لي " - " و لكنني لا أستطيع " - " لماذا؟؟!! أليست لك قدرات خارقة كما تقول؟؟ " . ابتسم الملاك بهدوء و قال " بلى ، و لكن ليس لدرجة أن أشق الأرض و أخرج لك منها المال ، نحن لدينا قدرات خارقة و ميزات معينة لا تمتلكونها أنتم أبناء آدم ، و لكن ليس إلى درجة أن نخرق القوانين الإلهية و قوانين الطبيعة الكونية الأساسية " أطرق سام برأسه يفكر ثم قال " و لكنني قرأت في الكتب " . فقاطعه الملاك " لا تصدق كل ما تقرأه في الكتب " . فكر سام مرة أخرى ثم قال " حتى الأنبياء؟؟ " - " الأنبياء لهم وضع خاص أعطاهم الله قدرات خاصة بهم وحدهم " . حرك سام يديه و كتفيه قائلاً " و لكن كيف ستساعدني إذن؟؟!! " . أشار الملاك إليه وقال " أنت ... هل لديك طريقة معينة للحصول على المال ، و أنا أساعدك بها " فكر سام ، ثم قال " لا أدري ، ليس لدي طريقة معينة للحصول على المال ، 'على الأقل حالياً " . نظر الملاك إلى سام ، كأنه يفكر بأمر ما ثم قال له " اسمع يا سام أنا أعرف أن هناك أموراً و ميزات تؤهل صاحبها لأن يمتلك المال ... لقد علمت أن أي شخص عندكم يتفوق بمجال معين و يكون موهوباً فيه ، يمكن أن يجني المال ، مثلاً الرسم الكتابة الغناء أو أي عمل أو حرفة معينة ، و أنا ممكن أن أساعدك في هذا الأمر " سأل سام

باهتمام " و لكن كيف السبيل إلى ذلك أيها الملاك؟؟ " - " تختار أنت مجالاً معيناً أو حرفة أو موهبة معينة ،
و أنا أساعدك بأن أنمي موهبتك في هذا المجال و أعطيك أسراراً معينة خاصة بها أو أدلك على سبل النجاح
فيها ، فتبرع بها و تحصل على المال " و وضع سام يده على خده و فكر ملياً ، ثم قال " هذا يعني أن أنمي
سأبحث عن حرفة معينة ، و أنتظر ردهاً من الزمن لا أعرف متى ينتهي ، حتى أنجح في هذه المهنة ، و قد لا
أنجح ، ثم حتى يأتي المال و قد لا يأتي ... هذا الحل ممكن ، و لكنه طويل و غير مضمون " حذق الملاك
به مرة أخرى ثم قال له " إذن ماذا تريد بالضبط يا سام؟؟ " - " أريد أن أحصل على مبلغ كبير من المال
و بفترة سريعة " - " و لكن لماذا أنت مصر على ذلك!!؟؟ " - " لأن هذه أفضل طريقة لتحقيق أحلامي و
أسرعها " . صمت الملاك برهة يفكر ثم عاد وقال " أنا لن أنتظر طويلاً يا سام ، إما أن تعطيني طريقة من
عندك عن وسيلة سريعة لكسب المال ، أو تقبل بهذا الحل الذي اقترحتة عليك الآن ، أو نبحث أنا و أنت
عن حل آخر غير المال " - " حسناً ، حسناً ، أعطني مهلة إضافية حتى الأسبوع القادم و سأجد الحل حتماً
" ، لا أستطيع أكثر من ثلاثة أيام ، هناك ظروف خاصة بي تمنعني من ذلك " . هز سام برأسه موافقاً
حسناً أيها الملاك الطيب ، كما تريد " - " إذن موعدنا بعد ثلاثة أيام و الآن إلى اللقاء " - " إلى اللقاء "
. اختفى الملاك ، و بقي سام وحيداً في الباحة الداخلية يفكر " هل هذا حلم أم حقيقة؟..... مهما يكن
الأمر سأسير فيه حتى النهاية هه من يأبه؟ المهم الآن أن أجد وسيلة للحصول على المال خلال
الأيام الثلاثة .. ها ها .. يبدو أيها المال أنه من الصعب الحصول عليك حتى في التفكير " .

قضى سام اليوم الأول يفكر في الطريقة المثلى للحصول على المال ، و لكنه لم يهتد إلى طريقة معينة حاول
أن يسأل والده و أصدقاءه و لكنه لم يجرؤ "حتماً سيسخرون مني ، إنهم من دون شيء يقولون إن تصرفاتي
غريبة ، أو ربما سيقولون لي بالعمل ، و لكن أي عمل هذا الذي سيؤمن لي ثروة ، إن أفضل مرتب

شهري لن يحقق ذلك التجارة؟، إنها تحتاج إلى رأسمال ، و لكن كيف سأؤمن هذا الرأسمال ، أي شيء أفكر فيه سيحتاج إلى رأسمال حتى جمعية مثل جمعية المعلم رالف ، إذا سأعود إلى المشكلة نفسها " .

في اليوم الثاني عاد للتفكير مرة أخرى اعتصر ذهنه و لكن دون نتيجة ، كان أهم شيء يثبط تفكيره هو تشتت ذهنه بين الوسيلة المثلى للحصول على المال و بين حقيقة الملاك الذي يظهر له ، هل هو حقيقة أم خيال . في فجر اليوم الثالث عاد من المصنع ، كان هذا آخر يوم للمهلة التي حددها الملاك وصل إلى المنزل منهوك القوى ، أحس أن هناك فرصة نادرة ستضيع منه . كانت أمه تعد له طعام الإفطار " الطعام جاهز يا بني ، من المؤكد أنك جائع " لم يتكلم سام بل جلس على المائدة و هو يحدق بالطعام بشرود . نظرت إليه الأم و قالت بقلق " منذ فترة و أنت غير طبيعي يا سام ، لا تأكل بانتظام ، لا تنم بانتظام ، لا تتكلم مع أحد ، هل هناك شيء يا بني؟؟ " - " لا يا أمي ، إنه مجرد إرهاق ، أنت تعرفين أن عملي هو بالليل " - " و لكن ليس إلى هذه الدرجة يا بني ، لقد لاحظ عليك أبوك هذا الوضع ، إنه يفكر أن يكلم مدير المصنع ليعود إلى النوبة الليلية و تعود أنت إلى الفترة النهارية " . انتفض سام صارخاً " لا يا أمي ، لا ، لا أريد " نظرت أمه إليه بدهشة ، فابتسم محاولاً تدارك الموقف " أنتي تعلمين يا أمي أنني دائماً أفكر بكم ، أفكر أن أجد طريقة أفضل لمعيشتنا على كل حال لا تقلقي أعذك أن هذا الأمر سينتهي (ثم قال و هو يحاول تغيير الموضوع) بالمناسبة يا أمي ماذا ستعدين اليوم لطعام الغداء " - " آه لقد ذكرتني يا سام ، البارحة كنت أفكر أن أطبخ لكم اللحم مع الأرز ، و قد طلبت من لحام البلدة أن يعد لي اللحم اليوم ، و لذلك ما عليك إلا أن تذهب إليه و تحضر اللحم ، لقد سألني عنك البارحة و هو يبلغك تحياته ، بعد الإفطار اذهب إلى النوم و سأوقظك في الثانية عشرة . نظر في ساعته ، كانت الساعة و النصف ، لديه أربع ساعات و نصف ليذهب لإحضار اللحم ، و هو وقت كافٍ ليرتاح . تناول طعامه بسرعة ، و ذهب إلى الفراش .

في الظهيرة أيقظته أمه ، لبس ثيابه و انطلق نحو ساحة البلدة الرئيسة ، كان قد استعاد نشاطه قليلاً ، في الطريق كان يفكر ماذا سيقول للملاك اليوم "سأقول له أن يحضر لي المال و حسب ، فليتصرف هو " . و صل إلى ساحة البلدة و اتجه نحو دكان اللحام الذي كان جالساً أمام الباب يقرأ في جريدة كانت معه .

أحس باقتراب شخص من الدكان فرفع بصره " أهلاً ، أهلاً بك يا سام منذ مدة طويلة لم أرك ، كيف هي أمورك ؟؟ " - " بخير لقد طلبت أمي منك البارحة أن تعد لها كيلو من اللحم " . كان اللحام سمين جداً و يرتدي مريولاً أزرق ملطخاً بالدماء يغطي كرشه الكبير الضخم "نعم ، نعم سأحضرها لك حالاً ، تفضل اجلس " . أخذ اللحام يقطع شرائح اللحم من الذبيحة المعلقة أمامه و يتحدث مع سام " لقد سمعت أنك أصبحت تعمل في مصنع البلدة " . رد سام باقتضاب " نعم لقد تدبرت عملاً هناك " . عاد اللحام للكلام و هو يقطع اللحم من الذبيحة " لقد سمعت أيضاً أنك تعمل في الليل مثلما كان والدك يعمل" رد سام مرة أخرى و هو ينظر بشرود إلى الساحة أمامه " نعم هذا صحيح ، أنا أصبحت أعمل في الليل و والدي في النهار ، هكذا أفضل لي و له " . سأل اللحام مرة أخرى " و لكن هل أنت مرتاح هكذا ، أقصد أليس العمل متعباً في الليل " - " نعم ، ولكنه ممتع لي ، فأنا من هواة الليل، ألا تحب أنت الليل " - " طبعاً أحبه ، لأنه يعني لي النوم " . ضحك سام لهذا الجواب و قال " إذن فأنت من محبي الليل و لكن لست من هواته " - " بالضبط ، فأنا عندما أنهى عملي بعد الظهر ، أعود إلى البيت ، و في المساء أشوي كمية من اللحم على الفحم مع كأس من الشمبانيا أو البيرة ، ثم أستلقي و أنام ، لأستيقظ في الصباح الباكر ، يجب أن نعمل لنؤمن المال يا سام ، هذه هي الحياة " . المال ... رنت هذه الكلمة في ذهن سام ، فتذكر مواعده الليلة في المساء ، هنا خطر بباله أن يسأل اللحام رأيه في أفضل طريقة للحصول على المال ، فقال له " هل يؤمن لك هذا الدكان دخلاً جيداً " . أجاب اللحام و قد انتهى من تقطيع اللحم و كيله بالميزان " لا بأس ، ليس كثيراً ، و لكنه كاف " . فكر سام قليلاً ثم سأل " و لكن ألا يوجد هناك حرفة أخرى تؤمن لك

دخلاً أكبر؟؟؟" . أجاب اللحام و قد بدأ يوضب اللحم و يغلفه بالورق " هناك حرف و مهن كثيرة ، و لكن هذه مهنتي منذ أن كنت صغيراً ، قد تعودت عليها ، و فضلاً عن ذلك فإن كل مهنة تحتاج إلى خبرة طويلة " - "و لكن برأيك ألا يجب على المرء أن يسعى لتحسين معيشته و الحصول على أكبر قدر ممكن من المال ، بأسهل طريقة ممكنة" . استدار اللحام نحو سام و قال له "طبعاً هذا شيء مؤكد ، من منا لا يريد الحصول على المال بأسهل طريقة ممكنة؟؟" . نظر سام لبرهة إلى الذبيحة المعلقة أمامه ثم نظر إلى اللحام و قال "إذا سألك إنسان ما عن أفضل طريقة تتمناها للحصول على المال ، فماذا تقول له؟؟؟؟" . ضحك اللحام ضحكة عميقة اهتز لها كرشه الضخم و قال "المشكلة أنها لن تتحقق " . ازداد الفضول عند سام فسأل " و ما هي هذه الطريقة؟؟؟؟" هز اللحام برأسه متحسراً و قال " أفضل طريقة أتمناها هي أن أربح الجائزة الكبرى في اللوتو الكبير المعلن عنه هنا في هذه الجريدة " .. اللوتو طنت هذه الكلمة في أذن سام اللوتو .. نعم إنه سحب اليانصيب" نعم إنها هي (قال في نفسه) . لقد وجدتها " . هم أن ينقض على الجريدة و يخطفها ، لكنه ضبط أعصابه و تدارك نفسه . التفت إلى اللحام و قال له " و هل هذا اللوتو كبير جداً " - " نعم إنه مشترك بيننا و بين البلدان المجاورة و هو يحصل كل ثلاث أو أربع سنوات ، و قيمته بالدولار ، إنها عشرة ملايين دولار " . فغر سام فمه و قال بدهشة " عشرة ملايين دولار !!!!!!! " - " نعم يا سام إنه عشرة ملايين دولار ، و هي في عملتنا تساوي أكبر من هذا المبلغ " . فكر سام في نفسه " يا إلهي ، هذا مبلغ خيالي إنه يستحق المغامرة " . بعد قليل انتهى اللحام من توضيب اللحم ، و وضعه في كيس ثم قدمه إلى سام " تفضل يا سام ها قد انتهينا" - " أشكرك يا سيدي ، تفضل هذا هو الثمن" و لكن ... هل أستطيع من بعد إذنك ، أن أستعير هذه الجريدة لأنني في الليل أشعر بالملل في المصنع " - " نعم ، نعم ، بكل سرور ... تفضل هذه هي الجريدة " . أخذ سام الجريدة و كيس اللحم و انطلق نحو المنزل . عندما وصل ، أعطى الكيس لأمه و دخل مسرعاً إلى غرفته ، أغلق الباب على نفسه ، و أخذ يقلب

صفحات الجريدة حتى وجد الإعلان .. أخذ يقرؤه بتركيز شديد ، كان فعلاً بقيمة عشرة ملايين دولار ، كان الإعلان يقول إن السحب سيجري في الشهر المقبل و يدعو القراء لشراء البطاقات التي كانت أسعارها مرتفعة ، واعدأ إياهم بالربح الوفير و الحياة الباذخة المترفة . طوى الجريدة و وضعها على الطاولة ، ثم جلس على سريره يفكر... استمر بالتفكير هكذا ، تارة يدور في الغرفة و تارة يتحرك جيئة و ذهاباً ، و تارة يجلس على السرير ، بعد قليل طرقت أمه الباب و دخلت معلنة أن الطعام جاهز . كان الطعام شهياً فعلاً ، الجميع جلسوا يأكلون بشهية ، أما سام فقد كان يأكل و هو شارذ الدهن . تناول أبوه ملعقة الطعام و قربها من فمه ليأكل ، و لكنه توقف و ألقى نظرة على ابنه سام " مابك يا بني ، إنك منذ فترة و أنت دائم الشرود ، هل هناك شيء يقلقك !!!؟؟؟ " . حذق سام بالطعام ثم قال " نعم يا أبي إنني أفكر دائماً بكم ، و كيف يجب أن نحس مستوى معيشتنا ، أحاول دائماً أن أجد طريقة لفعل ذلك يا أبي " - " لا تتعب نفسك يا بني ، هذه هي الحياة ، على كل حال إن وضعنا الآن قد أصبح أخف من السابق " - " ولكنه يبقى دون المستوى يا والدي و هناك حوائج كثيرة و أساسية ليست موجودة عندنا ، يضاف إلى ذلك قسط المصرف بالمناسبة يا أبي ، أنا مسرور جداً بالعمل الليلي ، ولا حاجة أبداً لأن أعود إلى الفترة النهارية ، إنها لا تناسبني أبداً ، راحتني هي في الليل فقط " . هز الأب برأسه حائراً " كما تشاء يا بني " . انتهى الغداء و ذهب سام لينام ، و عندما استيقظ في الساعة السابعة ، لبس ثيابه ، و جلس قليلاً مع والده يشربان الشاي و يتحدثان ، و بعد حوالي نصف ساعة انطلق إلى المصنع ، و معه الجريدة . في الطريق حدث نفسه قائلاً " هذه المرة يجب أن أكسب الجولة " . وصل إلى المصنع كعادته ألقى التحية على حارس البوابة الخارجية و دلف إلى الداخل . كان الجو بارداً و المكان خالياً و الصمت مطبقاً ، أحضر كرسي و أداره على عقبه ثم جلس يفكر وفي الوقت نفسه ينتظر ظهور الملاك بفارغ الصبر . و بعد الساعة الثانية عشر ، عندما أوشك ظهور الملاك ، تآهب سام و هو يجيل النظر فيما حوله ، و بعد قليل تحرك الهواء بعنف و

ازدادت حرارة المكان معلنة عن ظهور الملاك الذي ما لبثت أن ظهرت صورته لسام . وقف سام مبتهجاً " أهلاً بك أيها الملاك الطيب ، كنت في انتظارك " - " كيف حالك يا سام ... أرجو أن تكون قد توصلت لحل؟؟ " . هز سام برأسه موافقاً وهو يبتسم " نعم ، نعم ، أظن أنني توصلت إلى حل " هز الملاك هو الآخر رأسه دلالة على الإعجاب وقال "عظيم و ما هو هذا الحل؟؟ " . رفع سام يديه دلالة على الشروع بالكلام وقال "سيجري بعد شهر من الآن سحب لليانصيب و هو عبارة عن بطاقات مرقمة بأرقام تسلسلية ، و يجري السحب عليها بالقرعة و البطاقة التي يقع عليها الرقم ، تفوز بجائزة مالية ، و الجوائز متسلسلة من مبالغ صغيرة و حتى مبالغ كبيرة ، وصولاً إلى الجائزة الكبرى و هي أعلى مبلغ ، و الآن سأقرأ عليك نص هذا الإعلان الموجود في الجريدة هنا " . كان الملاك يتأمل سام و يصغي إليه بصمت و بانتباه شديد مركز ، أما سام فقد أخذ يقرأ على مسامعه نص الإعلان . عندما انتهى سام من القراءة ، سأله الملاك بهدوء " حسناً يا سام ما هو المطلوب مني؟؟ " . وضع سام الجريدة على الكرسي بهدوء ، ونظر إلى الملاك و قال له بهدوء أيضاً " المطلوب هو أن تساعدني في الحصول على الجائزة الكبرى " . ابتسم الملاك ، ثم قال " الجائزة الكبرى؟؟ " - " نعم الجائزة الكبرى " - " و هذا المبلغ الذي تتحدث عنه أليس مبلغاً كبيراً؟؟ " . أوماً سام برأسه " نعم ، إنه مبلغ كبير جداً ، لا بل إنه خيالي " . صمت الملاك يفكر ، ثم قال لسام " و كيف تريدني أن أساعدك بالحصول على الجائزة؟؟ " - " لا أدري ، أنت أدري مني بهذا الموضوع " - " و لكن يا سام " . فقاطعه سام متوسلاً "أرجوك أيها الملاك الطيب ، هذه المرة أظن أن الوضع أسهل بالنسبة إليك " - "كيف؟؟ " - " هذه المرة أنا لا أريدك أن تخلق لي المال ، لأن ذلك ليس باستطاعتك كما تقول ، و هو أمر خارج عن إرادتك ، لكن هذه المرة المال موجود و جاهز ، و ما عليك سوى المساعدة بتأمينه لي " - " و كيف تريدني أن أساعدك بهذا الأمر ، أقصد ما هي الطريقة التي سأساعدك بها؟ " . حك سام رأسه و فكر قليلاً ثم قال " طريقة المساعدة هي أن نعرف الورقة التي ستفوز بالجائزة الكبرى " -

" و كيف ذلك؟؟ " - " هذا الأمر أنت أدري به مني أيها الملاك " - " و لكن هذا الأمر يا سام يدخل في موضع التنبؤ و معرفة المستقبل ، فكيف لي أن أعرف ذلك؟؟ " . ارتقى سام على الكرسي و قال للملاك بنبرة أسي " لا تقل ذلك أيها الملاك ، أظن أن هذا الأمر ربما يكون صعباً عليك ، و لكنه ليس مستحيلاً ، إلا إذا كنت لا تريد مساعدتي " - " لا ، لا ، يا سام أنا وعدتك بالمساعدة و سأكون عند وعدي ، ثق بذلك و لكننا اتفقنا منذ البداية على أن نتناقش سوية و أن نتفق على كل شيء ، أليس كذلك؟؟ " .

أجاب سام بتعب " بلى أيها الملاك ، إنه كذلك " - " إذأ قل لي يا سام ماذا ستفعل بهذا المال ؟ " . حرك سام رأسه يمناً و يسرة و فكر بشرود ، ثم قال " سأفعل أموراً كثيرة أيها الملاك " - " مثل ماذا يا سام؟؟ " - " سأساعد نفسي و سأساعد أسرتي و سأساعد الفقراء و سأعمل كل ما هو خير للناس " . نظر إليه الملاك بعمق و تفرس في وجهه و قال له " و هل ستستعمل هذا المال للشر يا سام؟؟ "

حرك سام رأسه نائفاً بالطبع لا أيها الملاك الطيب " - " عظيم يا سام إذا سنتفق أنا و أنت على أن هذا المال سيستعمل من أجل الخير فقط و ليس من أجل الشر؟؟ " - " نعم أيها الملاك ، هذا وعد " - " هناك أمر آخر يا سام " - " ما هو أيها الملاك " - " هذا المبلغ حسب ما قلت لي ، هو مبلغ ضخم ، و يحتاج إلى خبرة طويلة و قدرة كبيرة ، و كما قلت لك هناك مثل شائع عندكم أنتم أبناء آدم يقول (قرش مال ، يحتاج إلى قنطار عقل) ، فهل أنت مؤهل لإدارة مثل هكذا مبلغ كبير؟؟؟ " . هتف سام بسرعة و من دون تردد " طبعاً ، طبعاً أيها الملاك ، إني مؤهل " . صمت الملاك و نظر إلى الأرض ، ظل هكذا لفترة من الوقت ، و سام يحملق به صامتاً منتظراً الجواب . بعد قليل رفع الملاك رأسه و نظر إلى سام و قال بهدوء " حسناً يا سام ، سأرى ما يمكن عمله في هذا الشأن " - " هل ستساعدني أيها الملاك؟؟؟ " . نعمت الملاك بشرود " سأرى ما يمكن عمله ، و الآن، سأتركك و أعود إليك بعد أسبوع و أخبرك النتيجة ، و الآن إلى اللقاء " . اختفى

الملاك مخلفاً وراءه زوبعة من الغبار و تاركاً سام وحده . تناول سام الجريدة و أخذ يقرأ الإعلان من جديد ، ويهز رأسه بإعجاب .

مر الأسبوع و تفكير سام كله كان مركزاً حول الملاك و اللوتو الكبير ، و المال ... ماذا سيفعل به ، كيف سيتصرف ، لقد بدأ ينتابه مزيج متداخل من الأفكار والهواجس ، هل سيظهر الملاك ، مرة أخرى ، هل هو وهم حقاً ، و كل ما رآه هو حلم في حلم ، هل سيساعده الملاك ، لماذا قرر أن يغيب لمدة أسبوع ، و إذا جاء المال أين سيذهب به أين سيضعه ، هل سيطره في التراب أم سيضعه في الخزانة ، الأفضل أن يسأل الدكتور بروكلمان ، ذهب إلى الهاتف ليتصل ، رفع السماعة " و لكن مهلاً ، ماذا سأقول له ، هل سأقول له هناك ملاك أم عشرة ملايين ... أم ... اللعنة هل بدأت أجن ... ماذا سيقول عني الرجل من المؤكد أنه سيرسلني إلى مستشفى المجانين فوراً " . كل هذه الهواجس و الأفكار كانت تختلط على سام ، المشكلة الكبيرة لديه ، هي أنه لم يكن لديه جواب واضح ، حتى بالنسبة لوجود الملاك و لذلك قرر ألا يفكر أبداً ، و ينتظر حتى ينتهي الأسبوع و يرى ما سيحدث .

مرت الأيام بسرعة و جاء اليوم الذي من المقرر أن يظهر فيه الملاك . لبس سام ثيابه و خرج من المنزل باتجاه المصنع ، كان الظلام قد خيم على البلدة ، لقد زالت الأفكار كلها تقريباً واحدة تلو الأخرى من رأسه ، ماعدا فكرة واحدة ماذا سيقول الملاك اليوم ؟ هل سيأتي المال أم لا ؟ . و وصل إلى المصنع و ألقى التحية على حارس البوابة الخارجية المسلح ، و ما أن دخل حتى أغلق الحارس البوابة كعادته ، فكرة واحدة صغيرة جداً ، هي التي اخترقت تفكير سام لتتبخر منه بعد ذلك " كيف يستطيع هذا الحارس البقاء كل الوقت مسمراً في مكانه ولا يتحرك مهما كان الأسباب ... صحيح إنه حارس ثابت ، و أنا حارس متجول ، هو مسلح وأنا أعزل ... و لكن كيف يستطيع التحمل؟!؟!؟! " . وصل إلى غرفته و فتح

الباب ثم أخذ كرسيًا و وضعه أمام الشجرة و ذهب في جولته المعتادة ضمن المصنع ، كان من عاداته أن يقوم بعدة جولات في الليل و يفصل ما بينها بكأس من الشاي ، أما الآن و بعد كل ما حصل له ، لم يعد يقوم إلا بجولة واحدة ، و لم يعد يشرب الشاي ، فكره المشوش منعه من فعل أي شيء . جلس على الكرسي ينتظر كعادته ، هذه المرة كان قلبه ينبض بعنف ، كان متوترا " الانتظار ... إنه قاتل فعلاً " قال في نفسه ، و مع ذلك فإن انتظاره لم يطل ، فقد ظهر له الملاك في المكان نفسه و الموعد نفسه " مرحباً سام ، أظنك بانتظاري ؟ " . وقف سام و قد ملأته الفرحة ، قائلاً " نعم ، نعم أيها الملاك ، لقد أصبح لك وحشة ماذا حصل معك ؟؟ " - " قبل أن أقول أي شيء ، أريد أن أسألك يا سام " - " تفضل أيها الملاك ، اسأل !!!! " . حدق الملاك بسام و قال له " هل مازلت مصراً على أن المال هو الحل الأمثل لك ؟ " - " نعم " - " و هل ترى أنه بمقدورك إدارة المال و التصرف به وفق أفضل الطرق و أحسنها ؟ " - " نعم " - " و هل أنت مستعد لتنفيذ الشروط التي اتفقنا عليها ؟ " - " نعم " - " حسناً ، هناك شرط إضافي و هو أنني سأكون مشرفاً عليك من بعيد ، أو بمعنى آخر سأراقب أفعالك ، و كيف ستصرف بالمال " . هز سام برأسه موافقاً بفرح ملحوظ ، و كأنه أحس أن الملاك يحمل إليه أنباء سارة . صمت الملاك برهة و هو ينظر إلى سام ثم قال " حسناً يا سام اسمع ما سأقوله لك جيداً لقد بذلت جهوداً كبيرة جداً في هذا المجال ، تطلبت مني الدخول في أفنية عديدة و مجالات ليست من اختصاصي و لامن طبيعتي ، و بعد هذه الجهود الكبيرة الهائلة و المضنية ، و بعد مشورة تكتيكية من بعض الملائكة الأصدقاء ، تمكنا من تحديد رقم و مكان البطاقة التي ستفوز بالجائزة الكبرى " . ابتهج سام ، و هتف بفرحة قائلاً " رائع ، رائع أيها الملاك ، هل تنبأتم به " - " لا أستطيع أن أشرح لك الأمر بشكل دقيق ، ربما لا تستوعبه ، و ليس بهذه السهولة التي تتصورها ، و لكن تستطيع القول إنه أمر مشترك بين عملية التنبؤ و عملية التركيز على رقم معين و تحديده ، و صب كل الجهود لجعله الرقم الفائز " ازداد تنفس سام و قال باضطراب واضح " و

كيف سأحصل عليه؟؟" . صمت الملاك قليلاً ثم قال " البطاقة التي تم اختيارها موجودة في المدينة القريبة من بلدتكم ، عندما ستنزل إلى هناك ، ستذهب إلى الحي القديم و من هناك إلى الشارع المسمى بشارع البريد ، إنه يتفرع من ساحة تحمل نفس الاسم في آخر الشارع ستجد رجلاً كهلاً يلبس قبعة من القش و يجلس على كرسي صغير خلف طاولة صغيرة على الرصيف الأيمن للشارع من جهة الساحة التي يتفرع عنها ، ثيابه رثة و بالية و يبيع بالإضافة إلى بطاقات اللوتو ، قطع حلوى ، ستذهب إليه و تطلب شراء بطاقة ، و ستشتري البطاقة التي تحمل هذا الرقم (تلا الملاك الرقم على سام الذي قام بتسجيله فوراً) و بعد ذلك ستشتري كل الحلوى التي معه هل استوعبت كلامي جيداً يا سام ؟؟؟ " . أوماً سام برأسه مذهولاً " نعم ، نعم لقد أصبح كل شيء محفوراً في ذاكرتي و هذا الرقم سجلته على ورقة " - "جيد (قال الملاك) و الآن عليك أن تسرع و تشتري البطاقة قبل أن يأخذها أحد غيرك حاول النزول غداً " - " سأفعل أيها الملاك الطيب ، سأفعل ، من الغد سأكون هناك " حدق الملاك بسام و قال بشكل جدي " التحضيرات ستبدأ من الآن ، و عند يوم السحب ، سنكون متحفزين لذلك ، و سيكون هناك نوع من غرفة العمليات كما تسمونها أنتم ، و ابتداءً من الآن و حتى يوم السحب ، أي بعد شهر ، لن تراني ... اتفقنا يا سام ؟؟ " - " إنني شاكر لك أيها الملاك الطاهر الطيب ، إذا تم هذا الأمر فإنك تكون قد أنقذت حياتي ... لقد أتعبتك معي ، و لكن ثق تماماً أن كل أعمال الخير التي سيصرف من أجلها المال ، ستكون بفضلك أنت " - " لا داعي للشكر يا سام ، هذا واجبي تجاهك و يجب أن أؤديه ، ، أنا كلي ثقة أنك ستنفذ كل ما اتفقنا عليه و لكن بقي هناك أمر آخر " - " ما هو !!؟؟ " - " عندما تربح جائزة اللوتو ، أول شيء عليك القيام به ، هو أن تذهب إلى البائع الذي اشتريت منه البطاقة و تعطيه مبلغاً قدره عشرة آلاف له و عشرة آلاف لصديقه " - " بكل سرور أيها الملاك ، و لكن من هو صديقه !!؟؟ " - " هو يعرفه ، أنت فقط قل له ، هذه لصديقك ، على ما يبدو أن شركائي يعرفونه و قد قدم لهم خدمات في

الماضي و الآن يا سام سوف اذهب و سنلتقي بعد شهر ، إلى اللقاء " - " إلى اللقاء أيها الملاك النبيل " .
اختفى الملاك وسط زوبعة هائلة ، و بقي سام وحده ، أخذ يمشي في المكان جيئة و ذهاباً و هو يقول في نفسه " يا إلهي ، هل أنا في حلم أم في حقيقة " . كان لا يزال لديه شك حول كل ما يحصل معه ، و إن كل ذلك ربما يكون نوعاً من حالة الحلم ، يحصل معه كل يوم ، و بخاصة و أن الأمر كله يحصل في الليل . فكر في نفسه قائلاً " على كل حال غداً سأقطع الشك باليقين ، و أتأكد من هذا الكلام و سأنزل إلى المدينة الشمالية ، لأتأكد بنفسي " و لهذا بقي مستيقظاً . عند بزوغ الفجر ، أعاد الكرسي إلى مكانه و أغلق غرفته ، ثم خرج من المصنع إلى ساحة البلدة حيث كان أول أوتوبيس يستعد للنزول إلى المدينة الشمالية . في الطريق إلى المدينة ، أخذ سام يستعيد كلام الملاك له و وصفه للشارع و المكان و الرجل . هو لم يذهب إلى المدينة سوى مرة واحدة عندما أصابه رمد في عينيه . يومها أخذه أبوه إلى أحد أطباء العيون . كان حتى هذه اللحظة لا يزال لديه شك حول أن كل ما حصل معه هو حلم بحلم .

وصل الأوتوبيس إلى المدينة و انعطف في أحد الشوارع ليصل إلى المحطة التي كانت تعج بالسيارات و الحافلات لنقل الركاب . ترجل سام من الباص الصغير و أخذ ينظر هنا و هناك ، كانت المحطة مزدحمة و أصوات ضجيج السيارات و الناس تعلو في كل مكان ، استقل سيارة أجرة و طلب من السائق أن يوصله إلى الحي القديم ، في الطريق سأله السائق " هل أنت سائح يا سيدي ؟ " رد سام باستغراب " لا أنا من هنا من الشمال ، و لكن لماذا تسأل !!! ؟؟ " - " لأن معظم السياح يأتون إلى الحي القديم " - " و لماذا يأتون إلى الحي القديم ؟؟ " - " لأنه فعلاً حي قديم و أبنيته كلها تعود للقرون الماضية و معظم سكانه يقدمون خدمات سياحية " . وصلت السيارة إلى الحي الذي كان يقع على أطراف المدينة ، التفت السائق إلى سام قائلاً " ها قد وصلنا يا سيدي ، إلى أي مكان تريدني أن أتجه ؟ " - " لا بأس أنزلني هنا " . نزل

سام من السيارة و أخذ يتمشى في الشارع . كانت الأبنية فعلاً من الطراز القديم ، كانت هناك محلات تجارية للقطع الأثرية . كل شيء فيه يوحي بالقدم ، و حركة الناس آخذة بالازدياد . سأل سام أحد الأشخاص عن ساحة البريد فدلّه عليها . كانت ساحة كبيرة نوعاً ما و مرصوفة كلها بقطع منتظمة من الحجارة و يتفرع منها شوارع عدة ، السياح يملؤون المكان ، كان هناك خليط من المصورين و الرسامين و بعض الناس الذين يقدمون عروضاً للأفاعي و القردة و بعضهم الآخر يقوم بألعاب سحرية و آخرون يقومون ببيع القطع الأثرية و التذكارية و غيرهم يقدمون مأكولات خاصة و في الطرف الآخر من الساحة و وقف بعض العازفين يقدمون مقطوعات موسيقية مختلطة بمزيج من الأسى و الفرح . وقف سام مندهشاً يتأمل هذا المشهد الموزاييكي المثير بمتعة ، و لوهلة نسي نفسه و أخذ يتفرج على الناس ، و لكنه سرعان ما تذكر المهمة التي أتى من أجلها ، فتقدم نحو أحد الرسامين الذي كان يجلس على كرسي و أمامه طاولة عمودية وضع عليها أغراضه . هب الرسام واقفاً يرحب بسام عندما رآه يقترب منه " أهلاً بك يا سيدي ، تفضل ، هل تريد أن أرسمك ، ستكون رسمتك كصورة الكاميرا تماماً و بأسعار رمزية " ابتسم سام و رفع يديه قائلاً " شكراً جزيلاً لك ، في الواقع إنني مستعجل قليلاً ، ولكن هلا أخبرتني من فضلك أين هو شارع البريد " . أشار الرسام بيده " إنه هناك يا سيدي في الطرف الآخر من الساحة ، حيث تقف تلك العربة الخضراء " شكر سام الرجل و مشى خلال الساحة المرصوفة بعناية نحو الشارع ، في منتصف الساحة تماماً و وقف رجل يبدو عليه و كأنه دليل سياحي ، حوله مجموعة من السياح ، كان يشرح لهم عن المكان عندما اقترب سام " سميت هذه الساحة بساحة البريد ، لأنها كانت منذ أكثر من ثلاثمائة عام مركزاً للبريد الذي تأتي به الخيول من كل أنحاء المملكة و كانت الخيول حيث تسلم و يوجد" .

ابتعد سام عن المجموعة و هو يتجه نحو الشارع المرصوف بالحجارة القديمة ، بدأ قلبه يخفق بشدة ، كان الشارع طويلاً ، و فوجئ سام بأنه خالياً تقريباً . مشى بين جانبي الأبنية القديمة الصامتة ، كان مضطرباً

جداً و لكنه تابع المسير ببطء ، و بعد قليل لمح من بعيد في آخر الشارع رجلاً يجلس على كرسي خلف طاولة صغيرة ، اقترب سام أكثر من الرجل " يا إلهي إنه هو الرجل نفسه الذي وصفه الملاك لي ، هذه هي القبعة و هذه هي الثياب الرثة " . اقترب سام من الرجل و قد ازدادت ضربات قلبه حتى أحس أنه سينخلع من صدره . " مرحباً " نطق سام الكلمة بصعوبة بالغة . التفت إليه الرجل الذي كان نصف نائم " أهلاً بك يا سيدي تفضل " - " هل هل ... هل لديك بطاقات اللوتو الكبير " - " نعم يا سيدي إنها أمامك ، تفضل اختر منها ما تريد " . أمسك سام الدفتر بيدين مرتجتين و بدأ يبحث عن الرقم المحفور في ذاكرته كما تحفر الكلمات على لوح خشب ، أخذ يقلب البطاقات واحدة تلو الأخرى ، حتى وصل إلى بطاقة وقف عندها و قد تسمرت عيناه فيها و جحظتا و اصفرّ لونه و أصبح وجهه شاحباً مثل الشمع " يا إلهي ، مستحيل ، هذا هو الرقم " . أحس بدوار شديد و برغبة بالإقياء لم يستطع مقاومتها ، فتقيأ على الرصيف بجانب الرجل الذي نهض مسرعاً " ما بك يا سيدي ، هل أنت مريض ، إنك شاحب جداً ، تفضل اغسل وجهك بهذا الإبريق " . غسل سام وجهه و جلس على الكرسي بجانب الرجل " هل أنت مريض يا سيدي ، يبدو عليك التعب " - " لا ، لا ، إنه ، إعياء السفر فقط من فضلك أريد هذه البطاقة " . انتزع البائع البطاقة من الدفتر و أعطاها لسام " تفضل يا سيدي هذه هي البطاقة ، مع تمنياتي لك بالربح " نقد سام البائع ثمن البطاقة ، ثم نظر إلى الطاولة التي أمامه ، كان عليها بعض قطع الحلوى و الجوز و البندق ، فسأل البائع " ما هذا الذي تبيعه هنا ؟ " - " إنها بعض قطع الحلوى ، أتسلى بها و أبيعها للأولاد ، و لكن نادراً ما يشترون مني " . هز سام برأسه و قال " حسناً أجمعها لي في كيس ، أريد أن أشتريها كلها " فوجئ البائع الذي قال لسام بدهشة " كلها يا سيدي !!؟؟ " - " نعم كلها ، أيها البائع " . أسرع البائع بإخراج كيس من تحت الطاولة و الفرحة تغمر وجهه، و وضع الحلوى كلها فيه " . نقد سام الرجل الثمن و مشى باتجاه الساحة عائداً إلى البلدة ، و ما أن ابتعد قليلاً حتى صاح به البائع " لا تنس يا

سيدي أن تمر على أقرب مركز لتسجيل البطاقة ، لأن هذا اللوتو مشترك بيننا و بين البلدان المجاورة ، و
لتضمن حقك أيضاً منعاً للتزوير " . في الطريق إلى البلدة جلس سام في المقعد ، ينظر من نافذة الباص و
يفكر " إذا لم يكن ذلك حلماً ، بل حقيقة ، كله حقيقة هذا الملاك هو حقيقة ، إني لا أصدق نفسي
.... المشكلة أنني لا أستطيع أن أخبر أحداً أو أسأله ، لأنه لن يصدقني أحد و سيعدونني مجنوناً .. إنهم من
دون شيء يعدون تصرفاتي غريبة " . عندما وصل إلى البلدة ، كانت الساعة الثانية بعد الظهر ، و ما أن
دخل من البوابة الخارجية للمنزل ، حتى هرع الجميع لملاقاته "أين كنت يا سام لماذا لم تأت
لقد خفنا عليك كثيراً أين لماذا كيف لقد لقد " دخل سام ببطء إلى المنزل
من دون أن يتكلم ، كان شارداً ذهن و متعباً ، نظر إليهم بهدوء و قال " أنا متعب و أريد أن أنام " . رد
عليه أبوه بقلق " و لكن أين كنت يا ولدي ، لقد كنا قلقين عليك و خفنا أن يكون قد أصابك مكروه ،
خصوصاً و إننا اتصلنا بالمصنع و أخبرونا أنك قد غادرت منذ الصباح " . نظر سام إليهم واحداً واحداً ،
كانوا يميلقون به أيضاً واحداً واحداً ، نظر إلى السقف ، إلى اللاشيء و كأنه يفكر ، ثم قال " بهدوء "
لقد كنت في المدينة " . أجفل الأب من كلام ابنه و قال له " و لكن ماذا كنت تفعل بالمدينة يا ولدي ،
هل هناك شيء استوجب نزولك إلى هناك !!!؟؟؟ " . نظر سام بلا مبالاة واضحة إليهم جميعاً ثم قال
ببرود " نزلت لأشتري بطاقة لسحب اللوتو الكبير " صرخ الأب " ماذا !!؟؟ ماذا اشتريت؟؟ بطاقة اللوتو
...هل نزلت إلى هناك لتشتري بطاقة اللوتو " - " نعم " . نظر الأب إلى ابنه بذهول ، ثم نظر إلى الكيس
الذي معه " و ما هذا الكيس الذي معك أيضاً !!!؟؟ " - " إنه حلوى لكم " . نفض الأب رأسه و قال
لأبنة " أرجوك يا ولدي اشرح لي ، إنني لم أعد أستوعب جيداً ، هل هناك داع لشراء هذه البطاقة ، إن
أسعارها مرتفعة جداً و نسبة الربح فيها معدومة ، و هناك أكثر من دولة مشتركة فيها ، و كيس الحلوى
هذا .. هل هناك داع لتنزل إلى المدينة من أجله ، و لماذا !!!؟؟؟ " . حرك سام يديه بتعب واضح و قال "

أرجوك يا أبي إنني متعب جداً ولا أستطيع الوقوف ، منذ البارحة لم أنم ، عندما أصبحو نناقش هذا الأمر " . قال سام ذلك و أدار ظهره متجهاً إلى غرفته . صرخ الأب بنوبة غضب فجائية " إنني سأجن لم أعد أعرف كيف سأتعامل معك ، إن تصرفاتك غير طبيعية ... غير طبيعية أين هو رقم الدكتور بروكلمان ، سأتصل معه ليجد حلاً لهذه المشكلة " . ارتدى سام على السرير و بدأ يغفو شيئاً فشيئاً ، ولم تلبث أن تناهت إلى مسامعه كلمات أبيه الذي اتصل مع الدكتور بروكلمان ، كأنها قادمة من بعيد " آلو ، الدكتور بروكلمان أنا والد سام نعم إن تصرفاته اليوم نزل فجأة إلى المدينة الشمالية ليشتري بطاقة اللوتو و معها كيس كبير من الحلوى نعم هكذا فجأة ، منذ مدة و هو غير طبيعي لا إنه لا يرتعش لا ، إنه هادئ تماماً لا لم يشك من العمل الليلي لا ، لم يشك لي أحد من تصرفاته نعم إنه يأكل بشكل طبيعي ، و لكن يشكل خفيف لا ، لا يبدو عليه أنه سعيد و لا حزين لا لم يشك لي من شيء ، و لكنه دائم التفكير بشكل غير طبيعي هو يقول إنه يفكر في مشاكل العائلة المادية و لكن هذه البطاقات أسعارها مرتفعة جداً يا دكتور لا إنه نائم الآن ، غداً ، أطلب منه أن يكلمك لم أفهم .. ما معنى حالة اكتئاب عابر ؟؟؟؟ لا بأس إلى اللقاء " . استغرق سام بالنوم ، بينما جلس الأب على الشرفة يندب حظه العاثر ، و الأم إلى جانبه توأسيه و تخفف عنه ، أما أخوته فقد جلسوا يلتهمون الحلوى بنهم شديد . ضرب الأب بيديه على ركبتيه و قال " إن تصرفاته غريبة جداً ... جداً " . ربتت الأم على كتفه مهدئة " و لكن يا عزيزي ربما عمل الليل قد أثر عليه فأحب أن يروح عن نفسه ، أنت تعرف أنه كريم و يجب أن يروح عن نفسه ، ثم إنك تعرف أنه يجب الخير لكل الناس ، فكيف لأخوته ، و لهذا جلب هذه الحلوى " . تنهد الأب و زفر زفرة غاضبة " لا أدري ، هناك شيء ما لا أعرفه ، إن تصرفات سام غريبة جداً و بخاصة خلال الفترة الأخيرة لا بد أن هناك شيئاً ما ، سبباً ما " . ابتسمت الأم مهدئة " إنه هكذا منذ

أن أتى من العاصمة أن أتى من العاصمة يجب الوحدة و العزلة " . حدق الأب بالغابة أمامه و هز رأسه بصمت ، و لم يقل شيئاً .

كانت الساعة قد قاربت الثامنة عندما استيقظ سام من نومه ، كان لا يزال يشعر بالنعاس و قليلاً من الوهن ، ذهب إلى الحمام و أخذ دوشاً ساخناً ، أزال عنه النعاس . عندما خرج من الحمام كان والده جالساً على الشرفة يشرب الشاي ، كان روعه قد هدأ قليلاً ، أتى سام و جلس معه . نظر إليه الأب بحنان و قال " كيف أصبحت الآن يا ولدي ؟ هل استعدت نشاطك " - " نعم أظن ذلك " - " لماذا لم تخبرنا أنك ستنزّل إلى المدينة ، لقد فرعنا عليك فرعاً شديداً ، و بخاصة بعد ما اتصلنا بالمصنع و بأستاذ الفلسفة و بأصدقائك و قالوا إنهم لم يروك " . فرك سام وجهه و قال " لا بأس يا أبي ربما أخطأت في هذا الموضوع ، في الواقع لقد جاءت الفكرة مفاجئة قليلاً ، و قد أحببت أن أشتري بطاقة لأجرب حظي " ربت الأب على كتف ابنه و قال " و لكن يا بني ألا تعتقد أنه لم يكن هناك داع لذلك ، هذه البطاقات أسعارها غالية جداً و فرص الربح ضئيلة لكثرة المشتركين " - " لا بأس يا أبي ، إنه يأتي مرة كل خمس سنوات ، و نحن لن نسحب بطاقة كل يوم " - " حسناً يا بني ، كما تشاء ، و لكنني ألاحظ أنك في الآونة الأخيرة تبدو كثير العزلة و الاضطراب ، فإذا كان عملك الليلي هو السبب ، فأنا مستعد للعودة إليه و تعود أنت للعمل نهاراً " - " لا ، لا ، يا أبي ، بالعكس تماماً ، أنا أحب العمل الليلي حيث الهدوء و الراحة و لكن كما قلت لك من قبل أحياناً أفكر بكم ، أنت تعرف أن قسط البنك حتى الآن لم ينته " - " إنني أقدر لك ذلك يا بني ، ولكن أرجو ألا تتعب نفسك بالتفكير كثيراً ، لأننا لا نستطيع تغيير ظروف الحياة و المعيشة بهذه السهولة يا بني ... عندما كنت شاباً مثلك ، كان لدي حماسك نفسه ، و لكن قوانين الحياة و الطبيعة و المجتمع و حتى القدر ، كانت هي الأقوى دائماً و أعلم يا بني أن لكل شيء سبباً و لا شيء يكون بالمصادفة "

. التفت سام إلى والده و قال مبتسماً "أمل يا أبي أن تتحسن أمورنا ، لدي أحساس قوي بذلك ، و الآن أستميحك عذراً لقد تأخرت على المصنع".

انطلق سام إلى المصنع ، و نظرات الأب ترافقه حتى ابتعد . في الليل جلس على الكرسي في مكانه المعتاد ، يشرب الشاي و يفكر " إذاً كل هذا الذي حصل هو حقيقة ، و لكن أيعقل هذا ؟!؟!؟! ". أخرج من جيبه بطاقة اللوتو و أخذ يتأملها " إنه هو ، الرقم نفسه ، كل ما قاله الملاك حصل تماماً و لكن ... هل من الممكن أن تكون صدفة ؟؟ لا ، لا مستحيل أن تكون كذلك مستحيل أن تكون كل هذه الأمور متطابقة مع بعضها تماماً " . انتظر سام طوال الليل ليظهر الملاك ، و لكنه لم يظهر . مرت الأيام وسام كعادته ينتظر كل يوم في الليل و لكن لا احد يظهر ، كان يخشى أن يمضي الشهر و لا يحدث شيء ، و يفشل الملاك بالمهمة ، ليس هذا فقط ، بل كان يخشى ألا يظهر الملاك بعد ذلك أبداً . كان هذا الإحساس ينمو يوماً بعد يوم ، كلما مر يوم و لم يظهر الملاك ، كانت هواجس سام تزداد ، كان يعود و يسأل نفسه " ما الغاية من غياب الملاك طوال هذا الشهر !! ؟؟ ماذا سيفعل !!! ؟؟؟ هل معقول أن يكون كل ذلك حتماً ؟؟؟؟؟؟ لا ، لا ، إنه ليس حتماً ، إنه حقيقة ، لقد كان يظهر أمامي و هذا الكرت ، إنه أكبر دليل على ذلك اللعنة متى سيأتي يوم السحب " . كل يوم يمر كان سام يستعرض هذه الأفكار و التساؤلات جميعها في مخيلته و كأنها واجب يومي عليه أداءه . في أحد الأيام خطر له خاطر لم يفكر فيه من قبل ، ماذا سيفعل بالمال بعد أن يساعد أهله و أصدقائه ، هذا الأمر شكل له فراغاً فكرياً لم يعرف الكيفية التي يجب ملؤها به ، و لذلك قرر في النهاية الانتظار و تأجيل كل أفكاره و هواجسه إلى يوم السحب .

أتى يوم السحب ، و أخذ سام إجازة من المصنع ليتسنى له مشاهدة سحب اللوتو على التلفاز . في المساء جلس أمام التلفاز يتابع السحب الذي كان يجري على الهواء مباشرة . إخوته كانوا يلعبون في الغرفة المجاورة ، و أمه جالسة معهم تحيك بعض الثياب ، أما أبوه فقد جلس معه يشاهد السحب ، ولكنه ما لبث أن شعر بالملل بعد ساعة و شعر أيضاً أنه لن يكون هناك ربح و لا من يجزون ، فنهض و غادر الغرفة ، و بقي سام وحده يتابع السحب و بيده البطاقة . كانت دورات السحب تتم بالتتالي ، و كل رقم يظهر ، كان يربح جائزة معينة . مضت ثلاث ساعات على بداية البرنامج الذي كان عبارة عن حفل ضخم يتخلله عروض فنية و استطلاعات للرأي في البلدان المشتركة ، نظر سام إلى البطاقة و قال في نفسه " ترى أين أنت الآن أيها الملاك ، ماذا تفعل في هذه اللحظة " ، بعد ذلك جاء دور الجائزة الكبرى . إخوة سام كانوا في الغرفة المجاورة يتهيؤون للنوم ، أمه كانت في المطبخ تعد الشاي له و لأبيه الذي كان يجلس في الشرفة وحيداً . كانت الساعة الحادية عشرة ليلاً عندما سمع الجميع صرخة كبيرة هائلة أتت من الداخل ، كانت صرخة سام هرع الجميع إلى غرفة الجلوس . كان سام يقف على الأريكة وبيده بطاقة اللوتو يلوح بها بعنف و يقول بهستيرية " إنه لي .. إنه الرقم ... إنه هو ... نعم إنه هو ... إنه موجود فعلاً ... إنه لم يكن حلماً إنه ليس حلماً ... ليس حلماً ... لقد رأيته بأعيني ... بأعيني .. لقد كان يقف أمامي " . تجمد الجميع و هم ينظرون إلى سام و إلى التلفاز . تقدم الأب بصمت نحو سام الذي كان لا يزال واقفاً على الأريكة ويصرخ بجنون " إنه حقيقة ... إنه حقيقة " . انتزع الأب البطاقة من يد سام و نظر إلى الرقم ، ثم نظر إلى التلفاز حيث كان رقم الجائزة الكبرى لا يزال موجوداً ، كرر العملية مرتين أو ثلاثاً ، و أخذ يتمتم بذهول " مستحيل ، مستحيل ، إنني لا أصدق لا ، لا ، هناك خطأ ، من المؤكد أنني لم أقرأ الرقم جيداً " . أعاد الأب النظر إلى البطاقة و الرقم الذي على التلفاز " يا إلهي ، إنني لا أصدق ، لا أصدق ، من المؤكد أنني في حلم ... أرجوك يا بني انزل عن هذه الأريكة وقل لي ، هل صحيح هذا الذي أراه و

الذي أسمعه ؟!!! " . كان المذيع في التلفاز يعلن الرقم الفائز و يقول إنه مباع في المقاطعة الشمالية .
أسرعت الأم تضم ابنها إلى صدرها و هي تبكي من شدة الفرح ، بينما كان إخوته يقفزون من الفرح .
انضم الأب إلى الأم و هو يقول " لا أعرف ماذا أقول يا بني ، لكنني أهنتك من كل قلبي ، إنني عاجز عن
التعبير عن فرحي ، إنني بجد لا أعرف ماذا أقول ، أتمنى لك السعادة و التوفيق " . صرخ أخوه " سام ،
سام ، هل ستشتري لي الدراجة التي كنت تحدثني عنها " . كذلك صاحت أخته " سام ، سام ، أريد
فساتين جميلة ، و جديدة ، لقد قلت لي ذات مرة إنك ستحضرها لي " . بدأ سام يستعيد وعيه شيئاً فشيئاً
، جلس على الأريكة قليلاً ، ثم ما لبث أن نهض و لبس ثياب الخروج . هتف الأب " إلى أين أنت ذاهب
يا سام !!!؟؟ " - " سأعود يا أبي ، سأعود ، لدي عمل أقضيه " - " و لكن قل لي يا ولدي ما الأمر ،
إنك تقلقني كثيراً ؟؟؟!! " - " لا شيء يا أبي ، لا شيء ، لقد نسيت غرضاً و سأذهب لإحضاره " .
وضع سام بطاقة اللوتو في جيبه و قفز خارجاً ، و هو يجري ، تبعته نظرات أهله بصمت و ذهول ، هذه
المرّة لم يستطيعوا أن يعلقوا على تصرفاته الغريبة لأنه هم أنفسهم لم يكونوا بكامل وعيهم . في الطريق
المضاء أحياناً بنور القمر الذي كان يظهر ويختفي وراء الغيوم الملبدة ، كان سام يجري بأقصى سرعة له ،
كان يلهث بشدة ، و لكنه ظل يجري و خلفه ظله الذي كان هو الآخر يلهث خلفه .

" قف من أنت " صرخ الحارس و هو يلقم بندقيته الآلية و يوجهها نحو سام . "هذا أنا أيها الحارس ، أنا
سام " . حول الحارس البندقية إلى الأرض و هو يقول " أنا آسف يا سيدي ، لا تؤاخذني ، لم أعرفك " -
" لا بأس ، لا بأس " قال سام و هو يدخل مسرعاً " . نظر إليه الحارس و قال " و لكن يا سيدي أأست
اليوم في إجازة !!؟؟ " - " بلى أيها الحارس ' ولكنني نسيت شيئاً في الداخل ، و أتيت لإحضاره " - " هل
أدخل معك يا سيدي ؟ " - " لا ، لا ، لا ابق أنت هنا ، يجب أن تحرس البوابة ، و لا تدع أحداً يدخل على

هنا " . كانت الأنوار في الساحة خافتة بعض الشيء و عندما وصل سام ، وقف متسماً في مكانه ، لقد كان الملاك بانتظاره . بقي سام جامداً في مكانه ينظر إلى الملاك الذي بادره مبتسماً " ماذا يا حضرة المليونير ، أأن تقول لي شكراً ؟ " . اقترب سام ببطء نحو الملاك و قال بصوت خافت " هل أستطيع أن أقرب منك أيها الملاك الطاهر و ألمسك ؟ " - " تستطيع أن تقترب إلى مسافة معينة و لكنك لا تستطيع لمسي " - " لماذا !!؟؟ " - " لأنني كما ترى ، طيف هيولى ، و لكن بصورة بشرية مثلك " . أطرق سام إلى الأرض قليلاً ، ثم رفع رأسه و قال بشيء من الخجل " في الحقيقة كان ينتابني شك بوجودك ، أيها الملاك ، و كنت أشك أحياناً بأن ذلك حقيقة، و لكن بعدما نزلت إلى المدينة في الشهر الماضي ، و رأيت بأمر عيني ما وصفته لي ، و بعد الذي حصل اليوم ، قطعت الشك باليقين ، و أيقنت أنك حقيقة واقعة لا تقبل النقاش و لا الجدل و لكن بكلا الحالتين افتقدتك كثيراً خلال الشهر المنصرم " . قال الملاك لسام " ألم اقل لك إنني سوف أحضر لهذا اليوم ، و ها قد انتهيت ، وأتيت إلى هنا لأنني عرفت أنك ستأتي بحثاً عني ، لهذا السبب أردت أن تلمسني ؟ " . اقترب سام أكثر من الملاك و رفع يديه نحوه " أردت أن ألمسك لأتبارك بك أيها الملاك الطاهر " . ضحك الملاك ضحكة طويلة وقال "على كل حال أشكرك على عواطفك النبيلة و الصادقة نحوي " . هز سام برأسه نائفاً " لا أيها الملاك الطيب ، أنا الذي يجب أن أشكرك على ما فعلته من أجلي ، لقد حققت لي ما لم أكن احلم به في حياتي كلها ، أفلا تستحق مني الشكر أنا واثق أنك بذلت جهوداً كبيرة لمساعدتي " - " طبعاً ، لقد بذلت جهوداً كبيرة جداً في هذا المجال ، ولكن لا بأس ، هذا لا يهم كثيراً و الآن و قد انتهينا من مراسم الشكر و الامتنان المتبادلين ، ماذا تنوي أن تفعل الآن " . وقف سام محتاراً قليلاً و رفع يديه قائلاً " حتى الآن لم أحدد بالضبط ماذا سأفعل " . هز الملاك برأسه متفهماً " على كل حال عندما تنتهي من إجراءات استلام الجائزة ، سيكون لديك متسع من الوقت ، أنا سأذهب الآن و عندما تنتهي من تلك الإجراءات أعود إليك ، إلى اللقاء يا سام " . اختفى

الملاك من أمام ناظري سام ، الذي عاد أدراجه إلى المنزل يمشي الهوينى و هو يتمتم " إنه حقيقة ، حقاً حقيقة " . في المنزل كان أهله بانتظاره ، كانوا قد استعادوا هم أيضاً و عيهم . اقترب منه أبوه و سأله " و الآن ماذا ستفعل يا سام ؟ " - " سأقدم البطاقة غداً إلى الدولة ، في العاصمة ، سننزل أنا و أنت يا أبي سوية إلى هناك و نلتقي بالمعلم رالف و الدكتور بروكلمان ، و هم سيساعدوننا في هذا المجال ، سأمدد الإجازة غداً ، ثم ننزل إلى العاصمة " - " حسناً يا بني ' إذا سأذهب إلى النوم " .

طوال الليل لم ينام سام ، و في الصباح بعدما استأذن مدير المصنع ، كان هو و أبوه يستقلان القطار السريع نحو العاصمة . عندما وصلوا إلى هناك بعد الظهر ، اتجهوا إلى مؤسسة المعلم رالف ، و هناك التقوا بالسيد جاكوب الذي رحب بهم و أخبرهم أن المعلم رالف غائب ، و لن يأتي إلا بعد ظهر يوم غد ، فقام سام بالاتصال مع الدكتور بروكلمان و أخبره أنه موجود بالعاصمة و يريد لقاءه فوراً . لم تمض ساعة حتى كان الدكتور بروكلمان قد حضر ، بعد العناق الحار و الطويل أخبر سام الدكتور بروكلمان عن موضوع الجائزة و سأله كيفية التصرف . " إنني سعيد جداً يا سام لهذا الخبر ، يا له من مفاجأة رائعة ، إنني فعلاً مسرور بذلك ، لا تصدق كم أنا مبتهج ، إنني أهنئك يا سام من كل قلبي و أتمنى لك السعادة و التوفيق

أما بالنسبة لهذا الأمر ، فسوف أتكلم الآن مع صديق لي مختص بهذه الأمور أعطني الهاتف من فضلك يا سيد جاكوب " . أحضر السيد جاكوب الهاتف للدكتور بروكلمان ، الذي تكلم مع أحد الأشخاص و أخبره بالموضوع مرت فترة و الدكتور بروكلمان منصت للطرف الآخر على الهاتف و هو يهز برأسه ، و بعد قليل وضع سماعة الهاتف و التفت إلى سام قائلاً " هل البطاقة معك هنا يا سام ؟ " - " نعم يا دكتور إنها معي " - " حسناً ، غداً صباحاً سنذهب سوية أنا و أنت و السيد الوالد و المعلم رالف إلى مديرية الاقتصاد الوطني " و هنا تدخل السيد جاكوب " إن المعلم رالف لن يأتي قبل ظهر الغد يا

سيدي " - "إذن في هذه الحالة ستذهب أنت معنا يا جاكوب ، و عليك أن تفرغ وقتك غداً ، و تحضر نفسك من الآن " - " حاضر سيدي " . وهنا التقت الدكتورة بروكلمان إلى سام قائلاً "غداً يا سام في مديرية الاقتصاد ، ستوقع على بعض الأوراق و سيكون هناك مندوب البنك المركزي و مندوب من المالية و مندوب من اللجنة المنظمة للوتو ، و بعد هذه الإجراءات ستذهب أيضاً إلى البنك المركزي لتوقيع بعض الأوراق اليوم ستنامون هنا ، و غداً صباحاً سأمر عليكم ... مرة أخرى أهنتك يا سام ، هذا المال سيصبح لك و سيكون ملكك ، لأنك تستحقه بكل جدارة ، و الآن إلى اللقاء " . انصرف الدكتور بروكلمان و بقي سام و والده مع السيد جاكوب " أهنتك يا سام من كل قلبي ، إن المعلم رالف سيسر كثيراً و فرحته ستكون مضاعفة ، أولاً لوجودك هنا ، و ثانياً لفوزك بجائزة اللوتو ، و الآن هيا لنعد لكم غرفة مناسبة ، و بعدها نتناول العشاء .

في صباح اليوم التالي انطلق الجميع إلى مديرية الاقتصاد ، كان هناك جمهرة من الصحفيين و المندوبون الذين ما أن علموا بقدوم سام ، رابح الجائزة ، حتى انهالوا عليه بالأسئلة و لكن الدكتور بروكلمان أدخل سام إلى مبنى المديرية ، و اعداً الصحفيين و المصورين الذين لحقوهم ، . بالكلام معهم . عندما دخلوا ، استقبلهم المدير و المندوبين بالترحاب و تم أخذ البطاقة من سام و التأكد منها و من الرقم ، ثم بدأت إجراءات المعاملات القانونية لتسليم الجائزة ، كان هناك عدد من الأوراق الرسمية التي وقعها سام و بعد ذلك سلمه مندوب المصرف المركزي شيك بقيمة الجائزة " تفضل يا سيدي هذا هو الشيك إنه أصبح باسمك و لكنك لا تستطيع التصرف به إلا بعد شهر " فسأله الدكتور بروكلمان باستغراب " لماذا !!!؟؟ " - " إنها إجراءات احترازية فقط و هي من ضمن الروتين ، و بعد شهر من تاريخ اليوم ، يمكنه تلقائياً التصرف بالمبلغ و تحويله إلى إي حساب يريده و لا داعي لأي إجراءات " . عند خروجهم من مبنى

المديرية ، انهال الصحفيون و المصورون على سام بالأسئلة " ما اسمك ما هو عملك ماذا ستفعل بالمال هل أنت سعيد ما هو شعورك ما هو إحساسك كيف لماذا ... هل ...متى؟؟". كان سام محتاراً بالإجابة على كل هذه الأسئلة ، ولكنه كان يجيب كيفما اتفق . بعد ذلك ذهبوا إلى المصرف المركزي ، حيث كان هناك بعض الإجراءات الأخيرة ، و من هناك عادوا إلى مؤسسة المعلم رالف الذي كان قد وصل ، بعد العناق و الترحيب ، بدا المعلم رالف مذهولاً قليلاً عندما أخبره سام بأنه فاز بجائزة اللوتو الكبرى . " إنها عناية السماء يا سام ، إن الله يا سام يكافئك على كل أعمالك الخيرة التي قمت بها في السابق ، إن الله يا سام يعوض لك كل الآمك .. إنها مفاجأة سعيدة لي ، لا تصدق مدى فرحتي و سعادتي يا سام ... فرحي بلفائك، و فرحي بهذا النبأ السعيد بعد غياب طويل ، لقد كنت دائماً أدعو و أبتهل إلى الله لكي يحفظك و يردك و يساعدك ، لقد كنت دائماً أذكرك يا سام في خلواتي و أدعو لك بالتوفيق و النجاح " . رد سام بغبطة و سرور "إنني شاكر لك هذه العواطف النبيلة أيها المعلم ، و أنا أيضاً بدوري كنت أتذكرك دائماً ، أنت و الدكتور بروكلمان و أتمنى أن ألقاكما و ها قد تحققت أمنيته " . اقترب المعلم رالف من سام و سأله قائلاً " و الآن ماذا ستفعل يا سام ؟ " - " بالضبط لا أعرف أيها المعلم ، لقد انتهينا اليوم من إجراء المعاملات القانونية لتسلم الجائزة ، و لكن الدكتور بروكلمان قال لي إنه يوجد أيضاً إجراءات أخرى " - " نعم يا سام (قال الدكتور بروكلمان) عليك الآن أن تفتح حساباً خاصاً بك في البنك لتحويل المبلغ الذي سيصبح تحت تصرفك بعد شهر ، إليه ، هذا كل شيء فقط ، و على كل حال ، من الآن و حتى انتهاء الشهر ، تكون قد قررت ماذا يجب عليك أن تفعل ، و الآن سأدعكم ترتاحون قليلاً و أعود في المساء إلى اللقاء " . انصرف الدكتور بروكلمان و بقي سام و والده و المعلم رالف و السيد جاكوب . ارتد المعلم رالف إلى الكرسي و هو يشعر بالتعب

و قال للسيد جاكوب " اذهب يا جاكوب و قل لهم أن يحضروا لنا الغداء ، أشعر بالجوع و أظن أن سام و والده يشاركانني الشعور نفسه " .

في المساء أتى الدكتور بروكلمان و انضم إليهم ، افتتح المعلم رالف الكلام قائلاً " يجب أن تخطط منذ الآن يا سام لكيفية التصرف بالمال، إنه مبلغ ضخم جداً و يحتاج إلى تفكير و روية في التصرف به ، أليس كذلك يا دكتور؟؟ " . وافق الدكتور بروكلمان على كلام المعلم رالف " نعم إنني معك في ذلك يا معلم ، أظن أنه يجب على سام أن يفكر منذ الآن ماذا سيفعل ، بالمناسبة ، ماذا قررت أن تفعل يا سام؟" . كانت الأنظار متجهة كلها إلى سام الذي تردد في الكلام قليلاً ثم قال " كما قلت لكم ليس لدي فكرة واضحة ، ولذلك سأستعين بكما أيها المعلم رالف و أيها الدكتور بروكلمان ، و سأستعين أيضاً بال..... " . صمت سام فجأة ، فسأله المعلم رالف " بمن ستستعين يا سام؟ " صمت سام قليلاً كأنه يفكر ، ثم قال " إنه أحد الأصدقاء في البلدة " و هنا تكلم الأب لأول مرة منذ أن جاؤوا إلى العاصمة ، فسأل ابنه " من البلدة عندنا؟؟؟ من هو يا بني؟؟؟ هل هو أستاذ الفلسفة؟؟؟ " . تلثم سام قليلاً و قال ملفلاً الموضوع " نعم ... أظن أنه .. هو ... و لكن ربما لا أحججه ، بل أترك هذا الأمر للمعلم رالف و الدكتور بروكلمان " رد المعلم رالف قائلاً " نحن جاهزان لأي خدمة أو مشورة أو مساعدة تطلبها منا يا سام ، أنا و الدكتور بروكلمان ، و لن نقصر معك أبداً " . سأل سام بطريقة الذي لا يعرف شيء " ماذا تقترحون علي إذن؟؟ " . بادر المعلم رالف بالإجابة " أهم شيء يا سام هو عمل الخير ، و أنا واثق أنك ستقوم بذلك ، و أن هذا الأمر لن يفوتك أبداً ، و لكن هناك كيفية أو الطريقة المثلى للقيام بذلك أنا مستعد لمساعدتك في هذا الموضوع على أفضل وجه ، أما النواحي الأخرى فأظن أن الدكتور بروكلمان اقدر مني على ذلك بالنصيحة و المشورة " . التفت سام إلى الدكتور بروكلمان و قال " و أنت أيها

الدكتور "؟؟؟" . أوماً الدكتور بروكلمان برأسه موافقاً " بكل سرور يا سام ، أنا أيضاً مستعد لمساعدتك في أي شيء تريده " . رفع سام ذراعيه في الهواء دلالة العجز و الجهل و سأل " إذن ما هي أول خطوة سأخطوها ، إنني لا أعرف شيئاً في هذا المجال "؟؟؟" . ابتسم الدكتور بروكلمان و قال " حسناً ... أول شيء هو فتح حساب في البنك ، كما قلت لك .. هناك سنفتح لك حساباً باسمك بانتظار تحويل المبلغ إليه من البنك المركزي عند استلام الجائزة " . فسأل سام بفضول " لكن لماذا لا نضعه في البنك المركزي !!!؟؟" - " لا يمكن ذلك يا سام ، لأن البنك المركزي عندنا ليس للمعاملات التجارية الداخلية ، بل إن عمله يتلخص بالدرجة الأولى بالسندات و العلاقات مع البنوك الحكومية الخارجية و أمور الدولة المالية " . حك سام رأسه و قال " حسناً و بعد ذلك ماذا سنفعل "؟؟؟" - " لا شيء يا سام ، إننا لن نفعل شيئاً حتى تستلم الجائزة ، و في أثناء ذلك تكون قد فكرت ماذا ستفعل " - " و الشيك الذي معي ، ماذا سأفعل به ؟ " - "أقترح أن تضعه غداً في البنك الذي سوف تفتح به الحساب ، كوديعة ، لأن هذا البنك يعمل أيضاً بمبدأ الودائع " . وضع سام يديه على رأسه و قال بأسى بالغ " يا إلهي ، هناك أمور كثيرة أجهلها في هذا المضمار ، ماذا تقترحون علي ؟ " . أشار المعلم رالف إلى الدكتور بروكلمان و قال "أظن أن الدكتور بروكلمان هو أكثر خبرة في مجال الأمور القانونية و التقنية ، أما أنا فأساعد فقط في الأمور الخيرية و الدينية " . خفف الدكتور بروكلمان من قلق سام و قال له " ليس هناك شيء مستحيل يا سام ، يجب عليك أن تقرأ المجالات و الكتب الاقتصادية و المالية و بعض الكتب القانونية ، و أنا أستطيع أن أساعدك في هذا المجال و أو من لك بعضاً من هذه الكتب ، و سوف تعطيك فكرة مبدئية واضحة و شاملة عن الأمور المالية و التجارية " . نظر سام إلى المعلم رالف و الدكتور بروكلمان و قال لهما " سأبقى طوال حياتي مديناً لكما ، أنت أيها المعلم رالف و أنت أيها الدكتور بروكلمان ، لولاكما لكنت قد وضعت منذ زمن " . و هنا تدخل السيد جاكوب مازحاً " ما رأيك يا سام أن تجعل المعلم رالف مستشارك الديني و الخيري ، و الدكتور بروكلمان

مستشارك القانوني و المالي ، أرجو أن تعذرني أيها المعلم على هذه المزحة " . التفت سام بسرعة إلى السيد جاكوب و قال " إنها فكرة رائعة يا جاكوب ، لم تخطر على بالي ، أرجو أن تقبل ذلك يا أستاذي العزيزين ، و أنا جاهز لأي شي تريدونه " . ابتسم الدكتور بروكلمان و ربت على كتف سام قائلاً " لا تقلق يا سام سوف نكون معك دائماً و لن نتخلى عنك ، و لكن بالمقابل لن نأخذ منك شيئاً ، إنك صديق عزيز و هذا أقل شيء نفعله من أجلك " .

في صباح اليوم التالي توجه سام و الدكتور بروكلمان على البنك لفتح حساب فيه ، كان مبنى ضخماً و تبدو عليه الفخامة و الحدائثة ، دخلا من الباب الزجاجي الكهربائي إلى صالة كبيرة ، لاحظ سام فخامة البنك من الداخل ، كان هناك مراجعون و زبائن يبدو عليهم الثراء و الغنى . نتمتم سام بانبهار " إنه بنك ضخم!!!!!! " . رد عليه الدكتور بروكلمان " إنه أكبر بنك في البلاد يا سام و له فروع مختلفة في داخل البلد و خارجه هل هذه أول مرة تدخل فيها إلى بنك ؟ " . رد سام بخجل " نعم يا دكتور ، هذه أول مرة " - " حسناً إذا ، راقب جيداً كيف سنقوم بعملية فتح الحساب ، يجب عليك أن تتعلم بسرعة يا سام ، هناك أمور كثيرة عليك تعلمها ، ليس أمامك متسع من الوقت " . دخل سام مع الدكتور إلى أحد الأجنحة و هناك بدأت عملية فتح الحساب ، كانوا ينتقلون من جناح لآخر ، و في كل عملية ، كان الدكتور بروكلمان يشرح لسام ما يقومون به الصور ، نموذج التوقيع ، البصمات ... الخ . استمرت الإجراءات حوالي الساعة ، و عندما انتهت استلم سام دفتر حسابات خاص به ، و بطاقة اعتماد . و بعد ذلك خرجوا من البنك إلى إحدى المكتبات حيث اشترت مجموعة من الكتب و المجلات الاقتصادية و المالية ، و من ثم عادوا إلى مؤسسة المعلم رالف ، في المكتب سال المعلم رالف " هل انتهت الإجراءات " رد الدكتور بروكلمان " نعم حالياً انتهينا ، و لم يعد أمام سام الآن ، سوى الانتظار حتى الشهر القادم لاستلام

المال " . التفت المعلم رالف نحو سام قائلاً " و الآن ماذا ستفعل يا سام ؟ " . اعتدل سام في مقعده وقال " لقد قررت حالياً أن أعود إلى البلدة ، فإجازتي قد انتهت و يجب أن أبت بأمر عملي في المصنع ، و من جهة أخرى يجب أن أقرأ هذه الكتب و المجلات التي اشتراها لي الدكتور بروكلمان و أفكر خلالها ماذا أفعل ، و عندما أستلم الجائزة بعد شهر ، ربما أكون قد قررت ماذا سأفعل بالضبط و أين سأقيم " . نظر المعلم رالف إلى الدكتور بروكلمان و قال " أنا أقترح أن يقيم في العاصمة ، أليس كذلك يا دكتور ؟ " . فكر الدكتور بروكلمان قليلاً و قال " لا أدري ماذا يفكر سام ، و لكن برأيي إن العاصمة هي أفضل مكان له ، كون جميع المؤسسات و الإدارات تتمركز فيها ، و من الآن و حتى شهر ، يكون قد اتضح لسام أمور عديدة و يكون قراره قد نضج " .

في مساء ذلك اليوم غادر سام ووالده العاصمة ، متوجهين بالقطار إلى البلدة ، و في صباح اليوم التالي عندما وصلا إلى المنزل ، أسرع سكان البلدة لتهنئتهما . كان الخبر قد انتشر في البلدة التي بدأ سكانها يتوافدون إلى منزل سام ، بالرغم من أن سام و والده كانا متعبين جداً ، فإنهما تقبلا التهاني من الزوار و كذلك الأسئلة عن العاصمة و الجائزة و المال ، أخبرهم سام أنه لن يستطيع الحصول على المال قبل شهر ، و إذا حصل عليه سيضعه في البنك ، و لن يكون معه شيء في جيبه أو بيته ، تلك كانت نصيحة الدكتور بروكلمان له ، كي لا يتعرض للمضايقات أو السرقة أو الاعتداء . كان الناس يأتون و يذهبون ، و آخر الزوار كان مدير المصنع الذي عندما سمع بمجيء سام من العاصمة ، أسرع إلى منزله للتهنئة ، عندما وصل بادره سام بالقول معتذراً "نحن آسفون جداً يا سيدي ، لقد أخذنا إجازة لمدة يوم واحد و لكننا لم نكن نعرف أننا سنبقى في العاصمة ثلاثة أيام " . رد عليه المدير بنبرة عتاب " ما هذا الكلام يا سام ، إنك تستطيع أن تنغيب المدة التي تريدها ، لقد قدرت موقفكم ، و بالإضافة إلى ذلك فإن سلوككم و أخلاقكم

العالية في العمل ، هي مبرر كاف لكم ، و على كل حال ، إذا أردت أستطيع أن أمدد لك الإجازة إلى أي وقت تريد " - " لا يا سيدي المدير لا داعي لذلك الآن ، سأذهب اليوم إلى المصنع و بعدها أقرر " .

كان سام متشوقاً إلى لقاء الملاك ، و لهذا ما أن جاءت الساعة الثامنة ، حتى انطلق في طريقه إلى المصنع . و هناك تلقاه الحارس بالترحاب مهنتاً ، فشكره سام ثم دخل إلى المصنع ، و لكن الحارس تبعه ، وقف سام و التفت إلى الوراء " هل هناك شيء أيها الحارس !! ؟؟ " - " لا يا سيدي ، و لكنني أخاف أن أتركك لوحداً في هذا الليل " . ابتسم سام و شكر الحارس قائلاً " لا تقلق أيها الحارس ، ليس هناك ما يخيف ، ثم إن المال ليس معي هنا ، و لن يكون معي قبل شهر ، و لذلك لا داعي للقلق و أشكرك جداً على هذا الاهتمام ، عد أنت إلى عمالك ، و لكن لا بأس من أن تبقى متيقظاً و تمنع أياً كان من الدخول " - " حاضر يا سيدي " . مشى سام إلى الداخل و من هناك دلف إلى الساحة الخلفية للمصنع ، كانت الأضواء خافتة قليلاً ، أخرج الكرسي و البوتوغاز من الغرفة المخصصة له ، و جلس يعد الشاي و هو يلتفت يمناً و يسرة ، كان يبحث عن الملاك منتظراً مجيئه . عندما انتهى من إعداد الشاي ، صبه في الكأس و جلس يرتشف منه بهدوء و صمت . مرت فترة من الزمن و السكون و الصمت يلفان المكان ، و بعد قليل اهتزت الأشجار و أثير الغبار ، ليظهر الملاك لسام . هب سام بسرعة من مكانه و هو يبتسم بسعادة ، لقد كان ظهور الملاك بجد ذاته مصدرراً للإثارة و الفضول " أهلاً بك أيها الملاك الطيب " . ابتسم الملاك لسام و وقال له " أهلاً بك يا سام ، هل انتهيت من إجراءات تسلم المال ؟ " - " نعم أيها الملاك الطاهر ، لقد انتهيت ، و بعد شهر سأستلم المال " - " عظيم ، ها قد أصبحت تملك المال إذا ، الآن ماذا قررت أن تفعل ؟ " - " هذا ما كنت بانتظارك لأجله أيها الملاك " . روى سام للملاك ما حصل معه بالعاصمة ، ثم سأله " ما رأيك أيها الملاك بما حصل معي ماذا تقترح لي ؟ " - " إنه شيء جيد ، و أفترح أن تبدأ

العمل منذ الآن ... يجب أن يكون لديك خطة أو مشروع معين في ذهنك ، و فكرة أن يكون لديك أعوان و مستشارون ، هي فكرة جيدة و لا بأس بها " . و هنا نظر سام إلى الملاك و قال برقة " أنا أحب أن تكون أنت أيها الملاك مستشاري " . ضحك الملاك ضحكة عميقة و قال "هذا شرف لي يا سام ، و أنا أرحب بذلك ، بكل سرور و لكن أنا سأكون مستشارك في الأمور العامة و الرئيسة فقط ، بمعنى أنني لن أدخل في التفاصيل ، بل سأعطي توجيهات عامة فقط و الباقي أتركه لمستشاريك الاثنين اللذين حدثني عنهم " . هز سام برأسه موافقاً ثم فكر قليلاً و قال " بالمناسبة ، ما رأيك بهما " - " لا بأس بهم ، بإمكانك أن تعتمد عليهما و بخاصة على الرجل الثاني " - " الدكتور بروكلمان ؟ " - " نعم " - " لماذا !! ؟؟ " - " لأنه رجل مثقف و مطلع و بإمكانك الاعتماد عليه بشكل جيد " . فكر سام قليلاً ثم قال " و لكن المعلم رالف رجل طيب و مثقف ، بالإضافة إلى أنه له خبرة واسعة و لديه مؤسسة دينية كبيرة و جمعية خيرية عريقة " - " أنا لم أقل عن الرجل شيئاً ، و لكن كل ما قصدته ، هو أن الرجل الثاني ممكن أن يكون مهيباً للمساعدة بشكل أفضل من ناحية الأمور القانونية و العامة ، بينما الرجل الأول مختص فقط بالأمور الدينية و الاجتماعية ، و حسبما أعرف ، فإن الرجل الثاني هو مستشار للرجل الأول " أو ما سام برأسه موافقاً و قال " معك حق أيها الملاك ، على كل حال قررت أن أجعل المعلم رالف مستشاراً للأمور الدينية الاجتماعية ، و الدكتور بروكلمان مستشاراً للأمور الاقتصادية و العامة ، و أنت أيها الملاك الطاهر فستكون مستشاري العام " ضحك الملاك مرة أخرى و قال لسام " جميلة هذه الكلمة .. المستشار العام ، و لكن قل لي يا سام ماذا قررت بشأن العمل هنا في المصنع ؟ " - " أظن أنني لن أستمع ، لا داعي لذلك ، لأنني سأتفرغ لأعمالي الجديدة ، لقد قال لي المعلم رالف و الدكتور بروكلمان إنني أستطيع بهذا المبلغ أن أنجز أعمالاً كثيرة و أتفرغ لها " - " جيد ، و متى ستترك العمل هنا ؟ " - " أظن من الغد ، لأنني سوف أركز وقتي هذا الشهر على قراءة الكتب و المجلات التي اشتراها لي الدكتور بروكلمان ، لأكون لنفسي

ثقافة مالية و اقتصادية فهذا المال لا بد له من الخبرة ، هكذا قال لي الدكتور بروكلمان " - " هذا جيد " -
" و لكن هناك مشكلة أيها الملاك العزيز " - " ما هي ؟ " - " عندما أترك العمل في المصنع ، أين سنلتقي
مجدداً؟؟؟ " . صمت الملاك قليلاً ثم قال " في الغابة ، من الجهة الشمالية قرب المنحدر ، هناك أشجار
حراجية و الحركة خفيفة هناك ، أنا سأختار المكان الملائم هناك مثلما اخترت المكان الملائم هنا..... و
الآن دعنا يا سام نتفاهم على الخطوط العريضة الأولى لكيفية تصرفك بالمال " . تحفز سام بانتباه شديد و
قال "تفضل أيها الملاك ، إني مصغ " - " أولاً يا سام هذا المال لا يصرف في طريق الشر أو الإساءة أبداً ،
ثانياً عمل الخير أمرٌ لا بد منه ، أي أنك يجب أن تساعد الناس ، و بالدرجة الأولى تساعد الفقراء و
المحتاجين ، و ثالثاً شيء مهم أن تكسب ثقة الناس بك و تعطيتهم عن نفسك انطباعاً حسناً . رابعاً يمكنك
القيام بأعمال تجارية خاصة بك و في غير مجال الخير ، و لكن بشرط ألا تكون في مجال الشر و الإساءة ،
هذا كل شيء " . هز سام برأسه موافقاً و قال للملاك "أعدك أيها الملاك أن أنفذ هذه الشروط ، و تأكد أن
عمل الخير سيكون هو حتماً الواجب الأول الذي سأقوم به " . رفع الملاك بيده في الهواء و أشار إلى سام "
أنت يا سام طلبت المال، و كانت أمنيتك الوحيدة التي ألحيت عليها و أصريت ، و ها قد تحققت لك ،
فدعنا نرى ما سوف تقوم به و تنجزه ، أتمنى لك التوفيق يا سام ، و الآن سأغيب عنك و أتركك حتى
ترتب أمورك ، و عندما تحتاجني ، تعرف المكان الذي يجب عليك الذهاب إليه ، و لا تنس عندما تستلم
المال ، أن تقوم بما طلبته منك بخصوص البائع الذي اشترت منه البطاقة إلى اللقاء يا سام و مرة
أخرى أتمنى لك التوفيق " اختفى الملاك وسط زوبعة قوية اهتزت لها الأشجار .

في اليوم قابل سام مدير المصنع ، و قدم له طلب الاستقالة " هل أنت مصر على الاستقالة يا سام ؟ " .
ابتسم سام للمدير ابتسامة عريضة و قال " ما رأيك أنت أيها المدير؟؟ " . حك المدير صلته و قال

ضحكاً " ربما معك حق ، فحارس ليلي مليونير ، مسألة فيها نظر ما رأيك أن تستلم مكاني إذن (قال المدير و انفجر ضاحكاً) حسناً يا سام أنت شاب طيب و تستحق كل خير ، أرجو لك التوفيق (وقع المدير على الطلب و أعطاه لسام قائلاً) بالمناسبة يا سام إذا كنت بحاجة لأي مساعدة فأنا جاهز " أخذ سام الورقة و قال للمدير بسعادة " إنني شاكر لك جداً يا سيدي ، و لن أنسى لك معروفك أبداً ، بالمناسبة أين سأذهب الآن بهذه الورقة " - "خذها إلى الديوان و سجلها هناك ، و اذهب إلى البيت و اجلس على الأريكة و اجرع كأساً من الشاي و بذلك تكون قد استقلت " . أنهى سام إجراءات الاستقالة ، و عاد إلى المنزل . عندما وصل إلى المنزل طلب من أمه أن تعد له الشاي ، ثم دخل إلى غرفته و بدأ يقرأ الكتب التي أحضرها معه من العاصمة . الدكتور بروكلمان دله على كيفية ترتيب القراءة من الكتب و أولها كتاب عن المصطلحات التجارية و الاقتصادية مع شرح لها . جلس يقرأ الكتاب بمتعة و نهم شديدين لدرجة أنه نسي كل شيء حوله ، و استمر هكذا حتى الساعة الثانية بعد الظهر حيث عاد أبوه من العمل ، فأخذ معه الكتاب و خرج ليجلس مع أبيه . " قيل لي يا بني إنك قدمت اليوم استقالتك من العمل ؟ " - " نعم يا أبي ، لم تعد لي حاجة للعمل بعد اليوم ، و حتى أنت يا أبي يجب أن تقدم استقالتك ، لم تعد بحاجة إلى هذا التعب و الإرهاق " . حدق الأب بشرود في الغابة الممتدة أمامه و قال " لا أستطيع يا بني ، لقد تعودت على العمل منذ أربعين سنة ، و أصبح بالنسبة لي نوعاً من التسلية ، بالإضافة إلى ذلك ، فإن الجلوس في البيت طوال اليوم يشعرني بالتعب و الملل ، و لكن قل لي يا بني ماذا تنوي طالما أنك قررت الاستقالة؟؟ " - " قررت أن أدير هذه الأموال يا أبي " - " لم أفهم يا بني !!؟؟ " رفع سام يده و أشار بثقة قائلاً " هذا مصطلح جديد قرأته قبل قليل في الكتاب الذي كان بين يدي ، وهو يعني تشغيل الأموال و استثمارها أي الاستفادة و خلق فرص عمل " . هز الأب كتفيه و قال "على كل حال يا بني أتمنى لك التوفيق ، إن جميع أهل البلدة متشوقون لمعرفة ماذا ستفعل بالمال ، و الكل يسأل هذا السؤال سام الذي

طوال حياته يكره المال و ينأى بنفسه عنه ، ماذا سيفعل بهذا الكم الهائل من المال حتى في المصنع يسألوني السؤال نفسه ، لقد استدعاني المدير البارحة إلى مكتبه و سألني أيضاً السؤال ذاته ، ليس هذا فقط ، بل عرض علي خدماته " . أدار سام كأس الشاي بيده و هو يفكر ثم قال " ألم تخبرهم يا أبي إنني حتى الآن لم أفكر ماذا سأفعل بالضبط ، و أنني لن أستلم المال قبل شهر " - " نعم يا بني ، و لكن المشكلة أنهم مندهشون لهذه المصادفة الغريبة ، و هي كيف أن شخصاً يكره المال و يهرب منه ، يأتيه هذا المال كله فجأة واحدة ، لقد أصبحت يا ولدي حديث البلدة كلها ، أتدري ؟ إنني حتى الآن غير مصدق لكل هذا الذي حصل معنا ، لا أستطيع أن أستوعب حتى الآن أن هذا المبلغ الكبير قد هبط علينا فجأة " . حدق سام بالكأس هو الآخر و تنهد بعمق قال " و أنا يا أبي ينتابني الإحساس نفسه و الشعور نفسه ، و لا أستطيع أن أفسر ما حصل معي ، و لكنني الآن أصبحت أكثر وعياً للأمر ، و يجب علي التركيز منذ الآن على موضوع استخدام هذا المال و التصرف به ، انظر إلى هذا الكتاب الذي أقرؤه يا أبي ، إنه مؤلف من حوالي خمسمائة صفحة و كلها تتحدث عن المال ، بالإضافة إلى الكتب و المجلات الأخرى " . نظر الأب إلى ابنه و قال " و لكن ما هو أول شيء ستفعله يا بني عندما ستستلم المال " . و بالديهة أجاب سام بسرعة " أول شيء هو أنتم يا أبي ، سأعمل على سد الحوائج و النواقص و الأمور التي تسبب لنا الضيق ، و أولها قسط المصرف ، اللعنة عليه ، لطالما سبب لي المشاكل و المتاعب ، كل ما حصل معي كان بسببه ، سأزيله من الوجود تماماً ، بعد ذلك سأرمم هذا البيت مبدئياً و من ثم سأغيره بالكامل و سأبني فوقه منزلاً جميلاً يليق بنا جميعاً " . حدق الأب بابنه و ابتسم قائلاً بنبرة حنان " بارك الله بك يا بني ، إن وجهك ، وجه خير علينا منذ أن ولدت " . بعد قليل جاءت الأم و أعلنت أن الغداء جاهز .

كرس سام وقته في الأيام التالية للقراءة ، كانت هذه أول مرة يقرأ فيها كتباً و مجلات اقتصادية ، تحتوي على مفاهيم و كلمات جديدة عليه كل الجدة . لم يكن يخرج من البيت إلا نادراً ، كان هناك بعض الزيارات من سكان البلدة الذين كانوا يأتون للتهنئة ، و آخرها كانت زيارة أستاذ الفلسفة . استقبله سام بترحاب بالغ " لقد أظلت الغيبة هذه المرة يا أستاذ ، منذ مدة طويلة لم أرك ، كان من عادتك أن تأتي كل أسبوع على الأقل مرة " . سحب الأستاذ سيكارة من جيبه و طلب من والدة سام الشاي ، ثم أشعل السيكارة و مع منها حجة عميقة ثم نظر إلى سام و قال له بهدوء " أولاً يا سام أنت طلبت العمل الليلي في المصنع مكان والدك ، فلم يعد باستطاعتي رؤيتك إلا نادراً أو بالمصادفة ، ثانياً بالنسبة لفوزك بجائزة اللوتو الكبير ، فكان يجب علي أن آتي للتهنئة منذ أن انتشر الخبر في البلدة ، و لكنني أحببت ألا آتي حتى تنتهي كل هذه الوفود التي تزوركم ، أنت تعرفني جيداً ، لا أحب الاختلاط بالناس كثيراً " . بعد قليل جاءت الشاي فصب سام كأسين ، له و لأستاذه و قال له " ما رأيك يا أستاذ بالذي حصل معي ؟ " رشف الأستاذ من كأس الشاي الساخن و أخذ حجة من سيكارتته ، فكر قليلاً ثم قال " إنها حكمة الحياة يا سام ، أنت الذي كنت تكره المال ولا تأبه به ، و لا يساوي عندك شيئاً ، و لم تبحث عنه في يوم من الأيام و لم تجر وراءه ، جاء إليك بكل عظمته و جبروته و انحنى أمامك صاغراً ، هكذا من دون سبب ولا مقدمات ، في حين استعصى على معظم الذين طلبوه و سعوا إليه لاهئين متذللين ، فابتعد عنهم مترفعاً ... إنني أرى في ذلك نوعاً من الحكمة يجب استخلاصها و الاعتبار بها " - " ربما كلامك صحيح يا أستاذ و لكنني أنا من طلب الحصول على الجائزة الكبرى " - "ماذا !!!!؟؟؟؟" قال الأستاذ مستغرباً و مستهجنأ . و هنا ارتبك سام قليلاً و أحس أنه تسرع بالكلام ، و لكنه عدل الموقف قائلاً " أقصد يا أستاذ إنني في الآونة الأخيرة كنت أتمنى أن يكون معي المال ، ولذلك اشتريت بطاقة اللوتو " . نفث الأستاذ الدخان في الهواء و قال محققاً بسام " و مع ذلك فإن هذه المصادفة الغريبة تدعو إلى التساؤل " . ارتبك سام مرة أخرى و قال بشيء

من الاضطراب " ماذا تقصد يا أستاذ؟؟؟ " . نظر الأستاذ إلى البخار المتصاعد من كأس الشاي و قال بهدوء " أقصد يا سام أن هذه هي حكمة الحياة كما قلت لك في البداية ، يعني أنه يوجد هناك أمور إن سعيت وراءها و ركضت نحوها ، فإنها تهرب منك و تبتعد عنك ، و إذا تجاهلتها و تركتها ، عادت إليك و اقتربت منك " - " ربما كلامك صحيح يا أستاذ ، أظن أنه يوجد شيء من هذا القبيل " - " بالمناسبة يا سام ، ماذا قررت أن تفعل بالمال ؟ " . رفع سام يديه في الهواء و قال ضاحكاً " لم يبق شخص إلا و سألني هذا السؤال ، يبدو أنه سؤال مهم " . رفع أستاذ الفلسفة كأس الشاي و رشف منه ثم حرك شفثيه متذوقاً حلاوته و قال " طبعاً إنه سؤال مهم يا سام ، و بخاصة بالنسبة لي " . استغرب سام و سأل قائلاً " لماذا !!؟؟ " - " لأن معظم الذين سألوك هذا السؤال ، سألوه من باب الفضول و الاستطلاع ، و لكن أنا أريد أن أعرف ماذا سيفعل سام الذي طالما كره المال و ابتعد عنه و نفر منه ، ماذا سيفعل بهذه الثروة الهائلة التي هبطت عليه فجأة ، إنه سؤال مثير لي فلسفياً ، و لهذا أريد جواباً فلسفياً " فكر سام قليلاً ، ثم فكر و فكر ، و أخيراً قال " في الحقيقة يا أستاذ ، لا أعرف ماذا سأفعل حتى الآن " - " ابتسم أستاذ الفلسفة و قال " قد توقعت منك هذا الجواب " - " لماذا؟؟؟ " - " لأنه شيء طبيعي يا سام إنك لن تعرف ماذا ستفعل بهذا المال " . حذق سام بأستاذ الفلسفة و قال له "أدري يا أستاذ ، لقد اكتشفت و أنا اقرأ هذه الكتب ، أن المال هو علم قائم بحد ذاته ، علماً أنني لم أقرأ حتى الآن سوى كتابين " - " هذا شيء طبيعي يا سام " - " و لكن ما هو السبب في ذلك ؟ " - " السبب برأيي ، هو نظرتك إلى المال على أنه لاشيء ، و غير مهم و لا معنى له ، بالإضافة إلى ابتعادك عنه طوال هذه السنين ، و هذا الأمر أدى إلى عدم معرفتك به و بمزاياه و أفعاله ، و لذلك عندما قرأت هذه الكتب ، فوجئت به ، و هنا يخطر ببالي مثال أو حادثة رويتها أنت لي " سأل سام باستغراب " ما هي !!؟؟ " - " عندما كنت في مؤسسة إلفا و اجتمع بك مسؤول شؤون الطلاب هناك و تناقش معك حول الماركسية و الرأسمالية ، قلت لي يوماً إنه نصحك بقراءة كتب آدم

سميث و غيره ، و أنت لم تأخذ بهذه النصيحة أظن أنه في هذه النقطة كان محقاً " وضع سام كأس الشاي على الطاولة بعد أن هم بشربه و قال " و لكن لماذا يا أستاذ ؟!؟!؟! " - " إذا لم أكن مخطئاً ، فإنه لاحظ عليك بأنه ليس لديك أدنى فكرة عن المال ، و لا عن المفهوم المالي أو الرأسمالي ، لقد قلت لي بإنك يومها أحسست بأنه أقوى منك في النقاش و الجدل ، لكن ما أريد الوصول إليه ليس هذا الأمر ، بل موضوع آخر ، هو مفهوم المال..... كان يجب عليك أن يكون لديك ثقافة مالية و اقتصادية حتى تحدد مفهومك للمال و طلبك له ، و هنا أيضاً يحضرني كلام المسؤول الثقافي في حزب الشعلة لك بأن المال موجود عندهم أيضاً كمفهوم ، و لكنهم يختلفون مع الرأسمالية في طريقة تكوينه و توزيعه ، بالمناسبة يا سام من نصحك بقراءة الكتب التي تقرأها الآن ؟؟ " - " إنه الدكتور بروكلمان " أشار أستاذ الفلسفة بإصبعه " إنه محق في ذلك " . سأله سام بفضول " لماذا ؟ " - " لأنه يجب عليك أن تقرأ هذه الكتب ، لأن المفاهيم الأخرى أصبحت بالية " . استغرب سام و قال " و لكن كيف يا أستاذ !!؟ " - " ألا تسمع ما يحصل الآن في الاتحاد السوفييتي ؟؟ " - " نعم أسمع ، و لكن أنت من يقول هذا الكلام يا أستاذ !!؟؟ " .

أطرق أستاذ الفلسفة إلى الأرض ، كان شكله يوحي بأنه حزين فعلاً ، ظل هكذا يجدد بالأرض تحت قدميه ثم قال " لأنهم خونة " . حدق سام بالأستاذ و سأله بفضول " من هم يا أستاذ !!؟؟ " ، بقي الأستاذ يجدد بالأرض و قال بنبرة حادة " أولئك الانتهازيون الضعاف النفوس " . أراد سام أن يستفسر أكثر من الأستاذ حول كلامه الغامض قليلاً ، أراد الكلام ، و لكنه فجأة لمح من على الشرفة شخصاً يقترب من المنزل ، فترك الكلام و أخذ يجدد به ، هو يقترب أكثر فأكثر ، فإذا به هو أندريه . هب واقفاً و صاح " يا إلهي يا أستاذ إنه أندريه ، إنه قادم إلى هنا ، يا لهذه المصادفة " . رفع أستاذ الفلسفة رأسه بهدوء و نظر إلى الشخص القادم و إلى سام و قال " و لماذا وقفت هكذا بفرح و سعادة ، هل نسيت هذا الموقف المتخاذل الذي وقفه معك في أثناء محنتك اجلس يا سام ، اجلس و لا تأبه به ، إنه لا يستحق منك أي احترام

، و أنا أقترح أن تطرده ، لأنه لم يأت إلى هنا إلا من أجل المال ، بعد أن عرف أنك رجحت جائزة اللوتو " -
" و لكن يا أستاذ " توتر أستاذ الفلسفة قليلاً فأخذ مجرة من سيكارتته و قال و الدخان يتصاعد من فمه
كأنه تنين هائج " اسمع يا سام ، لقد سألتني قبل قليل ، من هم الخونة ها هم .. انظر إليهم ، إنه
واحد منهم ، هل تظن أنه جاء إلى هنا ، لزيارتك و الاطمئنان عليك أم حباً بك و شوقاً إليك ؟ على
كل حال ابق أنت ساكناً و دعه لي ، أنا سأعرف كيف أتصرف معه " . توسل سام بقلق للأستاذ " أرجوك
يا أستاذ لا داعي للإساءة إليه ، إنه مهما يكن ، في بيتي " . نفث أستاذ الفلسفة مرة أخرى بدخان سيكارتته
و بشكل دائري متموج ، قال " لا تقلق يا سام ، إنني سوف أخرجك فقط ... هاهو قد دخل " .

دخل أندريه من البوابة الخارجية و ما أن رآهم حتى صاح بفرح " مرحباً أيها الأصدقاء ، يا لها من مفاجأة
سارة أن ألتقي أستاذنا الكبير هنا " و قف سام بسرعة و صافح أندريه الذي عانقه " أهلاً بك يا أندريه
تفضل " . مد أندريه يده إلى أستاذ الفلسفة و اقترب منه ليعانقه و لكن الأستاذ اكتفى بمصافحته ببرود
فقط . جلس أندريه على الكرسي و قال " اسمح لي أن أهنتك من كل قلبي على فوزك بجائزة اللوتو الكبير
يا سام ، لقد فرحت لك من كل قلبي " . و هنا نظر أستاذ الفلسفة إلى سام و غمزه بعينه ، ثم قال " إن
صديقك أندريه يا سام ، مخلص جداً ، فقد تجشم عناء السفر و المجيء إلى هنا لتهنئتك بالجائزة الكبرى " .
التفت سام إلى أندريه و قال له و هو يحاول السيطرة على الموقف " كيف حالك يا أندريه ؟ و ماذا تعمل
الآن ؟ " - " بخير يا سام ، حالياً لا أعمل شيئاً ، و أحياناً أقضي بعض أوقاتي في مقر الحزب " . و هنا علق
أستاذ الفلسفة " بالمناسبة يا أندريه ، ما هي أخبار الاتفاقية العسكرية ، لقد سمعت أنه تم توقيعها ، كيف
تسمحون بذلك !!! ؟؟ " . اعتدل أندريه في جلسته و قال " إنه المال يا أستاذ ، لقد حاولنا منع ذلك و
دافعنا باستماتة و لكنهم اشتروا بعض النواب المستقلين بالبرلمان " . ضحك أستاذ الفلسفة و قال " لقد

أعجبتني كلمة استماتة تلك و على كل حال إذا كان الأمر كذلك ، فقد حلت المشكلة ، فسام قد أصبح معه المال و بواسطته يمكن شراء هؤلاء النواب أنفسهم ، يجب عليك يا سام عندما تستلم المال بعد شهر أن تقوم بتحويله إلى حساب حزب الشعلة ، ليقوم الرفاق هناك بشراء النواب المزعومين " . تدخل سام مرة أخرى لضبط الأمور " لو كان بإمكانني يا أستاذ ، لما قصرت ، أنت تعرف ، لقد تم التوقيع على الاتفاقية و انتهى الأمر " . و هنا هتف أندريه بحماس و قال " هناك أمور كثيرة تستطيع أن تساعد الحزب فيها يا سام " . نظر أستاذ الفلسفة إلى أندريه و قال و هو يبتسم بتهكم " يبدو أنك لم تسمع الأخبار الجديدة يا أندريه " - " أية أخبار !!؟؟ " - " إن سام لم يعد يفكر بالانتساب إلى حزب الشعلة و العمل فيه " . انتفض أندريه و قال بذهول "مستحيل ، إن سام رفيق مؤمن بقضية الحزب و نضاله ، أكيد أنك لن تدعه يفعل ذلك يا أستاذ " . لم يتمالك الأستاذ نفسه من الضحك و قال " المشكلة يا عزيزي أنني أنا من يؤيده في ذلك " - " مستحيل ، و لكن لماذا !!؟؟ " - "لأنني أنا نفسي غير مقتنع بهذا الحزب " فوجئ أندريه بهذا الكلام و قال بذهول " إنني لا أصدق ما أسمع ، تكلم يا سام قل شيئاً " . نظر أستاذ الفلسفة إلى سام و قال " سام لا يستطيع أن يقول شيئاً ، لأنني أنا هنا الناطق باسمه " . تدخل سام مرة أخرى ساكباً المزيد من الماء البارد على كلام الأستاذ الساخن و قال " إن الأستاذ هذه الأيام يحب الدعاية يا أندريه " . بدا على أندريه الانزعاج و قال بفتور " بالمناسبة يا سام إن المسؤول الثقافي بالحزب ، يبعث إليك بتحياته " نظر أستاذ الفلسفة إلى سام و قال له " هل هو المسؤول الثقافي نفسه الذي أخبرك يا سام و هو عابس في وجهك عندما ذهبت إليه حزينا متألماً ، إن الاتفاقية العسكرية قد تم التوقيع عليها بسبب المال ، و إنك شخص غريب الأطوار " . أطرق سام إلى الأرض و قال "نعم " - " يبدو أنه كذب عليك يا سام و أخفى عنك الحقيقة ، لأنه لم يقل لك إن المال قد دفع لنواب من حزب الشعلة أيضاً ليوافقوا على الاتفاقية أو يسكتوا عنها أو يمتنعوا عن التصويت ، قال لك أن المال هو السبب ، و لكن لماذا لم يقل مثلاً لك إن الخيانة هي

السبب ، خيانة الحزب و المبادئ " انتفض أندريه بانفعال و قال " ما هذا الكلام يا أستاذ ، إنني لا أسمح لك بالتطاول على الحزب " . زجر الأستاذ بغضب " و من أنت حتى تسمح لي بالتطاول أو لا تسمح " . و هنا تدخل سام لضبط الأمور ، و لكنه هذه المرة فقد السيطرة على الوضع حيث نظر أندريه إلى أستاذ الفلسفة و قال له بغضب " أنا عضو في هذا الحزب و أعمل لخدمته و مبادئه ، أنت .. من أنت حتى تتكلم عن حزب لست منه أصلاً و لا تعرف عنه شيئاً؟؟ " . رد أستاذ الفلسفة بغضب واضح و قال " هذا الحزب الذي تدعي أنك منه و تعمل لأجله و الذي لا علاقة لك به ، انتميت أنا إليه و حاربت في صفوفه قبل أن تلدك أمك ، أما الانتهازيون و المتطفلون عليه أمثالك و أمثال هذا المسؤول الثقافي الذين أسأؤوا إليه و أصابوه بالشلل و الجمود و التوقع ، هم الذين لا علاقة لهم به و لا يعرفون عنه شيئاً " . عاد أندريه للكلام مرة أخرى ، و لكن أستاذ الفلسفة قاطعه بجزم قائلاً " اسمع .. إذا أردت أن تستعرض موهبتك الخطابية أمامي ، فإنني أنا أبو الخطابات ، و لذلك أنصحك بالانسحاب بهدوء و العودة من حيث أتيت .. لو كان عندك ذرة شرف لما تخليت عن سام ، صديقك الذي أحبك من كل قلبه و أحب الحزب بإخلاص و عمل لأجله من دون مقابل ، فجئت أنت لتشوه له هذه الصورة بتخليك عنه في أشد أزماته ، و أصعب ظروفه ، و أنت السبب في استدراجه إلى كل ذلك " . أدرك أندريه أنه في جو معاد ، فنهض قائلاً " يبدو أنني أخطأت بالجيء إلى هنا " . نهض سام أيضاً و قال بارتباك " اعذرني يا أندريه و لكن الوضع مضطرب قليلاً " . لملم أندريه نفسه و قال و هو يغادر بسرعة " لا بأس يا سام ، لا بأس " .

عندما غادر أندريه ، التفت سام إلى أستاذ الفلسفة و قال " لقد قسوت عليه يا أستاذ " - " لا يا سام ، إنه شخص تافه فاسد ، لقد تحريت عنه و عن هذا المسؤول الثقافي الذي يتبجح به بوقاحة أمامنا ، إنهما من الأشخاص التافهين الوصوليين " . تساءل سام بفضول " و لكن هل صحيح هذا الذي تقوله يا أستاذ؟ " - " "

طبعاً ، طبعاً يا سام ، هناك انقسام خطير بالحزب و بخاصة بعد توقيع الاتفاقية ، ظهر بموجه تياران ، تيار لا يزال يحافظ على مبادئ الحزب و يدافع عنه ، و تيار انهزامي مذئذب ، يدعو إلى تغيير مبادئ الحزب تحت شعار الاعتدال ، و هذا التيار ظهر بالحزب منذ نشوئه و أخذ ينخر به مثل السوس تماماً ، و الآن قوي و نما و استفحل أمره و هيمن على الحزب ، و بخاصة بعد الأحداث التي حصلت و تحصل الآن في الاتحاد السوفيتي و منظومة الدول الاشتراكية ، و هذان الاثنان من هذا التيار الذي تواطأ و وقع الاتفاقية ، ألم تلاحظ كيف انتفض غاضباً عندما ذكرت له موضوع الخيانة و توقيع الاتفاقية ، لأنه عرف أنني أعنيه " . رفع سام يديه متسائلاً " و لكن أندريه كان دائماً من خصوم الاتفاقية و بخاصة عندما كنا في الجامعة ، إنني اعرف هذا جيداً " . هز أستاذ الفلسفة رأسه بسخرية قائلاً " كان هكذا ، لأن تلك التغيرات لم تكن قد حصلت بهذا الشكل السريع ، و لذلك فإن هذا التيار المتخاذل ، لم يجرؤ على عمل أي شيء ، و بقي يتربح الأحداث و الظروف و المتغيرات " . صمت سام يفكر ، ثم قال " ربما أنت على حق يا أستاذ ، لقد تذكرت الآن كيف كان المسؤول الثقافي يتكلم معي بسخرية و ازدراء ، و أندريه ، نعم أندريه ، لقد اختفى تماماً و لم يفكر حتى بزيارتي ، علماً أن الدكتور بروكلمان أخبره بنفسه عن وضعي ، مستحيل أنا لا أصدق يا أستاذ ، و لكن لماذا ؟ " - " المال ، المال يا سام ، إنه يفعل كل ذلك " . سرت قشعريرة ممزوجة بالخوف في جسد سام ، فكر في داخله " يا إلهي ، بعد فترة سأمتلك هذا المال الذي يفعل كل هذه الأشياء " .

استمر سام بقراءة الكتب و المجلات التي كانت معه ، و بدأ يكتسب ثقافة تجارية و مالية لا بأس بها ، كان لديه بعض الاستفسارات و الأمور التي استعصى عليه فهمها فكان يسجلها على ورقة خاصة ، ليسأل الدكتور بروكلمان عنها فيما بعد ، و لكن و مع مرور الوقت تكون لديه إحساسان جديداً ، كل الجدة

عليه بشأن المال ، أحدهما هذا الذي ظهر له من خلال قراءته لهذه للكتب التي بيّنت له أن المال هو علم و مفهوم كبير ومتشعب ، و بينت له الكثير من العمليات و الأمور المالية و التجارية التي لم يكن يعرفها أو يسمع بها ، هذا الإحساس أظهر له أهمية المال الحياتية في العالم كله و قد أحس به بشكل واضح ، و هذا الإحساس جعله في موضع رهبة من المال . أما الإحساس الآخر فقد كان إحساساً خفياً نوعاً ما ، و تجلّى له من خلال زيارات الناس له ، و اهتمامهم المتزايد به و احترامهم له ، في الماضي كان الناس يحترمونه و يقدرونه لأخلاقه و تفوقه ، و لكن برز الآن احترام من نوع خاص ، اهتمام له نكهة لذيذة اهتمام يعطي نوعاً من الشعور بالعظمة و الأبهة . و مع اقتراب موعد تسلم المال ، بدأ سام يحس برهبة حقيقية من هذا المجهول القادم إليه ، أحس بأن المال هو كائن مثله ، يتحين اللحظة التي يأتي فيها إليه لينقض عليه . ذات يوم و عندما اقترب موعد استلام المال ، رأى في منامه حلمًا غريباً ، كان يمشي في طريق برية مظلمة و فجأة كأنه لمح من بعيد بقعة مضيئة ، اتجه نحوها ، و كلما اقترب منها أكثر فأكثر ، سمع أصواتاً و جلبة ، و عندما اقترب لمسافة معينة ، رأى أمامه صالة كبيرة مضيئة ، كأنها سيرك أو حلبة أو ما شابه ، و فجأة خرج منها أناس كثير ، ضاحكون و فرحون و ركضوا باتجاهه و هم يصيحون بصخب و هستيرية " هيه ، جاء البطل ... جاء المصارع ... جاء الملاكم حملوه ، هيا حملوه ، لنذهب به إلى الحلبة سام الشجاع هيا بنا هيا بنا " . و صلوا إليه و حملوه فوق أكتافهم و ركضوا باتجاه الصالة و هم يصيحون بفرح و هستيريا " هيا يا سام ، هيا يا بطلنا ، اقض عليه ، اقض عليه " كان سام مذهولاً و هو محمول فوق الناس و هم يركضون به بجنون ضاحك صاحب حتى دخلوا في الصالة ، كانت عبارة عن حلبة قتال ، نظر سام إلى الأعلى و رأى لوحة كبيرة عليها صورته و مكتوب تحتها اسمه ، و بجانبها صورة لكائن خرافي له رأسان و أذرع و ألسنة ، و تحت صورته كُتب " المال " . وضعوه على المنصة و عادوا إلى أماكنهم و هم يصيحون و يهتفون بجنون ، بقي سام وحده في الحلبة و الناس تحته يصرخون ، كان الزعيق و

الصياح يملأ المكان ، و سام يلتفت حوله مبهوراً بذهول ، و فجأة خرج إلى الحلبة ذاك الكائن الأسطوري ذو الرأسين و تقدم نحو سام الذي تراجع إلى الورا مدعوراً ، بدأ الهتاف و الصراخ و الزعيق و التصفيق يشتد في الصالة ، و لم يلبث ذاك الكائن أن انقض على سام و رفعه بين ذراعيه في الهواء ، كان أحد رأسيه عابساً بغضب و مكشراً عن أنيابه ناشباً إيها في جسد سام ، و اليد المقابلة له تكيل اللكمات لسام ، أما الرأس الآخر فكان بشوشاً مبتسماً لطيفاً يلحق وجه سام بمحبة و لطف و اليد المقابلة له تربت على جسده و تمسده بلطف ، ، شيئاً فشيئاً أزداد الصراع بين الرأسين ، فأخذ الأول يعض سام و يلكمه بقوة و عنف و يشده نحوه ، و الثاني يلعبه بشراهة و يربت عليه بسرعة . اشتد الصراع بين الطرفين و ازداد الشد و الجذب بينهما ، حتى انشطر سام نصفين ، وهنا استيقظ مدعوراً من نومه . نفض رأسه ، و أخذ يمسح العرق المتصبب بغزارة فوق جسمه ، نهض من فراشه ببطء شديد ، و ذهب إلى الشرفة الخارجية للمنزل ، ما أن وصل إلى الباب ، حتى تراجع ، كان الخوف يملكه ، غسل وجهه و دخل إلى المطبخ ، أعد كأساً من الشاي و جلس يفكر ... ظل هكذا يفكر حتى انبلج الصباح .

مضى الشهر ، و قبل يوم واحد من موعد استلام سام للمال سافر إلى العاصمة . و عندما وصل بعد الظهر ، توجه إلى مؤسسة المعلم رالف الذي استقبله بترحاب شديد ، لم يكن الدكتور بروكلمان قد أتى ، فجلس سام و المعلم رالف يتحدثان . " آه أيها المعلم ، هناك أمور كثيرة أريد أن افعلها ، و بخاصة في الجمعية هنا ، أريد أن أتبرع بمبلغ من المال لهذه الجمعية التي احتضنتني و علمتني فعل الخير لكل الناس ، و جعلتني أرى بنفسني الناس الذين هم بحاجة للمساعدة " . هز المعلم رالف رأسه بفخر و اطمئنان و قال " إن هذه المؤسسة يا سام ، لا تريد منك أي شي ، إنها ترحب بك و تريدك أنت ، أنت أهم من المال يا سام ، و هذه المؤسسة هي مؤسستك " . شكر سام المعلم رالف على عواطفه النبيلة و مشاعره الطيبة و قال له "

أنت تعرف يا معلم أنني سأستلم المال غداً بشكل رسمي، و هذا المال أريد أن أستغله في عمل الخير ، و أريدك أن تساعدني في هذا المجال ، فأنت خير من أعتمد عليه و أطلب منه المعونة " - " إن عمل الخير يا سام له أوجه عدة ، و لا ينحصر في مجال واحد ، و هذا ما يحصل هنا عندنا في الجمعية ، و أظن أنك رأيت ذلك بنفسك . أهم شيء أن تعرف أنت ماذا تريد بالضبط ، من تريد أن تساعد ، هناك مساعدة الأفراد و مساعدة المؤسسات و الجمعيات ، هناك مساعدة غذائية و مساعدة اجتماعية و مساعدة ثقافية و علمية ، كل هذا موجود عندنا ، و سنساعدك هنا في الجمعية ، في أي نشاط تختاره " فكر سام قليلاً ثم قال " و أي نشاط تقترح علي أن أقوم به يا معلم " . وضع المعلم رالف يده على ذقنه و قال بعد تفكير " أنا برأيي ، طالما أنك أصبحت الآن تمتلك المال بهذا الكم الكبير و الواسع ، فإن أفضل نشاط لك ، هو النشاط المالي ، أي في مجال التبرعات للأفراد و الجمعيات ، و نحن سنساعدك في هذا المجال " .

في ذلك المساء اتصل سام بالدكتور بروكلمان و اتفقا على الذهاب غداً لاستلام المال . في تلك الليلة بقي سام متوتراً ، كان لديه شعور الرهبة بأنه مقدم على عالم غريب ، و في الوقت نفسه كانت لديه الرغبة للحصول على المال ، الرغبة في التعرف على المال ، و لهذا لم يأت صباح اليوم التالي ، حتى كان سام قد استيقظ باكراً ، ذهب إلى الحديقة و جلس بانتظار الدكتور بروكلمان . بدأت الأفكار تتوارد إلى مخيلته ، ماذا سيصنع بالمال و كيف سيتصرف به . لم يعد يفصله عن المال إلا ساعة واحدة ، أخذ يفكر و يفكر ، كان مضطرباً قليلاً ، و لهذا جلس ينتظر . في الساعة الثامنة ، وقفت سيارة الدكتور بروكلمان أمام الجمعية ، و ترجل منها الدكتور ، دخل إلى الحديقة و رأى سام بانتظاره . " أراك هنا يا سام ، هل أنت جاهز ؟ " - " نعم " - " هل الأوراق كلها معك ؟ " - " نعم " - " أين المعلم رالف ؟ " - " أظن إنه في الداخل ، لديه اجتماع مع موظفي المؤسسة " - " حسناً يا سام ، هيا بنا لماذا أنت مضطرب هكذا تشجع ،

يجب أن تكون الآن سعيداً ... هيا بنا " . انطلق الاثنان إلى البنك ، و هناك استرد سام الشيك الموجود كوديعة ، و بعد ذلك انطلقوا إلى البنك المركزي ، و هناك تم تحويل المبلغ كله إلى حساب سام في البنك الخاص ، و مرة أخرى عادوا إلى البنك، حيث أعلم المدير سام بوصول التحويل من البنك المركزي " تهانيّ الحارة يا سيدي ، أصبحت الآن تملك عشرة ملايين دولار ، و أنت حر التصرف فيها كما تشاء" . و هنا انتاب سام شعور غريب لم يستطع تفسيره أو إدراك كنهه ، مزيج من القشعريرة و الفرح و الخوف لم يستطع تحديده ، أحس و كأن هناك شيئاً غريباً يسري في أنحاء جسده كلها .. كأنه مصبل وريدي .

عندما خرجا من البنك ، سأله الدكتور بروكلمان " أين تريد أن نذهب الآن يا سام ، هل نعود إلى مؤسسة المعلم رالف " . كان تفكير سام مشوشاً قليلاً ، وقف على الدرج المؤدي إلى الشارع و التفت إلى الدكتور بروكلمان و قال " لا يا دكتور ، ليس الآن الآن أريد أن أجلس معك جلسة مطولة وحدنا ، أريد مكاناً مناسباً " . تتمم الدكتور بروكلمان " حسناً ، أصبح وقت الظهيرة الآن ، ما رأيك أن نذهب إلى أحد المطاعم و هناك نتحدث ؟ " - " هيا بنا " . في المطعم جلس سام و الدكتور بروكلمان على إحدى الطاولات ، ابتداءً سام الكلام " عزيزي الدكتور بروكلمان ، أنا الآن أصبحت أملك ثروة ضخمة ، و هذه الثروة جاءتني بشكل مفاجئ لم أكن أحسب له حساب ، لم أكن مهيباً له ، و لذلك طلبت منكم العون ، أنت و المعلم رالف ، و بالذات أنت ، كون المعلم رالف ، مختصاً فقط بأمور معينة ، أما أنت فمجال إطلاعك واسع و شامل ، بالإضافة إلى كونك مستشار المعلم نفسه ، و ثقافتك الكبيرة و أخلاقك العالية ، هي التي جعلتني ألجأ إليك ، لذلك أرجو أن تتكرم و تقبل أن تكون مستشاري الثاني ، و المعلم رالف مستشاري الثالث " . وضع الدكتور بروكلمان ذراعيه على الطاولة و أسند ذقنه عليهما و قال " بكل سرور يا سام ، و أنا جاهز لأي مساعدة أو خدمة و لن أتردد في هذا الأمر ، تأكد من ذلك و لكن

بما أنني أنا المستشار الثاني ، و المعلم رالف المستشار الثالث ، فهناك إذا مستشار أول ، فمن هو هذا المستشار؟؟ " . صمت سام قليلاً و قد أدرك أنه تسرع بالكلام و وضع نفسه في مأزق ، فقال ضاحكاً " لقد عنيت نفسي يا دكتور . فانا أعد نفسي مستشاراً لنفسي ، ما رأيك بهذا ؟ " . لم يقل الدكتور بروكلمان شيئاً و لكنه نظر في عيني سام محققاً ، نظرة دلت على عدم اقتناع . عاد سام للكلام مرة أخرى " أريد منك الآن يا دكتور خطة أو برنامج عمل متكامل ، لأكون مؤهلاً بشكل كامل للتعامل مع هذا الوضع الجديد" . كان الغداء قد وضع على الطاولة فبدأ الاثنان يأكلان و يتحدثان . قال الدكتور بروكلمان " اسمع يا سام ، هناك ناحيتان ، أو أمران مهمان بالنسبة لك حتى تحرق أو تختصر مراحل عدة لتصبح مؤهلاً للتعامل مع هذا المبلغ الضخم الذي أصبح بجوزتك الآن ، هذان الأمران يجب عليك أن تسير بهما بشكل متوازن و متساوٍ ، في الوقت نفسه أحدهما هو الخبرة النظرية ، و الآخر هو الخبرة العملية (كان سام ينصت باهتمام للدكتور بروكلمان الذي تابع كلامه) الناحية النظرية هي قراءة الكتب و المجالات الاقتصادية و المالية ، و أظن أنك قطعت شوطاً في هذا المجال و لكن ذلك غير كافٍ و لا بد لك من المتابعة و المواظبة ، أما الناحية العملية ، فتنقسم إلى قسمين ، قسم اجتماعي أو شخصي ، و قسم تجاري ، القسم الاجتماعي هو الأمور المهمة بالنسبة إليك للقيام بأعمالك ، كقيادة السيارة و الكمبيوتر و التللكس و الفاكس ، بالإضافة إلى مقر أو مكان لك كالبيت و المكتب ، أما القسم التجاري فهو القيام ببعض العمليات المالية بنفسك " . سأل سام باهتمام " و كيف ذلك يا دكتور ؟ " أجاب الدكتور " مثلاً أنت الآن ماذا تريد أن تفعل ، أو ما هو أول أمر قررت أن تفعله عندما استلامك للمال ؟ " . أجاب سام بسرعة " أول شيء هو مساعدة أهلي مالياً ، و بعدها سكان بلدي " . وضع الدكتور بروكلمان الشوكة و السكين من يديه و قال لسام " إذاً هذا الأمر يقتضي منك أن تقوم بعملية تحويل مبلغ معين تقدره أنت ، إلى أحد البنوك في مقاطعة الشمال ، و الأفضل أن يكون فرع البنك المتحد في الشمال ، و الغاية من هذه

العملية توفير عملية نقل المال معك إلى هناك ، فضلاً عن الأخطار التي قد تنجم عن ذلك ، و منذ الغد ستقوم بنفسك بذلك لتكسب الخبرة ، و كل عمليات الشراء التالية ، ستقوم بها أنت " . فكر سام قليلاً و قال " و هذه الأمور كيف سأقوم بها وحدي " - " سأكون أنا معك يا سام " - " هناك أمر آخر " - " ما هو ؟ " - " المعلم رالف يطلب مني القيام منذ الآن بالأعمال الخيرية ، و أنا أريد تأجيل هذا الأمر حتى أنتهي من هذه الأمور كلها ، فماذا أفعل " - " حسناً ، دعه لي ، أنا سأقنعه " . استمرت المحادثة بين سام و الدكتور بروكلمان لمدة أربع ساعات ، و بعدها عادوا إلى مؤسسة المعلم رالف الذي كان بانتظارهم . سألمهم بلهفة " لقد تأخرتم ، أين كنتم ؟ " . أجابه الدكتور بروكلمان " بعد أن قمنا بإجراءات استلام المال ، أحب سام أن يتجول في العاصمة " . و هنا سأل المعلم رالف " متى سنبداً يا سام بالأعمال الخيرية ؟ " . تدخل الدكتور بروكلمان قائلاً " أنا أقترح يا معلم أن نعطي سام فترة من الوقت ليساعد أسرته أولاً و ليرتب أموره و يكتسب بعض الخبرات ، قبل أن يبدأ بالأعمال الخيرية " . حك المعلم رالف رأسه و تتمم قائلاً " نعم ، ممكن ، ممكن "

في اليوم الثاني قام سام بتحويل مئة ألف دولار إلى البنك المتحد في الشمال ، يرافقه الدكتور بروكلمان و من هناك انطلق إلى البلدة واعدأ الدكتور بروكلمان بالعودة إلى العاصمة بعد الانتهاء من أموره هناك . و عندما و صل إلى البلدة قضى اليوم الأول بين أهله . في اليوم التالي نزل إلى المدينة ، و هناك ذهب إلى فرع البنك المتحد ، و قام بسحب مبلغ معين حول قسم منه إلى عملة بلده و الآخر توجه به إلى الحي القديم ، عاوده الشعور بالرهبة من جديد ، و لكنه كان يريد تنفيذ وصية الملاك بجذافيها و يعود مسرعاً إلى البلدة ، ازدادت ضربات قلبه عندما وصل إلى هناك ، دخل في الشارع ذاته الذي كان فيه بائع اليانصيب ، كان يجلس في مكانه نفسه ، اقترب منه سام وألقى عليه التحية . " أهلاً و سهلاً ، تفضل يا سيدي ، ماذا تريد

أن تشتري؟". نظر إليه سام متفحصاً لبرهة ثم قال " لا أريد أن اشتري ، بل أتيت لأقول لك إنني اشتريت منك منذ فترة بطاقة اللوتو الكبير و هذه البطاقة رجحت الجائزة الكبرى ، و لهذا جئت إلى هنا لأقدم لك مبلغاً من المال عربون شكر و تقدير كون البطاقة كانت منك أنتتفضل هذا المبلغ " . نظر البائع باستغراب و قال " ما هذا يا سيدي !!؟؟ " - " عشرون ألف دولار " - " عشرون ألف دولار ، يا إلهي ، من المؤكد أنك تمزح يا سيدي !!!!! " - " لا إنني لا أمزح تفضل أمسك هذا المبلغ " وضع سام المبلغ في يد البائع الذي قال له " إنني عاجز عن الكلام يا سيدي ، و لا أعرف ماذا أقول لك ... إنني شاكر لك من كل أعماق قلبي " . هز سام رأسه و قال للبائع " لا بأس ، لا بأس ، هذا المبلغ يقسم بالتساوي بينك و بين صديقك ، عشرة آلاف لك ، و عشرة آلاف له " . حذق البائع بسام و أمعن النظر فيه و قال باستغراب " صديقي !!؟؟ أي صديق !!؟؟!!؟؟ " - " لا أدري ، أنت تعرفه جيداً و الآن إلى اللقاء و مرة أخرى شكراً لك " قفز البائع من خلف كرسيه كالقرد و أمسك بذراع سام و هو يحذق به قائلاً " سيدي ، من أنت ؟؟؟ " . نظر سام إلى البائع بدهشة و قال له " لم افهم ؟؟ " . أخذ البائع يتلمس سام فاحصاً ، ثم ركع أمامه و قال "سيدي هل أنت ..." فقاطعه سام قائلاً " لا أعرف ماذا تقصد ، و لكن هذا هو المبلغ ، و الآن إلى اللقاء " سحب سام ذراعه من يد البائع و عاد أدراجه . صرخ به البائع " سيدي ، سيدي " ، فلوح له سام مبتعداً " إلى اللقاء ، إلى اللقاء"

عندما عاد سام إلى البلدة ، كان أول شيء فعله ، هو أنه ذهب إلى المصرف الزراعي فوراً ، و هناك قام بتسديد كامل القرض المتبقي ، و أخذ إيصالاً بذلك ، ثم أودع قسماً من المال في المصرف و عاد بالباقي إلى المنزل . كانت فرحة الجميع بانتهاء القرض كبيرة جداً ، جلس سام على الكرسي قبالة والده و قال له متنهداً " و أخيراً انتهى هذا الكابوس يا أبي " . أوما الأب قائلاً " نعم يا بني ، لقد كان كابوساً فعلاً ،

كابوساً علينا جميعاً إنني أتمنى يا ولدي أن يكون هذا المال بركة عليك و علينا جميعاً " . وقف سام و رفع ذراعيه في الهواء و أخذ يدور في الغرفة وهو ينظر إلى الجدران و يقول بفرح " و الآن يا أبي ، بدأ العمل ، سنبدأ على الفور بترميم المنزل و توسيعه ، سأساعدكم يا أبي ، سأساعد كل فقير محتاج في البلدة هنا ، و أريدك أن تساعدني في هذا المجال أنت و أستاذ الفلسفة " . سال الأب ابنه " و لكن كيف تريدنا أن نساعدك يا ولدي ، أقصد هل لديك طريقة معينة ؟ " - " طبعاً يا أبي ، فقد اكتسبت بعض الخبرة في هذا المجال عندما عملت في مؤسسة المعلم رالف ، و ما عليك سوى أن تدعو أستاذ الفلسفة للحضور اليوم مساءً ، لنقرر سوياً كيفية العمل ، أما الآن فسأنام قليلاً و بعد ذلك سأخرج " - " إلى أين يا ولدي!! ؟ " - " لدي عمل خاص أقوم به ، و الآن أستأذنك يا أبي ، نلتقي مساءً " .

بعد أن استيقظ سام من النوم أخذ حماماً دافئاً ، ثم لبس ثيابه و خرج ، كان أخوه و أخته جالسين في شرفة المنزل ، فأعطى لكل منهما مبلغاً من المال ، و انطلق نحو الغابة مسرعاً الخطى ، كان الجو لا يزال بارداً ، و الأشجار الحراجية الخضراء الكثيفة تعطر الجو برائحة مميزة ، الصمت و الهدوء كانا مخيمين على المكان . تقدم سام ببطء و حذر بين الأشجار حتى وصل إلى دغلة خضراء كثيفة فجلس على جذع شجرة يستريح من التعب ، و لكنه لم يكذب يستقر في مكانه ، حتى ظهر له الملاك ، فنهض من جديد " أهلاً بك أيها الملاك ، كنت أبحث عنك في كل مكان " - " اجلس يا سام ، لقد كنت بانتظارك ، عرفت أنك ستأتي أخبرني ، كيف جرت الأمور معك " - " لقد استلمت المال ، و أصبحت حر التصرف به ، و لقد نفذت ما طلبته مني بخصوص ذلك الرجل بائع اليانصيب ، و الآن سوف أباشر العمل و سأبدأ بمساعدة الناس المحتاجين و المعوزين ، و سيساعدني في ذلك عدد من الأصدقاء ، أفترض أنك مطلع على الموضوع ، و أنك راض عنه " - " نعم يا سام لدي إطلاع كامل على ما قمت به ، و أنا حتى الآن راض ، و لكن لي

ملاحظة صغيرة " - " ما هي؟! " - " أنت فقط تصرف بالمال ، ولا تدع أحداً غيرك يتصرف به ، أما المساعدون ، فعملهم فقط هو تقديم المشورة و النصيحة و الخدمة ، و إذا اقتضت الضرورة أن يتصرفوا بالمال ، فذلك يكون بعلمك أنت و معرفتك ، و تحت إشرافك ، لأن هذا المال جاء لك أنت ، و بناء على طلبك أنت ، و القرار دائماً في النهاية يكون قرارك أنت ، كن واثقاً من نفسك و أثبت شخصيتك على الجميع ، و لا داعي لأن تبوح بكل أسرارك أو خططك لكل مساعديك و مستشاريك ، بل كن مستمعاً دائماً ، و افصل مستشاريك بعضهم عن بعض ، و اجعل لكل منهم مجاله الخاص به الذي لا علاقة له بمجال الآخر " . هز سام برأسه موافقاً ، قال " كما تريد أيها الملاك ، و لكن هناك أمر مهم " - " ما هو ؟ " - " إن مركز عملي ربما سيكون في العاصمة ، فكيف أراك هناك؟؟ " - " الآن لن تراني هناك حتى تستقر أمورك و يتم تأمين المكان الملائم لظهوري ، و هذا الأمر أنا أقرره في حينها ، و حتى هذه الفترة ، يتم اللقاء هنا في هذا المكان ، فإذا أردت اللقاء تأتي إلى هنا ، و يفضل ألا يكون اللقاء إلا لأمر طارئ أو ضروري ، و كما قلت لك سابقاً ، اعتمد على الدكتور بروكلمان أكثر من غيره ، و الآن هل تريد شيئاً آخر يا سام؟" . فكر سام قليلاً ثم قال " لا أيها الملاك ، حالياً لا يوجد شيء " - " حسناً إذاً أتمنى لك النجاح و التوفيق ، ثابر منذ الآن ، و باشر العمل و إلى اللقاء " - " إلى اللقاء " .

عاد سام إلى المنزل ، و في الطريق كان يفكر " يبدو أن الأمور ستسير على ما يرام ، هذا هو المال إذاً ، يبدو أنه سيكون مناسباً لي تماماً ، كلام الملاك لي الآن منطقي و معقول ، يجب أن أطبقه بحذافيره " . عندما وصل إلى المنزل كان أبوه و أستاذ الفلسفة جالسين يتحدثان ، انضم سام إليهما ، و سرعان ما بدأ النقاش . " لقد أخبرني أبوك يا سام أنك تريد مساعدتي لك في مهمتك بتقديم العون للناس ، و أنا جاهز لذلك بطيبة خاطر ، و هذا شيء يسعدني و يشرفني " - " أشكرك من كل قلبي يا أستاذ إنك مثال الخير و

الأخلاق ، و أنا أطلب المساعدة منك لأنني أعرفك حق المعرفة و ثقتي بك كبيرة ، لطالما كنت ناصحاً
موجهاً لي في أمور كثيرة " . أشعل الأستاذ سيكارة كعادته عندما يبدأ النقاش بموضوع ما " حسناً يا سام
، و لكن هل لديك خطة معينة للقيام بهذا الأمر ؟؟ " . صب سام كأساً من الشاي ، و أخذ رشفة منه و
قال "نعم يا أستاذ ، والخطة تتلخص بأن تقوم أنت بإعداد لائحة بأسماء الفقراء و المحتاجين بالبلدة و
جوارها ، على الشكل التالي .. اسم رب العائلة التي يفترض أنها بحاجة للمساعدة ، وعمله ، و عدد أفراد
أسرته ، و أعمارهم و الحاجيات الأساسية التي يفترض أنهم بحاجة لها ، و سيقوم أبي بإعداد لائحة مماثلة
بالنسبة لعمال المصنع ، و لكن العبء الأكبر سيقع عليك أنت يا أستاذ لأن مجال عملك سيكون أكبر و
أوسع وربما متعب أكثر " . أوماً أستاذ الفلسفة برأسه موافقاً " إني مستعد لذلك يا سام ، و لا تقدر مدى
سعادتي ، منذ أن تقاعدت قبل ثلاث سنوات و أنا أجلس في المنزل من دون عمل معتزلاً الناس ، لقد
أعدت لي الحياة يا سام من جديد " . عدل سام من جلسته و قال " على كل حال أنا سأنزل إلى العاصمة
غداً ، و عندما أعود هل ستكون القوائم جاهزة ؟ " - " طبعاً طبعاً يا سام ، منذ الغد سأبدأ العمل " .

الحياة الجديدة

في اليوم التالي سافر سام إلى العاصمة ، وقد تبلور في ذهنه مشروع عمله الجديد ، أراد أن يكون جمعية خيرية خاصة به ، على غرار جمعية المعلم رالف ، تكون نواة لمؤسسة كبيرة ، تماماً كمؤسسة المعلم رالف . وقد أدرك أنه يلزمه أمور كثيرة ، و عملاً بنصيحة الملاك ، فإنه قرر أن يحتفظ بهذا الأمر سراً ، حتى يكون لنفسه فكرة جيدة ، و أساس اجتماعي قوي ، و لذلك سرعان ما انخرط في الحياة العملية تماماً كما نصحه الدكتور بروكلمان ، فقام بشراء منزل فخم في حي البرج الراقى ، و بدأ بتعلم أصول العلاقات العامة و التجارية و الاجتماعية و الثقافية ، فاشترى سيارة حديثة بعد أن تعلم القيادة ، و كرس معظم وقته لاكتساب الخبرة اللازمة له ، يساعده في ذلك الدكتور بروكلمان ، و لكنه مع ذلك لم يترك بلدته ، فكان ينتقل ما بين العاصمة و البلدة . كان في معظم الأحيان يتردد إلى مؤسسة المعلم رالف . وفي غمرة كل تلك الأحداث لم ينس صديقه جان ، فذهب إليه و ساعده في أمور المادية و دعاه للسكن معه في منزله ، و في الوقت نفسه سأل أيضاً عن أئدره ، و لكنه لم يعرف مكانه ، بذل جهداً في ذلك ، و لكنه لم يصل إلى أي نتيجة . فنسي الموضوع و تفرغ لأعماله الوليدة شيئاً فشيئاً ، و في كل هذه الأمور ، بدأت في حياته علاقات جديدة . كان الدكتور بروكلمان يأخذه إلى أماكن اجتماعية عدة كالنوادي و الأماكن

الاجتماعية ، و بحكم علاقاته ، قام بتعريف سام على أناس و أشخاص ذوي خبرة و مكانة اجتماعية في البلد ، و أمام كل ذلك ، و كل ما يحصل معه و يشاهده في حياته اليومية ، بدأت تتكشف لسام أمور كثيرة كان يجهلها في المجتمع ، أمور بينت له أهمية المرء عندما يكون لديه المال و أهمية أن يمتلك المرء المال ، كان سام قد بدأ يتعرف على عالم الترف و الأبهة في المجتمع ، و بالرغم من أنه قد أصبح يكوّن علاقات اجتماعية جديدة ، فإن الحلقة التي كونها لنفسه و التي تتألف من الدكتور بروكلمان و المعلم رالف و أستاذ الفلسفة و صديقه جان ، قد بقيت كما هي ، و بقي أشخاصها هم المعتمدين الرئيسيين لديه ، و شيئاً فشيئاً و نتيجة التعامل بشكل مباشر معهم ، بدأت تتكشف لسام أخلاقهم وصفاتهم ، أولهم الدكتور بروكلمان الذي كان بمنزلة مستشاره الرئيسي و الذي ساعده إلى حد كبير في تأسيس نفسه و الوصول إلى هذه المرحلة المتقدمة من المعرفة و الخبرة و الدراية ، حتى أحس سام بأنه قد أصبح إنساناً آخر . الدكتور بروكلمان كان مخلصاً له و يدلّه على الطريق السليم بأمانة و حكمة ، كان سام يحس بأنه وصل إلى هذا الوصول بفضلّه ، بالإضافة إلى ذلك فقد اكتشف فيه سام الثقافة الهائلة و سعة الاطلاع ، و هذا الكم الهائل من العلاقات العامة ، كان دائماً يقول في نفسه " معه حق المعلم رالف في أن يجعله مستشاره الخاص " . أما المعلم رالف فقد كان بالنسبة لسام المعلم و المرشد الروحي ، و كان كلامه معه كله عن الأعمال الخيرية ، كان من النوع الذي يجب أن تكون كلمته مسموعة لدى الآخرين ، و رأيه هو الذي يجب أن يفرض ، كان معتداً كثيراً برأيه ، و يعتقد أن كلامه هو الصواب ، و كان يتكلم بطريقة أبوية و بشكل يوحى لسامعيه بأن كلامه محسوم سلفاً ، و لم يكن يسمح لأحد أن يناقشه مطلقاً ، إلا الدكتور بروكلمان الذي كان يستأنس برأيه أحياناً ، لكنه و مع ذلك فإنه يعد نفسه مرشده الروحي ، أحياناً كان يثور و يفعل إذا أحس بمعارضة فكرية له ، إنه يعد نفسه مناضلاً من أجل الخير و الصلاح في المجتمع ، و عندما كان يجلس مع سام ، كان دائماً يضغط عليه من أجل القيام بالأعمال الخيرية ، مذكراً إياه بواجباته الدينية

. أما أستاذ الفلسفة المقيم في البلدة ، فقد كان رجلاً نحيلاً أشيب حليق الوجه ، وكان يكن كرهاً شديداً للأغنياء و يعتبر أن المجتمع هو فاسد و ألا أحد يستحق المصادقة ، كان يكره التملق و المداهنة و الرياء ، و لم يكن يجامل أحداً ، و نادراً ما كان يبتسم ، كانت له آراء متطرفة جداً و يحمل نوعاً من الحقد على المجتمع ، و لم يكن يثق بأحد ، و لهذا فقد تجنبه معظم أهالي البلدة ، و لكنهم مع ذلك ، كانوا يجربونه و يجترمونهم و يهابونه ، كان يعد نفسه مظلوماً و مغبوناً ، كان رجل سام في البلدة و يقوم بالأعمال الموكلة إليه على أكمل وجه و بشكل ناجح ، أما جان صديق سام فقد كان يتردد إلى منزله من حين لآخر ، كان سام يكلفه ببعض الأعمال و الخدمات ، فيقوم بها ، أحياناً كان ينام عند سام في المنزل و أحياناً أخرى يبقى فيه عندما يكون سام في الخارج ، فيتلقى الاتصالات الهاتفية ، عمله مع سام كان أشبه بالسكرتاريا . كانت هذه هي خلية سام و مجموعته المقربة ، أما عمل سام فقد كان بالدرجة الأولى يتمثل بالمساعدات و التبرعات ، كان يساعد المحتاجين و الفقراء من الناس ، و هذا العمل تركز في البلدة و العاصمة . ففي البلدة كان سام بالاعتماد على أستاذ الفلسفة يقدم المساعدات المالية الشهرية و التبرعات ، لكل الفقراء و المحتاجين ، سواء من البلدة أم من خارجها ، أحياناً كان يأتي إليه أناس من مناطق عدة في الشمال ، فيقدم لهم المساعدة دون تردد ، و منهم من لم يكن بحاجة فعلاً للمساعدة ، و مع ذلك فإن سام كان يقدم المساعدة بسخاء . أما في العاصمة فقد كان هذا العمل محصوراً بالمعلم رالف ، فكانت معظم التبرعات و المساعدات تتم عن طريق مؤسسته و تحت إشرافه و بناء على اقتراحه ، و هنا لم يكن للدكتور بروكلمان أي دور . هذه الأعمال جعلت لسام شعبية كبيرة بين الناس ، و جعلته محبوباً جداً منهم ، و هذا الأمر في البلدة كان أكثر منه في العاصمة ، بالرغم من أن حجم المساعدات في العاصمة كان أكبر منه في البلدة بشكل كبير ، و السبب في ذلك أن المعلم رالف كان وسيطاً بين سام و بين الناس ، و لهذا لم يكن سام يظهر على الشاشة تماماً ، بينما في البلدة كان سام هو الذي يقابل الناس و يعطيهم و يوجههم ، و حتى

في حال غيابه عندما كان أستاذ الفلسفة يقوم بهذا الدور ، فإن الناس كانوا يعرفون أن سام هو صاحب هذا المال . أما عمل سام الثاني فقد كان يتمثل باختلاطه بأجواء المجتمع في العاصمة ، و هذا العمل أدخله أيضاً في علاقات اجتماعية و جعل له أصدقاء محبين و معجبين كونه كان يصرف عليهم أحياناً ، و هذا العمل بدأ يدخله في أجواء المجتمع المخملية ، ذات الفخامة و الأبهة ، فكان يسهر في النوادي الاجتماعية الراقية و يكون صداقات من أصحاب هذه الطبقات ، فيعرف من عاداتهم و طباعهم مع بقاء شخصيته و طباعه القديمة ، هي السائدة . و هنا كان يعتمد على الدكتور بروكلمان و على صديقه جان ، و لم يكن للمعلم رالف أي دور . كان سام يطبق نصيحة الملاك له ، فهو قد عزل أستاذ الفلسفة عن أجواء العاصمة تماماً و لم يطلعه عليها ، و جعل عمله محصوراً فقط في البلدة ، و في الوقت نفسه عزل المعلم رالف عن البلدة و لم يطلعه على موضوع المساعدات التي يقوم بها هناك ، و عن طموحه في إقامة جمعية خاصة به ، و حتى في العاصمة ، كان عمل المعلم رالف مفصلاً عن عمل الدكتور بروكلمان ، فلم يطلعه كثيراً على ذلك ، بينما فقط أعطى الدكتور بروكلمان صورة عن كل أعماله سواء في البلدة أم العاصمة . انهماكه في أعماله كافة أعطاه نوعاً من الشعور بالمسؤولية و الأهمية ، ففي البلدة قام بتجديد منزل أسرته و توسيعه و تسويره من الخارج . المنزل القديم الصغير ذو السور الترابي المتهدم ، أصبح الآن داراً كبيرة مبنية بالحجر و حولها حديقة خضراء محاطة بسور حجري كبير .

ظل سام على هذا المنوال حوالي السنتين ، تطورت خلالهما علاقاته و صداقاته في المجتمع ، و تشرب جرعة كبيرة من العلاقات الاجتماعية و التجارية . هذا الأمر نجم عنه ، أن بدأ صراع خفي يظهر بين شخصية سام القديمة ، و شخصية سام الجديدة المكتسبة . صراع بين سام الملتزم المثالي القنوع و الذي لا يريد شيئاً من هذه الدنيا و الذي ينصاع لكلام من هم أكبر منه دون نقاش ، و بين سام صاحب العلاقات

الاجتماعية و المسؤول القادر و المتنور الذي أدرك أهمية المال في الحياة ، و صاحب النفوذ و القدرة و الاطلاع صراع بين سام صاحب الأصدقاء ، و سام صاحب الأتباع . هذا الصراع بدأ يجد طريقه إلى عقل سام ، الذي كان بينه و بين نفسه متشبثاً بشخصيته القديمة ، و لكن هذا الصراع النفسي كان يقلقه ، فسأل عنه ذات يوم الدكتور بروكلمان حين زاره في منزله . ضحك الدكتور و نظر إلى سام قائلاً " أرأيت يا سام عندما كنت تعمل عندي في العيادة ، كنت تسألني لماذا يأتي إلي الناس و هم يملكون المال ، وقتها أجبتك عن سؤالك بشكل علمي ، و قد تقبلته أنت ، و لكن لم تفهمه بشكل كامل، لأنك لم تحس به ، و شعورك الآن يا سام بالصراع الداخلي في نفسك ، هو الجواب الكامل على سؤالك الذي كنت قد سألتني إياه ذات يوم " - "هل أنا " . ضحك الدكتور بروكلمان و قال مقاطعاً سام " لا يا سام ، أنت لست مجنوناً و لا مريضاً نفسياً ، بل على العكس أنت رجل واع و مثقف و لا تنقصك الخبرة في أمور الحياة ، لا بل أنت الآن مؤهل لأن تدير أي مشروع أو شركة أو أي شيء آخر ، و مع ذلك لجأت إلي كطبيب في علم النفس ، و ليس كمستشارك الخاص ، و هذه هي أهمية علم النفس " . هز سام رأسه قائلاً " صدقت يا دكتور ، كلامك صحيح ، لكن برأيك ما هو سبب هذا الأمر الذي أشعر به ؟ " - " سببه يا سام هو أن شخصيتك الأولى إذا صح التعبير ، هي الشخصية الرئيسية و السائدة و المسيطرة عليك و التي لازمتك طوال حياتك ، و الآن و نتيجة لحصولك على مبلغ كبير من المال و الذي هو عامل تحول مفاجئ في حياتك ، أدى إلى تغيير في شخصيتك ، أو لنقل بروز شخصية جديدة في حياتك نتيجة تلك العلاقات الاجتماعية الحاصلة معك و التي هي جديدة كل الجدة عليك ، فنشأ لديك نوع من الخوف أو الحذر من هذه الشخصية الجديدة الوافدة عليك ، و السبب في ذلك هو أن الشخصية الأولى بالنسبة إليك تمثل المبادئ السامية و التي تعدها مقترنة بك بصفاتك ، فأصبح لديك نوع من الخوف أو لنقل تأنيب الضمير من ترك هذه الشخصية و الابتعاد عنها ، و لهذا أقول لك أن الأعمال الخيرية التي تقوم بها ، سواء هنا في العاصمة

عن طريق جمعية المعلم رالف ، أو في البلدة بمساعدة أستاذ الفلسفة ، هي التي تجسد شخصيتك الأولى وتعبر عنها ، و علاقاتك الاجتماعية و التجارية و ما يتبعها من مزايا ممتعة ، هي التي تكوّن لك شخصيتك الجديدة ، و تعبر عنها " . وضع سام يده على ذقنه و فكر لبرهة ، ثم سأل "و ما العمل يا دكتور ، هل هناك حل ؟ " - " الحل عندما يكون هناك مشكلة ، فهل لديك مشكلة في هذا الأمر ؟ " . رفع سام يديه و قال " المشكلة هي أنني أخشى أن تغلب شخصية على أخرى ، و بالذات الشخصية الثانية على الشخصية الأولى " . أصغى الدكتور بروكلمان بانتباه إلى سام و سأل " إن خشيتك من الشخصية الثانية يعني أنك ترى فيها مشكلة أو خطراً أو ضرراً بالنسبة إليك " - " لا ، لا ليس هذا ، و لكنه نوع من الخوف أو الحذر تماماً كما قلت لي منذ قليل ، إن كلامك صحيح تماماً " . سأل الدكتور بروكلمان سام مرة أخرى " الخوف و الحذر من ماذا يا سام ؟ " - " لا أدري إنه مجرد شعور " - " حاول يا سام أن تعرف بالضبط ، ما هو مصدر الخوف و الحذر " - " لا أدري بالضبط ربما هو مجرد شعور و إحساس و لكن برأيك يا دكتور ، هل الشخصية الثانية هي مشكلة لي ، أو ممكن أن تسبب لي مشكلة ؟؟ " . هز الدكتور بروكلمان برأسه نافياً " أنا شخصياً لا أظن ذلك ، و هذا الأمر على كل حال يتوقف عليك أنت ... هذه نقطة ، النقطة الثانية هي أن شخصيتك الأولى قد سببت لك في الماضي مشاكل كثيرة ، أما هذه الشخصية الجديدة ، فهي غير معروفة بالضبط حتى الآن ، و كما قلت لك .. هذا الأمر يتوقف عليك أنت ... النقطة الثالثة هي أن كل شيء يزيد عن حده أو يكون كبيراً بشكل مفرط ، سيتسبب بالضرورة بالمشاكل ، و هذا ما حصل لك تماماً عندما أفرطت في تقمص شخصيتك الأولى " . سكت سام و لم يجب ، كان يفكر بالكلام الذي يسمعه ، لم يعرف ماذا يقول ، رفع رأسه و سأل "ماذا تقترح أنت يا دكتور ؟ " - " أقترح أن تساوي بين الشخصيتين و توازن بينهما و تعيشهما معاً بشكل معقول ، من دون إفراط ولا تفريط ، و لا تجعل إحداهما تطغى على الأخرى أو تمحوها بل اجعلهما مكملتين لبعضهما ، لأن توازنهما

سيجعلك متوازناً بشكل طبيعي ، داخلياً و نفسياً ، ومن ثم فإن الشخصية التي ترى نفسك منسجماً معها أكثر ، هي التي سوف تفرض نفسها عليك بشكل تلقائي " . اضطرب سام قليلاً و قال بصوت متهدج " هل هذا هو الانفصام يا دكتور؟؟؟ " . ضحك الدكتور مرة أخرى و قال " لا ، لا يا سام أنت طبيعي تماماً ، و لكن نحن هنا نتحدثنا عن كلمة شخصية من باب المثال و التشبيه ، الانفصام هو أمر آخر مختلف تماماً عما نتحدث به و لكن هناك أمر آخر .. لا تعير هذا الموضوع أهمية كبيرة ولا تشغل بالك به كثيراً لأن ذلك قد يؤدي إلى مضاعفات أخرى سلبية " . سأل سام بسرعة " مثل ماذا؟؟؟ " - " لا شيء ، المهم ألا تهتم كثيراً ، عش حياتك بشكل طبيعي تماماً " . عاد سام إلى المنزل و هو يفكر بكلام الدكتور بروكلمان ، و قد قرر في النهاية أن ينفذ ما قاله له . عندما وصل أخبره جان أن المعلم رالف اتصل معه . تناول سام طعام الغداء مع جان ، ثم أخذ قيلولاً صغيرة و بعدها ، ذهب إلى المعلم رالف . " أهلاً بك يا سام ، تفضل ، لقد اتصلت بك اليوم و لم أجدك ، ألم يخبرك جان ؟ " - " بلى أيها المعلم ، لقد أخبرني " . وضع المعلم رالف أوراقاً كانت بيده على طاولة مكتبه و فكر قليلاً ثم قال لسام " ما رأيك يا سام أن تلقي بعض المحاضرات في القاعة الرئيسية " . فوجئ سام بهذا العرض . لم يكن يتوقعه ، ومع ذلك فإنه كان عرضاً مغريباً بعض الشيء . فكر قليلاً ثم قال " و لكن أخشى أيها المعلم ، ألا أستطيع " - " لماذا؟؟؟ " - " أخشى أنني لم أصل بعد إلى هذا المستوى ، و لو أنني أتمنى ذلك من كل قلبي " . نهض المعلم رالف من وراء طاولة المكتب ، وقال و هو يشير بيديه " من قال ذلك يا سام؟؟... على العكس إنك مؤهل تماماً ، لذلك ، و بخاصة بعد هذا الوضع الذي وصلت إليه ، لقد أعجبني نقاشك أول البارحة في الحديقة مع الباحث الذي كان هنا ، عن المال و الحياة و المجتمع ، هذا يدل على ثقافتك و سعة اطلاعك ، كما أن السيد جاكوب أخبرني ، أنك قد اطلعت على معظم الكتب الموجودة عندنا في المكتبة ، بالتالي فإنك أصبحت مؤهلاً لأن تلقي المحاضرات ، و بخاصة بعد هذا التحول الذي حدث لك في حياتك ، بحصولك

على المال و الثروة ، و أنت من أشد المعارضين لذلك ، هذا الأمر مجد ذاته ، تجربة مفيدة لك ، و في الوقت نفسه لغيرك ، عندما تحدثهم عن المال و عدم أهميته لك ، حتى بعد حصولك عليه ، يجب أن يعرف الناس ذلك يا سام أجل ، يجب أن يعرفوا ذلك ... كلهم يركضون وراء المال و يلهثون خلفه ، و لا بد من شخص يبين لهم خطأهم ، أنت خير من يفعل ذلك " . أطرق سام يفكر ، كان كلام المعلم رالف يحيط به من كل جانب ، ظل هكذا يفكر و المعلم رالف واقف و مستند إلى الطاولة و ينظر إليه . " ها ، ماذا قلت يا سام ؟ " . رفع سام رأسه و قال " أنا أتمنى ذلك من كل قلبي أيها المعلم ، و لكن ألا تعتقد أنك أفضل من يقوم بذلك ، مني أنا " . استقام المعلم رالف و تقدم نحو سام و جلس أمامه على الكرسي و حدق به قائلاً بهدوء " لا يا سام ، أنت صاحب تجربة ، كما أنك بالنسبة لهم مثلاً حياً و مقنعاً ، و بخاصة بعد امتلاكك هذا المبلغ الهائل الضخم من المال ، و لهذا فأنت خير من يقول لهم إن المال لا شيء ، هل تفهمني يا سام ، المال لا شيء ، هل فهمت قصدي ؟ " . هز سام برأسه قائلاً " نعم أيها المعلم ، لقد فهمت " . نهض المعلم رالف عن الكرسي و قال " عظيم ، إذن استعد ، يوم الثلاثاء القادم سيكون موعد المحاضرة ، عليك بتهيئة الموضوع من الآن ، و خلال ذلك سنناقش سوياً الأفكار التي ستكون موضوع المحاضرة " .

عاد سام إلى المنزل و هو يفكر في كل ما سمعه من المعلم رالف ، كان يحس بنوع من الفرح و السعادة و الأهمية ، كونه سوف يقف أمام حشد من الناس يلقي عليهم محاضرة ، و ليسوا أناساً عاديين بل منهم المثقفون و الدارسون ، و جميعهم ينصتون إليه باهتمام و صمت و يسجلون بعض الملاحظات الهامة على الدفتر ، تماماً كما يفعلون عندما يلقي المعلم رالف محاضرة المعلم رالف آه لو كان يستطيع أن يمتلك موهبته و قدرته على الكلام و الإنشاء و البلاغة و الإقناع إنه يتكلم بطريقة بليغة

أسرة ارتجالية و مقنعة و مملوءة بالثقة ، فترى الناس ينصتون إليه باهتمام و انتباه ، فكر في نفسه " إنها فرصة نادرة فعلاً كما قال لي المعلم رالف " و لكن كان هناك إحساس آخر ينتابه أيضاً ، إحساس خفي بأنه قد تغير شعوره نحو المال و فقد زخمه المعادي له ، كما كان في السابق ، أحس أنه لا يملك القدرة الكافية على مهاجمة المال و نقده ، كما كان يفعل في السابق ، أحس بأن لديه نوعاً من حب المال ، خاصة بعد أن ذاق حلاوته و شعر بأهميته . عندما جلس خلف الطاولة و حاول أن يكتب شيئاً عن المحاضرة ، أحس بالضيق الشديد ، أحس أنه على مفترق طرق حقيقي ، أحس أنه على المحك ، أحس أنه سينكشف تماماً ، تذكر كلامه في الصباح مع الدكتور بروكلمان عن الشخصيتين اللتين تتقمصانه فكر " و لكن هل من المعقول هل من الممكن أن مستحيل " ترك القلم فجأة من يده و كأن شحنة كهربائية قد مسته ، صرخ منادياً على جان " جان ، هل تستطيع تحضير كوب من النسكافيه من فضلك " . أتاه صوت جان من الغرفة المجاورة " نعم ، نعم ، يا سام ، سأفعل حالاً " . وضع سام القلم على الطاولة و أخذ يفكر ، ثم رفع سماعة الهاتف و طلب الدكتور بروكلمان .. "مرحباً دكتور ... أنا سام هل تستطيع الحضور الآن حسناً أنا بالانتظار " . أغلق سام الهاتف و صاح لجان قائلاً " أرجئ يا جان تحضير النسكافيه حتى يأتي الدكتور بروكلمان " . و هنا أتى جان من المطبخ " أرك مهموماً يا سام بعض الشيء " - " لا أدري ماذا أقول لك يا جان ، أحياناً تأتيك مشاكل لا تدري كيف تحلها " . جلس جان على الكرسي و سأل " هل هناك مشكلة يا سام !!؟؟ " - " سوف ألقى محاضرة في مؤسسة المعلم رالف ، عن المال و أثره في الناس و المجتمع و لا أدري كيف أصوغ موضوعها " . قهقهه جان ضاحكاً و قال " بسيطة ، أنا ألقيتها عنك " - " و ماذا ستقول فيها ؟ " - " سأقول إن المال هو كل شيء ، هو الذي يجلب السعادة و المتعة للإنسان و من دونه لا يمكن فعل أي شيء ، ما رأيك بذلك ؟ أليس موضوعاً رائعاً ؟ " . هز سام رأسه و مط شفتيه بإعجاب و قال " نعم ، نعم ، إنه موضوع شيق و رائع ، و لكن ما أن يسمعك المعلم رالف ،

حتى يقذف بك من النافذة أمام الجمهور " . قال سام ذلك و انفجر الاثنان ضاحكين . بعد قليل رن جرس الباب ، كان الدكتور بروكلمان . " أهلاً دكتور تفضل " - " ما الخبر يا سام ؟ " . سأل الدكتور باهتمام . انصرف جان إلى المطبخ ليحضر النسكافيه ، بينما جلس سام و الدكتور بروكلمان في غرفة الاستقبال . شرح سام للدكتور كل ما جرى بينه و بين المعلم رالف ثم أنهى كلامه قائلاً " إنني لم أصدق يا دكتور كيف بدأت بالمحاولة بالتوفيق بين شخصيتي القديمة التي طبعتني بطبعها طويلاً ، و بين شخصيتي الجديدة ، كما قلت لي أنت ، حتى جاء موضوع المحاضرة تلك ، ليفجر الخلاف من جديد و ليضعني أمام مأزق كبير " . أطرق الدكتور بروكلمان قليلاً يفكر ثم رفع رأسه و قال " ماذا تحس بالضبط يا سام ، أقصد ما هو الشيء الذي يزعجك في ذلك؟ " - " الذي يزعجني في ذلك يا دكتور ، هو أنني سوف أتحدث عن شيء قد لا أشعر به تماماً كما كنت في السابق ، و بمعنى آخر ، إنني سوف أتحدث ، أو يجب أن أتحدث عن المال بطريقة و قناعة معينة ، و في داخلي ربما طريقة و قناعة مختلفة ، لا ادري كيف يمكنني الوقوف أمام هذا الحشد من الناس و التكلم بشيء لا أحسه في داخلي ، هل فهمتني الآن يا دكتور ؟ إنني لا أصدق كيف هربت من التفكير بشكل مباشر أو غير مباشر بين شخصيتي القديمة و الجديدة ، لتأتي هذه المحاضرة و تضعني أمام خيار لا مفر منه ... خيار المواجهة " . كان الدكتور بروكلمان يصغي بانتباه إلى سام ، و عندما أنهى حديثه قال له " لقد فهمت الموضوع الآن يا سام ، و على كل حال سأطلب من المعلم رالف إلغاء هذه المحاضرة ، أو على الأقل عدم تكليفك أنت بإلقائها ... أو على أقل تقدير إرجاءها حتى إشعار آخر ، ريثما تكون قد تحضرت لهذا الموضوع جيداً ، نفسياً و عملياً " - " و أنا سأكون شاكراً لك من كل قلبي يا دكتور ، إنني لا أعرف من دونك ماذا يمكن أن يكون قد حل بي " . هز الدكتور بروكلمان برأسه و قال " سأحاول إقناع المعلم رالف بطريقة غير مباشرة ، لأنه يجب ألا يعلم أنك لا تريد ذلك ، أو أنك تشعر في داخلك بهذا الشعور ... بالمناسبة قل لي ، هل أخبرته بشيء من هذا ؟ " . حرك

سام يديه نافياً " لا ، لا يا دكتور ، إنني لا أجرؤ حتى " - " حسناً يا سام ، غداً سأرى ما يمكن عمله ، و أخبرك النتيجة " .

كان المعلم رالف يجلس في الحديقة وحيداً يتأمل العصافير التي تغرد فوق أشجار الكينا و الحور الطويلة ، عندما اقترب منه الدكتور بروكلمان . " أهلاً يا بروكلمان ، تفضل و شاركني التأمل " ضحك الدكتور بروكلمان و قال " لقد مللت من التأمل يا عزيزي ، يكفيني التأمل في مرضاي " - " ألا تدري إن التأمل هو غذاء فكري و روحي للإنسان ، و في الوقت نفسه راحة له " . وافق الدكتور قائلاً " نعم أعرف هذا ، و الطبيعة هي خير مكان لذلك ، و بخاصة إذا اقترن هذا الأمر مع الهدوء ، و على فكرة يا معلم ، إن هذا الأمر هو في بعض الأحيان جزء من العلاج النفسي ، فأنا دائماً أنصح مرضاي بالخروج إلى الطبيعة " - " كلامك سليم تماماً يا دكتور " . صمت الدكتور بروكلمان قليلاً ، و حك رأسه ثم نظر إلى المعلم رالف و قال " بالمناسبة يا معلم ، لقد قال لي سام إنه كان عندك قبل يومين " - " نعم ، نعم لقد كان هنا " - " أخبرني أنك كلفته بإلقاء محاضرة يوم الثلاثاء القادم " - نعم يا دكتور ، لقد كلفته بذلك ، و موضوع المحاضرة عن المال ، و هو خير من يقوم بذلك ، و بخاصة و أن له تجربة فريدة من نوعها " - " و لكن لا أظن يا معلم أنه مؤهل حالياً للقيام بذلك " - " لماذا يا دكتور !!؟؟ " - " أنت تعرف .. بعد حصوله على هذا المبلغ الضخم من المال ، قد لا يكون مهيباً من الناحية النفسية " . نظر المعلم رالف باستغراب إلى الدكتور بروكلمان و قال " إنني لا أفهم ما تقصده بالضبط يا دكتور .. هل قال لك شيئاً؟؟ " - " لا ، لا أبداً ، هذا مجرد رأي شخصي " . تفرس المعلم رالف في وجه الدكتور بروكلمان ، ثم سأله و هو يحاول قراءة ما بداخله " و هو كيف رأيت ، اقصد ما مدى استعدادك؟؟؟ " . اعتدل الدكتور في جلسته و قال " في الحقيقة أحسسته متهيئاً قليلاً " . و هنا أطلق المعلم رالف العنان لكلامه " طبعاً يا دكتور إنه سيكون

متهيئاً ، لأنها المرة الأولى التي يلقي فيها محاضرة أمام حشد من المثقفين و الدارسين و الباحثين ، فإن كان هذا ما تعنيه بالناحية النفسية ، فلا تشغل بالك ، إنه ما أن يبدأ بإلقاء المحاضرة و يشعر بالاهتمام و الإنصات من قبل الحضور ، حتى تعود له ثقته بنفسه و يزول خوفه ، كان يجب عليك أن تشجعه على هذا الأمر، ألم تفعل ذلك؟؟ " أجاب الدكتور و هو يشرح للمعلم رالف " أنا لم أقل له شيئاً ، بل فضلت أن أتكلم معك أنت إن فكرة إلقاء المحاضرة ، تتطلب خبرة طويلة و دراسة عميقة و مكتنفة حول موضوعها ، فبرأيك أنت يا معلم ، هل يمتلك سام كل هذه المؤهلات ؟ ... هنا السؤال " . رفع المعلم رالف يديه و استدار نحو الدكتور بروكلمان " إنه قد لا يمتلك هذه الخبرة و المؤهلات التي تتكلم عنها يا دكتور ، بشكل كامل كأني باحث أو مختص ، و لكنه ملم بها بشكل لا بأس به ، فهو مطلع متمكن ، و يملك ثقافة لا بأس بها ، و الأهم من ذلك كله يا عزيزي بروكلمان ، إنه يمتلك التجربة ، نعم التجربة ، تجربة الحرمان من المال ورفضه في الوقت نفسه ، و تجربة الحصول على المال و رفضه أيضاً في الوقت نفسه ، إنها تجربة فريدة يا بروكلمان و نادرة الحدوث ، و سام سيلقي المحاضرة كمتقف و صاحب تجربة و ماضي في هذا الأمر ، و تأتي أنت يا دكتور لتقول لي إنه غير مؤهل ، و أنت خير من يعرف سام " . عاد الدكتور بروكلمان للكلام " حسناً يا معلم و لكن برأيك هل سيتقبل الحضور كلام سام و يقتنعون به ، أو بالأحرى هل سيصدقونه و هو يتكلم بهذا الشكل عن المال، و بخاصة بعدما حصل عليه و بكمية كبيرة " انتفض المعلم رالف قائلاً " و لماذا لا يصدقونه !!؟؟ إن سام مثال صريح و واضح على ذلك ، كما أن قسماً منهم يعرفونه من قبل ، و بالإضافة إلى ذلك ، سأساعده أنا في صياغة الموضوع " أشار الدكتور بروكلمان بإصبعه إلى المعلم و قال " لا تنس يا معلم أن الحضور جله من المثقفين و الباحثين و أصحاب الاطلاع ، و ليسوا من الجهلة أو البسطاء ، و لديهم القدرة على ملاحظة أدق التفاصيل ، و نقد أصغر الهفوات ، خاصة إذا كان الموضوع يخضع للشبهة و التفسير و الظنون " أطرق المعلم رالف إلى الأرض

يفكر ، و بعد فترة صمت ، قال "ربما في هذا الأمر معك حق يا دكتور، و لكن لا أظن أن الوضع سيصل إلى هذا الحد، فكما قلت لك قبل قليل ، إن قسماً من الحضور يعرفون سام جيداً ، بالإضافة إلى أن أعمال سام الخيرية بعد امتلاكه هذه الثروة الضخمة تشهد له بذلك .. أظنك تبالغ قليلاً و لكن مع ذلك سأخذ كلامك هذا بعين الاعتبار " - " إذن في هذه الحالة ما رأيك بتأجيل المحاضرة ليوم آخر حتى تكون الأمور قد اتضحت أكثر بالنسبة لنا و بالنسبة للحضور و أيضاً بالنسبة لسام " . انتفض المعلم رالف مرة أخرى ورفع يديه في الهواء " مستحيل يا دكتور لقد دعوت أناساً من مختلف أنحاء البلاد و فيهم المثقفون و رجال دين ، هذه المحاضرة ستكون ذات شأن كبير ، أنا واثق من ذلك ، غداً سنبدأ أنا و سام بالتحضير لها " - " و لكن يا معلم " - " أرجوك يا بروكلمان لا تحمل الأمور أكثر من طاقتها ، أنا مقدر حرصك على سام و علينا ، و لكن اطمئن ، لا داعي للخوف ، أنا سأتكفل بكل شيء . في ذلك المساء اتصل الدكتور بروكلمان بسام وقال له " أنا آسف يا سام ، و لكن يبدو أنه يجب عليك أن تلقي المحاضرة ، و على كل حال أنا لا أرى أن هناك داعياً للخوف أو التفكير ، إنه أمر طبيعي .. كلها عبارة عن محاضرة ، ألقها و انتهى الأمر ، و سيساعدك المعلم رالف في ذلك ، و بإمكانك أن تذهب إليه غداً لتحضير ذلك " .

في اليوم التالي ذهب سام إلى مؤسسة المعلم رالف ، وهناك بدأ الاثنان بالتحضير و الشروع في وضع الأفكار الرئيسة للمحاضرة . في البداية كانت الأفكار و المناقشة شفوية كلها ، كان المعلم رالف يسأل سام عن إحساسه و شعوره قبل و بعد حصوله على المال ، و سام يجيب على الأسئلة ، و لكنه كان يتكلم بتأن و بطء ، كان يفكر كثيراً قبل أن يجيب على السؤال ، و قد لاحظ المعلم رالف ذلك . كان سام يفعل ذلك لأنه لم يكن يريد أن يخطئ بكلمة أمام المعلم ، و قد فعل ذلك بنصيحة من الدكتور بروكلمان .

لم يكن يريد أن يطلع المعلم رالف على هذا الشعور و الإحساس الجديد الذي ينتابه بخصوص المال . و استمر الأمر هكذا لثلاثة أيام ، كل يوم ، ساعتان قبل الظهر ، و ساعتان بعده ، و في اليوم الرابع بدأ الاثنان بكتابة المسودة لموضوع المحاضرة . في مساء ذلك اليوم عاد سام إلى المنزل ، كان يحس بعدم ارتياح ، و عندما وصل أعد كوباً من النسكافيه و جلس يفكر ، ماذا سيفعل ، كان قد بقي يومان على إلقاء المحاضرة . فكر و فكر ، و أخيراً و صل إلى قرار في نفسه . في صباح اليوم التالي استيقظ مبكراً و انطلق في سيارته نحو البلدة ، كان قد أوصى جان بأنه إذا اتصل معه أحد ، أن يخبره بأنه ذهب إلى البلدة لأمر طارئ و سيعود غداً .

على الأوتوستراد السريع بين العاصمة و الشمال ، أطلق العنان لسيارته . كان الأوتوستراد مقسوماً إلى ثلاثة معابر ، واحد للسرعة البطيئة و الثاني للسرعة المتوسطة ، و الثالث للسرعة العالية . و بالرغم من أن سام كان قد أتقن قيادة السيارة بشكل جيد ، فإنه فضل أن يبقى في المعبر الوسط ، كانت القيادة من أحب الهوايات لديه ، و كان يجد متعة لذيذة فيها ، سيارته السيتروين الجديدة كانت مريحة بالنسبة له ، و طوال الطريق كان يفكر بكل ما حصل معه ، أحياناً كان يشعر بأنه في حلم ، و لكنه سرعان ما يعود ليدرك بأن ذلك هو واقع . فكر قائلاً " يجب أن أقابل الملاك ... سأرى بماذا يمكن أن يساعدني أو ينصحني " . عند الغروب وصل إلى البلدة ، لم يذهب مباشرة إلى المنزل ، بل اتجه بسيارته نحو الغابة . أوقف السيارة عند الطريق الترابي و ترجل منها باتجاه المكان الذي اتفق هو و الملاك على اللقاء فيه . كان المكان هادئاً و لم يكن هناك أناس في الجوار . أخذ سام يمشي بين الأشجار الخضراء ، كان متشوقاً لرؤية الملاك ، و لم يمض وقت قصير حتى ظهر له الملاك " أهلاً بك يا سام " . انفرجت أسارير سام و قال بفرحة " أيها الملاك العزيز ، لطالما اشتقت إليك " - " كيف هي أمورك يا سام ، هل كل شيء على ما يرام ؟ " . أخذ سام

يروى للملاك ما حصل معه ، و كيف أنه يحس بأن شعوره تجاه المال يتغير و أن هناك تجاذباً في داخله بين إحساسه القديم تجاه المال ، و إحساسه الحالي ، و عن المحاضرة التي كلفه بإلقائها المعلم رالف . كان الملك ينصت باهتمام شديد إلى سام ، وعندما أنهى كلامه ، قال له " هل أفهم من ذلك يا سام أنك غير راض عن وضعك الذي أصبحت فيه ، أو أنك لا تريد المال ؟ " - " لا ، لا ، لا أيها الملك ، كل ما في الأمر أن هناك صراعاً داخلياً يؤرقني ، و لا أعرف كيف أتخلص منه ، و لهذا جئت أستشيرك بالموضوع " . أشار الملك إلى سام و قال " كما قلت لك في البداية يا سام ، هناك شروط اتفقنا عليها منذ البداية ، طالما أنك لم تخل بها ، فأنا من ناحيتي ليس لدي أي إشكال أو ملاحظة أو عتب عليك ، سمها ما شئت ، و أنا من خلال ما ذكرت لي ، و من خلال ما أعرف ، أنه منذ أن امتلكت المال و حتى الآن ، لم تخل بأي من الشروط التي اتفقنا عليها ، بل على العكس من ذلك ، أنت تعمل في سبيل الخير ، و هذا الأمر يسرني جداً " . حرك سام يديه في الهواء و هو يحاول إيجاد طريقة للتعبير عن شعوره ، ثم قال " و لكن هذا الشعور الذي أحس به ، كيف أتخلص منه ؟ " - " أنا لا أرى أي إشكال لديك يا سام ، هل أفترض من كلامك هذا ، أنك متضايق من وجود المال لديك أو أنك تحس بالذنب لكونك امتلكت المال ؟ " . حرك سام رأسه نافياً و أجاب بشيء من الضيق " لا ، لا يا عزيزي الملك ، ليس هذا بالضبط ما عنيته ، بل تستطيع أن تقول إنه منذ البداية وقبل حصولي على المال كان لي رأي سلبي فيه ، أما بعد حصولي عليه فقد بدأت أحس برأي إيجابي ، و أنت تعرف أن الرأي السلبي القديم كان يلازمي منذ الصغر ، و حتى الآن تقريباً ، أي لفترة طويلة جداً ، أما الرأي الإيجابي فهو حديث الشأن ، و هناك صراع في داخلي بين الرأيين ، هذا الصراع يؤرقني ولا " . قاطع الملك سام قائلاً " اسمع يا سام ، لقد قلت لك مرة إن طبيعة عملي مشابهة لعمل الكمبيوتر و لكن بشكل متطور جداً ، و هنا على الشاشة لدي إذا صح التعبير ، لا يوجد عندي أي إشكال من ناحيتك و أنا برأيي أنه طالما أنك لا تخطئ من حيث المحاذير و لا تفعل شيئاً

ينافي الضمير و الأخلاق ، فإنه لا يوجد لديك أي مشكلة ، و لا داعي للخوف مما تقول ، و لا مبرر للشعور بأي ذنب كان ، و نصيحة الدكتور بروكلمان لك بالموازنة بين الشخصيتين أو الرأيين هي في محلها " ، بعد فترة صمت قصيرة قال سام" و لكن المحاضرة التي سألقيها بعد غد ، إنها تؤجج الصراع" - " بالعكس يا سام ، إنها تعطي عنك صورة حسنة للناس ، و هذا شيء جميل جداً ، كل ما يجعل صورتك إيجابية عند الناس ، افعله يا سام ، افعله و لا تتردد .. و أعود و أكرر لك ، أنا من ناحيتي لا يوجد لدي أي إشكال ، في الموضوع " . طأطأ سام برأسه و قال " لا أدري أيها الملاك ، و لكن أحس أن المال الذي ساعدتني في الحصول عليه قد غير حتى الناس من حولي ، في الماضي كانوا أصدقاء اليوم ، أصبحوا أكثر من ذلك .. لا أعرف كيف اعبر" - " أتباع؟؟؟ " - " نعم ، نعم أيها الملاك ، شيء من هذا القبيل " . ابتسم الملاك ولمعت عيناه وقال لسام بهدوء " شيء جميل أن يكون لديك أصدقاء ... و لكن أليس من الممتع أن يكون لديك أتباع ؟ " . هز سام برأسه و قال " حسناً أيها الملاك العزيز ، إلى اللقاء " - " إلى اللقاء يا سام " . اختفى الملاك و عاد سام إلى السيارة . أدار المحرك و انطلق إلى منزل أسرته .

في المنزل رحب به أفراد أسرته ، و قامت أمه بتحضير الطعام له . سأله أبوه "كيف هي العاصمة يا ولدي ؟ " . أجاب سام باقتضاب " كما هي يا أبي " - " و ما هي أخبار المعلم رالف و الدكتور بروكلمان ؟ " - " بخير يا أبي ، إنهما يبلغانك تحياتهما " - " بلغهما تحياتي عندما تعود إلى العاصمة ، إنهما صديقان مخلصان ، هل تراهما دائماً ؟ " - " طبعاً يا أبي ، فالدكتور بروكلمان كما تعلم ، هو مستشاري ، و المعلم رالف أراه بين الحين والآخر ... بالمناسبة لقد طلب مني المعلم رالف إلقاء محاضرة عن المال و سوف القيها بعد غد " . هتف الأب بفرح قائلاً " رائع يا بني ، رائع ، إنه خير مفرح" و لكن ماذا ستقول في المحاضرة . تنهد سام و قال بصوت خافت " لا أدري يا أبي " . تساءل الأب باستغراب " و لكن ألم تحضر

الموضوع حتى الآن ، أم أنك سترتجله ارتجالاً!؟؟". غمغم سام بصوت متهدج وهو ينظر إلى الأرض أمام قدميه "لقد حضرت الموضوع مع المعلم رالف " - " عظيم ، وما هو مضمونه ؟ أقصد ما هي النقاط الأساسية فيه " . ألقى سام بظهره إلى الحائط و نظر إلى السقف و قال بشرود " النقاط الأساسية ، هي سب المال و شتمه و نقده و عده من الموبقات ، و أنه لا فائدة منه على الإطلاق ، و لا داعي له ، فما رأيك يا أبي بهذا الكلام ؟ " . سكت الأب قليلاً و قد اندهش لهذا الكلام و تفاجأ به ، ثم قال لسام بصوت خافت "على كل حال يا بني ، أنت و المعلم رالف أدرى مني بهذه الأمور و أعرف بمصالحكما (صمت الأب قليلاً ثم عاود الكلام مرة أخرى) .. بالمناسبة يا ولدي ...هناك موضوع أريد أن أحدثك به " - " ما هو يا أبي ؟ " . عدل الأب من جلسته و قال لأبنه بشيء من الجدية " أنت تعرف يا سام أن أخوك الصغير قد كبر ، و تعرف أنه لم يفلح في الدراسة و العلم ، و قد أنهى الدراسة الثانوية هذا العام على الحد الأدنى للنجاح ، إنه يكره العلم و الدراسة ولا يطيقهما ، على عكسك أنت و أختك ، و سوف يكون ابتداء من الآن بلا عمل ، و لذلك ، نقترح أنا و أمك أنه إذا كان بالإمكان ، أن تجد له عملاً في العاصمة عندك ، فما قولك ؟ " . وضع سام يده على رأسه وقال "بكل سرور يا أبي، فليحضّر أمتعته من الآن و سوف أصطحبه معي غداً صباحاً عندما أعود إلى العاصمة ، و سوف يقيم عندي في المنزل ... سأجعله سكرتيري الخاص ، حيث إن جان لا يبقى دائماً في المنزل عندي " . نظر الأب إلى ابنه باستغراب و قال " و لكن لماذا تأتي اليوم يا ولدي و تذهب غداً بهذه السرعة ، هل هناك أمر ما جعلك تأتي !!؟؟ " - " لا يا أبي ، جئت فقط لأطمئن عليكم ، و أرى أستاذ الفلسفة و أطمئن على العمل هنا في البلدة آه لقد ذكرتني به ، يجب أن أتصل به ليأتي إلى هنا " . قام سام إلى الهاتف ، و اتصل بأستاذ الفلسفة و دعاه للحضور . و لم يمض وقت قصير حتى وصل الأستاذ . جلس الاثنان على الشرفة يشربان الشاي . سأل سام " كيف العمل لديك يا أستاذ ؟ " - " جيد إنه يسير على ما يرام ، و لو كانت هناك بعض الصعوبات " . انتبه سام إلى

الكلام و سأل " مثل ماذا !!؟؟ " - " الناس يا سام ، لديهم بعض التصرفات الغريبة ، كلهم يريدون المزيد من التبرعات ، الطمع يسيطر عليهم تماماً و الجشع يملكهم ، و الحسد يسود طباعهم " . أنصت سام باهتمام إلى أستاذ الفلسفة و سأله " كلهم !!؟؟ " - " لا ، بعضهم " - " هل تحدث مشاكل يا أستاذ من جراء ذلك ؟؟؟ " - " أحياناً " - " كيف ؟ " . أشعل أستاذ الفلسفة سيكارة كعادته و قال "بعضهم يظن أنني أفضل غيره عليه ، و بعضهم الآخر يظن أنني أعطي غيره أكثر منه " . أشار سام بيده و قال " ألا يعرفون أن التبرعات تعطى حسب الوضع المادي و حسب عدد أفراد الأسرة ؟ " - " نعم ، نعم ، إنهم يعرفون ذلك ، و لكن أنت تعرف الطبع البشري ، لقد اضطررت الشهر الماضي ، أن أريهم الإيصال المصرفي بالمبلغ الذي تحوله لي من العاصمة ، لكي يصدقوا ، بأنني لا أحتفظ لنفسني بقسم منه ، فبعضهم يظن أنني أعطيتهم قسماً و أحتفظ بالباقي " - " ما هذا الهراء (صاح سام منزعجاً) في المرة القادمة ، كل من يقول لك هذا الكلام اطرده و اقطع عنه التبرعات " . أشار أستاذ الفلسفة بيديه و هو يخفف من انفعال سام قائلاً " هدى من روعك يا سام ، إنهم مساكين ولا " . هدر سام مقاطعاً بغضب " إنهم حمير ... كل من يشك فيك أنت ... أنت بالذات ، فإنه دنيء و لا يستحق الصدقة ، إن كل من في البلدة يعرفك و يعرف أخلاقك النبيلة و مبادئك السامية ، فكيف يشك بك هذا الشك !!؟؟ " . هز أستاذ الفلسفة رأسه و هو ينفث دخان سيكارتته في الهواء و قال " ألا تعرف الناس يا سام ، ألا تعرف الطبيعة البشرية و الفطرة الإنسانية ، لقد رأيت الكثير في هذه الحياة يا سام ... في بداية شبابي ، عندما انتسبت إلى حزب الشعلة ، كنت لتوي خارجاً من البلدة ، كنت أظن أن كل من هو تابع لحزب الشعلة أو كل من يؤمن بمبادئه ، هو ملاك ظاهر و صاحب مبادئ و مثل و أخلاق عليا ، و كل من هو خارج هذا الإطار ، هو إنسان شرير خسيس دنيء ، و مع مرور الأيام اكتشفت أن الخير و الشر موجودان في كل مكان ، في حزب الشعلة و في الحزب الوطني الديمقراطي و في غيره و غيره (صمت الأستاذ قليلاً ثم قال) ...

و مع مرور الزمن تكونت لدي قناعة معينة " . سأل سام باهتمام "ماهي يا أستاذ؟؟" - " أن الجميع مثل بعضهم بعضاً ، و إن الطبيعة هي واحدة ، و لا فرق بين البلشفي و الرأسمالي بين هذا و ذاك ، و مع ما حصل في الاتحاد السوفيتي ... عفواً في روسيا ... ما يحدث الآن في العالم من حروب و صراعات ، تكونت لدي قناعة أخرى " - " ما هي يا أستاذ!!!!؟؟" . أخذ الأستاذ مجة عميقة من سيكارتته ، و احتفظ بدخانها في صدره لبعض الوقت ، ثم أخرج الدخان و هو يقول " الشر هو الذي يصنع الحضارة " . حك سام رأسه ، ثم قال " لا أظنك جاداً في هذا الكلام يا أستاذ " . أوماً الأستاذ برأسه " بل جاد كل الجد يا سام " . تأمل سام أستاذه القديم قليلاً و قال له "و لكن يا أستاذ ، ألا تظن أن هذا الكلام مبالغ فيه ، أو لنقل إنه متطرف ، أو أو ... لنقل إنه تولد لديك نتيجة صدمة معينة ، أو لنقل " - " لا داعي للقول و التخمين يا سام ، هذه حقيقة و قناعة راسخة لدي ، و أنا لا ألومك على استهجانك لهذا الكلام ، لأنك لن تصل إليه إلا إذا مررت بما مررت أنا به " . صب سام الشاي ثم قال ، للأستاذ " أنا أعرف يا أستاذ أنك قاسيت كثيراً في حياتك و تعذبت " - " و خدعت أيضاً يا سام ... على كل حال دعنا من هذا الموضوع ، إنه لا يريحني كثيراً " - " حسناً يا أستاذ ، ماذا ستفعل مع أولئك الذين يسببون لك المتاعب بخصوص التبرعات ؟ " . وضع أستاذ الفلسفة سيكارتته أمامه ، و أخذ يتأمل دخانها المتصاعد و قال " لا شيء ، لن افعل لهم شيئاً ، أنني لا ألومهم لأنهم كما قلت لك ، فقراء و مساكين ، و بتعبير آخر ... جهلة ، يعبرون عن أحاسيسهم و مكنوناتهم و طباعهم الداخلية بصدق و براءة ، على عكس غيرهم من الخبثاء الذين يتظاهرون لك بالمودة ، و هم يكونون لك كل الكره و الحقد " . فهقه سام و قال بتهكم " عجباً هؤلاء الناس ، إنهم يعرفون أن التوزيع يكون حسب معايير معينة " . التفت الأستاذ إلى سام و قال بنبرة استغراب " و لكن لماذا لا يكون بالتساوي فعلاً!!!!؟؟" " هز سام برأسه نافياً و قال " صعب يا أستاذ ، لأن ذلك غير عادل ، فمن غير المعقول أن تعطي أسرة فقيرة فيها ولد واحد فقط و مورد معين ،

مثلما تعطي أسرة أخرى معدمة و لديها خمسة أولاد و رب الأسرة غير قادر على العمل و ليس لهم دخل أو مورد ، بالإضافة إلى ذلك ، فإن هذا هو النظام السائد لدى مؤسسة المعلم رالف و هي من أرقى المؤسسات الخيرية و أشهرها في البلد ، و لها علاقات مع مؤسسات أخرى عالمية ، ثم من ضمن لك إذا وزعنا النسب بالتساوي للجميع ، ألا يخرج من يقول لك : لقد أعطيت غيري نفس ما أعطيتني و أنا وضعي أسوأ من وضعه بكثير " . تتمم أستاذ الفلسفة بصوت خافت "ربما معك حق ، فأرضاء الناس غاية لا تدرك " . لوح سام بيده في الهواء و قال بضيق " أني أعجب لأمر هؤلاء الناس " . رد الأستاذ "كلهم يريد المال يا سام ، المال يفعل كل شيء ، و يغير كل شيء " . و هنا تذكر سام المحاضرة التي سيلقيها ، فقال لأستاذه " بالمناسبة يا أستاذ ، بعد غد سألقي محاضرة حول موضوع المال في مؤسسة المعلم رالف ، فما رأيك ؟ " - " جيد ، لا بأس في ذلك ، و لكن هل حضرت الموضوع ؟ " - " نعم ، إنه حول سيئات المال و ضرره في المجتمع ، و سلبياته و نقائصه ، و أثره السلبي على الإنسان " . حدق الأستاذ بسام ، و أخذ يفتل إصبعه في الهواء و يقول بدهشة " ، هذه الأمور كلها رأيتها بعد حصولك على المال !!؟؟ " - " لا يا أستاذ " - " إذن ما هو الداعي لكل هذه المحاضرة ، هل أصبح المال الذي بجوزتك يشكل عليك كل هذا العبء الكبير حتى تهاجمه بهذا الشكل !!؟؟ " - " كرر سام القول " أيضاً لا يا أستاذ ، في الواقع لم يعد المال بالنسبة لي كما كان في الماضي ، أو بالأصح لم يعد نفسه بالزخم السابق ، و نظرتي المتطرفة نحوه تغيرت قليلاً ، و لكن المعلم رالف هو الذي يريد ذلك ، و هو الذي اقترح فكرة المحاضرة " . أخذ أستاذ الفلسفة محبة من سيكارتته و نفث دخانها في الهواء و هز يراسه قائلاً " مع احترامي الشديد للمعلم رالف ، و إعجابي به ، فإنني استغرب هدفه من هذه المحاضرة ، و لماذا أنت بالذات !!؟؟ " ، لماذا لا يقوم هو مثلاً بإلقاء المحاضرة طالما أن الفكرة فكرته !!؟؟ " . تتمم سام و هو يضع مفاتيح سيارته أمام عينيه و يتأملها " إنه يعدني الشخص المناسب لهذه المحاضرة كوني امتلكت المال ، و هو يريد أن يري الناس أنه يوجد هناك

شخص لا يعني له المال شيئاً ، حتى بعد امتلاكه له ، هذا هو هدفه ، و أنا أقدر له ذلك ، إنه يحاول توعية الناس ، و بخاصة في هذا الزمن ... قبل قليل كنت تحدثني عن تصرفات الناس الفقراء و المساكين معك من أجل المال ، فما بالك بالناس المثقفين " . أجاب أستاذ الفلسفة و قد شرد بنظره نحو الغابة " ربما معك حق في هذا" - " و لكن المشكلة ليست هنا يا أستاذ " - " أين إذا ؟ " - " المشكلة أنني أنا نفسي لم أعد أنظر إلى المال تلك النظرة ، أي أنني سألقي المحاضرة و أنا لي رأي آخر فيها " نفخ الأستاذ الدخان في الهواء بشيء من العصبية و قال " إذاً أخبر المعلم رالف بذلك ، و اطلب منه إعفاءك من المحاضرة أو على الأقل تغيير موضوعها بحيث يصبح أكثر اعتدالاً " . حرك سام رأسه نافياً " لا أستطيع يا أستاذ " - " لماذا؟!؟ " - " لقد تحدد الموضوع و لم يبق سوى يومين فقط للمحاضرة ، فضلاً عن أن المعلم رالف لن يقبل بذلك ، أو بالأحرى هو يظن أنني لم أتغير و بقيت كما أنا" . أطفأ الأستاذ سيكارتته بعصبية ظاهرة و صاح بتوتر " و لكن لماذا لا تخبره بذلك يا سام؟!؟ " . انفعل سام هو الآخر و صاح بتوتر "لأنني أنا نفسي لا أدري إذا كنت قد تغيرت أم لا " . خمد أستاذ الفلسفة قليلاً و قال بهدوء " لا أدري ماذا أقول لك يا سام ، و لكن أنا برأيي أن تلقي المحاضرة ، ثم ما المشكلة إذا تغيرت نظرتك للمال أو لا ، ثم هل تعتقد أو يعتقد معلمك هذا (قال الأستاذ بسخرية) إنكم ستؤثرون في الحضور ، و تغيرون نظرتهم تجاه المال، المهم هو عمل الخير ، و أنا حتى الآن لم أرك قد قصرت في ذلك " .

في المساء جلس سام على الشرفة يفكر بكلام أستاذ الفلسفة ، و بالمحاضرة و بمقابلته مع الملاك ، و فجأة تذكر عبارة الأستاذ " الشر هو الذي يصنع الحضارة " . أخذ يفكر بهذه العبارة ملياً ، ما الذي قصده الأستاذ بهذا الكلام؟؟ و ما الذي قصده بالحضارة هل هي البناء و العمران هل هي العقل ، ثم ما هو الشر ؟ و عن أي شر يتكلم ؟ توقف مطولاً عند هذه العبارة ، كان يريد أن يناقشه فيها و لكن الحديث عن المال

و المحاضرة أنساه ذلك ، خطر له أن يتصل معه بالهاتف ، و لكنه عندما نظر إلى الساعة ، كانت الواحدة بعد منتصف الليل ، فأوى إلى فراشه مستلقياً ، لم يلبث أن ذهب في نوم عميق .

في اليوم التالي استيقظ سام متأخراً قليلاً ، أخذ حماماً فاتراً ثم تناول طعام الإفطار ، و بعد قليل عندما جاء أبوه من المصنع ، ودع سام أفراد أسرته ، كان أخوه قد جهز أمتعته للذهاب معه إلى العاصمة ، صعدا إلى السيارة و انطلقا إلى العاصمة . في الطريق فكر سام " الثلاثة لم يروا في الأمر مشكلة ، الملاك و الدكتور بروكلمان و أستاذ الفلسفة ، و الثلاثة عدوني غير مقصر في عمل الخير حسناً ، سألقي المحاضرة و ليكن ما يكون ، طالما أنه ليس هناك مشكلة ، ربما أنا أبالغ قليلاً ، ربما فعلاً ليس هناك إشكال ، و لو كان يوجد ، لأخبرني الملاك به " . كان سام يحاول إقناع نفسه بذلك . زاد من سرعة السيارة و دخل في الطريق السريع هذه المرة . لم يكن يريد الوصول إلى العاصمة متأخراً ، لهذا وصل قبل الغروب بقليل . في المنزل عرّف أخاه و جان على بعضهما بعضاً ، و أخبر جان بأن أخاه سيبقى هنا معه ، طلب منه مساعدته و تعليمه . بعد ذلك اتصل بالمعلم رالف و أخبره أنه قادم إليه . في المؤسسة ، جلس مع المعلم يراجعان المحاضرة ، أفكارها و بنودها . " انتبه يا سام ، بعد إلقاء المحاضرة سوف يوجه إليك الحضور الأسئلة ، فعندما يوجه إليك سؤال ، أنصت إليه جيداً و افهمه ، أجب عليه بكل بهدوء و ثقة بالنفس " . نظر سام بقلق إلى المعلم رالف و قال " كيف ستكون الأسئلة برأيك أيها المعلم ؟؟؟ " - " الأسئلة ستكون على نوعين ، أسئلة حول بعض النقاط و الأفكار في المحاضرة ، أي أسئلة حول المحاضرة ، و هي أسئلة ستجيب عليها من المحاضرة نفسها ، و أظن أنك قادر على ذلك لأنك كما أرى قد فهمت موضوع المحاضرة جيداً و عرفت الأفكار الرئيسة فيها ، و سأعطيك الأسئلة المحتملة منها . أما النوع الثاني من الأسئلة ، فهي الأسئلة التي سوف تكون من خارج المحاضرة و خارج الأفكار المطروحة فيها ، و لكنها تتعلق بموضوعها الأساسي

، و هذه الأسئلة بالذات يجب أن تنتبه لها كثيراً و تستوعبها جيداً و تجيب عليها بتأن و ثقة بالنفس " . سأل سام بقلق " حول أي شيء ستكون هذه الأسئلة برأيك يا معلم ؟؟؟ " . رفع المعلم رالف يديه و قال " من الصعب التكهن بها ، لأنها تعود إلى مزاج السائل و ما يدور في عقله من أفكار ، فمثلاً قد يسألك شخص . هل لديك مشاريع غير الأعمال الخيرية ، أو كيف تصرف نقودك مثلاً ، أو ماذا ستفعل في المستقبل ... كل هذا على سبيل المثال ، و على كل حال لا داعي للخوف ، فربما تكون الأسئلة كلها من ضمن المحاضرة .. و إذا كانت من خارجها ، فكما قلت لك ، أجب عليها بكل تأن و انتباه و بثقة بالنفس ، فليس فيها ما يخيف " . وضع سام يديه على الطاولة و أحنى رأسه عليها .. نظر إلى الأوراق المنتشرة أمامه بتعب و رفع رأسه و سأل " هل بإمكانني ألا أجب على سؤال ما " صمت المعلم رالف قليلاً ثم قال " بإمكانك ألا تجيب على السؤال ، فلا شيء يمنعك من ذلك عملياً ، و لكن من المستحسن أن تجيب عليها .. فأنت تحاضر في جمهور حول موضوع معين ، و تشرح له وجهة نظرك فيه ، و تحاول إقناعه بها ، و لذلك من حقه عليك أن يسألك كمستمع و متلقٍ و مستفهم ، و من واجبك أن تجيب كشارح و موضح ، فإذا رفضت الإجابة أو لم يكن لديك جواب ، فسوف يرفض كلامك و وجهة نظرك و نقاشك ، و يعدك غير مؤهل للنقاش " .

عندما عاد سام إلى المنزل ، اتصل على الفور مع الدكتور بروكلمان . " هل بإمكانك المجيء الآن يا دكتور " . أتاه الصوت من الطرف الآخر " إنها العاشرة ليلاً ، و لكن لا بأس ، سأمر عليك في طريق عودتي إلى المنزل " . عندما حضر الدكتور بروكلمان ، أخبره سام بكل ما جرى بينه و بين المعلم رالف . ربت الدكتور على كتف سام و قال " كل ما قاله لك المعلم رالف صحيح ، و بالنسبة لموضوع الأسئلة و الإجابة عليها ، فكلامه أيضاً سليم ، و أنا برأيي أن تطبق كل نصائحه و تعليماته بهذا الخصوص ، فهو أعلم

مني و أقدر في هذا المجال و لديه خبرة طويلة و تجربة غنية قيمة ، و قد وضع كل ذلك أمامك " . هز سام برأسه موافقاً و قال " معك حق يا دكتور ، إنني مدين له في ذلك " نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و قال " سأسديك أنا نصيحة أيضاً " - " ما هي ؟؟؟ " - " بالنسبة للأسئلة التي توجه إليك من خارج إطار المحاضرة ، أرى أن تجيب عليها باقتضاب ، و لا تطيل الإجابة ، و إذا كان بالإمكان أن تجيب بكلمة واحدة فقط مثل .. لا .. نعم .. ربما .. و حول فكرة عدم الإجابة ، فأنا لا أحبذ ذلك ، و كلام المعلم رالف صحيح تماماً في هذا الشأن " . وقف سام قليلاً يفكر ثم قال " و لكن لماذا لم يقل لي المعلم رالف هذا الكلام يا دكتور؟؟ " . فكر الدكتور بروكلمان لبرهة ثم قال " برأيي إنه لم يقل لك ذلك ، لأنه لا يعرف أنك تعاني في داخلك من صراع حول مفهوم المال، و هو يعدك ما زلت كما أنت ، فلذلك لم يخش عليك ، و يعتقد أنك قادر على الإجابة بثقة ... أما أنا ، فأعرف هذا الصراع الذي تعيشه و الذي أخبرتني عنه ، و لذلك طلبت منك ذلك ، لأن هذه الأسئلة ، قد تسبب لك بعض المشاكل من الناحية النفسية أو مع الحضور ، وهذا كما تعلم يا عزيزي من مجال عملي و ليس من مجال عمل المعلم رالف " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان بريية و قال " لقد أخفتني الآن يا دكتور " - " لا يا عزيزي ، لا داعي للخوف ، السؤال الذي ترى أنه يجرحك ، و غير قادر على التهرب منه ، فقط أجب عليه باختصار شديد " .

في صباح اليوم التالي استيقظ سام ، كانت الساعة حوالي التاسعة صباحاً ، كان موعد المحاضرة في الثانية عشرة و النصف ، أحس بتوتر شديد ، فأخذ حماماً ساخناً ، و مع هذا بقي على توتره . جلس هو و أخوه و جان ، على الإفطار ، حاول أن يأكل شيئاً فلم يستطع . بعد قليل رن جرس الهاتف ، تناول جان السماعة ، ثم قال لسام "إنه المعلم رالف ، يريدك " . أخذ سام السماعة و تكلم " مرحباً يا معلم" . نعم ، نعم طبعاً ساتي الآن حسناً ، أنا قادم " . أغلق سام السماعة ، ثم نهض و ارتدى

ملابسه و انطلق خارجاً . في الطريق كان يقود السيارة ببطء شديد ، تمنى ألا يصل إلى المؤسسة أبداً ، أحس بضربات قلبه تضرب بعنف ، ثم أخذ يتخيل نفسه يقف أمام الجمهور و الكل ينظر إليه ، و يترقب حركاته و سكناته ، أحس أنه لن يستطيع الكلام . و أخيراً وصل إلى المؤسسة ، أركن السيارة أمام البوابة و دخل ، كان المعلم رالف بانتظاره . "أهلاً سام تفضل ، كيف استعدادك للمحاضرة ؟ " . تكلم سام ببطء و بصوت متهدج "لا أدري يا معلم ، في الواقع أحس بالخوف ، حتى إنني لم أستطع الإفطار " - " أنت مخطئ يا سام ، لا يجوز أن تبقى من دون إفطار ، يجب أن يكون ذهنك متيقظاً في أثناء المحاضرة ، أنت بحاجة للغذاء ، تعال .. سنفطر سوياً ، و سوف يأتي الدكتور بروكلمان بعد قليل ثم لماذا الخوف ، و أنا معك ، هيا تعال " . بعد الإفطار توجه سام و المعلم رالف إلى المكتب ، و لم يلبث أن أتى الدكتور بروكلمان . " صباح الخير أيها السادة " . أشار المعلم رالف بيده داعياً الدكتور للدخول "أهلاً بك يا دكتور ، تفضل ، لقد جئت في وقتك لتشجع سام فهو مرتبك و خائف من المحاضرة " . جلس الدكتور على الكرسي و التفت إلى سام قائلاً "إنني لا أرى أي داع للخوف يا سام ، سوف ترى بنفسك متعة إلقاء المحاضرة لقد جربت أنا ذلك بنفسي عدة مرات هنا في المؤسسة ، لقد كنت أشعر بالخوف مثلك تماماً في أول محاضرة لي ، لكن ما أن بدأت بإلقائها ، حتى تلاشى الخوف و الرهبة ، و حل محلهما ، شعور بالثقة و الفخر ، و سترى ذلك بنفسك عندما تبدأ بإلقاء المحاضرة " . تتمم سام بجزن " أتمنى ذلك يا دكتور ، أتمنى ذلك " . تدخل المعلم رالف " تعال يا سام لنجري مراجعة أخيرة " . أخذ المعلم رالف يراجع مع سام أفكار المحاضرة ، فكرة فكرة و يعطيه النصائح و التعليمات و الإرشادات ، بينما جلس الدكتور بروكلمان يستمع إليهما ، و يراقب سام بصمت . بعد حوالي ساعة و نصف جاء السيد جاكوب و أخبر المعلم رالف بأن الحضور بدؤوا يتوافدون ، فطلب منه المعلم رالف أن يجلسهم في القاعة الرئيسية

، ثم توجه إلى سام قائلاً " و الآن استعد يا سام بعد حوالي نصف ساعة ستبدأ المحاضرة و يكون الحضور قد اكتمل ، وفقك الله " .

في القاعة الرئيسية جلس جمهور غفير من الناس ، كانوا حوالي مائتين ، الكلام و المهمات تعلق من كل جانب في القاعة الرئيسية ، أخذ الدكتور بروكلمان و السيد جاكوب مكانهما في المقاعد الأمامية ، و بعد قليل دخل المعلم رالف و سام من الباب الأمامي ، فأخذت الأصوات تحف تدريجياً ، حتى ساد الصمت في القاعة ، صعد المعلم رالف و سام إلى المنصة الخشبية و جلسا خلف طاولة كانت موضوعة عليها ، تشاور المعلم رالف مع سام و همس بأذنه بعض الكلمات ثم ابتداء الكلام " السادة الحضور... لطالما عودتكم مؤسستنا على تقديم المحاضرات القيمة و الهامة ، و التي تطال جوانب خفية و حساسة في حياتنا اليومية و الاجتماعية ، و تعني كل واحد فينا بالأفكار و المعلومات الثمينة ... لقد اهتمت مؤسستنا بالمجتمع و ركزت عليه و عدته الأساس في الحياة ، إلى جانب الدين ، فكانت معظم محاضراتنا هنا في المؤسسة تتحدث عن ذلك ، و هذه المحاضرات كانت تجربة غنية و ناضجة ، أثبتت فعاليتها و أثرها في المجتمع و الهيئات و المنظمات و اليوم تقدم لكم المؤسسة محاضرة ذات أهمية كبيرة لا تقل أهمية عن المحاضرات السابقة إن لم تكن أهم ، و موضوعها سبق أن تناولناه في محاضرات سابقة ، و لكن هذه المرة سنتناوله بأفكار جديدة أيها السادة ، كثير منكم عرف سام أو سمع عنه و عن أخلاقه و صفاته الحميدة النبيلة و عن ثقافته الواسعة ، و سام هو صاحب نظرة و تجربة فريدتين بالنسبة إلى المال ، موضوع محاضرتنا الليلة ، و هذه النظرة إلى المال ميزت سام منذ الصغر و لازمته حتى الآن ، و جاءت تلك التجربة الفريدة ، و هي حصوله على مبلغ ضخم من المال ، لتكرس هذه النظرة و تخضع لها ، و تكون دليلاً كبيراً ، و برهاناً ساطعاً عليها ، لا أريد أن أطيل الحديث عن ذلك ، فالسيد سام سيحدثكم عنها من خلال هذه

المحاضرة فليفضل مشكوراً " . ترك المعلم رالف الميكرفون لسام ، و تعمد أن يبقى قليلاً إلى جانبه ، على الطاولة تشجيعاً له . قرّب سام الميكرفون منه ثم وضع نص المحاضرة أمامه و بدأ بالقراءة ، تحدث في البداية عن حياته في البلدة و كيف كان يرى الناس يسعون نحو المال و يفعلون أي شيء لأجله ، و كان هو لا يكثر له ، و كيف نما معه هذا الأمر خلال حياته ، و الأحداث التي حصلت له ، و كيف كان يتبرع بالمال للمحتاجين و هو في أوج محنته و ضيقه و حاجته للمال ، و كيف أن ذلك لم يخلق لديه أي مشكلة ولم يحس يوماً بأن شيئاً ينقصه ، و كيف أنه بعد حصوله على هذا المبلغ الضخم من المال ، لم يتغير فيه أي شيء ، بل على العكس ، ازدادت قناعته بأن المال لا شيء و ليس له أي قيمة ، فلم يشعر بأن حياته قد تغيرت ، و هو قد أنفق و ينفق الكثير من المال من أجل الأعمال الخيرية و المساعدات الاجتماعية و الإنسانية . ثم تحدث عن مفهوم المال و الغاية التي وجد من أجلها منذ القدم ، عن المشاكل التي سببها و يسببها للإنسان و كيف أن أضراره أكثر من فوائده . استمرت المحاضرة حوالي الساعة ، و عندما انتهى منها سام ، فُتح باب الأسئلة . " أستاذ سام هل تعتقد أن المال ليس له فائدة ؟ " فكر سام بهدوء ثم قال " لكل شيء فائدة و ضرر ، و لكن ضرر المال أكثر من فائدته ، و قد عدت الأسباب في المحاضرة " . قام شخص آخر وسأل " أستاذ سام ماهي الطريقة المثلى لاستخدام المال ، أو بالأحرى ما هي الغاية التي وجد من أجلها المال؟ " . أجاب سام و هو يفكر بكلماته " كما ذكرت بالمحاضرة .. ألا يستخدم المال إلا في حالات الضرورة القصوى ، و للحاجات الأساسية التي لا تضر بالمصلحة العامة و لا تخالف القانون و لا تغضب الله ، إجمالاً يجب أن يستخدم المال لأجل الخير " . توالى الأسئلة و سام يجيب عنها كما علمه المعلم رالف حتى قام أحد الحضور و سأله " أستاذ سام ، طالما أنك تعد أن المال لا شيء و إنه يضر أكثر مما ينفع ، و أنه لا لزوم له ، و أنك لم تشعر به عندما حصلت عليه ، هل برأيك أن فوزك باللوتو و حصولك على الجائزة الكبرى ، لا داعي له ؟ " . صمت سام قليلاً و قد فوجئ بالسؤال ، ساد الصمت

أيضاً القاعة ، كان الحضور ينظرون إلى سام ، الذي قال أخيراً و بشيء من الارتباك " ربما " . ثم قام شخص آخر و سأل " أستاذ سام ، بما أنك تعتبر أنه لا داعي للمال ، فلماذا لا تتخلى عن الأموال التي حصلت عليها و تبرع بها كلها ، دفعة واحدة ؟ " . أيضاً صمت سام و تصبب العرق منه و قال بعد فترة صمت " ربما " . قام آخر و سأل " أستاذ سام هل تعتقد أن حياتك لم تتغير فعلاً بعد حصولك على المال و أنت تمتلك الآن منزلاً فاخراً و سيارة حديثة ، و كما سمعت أيضاً ، فقد حولت منزلك في البلدة إلى منزلاً فخماً ، و كنت قبل ذلك لا تمتلك هذه الأمور ؟ " - " ربما " - " أستاذ سام ، ألا ترى أن كلامك هذا عن المال غير مقنع ، و أنت تمتلك هذا المال و تصرف منه مبالغ كبيرة يومياً ؟؟ " - " لا " . بدأ سام يشعر بالتعب و الإعياء و قد تصبب منه العرق و أحس بدوار في رأسه . أدرك المعلم رالف و الدكتور بروكلمان بأن الموقف قد أصبح حرجاً ، فالتفت المعلم إلى الدكتور الذي كان يجلس بجانبه ، و أخذ الاثنان يتهامسان ، و بعد قليل رفع الدكتور بروكلمان يده للسؤال ، ثم نهض و قال بصوت عال قليلاً " أستاذ سام ، ألا توافقني الرأي على أن المرء لا يقيم من خلال امتلاكه المال ، بل من خلال طريق صرفه له ، السؤال الثاني لو سمحت ، هل قصدت من خلال تعدادك سلبيات المال و أضراره أن ذلك لا يمنع المرء من أن يمتلك المال ، و لكن ألا يتصرف به بطريقة ضارة " . كان الدكتور يسأل سام و هو يغمزه بعينه مشيراً إلى المعلم رالف ، و عندما نظر سام إلى المعلم رالف أوماً هذا الأخير بيده بجرعة دورانية خفيفة ، دلالة على التكرار . ففهم سام المغزى ، فبدأ بالإجابة و قد استعاد شيئاً من ثقته بنفسه " طبعاً أيها السادة ، يجب أن تعلموا أن سلبيات المال لا تعني بالضرورة الابتعاد عنه و تجنبه ، و المقصود هو الضرر الواقع على الأشخاص الذين يسعون للمال مجرد المال فقط و يتركون كل شيء ما عداه ، و أنا قلت إن المال لم يكن يعني لي شيئاً في السابق و لم أتأثر به ، و لكن هذا لا يمنع أنني عندما حصلت على المال ، أن أصرفه بالطريقة الصحيحة التي ترضي الله و الناس ، و المقصود بذلك هو أن نسعى فقط إلى المال و ننبذ كل ما عداه خلف ظهورنا ،

و نضحى بمبادئنا و أخلاقنا و قيمنا من أجله " . و هنا أشار المعلم رالف بيده إلى سام إشارة الانتهاء من دون أن يلاحظ أحد ذلك . فشكر سام الحضور ، و صعد المعلم رالف إلى المنصة مرة أخرى ، و شكر الجمهور و أثنى على حضورهم .

عندما غادر الحضور القاعة ، دخل سام و المعلم رالف و الدكتور بروكلمان إلى المكتب ، كان سام شاحباً و كئيباً ، جلس المعلم رالف خلف طاولته قائلاً "برافو ، برافو يا سام ، لقد كان أداءك جيداً " . أوماً سام برأسه و هو صامت . فقال الدكتور بروكلمان " ألم أقل لك يا معلم إن هناك من لن يقتنع بكلام سام كيف سيقنع هؤلاء بكلامه و يتقبلون منه فكرة أن المال لا شيء و ليس له أية قيمة لديه ، و هو يمتلك هذا الكم الهائل منه ، ألم تلاحظ أولئك الذين أخرجوه بأسئلتهم ؟ " . غمغم المعلم رالف " على كل حال ، لا بأس ، من الطبيعي في أية محاضرة أن يكون هناك خلاف في وجهات النظر ، و سام كان حكيماً في أجوبته ، و لو أنه كان من الأفضل أن يقول لذلك الذي سأله إذا كان من الممكن أن يتبرع بالمال ، أن يقول له نعم ، لا مانع لدي في ذلك ، على الأقل لكي يثبت له أن المال ليس كل شيء على كل حال لقد أنقذنا الموقف في اللحظة الأخيرة ، و لو كنت أيضاً أتمنى من سام لو دافع بشراسة عن موقفه و وجهة نظره حول المال ، ولكن لا بأس فهذه أول محاضرة له و كانت جيدة " .

في الظهرية ، عاد سام إلى المنزل ، و عندما وصل بدل ثيابه و ذهب إلى فراشه فوراً ، كان يحس بتعب و إرهاق شديدين . سأله جان " كيف كانت المحاضرة يا سام ؟ " - " لا أعرف يا جان ، أشعر بالتعب و أريد أن أنام ، لا توقظوني لأي سبب " - " بالمناسبة لقد اتصل معك " - " لا أريد أن أعرف من اتصل معي ، و كل من يتصل أخبروه أنني نائم أو غير موجود " - " حتى لو كان الدكتور بروكلمان ؟؟! " - " حتى لو كان الدكتور بروكلمان " . استلقى سام في فراشه و ذهب في نوم عميق ، كان قد تغطى كله

بالغطاء ، من رأسه حتى أسفل قدميه ، أراد أن يتعد قليلاً عن هذه الدنيا . لم يستيقظ إلا في الثامنة مساءً ، كان رأسه ثقيلاً ، نهض من فراشه ببطء ، مشى إلى الحمام ، أخبره أخوه أن الدكتور بروكلمان اتصل معه ، عندما خرج من الحمام ، اتصل مع الدكتور بروكلمان الذي أخبره أنه سيزوره في العاشرة ليلاً . في الصالون جلس جان و أخو سام يتحدثان، بينما جلس سام وحيداً في شرفة المنزل . استرجع الأحداث من بدايتها و حتى نهايتها ، أحس بالضيق الشديد ، أحس كأنه ارتكب ذنباً كبيراً ، و أن أحداً من الحضور لم يصدقه . ظل هكذا جالساً في الشرفة ، حتى جاء الدكتور بروكلمان . " أراك تجلس وحيداً في الشرفة يا سام ؟ " شرد سام بمنظر المدينة أمامه و قال " نعم يا دكتور ، إن منظر المدينة ليلاً يثير لدي المتعة و التفكير ، تماماً مثل الغابة عندنا في البلدة ... إنني لا أدري ما هي العلاقة بين أضواء المدينة و السيارات ليلاً ، و بين أشجار الغابة في البلدة " . أشار الدكتور بروكلمان بيديه قائلاً " ربما القاسم المشترك بينهما ، هو أنك تجلس وحيداً و تراقب و تفكر " - " ربما أنت محق في ذلك بالمناسبة يا دكتور ، كيف رأيت المحاضرة اليوم ؟ " . وضع الدكتور بروكلمان رجلاً فوق رجل و قال مبتسماً " أداؤك كان جيداً ، و لكن أخشى أن قسماً من الحضور لم يقتنع بكلامك كثيراً " . هز سام رأسه بأسى " هذا صحيح يا دكتور ، ليس فقط قسم من الحضور، بل أظن أن الحضور كله ، لقد قرأت ذلك في عيونهم ، و هم ينظرون إلي ، و قد لمحت بعضهم ينظر إلي من قمة رأسي إلى أخصص قدمي ليعود بنظره مرة أخرى إلى قمة رأسي ، بنوع من الاستنكار إنني محبط يا دكتور ، و أشعر بنوع من اليأس و الفشل ، اشعر بالذنب ، أشعر أن في داخلي الآن صراعاً قوياً مستعراً ، بين شعوري القديم ، و شعوري الحديث بالنسبة إلى المال ، اشعر أنني ضائع ، تائه ، لا أدري ماذا افعل لولا تدخلك أنت و المعلم رالف في اللحظة الأخيرة ، لكانت المحاضرة قد تحولت إلى مأساة " . عدل الدكتور بروكلمان من جلسته ثم نظر إلى الأضواء البعيدة أمامه و قال " برأيي أنه يجب أن تحدد موقفك من الآن ، تحدد الأسلوب الذي سوف تسير عليه " - " كيف يا

دكتور!!؟؟" - " اسمع يا سام ، أنت إنسان راشد عاقل و متزن ، و واع ، و هذا ما ظهر جلياً من خلال تصرفك بالمال الذي هبط عليك تتبرع بأموالك لأعمال الخير و المساعدة الإنسانية ، و في الوقت نفسه لحظت نفسك أيضاً ، فاشتريت سيارة ، و بيتاً لائقاً جميلاً هنا في العاصمة، و حولت بيتك الصغير في البلدة إلى قلعة حجرية رائعة ، محاطة بسور كبير و حديقة ضخمة ، عندما اشتريت الأرض المجاورة له و رمته و وسعته ، كما إنك تذهب إلى النوادي الاجتماعية ، و تأكل في المطاعم الراقية ، و لهذا فانا أرى أن تبقى كما أنت و لا شيء آخر ، عش حياتك الطبيعية يا سام ، و طالما أنك لا تخطئ ، فليس هناك أي داع للشعور بالذنب ، أما موضوع نفي المال و رفضه و اعتباره غير ضروري ، فهذا برأيي كلام غير منطقي ، و غير مقبول ، و بخاصة في وضع مثل وضعك ، لقد لاحظت بنفسك استنكار الناس و استهجانهم لذلك السبب في كل ذلك يا سام هو أنك لا تعيش حياتك الطبيعية ... عش حياتك يا سام و لا تبال " .

بعد ذهاب الدكتور جلس سام يفكر " فعلاً يجب أن أضع حداً لكل هذا ، كفى مهزلة كفى سخرية ... طالما أنني لا أخطئ و لا أرتكب المحظورات ، فلماذا كل هذا التهويل على نفسي الملاك قال ذلك و الدكتور بروكلمان ، و والدي و أستاذ الفلسفة و جان ، كلهم قالوا الشيء نفسه ، لقد آن الأوان لكي أغير من طريقة حياتي ، المستقبل أمامي و كل ما يجب علي فعله هو العمل .. العمل " .

الهبوط إلى القاع

بدأ سام يطور حياته شيئاً فشيئاً ، كان قد تعلم من الدكتور بروكلمان أن يعيش الإنسان بشكل طبيعي تماماً ، و لهذا فقد كان يقضي وقته في النادي ، حيث يتوافر جو التسلية و الرياضة ، و في معظم الأحيان يكون برفقة الدكتور بروكلمان ، في حال كان لديه وقت فراغ . أحب الألعاب لديه كانت السباحة . حيث كان هناك مسبح داخلي في النادي ، و الهواية الثانية المفضلة لديه ، و التي علمه إياها الدكتور بروكلمان ، كانت كرة الطاولة ، البينج بونغ كان يمارسها بشكل مستمر ، و أول ما تعلمها ، في منزل الدكتور حيث كان يقتني طاولة للعب ، الدكتور بروكلمان كان يحب هذه الرياضة كثيراً ، و يشجع سام على ممارستها ، و بشكل عام كان يشجعه على ممارسة الرياضة و كان دائماً يقول له " الرياضة ، هي عامل راحة نفسي و تسلية و فائدة في الوقت نفسه " . كان الدكتور بروكلمان لاعباً ماهراً في البينج بونغ ، و لم يلبث سام أن أخذ عنه مهارته تلك ، لقد فكر أن يشتري طاولة خاصة بهذه اللعبة ، و يضعها في المنزل ، و لكن منزله لا يتسع لها ، فضلاً على أنه في الطبقة العاشرة من مبنى ضخم . فكر في نفسه " عندما سأشتري منزلاً أكثر رحابة و اتساعاً ، سأجلب واحدة " . في النادي برزت مهاراته بين الجميع ، لم ينافس في هذه اللعبة إلا شباب مثله في الثلاثينات من عمره ، اسمه جاك ، و هو ابن لأحد الأغنياء ، و عندما لا يكون الدكتور بروكلمان موجوداً كان سام يلعب معه كرة الطاولة . كانت مظاهر الثراء و

الوسامة واضحة عليه . في البداية كانت صداقته مع سام من خلال كرة الطاولة فقط ، ثم تعمقت شيئاً فشيئاً ، و مع أنه كان له أصدقاء كثر في النادي ، إلا أن صداقته مع سام كانت تتميز عن غيرها ، ربما لأن سام هو الوحيد الذي كان ينتصر عليه في البينج بونغ ، أو لأنه كان معجباً بنقاش سام معه . كان جاك من النوع المترف الذي لا يحمل أي هم ، يميل إلى العيشة و الاستهتار ، و لكن لا ينقصه الذكاء و البدهة ، يحب المرح و الدعابة و الفتيات و المغامرة ، و لكنه ليس سيئاً و لا تنقصه اللياقة . كان كثيراً ما يتناقش مع سام حول المال . ذات مرة سأل سام " إنني لا أفهم يا سام كيف أن شخصاً مثلك يمتلك هذا المبلغ الضخم من المال ، و لا يتمتع به ؟!؟ " . فرد عليه سام " و لكنني أتمتع به يا جاك " - " لا أظن ذلك يا سام ، فأنا تشتري منزلاً أو سيارة أو شيئاً ما ، لا يعني ذلك التمتع بالمال ، و بخاصة لشخص مثلك ، لقد قلت لي إنك عشت حياتك في ضنك و ضيق ، ثم حصلت فجأة على هذه الثروة الكبيرة ، فمن الطبيعي أن تسد كل حاجاتك " . هز سام برأسه قائلاً " و لكن أظن أنني أفعل ذلك يا جاك ، فأنا مشترك الآن في هذا النادي ، و عضو فيه " . وضع جاك مضرب الطاولة من يده و قال " أنت محق يا سام ، النادي فيه كل وسائل الترفيه من رياضة و مسابح و مطعم و بوفيه و حفلات و صداقة .. و .. ، و لكنني أرى أنك لا تستغل كل الفرص المتاحة أمامك من المال الذي مجوزتك " . و وضع سام هو الآخر مضرب الكرة من يده و نظر إلى جاك و هو يفكر .

في المساء مر الدكتور بروكلمان على سام . " هيه يا سام لقد أخبرني المعلم رالف أنك ألقيت محاضرة البارحة " نعم يا دكتور " ابتسم الدكتور بروكلمان ابتسامة عريضة و هو يقول " أرجوا ألا تكون هذه المرة عن المال أيضاً " . ضحك سام بدوره و قال " شيء من هذا القبيل ، و لكنها أخف بكثير من المحاضرة الأولى ، و ذات مواضيع اجتماعية و دينية عدة . أتدري يا دكتور ؟ إن المعلم رالف محق إذ يرى أن

المحاضرات هي الوسيلة المثلى لصقل موهبة الإنسان و شهرته " - " نعم إنه محق في ذلك بالمناسبة من انتصر اليوم في كرة الطاولة أنت أم جاك ؟ " - " اليوم تعادلنا بعد منافسة شرسة لقد اجتمع علينا عدد من أعضاء النادي و أخذوا يتفرجون بشغف " . صمت سام قليلاً ، ثم قال و كأنه تذكر شيئاً " بالمناسبة لقد تحدثنا اليوم عن المال ، و كان له رأي فيه ، أعجبنى " أطلق الدكتور ضحكة مكبوتة و قال " جاك !!؟؟ هل أصبح هو الآخر مصلحاً اجتماعياً ؟؟ " . ضحك سام بدوره و قال " لا يا دكتور ، و لكنه يقول لي الكلام نفسه الذي كنت تقوله لي أنت من قبل ، و لكن بطريقة أكثر انفتاحاً " . مط الدكتور بروكلمان شفتيه باستغراب و قال " في هذه الحالة ، كان يجب أن تدعوه إلى محاضرة أمس " - " و من قال لك إنني لم أدعه " - " و هل حضر ؟ " - " نعم يا دكتور لقد حضر ، و لكن على ما يبدو هذه أول مرة يحضر فيها محاضرة (ابتسم سام قليلاً ثم تابع) لقد حضر بعد أن بدأت المحاضرة ، فعندما كنت القيها رأيته يفتح الباب و يدخل بهدوء و حذر و كأنه خائف (أخذ الدكتور يضحك بصمت ، بينما تابع سام كلامه) لقد كان مستغرباً قليلاً و جلس في أول مقعد صادفه بالمناسبة يا دكتور ، ما هو عمل أبيه ؟؟ " . وضع الدكتور بروكلمان قدماً فوق قدم و قال " إنه من كبار المقاولين في البلد ، و هو من الأثرياء ، لديه فيللا ضخمة في حي البرج على ما أظن " . نظر سام إلى الدكتور و سأله بعد تفكير " و ما هو رأيك بجاك ولده؟ " . حرك الدكتور بروكلمان يديه بلامبالاة و قال " من خلال ما أعرفه عنه ، و من خلال لقاءي معه أكثر من مرة في كرة الطاولة ، لم أر فيه ما يعيب ، و لكن أظن انه يحب النساء و الفتيات كثيراً ثقافته محدودة قليلاً ، و لكنه مع ذلك يجب أن يظهر بمظهر المثقف ، و ربما هذا ما يكون قد ساعد على تمتين علاقته بك باختصار هو شخص يتمتع بحياته إلى أقصى حد هذا ما كونته عنه " . فكر سام قليلاً ثم عاود السؤال " و ثقافته الاجتماعية و المالية ؟؟ " - " أظن أنه يتمتع بخبرة كافية في هذا المجال ، فهو يعمل مع أبيه " . حدق سام بالدكتور بروكلمان و هو يفكر ، ثم سأله " برأيك يا دكتور هل هو مناسب

لي كصديق؟ " . حدق الدكتور بروكلمان هو الآخر بسام ثم قال بعد لحظة تفكير " أظن ألا شيء يمنع صداقته معك و لكن كن على حذر منه اقصد بذلك ألا تنجر معه في كل شيء " - " كيف؟؟ " - " أي ألا تدعه يؤثر فيك ، ولا أقصد من هذه الناحية أنه سيء أو شرير ، و لكن ما أقصده ، هو ألا تأخذ كل طباعه ، هل فهمتني يا سام؟ " - " نعم يا دكتور لقد فهمتك " - " هناك أمر آخر يا سام " - " ما هو؟؟ " - " لقد لاحظت أن جاك يحاول أن يتعلم منك ، و يتطبع ببعض طباعك " - " كيف ذلك!!؟؟ " - " أظن و من خلال خبرتي ، أنه يحاول و بشكل غير مباشر أو غير شعوري ، أن يعوض من خلالك بعض الثغرات أو النواقص التي تعتريه ، و بمعنى أدق ، الأمور التي هي موجودة فيك ، وليست موجودة فيه ، و ربما يكون هذا سبب من أسباب ملازمته لك ، يضاف إلى ذلك أن لك سمعة بين الناس حتى في النادي الجميع يحترمونك " . فكر سام ، ثم قال " و ماذا ترى أنت يا دكتور؟ " - " أرى ألا مانع من صداقته ، هو يأخذ منك الثقافة و العلم ، و أنت تأخذ منه الخبرة الاجتماعية و حتى المالية " . ابتسم سام و حدق بالدكتور قائلاً " يعني صداقة مصلحة؟ " - " ليس ذلك بالضبط ، و لكن فائدة مشتركة ثم ما هو المانع في ذلك طالما ليس هناك إساءة " - " هز سام برأسه موافقاً " أنت محق يا دكتور " - " و لكن و كما قلت لك يا سام ، خذ من هذا الشخص ، ما أنت بحاجة إليه فقط ، و الذي يفيدك ليس غير " . اعتدل سام في جلسته و قد تغيرت ملامحه بما يوحي بالضيق " بالمناسبة يا دكتور ، لقد بدأت أشعر بالملل من هذا الوضع الذي أنا عليه ... إنني لا أفعل شيئاً ، سوى الذهاب للنادي ، و الأعمال الخيرية و إلقاء بعض المحاضرات ، في البلدة أستاذ الفلسفة هو الذي يقوم بهذه الأمور ، و هنا في العاصمة المعلم راشد أيضاً يتكفل بذلك ، إذاً لا يبقى لي شيء سوى الذهاب إلى النادي و قتل الوقت " . سأل الدكتور بروكلمان باهتمام " و ماذا تنوي أن تفعل يا سام؟ " - " إنني أفكر باستثمار أموالني ، لقد طرح معي جاك هذا الأمر أكثر من مرة " - " إنها فكرة جيدة يا سام ، أظن أنها ستساعدك على أن تعيش حياتك بواقعية ، و أن

تتخطى جميع المشكلات النفسية التي تعيشها و الشعور بالذنب الذي ينتابك من حين لآخر " . اعتدل سام بجلسته و قد بدا عليه الاهتمام و التحمس للموضوع " و ماذا سأفعل برأيك يا دكتور ؟؟؟ " - " أول شيء هو أن تحدد نوع الاستثمار أو التجارة التي ستقوم بها ، ثانياً أن يكون لديك مكتب ، و يفضل أن يكون في مركز العاصمة ، قرب مراكز البورصة و البنوك و الشركات التجارية " . فرك سام بيديه و قال " منذ الغد سأبدأ البحث عن مكتب ، و عليك أن تساعدني في ذلك يا دكتور، أما فيما يتعلق بنوع العمل ، فماذا تقترح علي ؟؟ " - " من الغد اذهب إلى المكتب التجاري في العاصمة و اشتر الدليل الاقتصادي و دليل الشركات المحلية و الأجنبية ، و هذان الدليلان ستجد فيهما كل ما يخطر في بالك من أنواع العمل التجاري أو الاستثمار ، و بإمكانك أيضاً ، أن تسأل جاك و تستشيريه في هذا الموضوع ، فهو يمتلك الخبرة " . لمعت عينا سام بوميض خاطف ، ثم قال " و هو كذلك يا دكتور " .

في اليوم التالي استيقظ سام باكراً ، كان مزاجه متحسناً بعض الشيء ، استقل سيارته و ذهب في جولة في المدينة ، جاب أرجاء العاصمة بسيارته و هو يتفرج على الأبنية ، وصل إلى مركز المدينة ، ثم أركن سيارته و نزل منها و أخذ يتمشى في السوق التجاري و هو ينظر إلى الأبنية و المحلات التجارية و المكاتب ، كان سوقاً ضخماً و كبيراً ، أبنية شاهقة ، محلات ، مطاعم ، بنوك ، فنادق ، بورصة و مخازن تجارية ، شركات و سيارات فخمة ، مخازن المجوهرات و الذهب ، مراكز تصريف العملات . كان السوق يعج بالمارة و حركة السير قوية ، أحس سام أنه في عالم صاحب كخلية النحل . تابع سيره و هو يتفرج على واجهة المحلات التجارية ، بعد ذلك سأل أحد المارة عن المكتب التجاري ، ذهب إليه و هناك اشترى الدليلين اللذين أخبره عنهما الدكتور بروكلمان ، كانا كتابين ضخمين ، وضعهما في كيس و قفل راجعاً إلى سيارته ، و من هناك ذهب إلى أحد المطاعم لتناول الغداء . بعد ذلك ذهب إلى النادي ، كان يأمل أن يجد

جاك هناك ، و فعلاً وجده . " أين أنت يا سام ، لقد بحثت عنك ، ما رأيك أن نتبارى في كرة الطاولة " -
" ليس لي مزاج في اللعب الآن يا جان ، و لكن أريد أن أتحدث معك قليلاً ، ما رأيك بكوب من
العصير؟ " - " لا بأس " . في البوفيه طلب سام من النادل كأسين من العصير ، وبدأ كلامه مع جاك " أريد
أن أبدأ عملاً تجارياً ، فما رأيك يا جاك ؟ " . رفع جاك يديه في الهواء تعبيراً عن الفرحة و المفاجأة و قال
" أخيراً يا سام ... بالطبع إنها فكرة جيدة ، لطالما نصحتك بذلك ، لكن ماذا تريد أن تعمل ، أو ما هو
نوع التجارة التي يريد أن تبدأ العمل بها ؟ " . فكر سام قليلاً ، لم يعرف بماذا يجيب ، فقال " حتى الآن ،
لا أعرف بماذا يمكن أن أبدأ ، ما رأيك أنت يا جاك ؟ " - " هناك مجالات كثيرة يا سام ، و كل مجال فيه
أنواع متعددة من الأعمال التجارية ، فمثلاً هناك مجال السياحة و مجال العقارات و مجال البورصة و مجال
الصناعة ، و مجال الزراعة أو مجال الاستيراد و التصدير ، و كل واحد من هذه المجالات فيه أنواع عدة ، و
أعمال كثيرة ، و ما عليك إلا أن تختار واحداً من هذه المجالات ، يكون الأقرب إلى عقلك ، و لك فيه
خبرة و دراية ، و يكون راجحاً " . فكر سام قليلاً ، ثم سأل جاك " و على فرض أنني اخترت عملاً ، فماذا
يجب علي أن اعمل " . شرب جاك من كأس العصير أمامه ، و ضغط على شفتيه علامة التلذذ ، ثم قال "
أولاً يجب أن يكون لديك مكتب ، ثانياً يجب أن تؤسس شركة أو مؤسسة و بخاصة بالعمل الذي ستقوم به
، ثالثاً يجب أن تعتمد على أناس و موظفين مختصين في مجال هذا العمل ، كما يجب أن يكون لديك
مستشاراً قانونياً ، أي محامياً ، يقوم بكل الأمور القانونية الخاصة بك أو بالشركة ، هذه تقريباً معظم الأمور
التي يجب أن تقوم بها ، و يبقى فقط أن تحدد نوع العمل الذي تريد أن تقوم به " . أشار سام موافقاً "لقد
اشتريت لهذا الغرض دليلي الاقتصاد و التجارة ، و هما معي الآن في السيارة " - " جيد ، بإمكانك
قراءتهما بتمعن و هدوء ، و هما سيساعدانك على اختيار نوع العمل التجاري " . نظر سام إلى جاك
متسائلاً و قال " ، لكن أليس لديك أنت فكرة تنصحني بها يا جاك ؟ " - " أنت اقرأ الدليلين التجاريين

أولاً ، و بعدها لكل حادث حديث " . هز سام برأسه موافقاً ، ثم فكر قليلاً و قال لجاك " بالمناسبة يا جاك ... ماذا تعمل بالضبط؟؟ " - "حالياً أعمل مع والدي ، و لكنني أفكر أن أبدأ لنفسي أنا أيضاً عملاً خاصاً بي " - " و ما هو نوع هذا العمل " . أخذ جاك رشفة من كأس العصير و قال " حتى الآن لم أقرر ، و لكن هناك عدة خيارات مطروحة أمامي ، منها السياحة و العقارات " . سأل سام بفضول " و ما هو رأي والدك " . أخذ جاك رشفة أخيرة من كأس العصير ، أنهى بها كل ما كان موجوداً في الكأس ، ثم وضعه على الطاولة و هو يضغط على شفتيه إعجاباً بطعم الشراب ، و قال " في الواقع والدي لا يمانع .. و الآن هيا بنا نلعب كرة الطاولة ، هذه المرة سأهزمك حتماً " . دفع سام الحساب ، و انطلق هو و جاك إلى صالة البينج بونغ و هما يتحدثان .

في المساء اتصل سام بالدكتور بروكلمان و اتفق و إياه على أن يلتقيا على العشاء في أحد المطاعم . كان المطعم في الطبقة الأخيرة من بناء فخم و هو من النوع الدوار ، و يطل على المدينة ، جلس سام مع الدكتور بروكلمان على الطاولة يتحدثان ، سأله الدكتور " ها يا سام ماذا حصل معك حتى الآن ؟ " . أخبر سام الدكتور بروكلمان بكل ما حصل معه في هذا اليوم منذ تجوله في مركز العاصمة و شرائه الدليلين التجاريين ، و لقاءه مع جاك . " عظيم يا سام ، وهل اطلعت على الدليلين التجاريين؟ " - " نعم لقد تصفحتهما اليوم قليلاً ، إن بهما عناوين كثيرة جداً ، و أظن أنهما سوف يساعداني في انتقاء العمل " . رفع الدكتور بروكلمان الشوكة في يده و قال لسام و هو يمضغ طعامه " بالمناسبة ، لقد وجدت لك اليوم مكتباً في السوق التجاري نفسه ، و هو كبير و مجهز بشكل حديث و جيد و البناء الذي هو فيه ، فخم و أنيق " - "عظيم ، و كم يساوي ؟ " - " حوالي ثلاثمائة و خمسين ألف دولار " . أرجع سام ظهره إلى الوراء و قال بدهشة " و لكنه مبلغ كبير جداً يا دكتور !!! " . تابع الدكتور التهام طعامه و هو يقول " لا

تنسى يا سام إنه في مركز العاصمة ، و هناك مكاتب و مخازن تزيد عن هذا السعر بكثير ، هناك مكاتب تزيد عن المليون دولار .. ثم لا أدري لماذا أنت مصمم على الشراء في مركز العاصمة ، هنالك مكاتب كثيرة في العاصمة ، خارج المركز التجاري ، و بأسعار أرخص بكثير !! " - " لا ، لا يا دكتور أحب أن أكون في المركز التجاري ... و على كل حال سنذهب أنا و أنت لنعاين المكتب ، و لكن قل لي يا دكتور ... ما رأيك بكلام جاك ؟ " - " كلامه صحيح و منطقي و سليم ، و أنا أؤيده في ما قاله ، و لكن طالما أنه يقول لك انه سوف يؤسس عملاً خاصاً به ، فلماذا لا تشترك معه يا سام ؟ " . شد سام على الشوكة التي كانت معه و قال " هذا بالضبط ما أفكر فيه و كنت سأقوله لك يا دكتور ، فما رأيك " - " لا بأس في ذلك يا سام ، فهذه أفضل طريقة لتعلم العمل التجاري ، بدلاً من أن تبدأ وحيداً من دون خبرة ، فشرائكتك معه ستكسبك خبرة و ممارسة و مران في العمل التجاري " . فكر سام قليلاً ثم قال " و لكن برأيك يا دكتور ، هل يوافق جاك على ذلك ؟ " - " لا أظن أنه سيمانع يا سام ، فليس هناك سبب موجب لل منع بل على العكس " . شرد سام بالطعام و قال بهدوء " إذا وافق جاك ، على ذلك ، يبقى فقط نوع العمل الذي سنقوم به " أجابه الدكتور بروكلمان " هذا ما ستفق أنت و هو عليه ، و لكن هنالك أيضاً أمور كثيرة يجب الاتفاق عليها ، كمقر العمل و نسبة رأس المال و الأمور القانونية و الموظفين ، و بالإضافة إلى ذلك يجب أن يكون لديك محام خاص بك ، يتولى كل هذه الأمور القانونية ، حتى و لو كانت أعمالك وحدك ، و لم تشترك مع جاك " . وافق سام قائلاً " معك حق يا دكتور ، هذه الأمور ممكن أن نتفق عليها ، و لكن فيما يخص موضوع المحامي ، ما هو العمل ؟ " - " لا تقلق في هذا الشأن ، أعرف أصدقاء كثيرين يعملون في المحاماة ، و إذا أردت ، أنتقي لك واحداً ، و لكن ما يجب عليك عمله هو مكان العمل " أشار سام إلى الدكتور ، هو يمضغ طعامه " أريد أن أرى هذا المكتب الذي حدثني عنه ، لأنني بصراحة ، أريد أن يكون العمل عندي في حال اتفقت مع جاك على الشراكة " - " لا بأس يا سام ،

من الغد سنذهب لرؤية المكان ، و في الغد أيضاً عندما تذهب إلى النادي ، فاتح جاك بالأمر واحسم أمرك بهذا الموضوع لتعرف كيف ستتصرف " نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال بنبرة رجاء "أريدك أن تكون معي غداً يا دكتور " . هز الدكتور بروكلمان برأسه موافقاً و قال " لا بأس ، سأحاول أن أنهي عملي في العيادة باكراً ، ثم نذهب في الظهر لرؤية المكتب ، و من هناك إلى النادي للقاء جاك " . ترك سام الشوكة و السكين من يده و قال " ألا تلاحظ يا دكتور أننا نتكلم عن جاك و كأنه سيوافق ؟ " - " ربما لأنه سيوافق فعلاً " قال الدكتور بروكلمان و هو يتابع مضغ طعامه .

في اليوم التالي ذهب سام مع الدكتور بروكلمان إلى السوق التجاري ، و هناك ألقى نظرة على المكتب ، كان بالفعل مكتباً فخماً ، يقع في الطبقة الخامسة من بناء تجاري حديث ، أعجب سام بالمكتب الذي كان مجهزاً بكل ما يلزم ، و قرر شراءه ، و باشر بكتابة العقد مع البائع ، و بعد ذلك ذهب هو و الدكتور بروكلمان إلى أحد المطاعم للغداء ، و من هناك ذهبوا إلى النادي لمقابلة جاك . جلسوا في صالة الاستقبال الكبيرة يتحدثان ، و بعد قليل دخل جاك من البوابة ، ترافقه فتاة حسناء . التفت الدكتور بروكلمان إلى سام و قال له " اسمع يا سام أنت لا تتكلم في الموضوع ، بل دعني أنا أتكلم به على طريقتي " - " حسناً يا دكتور ، كما تريد " . رآهما جاك من بعيد ، فاعتذر للفتاة التي كانت معه ، و أتى باتجاههما "مرحباً أيها السادة " - " أهلاً جاك تفضل " - " منذ مدة لم أرك يا دكتور ، و لم ألعب معك كرة الطاولة " - " أنت تعرف يا جاك الأشغال و العيادة تجعل وقتي ضيق جداً " . نظر جاك إلى سام و قال له " ماذا حصل معك يا سام بخصوص موضوع العمل " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و حك رأسه قليلاً ، ثم قال " مبدئياً سوف أشتري مكتباً في المركز التجاري ، و بعد ذلك أقرر " - " ألم تقرأ الدليل التجاري ؟ " - " نعم لقد قرأت فيه قليلاً ، و هو كما قلت لي ، يحتوي على الكثير من الأعمال التجارية " و هنا تدخل الدكتور

بروكلمان " لقد اخبرني سام أنك أيضاً تريد القيام بعمل تجاري يا جاك ؟ " - " نعم يا حضرة الدكتور " -
" و ما هو نوع العمل الذي تنوي القيام به ؟ " . فكر جاك قليلاً و قال " في الواقع يا دكتور إنني مثل سام
، لم أقرر حتى الآن العمل الذي سأنوي القيام به ، و لو كان في ذهني عدة خيارات " . و هنا ألقى
الدكتور بروكلمان الاقتراح " لقد خطرت ببالي الآن فكرة ، بما أنكما تريدان القيام بعمل تجاري ، أنت
وسام ، فلماذا لا تشركان معاً في عمل تجاري معين ، تتفقان عليه ؟ " . سادت فترة من الصمت . كان
جاك كعادته يجلس على الأريكة و يرخي جسده كله إلى الأمام و يضع كعب قدمه فوق ركبته بلا مبالاة ،
فعدل من جلسته و أخذ يفكر قليلاً ، ثم قال " من حيث المبدأ ، لا مانع لدي ، و لكن لا أعرف إذا كان
سام له رأي آخر ؟ " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و قال "أظن أن سام لا يمانع أيضاً ، أليس كذلك يا
سام " . فهتف سام بحماس " لا ، لا ، يا دكتور، أنا أيضاً لا مانع لدي " . فكر جاك قليلاً و هو يحرك
عينيه في الفراغ يمناً و يسرة ثم قال " و لكن هناك أمور أخرى يجب الاتفاق عليها في حال قررنا الشراكة
أنا و سام ، كمقر العمل ، و نسبة رأس المال لكل واحد ، و الموظفين ، و الأمور الأخرى التي يحتاجها
العمل " . وافق الدكتور بروكلمان " طبعاً ، طبعاً يا جاك كلامك سليم تماماً ، و لكن بالنسبة لمكان العمل
، هل لديك مكتب ؟ " . حرك جاك رأسه نائفاً "حتى الآن ، لا " . و هنا بادر سام بالكلام أيضاً بحماس
ما رأيك يا جاك ، أن يكون مكتبي مقر العمل ، طالما أنني اشتريت مكتباً؟ " . نظر جاك إلى سام و قال
بدهشة " هل اشتريت مكتباً يا سام !!؟؟ " - " نعم يا جاك و سوف أباشر بإجراءات نقل ملكيته لي " .
هز جاك برأسه و قد فوجئ بكلام سام ، ثم قال " ممكن يا سام كل شيء وارد ، و لكن على كل
حال سأفكر بالموضوع ، و بعد يومين أعطيكم الجواب " .

في المساء جلس سام و الدكتور بروكلمان يتناقشان بالأمر " ما رأيك يا دكتور بما حصل الليلة ؟ " - " -
أظن أن الأمور ستسير على ما يرام " - " و ما رأيك بكلام جاك ؟ " - " إنه ذكي جداً ، فهو لم يعط جواباً
فورياً ، بل طلب التريث ، و أظن أنه ربما سيحاول والده بالموضوع ، و على كل حال ، من الآن و حتى
يكون قد أعطانا جواباً ، جهز أنت أمورك من حيث المكتب ، و من الغد ستقوم بإجراءات البيع و
المعاملات القانونية " . قال سام بوجل " أريدك أن تكون معي يا دكتور " - " أنا دائماً معك يا سام ، و
لكن لا بد لك من محام خاص بك للإجراءات و الاستشارات القانونية ، فأنا في هذا المجال لا أستطيع
مساعدتك كثيراً " - " و هل أمنت لي محامياً يا دكتور ؟ " - " لقد تكلمت اليوم مع السيد جيم ، أحد
أصدقائي ، و هو محام نشيط و خبير ، و ابتداءً من الغد ستلتقي معه و تتفقان على كل شيء " . نظر سام
إلى الدكتور بروكلمان و قال "أتدري يا دكتور ، أشعر أن مزاجي قد تحسن كثيراً ، أحس أنني مقبل على
حياة جديدة " . أجاب الدكتور بثقة " طبعاً يا سام ، إن أهم شيء في الإنسان هو التوازن و من كل
النواحي ، و بخاصة في حياته الاجتماعية و سلوكياته ، لأن هذا يؤدي حتماً إلى التوازن النفسي لديه ،
وعندما يكون الإنسان متوازناً نفسياً ، تنتفي لديه كل أشكال التعب و الإرهاق و الإزعاج النفسي " . في
اليوم التالي ذهب سام مع الدكتور بروكلمان إلى دائرة البيع و التوثيق العقاري ، و هناك التقوا بمالك
المكتب و المحامي جيم ، و تمت عملية البيع و التنازل و التوقيع على الأوراق ، و قام سام بتقديم شيك إلى
البائع بقيمة المبلغ المطلوب و استلم على أثرها مفاتيح المكتب . كان في غاية السرور ، أحس بنوع خاص
من الفرح انتابه لأول مرة . عندما اشترى المنزل كان مسروراً و سعيداً و لكن شراء المكتب جعله يشعر بأنه
قد أصبح مميزاً عما قبل . بعد التوقيع و الاستلام دعا سام الدكتور بروكلمان و المحامي جيم إلى غداء
عمل و تعارف في أحد المطاعم الراقية . و هناك تعرف على جيم بشكل أفضل . ابتداءً الدكتور بروكلمان
الكلام " إن مستر جيم يا سام هو من أعز أصدقائي ، و هو شخص خبير و ضليع في مهنته و له خبرة كبيرة

في هذا المجال ، بالإضافة إلى أنه صادق و مخلص في عمله " . نظر سام إلى السيد جيم مبتسماً و قال " أتشرف بمعرفتك يا مستر جيم و أرجو أن يكلل عملنا بالنجاح و التوفيق " . فرد عليه المحامي بأدب شديد " الشرف لي أنا يا مستر سام ، و سوف أبذل كل جهدي لأكون عند حسن ظنكم بي ، و اعتباراً من الآن أضع نفسي تحت تصرفكم ، و أفترض أنكم كنتم راضين اليوم عن الطريقة التي تمت بها صفقة البيع ؟ " - " طبعاً ، طبعاً يا مستر جيم ، و بداية أريد منك بعض المعلومات القانونية العامة " - " هذا أكيد يا مستر سام ، و إذا أردت ، فإنه ابتداء من الغد سأتي إليكم في المكتب " .

بعد الغداء عاد سام إلى المنزل ، كان يقود السيارة بمتعة كبيرة ، وضع شريطاً غنائياً راقصاً و راح ينقر بيديه على المقود بفرح و سعادة . و عندما وصل إلى المنزل قام بدردشة سريعة مع جان و أخيه " قريباً جداً يا شباب ستبدأن العمل بشكل فعلي و رسمي " . فسأله أخوه بسرعة " هل وجدت عملاً يا سام ؟ " - " أيها الغبي ، لم أجد عملاً ، و إنما سأصنع عملاً " . فسأله جان " ، ما هو هذا العمل يا سام ؟؟!! " . استلقى سام بقوة على الأريكة المخملية الفاخرة و وضع قدمه على ركبته تماماً كما يفعل جاك ، و قال و هو يرفع يديه إلى الأعلى " حتى الآن لم أقرر ، و لكن قريباً جداً سيكون هناك عمل ، لقد اشترت اليوم مكتباً في المركز التجاري " . هتف أخوه مبتهجاً " حقاً يا سام ؟؟!! أريد أن أراه " - " طبعاً يا أخي العزيز سوف تراه ، و سوف تعمل هناك ، و من الغد سوف نذهب إليه " - " مبروك يا سام (قال جان) أتمنى أن يكون هذا المكتب بداية لعمل ناجح " - " شكراً يا جان ، و لكن قل لي ، هل تريد العمل معي في المكتب ؟ " . أوماً جان بحماس " نعم ، نعم يا سام إنني أتمنى ذلك " . نظر إليه سام و قال " و لكن هل تستطيع التوفيق بين عملك في مصنع المحركات الكهربائية و بين العمل معي ؟ " - " سأحاول ذلك يا سام ، ربما إذا كان لديكم عمل بعد الظهر " - " أظن إن الدوام سيكون قبل الظهر و بعده في الصباح تذهب إلى

عملك ، و بعد الظهر يكون عمالك عندي في المكتب " . فكر جان قليلاً ثم قال " و بعد ذلك أقرر في أي عمل سأستمر " . أشار سام بإصبعه إلى جان و قال بثقة "سأعطيك ضعف المرتب الذي يعطونك إياه في المصنع ، فأنت صديقي المخلص و لن أتخلى عنك " ابتهج جان لكلام سام ، و هتف بجرارة " إذاً في هذه الحالة سوف أقدم استقالتي و انضم إليك بشكل رسمي " . انتفض سام من الأريكة و قال ضاحكاً " لا تفعل ذلك حتى أكون أنا قد بدأت العمل بشكل فعلي ، فهناك احتمال كبير أن أتشارك أنا و جاك ، حتى ذلك الحين ، تكون أمور كثيرة قد توضحت و لكن يا جان منذ الغد أريدك أن تذهب و تلقي نظرة على المكتب و على تجهيزاته الكهربائية ، و تتفحصها لترى ما يمكن إضافته أو إلغاؤه (ثم التفت إلى أخيه) و أنت يا أخي فابتداء من الغد أيضاً ستقوم بدورة سكرتارية و محاسبة " . في المساء جلس سام على شرفة المنزل يرتشف الشاي و يراقب أضواء المدينة و السيارات البعيدة ، كان يشعر بالسعادة و هو يراقب الأضواء المتداخلة مع بعضها البعض ، أخذ يستعرض فريق عمله الدكتور بروكلمان مستشاراً عاماً ، و المحامي جيم المستشار القانوني ، و جان و أخوه مساعدين كان مطمئناً لهذا الفريق المحيط به ، فهو يعرف أفرادهم جيداً ، و لا يشك بإخلاصهم ، حتى المحامي جيم الذي هو حديث المعرفة به ، يبدو عليه الإخلاص ، بالإضافة إلى أنه من طرف الدكتور بروكلمان ، فلا بد من أن يكون موثقاً هو الآخر . كان المحامي جيم رجلاً في الأربعين من عمره حليق الوجه ، شعره خفيف يميل إلى الاحمرار قليلاً ، يضع نظارة طبية سمكية نوعاً ما ، شديد التهذيب و يبدو عليه الخجل في أثناء الكلام ، متزوج حديثاً ، و قد كرس كل حياته و وقته للمحاماة ، و يبدو عليه أنه ضليع بهذه المهنة ، دائماً يحمل معه حقيبة سمسونايت تلازمه في حله و ترحاله .

مضت ثلاثة أيام قضاها سام بين النادي و المكتب ، في الصباح كان يقضي وقته بتجهيز المكتب ببعض اللوازم من أجهزة و ديكور و أثاث ، و قد كلف جان بهذه المهمة ، بينما كان يبقى مع المحامي جيم الذي كان يشرح له المبادئ الأساسية و الهامة للأمور القانونية و التجارية ، و بعد الظهر يذهب إلى النادي و في المساء يلتقي مع الدكتور بروكلمان . و لكنه لاحظ أن جاك لم يأت إلى النادي طوال هذه الفترة . "برأيك يا دكتور لماذا لم يأت جاك ؟ هل هناك سبب ؟ " - " أظن أنه لا يريد المجيء حتى يكون قد قرر تماماً ماذا سيفعل بشأن شراكته معك " - " و لكن لماذا يفعل ذلك ؟؟؟ " - " أظن أنه يريد أن يصل إلى قرار منطقي و عقلائي ، و حسب ما أظن ، فإنه يرى أن مجيئه إلى هنا و لقاءه معك أو معي ، سيكون موضع نقاش عن العمل و الشراكة و هذا ربما يؤثر في قراره ، و بخاصة يعد أن رأني معك و هذا كله على ما أظن ، رأي والده و ليس من عنده هو ، أي ليس من بنات أفكاره " . نظر سام إلى الدكتور و أشار بيده قائلاً " تحليل رائع يا دكتور ، إنك فعلاً ماهر في التحليل " . ابتسم الدكتور بروكلمان و قال " هل نسيت إنني دكتور في علم النفس " . فكر سام قليلاً ثم قال " و لكن ألا يمكن أن يكون هناك سبب آخر يا دكتور ؟ " - " لا ، لا أظن يا سام ، و حتى أثبت لك صحة كلامي ، أظن أنه يشاور أباه في هذا الموضوع ، و أبوه سوف يوافق على ذلك ، و سيرسل في طلبك لمقابلتك أنت وحدك فقط ، من دوني ، ليتعرف عليك ، لأنني متأكد أنه سمع عنك من ابنه أو من أحد آخر " . نظر سام إلى الدكتور و ابتسم بشيء من الدهاء و قال " ولكن يا دكتور أنت بذلك تكون قد وضعت فراستك و خيرتك على المحك " . حدق الدكتور هو الآخر بسام مبتسماً و قال " و هو كذلك يا سام " - " حسناً يا دكتور ، سنرى ، سنرى " .

بعد يومين كان الدكتور بروكلمان في العيادة عندما اتصل به سام . " مرحباً يا دكتور " - " أهلاً يا سام ، من أين تتكلم ؟ " - " من النادي ، لقد التقيت قبل قليل بجاك ، و هو الآن في الخارج يقف مع إحدى

الفتيات " - " حسناً و ماذا قال لك ؟ " - " أعترف يا دكتور أنك قارئ أفكار من الطراز الأول ، إنني أنحني أمام فراستك و نباهتك " . ضحك الدكتور و قال " حسناً و متى ستذهبان ؟ " - " الآن " - " و موضوع ذهابي معك ؟ " - " لقد قلت لك يا دكتور قبل قليل ، إنك متنبئ من الطراز الأول " . ضحك الدكتور بروكلمان مرة أخرى و قال "حسناً إذاً ، اتصل بي بعد العودة ، و لا تنس أن تتصرف و تجيب كما أخبرتك " - " أكيد دكتور ، أكيد " . أغلق سام السماع و خرج إلى ساحة النادي "حسناً يا جاك كيف سنذهب ؟ " - " تبقي أنت سيارتك هنا في النادي ، نذهب بسيارتي و نعود بها إلى النادي " - " حسناً ، هيا بنا " . أخذت السيارة تحترق شوارع العاصمة حتى وصلت إلى حي البرج . عادت الذكريات بسام عندما مرت السيارة أمام المخزن الذي كان يعمل به ، حاول إلقاء نظرة إلى الداخل ، و لكن جاك كان يقود سيارته البورش بسرعة فلم يتبين سام شيئاً . " هل هناك شيء يا سام ؟ " - " قبل سنوات عدة كنت أعمل هنا في هذا المخزن الذي مررنا به " - " هل هو المخزن نفسه الذي حدثني عنه مرة ؟ " - " نعم يا جاك ، إنه هو " - " إذا أحببت يمكن أن نخرج عليه عند العودة " - " لا ، لا ، لا داعي " . بعد قليل وصلت سيارة البورش الرياضية إلى بوابة سوداء ضخمة و عليها نقوش مذهبة ، أطلق جاك زمور السيارة ، فلم تلبث البوابة أن فتحت بعد قليل ، و دلفت البورش إلى الداخل ، كانت فيلا كبيرة فخمة و محاطة بالجنان من كل جوانبها . دخل سام و جاك إلى صالون الاستقبال . " عن إذنك يا سام ، سأصعد لأخبر والدي أننا وصلنا " . جلس سام مبهوراً " يا إلهي ما هذه الفخامة و العظمة ، إنها بالفعل فيلا رائعة " . كانت الجدران ملبسة بالخشب المنحوت و الزخارف المنتشرة هنا و هناك ، و السجاد و الأثاث و الثريات المذهبة . بعد قليل جاء جاك ، فبادره سام بالكلام " لقد أعجبني هذا السجاد يا جاك إنه رائع جداً " - " أظن إنه مستورد من إيران و الهند " . أشار جاك للخادم بالاقتراب و طلب كوين عصير ، ثم جلس يتبادل الحديث مع سام ، و بعد حوالي نصف ساعة وقف أحد الخدم أمام السلم الداخلي ، معلناً قدوم والد

جاك الذي كان ينزل السلم من فوق بهدوء ، كان رجلاً أشيب تماماً ، حليق الوجه و أبيضه ، ضخم البنية ، يرتدي روب ديشانبر . " مساء الخير " ألقى الرجل التحية بوقار و هدوء ، فنهض سام و جاك "أعرفك يا والدي على صديقي سام ، صديقي الذي حدثتكَ عنه " جلس الرجل بهدوء على الأريكة الفخمة المطرزة بنقوش مذهبة و قال " أهلاً و سهلاً يا بني ، لقد حدثني جاك عنك ، و يسعدني أن تكونا صديقين" ماذا تعمل الآن يا بني " . ارتبك سام قليلاً و قال " في الحقيقة يا سيدي ، إنني حتى الآن لم أعمل شيئاً بالنسبة لموضوع التجارة ، و نشاطي الحالي يقتصر على الأمور الخيرية و التبرعات عندنا في البلدة ، و في العاصمة هنا عن طريق مؤسسة المعلم رالف " . هز والد جاك رأسه بهدوء ووقار و قال " إنني أسمع كثيراً عن المعلم رالف و عن أعماله الخيرية ، إنه رجل محترم ، و أنا أكن له الكثير من المودة و الاحترام و بالنسبة للعمل التجاري ماذا قررت أن تفعل " . تلكأ سام قليلاً بالكلام ثم قال " لقد قررت أن ابدأ بمشروع تجاري " - " و ما هو هذا المشروع ؟ " - " في الواقع يا سيدي إنني حتى الآن لم أحدد نوع العمل ، و لو أنني اطلعت على الدليل التجاري " - " و ماذا حول موضوعك أنت و جاك ؟ " - " لقد قال لي جاك منذ فترة إنه ينوي القيام بعمل جديد ، فطرحت عليه موضوع الشراكة و لم يمانع من حيث المبدأ ، و لكنه طلب مهلة للتفكير ، و اليوم جاء ليخبرني أن حضرتكم تريدون رؤيتي " . كان سام يتكلم بهدوء و بشيء من الارتباك الخفيف الغير واضح تماماً ، و والد جاك جالس قبالة ينظر إليه بعينيه النصف مغمضتين ، نظرة الخبير الحنك الفاحص ، كان يراقب كل حركات سام و تصرفاته و كلامه ، أما جاك فقد جلس بينهما يراقب بصمت . " لقد استشارني جاك بهذا الموضوع يا سام و أخبرني عنك ، و من خلال كلامه عنك أعطيته بدوري موافقتي ، ولقد سألت عنك أنا أيضاً ، و لم أسمع إلا الكلام الطيب و الجميل و لكن ألا يجب أن تتفقوا على نوعية العمل و كفيته ، و مكانه ؟ " . رد سام بهدوء " بالنسبة لمكان العمل ، فإني قد اشتريت مكتباً في السوق التجاري ، و إذا وافق جاك ، فيمكن أن يكون هذا

المكتب هو مقر العمل " . هز والد جاك رأسه بهدوء و قال " و نوع العمل ؟ " - " لا أعرف ماذا قرر جاك ؟؟ " عاود الأب السؤال مرة أخرى " و أنت ماذا قررت ؟ " - " في الواقع يا سيدي لقد اطلعت على أعمال كثيرة في الدليل التجاري ، و كوني خريج كلية الكيمياء من مؤسسة إلفا ، فإني أفضل العمل في الأمور التي تتعلق بالكيمياء و المواد الكيميائية ، كوني أمتلك الخبرة في ذلك " - " إنها فكرة معقولة يا مستر سام ، و أنا أحيي فيك ذلك ، و لكن برأيي الشخصي إن الخبرة العلمية شيء ، و الخبرة التجارية شيء آخر ، و أعود و أكرر لك ، إنها فكرة سديدة و معقولة ، و لكن هناك أيضاً فكرة أخرى و طرح ثانٍ " - " تفضل يا سيدي " - " لماذا لا تعملون في مجال البناء و العقارات مثلاً ، فجاك لديه خبرة تجارية ، لا بأس بها في هذا المجال ، فهو قد عمل معي ، و بالإضافة إلى ذلك ، فإني أستطيع أن أقدم لكم المشورة اللازمة عند الضرورة ، و مجال البناء هو مجال رائع الآن ، و مريح " صمت سام يفكر ثم قال "أنا لا مانع لدي يا سيدي " اعتدل والد جاك بجلسته بهدوء ثم قال " قل لي يا سام ، من هو طاقم العمل لديك و الذي سوف يعمل معك في حال تمت الشراكة بينك بين جاك ؟ " . و هنا تكلم جاك قائلاً " أنا أعرفهم يا أبي ، إنهم " . قاطع الأب ابنه بحزم "اصمت أنت يا جاك و دع السيد سام يتكلم " - " في الحقيقة يا سيدي إنهم حالياً أربعة .. صديقي الدكتور بروكلمان و محام ، و صديقي جان الذي كان يدرس معي في مؤسسة إلفا و أخي " . حدق الأب بسام من وراء جفنيه الغليظين و قال بهدوء " ما هي طبيعة عمل الدكتور بروكلمان معك ؟؟ " - " تستطيع يا سيدي أن تقول إنه صديق و مستشار لي " . سأل الأب و هو لا يزال يحدق بسام " هل هو الذي أشار عليك بالشراكة مع جاك ؟؟؟ " . فوجئ سام بالسؤال ، ثم قال بهدوء " لا يا سيدي ، إنها فكرة خطرت لي أنا " . عاد والد جاك يسأل " الدكتور بروكلمان هل هو دكتور في علم النفس ؟ " - " تماماً يا سيدي " . فكر الوالد قليلاً ثم تتمم " أظن أنني سمعت بهذا الاسم من قبل " رد سام بالقول " إنه طبيب مشهور يا سيدي " - " و لكن كيف تصادف أن

يكون مستشارك طبيباً يا سام؟؟ " - " كان في السابق صديقاً لي ، و قد ساعدني في أمور كثيرة " - "

كيف تعرفت إليه؟؟ " - " في مؤسسة المعلم رالف " . استمر النقاش حوالي ساعتين ، و بعدها غادر سام برفقة جاك إلى النادي ، و من هناك استقل سيارته و عاد إلى المنزل . عندما وصل اتصل بالدكتور بروكلمان ، و لم تمض ساعتان حتى حضر الدكتور " هيه يا سام أخبرني ماذا حصل معك " - " لقد كان الأمر كما توقعت يا دكتور " . روى سام للدكتور بروكلمان كل ما حدث معه منذ خروجه مع جاك و حتى عودته . هز الدكتور برأسه قائلاً " إذاً إن معظم الأسئلة التي توقعتها قد سألك إياها " - " نعم يا دكتور " - " و هل أجبت كما أخبرتك؟ " - " نعم و في النهاية اتفقنا على أن نعمل في مجال العقارات و البناء ، برأسمال و قدره خمسة ملايين دولار ، يساهم كل منا بنسبة خمسين بالمئة منها ، و يكون مكنتي هو مقر العمل ، و لكل منا محاميه الخاص ، و أنت و جاك و أخي تعتبران موظفين في الشركة ، و هو لديه شخصان اثنان يعدان أيضاً موظفين في الشركة ، و توزيع الأرباح يكون مناصفة ، و التكاليف من رواتب و نفقات ، أيضاً تكون مناصفة ، و منها إيجار المكتب " - " جيد جداً ، هل حددتم قيمة هذه الأمور؟ " - " هذا ما سوف نتفق عليه لاحقاً ، و قبل أن نبدأ العمل و نوقع الأوراق القانونية ، خلال هذا الأسبوع سنبدأ بتحديد كل هذه الأمور ، أنا و هو و محاميه ، و ستكون أنت و المحامي جيم معي " . أشار الدكتور بروكلمان بيده إلى سام قائلاً " في البداية أفضل أن تبدووا بالأعمال الصغيرة نسبياً ، حتى تكونوا قد خبرتم السوق جيداً " - " و هذا ما سنفعله يا دكتور ، و هو ما نصحنا أبوه به بالمناسبة يا دكتور ، لقد سألت عنك أبوه كثيراً " - " حقاً؟؟؟ " - " لقد سألتني أسئلة كثيرة ، و لم يدع جاك يتكلم " - " هذا من حقه يا سام ، إنه يريد أن يعرف و يطمئن " .

بعد أسبوع اتفق سام و جاك على تفاصيل العمل بشكل نهائي ، و لم يلبثا أن وقعا الأوراق القانونية للشراكة ، و سجلا الشركة في السجل التجاري ، كان سام يشعر بسعادة غامرة ، أحس انه تخلص من كل مشاكله النفسية ، و أصبح له كيان جديد ، كان عمله في المكتب ، على فترتين ، فترة قبل الظهر و تمتد من الساعة التاسعة صباحاً و حتى الثانية ظهراً ، و فترة بعد الظهر و تمتد من الخامسة و حتى الثامنة مساءً ، و بعد ذلك كان يذهب هو و جاك إلى النادي . في أول يوم عمل له و عندما غادر المكتب في الثانية ظهراً ، نزل إلى السيارة ، أراد أن يقوم بجولة في العاصمة ، جلس في المقعد و أدار المحرك ، انطلق في شوارع العاصمة ، وضع شريط الكاسيت في جهاز السيارة و أدار المفتاح ، فانطلقت موسيقى كلاسيكية هادئة كان يحب سماعها " لقد أصبحت رب عمل يا سام ، لقد حُلت كل أمورك و لم يعد هناك خلل ، لم يعد هناك ضجر ، أصبح هناك شيء تفعله ، لم يعد هناك شعور بالذنب ، لأنك لا تفعل ما هو خاطئ عش حياتك يا سام ، نعم عش حياتك ، استثمر أموالك في التجارة و سل نفسك بالنادي و غيره ، و تابع أعمالك الخيرية في البلدة و في مؤسسة المعلم رالف المعلم رالف ، المعلم رالف ، يا إلهي لقد نسيت المعلم رالف ، لقد شغلتنني أمور التجارة عنه " انعطف سام بالسيارة فجأة نحو اليمين و دخل في طريق دائري ، ليعود باتجاه معاكس نحو مؤسسة المعلم رالف . عندما وصل أركن السيارة خارج البوابة و دخل ، كان المعلم رالف يجلس كعادته في الحديقة " مرحباً يا معلم " - " مرحباً يا سام ، أين أنت ؟ منذ مدة لم أرك " - " إنها المشاغل يا معلم ، لكنك في البال دائماً " - " ما هي هذا المشاغل التي منعتك عنا يا سام " - " في الحقيقة يا معلم أنت تعرف أنني منذ أن حصلت على المال ، و أنا لا أعمل شيئاً ، إلا التبرعات ، و الأعمال الخيرية " - " نعم ، نعم بارك الله بك يا سام ، إن هذه الأعمال هي من أفضل الأعمال على الإطلاق ، و هل هناك شيء أفضل من أن تساعد إنساناً فقيراً محتاجاً ؟ " . صمت سام قليلاً و هو يحضر ما سوف يقوله ، ثم رفع رأسه و قال " أنت محق يا معلم و هذا رأيي منذ البداية

و قبل أن يكون معي المال و أنت تعرف ذلك ... و أنا سأستمر بهذا العمل ، و لكن المشكلة
..... " . التفت المعلم رالف إلى سام و قال " ماذا هناك يا سام؟؟ هل هناك شيء؟؟ " . تنحج سام ، ثم
حك رأسه و نظر إلى المعلم و قال " المشكلة يا معلم أنني طوال هذه السنين و أنا أشعر بالملل و
الضجر..... و عمل الخير والتبرعات و المساعدات الإنسانية قد تشعرني بالسعادة الروحية و النفسية ،
ولكنها لا تملي علي أوقاتي .. و لا وقتي الذي يمر من دون عمل (كان المعلم رالف ينصت باهتمام بالغ
إلى سام الذي تابع) فأنا أحول شهرياً مبالغ من المال إلى حساب جمعيتك يا معلم أو إلى البلدة ، إنه عمل
خير و إنساني ، ولكنه لا يحتاج مني لأكثر من توقيع ورقة ، و ماذا أفعل ببقية الشهر ، هل أقضيه هكذا
؟؟ " . قال المعلم رالف و هو لا يزال ينصت إلى سام و يتمعن به " تابع .. تابع يا سام ... إنني أسمعك "
وضع سام يديه على ركبتيه و تنهد بعمق ، ثم قال "ولهذا يا معلم ، فقد قررت أن أبدأ عملاً تجارياً
منذ فترة اشترت مكتباً كبيراً في المركز التجاري ، و أسست شركة أنا و صديق لي ، اسمه جاك ، و
سنعمل في مجال البناء و العقارات و طوال هذه الفترة كنت مشغولاً بالشراء و المعاملات القانونية و
التجارية ، و هذا ما شغلني عن زيارتكم (ظل المعلم رالف ينصت باهتمام إلى سام الذي تابع) لقد آن
الأوان يا معلم رالف أن أستقر و أبدأ عملاً خاص بي يملي علي حياتي ، أليس كذلك؟ " . صمت المعلم
رالف يفكر و رأسه مطأطأ نحو الأرض ، ثم تنهد عميقاً و رفع رأسه و قال " إذاً يا سام فقد أنهيت كل
معاملاتك التجارية و القانونية ، و بدأت العمل؟؟" – " نعم يا معلم ، و أرجو أن تبارك لي هذا العمل
بزيارتك لي في المكتب " ابتسم المعلم رالف ابتسامة باهتة صفراء و قال "أنت تعرف أنني لا أغادر المؤسسة
إلا لأمر خاص و عل كل حال أرجو أن تكون قد فكرت جيداً ، و أن تكون قد اتخذت قرارك بعد
دراسة و تمحيص كافيين ... (صمت المعلم قليلاً ، كان واضحاً عليه أنه غير مسرور، ثم تابع) على كل
حال يا سام ، إن كل إنسان في هذه الحياة يجب أن يختار ما يناسبه و يناسب شخصيته و مبادئه ، و أي

إنسان سيختار شيئاً لا يناسبه ، سيفشل فيه حتماً ، و أتمنى أن تكون قد اخترت العمل الذي يناسبك " .
نظر سام إلى المعلم بقلق و قال بلهجة حزينة " أخشى انك لست راضياً " . لم يبرر المعلم رالف ، بل قال
باقتضاب " على كل حال يا سام أتمنى لك النجاح و التوفيق ، و أهم شيء هو المواظبة على عمل الخير " -
" أكيد يا معلم ، أكيد ، إن عمل الخير هو همي الأول و الأخير و أنت تعرف ذلك جيداً يا معلم " .
التفت المعلم إلى سام و سأله " بالمناسبة من هو صديقك جاك هذا؟ هل أعرفه ؟ " - " لا يا معلم ، و لو أنه
جاء مرة إلى هنا عندما ألقىت المحاضرة الأخيرة " - " لماذا لم تعرفني عليه !!؟؟ " - " لقد دخل متأخراً ، و
غادر فور انتهاء المحاضرة أبوه من كبار المقاولين في البلد و الآن يا معلم ، أرجو أن تبارك لي
هذا العمل " . تنهد المعلم رالف مرة أخرى بعمق و قال " باقتضاب " لباركك الله يا سام ، لباركك الله " .
بعد أن شرب الشاي ، غادر سام المؤسسة ، كان من عادة المعلم رالف أن يرافقه نحو الباب ، و لكنه هذه
المررة لم يفعل ، بل بقي في مقعده ، و على وجهه مسحة كآبة . انطلق سام في السيارة ، كان حزيناً بعض
الشيء ، لم يعد له مزاج لإكمال نزهته في العاصمة ، و لهذا توجه إلى المنزل و هناك اتصل بالدكتور
بروكلمان . " اليوم أخبرت المعلم رالف بموضوع العمل ، ولكن يبدو و كأنه لم يرتح للموضوع كثيراً ،
كان حزيناً و لذلك أرجوك يا دكتور أن تذهب إليه اليوم و تحاول إقناعه بان ذلك ليس أمر سيء " - " .
أنت تعرف المعلم رالف ، لديه نظرة خاصة تجاه التجار و التجارة ، و يعتبر أن ذلك يجعل الإنسان مادياً
جشعاً عديم الأخلاق ، و لكن لا تخف ، سأحاول إقناعه ، ثم لا تنسى أن ثقته بك كبيرة يا سام ، أظن
أنها سحابة صيف و ستزول " - " أرجو ذلك يا دكتور ، أرجو ذلك " .

بدأت حياة سام العملية بشكل مريح و ممتع ، كان يجد راحة كبيرة في التعامل مع جاك ، لقد توطدت
أواصر الصداقة بينهما ، في البداية كانا يلتقيان فقط في أثناء الدوام ، و لكن بعد فترة ، بدأ جاك يصطحب

سام معه إلى سهراته و حفلاته الخاصة ، كان من النوع الذي يحب اللهو و المتعة و التدخين بشرافة و شرب الكحول ، و لكن باعتدال . كان يدعو سام إلى الشراب و التدخين ، في البداية امتنع سام بشدة ، و لكن جاك ما لبث أن أقنعه بأن هذا من دواعي الأبهة و أنه لا ضرر فيه " لا ضرر في ذلك يا سام ، طالما أن المرء يكون معتدلاً في ذلك ، انظر إلى رواد النادي ، معظمهم يشربون الكحول ، و يدخنون ، ما عدا أنت ، فإنك تشرب العصير ... بالمناسبة يا سام لقد بدأ بعضهم يتهمك عليك ، إنهم يسمونك رجل العصير " .

ضحك سام وقال " رجل العصير !!!؟؟؟ " - " نعم يا سام ، رجل العصير ، هل أعجبتك التسمية ؟ قل لي إذا كانت قد أعجبتك فأسميك بها من اليوم " - " لا يا جاك إنها غير مستحبة " - " إذاً عليك إقناع الناس بذلك بالمناسبة يا سام ، الدكتور بروكلمان يشرب الكحول و يدخن ، لقد رأيته أكثر من مرة يتناول الويسكي و البراندي و النبيذ هنا في النادي ، حتى عندما كنا نتناول الغداء في المطعم بمناسبة بداية العمل ، ألم تلاحظ أنه طلب ويسكي ؟ " - " نعم ، و لكنه يشرب باعتدال " . رفع جاك كأسه و صاح ببهجة " عظيم ، و هذا ما أطلبه منك أن تشرب باعتدال ، ثم إن معظم رواد النادي هنا يشربون باعتدال ، و معظمهم من الطبقة الراقية و الميسورة ، و الآن هيا سأدعوك إلى كأس من النبيذ في بوفيه النادي

هيا يا رجل تشجع " . ارتبك سام قليلاً قال بنجمل "حسناً يا جاك كما تشاء " ، ذهب الاثنان إلى بوفيه النادي ، و عندما دخلا ، كان هنالك عدد من أعضاء النادي ، منهم الجالس ، و منهم الواقف ، ألقى جاك و سام التحية عليهم . ثم جلسا على إحدى الطاولات . أشار جاك بيده قائلاً "انتظرني هنا يا سام حتى أعود " . بقي سام جالساً على الطاولة و ينظر إلى أعضاء النادي المتواجدين في البار و يشير إليهم بالتحية ، " كأنهم يراقبونني " قال في نفسه . وصل جاك إلى البار و طلب كأسين من النبيذ الفاخر و عاد إلى الطاولة . بعد قليل جاء النادل و وضع الكأسين على الطاولة و انصرف . أمسك جاك كأسه بيده و رفعه قائلاً " بصحتك يا سام " . فرفع سام كأسه هو الآخر و قال لجاك " بصحتك " ، و ما أن وضع

الكأس على شفثيه و شرب منه ، حتى تعالى التصفيق و الصفير بين الحضور ، و رفع الجميع كؤوسهم .
انتفض سام و وضع كأسه بارتباك قائلاً " ما هذا يا جاك ، ما هذا؟" . استغرق جاك في الضحك و قال "
لقد راهنت جميع الحضور هنا ، بأنني سأجعلك تشرب الكحول ، و ها قد شربت " - " أيها الخبيث " - "
هيا يا سام ارفع كأسك مرة ثانية ، و اشرب نخب الحضور ، يجب أن نرد لهم التحية " . رفع سام كأسه
باضطراب و قال للحضور " بصحتكم " ثم شرب . نظر إليه جاك مبتسماً ابتساماً ماكرة و قال " كيف
رأيت الشراب يا عزيزي " أجاب سام وهو يستشعر طعم النبيذ " لا بأس " - " إنها من أفخر أنواع النبيذ
الخلو يا سام ، و هي تصدر إلى جميع أنحاء العالم ، إنها معتقة " . استفسر سام بدهشة " ما معنى ذلك ؟؟!
" - " يعني أنها قديمة قدم السنة التي صنعت فيها ، فهناك أنواع من الخمر يا سام ، يصنعونها ثم يخزنونها
لفترات طويلة من الزمن ، قد تمتد إلى عشرات السنين حسناً انتظر قليلاً " . ذهب جاك إلى البار و
عاد و هو يحمل في يده زجاجة جميلة " هذه الزجاجة يا سام هي التي نشرب منها هذا الخمر ، انظر ، هذه
هي السنة التي تم فيها تعبئتها " أخذ سام الزجاجة من يد جاك و أخذ يتأمل فيها ثم قال مستغرباً " مستحيل
، مكتوب هنا ١٩٤٥ ، و هذا يعني معتقة حوالي خمس و أربعين سنة!! " - " و هناك فترات أطول من
هذه يا سام " قال جاك ثم أخرج من جيبه علبة سجائر ، و وضع سيجارة في فمه و قدم أخرى لسام . نظر
سام باستغراب و قال " خمر و سيجارة في الوقت نفسه ؟؟! " - " طبعاً يا سام ، أنت الآن رجل ، هيا خذ
إنه مارلبورو ، دخاني المفضل " التقط سام سيجارة و أشعلها من جاك الذي تابع كلامه " عندما تكون
تتضايق يا سام أو تفكر بأمر معين ، ما عليك سوى التدخين ، إنه يعطيك راحة نفسية و ذهنية ، و بخاصة
في تلك الأوقات ، أنا من ناحيتي عندما أتضايق و أدخن ، أشعر قليلاً بالراحة " سأل سام بفضول " ما هو
السبب يا جاك ؟؟! " - " السبب يا سام هو أنه عندما تنفث دخان سيجارتك ، فهناك نسبة من الهموم و
الضغوط تخرج مع الدخان " . انتفض سام قائلاً " معقول ؟؟! " - " طبعاً " - " و من قال لك ذلك ؟؟ " -

" لا أحد إنها من اختراعي ، و لكن أوكد لك أن هذا الكلام صحيح ، و أظن أن الدكتور بروكلمان يعرف ذلك فهو يدخن أحياناً انظر يا سام أليس هو من يقف في مدخل البوفيه .. كأنه يبحث عنا ، يا لهذه الصدفة" . رفع جاك يده ملوحاً للدكتور الذي ما إن رآه حتى دخل مسرعاً . " أظن أنك تبحث عنا يا دكتور ؟ " - " نعم " - " و كيف عرفت أننا هنا ؟ " - " لقد سألت أحد أعضاء النادي في الحديقة ، فقال إنكما دخلتما إلى البوفيه فأتيت ، و لكن ما هذا ؟ أرى سام يشرب الكحول و يدخن !!؟؟ " ابتسم جاك ابتسامة المنتصر و قال " نعم يا دكتور ، منذ الآن أصبح سام من أعضاء النادي الحقيقيين ، و لم يعد اسمه رجل العصير ، بل بل رجل الثلج " . فسأل الدكتور بروكلمان بدهشة " و لماذا رجل الثلج؟؟ " فرد جاك ضاحكاً و أشار بطريقة كاريكاتورية " لأن الثلج يوضع في الويسكي و النبيذ و البراندي ، أليس كذلك يا دكتور العزيز " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال و كأنه يشعر بالذنب " لقد أغراني جاك يا دكتور ، و أوقعني في الفخ " . جلس الدكتور بروكلمان على الكرسي و قال " لا بأس من الشراب يا سام ، لكن باعتدال ، أما الدخان فلا أحسك عليه كثيراً " . فرد جاك مدافعاً عن سام " و لكنك أنت نفسك تدخن يا دكتور " . رفع الدكتور بروكلمان يديه و قال "عادة و تعلمتها ، ربما بسبب انشغالي في العيادة و مع المرضى ، و هذا العمل يحتاج إلى التدخين " و هنا التفت جاك إلى سام و قال له و هو يشير إلى الدكتور بروكلمان " رأيت يا سام ، ألم أقل لك إن التدخين يفيد في أثناء القلق و الانزعاج (ثم التفت إلى الدكتور) .. و الآن ما رأيك يا دكتور العزيز بكأس من النبيذ المعتق مع سيجارة خفيفة " . أوماً الدكتور برأسه موافقاً " لا بأس بذلك ، أما بالنسبة للسيجارة ، فانا أحبذ الروثمان دخاني المفضل " قال الدكتور ذلك و أخرج من جيبه علبة روثمان زرقاء اللون ، انتزع منها سيجارة و دسها في فمه بحركة سريعة ماهرة ، ثم أشعلها ، بينما أشار جاك للنادل بكأس أخرى من النبيذ ، و التفت إلى الدكتور بروكلمان قائلاً "كان يجب عليك أنت يا دكتور أن تعلم سام الشراب و التدخين كونك

مستشاره الخاص". ابتسم الدكتور وقال لجاك بشيء من التأنيب الخفي " هذه الأمور يا جاك تترك للشخص نفسه ، فهو حر في ذلك ، و لا تفرض عليه ، أما لو نصحت سام كما تقول ، فاعتقد أنني لن أكون مستشاراً صالحاً ". و ضج الثلاثة بالضحك .

مرت حوالي سنة ، كان سام خلالها قد امتلك خبرة لا بأس بها في تجارة البناء و العقارات ، كانت صداقته مع جاك قد توطدت كثيراً ، و أصبح يرافقه بشكل دائم تقريباً ، و قد عرفه جاك على معظم أصدقائه ، و على أجواء العاصمة الصاخبة ، كان سام قد قسم وقته ما بين العمل و النادي . وقت الفراغ كان يقضيه مع جاك و الدكتور بروكلمان و المحامي جيم أحياناً إذا كان هناك بعض الأمور القانونية ، أما المعلم رالف فقد كان يلتقيه في العطلة الأسبوعية ، كل شهرين أو ثلاثة كان يذهب إلى البلدة للاطمئنان على الوضع هناك ، كان قد بدأ يفكر بالزواج ، عرض عليه أهله أكثر من مرة هذا الموضوع ، و بما انه كان مشغولاً قبل ذلك ، فقد أجل هذا الموضوع ، أما الآن فقد بدأ يفكر فيه بشكل جدي ، و بخاصة بعد أن علم أن صديقه جاك سيتزوج قريباً جداً ، صديقه جان كان قد تزوج حديثاً ، أما أخوه الأصغر منه فقد تزوج منذ سنتين ، من إحدى بنات البلدة ، و قد اشترى له سام منزلاً في العاصمة له و لعروسه كهدية زواج ، لقد أصبح عمره الآن سبعة و ثلاثين عاماً ، و لم يتزوج ، الدكتور بروكلمان كان قد أشار عليه بذلك من قبل مرة واحدة فقط و لم يكررها . لقد تعرف على فتيات من قبل في مؤسسة إلفا و في النادي ، و لكنه لم يحاول أن يجرب الانخراط معهن في تجارب جنسية ، كانت تربيته و مبادئه القديمة لا زالت تلقي بظلالها عليه ، بالإضافة إلى مواعظ المعلم رالف و تعليماته الصارمة و المشددة في هذا الشأن " إياك و النساء يا سام ، النساء هن كل الشر و البلاء ، و هن السبب في الخطايا ، هن و هن ". و لكنه الآن قد وصل إلى مرحلة لم يعد يستطيع فيها الاحتمال . في إحدى الأمسيات ، كان عائداً هو و جاك في

السيارة ، فتحدث جاك في الموضوع " إن أبي يضغط علي دائماً من أجل الزواج و لكنني لا أحب الزواج ، لأنني أحس أنه عبودية ، إنني أحب أن أكون حراً طليقاً " فسأله سام بدهشة " هل أنت ترفض الزواج ؟؟!! " لا يا سام ، و لكنني أظن أن وقته لم يحن بعد " . هز سام رأسه بأسى قائلاً " أنت لديك مغامراتك يا جاك أما أنا فلا " - " و لماذا لا يكون لديك أنت أيضاً مغامراتك يا سام ، هناك الكثير من الفتيات في النادي يتمنين إقامة علاقة معك ، و لكنك أنت خجول جداً " . أطرق سام برأسه إلى أرضية السيارة و قال بضيق " المشكلة يا جاك لا أدري " - " أية مشكلة هذه يا سام ؟؟ " - " لا أدري يا جاك لا أدري اللعنة " . نظر جاك إليه لبرهة ، ثم انعطف بالسيارة إلى المعبر المجاور و هو يقول " تعال معي ، سأخذك إلى مكان خاص " - " إلى أين ؟؟!! " - " لا عليك " التفت سام إليه قائلاً بإصرار " و لكن الجو مطر الآن " رد جاك بضيق شديد " قلت لك لا عليك ، سأخذك إلى نادٍ خاص خاص جداً ، إنه من الدرجة الأولى الهاي هاي ، هل تسمع بالهاي هاي ؟ سأريك إياها الآن " . أعطى جاك إشارة ضوئية إلى اليمين ثم انعطف في شارع آخر ، و تابع كلامه قائلاً " إنه نادٍ مميز ، و لا يسمحون بدخوله إلا للأعضاء ، و في الوقت نفسه لا يعطون العضوية لأي كان ، إنني بالكاد حصلت على العضوية ، و بعد أن دفعت مبلغاً طائلاً ، بالإضافة إلى معرفتهم بوالدي " استرعى الموضوع انتباه سام فسأل جاك " و كيف سيسمحون لي بالدخول " . رد جاك و هو يتابع حركة السيارات أمامه و خلفه بجذر " يحق للعضو أن يدخل معه في بعض الأوقات مرافقاً أو صديقاً ، طبعاً بعد تقديم معلومات عنه و عن وضعه الاجتماعي و المالي " . اجتازت البورش شوارع العاصمة حتى وصلت إلى إحدى مناطق المدينة ، و هناك توقفت أمام مبنى ضخم ، أطلق جاك زموراً خفيفاً ، فنظر الحارس إليه و رفع الحاجز الحديدي فدخلت السيارة عبر ممر إلى أسفل البناء ، حيث يوجد كراج خاص بالمبنى . التفت سام من حوله بدهشة و قال " ما هذا يا جاك ؟؟!! " - " إنه الكراج الخاص بهذا الفندق و النادي التابع له ، و الآن هيا بنا " . دخل الاثنان في مصعد و

ضغط جاك على زر الطابق العشرين ، بعد قليل توقف المصعد و فتح الباب ، كان المكان فخماً جداً ، و به كل مظاهر الأبهة و العظمة ، بهر سام بما رأى ، فهزه جاك من يده قائلاً " انتظرني هنا يا سام " . دخل جاك عبر البوابة ، كان هناك رجالان ضخمان يرتديان بذلة رسمية و يبدو عليهما القوة و الشراسة و يقفان بجانب غرفة زجاجية ، عندما دخل جاك ، انحنيا له باحترام . أبرز جاك بطاقة للموظف الجالس في الغرفة الزجاجية ، و أخذ يتكلم معه و يشير بيده إلى سام . هز الرجل برأسه متفهماً ثم اخرج دفتراً كبيراً و أعطاه لجاك الذي كتب عليه ، ثم وقع ، و بعدها أشار إلى سام بالاقتراب ، و عندما مشى سام نحو الداخل ، نظر الحارسان إلى الرجل في الغرفة الزجاجية ، فأوماً لهما موافقاً . انحنى الرجلان لسام بأدب ، و بعد ذلك عرف جاك الرجل على سام ، فصافحه مرحباً ثم دخل الاثنان إلى قاعة النادي . أحس سام نفسه و كأنه في أحد القصور الفخمة التي تعود إلى القرن الماضي ، كان هناك عدد من الرجال و النساء ، يبدو عليهم أمارات الثراء و الأرستقراطية . " انظر يا سام ، هؤلاء هم نخبة المجتمع و كلهم من كبار الأثرياء ، و منهم من يأتي من خارج البلاد " . كان هناك العديد من الطاولات الصغيرة و حول كل منها مقاعد خشبية فخمة مغطاة بالجلد الفاخر ، و بشكل نصف دائري ، مشكّلة حجرة خاصة ، يجلس في كل منها رجل و امرأة حسناء ، أو رجلان و امرأتان ، و بشكل قليل جداً ثلاثة رجال و ثلاث نساء . في طرف الصالة كان هناك فرقة موسيقية صغيرة تعزف على الغيتار بشكل دائم . جلس سام و جاك على إحدى الطاولات ، و لم تمض فترة قصيرة حتى جاءت فتاة حسناء ، بدا و كأن جاك يعرفها منذ زمن . " هاي جاك " . نهض جال و قبل يد الفتاة " أهلاً عزيزتي ، أعرفك على صديقي و شريك في العمل ، سام (ثم التفت إلى سام) أعرفك يا سام على صديقتي جانيت " . مد سام يده مصافحاً . نظر جاك حوله و قال " و لكن أين ليزا يا عزيزتي ، إني لا أراها ؟ " - " ستأتي بعد قليل " . أخذ جاك يتبادل الحديث مع جانيت و يشرك سام في الكلام ، و بعد قليل دخلت القاعة فتاة شقراء بارعة الجمال ، توجهت نحو طاولتهم ، و عندما رآها جاك

نهض على الفور مرحباً " أهلاً و سهلاً يا ليزا تفضلي أعرفك على صديقي و شريكي في العمل ..

سام إنه شاب مثقف من الطراز الأول ، و يلقي محاضرات ثقافية و له نشاطات خيرية (التفت إلى سام) .

أقدم لك ليزا يا سام ، الفتاة المثقفة الجميلة ، إنها تحب المثقفين و أصحاب القلوب الطيبة ، و قد استدعتها خصيصاً لك أرجو أن تتعرفا على بعضكما جيداً ، لأنني واثق أنكما ستنسجمان مع بعضكم بعضاً ،

قد اخترت لك ليزا يا سام ، لأنها من النوع الجميل جداً ، و هي عارضة أزياء ، و قد فازت مرة بإحدى مسابقات الجمال ، و لكنها لا تتكلم إلا مع الشخص المميز ، أو الذي يمتلك صفات نادرة (ثم التفت إلى ليزا) و سام يا ليزا يمتلك صفات نادرة ستكتشفينها بنفسك ، و الآن أترك لكما فرصة التعرف ببعضكما أكثر " . عاد جاك ليتابع حديثه مع صديقه الحسنة ، بينما بدأت العارضة الرائعة الجمال، حديثاً مع سام ،

كانت شقراء ذات شعر طويل متموج ، و عينان خضراوتان ، و وجه مدور ، و فم شبق مألآن ، و جسم رائع الشكل و التناسق ، مع ثياب مغرية قليلاً ، و منذ اللحظة الأولى ، وقع سام بغرامها ، و أحس أنه قد أصبح أسيرها . في البداية كان حديثه معها مضطرباً قليلاً ، و لكن نعومة صوتها و رقة حديثها ، أزال عنه اضطرابه ، و لكن زاد شبقه . مرت ساعة تقريباً ، كان الأربعة يتكلمون و يتحدثون ، ويشربون الويسكي ، جاك و صديقه ، و سام و ليزا ، و بعد قليل قال جاك " هيا يا جانيت سنذهب إلى فوق ، و انتم .. ليزا و سام ، هل ستبقون هنا ؟ " - " لا ، لا " قالت ليزا و التفتت إلى سام قائلة " هيا يا سام " . نظر سام إليها كالأبله و قال " إلى أين ؟؟! " فردت ليزا و هي تضحك " هيا ، لقد فتنني حديثك ، و أرجو أن تفتنني أمور أخرى " . سحبت ليزا سام من يده ، و مشت به إلى سلم يؤدي إلى طابق علوي ، حيث كان هناك غرف عديدة مغلقة الأبواب ، دخل جاك و صديقه إلى إحداها ، و أخذت ليزا سام إلى غرفة أخرى ، و هناك أخذت تتعري أمامه ، ثم تقدمت منه و أخذت تفك أزرار ثيابه . كان سام يتنفس بقوة و قلبه يضرب بعنف ، و لم تلبث ليزا أن أخذته إلى الفراش ، كان عاجزاً تماماً ، لم يفكر أن يقاوم ، بل لم يكن

عقله يعمل ، استسلم لها و كأنه مسحور . بعد حوالي ربع ساعة خرج جاك و صديقتة من الغرفة ، و نزلا إلى الطابق السفلي ، و جلسا في مكانهما السابق نفسه ، بينما لم يخرج سام و ليزا . نظرت صديقة جاك إليه و قالت " يبدو أنهما لن يخرجوا الآن ؟ " هز جاك برأسه و هو يشرب من كأسه و قال " لا بأس يا جانيت ، سننتظر حتى يخرجوا " - " عجيب كيف أن ليزا أغرمت بصديقك هذا ، إنه من النادر أن تغرم بأحد من أعضاء النادي ، ألم تلاحظ ذلك عندما كانا يتحدثان ؟ " - " نعم لقد لاحظت ذلك ، على ما يبدو أنها تحب هذا النوع من الرجال ، ثم لا تنسى أن سام وسيم و جميل ، بالإضافة إلى أنه يملك المال ، ألم تلاحظي في المرة الماضية عندما حدثتكما عنه و عن ماضيه و تفوقه منذ أن كان في مؤسسة إلفا ، و نشاطاته الخيرية و الاجتماعية ، كيف أثار ذلك اهتمامها و فضولها " . حركت جانيت شفيتها بتثاقل و قالت " يبدو من كلامه أنه مثقف " - " نعم ، نعم يا جانيت ، إنه من النوع الذي يقرأ الكثير من الكتب ، و قد امتلك ثقافة كبيرة ، إنهم يدعونه لإلقاء المحاضرات ، و هذه الصفات من النادر أن تربها في رجل يمتلك المال " .

بعد حوالي النصف ساعة نزل سام و ليزا . كانت ليزا تمسك بيد سام و هي في غاية السعادة و البهجة ، أما سام فكان يبدو عليه التعب و شيء من الفرح المكبوت . " رفع جاك كأسه ضاحكاً و قال " ها ، كيف حال صديقينا العزيزين ... أو عفواً ، صديقينا المثقفين " قال ذلك و انفجر ضاحكاً . جلس سام على المقعد مترنحاً بعض الشيء و قال " لا بأس " - " إن سام إنسان رائع ... رائع رائع يا جاك ، لقد دخل قلبي و عقلي " - " أشكرك يا ليزا " قال سام و هو مضطرب قليلاً . نظر جاك إلى سام ، ثم قال " يبدو أن سام متعب ، لذلك علينا أن ننصرف الآن ، يجب أن تعذرونا ، نراكم لاحقاً ، إلى اللقاء .. هيا يا سام " . قام سام بهدوء و مشى مع جاك إلى مدخل القاعة . " سام " . صاحت ليزا و هي تقترب منه " أرجوك يا سام ، أريد أن أراك دائماً ، أرجوك تعال مع جاك " . ترنح سام قليلاً أمام ليزا و قال بصوت

متعب " تعالي أنت يا ليزا " - " ، لكنني لا أستطيع " - " لماذا !!؟؟ " - " جاك سيشرح لك ، و الآن إلى اللقاء " طبعت ليزا على فم سام قبلة ساخنة ملتهبة ، و بعدها غادر سام و جاك المكان .

في الخارج كان الظلام مخيماً و المطر ينهمر بغزارة . صعد الاثنان إلى السيارة بسرعة . شغل جاك المحرك ثم انطلق بالسيارة قائلاً " سنأخذ الاوتوستراد المحيط بالعاصمة ، كي نختصر الطريق ، ما رأيك يا سام " . ظل سام صامتاً و لم يرد . كان رأسه مطأطأ قليلاً . زاد جاك من سرعة السيارة و قال " هذه هي الحياة الحقيقية يا سام ... على المرء أن يعيش متعة الحياة ... أنت ترى كم نحن نعمل في المكتب يومياً مخططات أبنية ، مواد بناء ، عقارات ، بيع ، إيجار... ألا يحق لنا أن نرتاح قليلاً و نتمتع بحياتنا بالمناسبة ، لقد لاحظت أن ليزا قد أغرمت بك ، قد تمنعت على الكثيرين في النادي ، و لكنك أنت الذي فاز بقلبيها بالمناسبة لقد أطلتم البقاء معاً في الغرفة ، يبدو أنك استمتعت بوقتك جيداً سام سام ما بك ؟؟؟ " ... ألا تسمعي " التفت جاك إلى سام . كانت أنوار السيارات القادمة من الجهة المعاكسة ، تعكس وجهه و الدموع تهطل بغزارة من عينيه ، كان يبكي بحرقة " . صاح جاك مندهشاً "سام ، ما بك يا سام !!؟؟ " . تهدج صوت سام بأسى و هو يقول " أرجوك يا جاك توقف هنا ، أشعر أنني سأختنق " . أوقف جاك السيارة أمام بقعة كبيرة من العشب الأخضر . نزل سام من السيارة ، و نزل جاك خلفه صائحاً " أرجوك يا سام دعنا نعد إلى السيارة المطر غزير جداً و الريح قوية " . ترنح سام في مكانه و هو يهز رأسه و يقول " ماذا فعلت يا جاك ؟ .. أظن أنني أخطأت لماذا فعلت هذا بنفسني كيف فعلت هذا ؟؟ " - " ماذا فعلت يا سام ؟ إنك لم تفعل شيئاً " . صرخ سام بهياج و خبط بيده على السيارة قائلاً " بل فعلت " . نظر جاك إليه و هز رأسه " عجيب أمرك يا سام ، إنني لا أفهمك " - " بل تفهمني يا جاك ، أجل تفهمني لماذا جئت بي إلى هنا ... لماذا يا جاك لماذا" صرخ سام مرة أخرى و هو

يضرب بيده على مقدمة السيارة " . أشار جاك بيده إلى سام و قال بهدوء ممزوج بالتوتر " لا يا سام ، لا هذه المرة اسمح لي أن أقول لك إنك أنت من جئت بإرادتك ، لقد كنت تعرف إلى أين نحن ذاهبان و ماذا سنفعل ثم هل أجبرك أحد على فعل ذلك ، لقد أردت إراحتك و مساعدتك " . أخذ سام يلوح برأسه و يقول " و لكن يا جاك ، ماذا سأقول للمعلم رالف ؟؟ " . و هنا انفجر جاك غضباً " اللعنة على المعلم رالف ، هذا الرجل ماذا فعل لك ؟ لم يأتك منه غير التعقيد و الاضطراب النفسي قل لي يا سام ماذا فعل لك المعلم رالف ... إنك تصرف عليه شهرياً ألوف الدولارات من أجل عمل الخير لقد قضيت حياتك في كبت و جوع جنسي ، لماذا ؟ هل لأن هذا يندرج في عمل الخير أيضاً؟ قل لي يا سام ... قل لي " صرخ جاك بغضب و ضرب هو الآخر السيارة بعنف . أخذ سام يلوح بيده و هو يقول " إنك لا تفهمني يا جاك كل هذا الصبر الذي صبرته و تحملته في الماضي ، كان من الممكن أن أتوجه بالزواج لا بالخطيئة " . وضع جاك يديه على خصره و وقف أمام سام و صاح قائلاً " و لماذا لم تتزوج من قبل يا سام ؟ لقد نصحتك مراراً بالزواج بالرغم من أنني غير مقتنع به حالياً ، و نصحك الدكتور بروكلمان ، و تزوج أخوك و صديقك جان ، فلماذا لم تتزوج؟؟ هيا قل لي " - " و لكن المعلم رالف " . انفجر جاك مرة أخرى بغضب شديد " اللعنة على هذا الرجل ، إنه يوتر أعصابي ... إنه منذ أن عرفتني عليه المرة الماضية ، لم أرتح له ... كان ينظر إلي بازدراء و كأنني مجرم ، فقط لأنني تاجر ، لقد عاملني و كأنني نكرة ، لقد تجاهلني و كأنني غير موجود ، كان كل حديثه معك ... إنه رجل مخبول ، و هذه آخر مرة أزور فيها هذه المؤسسة اللعينة " و هنا صرخ سام " أرجوك يا جاك " . فقطعه جاك " أرجوك أنت يا سام أرجوك أن تنتبه لنفسك و لحياتك ، و تعيشها عيشة طبيعية ، ثم قل لي ، ما هي هذه الخطيئة التي ارتكبتها يا سام إنك لم ترتكب أي ذنب ، انظر إلي ... أنا أتمتع و أشرب و أعشق النساء و مع ذلك لم أؤذ إنساناً في حياتي ، لا بل إنني أترع أحياناً من بعض مالي للفقراء و المعوزين

.... قل لي يا سام ، هل أنا سيء؟؟ .. هل أنا سيء " صرخ جاك و ضرب مرة أخرى مقدمة السيارة بعنف . استمر الصياح و النقاش بين الاثنين ، و بعد قليل اقتربت منهما دراجة نارية تابعة للبوليس ، و قفت أمام السيارة مسلطة الضوء على عليهما . ترجل منها شرطي " هل أنتما بخير يا سيدي !!؟؟ " . ابتسم جاك للشرطي و قال " نعم ، نعم يا سيدي " - " و لكنني رأيتكما من بعيد تتصايحان و تضربان السيارة " - " لا شيء يا سيدي إنه صديقي و يشعر بالضيق قليلاً.... هيا بنا يا سام أشكرك أيها الشرطي على اهتمامك " . صعد جاك و سام إلى السيارة و انطلقا مرة أخرى ، في الطريق التفت جاك إلى سام و قطرات الماء تنزل من كل أنحاء جسده ، وقال " اسمع يا سام أنت في داخلك كنت تريد هذا ، أنت بشكل غير مباشر تريد أن تتحرر من تلك الحواجز التي تعيقك ، و قد تحررت فعلاً ، فلا داعي لأن يعذبك ضميرك بعد الآن ... أنت لم تخطئ و لم تفعل ما هو خاطئ أنت فقط أشبعت جوعاً طال و غريزة محبوسة مكبوتة ، و بخاصة أنك لم تتزوج ، فلا لوم عليك يا رجل و الآن أجبني بصراحة بعد ما فعلته مع ليزا ، ألم تحس بأنك قد ارتحت؟؟ " . أطرق سام إلى الأسفل و قطرات الماء تتساقط منه هو الآخر و قال " نعم يا جاك ، إنني أحس و كأني ارتحت من ضغط و كبت طويلين ، أحس بأنني ارتويت ، أحس بالسعادة ، أحسست بأنني ارتحت نفسياً ، في هذه الساعة التي قضيتها معها يا جاك ، لم أحس بأنني موجود في هذه الدنيا ، في هذه الساعة نسيت كل همومي " . نظر جاك إليه و قال " و الشعور بالذنب هل تحس به الآن يا سام ؟ " . نفض سام قطرات الماء عن رأسه و قال " لا أدري يا جاك لا أدري " . نفض جاك هو الآخر الماء عن رأسه و قال مقهقهاً " أظن أنك لن تحس به بعد الآن ، لقد غسله المطر الذي تعرضنا له منذ قليل أتدري يا سام .. لقد أحسست أنك منذ مدة طويلة تريد ذلك ، و لكنك لا تستطيع من تلقاء نفسك ، و أنك بحاجة لمن يحرك من هذا الحاجز و المانع النفسي الذي كان يقيدك ، و كنت تتخرج من الخروج منه يجب أن تشكرني يا سام ، يجب أن تشكرني " نظر

سام و جاك إلى بعضهما بعضاً . كان شعرهما قد هبط إلى الأسفل بسبب الماء ، و ثيابهما مبللة كلها و بعض القطرات لا زالت تتساقط بن الحين و الآخر من ذقن و أذن و شعر كل منهما ، لوهلة تأمل كل منهما الآخر ثم انفجرا ضاحكين ، لم يتمالك كل منهما نفسه ، فأخذا يضحكان بعمق و هيسيرية، و كل منهما ينظر إلى الآخر ، و فجأة صاح سام " احترس يا جاك ، احترس ، سوف تخرج السيارة عن الطريق " . كانت الساعة قد أصبحت الثانية بعد منتصف الليل عندما وقفت السيارة أمام المبنى الذي يقطن فيه سام . " إلى اللقاء يا سام ، أراك غداً بعد الظهر ، لأنني لن أستيقظ صباحاً " . نظر سام إلى جاك مبتسماً و قال "إلى اللقاء يا جاك و شكراً شكراً لك، لأنك حررتني من سجن طويل " .

في اليوم التالي استيقظ سام متأخراً ذهب إلى الحمام و عندما فتح الماء الساخن ، تردد في الوقوف تحته ، كان يريد أن تبقى آثار ليزا على جسده أحس أن أنفاسها و قبلايتها و رائحتها لا تزال معلقة على جسده ، و أن الماء سيزيل هذه الآثار و هذه الرائحة و لكنه في النهاية وقف تحت الماء . عندما خرج اتصل مع الدكتور بروكلمان و طلب منه الحضور . ثم جلس على الأريكة و هو يفكر بليزا ، فجأة خطر له خاطر ، فنهض و ذهب إلى سترته التي كان يلبسها ليلة البارحة ، وضع أنفه عليها ، فدخلت رائحة ليزا إليه ، كانت لا تزال بعض آثارها معلقة على السترة ، أحضر السترة معه واستلقى على الأريكة ثم وضعها على وجهه و أغمض عينيه مسترخياً . عندما رن جرس الباب أجفل منتبها من حلمه ، نزع السترة عنه و أعادها إلى مكانها ، ثم توجه إلى باب المنزل الخارجي ، كان الدكتور بروكلمان الذي حياه مبتسماً ، ثم دخل إلى الصالون . حضر سام الكاباتشينو ثم جلس مع الدكتور بروكلمان يخبره بكل ما حصل معه ليلة أمس . " هل أنا مخطئ يا دكتور أم ماذا؟؟؟ " . صمت الدكتور بروكلمان ثم حرك يديه و كأنه محتاراً ، و قال " إنني لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال يا سام ، لأنه لا يوجد جواب .. بل لأن السؤال نفسه

غير دقيق تماماً ، و يحتاج لأسئلة كثيرة ، و لكن أستطيع القول يا سام ، إن الخطأ إذا كان موجوداً ، فإنه لا يكمن فيما فعلته البارحة فما فعلته البارحة ليس خطأ ، بل نتيجة لخطأ (صمت الدكتور يفكر قليلاً ثم عاود الكلام) هذه الأمور يا سام لا يمكن رؤيتها بشكل مجرد تماماً ، كما تفعل أنت الآن ، بالإضافة إلى أنها تخضع لتفسيرات و آراء كثيرة ، فهناك من يعدها جريمة فظيعة ، و هناك من يعدها أمراً عادياً ، و هناك من يعتبرها حاجة ملحة لا بد للإنسان منها ، و هناك من يقيمها حسب أسلوبها و طريقة التعاطي معها هل هي مع صديقة شخصية أم بائعة هوى هل هي مع امرأة يحبها ، أم مع امرأة لا يكن لها أية مشاعر ... و هذه الأمور تدخل كلها في الحسبان ، هل لها أسبابها و مبرراتها ، أم ليس لها أسباب و مبررات " . صمت سام و هو يحاول استيعاب كل هذا الكلام ، و في النهاية قال " و لكن أنت يا دكتور ما رأيك ؟؟؟ " . تنهد الدكتور بروكلمان و قال " بالنسبة لي يا سام ، فإنه من حقلك أن تمارس الجنس ، لأن ممارسة الجنس هي حاجة طبيعية ملحة ، سواء بالنسبة للإنسان ، أم الحيوان و لكن بإمكانك أن تجعلها و فق الشروط الصحيحة " - " كيف ؟؟؟ " - " بالزواج مثلاً ، أو بصداقة دائمة مع فتاة تحبها ، المهم برأيي أن يكون هناك حب ، و إن كان الأفضل هو الزواج " . فكر سام لبرهة ، ثم سأل الدكتور بروكلمان قائلاً " برأيك إذاً يا دكتور أن ما عملته ليس خطأ " أشار الدكتور بإصبعه إلى سام و قال بشكل حاسم " الخطأ هو ما أنت فيه يا سام ، الكبت الذي أنت فيه هو الخطأ ، و الكلام الذي قاله لك جاك هو صحيح تماماً " .

في ذلك المساء التقى سام مع جاك في المكتب ، فبادره جاك بالسؤال و أمارات الدهشة بادية عليه " ما هذا الذي فعلته يا سام ؟؟؟ " نظر سام بدهشة هو الآخر و سأل " ماذا فعلت ؟؟؟!! " . ابتسم جاك بمكر و قال " لقد اتصلت بي اليوم جانيت و أخبرتني أن ليزا أخبرتها ، بأنك طوال الفترة التي قضيتها في الغرفة ، و

أنت تمارس الجنس معها لقد سحرتها ... لقد خلبت لبها ، يبدو أنك تخفي خلف وقارك و عفتك و حشمتك ، بركاناً هائلاً من الطاقة " . أطرق سام رأسه خجلاً و قال بصوت خافت " هل حقاً قالت ذلك ؟ " - " طبعاً يا رجل ، طبعاً ، بعد كل هذه الفحولة التي تخفيها ، تأتي البارحة لتبكي أمامي و تمثل دور روميو الحزين ، و أنت شمشون الجبار" قال جاك ذلك و انفجر ضاحكاً بصخب مجبراً سام على الضحك هو الآخر "قل لي يا جاك ، لماذا عندما طلبت من ليزا البارحة أن أراها ، اعتذرت و قالت إنها لا تستطيع ، و عندما سألتها عن السبب ، قالت لي اسأل جاك " . هز جاك برأسه متفهماً و قال " السبب في ذلك يا عزيزي هو أنها ملزمة مع ذلك النادي بعقد ، و ممنوع عليها أن تقيم أية علاقة إلا من ضمنه ، بالإضافة إلى ذلك فهي تعمل كعارضة و المكان الذي تعمل فيه يفرض عليها ذلك ، بالإضافة إلى أنه لا وقت لديها " . سأل سام باهتمام " و لكن لماذا هي ملزمة بذلك!!؟؟ " - " أنت تعرف يا سام ، إنه نادٍ محترم ، يؤمن لها الحماية و الأشخاص المرموقين ، أمثالي و أمثالك ، بالإضافة إلى أنه يدفع لمن بسخاء ، كما أن عملهم فيه شيء من الاحترام ، فكل عضو في النادي ، له صديقة واحدة خاصة به ، لا يجوز أن تصادق أحداً غيره ، حتى و لو كان من أعضاء النادي ، إلا إذا أراد هو ذلك أو تركها ، و هذا الأمر يختلف عن أي بيت دعارة ... فجانيت مثلاً هي صديقتي الشخصية في النادي ، هي خاصة بي أنا " فقطاعه سام على الفور قائلاً " و ليزا؟؟؟؟؟؟ " . ابتسم جاك و قال " ليزا حتى الآن يا عزيزي لم تتعرف على أحد ، كان لها صديق يأتي إلى النادي من حين لآخر ، و لكنه هجرها و لم يعد يأتي " - " لماذا؟؟؟؟؟؟ " - " أظن ، لأنه من بلد آخر " فسأل سام على الفور "هل هي شاغرة؟؟ " . انفجر جاك ضاحكاً و قال " أعجبتني كلمة شاغرة نعم يا سام تستطيع أن قول ذلك . و لهذا قبلوا في النادي أن تكون صديقتها " . فكر سام ثم قال " و كيف سمحوا لي بمرافقتها و أنا لست عضواً في النادي !!؟؟ " - " أنا من أقتنعهم بك ، و شرحت لهم عنك ليس هذا فقط بل دفعت ثمن ليلتك تلك ، ثلاثة آلاف دولار " أشار سام

بيده إلى جاك " حسناً يا جاك يجب أن أسددها لك " - " لا يا عزيزي ، اعتبرها هدية مني (ثم قال ضاحكاً) و لكن لمرة واحدة فقط " . استرعى الأمر انتباه سام و فضوله فسأل جاك من جديد " و أنت ماذا دفعت لنفسك؟؟" - " أنا عضو في النادي ، و رسم اشتراكي هو عشرة آلاف دولار شهرياً ، هذا غير الطعام و الشراب ، و هو غال أيضاً ، البارحة دفعت ثمن الشراب فقط ، خمسمائة دولار " . صفر سام و قال " إنه غال جداً " - " طبعاً يا سام ، إنه غال بالنسبة لغيره على كل حال يوجد هنا عندنا في النادي العادي فتيات كثيرات ، فلماذا لا تعقد معهن علاقات غرامية !!؟؟ " - " إنني أتسلى فقط يا جاك " - "التسلية وحدها لا تكفي يا سام " - " و لكن هذا لا يجوز يا جاك ، إنهن فتيات و نساء عفيفات " . ضحك جاك بسخرية و استهزاء " و من قال لك إنهن كذلك .. فيهن العفيفات و فيهن من يبحث عن المتعة و أستطيع أن أقول لك إن معظم الفتيات اللواتي يصادقنك في النادي هنا ، يبحثن عن المتعة ، أو إذا أردت الدقة ، يبحثن عن المال " - " معقول !!؟؟ " - " طبعاً معقول يا سام ، إنني أستغرب كيف أنك لا ترى ذلك ربما هذا بسبب صديقك المعلم رالف " . سكت سام و لم يجب ، بينما تابع جاك كلامه "على كل حال أنت حر يا سام فكر ... هناك ليزا ، و هناك فتيات النادي ، و هناك الزواج فكر و أنت حر ، و كل ما أستطيع أن أقوله لك ، هو أن الحياة لا تستحق أن نكبت أنفسنا لأجلها " حرك سام يديه بضيق و قال "المشكلة يا سام ، أنني أغرمت بليزا " - " إنها ملكة جمال يا سام ، و هناك الكثيرون ممن أغرموا بها " - " و لكن لماذا اخترت لي هذا النادي الخاص ؟؟ " . أجاب جاك شارحاً الأمر لسام "ربما لأنه يناسبك أكثر من الناحية النفسية و غيرها ، هناك يحظر على صديقتك إقامة علاقة مع أحد غيرك ، أي أن الأمر يكون تحت ستار الصداقة ، بالإضافة إلى السرية التامة و الراحة التامة أيضاً ، ليس هذا فقط ، بل هناك يوجد الجمال ، لقد رأيت الفتيات هناك ، إنهن مختارات بعناية من حيث الجمال كما أن الشروط الصحية هناك صارمة جداً ، فالفتيات و جميع أعضاء النادي يخضعون لشروط و فحوص طبية دورية ، لقد

كانوا يريدون فحصك يا سام ، و لكنني أخبرتهم عنك و عن وضعك ، بينما الفتيات هنا أو في أمكنة أخرى ، لا تدري مع من يقمن علاقات غرامية بالمناسبة يا سام ، هذا النادي يحترم سرية رواده و أعضائه ، و لذلك أرجو منك عدم ذكر تلك الزيارة لأحد ... هل أخبرت أحداً بذلك؟؟ " . تلكأ سام بالجواب قليلاً ثم قال " الدكتور بروكلمان " - " لم يكن هناك داع لذلك يا سام ، على كل حال الدكتور بروكلمان رجل موثوق به ، أما غيره فلا " أخذ سام يفكر طويلاً ، دار حول الطاولة و هو يعبث بالأوراق ، ثم التفت إلى جاك "اسمع يا جاك ، أريد أن أحصل على عضوية ذلك النادي الخاص " . حك جاك رأسه ثم قال " بإمكانك ذلك ، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى وقت و دراسة " . قطب سام حاجبيه و قال باستغراب " دراسة!!!!؟؟؟ من الدراسة " - " من إدارة النادي يا سام ، إنهم سوف يدرسون وضعك الاجتماعي و المادي ، و معلومات عن حياتك ، و لكن أظن أنهم سيوافقون ، فلا يوجد هناك ما يمنع ، و أنا سأزكيك لديهم " أشار سام متحمساً " سأدفع لهم الرسوم و كل ما يلزم " . فرد عليه جاك بهدوء " ليس المال وحده يدخل فقط عند هؤلاء الناس ، بل يوجد اعتبارات أخرى " . ارتمى سام على المقعد بإحباط و قال " لقد سحرتني ليزا يا جاك ، سحرتني و بما أن هذا النادي يمتلك شروطاً و مؤهلات خاصة ، فإنه يناسبني أكثر من أي مكان آخر " أوماً جاك موافقاً "حسناً يا سام ، إذاً من الغد سأذهب إلى النادي ، و التقني بالمسؤول الإداري و أنقل له رغبتك بالحصول على عضوية النادي " .

في اليوم التالي عاد جاك ، إلى المكتب بعد الظهر ، و معه عدد من الأوراق "لقد ذهبت اليوم يا سام إلى النادي الخاص ، و التقيت بالمسؤول الإداري ، و شرحت له رغبتك بالانتساب إلى النادي ، و حدثته عنك و عن صفاتك ، و زكيته عنده ، فأعطاني هذه الأوراق و طلب أن تمليها أنت بنفسك ... إنها كما ذكرت لك ، تتضمن أسباب طلبك للانتساب و لمحة عنك و عن حياتك و أوضاعك الاجتماعية و المادية ،

و بعد ذلك نذهب إليه أنا وأنت و نقدم له الأوراق ، و سوف يراك و يتعرف عليك ، و بعد فترة معينة يصدر القرار " . أخذ سام الأوراق من جاك و بدأ بكتابة المعلومات المطلوبة منه ، و في المساء ذهب هو و جاك ، إلى النادي المذكور حيث التقيا بالمسؤول الإداري الذي تعرف على سام ، و دار بينهما حوار استمر حوالي نصف ساعة ، سأله خلالها المدير بعض الأسئلة ، كان رجلاً بشوشاً ودوداً ، من النوع الجتلمان . بعد انتهاء الزيارة ، عاد سام و جاك إلى المكتب ، و في الطريق قال سام بأسى " كان بودي أن أقابل ليزا ، لماذا لم تدعني أفعل ذلك يا جاك ؟ " التفت جاك إلى سام و قال له مجزم و جدية " ليس الآن يا سام ، ليس الآن ، يجب أن تعطي انطباعاً بالرزانة عن نفسك ، فضلاً على أن تلك الزيارة ستكلفك كثيراً من الناحية المادية ، كونك لم تصبح بعد عضواً في النادي لا تستعجل الأمور يا سام ، بعد فترة ، ستأتي الموافقة و عندئذٍ افعل ما يحلو لك " . انتفض سام محتداً " و ليزا ... أخشى أن يأخذها شخص آخر مني " - " لا تخف يا عزيزي ، إنها بانتظارك ، و الآن هيا نعود إلى المكتب ، لدينا موعد بعد نصف ساعة مع المفاوض الجديد ، يجب أن يكون تفكيرنا غير مشغول بشيء آخر... إنه رجل بارع في المساومة ، و أهم شيء كما أخبرتك اليوم ، ألا تعلق النسبة عن خمسة بالمائة " .

قضى سام تلك الفترة و هو يحلم بلقاء ليزا ، كانت تملي عليه تفكيره و مخيلته ، و لذلك كان ينتظر بفارغ الصبر موافقة النادي هناك . بعد حوالي الأسبوع ، و عندما كان سام في المكتب يراجع بعض الأوراق ، دخل جاك ، و جلس على المقعد و هو صامت ، لم يكن يبدو عليه الارتياح ، نظر إليه سام بقلق و سأله " ماذا هنالك يا جاك ؟؟! " - " لقد كنت اليوم عند مدير النادي الخاص " - " حقاً، ماذا قال لك ؟ ما هي النتيجة ؟ هل وافقوا ؟؟ " . بقي جاك صامتاً لا يتكلم و هو متكئ بذقنه على يديه ، فصاح به سام باضطراب واضح "هل رفضوا يا جاك ؟؟ ... قل لي " . رفع جاك يديه بحيرة و هو يقول " لا أدري ماذا

أقول لك يا سام ، في الحقيقة ، إنهم لم يوافقوا " . انتفض سام مذعوراً "ماذا؟؟؟ لم يوافقوا؟؟ هل رفضوا؟؟ - " لا لم يرفضوا " . و هنا صاح سام قد بدأ يفقد أعصابه " أرجوك يا جاك ، لقد توترت أعصابي ... إنني لا أفهم عليك ... هل تمزح معي ؟ " - " لا يا سام أنا لا أمزح ... إنهم لم يوافقوا ، و لكنهم في الوقت نفسه ، لم يقولوا لي إنهم رفضوا ... لقد قال لي المدير ، إنه يوجد تحفظ على قبولك بعضوية النادي " . حذق سام بجاك و قال مستغرباً "تحفظ؟؟؟؟ لم أفهم و لكن لماذا؟؟ " . أطرق جاك إلى الأرض قليلاً و اتكأ مرة أخرى بذقنه على يديه ، ثم رفع رأسه و نظر إلى سام بثبات قائلاً " قل لي يا سام هل أنت عضو في حزب الشعلة الحمراء " . فوجئ سام بكلام جاك ، و لبرهة ظل صامتاً محاولاً أن يستوعب الأمر جيداً ، ثم قال بتلكؤ " أنا؟؟ لا ... و لكن لماذا تسأل ، ماذا قال لك مدير النادي أخبرني يا جاك ، هيا " - " لقد أخبرهم المسؤولون في مؤسسة إلفا ، أنك كنت عضواً في حزب الشعلة " . ضرب سام الطاولة بعنف و قال غاضباً " اللعنة عليهم ، إنهم يكرهونني ، لقد وجهوا لي أكثر من دعوة لزيارة المؤسسة و حضور الحفلات السنوية فيها ، و لكنني رفضت ، كما أنني رفضت التبرع لهم ، و لهذا لا عجب أن يتخذوا مني هذا الموقف العدائي و لكن مهلاً ما هي علاقتهم بالنادي !!؟؟ " . وضع جاك قدمه فوق ركبته وقال " لا يوجد هناك علاقة ، و لكن ألم تذكر في الاستمارة أنك كنت تدرس في مؤسسة إلفا ، و من المؤكد أنهم سألوا عنك هناك (قال جاك ، ثم نظر إلى سام بارتياح واضح و سأله) و لكن لماذا ألقوا بك هذه التهمة الغريبة يا سام !!؟؟ هل كان لك حقاً علاقة بحزب الشعلة " . لاحظ سام ارتياح جاك ، فهز برأسه قال " في الحقيقة يا جاك كان لي صديق في مؤسسة إلفا اسمه أندريه ، و هو من حزب الشعلة ، و كان دائماً يناقشني بالأفكار و الآراء البلشفية ، فتحمست لها لفترة معينة ، و تصادف في ذلك الوقت أن كانت الدولة ستوقع اتفاقية الصواريخ النووية ، و كان لحزب الشعلة موقف معاد منها كما تعلم ، و المؤسسة إلفا موقفاً مؤيداً ، و منذ ذلك الوقت حصل خلاف بيني و بين تلك المؤسسة ، و بخاصة

و أنهم رفضوا بعد ذلك أن أعمل عندهم ، و أنا بعد ذلك أيضاً لم يعد لي أي علاقة بحزب الشعلة و بالسياسة ، حتى صديقي أندريه لم اعد أراه بعدها و على كل حال جان كان معي في مؤسسة إلفا و هو يعرف كل شيء لحظة واحدة سأستدعيه " ضغط سام على زر الأنترفون و طلب من السكرتيرة إرسال جان . بعد قليل طُرق الباب و دخل جان . "صديقي جان ... هناك من أخبر جاك بأني كنت عضواً في حزب الشعلة ، فأرجو أن تتكرم يا جان و تخبر جاك الحقيقة " . التفت جان إلى جاك قائلاً " لا يا جاك ، سام لم يكن يوماً عضواً في حزب الشعلة ، بل كان لنا صديق من هذا الحزب ، يدرس في مؤسسة إلفا و اسمه أندريه ، كان يحب سام كثيراً و يلح عليه دائماً بالانتساب إلى حزب الشعلة ، و لكن سام كان يرفض دائماً ، لأنه حينذاك لم يكن يريد التعاطي بالسياسة ، لكنه في الوقت نفسه كان يسايره في الأفكار فقط ، و بعد التخرج انفصل عنه و لم يعد يراه لقد عشت مع سام منذ قدومه إلى العاصمة و حتى الآن ، و لم ألاحظ عليه شيء من هذا القبيل ، ما عدا بعض الأفكار و الآراء ، و هذه كلها كانت في أثناء المراهقة و الشباب ، و أنت تعرف كل شاب يجب أن يكون له ميول و أفكار و أهواء " صمت جان بينما التفت سام إلى جاك قائلاً " هل سمعت يا جاك؟؟ هل زالت شكوكك ، أم تحب أن أتصل مع الدكتور بروكلمان ، للتأكد منه أيضاً " . قال جاك بصوت خافت " لا يا سام لا داعي " - " بل يوجد داع يا جاك ... يوجد " قال سام و رفع السماعه و اتصل مع الدكتور بروكلمان . " عزيزي الدكتور بروكلمان ، آسف لأنني عطلتك عن عملي ، لكن يوجد أمر طارئ ، هناك من أخبر جاك ، بأنني عضو في حزب الشعلة ، أو كنت عضواً فيه ، و لي علاقات و نشاطات فيه ، فأرجو أن تتكرم و تخبره الحقيقة تفضل هو معك " . أعطى سام سماعة الهاتف لجاك الذي أخذها و بدأ يستمع للدكتور بروكلمان و يهز برأسه "حسناً ، حسناً دكتور لا ، لا أنا متأكد و واثق من ذلك إنه سام ، أنت تعرفه ، إنه حساس جداً طبعاً ، طبعاً أشكرك دكتور إلى اللقاء " . أغلق جاك السماعه و

التفت إلى سام " لماذا فعلت ذلك يا سام؟ " - " حتى تثق بي يا جاك ، لقد لاحظت بريق شك في عينيك " .
رفع جاك يديه مبرراً " إنني فقط أسألك يا سام ، و هذه أول مرة أسمع بهذا الأمر ، هكذا أخبرني مدير
النادي واجبي أن أنقل إليك ما سمعته " . أشار سام بيده إلى جاك و قال " المهم أنت يا جاك " - " .
اطمن يا سام ، ثقتي بك كبيرة ، و لكن هناك في النادي يجب إقناعهم " . رفع سام يديه و خبط بهما
على جوانبه قائلاً " عجيب ، و لكن ما شأنهم بهذه الأمور ؟؟! " - " إن أصحاب الفندق و النادي يا سام
على ما يبدو لا يتحمسون كثيراً لآراء و أفكار حزب الشعلة " . خبط سام بيديه مرة أخرى " و الآن ما
العمل ؟؟ " . فكر جاك قليلاً ثم قال " ليس هناك حل ، سوى الذهاب بنفسك إليهم و إقناعهم بعدم صحة
ما سمعوه " . أو ما سام موافقاً " حسناً ، اليوم بعد الانتهاء من العمل سأذهب أنا و أنت ، و سأقابل ذلك
المدير إنهم مؤسسة إلفا ، اللعنة عليهم ، سوف يكون لي معهم شأن آخر " .

في ذلك المساء ذهب سام و جاك إلى النادي الخاص ، و هناك قابل سام المدير . "سمعت يا حضرة المدير أن
هناك تحفظاً من قبلكم حول قبولي في عضوية ناديكم الموقر ؟؟ " . أجاب المدير بلهجة بشوشة " في الحقيقة
يا مستر سام نحن ليس لدينا أي إشكال حول شخصيتك و قدراتك المالية ، و لكن في الأمور السياسية ، نحن
ندقق قليلاً ، أنت تعرف يا مستر سام أن لكل هيئة أو منظمة أو مؤسسة أو نادي ، توجهات معينة ،
سياسية أو اجتماعية و شروط قبول يجب أن تراعى ، و كما قلت لك .. أنت إنسان جنتلمان و يبدو عليك
الوقار و التهذيب ، السيد جاك شهد بك إيجابياً ... " - " حضرة المدير .. (قال سام مقاطعاً) لقد
أخبرني السيد جاك أنه قد وردتكم معلومات تفيد بأنني كنت عضواً في حزب الشعلة ، و أحب أن أخبركم
أن مصدر تلك المعلومات ، للأسف الشديد ، لم يتوخَّ الدقة و الصراحة في ذلك ، لغايات دفيئة في نفسه ...
المهم يا حضرة المدير أنني أود أن أعلن لحضرتكم رسمياً بأنه ليس لي علاقة بحزب الشعلة ، و لست عضواً

فيه ، و كل ما في الأمر ، أنه كان لدي صديق في مؤسسة إلفا التي اختلفت مع إدارتها في وجهات نظر معينة ، و تعرفت عليه بالصدفة ، كان ينتمي إلى الحزب المذكور ، و يدرس في تلك المؤسسة التي قبلت أن يكون من بين طلابها أعضاء من حزب الشعلة . و قد سارته في مرحلة معينة، في بعض أفكاره و ميوله السياسية، و اختلفت معه في بعضها الآخر ، و قد ذهبت معه مرة أو مرتين إلى مقر حزبه كزائر فقط ، و بعد ذلك انقطعت علاقتي به ، و لم أره منذ تلك الفترة هذه هي كل علاقتي بحزب الشعلة ، علماً أنني يا حضرة المدير في تلك الفترة كنت لا أزال عضواً في جمعية المعلم رالف المعروفة المشهورة ، التي تختلف اختلافاً جذرياً في عقائدها و توجهاتها مع أفكار حزب الشعلة ، و بإمكانكم التأكد من ذلك فإن قبلتم بي عضواً في النادي ، فإن ذلك سيكون مدعاة لسروري و اعتزازي ، و إلا فإنني مضطر للبحث عن نادٍ آخر أكثر تسامحاً و اعذروني على الصراحة ، و شكراً " . صمت المسؤول الثقافي قليلاً يفكر ، ثم نظر إلى سام مبتسماً و قال "مستر سام أولاً نحن لسنا على عداء مع حزب الشعلة و لا غيره ، ثانياً ... يسرني قبولكم كعضو في نادينا ، تفضل وقع هنا " . انفرجت أسارير سام و جاك ، و بعد التوقيع و دفع الرسوم ، استلم سام بطاقته و ذهب هو و جاك إلى قاعة النادي حيث كانت ليزا بانتظاره ، خفق قلبه عندما وقعت عيناه عليها ، ضمها إلى صدره و قبلها في فمها قبلة حارة طويلة " ليزا حبيبتي ، اشتقت إليك " . جلس الأربعة على طاولة واحدة يحتفلون بعضوية سام الذي دعاهم إلى العشاء بهذه المناسبة. كان عشاء فاخراً ، و بعد الطعام و الشراب ، أخذ سام ليزا و صعد معها إلى الطابق العلوي ، كان مشتاقاً إليها كثيراً . قضى معها الفترة الماضية نفسها تقريباً ، و عندما نزلا إلى القاعة سوياً ، كان جاك و جانيت بانتظارهما . قال جاك ضاحكاً " يبدو أننا سننتظر كثيراً في كل مرة تقضونها معاً " - " و ما ذنبي أنا يا جاك إذا كانت ليزا مهرة شقراء جميلة " فردت عليه ليزا بدلال " و ما ذنبي أنا يا سام ، إذا كنت أنت حصاناً جامحاً " و ضحك الجميع بصخب .

بدأت حياة سام العملية و العاطفية و الاجتماعية تتحدد أكثر فأكثر . ففي مجال التجارة و البناء ، أصبح لديه خبرة واسعة ، كانت شركته هو و جاك راجة بشكل عام ، بالإضافة إلى أن التجارة أضحت تؤثر عليه شخصياً ، لقد أصبحت نفسيته نفسية تاجر يقوم بالمضاربات و البيع و الشراء و هذا الأمر أصبح يجري في عروقه . و في العلاقات الاجتماعية ازداد عدد معارفه ، فقد كان يقضي وقته في النادي العائلي، و النادي الخاص الذي تعرف فيه على رجال أعمال من مختلف المجالات ، كما أنه أصبح يتلقى دعوات عدة لإلقاء محاضرات في جمعيات و هيئات اجتماعية دينية ، و أصبح له نوع من الشهرة في هذا المجال ، كان يتردد في معظم الأحيان على مؤسسة المعلم رالف و يشارك في الندوات و المناقشات التي تحصل مع مفكرين و رجال دين ، لقد أثبت قدرته على الكلام و النقاش ، هذا ما أكسبه شخصية مميزة ، و ساعد على ذلك ، أعمال الخير و المساعدة التي كان يقوم بها ؟ أما حياته العاطفية ، فقد أصبح أكثر تحملاً ، و بدأ بإقامة العلاقات الغرامية مع النساء ، و لكن ليزا كانت أكثر من يستحوذ على اهتمامه . كانت العلاقات العاطفية قد أضحت بالنسبة إليه أمراً عادياً ، و لكنها مع ذلك بقيت في نطاق السرية . كان في الوقت نفسه يفكر بالزواج ، فأهله يلحون عليه في ذلك . لقد وقع في الحيرة بين ليزا و الزوجة الجديدة التي ستكون له . في صغره كان قلبه يخفق أحياناً و من دون شعور لإحدى بنات البلدة ، كانت تسكن بجوارهم ، و هي ابنة لأحد المزارعين الميسورين و اسمها سونيا ، و بالرغم من أن قلبه آنذاك لم يكن يعرف ما هو الحب ، فقد كان يشعر بعاطفة ما تجاهها ، كان لا يزال يتذكرها بين الفينة و الفينة ، و عندما فاتحه أهله بموضوع الزواج في المرة الأخيرة و ألحوا عليه و أخرجوه ، ذكرها لهم ، فوافقوا عليها ، و أخبروه أنها غير متزوجة ، لم يلبث أن قام بزيارة أسرتها هو و والده ، و بعد فترة من التعارف تزوجها . في البداية كان متردداً ، لأن ليزا كانت تخيم على قلبه ، و جمالها و حضورها كانا يجعلانه يتردد في فكرة الزواج و يخاف منها و لكن فكرة حصوله على طفل ، أمالت الكفة لصالح الزواج . كانت سونيا امرأة مهذبة

خلوقة ، و أثبتت أنها ربة منزل من الطراز الأول ، و كان سام يحترمها كثيراً و يقوم بكل واجباته الزوجية تجاهها كان قد ترك ليزا و الأخريات عند الزواج معتقداً أن ذلك قد يعوضه عن حياة اللهو التي كان يعيشها ، و لكنه بعد فترة بدا يحن مرة أخرى إلى حياته الاجتماعية قبل الزواج ، و أخذ ينتابه إحساس بأن الزوجة لا تغني عن العشيقة . لقد قضى فترة لا بأس بها مع ليزا الرائعة الجمال ، بالإضافة إلى بعض الفتيات و النساء في النادي اللواتي أقام معهن علاقات غرامية ، حتى السكرتيرة عنده في المكتب كان على علاقة معها ، و هذا كله ليس من السهل أن يزول من حياته قاوم فترة من الزمن ، و لكنه بعد ذلك وصل إلى مرحلة لم يستطع فيها الصمود أكثر ، فعاد مرة أخرى لحياته السابقة ، و أيضاً بشكل سري . عند زواجه أراد أن يضفي لمسة جديدة على حياته ، فقام بتغيير أثاث المنزل ، و ديكوره ، كما أنه اشترى سيارة مرسيدس جديدة ، و أعطى سيارته السيتروين القديمة لأخيه . لقد وصل إلى مرحلة أصبح فيها رجلاً آخر له وجوده في المجتمع و في السوق ، و باختصار فإنه قد تطبع بأخلاق جاك و طباعه إلى درجة كبيرة ، و لكنه مع ذلك ، كان بارعاً جداً في الحفاظ على علاقاته مع أصدقائه و معارفه بمختلف طباعهم و آرائهم و مشاربهم . كان معتاداً أيام العطل أن يأخذ زوجته إلى أحد المطاعم خارج العاصمة ، حيث يوجد غابات و أراض زراعية ، و أحياناً كان يذهب معهم أخوه و زوجته و أولادهم . هذه المناطق خارج العاصمة كانت تروح عنه قليلاً و تقربه من جو البلدة . في أحد أيام العطل ، خرج هو و زوجته و أخوه و عائلته في نزهة إلى خارج العاصمة ، و هناك تناولوا الغداء و قضوا وقتاً ممتعاً ، ثم خطر لسام أن يتنزه وحيداً في الغابة المجاورة للمطعم . كان المنظر يبعث على السرور و البهجة ، الأشجار و الأعشاب الخضراء و النباتات البرية تملأ المكان . تابع سام السير وحيداً بين الأشجار ، شعر بالغبطة و الراحة ... سرّه ذلك الصمت المطبق على المكان ، كان قد ابتعد عن المطعم عندما لمح من بعيد بين الأشجار ، شخصاً جالساً على جذع شجرة ، لم يتبين وجهه لأن ظهره كان مواجهاً لسام ، شعر سام بالفضول و الاستغراب لوجود شخص وحيد في

هذا المكان ، فاقترب منه ليسأله عن اسم هذه المنطقة ، عندما استدار الرجل ، وقف سام مذهولاً لقد كان الملاك ، صمت سام قليلاً و قد عقدت الدهشة لسانه ، ثم لم يلبث أن استعاد رشده فصاح بفرح " الملاك !!!! ملاكي العزيز أهذا أنت ... منذ متى و أنت هنا ؟؟؟؟ لقد اشتقت إليك كثيراً " . نظر الملاك إلى سام و قال بهدوء " كيف هي أمورك يا سام ؟؟؟ " . تلعثم سام قليلاً من المفاجأة قال "نجير أيها الملاك إنني آسف جداً لأنه صار لي مدة طويلة لم أذهب لرؤيتك ، أظن أنك عاتب علي ، و لكن في الحقيقة يا ملاكي العزيز ، أنت في بالي دائماً و ما منعني من زيارتك ، هو الأشغال الكبيرة المتلاحقة التي قمت بها " . ابتسم الملاك ابتسامة عذبة هادئة و هو يتأمل سام ، ثم قال بهدوء " نحن معشر الملائكة يا سام لا نعتب على بني البشر ، و لا نفكر بهذه الأمور التي تعاملون أنفسكم بها ، نحن لا نتصرف مثلكم " . ابتسم سام هو الآخر و قال و هو يشرح للملاك وضعه " إنك يا عزيزي الملاك ، صاحب الفضل الكبير في كل ما أنا فيه الآن ، لقد تغيرت أمور كثيرة في حياتي ، ربما لا تعرف ما الذي حصل معي في تلك الفترة " . هز الملاك برأسه و ابتسم مرة أخرى قائلاً " بلى يا سام أعرف أعرف كل شاردة و واردة عنك " . ارتبك سام قليلاً ثم قال " و ما رأيك أيها الملاك العزيز بذلك ، هل أنت راض عن تلك الأعمال التي أقوم بها ؟؟ " - " بشكل عام ، أنا راض ، فأنت تنفق أموالاً كبيرة في مجال التبرعات و عمل الخير ، و هذا الأمر يفرحني كثيراً ، أما في مجال التجارة فهذا حقلك يا سام و ليس لي عليه أي اعتراض ... إن ما يهمني هو أن تكون معروفاً و مشهوراً بأعمال الخير و البر و التدين لدى الناس " - " و هذا بالضبط ما أقوم به أيها الملاك " - " و لكن هناك بعض الأمور التي تقوم بها يا سام ، لا تتناسب مع مكانتك أمام الناس " . كان الملاك يحدق بسام الذي حول نظره إلى الأرض و قال بصوت خافت " لم أفهم ماذا تقصد أيها الملاك ؟؟؟ " - " الجنس ... الجنس يا سام إنك تمارسه بإفراط و مع نساء كثر ، ثم إنك متزوج ، و هذا الأمر لا يجوز " . رفع سام يده إلى الملاك و قال و كأنه يشكو " ربما تكون هذه هي

نقطة ضعفي أيها الملاك أنت تعرف أن الجنس عندنا نحن البشر ، هو حاجة ضرورية ، و هناك أيضاً شيء اسمه الحب ، و عندما لا يكون المرء مشبعاً عاطفياً ، فإنه يبحث عن امرأة تشبع له هذه الرغبة ، و هذه الأمور ليس فيها إساءة للغير ، و النساء عندنا هن مصدر إغواء كبير " . و هنا ابتسم الملاك و كأنه تذكر شيئاً ما فسأله سام " هل هناك شيء أيها الملاك ، أراك تبتسم ؟؟؟!؟ " - "لا شيء يا سام لا شيء (ثم عاد و قال لسام بجدية) و لكن يا سام هذه الأمور ربما لا تسيء للغير ، و لكنها تسيء لك أنت نفسك ، أمام الناس " - "إنني أقوم بهذه الأمور بسرية تامة أيها الملاك " - "هذا لا يكفي يا سام ، و عليك أن تضبط هذه الأمور قدر الإمكان تمهيداً لإلغائها ... إن ما يهمني يا سام ، هو صورتك أمام الناس أريدها أن تبقى كما هي ناصعة بيضاء ، ليس هذا فقط ، بل أريدك أن تكون مثلاً أعلى للناس ... أريد أن يقتدي بك الناس يا سام ، و بخاصة أنك قد قطعت شوطاً في هذا المجال ، لقد ظهرت لك الآن لأقول لك هذا الكلام فقط و أرجو أن تتقيد به و الآن إلى اللقاء " . أشار سام بيده بحركة سريعة و هو يصيح " لحظة أيها الملاك إذا أردت أن أراك مرة أخرى فأين أراك " . رد الملاك باقتضاب " هنا يا سام ، في هذا المكان إلى اللقاء " . عاد سام أدراجه إلى المطعم و هو يفكر " تباً ، إن هذا الملاك يعرف كل شيء كل شيء " .

أضحت حياة سام مقسمة إلى فترتين ، و كلاهما أثرتا فيه ، فترة العمل و فترة اللهو . كان يجد متعة كبيرة في العمل ، كان يحس أن العمل هو الذي يعطيه شخصيته ، و بالرغم من أنه كان يقوم بالتبرعات الخيرية للمؤسسات و الجمعيات و أحياناً يلقي بعض المحاضرات ، و بالرغم من أن الناس كانوا لا يزالون يرونه من هذا الجانب فقط ، جانب الخير و الدين ، و يحترمونه لأجله ، و بالرغم من التزامه الديني ، و قيامه بكل واجباته الدينية ، فإنه وجد أن شخصيته قد تحددت بالعمل التجاري ، لقد أثرت العقلية التجارية عليه

بشكل كبير ، فأصبح يتصرف على أساسها و من دون أن يشعر ، لقد علمته المضاربات و المساومات و الريح و الخسارة ، أهمية المال و حب المال ، لدرجة أنه أصبح و لأول مرة يراوده شعور عن جدوى صرف كل تلك الأموال في مجال الأعمال الخيرية التجارة علمته حب البحث عن الكسب و الربح السريع ، فالربح كان يشعره بالمتعة و البهجة و النصر ، و الخسارة كانت تشعره بالضيق و الانزعاج و الهم و الفشل . لقد أصبح يأبه للمال ، و لكن الشيء الجديد الذي تعلمه من التجارة هو الضرر الضرر بالناس ، فالمضاربات الذي كان يقوم بها هو و جاك ، كانت تدمر بعض المنافسين و تصيب بعضهم الآخر بخسائر جسيمة ، و لكن هذا هو المنطق الذي تعلمه في السوق ، منطق القوة ، منطق أن الذي يبقى في السوق هو القوي ، أما الضعيف فيخسر و يندحر . في الجانب الآخر من حياته تلك ، كان اللهو اللهو بالنسبة إليه ، عبارة عن أداة لتفريغ كل الشحنات النفسية والتعب و الإرهاق التي يمر بها في العمل ، كان لديه عدد من الصديقات ، و لكن ليزا بقيت على الدوام هي العشيقة المفضلة ، أحياناً كانت تخرج معه إلى أماكن معينة ، لقد سمح لها النادي بذلك بعد أن أصبح سام الزبون المفضل لديهم .

في إحدى المرات و عندما كان في النادي الخاص مع ليزا ، اقتربت منهم فتاة حسناء ، كانت صديقة ليزا " مساء الخير " - " أهلاً عزيزتي تفضلي " - " شكراً يا ليزا ، و أنا آسفة لأنني قطعت عليكم خلوتكم ، لكن صديقي المستر توم يجب أن يتعرف على المستر سام ، و قد أرسلني لأدعوكم للعشاء إذا لم يكن لديكم مانع ، إنه هناك ، الجالس على تلك الطاولة . نظر سام إلى حيث أشارت الفتاة ، كان هناك رجل أنيق ، أصلع قليلاً و يرتدي نظارات طبية دائرية الشكل ، و ملتج حول ذقنه فقط ، كأنه عالم أو باحث أو فيلسوف . رفع الرجل كأسه إلى سام مبتسماً ، فرد عليه سام و رفع كأسه ثم سأل ليزا " هل نذهب يا ليزا ؟؟ " - " كما تشاء يا عزيزي فلنذهب " . التفت سام إلى صديقة ليزا و قال مبتسماً بأدب " حسناً يا سيدتي

، تفضلي ... هيا بنا يا ليزا " . ذهب سام و ليزا و الفتاة إلى حيث كان الرجل ، الذي نهض واقفاً و هو
يبتسم بأدب شديد ، فبادرت صديقة ليزا بعملية التعارف " أعرفك يا مستر سام على صديقي المستر توم ،
أعرفك يا مستر توم على مستر سام و صديقتة السيدة ليزا . صافح الرجل سام بأدب ، ثم انحنى و قبل يد
ليزا قائلاً " أهلاً و سهلاً تفضلوا يسعدني و يشرفني يا مستر سام التعرف إليكم ، كما يسعدني أن
أدعوكم الليلة إلى عشاء على شرفكما أنت و السيدة ليزا " . رد سام بدوره و قد أعجب بتهديب الرجل "
لنا الشرف يا سيدي " . كانت عيون توم الزرقاء براقاً قليلاً من خلف نظارته الطبية و نظارته حادة ، و
شكله يوحى بالذكاء . كانت بشرته بيضاء ، و هندامه أنيق و فخم ، يتكلم بكل أدب و تهذيب . " في
الحقيقة يا مستر سام إنني أعمل في مجال العقارات و البناء ، و قد سمعت أنك أيضاً تعمل في المجال نفسه ،
كما سمعت عن ثقافتك و أخلاقك الطيبة الرفيعة ، و أعمالك الخيرية التي أعطتك سمعة عطرة بين الناس ، و
أنا مثلك أيضاً أحب الأعمال الخيرية ، و أشرك بتبرعات كثيرة ، و في مجالات عدة ، ولهذا أحببت
التعرف على حضرتكم " كان الرجل يتحدث إلى سام بلباقة و أدب ، و كان حديثه ينم عن ثقافة عامة و
خبرة تجارية ، تحدث لسام عن أعماله و شركاته خارج البلاد ، و قال إنه يريد القيام بمشروع تجاري في
العاصمة . استمرت المحادثة و الكلام بين سام و توم حوالي ساعتين ، بينما انشغلت ليزا و صديقتها بالكلام
هما أيضاً . أعجب سام بالمستر توم ، و بشخصيته و بكلامه ، و في نهاية الحديث قال السيد توم " هنالك
مشروع تجاري مريح جداً يا سام ، أنوي القيام به ، و لكنني أحتاج إلى شركاء موثوقين ، فإن كان لديك
النية في ذلك ، فأنا لا مانع لدي ، و أنا أعرض عليك هذا المشروع ، لأنك شخص شريف ، و نزيه " .
استرعى كلام توم انتباه سام ، فسأله " وما هو هذا المشروع بالضبط ؟؟؟ " - " إنه بناء مجمع ضخمة ، في
العاصمة " فكر سام قليلاً ثم قال " في الحقيقة ، يوجد معي شريك في العمل ، و هو عضو أيضاً هنا في هذا
النادي و يجب أن آخذ موافقته ، لأن هذا الموضوع كما تعرف يحتاج إلى دراسة " . أجاب السيد توم

بسرعة " طبعاً ، طبعاً ، و أنا قد جهزت دراسة كاملة عن المشروع ، و جدواه ، و التكاليف و الأرباح ، و إذا أحببت ، فمن الممكن أن نحدد موعداً أنا و أنت و شريكك ، و أقدم لكم هذه الدراسة لتقرؤوها و تقرروا ماذا ستفعلون " - " أنا موافق ، و بإمكانك يا سيد توم إذا لم يكن لديك مانع ، أن تزورنا في الشركة " - " لا بأس ، ربما بعد يومين أو أسبوع كحد أقصى ، حتى أكون قد أعددت الدراسة جيداً " .

في المكتب ، رشف جاك من فنجان القهوة ثم نظر إلى سام و قال " و لكن يا سام لا نستطيع أن نقرر شيئاً ، قبل أن نعرف طبيعة المشروع و جدواه ، و الدراسة التي أعدها ذلك الرجل و لكن هو يعمل في العقارات ؟؟؟ " - " نعم يا جاك بالمناسبة إنه عضو في النادي ، ألم تره من قبل " رد جاك باقتضاب " بلى ، أظن أنني رأيته و لكن لم أكن أعلم أنه يعمل في العقارات ... و لكن لماذا لم يسألني أنا ، علماً أن صديقتة تعرف صديقتي جانيت ، و أنا مشهور بالنادي أنني اعمل في العقارات ، و والدي من أكبر تجار العقارات " - " ربما هي المصادفة يا جاك ، أو ربما أحب التعرف إلي ، لأنه قد سمع عني ، المهم أنه سيأتي إلى هنا ، و ستتعرف عليه ، لقد أخبرته أنك شريك ، و أن القرار يجب أن يكون مشتركاً " . هز جاك رأسه قائلاً "إنني لم أسمع به من قبل يبدو أنه عضو جديدي في النادي " . فأجابه سام و هو يشرح بحماس " نعم إنه عضو جديد ، لقد أخبرني بذلك ، و أخبرني أيضاً بأن له شركات عدة خارج البلاد " .

أطرق جاك يفكر ثم قال " و لكنه مشروع ضخم يا سام ، فلماذا اخترنا نحن بالذات " انتفضت أوداج سام و قال بوقار " ربما لأنه سمع بأنني شخص نزيه ، و هو يريد أناساً موثوقين ، إنه رجل محترم و مهذب يا جاك ، كما أنه رجل مليء و يبدو عليه الثراء ، أظن أن هذا المشروع سيدر علينا أرباحاً طائلة " - " حسناً يا سام ، سنرى ، سنرى ... و سوف أسأل في تلك الفترة عن ذلك المدعو المستر توم " .

بعد حوالي أسبوع ، كان سام و جاك في المكتب يبحثان في أحد المخططات عندما دخلت السكرتيرة و أخبرتهما بقدوم شخص يدعى المستر توم . فأشار لها سام بإدخاله فوراً . خرجت السكرتيرة ، و بعد قليل طُرق الباب و دخل المستر توم . " أهلاً و سهلاً مستر توم ، تفضل ، أعرفك على صديقي و شريكبي السيد جاك " صافح السيد توم جاك ، ثم جلس الثلاثة و بدؤوا حديث تعارف ودي ، و بعد ذلك دخل السيد توم في صلب الموضوع " المشروع أيها السادة ، هو بناء برج ضخمة في العاصمة يكون عبارة عن فندق و مجمع تجاري في الوقت نفسه أنتم تعرفون أن العاصمة هنا هي مركز تجاري و صناعي مهم ، فضلاً على السياحة الناشطة في البلد ... و مشروع كهذا من شأنه أن يؤدي خدمات كبيرة في ظل تلك الحركة النشطة ، فضلاً على الأسعار المرتفعة في العقارات و على كل حال ، هذه دراسة كاملة عن المشروع ، و تكاليفه و مواصفاته و أرباحه ، أرجو أن تدرسوها و تعطوني رأيكم بها " . و هنا سأل جاك " و التكلفة الإجمالية ... ما هي يا سيد توم " - " اثنا عشر مليون دولار " . صفر جاك مندهشاً ثم قال " و لكن ليس مبلغاً ضخماً؟!؟ " . و هنا نظر إليه السيد توم بعينيه اللامعتين و قال " و لكن الأرباح ستكون ضخمة أيضاً يا عزيزي ، و ها هي الدراسة بين يديك ، اقرأها بهدوء و ستعرف ذلك بنفسك " . عاود جاك السؤال " و كيف ستكون الشراكة و الأرباح " أجاب السيد توم بثقة " الأرباح ستوزع حسب الشراكة ، التي ممكن أن تكون بالنصف ، أي أنا أشارك بنصف التكاليف و أنتم بالنصف الآخر ، أو بالثلث ، أي كل واحد منا يدفع ثلث المبلغ و يأخذ ثلث الأرباح " نظر جاك إلى السيد توم و قال " و لكن لماذا اخترتنا نحن بالذات يا مستر توم؟؟ " . فرد السيد توم بثقة أيضاً " أنا لم أختركم أنتم بالذات يا سيد جاك ، بل هناك شركات عدة يمكن أن اختارها ، و لكن لكوني عضواً في النادي ، تعرفت على المستر سام و سمعت الكثير عن أخلاقه و سيرته الحسنة ، و لذلك فضلت أن تكون الأولوية لكم ، و ها أنذا قد تعرفت عليك يا مستر جاك ، و لمست فيك أيضاً الأدب و التهذيب ، و بصراحة فقد سمعت عن شركتكم

و عن نجاحها ، و أمانتكم في العمل ، ففضلت أن أعرض الموضوع عليكم أولاً " . عاود جاك السؤال بينما كان سام ينصت باهتمام " مستر توم ... أعذرني على السؤال ، و لكن لماذا لا تقوم أنت بهذا العمل وحدك ، طالما أنه مريح لهذه الدرجة التي تتحدث عنها ؟؟ .. أقصد لماذا تريد المشاركة مع طرف آخر ؟ " - " في الحقيقة يا مستر جاك إن أعمالني هي متركزة في هولندا ، و لي هناك شركات عدة ، أما هنا في بلدكم ، فليس لدي شركة ، أنا فقط مستثمر و أريد أن أجرب الاستثمار هنا ، فإذا نجح هذا المشروع ، فسأفكر حتماً بتأسيس شركة ، و ربما أشارك معكم ، أما حالياً فأنا محتاج إلى شركة تنفذ لي هذا المشروع " . هز جاك برأسه متفهماً الموضوع و قال "على كل حال يا مستر توم ، سنقوم بدراسة المشروع أنا و شريكنا سام ، و من ثم نقرر ، و سوف نبلغك قرارنا بعد أسبوع " - " أنا موجود في النادي ، و هذا عنوان إقامتي في العاصمة وأرقام الهواتف " . استأذن السيد توم بالانصراف ، و بعد ذهابه ، جلس سام و جاك يناقشان الوضع ، فسأل سام " ما رأيك يا جاك ؟؟ " . نظر جاك إلى الورقة التي أعطاه إياها السيد توم ، ثم قال و هو يفكر " أول شيء هو أن نستعلم عن السيد توم ... لقد أعطانا بطاقة باسم شركائه في هولندا و أرقام هواتف ، و سنتأكد من ذلك يا سام عن طريق والدي ، كما سنسأل عنه هنا في البلد و عن نشاطه ، و في الوقت نفسه سندرس سوية الأوراق التي أعطانا إياها عن المشروع ، و سنستشير محاميينا بخصوص ذلك بالمناسبة يا سام ، هل استشرت الدكتور بروكلمان بهذا الموضوع ؟؟؟؟ " - " لا لم أستشره .. أظن أنه لا داعي لذلك ، فهذه أمور تجارية و قانونية بحتة ، و هو ليس ضليعاً بها مثلنا أو مثل المحامين " - "ربما ، لكن دعه يرى السيد توم على كل حال " - " نظر سام إلى جاك باستغراب و قال " هذه أول مرة تطلب فيها استشارة الدكتور بروكلمان ، و لكن لا بأس ، سأدعه يراه " . في مساء ذلك اليوم ، اتصل سام مع الدكتور بروكلمان و أخبره بموضوع السيد توم ، و دعاه إلى جلسة عشاء معه . " حسناً يا سام سأرى الرجل ، و على كل حال لي أصدقاء كثير في هولندا ، و قد درست هناك .. سأستفسر عنه ، و

لكنني أتفق مع جاك في أن المبلغ ضخيم ، فهل أنت مستعد لتمويل حصتك منه؟؟ " - " نعم يا دكتور " -
" بالمناسبة يا سام ، هل حسبت مصاريفك كل هذه الفترة ؟ " - " نعم يا دكتور " - " و كم بلغ رصيدك
في البنك؟؟ " - " خمسة ملايين دولار " - " هذا يعني أنك صرفت نصف المبلغ الذي حصلت عليه يا سام "
- " بل أكثر من ذلك يا دكتور ، ولكن الأرباح التي حصلت عليها عدلت الوضع قليلاً " - " يجب أن تنتبه
لنفسك يا سام ، إنك تبعثر أموالك و تصرف بسخاء و بذخ " - " نعم يا دكتور ، معك حق .. من الآن
فصاعداً يجب أن أدقق في المصاريف و التبرعات و المساعدات الخيرية ، سوف أخفف منها كثيراً ، إنني غير
مجبور على دفع كل تلك الأموال الطائلة هكذا مجاناً " - " و لكنك تصرف أيضاً على النوادي و اللهو الكثير
يا سام " - " هذه أمور لا بد منها يا دكتور ، فضلاً على أنها توفر لي المتعة و الراحة من جو العمل المتعب
" - " أتمنى ذلك يا سام ، أتمنى ، و لكن لا بأس إلى اللقاء ، أراك في الموعد المحدد " .

بعد ثلاثة أيام ، التقى سام و جاك و الدكتور بروكلمان في أحد المطاعم . افتتح جاك الحديث قائلاً " لقد
استعلمت يا سام عن المستر توم ، و هو فعلاً يملك شركتين في هولندا ، و هما مسجلتان رسمياً هناك ، و
لقد اتصلنا أيضاً مع الشركتين و تأكدنا من ذلك .. و هنا في البلد علمت أنه يريد الاستثمار هنا أيضاً و
هو ينزل في أفخم فندق و يصرف ببذخ و لديه سيارة جاكوار فخمة " . نظر الدكتور بروكلمان إليهما
و أضاف قائلاً " و أنا أيضاً أخبرني أصدقائي في هولندا أنه يوجد شركة عقارية بهذا الاسم و هي في أحد
الأحياء الراقية في العاصمة هناك ، و تعمل في مجال البناء و العقارات (ثم علق قائلاً) و من ناحية الدراسة
التي أعطاكم إياها ، ماذا وجدتما؟؟ " . أشار جاك قائلاً إنها حتى الآن جيدة من الناحية القانونية و لا
شيء يمنع من ذلك ، فقط ضخامة التكاليف ، لقد اطلع والدي على الدراسة و قال إن موقع الأرض جيد
و المشروع يمكن أن يكون راجحاً جداً ، لكنه علق على ضخامة المبلغ " . سأله سام " هل قال إن قيمة

المشروع أقل من ذلك؟؟ " - " لا ، لا ، قال أن التكاليف التي أعطانا إياها المستر توم هي واقعية تماماً و مقبولة ، و لكنها ضخمة علينا نحن ، أي على شركتنا يا سام ... إن أكبر مشروع لنا لم يتعدى النصف مليون دولار " أطرق سام إلى الأسفل بضيق و قال " إذا ماذا؟؟ " - " إذا يجب علينا أن نفكر كثيراً يا سام قبل أن نعطي قرارنا" . شد سام على يديه متدمراً و قال " و لكن الأرباح كبيرة أيضاً يا جاك " . أوماً جاك موافقاً " نعم إنها مغرية " . ، هنا تدخل الدكتور بروكلمان " إنني حتى الآن لم أر هذا الرجل " . التفت جاك إليه و قال بسرعة " نعم ، نعم ، يا دكتور معك حق ، يجب أن تراه ، أنت بالذات يجب أن تراه ... ما رأيكم أن ندعوه غداً إلى العشاء في النادي الخاص و يكون الدكتور بروكلمان معنا " . وافق سام " لا بأس ، و في الوقت نفسه ربما يعثر الدكتور على صديقة له " و ضح الجميع بالضحك .

في مساء اليوم التالي التقى الجميع في النادي حيث كان السيد توم موجوداً ، و هناك دعاه سام إلى تناول العشاء بعد أن عرفه على الدكتور بروكلمان . "إنني أقبل الدعوة بشرط واحد يا سيد سام ... و هو أن تكون الدعوة على حسابي " ، أوماً سام بيده نافياً " و لكن المرة الماضية كانت على حسابك يا سيد توم ، و لا يجوز أن تكون كذلك هذه المرة أيضاً" - " بلى يا سام بلى ، بمناسبة التعرف على الدكتور بروكلمان ، اعتبروها على شرفه " قال السيد توم و هو ينظر إلى الدكتور بروكلمان من نظارته بعينيه الزرقاوين الحادتين . فرد عليه جاك مبتسماً " و لكنها دعوة مكلفة يا سيدي ، و بخاصة أننا مع صديقاتنا ، و أنت مع صديقتك " - " لا بأس يا سيد جاك ... المال لا يعني أي شيء ، وإذا أردتم ، بإمكانكم إحضار صديقة للدكتور بروكلمان أيضاً كي تكتمل السهرة " ، فأجابه الدكتور بروكلمان بتهذيب " أشكرك يا سيدي ، و لكن لا داعي ، إنها جلسة تعارف فقط " . فهز السيد توم يديه و كتفيه قائلاً " حسناً كما تشاؤون ، تفضلوا" . كان الدكتور بروكلمان قد اتفق مع جاك و سام على أن يتكلموا هم في البداية مع المستر توم ،

ويسأله و يحدثه و هو يراقب الوضع ، و فعلاً بدأ الحديث كذلك ، كان سام و جاك يتحدثان مع
المستر توم و يسألانه عن أعماله في الخارج ، كان المستر توم يجيب على أسئلتهم و ينظر إلى الدكتور
بروكلمان و يتسّم . لاحظ سام ، أن ليزا أيضاً كانت تنظر إلى الدكتور بروكلمان بشكل متكرر ، لكنه
لا حظ أن الدكتور تجاهلها تماماً . بعد قليل التفت توم إلى الدكتور بروكلمان و قال " أرى أن ضيفنا
الدكتور لا يشاركنا الحديث " . فرد الدكتور بروكلمان مجاملاً و هو يتسّم "إنني أستمع إليكم و أنتم
تتحدثون عن البناء و التجارة و العقارات ، و أنا ليس لي هذا الباع و المعرفة بذلك ، فلهذا أستمع إليكم "
- " أنت محق يا دكتور ، و لكن ماذا أفعل و السيد جاك و السيد سام ، يصران على التحدث عن العقارات
(قال توم هذه العبارة مشدداً و هو يحدق بالدكتور بروكلمان) و لكن لا بأس يا دكتور ، دعنا نتحدث
عن عملك أنت " - " أنا اعمل في مجال الطب " . فأشار إليه السيد توم بإصبعه " الطب و العلم و الفلسفة
.. أليس علم النفس يبحث بهذه الأمور؟؟ " رد الدكتور بشيء من البرود المهذب " إنه يبحث فيها ، و لكنه
في النهاية يبقى مجالاً طبيياً " . سال المستر توم باهتمام " حدثنا يا دكتور عن علم النفس " . أجاب الدكتور
بثقة " علم النفس يا عزيزي هو علم يبحث بالدرجة في معالجة الأمراض و الاضطرابات النفسية لدى
الإنسان ... أنت تعرف ، كل إنسان قد يتعرض إلى ظروف و مشاكل في حياته اليومية ، قد تكون
اجتماعية أو عاطفية أو مهنية الخ ، و هذه الأمور كلها قد تؤثر على الإنسان " . عاد المستر توم للسؤال
باهتمام " أعرف أن علم النفس يبحث أيضاً في دراسة الشخصية " - " كيف؟؟ " . فرد المستر توم و هو
يحدق بالدكتور بروكلمان و يتسّم " مثلاً دراسة شخصية و نفسية وتفكير الشخص الذي أمامك " أدرك
الدكتور بروكلمان على الفور ما يجول بذهن السيد توم فقال بلهجة لا مبالاة " إن دراسة الشخصية أو
النفسية و التفكير ، لا تأخذ هذا الحيز أو المعنى كما فهمته أنت ، فلا أحد يستطيع أن يقرأ تفكير أحد و
هو ينظر إليه ، و إذا حاول و خمن ، فإن ذلك يكون من باب التخمين و الاستنتاج فقط ، فأنت عندما تنظر

في عيني الشخص الذي أمامك و تحاول قراءة أفكاره ، فإنك على الأرجح تكون مخطئاً (قال الدكتور ذلك و هو يحدق بعيني السيد توم ، ثم تابع كلامه) و علم النفس يا عزيزي مستر توم ، يعتمد على الحقائق و الأدلة و التجارب أكثر مما يعتمد على الافتراضات و التخمين ، و إذا كان هناك من افتراضات و تخمينات ، فإنها يجب أن تكون مستندة على أسس علمية ، و يجب أن تثبت صحتها لاحقاً . ارتد المستر توم إلى الوراة قائلاً بإعجاب "اسمح لي يا دكتور أن أعبر لكم عن إعجابي الشديد بكم ... يبدو أن لكم خبرة طويلة " . فرد الدكتور بروكلمان بتواضع " أشكرك يا سيدي ، و لكن هذا اختصاصي (ثم استدرك قائلاً) و لكنني لاحظت لك أيضاً بعض الإمام في علم النفس " . ابتسم مستر توم و قال " المشكلة يا دكتور أنه إذا تحدثنا في علم النفس فربما لن يشترك معنا سام و جاك ، و إذا تحدثنا في العقارات ، فلن تشترك معنا أنت " . فرد الدكتور بروكلمان على الفور " إذاً الحل عندي يا مستر توم نتكلم عن أعمالك في هولندا " . لوهلة حدق المستر توم بالدكتور بروكلمان صامتاً ثم قال " و ما وجه الاشتراك في ذلك !!؟؟؟" أجاب الدكتور بهدوء " أنا درست في هولندا ، و عندما نتحدث عن أعمالك هناك ، سيفهم عليك سام و جاك ، في الوقت نفسه أكون أنا قد استرجعت ذكرياتي عن هولندا ، حتى و إن كانت في مجال العقارات " سكت المستر توم قليلاً يفكر ، ثم قال مبتسماً " نعم ممكن حل معقول " بدأ المستر توم يتحدث عن نفسه و عن أعماله في هولندا و كيف أسس شركاته و كوّن ثروته ، و عن أعماله الخيرية ... كان يتحدث بإسهاب و ثقة و استرسال . و في نهاية العشاء حيى سام و جاك و الدكتور بروكلمان ، المستر توم ، و شكروه على ضيافته لهم ، و انصرفوا .

في الطريق سأل جاك " ها ، ما رأيك يا دكتور بما شاهدت و سمعت اليوم؟؟؟" . نظر الدكتور بروكلمان من نوافذ السيارة و قال بشرود " لا أدري ماذا أقول يا جاك ، و لكن باختصار ، إنه رجل ذكي .. ذكي

جداً ، و لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك " فسأل جاك مرة أخرى و هو يمسك المقود بيده و يراقب حركة السيارات بانتباه " كأنه أحس يا دكتور بما خططنا له ، أليس كذلك ؟ " - " بلى ، لقد لاحظت ذلك ، وموهت الأمر عليه ، لكن لا أدري إذا كان التمويه قد انطلى عليه " . فقال جاك مرة أخرى و هو يتابع حركة السيارات أمامه " يبدو عليه الشراء و الغنى ، لقد دفع فاتورة العشاء بكل برود ، ليس هذا فقط بل البقشيش الذي كان يعطيه للنادلين ، عند كل عملية تبديل للطعام أو الأطباق أو الشراب ، كل مرة كان يعطي النادل مئة دولار ، لقد دفع حوالي الألف دولار بقشيش " أجابه سام مؤكداً " نعم يا جاك ، هذا صحيح لقد رأيت ذلك " . تابع جاك القول " لقد قالت لي جانيت إن صديقة المستر توم أخبرتها أنه يغدق عليها الأموال و الهدايا بشكل كبير " . حول الدكتور بروكلمان نظره من نافذة السيارة إلى جاك و سام قائلاً " على كل حال فكروا جيداً بالمشروع الذي ستقومان به ، و ادرساه من كل جوانبه و قررنا بعد ذلك ما أنتم فاعلون " . التفت سام إلى الورا و قال للدكتور بروكلمان بحماس " إنها فرصة العمر يا دكتور .. إنها فرصة العمر التي سترفعنا إلى الأعلى ، إلى الأعلى يا دكتور " تتمم الدكتور بروكلمان بصوت خافت " أحياناً تكون الضربة القاضية مموهة بشكل فرصة العمر ، و أحياناً تكون فرصة العمر مموهة بشكل ضربة قاضية " . التفت إليه جاك موزعاً نظره بينه و بين السيارات أمامه " ماذا تريد أن تقول لنا يا دكتور ؟؟ " - " لا أستطيع أن أقول أي شيء يا جاك ، لا سلباً و لا إيجاباً ، و لكن كل ما أستطيع قوله ، هو دراسة الأمر من كل جوانبه و التفكير به بشكل جيد ، و بعدها قررنا ، فإن رأيتما أنه لا مانع من المشاركة بهذا الأمر ، فلا بأس ، فربما تكون فعلاً هي فرصة العمر " .

خلال الأيام الثلاثة التي تلت العشاء ، استكمل سام و جاك المشروع و اتفقا أخيراً على المشاركة فيه ، كان حماس سام للمشروع كبيراً ، أكبر من حماس جاك له ، و في نهاية الأسبوع وقع الاثنان عقد الشراكة

مع المستر توم . كانت نسبة الشراكة هي الثلث لكل منهم ، سام و جاك و المستر توم ، و تم فتح حساب مشترك بينهم بقيمة اثني عشر مليون دولار ، و تم الاتفاق على أن يكون بدء تنفيذ العمل بعد شهر ، و أن يقوم توم بالسفر لتأمين المواد عن طريق شركاته في الخارج . مر الشهر ، و لكن لم يتصل المستر توم و لم يعد من الخارج ، مضى أسبوع على نهاية الشهر و لم يأت المستر توم أو يتصل ، مر أسبوع آخر و أيضاً لم يحصل شيء ، اتصل سام و جاك على الأرقام التي أعطاهم إياها في هولندا ، و لكن لم يجب أحد ، ثم خطر لجاك أن يتفقد المبالغ التي وضعوها في البنك ، فكانت الصدمة القاسية ... بل الكارثة الرهيبة كان المبلغ مسحوباً كله من البنك ، الرصيد هو صفر ، و عندما سألوا عن الأرض التي سيني عليها المشروع ، اتضح لهم أنها مبيعة أيضاً ، فقاموا بإبلاغ الشرطة و البوليس على الفور ، و لكن المستر توم كان بكل بساطة قد اختفى . سألوا عنه في النادي فقالوا لهم إنه لم يأت منذ شهر ، فقدموا دعوى قضائية عليه ، و لكن اتضح أن الاسم وهمي و اسمه الحقيقي غير معروف ، و عندما حجزوا على شركاته في الخارج بموجب بنود الضمان في العقد ، تبين أيضاً أن تلك الشركات لا قيمة فعلية لها ، و إنها شركات اسمية من دون أصول مادية أو ثابتة أو ممتلكات . انهيار سام تماماً ، أما جاك فقد جن جنونه و أخذ يصرخ كالمجنون " أموالنا يا سام ، أموالنا هل تسمعي أموالني سيقتلني أبي لا شك لقد أفلست يا سام ... أفلست ... هل تسمعي لقد أفلست " أخذ جاك يصرخ كالمجنون ، أما سام فقد كان كالمذهول الذي أصيب بمس كهربائي ... لم ينبس بأي كلمة . تابع جاك الصراخ " لقد وضعنا كل أموالنا في هذا المشروع اللعين ... لقد انتهينا يا سام انتهينا " . كان سام كالسكران ، التفت بهدوء إلى جاك و عيناه جاحظتان قليلاً " أرجوك يا جاك ، أرجوك ، دعني الآن ، سأذهب إلى المنزل أشعر بالدوار ... أشعر بالإعياء .. اشعر أنني لست على ما يرام " عندما غادر سام إلى المنزل ، لم يكن بحالة طبيعية ، فقام أخوه بقيادة السيارة بدلاً عنه ، و أوصله إلى المنزل . و هناك أخذت زوجته تواسيه و تخفف عنه ، و لكنه لم

يكن يسمعتها ، لم يكن معها ، كان وجهه شاحباً ، و يهذي أحياناً و يقول " أربعة ملايين دولار ... أربعة ملايين دولار ذهبت طارت اختفت تبخرت ، لا ، لا ، لا مستحيل ، مستحيل إنني احلم .. إنني أتخيل ... طبعاً إنني أتخيل " ، فجأة بدأ بالصراخ بشكل هستيري ، فقامت زوجته على الفور بالاتصال مع الدكتور بروكلمان الذي حضر فوراً ، و قام بإعطاء سام إبرة مسكنة ، لم يلبث بعدها سام أن استغرق بالنوم ، التفت الدكتور بروكلمان إلى زوجة سام و أخيه قائلاً لهما " سأكتب لكم على أدوية مهدئة عليكم إحضارها له ، و في الصباح الباكر سأتي لأطمئن عليه ، إنه سينام الآن بعمق ، ، إذا حصل شيء في الليل ، اتصلوا بي على الفور " . سأله أخو سام بلهفة " ماذا حصل معه يا دكتور؟ " - " لقد أصيب بانهيار عصبي ، و الآن أستأذنكم ، أنا في المنزل " . في أثناء الليل كان سام يهذي و هو نائم " أربعة ملايين دولار .. أربعة أربعة أربعة " .

في اليوم التالي جاء الدكتور بروكلمان باكراً و اطمأن على سام ، و أعطاه إبره و حبوباً مهدئة ، و تركه يرتاح ، ثم عاد إليه في اليوم الذي يليه . كان سام يجلس على السرير و رأسه ملفوف بعصابة محكمة . نظر إلى الدكتور بروكلمان بأسى ، و قال بصوت ضعيف حزين مبحوح " لقد انتهيت يا دكتور، لقد خسرت كل شيء ... كل شيء .. كل شيء يا دكتور " . نظر الدكتور بروكلمان بحزن إلى سام و قال له " كيف تمكن هذا المحتال من خداعكما يا سام؟! " حرك سام رأسه يمنة و يسرة و هو ينظر إلى السقف و قال بتعب " لا أدري يا دكتور ، لا أدري " . هز الدكتور بروكلمان رأسه هو الآخر بأسى و قال " لقد شككت فيه منذ البداية ، و حذرتكم و طلبت منكم أن تفكروا بالموضوع جيداً و تسألوا عنه ، من الواضح أنه محترف .. حتى أنا أشكل علي الأمر .. و لكن هذا الأمر من اختصاص المحامي !!!؟ " . أجاب سام بأسى و هو لا يزال ينظر إلى السقف " لقد أخبرنا المحامي بأنه يجب أن يكون هناك ضمانات و نحن قبلنا

بشركاته في الخارج من دون أن نسأل عن قيمتها الحقيقية " . أطرق الدكتور بروكلمان يفكر ثم قال " و لكن ... غريب ، كيف فات ذلك الأمر على جاك " - " لا أدري يا دكتور " - " لقد كان شكه و حذره أكثر مني يا سام ، فكيف فاتته هذا الأمر .. إنني فعلاً مستغرب " - " لا أدري يا دكتور ، في البداية كان حذراً و متشككاً ، و لكنه في النهاية وافق و لكن معه حق يا دكتور ، فإذا كنت أنت نفسك و بكل خبرتك و حنكتك ، لم تستطع تمييز صحة الأمر من خطأه ، فكيف سيميز هو ؟؟ " - " ربما يا سام ، ربما ... و لكن حيادي هذا و عدم جزمي بالأمر ، كان معناه بشكل أو بآخر الشك و الحذر يا سام كان يجب أن تعلم ذلك ، و لكن رغبتك و لهفتك على ذلك المشروع ، جعلتك تتجاهل كل شيء من أجله ، حتى المحامي جيم ... لقد أخبرني البارحة بأنه حذرك بوجوب وجود ضمانات ، و أن السحب من رأس المال يجب أن يكون مشتركاً بحضور و توقيع كل الأطراف ، و لكن في النهاية القرار كان قراركما أنت و جاك " . مرة أخرى أخذ سام يهز رأسه يمناً ويسرة و هو ينظر إلى السقف و يقول " لقد قضي على يا دكتور ... قضي علي " . كان وجه سام شاحباً و يبدو عليه التعب ، كان يتكلم بإعياء . نظر إليه الدكتور بروكلمان و قال " إنك متعب يا سام " فتدخلت زوجته قائلة " إنه لم يأكل منذ أن جاء إلى المنزل أول مرة يا دكتور " - " لا يجوز ذلك يا سام ، لا يجوز .. يجب أن تأكل .. إن جسمك بحاجة للغذاء " . حرك سام رأسه بتعب و قال " لا أستطيع يا دكتور ، لا أستطيع ، ليس لي رغبة بالأكل " - " يجب أن تجرب نفسك يا سام ، لأنك إن بقيت على هذه الحال ، فستنحدر حالتك نحو الأسوأ " . صاح سام بضيق " لا أستطيع يا دكتور ، لا أستطيع " - " حسناً يا سام .. لا بأس ، سأخرج و أعود إليك بعد قليل " . خرج الدكتور بروكلمان و بعد ساعة عاد و معه المعلم رالف " انظر يا معلم ، هذا هو سام الذي تقول عنه إنه صلب و إن إيمانه قوي . انظر إنه يرفض حتى أن يأكل ، فما رأيك " . اعتدل سام في سريره و رحب بالمعلم رالف " أهلاً يا معلم ، إنني مسرور بقدمك رؤيتك تبعث في قلبي الأمل و التفاؤل " . أشار المعلم رالف

بيده إلى سام قائلاً " لن أتكلم معك و لا كلمة يا سام ، حتى تأكل ، و الآن " ثم نظر إلى زوجته و قال لها " هيا يا سيدتي، أحضري له الطعام من فضلك " أومأت الزوجة بالإيجاب و ذهبت لتحضر الطعام ، فصاح بها الدكتور بروكلمان " الأفضل أن يكون طعاماً دسماً " . نظرت إليه زوجة سام و قالت " يوجد لدينا شرحات لحم ، سمك ، و ربيان " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام مبتسماً و قال " نعم ، نعم يا سيدتي الفاضلة ، هذا ما يحتاجه بالضبط " . بعد أن انتهى سام من الطعام ، نظر إليه المعلم رالف و قال " قل لي يا سام ، منذ متى و أنت حريص على المال كل هذا الحرص ، لدرجة أن تصاب بانهيار عصبي و تمتنع عن الأكل لأجل ذلك " صمت سام و لم يتكلم ، و هنا تدخل الدكتور بروكلمان قائلاً " و لكنه خسر كل شيء يا معلم ، لقد كانت ضربة قاسية له ، و ليس من السهل أن " - " و لكن يا دكتور ليس إلى هذه الدرجة يكون الحرص و الحزن و الألم ... ثم أين الإيمان " . نطق سام ببطء و ألم و الدموع تنهمر من عينيه " أنا لست حزيناً يا معلم على المال ، كمال فقط ، بل أنا حزين على تعبي الذي ضاع كله .. حزين على شركتي التي بنيتها بالتعب طوال تلك السنين أنا لم أفعل شيئاً سيئاً في كل حياتي يا معلم إنني حزين أيضاً لأنني ربما لن أستطيع أن أتبرع و أنفق المال في سبيل الخير..... و فيما يتعلق المال ، فأنا لم أعد أكره المال ، لسبب بسيط ، هو أنني حصلت عليه أي شيء تحصل عليه يا معلم و تبنيه بيديك هاتين ، بالكد و التعب و الجهد و المرارة ، ستحزن عليه كثيراً عندما يذهب فجأة تخيل أن مؤسستك التي بنيتها و تعبت فيها كل تلك السنين الطويلة ، تخيل أنها تنهار فجأة أمامك ، تعبك كله يضيع ، هكذا و من دون مقدمات .. تخيل أنها اختفت من أمامك فجأة و خلال لحظة واحدة ، ماذا تفعل أعود و أقول لك يا معلم إنني لم أعد أكره المال " . هز المعلم رالف رأسه و هو ينظر إلى سام و قال " إنني أحترمك يا سام و أحبك من كل قلبي ، أنت رجل شهم شريف و أمثالك قليلون ، و لكن يا عزيزي حتى وإن كنت قد خسرت كل شيء ، فليس هناك داع لأن تدمر نفسك و صحتك من أجل ذلك " تدخل

الدكتور بروكلمان قائلاً " أنا مع المعلم رالف في ما يقوله يا سام ، فليس هناك داعٍ لكل ذلك " . بعد قليل رن جرس الباب ، كان الزائر هو جان الذي جاء ليطمئن على سام . أرجع سام ظهره إلى السرير ونظر إلى المجموعة المتحلقة حوله ... المعلم رالف و الدكتور بروكلمان و جان و أخيه و زوجته ، ثم قال لهم " أيها الأعداء ، إن وجودكم هنا يشعرني بالسعادة حقاً إنني أتذكر منذ سنين عندما تعرضت لأزمة مشابهة ، و صحوت لأجدكم أمامي المعلم رالف و الدكتور بروكلمان . " هذا واجبنا يا سام " . و هنا سأل جان " ماذا ستفعلون بشأن ذلك المدعو توم " . رد الدكتور بروكلمان "لقد تم إبلاغ البوليس الهولندي ، و البوليس هنا ، و هم يقومون بالتحريات و البحث " . فالتفت سام و سأل " هل حصلتكم على معلومات بهذا الشأن يا دكتور؟؟؟ " - " حتى الآن لا من الواضح إنه قد غادر البلاد ، لكن ليس باسمه الذي تعرفه ، لأنه اسم مستعار " - " و هل حصلتكم على اسمه الحقيقي " - " لا يا سام ، لم يتوصلوا إلى ذلك " فسأل المعلم رالف باستغراب " و لكن ألم يتتبع البوليس سير المال و الجهة التي حول إليها؟؟!! " . أوماً الدكتور بروكلمان بالإيجاب " نعم يا معلم ، لقد تتبع البوليس سير المال ، و التحويل ، و لكن المفاجأة هي أنه لم يتم تحويل المبلغ إلى هولندا " - "إذاً إلى أين؟؟!!؟؟ " - " لقد تم تحويله إلى أحد بنوك النروج ، و هناك تم سحبه باليد ، و الحساب هو باسم توم نفسه ، أي الاسم المستعار حتى لا نعرف الاسم الحقيقي " فعاد المعلم رالف للسؤال بذهول قائلاً " و لكن هل يستطيع سحب مبلغ كبير كهذا باليد؟؟ " - " طبعاً يا معلم يستطيع ، و ما الذي يمنعه من ذلك ، و بخاصة إذا سحب المبلغ على دفعات و هذا ما حصل بالفعل، فقد اتضح أنه سحب المبلغ على دفعتين ، كل مرة كان يسحب أربعة ملايين دولار ، و هو مبلغ تتسع له حقيبة سمسونائيت كبيرة بسهولة " - " و من أين حصلتكم على كل هذه المعلومات يا دكتور؟؟ " - " اليوم أخبرني مفوض البوليس بذلك " - " و أين ذهب بالمبلغ الذي سحبه من هناك؟؟ " - " لا ادري يا معلم " . و هنا قال سام بصوت ضعيف " و لكن كيف ذلك يا دكتور ...

يجب أن يعرفوا ، أليست هذه وظيفتهم ؟ " - " ذلك صعب يا سام إنهم يستطيعون تتبع حركة المال بالتحويل من بنك إلى بنك ، فالبنك يخبرهم أنه قد حول ذلك المبلغ إلى رقم حساب كذا في بنك كذا لاسم فلان ، و هكذا دواليك ، و لكن عندما يأتي شخص و يسحب هذا المبلغ باليد ، فإن البنك لا يعرف أين ذهب به البنك يخبرك بكل حركة للمال تم عن طريقه هو ... أتذكر عندما طلبت من البنك قبل شهرين كشف حساب ، لقد أعطاك البنك لائحة بكل تحويل قمت به عن طريقه ، و إلى جانب كل تحويل ، كان هناك إشارة إلى مكان التحويل و قيمة المبلغ و الشخص المحول إليه و رقم الحساب و تاريخه ، أما المبالغ التي تم سحبها باليد فقد تم ذكر قيمتها و تاريخها فقط " . نظر سام إلى السقف مرة أخرى و قال بياس " و الآن ما العمل يا دكتور؟؟ " - " الأمر أصبح بيد البوليس ، و لو أنني أظن أن فرص العثور على ذلك الشخص ، ضئيلة جداً ... و لكن جاك أين هو ، ألم يأت ؟ " . أجاب أخو سام " لا يا دكتور لم يأت ، حتى الآن لم نره " . فقال سام بحزن "مسكين هو الآخر ، أظن أنه أصيب بصدمة مثلي ، و لكن هو لديه أب ثري يعوضه ، أما أنا فمن يعوضني؟؟؟ " .

مر أسبوع آخر ، و سام في المنزل ، لم يغادره ، كان الدكتور بروكلمان قد نصحه بالراحة و البقاء في السرير ، و قبل نهاية الأسبوع كان جالساً في السرير يفكر و يتأمل ، عندما دق جرس الباب ، جاءت زوجته و أخبرته بقدم جاك . " دعيه يدخل إلى هنا " . دخل جاك و سلم على سام ، كان وجهه يوحى بالكآبة و الحزن " كيف أنت يا عزيزي سام " - " لا بأس ، و أنت ؟ " - "أنا كما تراني ... لقد اصطدمت مع والدي لأجل هذا الموضوع ، و هو حائق علي جداً أخشى أنه سيطرمني من المنزل " - " هل عرفت أية معلومات عن هذا السافل؟؟ " - " لا يا سام ، لا معلومات ، لم نعرف أي شيء عنه " . فكر سام قليلاً و سأل " و لكن ألم تعرفوا إلى أين حول المال ؟ " - " لا يا سام " - " و لكن الدكتور

بروكلمان أخبرني عن معلومات عنه " . اعتدل جاك في جلسته متحفزاً و سأل باهتمام " و ماذا قال لك الدكتور بروكلمان عنه؟؟" - " لقد أخبروه في البوليس أنه قد حول المبلغ إلى النروج ، و هناك سحبه باليد " . أطرق جاك يفكر ثم قال " نعم ، نعم ، لقد سمعت بذلك ، و لكن ما الفائدة الآن ؟ " - " لقد أفلسنا يا جاك " - " نعم يا سام ، و لهذا أنا هنا " . اعتدل سام هو الآخر في سريره و قال " ماذا هناك يا جاك ، هل حصل شيء!!؟؟" - " في الواقع يا سام ، و بعد كل هذا الذي حصل معنا ، يجب أن نقرر الآن وضع الشركة " - " ماذا تقصد يا جاك !!؟؟" - " أقصد يا سام أن وضع الشركة هكذا لا يمكن أن يستمر " . انتفض سام في فراشه " مستحيل يا جاك .. مستحيل أرجوك " - " و لكن ماذا سنفعل يا سام ؟ كيف سنصرف ، من أين لنا بالمال ، ثم إن هناك ديوناً علينا تصنيفيتها للتجار و المقاولين .. أنت تعرف أن كل رأسمالي قد طار ، و والدي يرفض إعطائي فلساً واحداً" . أخذ سام ينوح في سريره و يقول بصوت متهدج مبسوح " كل شيء يا جاك إلا الشركة لقد بنيناها معاً ، فلنحاول إحياءها مرة أخرى أرجوك يا جاك لا تيأس ، يجب أن نحاول " - " آسف يا سام ، لم اعد أستطيع الاستمرار ، فكر جيداً و ستعرف إننا لن نستطيع الآن سأتركك ، و لكن أرجو أن أراك في الأسبوع القادم في المكتب لنصفي الشركة بحضور المحامين أرجو أن تعذرني يا سام و لكن فكر ، إنها الطريقة الوحيدة و لا يوجد حل آخر... و الآن سأتركك لترتاح إلى اللقاء في الأسبوع القادم " . غادر جاك ، بينما بقي سام في سريره و الدموع تنهمر من عينيه بغزارة . خلال ذلك الأسبوع وصلت إليه بطاقات بريدية و باقات ورود كثيرة من أناس كثيرين ، أحضرت له زوجته الرسائل و البطاقات ، كانت من أناس يعرفهم ، و من أناس لا يعرفهم ، و كلهم تمنوا له الشفاء العاجل ... و فجأة تذكر ليزا ... لماذا لم تتصل حتى الآن ؟ لماذا لم تسال ، ربما لم تسمع .

في اليوم التالي استيقظ باكراً ، و نهض من السرير ، كانت صحته قد تحسنت عن السابق ، دخل إلى الحمام ، أخذ دوشاً ساخناً ، و عندما خرج ، أحس بالانتعاش قليلاً و لكنه ما يزال مهموماً ، اتصل بالدكتور بروكلمان و المحامي جيم و طلب منهم الحضور في المساء ، و عندما حضرا ، عرض عليهما ما طرحه عليه جاك بخصوص تصفية الشركة " . فسأل الدكتور بروكلمان " و لكن لماذا يريد تصفية الشركة !!؟؟ " - " قال إنه لم يعد يستطيع الاستمرار لأنه لا يملك النقود " . تفهم الدكتور بروكلمان الأمر قائلاً " ربما معه حق في ذلك ، فكيف ستباشرون العمل من دون رأس مال ؟ " - " ربما ، و لكن كيف سنصفي الشراكة أيها المحامي جيم ؟؟ " - " لا تقلق لذلك يا سام ، المهم أن تحددوا موعداً للتصفية ، و تكون أنت موجوداً " - " و هل يستغرق ذلك وقتاً طويلاً ؟؟ " - " لا يا سام ، لأن مقر الشركة مسجل باسمك و يبقى فقط مسألة الديون المترتبة عليكما " - " و كيف سنصفيها ؟؟ " - " مناصفة بينكما ... إنها تتبع أسلوب الشراكة مباشرة و على كل حال ، لا تقلق يا سام ، سأقوم بجدد كل الحسابات و الديون و الأصول و سأتولى هذه العملية بنفسني " . تتمم سام بيأس " حسناً أيها المحامي افعل ما تراه مناسباً في نهاية الأسبوع ستم التصفية و ستبقى هذه الشركة غصة في قلبي " . ربت الدكتور بروكلمان على كتف سام مخففاً " لماذا يا سام تهتم كل هذا الاهتمام و تحزن كل هذا الحزن ... إن تصفية الشركة أمر طبيعي ، هناك الكثير من الشركات الكبيرة العملاقة في أوروبا و أمريكا تخسر و تفلس ، و تتم تصفيتها ، فلا تزعج نفسك بذلك " . رد سام بأسى " و لكن هذه الشركة يا دكتور ، لها أثر خاص في قلبي ، لقد رأيت نفسي و شخصيتي فيها " - " و لكن الناس يا سام لم يروك فيها بل رأوك في الأعمال الخيرية الكبيرة و الثقافة الواسعة و الشخصية الصادقة كل الذين يعرفونك يا سام ، يعرفونك من هذه الزاوية " .

في اليوم المحدد للتصفية حضر سام إلى المكتب هو و جاك و الدكتور بروكلمان و المحاميان ، و قاما بتسديد الديون المترتبة عليهما مناصفة و بعد ذلك انصرف جاك و محاميه الخاص . ارتقى سام على الكرسي خلف الطاولة متهاكاً و على وجهه الأسى و الإحباط ، و حوله الدكتور بروكلمان و المحامي جيم و جان و أخوه ، اغرورقت عيناه بالدموع و قال وهو يشهق متهيئاً للبكاء "إنني غير مصدق أيها السادة ، غير مصدق ما حصل ، فجأة هكذا و من دون سبب و مقدمات أخسر كل أموالى بلحظة واحدة و تفلس الشركة " . أخذ الدكتور بروكلمان يروح جيئة و ذهاباً في المكتب و هو يقول "أتدري يا سام أنا نفسي أيضاً غير مصدق إنه فعلاً أمر غريب ، أن يتم الأمر هكذا و بهذه السرعة و من دون أن نشعر به هناك خطأ ما " نظر سام بياس إلى الدكتور بروكلمان و عيناه مليئتان بالدموع و قال مجزن " و ما هو هذا الخطأ يا دكتور؟؟" رد الدكتور بروكلمان " لقد درسنا أنا و المحامي جيم الأمر من كافة جوانبه ، و وجدنا أن الخطأ في الضمانات ، و الحساب المشترك فالضمانات لم تكن ذات قيمة تذكر ، و أنتم لم تدققوا فيها و تسألوا عن قيمتها الحقيقية ، أما الحساب المشترك فكان يجب أن يكون السحب أو التحويل فيه مشروطاً بتواقيعكم أتم الثلاثة ، و هذا ما لم تذكره في أثناء إيداع الحساب المشترك " نظر سام إلى المحامي جيم و قال له " كان يجب أن تجربني بذلك يا جيم " . رد المحامي جيم بهدوء " لقد أخبرتك يا سيدي بذلك ، و بخاصة موضوع الضمانات و كان عليك تدقيق قيمتها في بلد المنشأ ، و قد طلبت منك أن تكلفني بذلك ، و لكنك رفضت ، أما موضوع الحساب المشترك ، فإنك لم تستشرنني بذلك فضلاً على أنه ما كان يجب أن تفوتك مسألة السحب مشتركاً " . غطى سام وجهه بيديه و هز رأسه قائلاً " في هذه أنت محق يا جيم " . و هنا سأل الدكتور بروكلمان " و لكن كيف فاتت جاك هذه القضية !!؟ " - " لا أدري يا دكتور ، لا أدري " . نظر المحامي جيم إلى سام وقال " لقد طلبت منك منذ البداية أن تكلفني بهذه القضية من أولها إلى آخرها و لكنك لم تقبل " . ضرب سام على رأسه و قال " لا أدري ، لا أدري ما

الذي حصل وقتها ، لقد كنت أمّتي نفسي بأنني سأتعلم أصول الصفقات الكبرى ، و لكن على ما يبدو كانت ضربة كبرى و ليست صفقة كنت محقاً يا دكتور عندما قلت لي إن الضربة القاضية قد تكون موهبة بشكل فرصة العمر لا بد أنني كنت مسحوراً ، لقد سحرنا هذا السافل اللعين " . ضرب الدكتور بروكلمان كفاً بكف و قال " و الآن ماذا ستفعل يا سام " - " لا أدري يا دكتور " - " طالما أن لديك المكتب و الخبرة ، لماذا لا تعود إلى العمل وحدك و تؤسس شركتك الخاصة بك " قال الدكتور بروكلمان . و هنا علق المحامي جيم " إذا أردت يا سام ، أستطيع أن أباشر لك بإجراءات تأسيس شركة جديدة " نظر سام إليهم و قال متهكماً بألم " و رأس المال كيف سأباشر العمل من دون رأس مال " سأله الدكتور بروكلمان " كم بقي لديك الآن يا سام ؟ " - " حوالي المئتي ألف دولار " - " ألا يمكنك أن تبدأ بها مشروعاً ما ؟ " - " صعب يا دكتور ، هناك مصاريف أخرى يجب أن أدفعها ، ثم ما هو هذا المشروع الذي سأبدأ به بهذا المبلغ الضئيل على كل حال ، لا بأس ، الآن سأعطيكم أجوركم عن هذا الشهر " - " لا يا سام نحن لا نريد شيئاً " - " بل ستأخذون ، هذا حقكم و أنا مصر على ذلك و كما ترون ، فإن الشركة قد انحلّت و لم يعد هناك عمل ، و حتى أتمكن من إيجاد عمل ، تستطيعون أن تعتبروا أنفسكم في إجازة . جان و السيد جيم و أخي ، و إذا أمن أحدكم عملاً قبل أن أعمل أنا ، فلا مانع لدي و سأعطيه تعويضه " - " أنا سأنتظرك يا سام " - " و أنا " - " و أنا " . نظر سام إليهم و قد أحس بسعادة غامرة و قال " و لكن ربما لا أستطيع تأمين عمل في القريب العاجل ، وقد لا أؤمن " - " لا بأس يا سام سننتظرك لأطول فترة ممكنة " . هز سام برأسه و أوماً بيديه إليهم " حسناً أيها السادة ، الآن بإمكانكم أن تذهبوا إلى بيوتكم و تتراحوا ، أريد أن أبقى قليلاً مع الدكتور بروكلمان " . بعد أن انصرف الثلاثة بقي سام مع الدكتور بروكلمان . " و الآن يا دكتور ، ماذا تنصحي " - " كما قلت لك عليك أن

تحاول إيجاد عمل تجاري بالمبلغ المتبقي " - " و إذا لم يكن هذا المبلغ كافياً" - " يجب أن تؤمن مبالغ إضافية ... حاول أن تستدين " - " نعم ، نعم ، يا دكتور أنت محق في ذلك ، من الغد سأبدأ في ذلك " .

في اليوم التالي ذهب سام إلى البنوك التي يعرفها ، و تقدم بطلبات قروض ، فوعده بالرد بعد أسبوع . عندما خرج تذكر ليزا ، فاتصل بها في المنزل و لكن الخادمة أخبرته أنها غير موجودة ، فطلب منها أن تجربها بوجوب الاتصال معه . اتصل بها في النادي ، فاخبروه أنها غير موجودة ، اتصل بها في الوكالة التي تعمل بها فأخبروه أيضاً إنها غير موجودة . فكر في نفسه " أين هي ليزا ، لماذا لم تتصل بي ، كنت إذا تغيبت عنها أكثر من يومين تتصل معي فوراً ... ألا تعرف أنني كنت مريضاً ، عندما ستتصل ، سأعرف منها السبب " . مر يومان و لم تتصل ليزا ، أعاد الاتصال معها في النادي و المنزل و الوكالة ، و أيضاً اخبروه أنها غير موجودة . في المساء ذهب إلى النادي الخاص و هناك سأل عنها ، فاخبروه أنها غير موجودة ، دخل إلى القاعة ، و جلس إلى إحدى الطاولات ، ثم أشار إلى إحدى الفتيات بالاقتراب . " أخبريني يا عزيزتي ، هل رأيت ليزا ؟ " - " أظن أنها فوق " - " إذاً لماذا أخبروني أنها ليست هنا ؟ من فضلك يا عزيزتي أخبريها أنني هنا و أريدها " . ذهبت الفتاة إلى الطابق العلوي ، بينما بقي سام على الطاولة يقضم أظافره بتوتر ، بعد قليل نزلت ليزا و هي متناقلة بخطواتها ، اقتربت من سام بوجه جامد ، قالت له ببرود " أهلاً سام " . هب سام من مكانه واقفاً ينظر إلى ليزا بذهول " أين كنت يا ليزا ، طوال عشرين يوماً لم أسمع صوتك ، لقد اتصلت معك أكثر من مرة !!؟؟ " . ردت ليزا ببرود و اقتضاب واضحين " كنت مشغولة جداً " نظر إليها سام متسائلاً " ألا تعرفين ما حصل معي يا ليزا ؟؟ " - " نعم لقد سمعت " . انتفض سام من مكانه كالمسوع و قال بصوت عاتب " ماذا !!!!! ؟؟؟ ماذا !!!!! ؟؟؟ سمعت و لم تتصلي بي .. لقد مرضت مرضاً شديداً ، و لازمت السرير طوال أسبوعين ، أفلست و لم تتصلي بي

؟؟؟؟!! " . أخذت ليزا تتلفت يميناً و شمالاً و تنظر إلى السقف ، ثم قالت " لقد أخبرتك يا سام أنني كنت مشغولة و لكنني كنت سأتصل بك لأطمئن عليك " . حدق سام بليزا متمعناً ، ثم قال " بماذا كنت مشغولة يا ليزا ؟!!؟ " . أجابت ليزا بتحفظ " لا شيء يا سام ، إنها أمور خاصة " - " و منذ متى تخفين عني أسرارك يا ليزا ؟!!؟ " . تأففت ليزا بانزعاج و قالت " أرجوك يا سام إنني منزعجة جداً ، دعنا نترك هذا الأمر و نتحدث في أمر آخر " نظر سام إلى ليزا باستغراب و قال " ليزا .. ما بك ؟!!؟! " - " لا شيء يا سام ، لا شيء ، حدثني عن أمورك أنت ، و ماذا ستفعل الآن " . أخذ سام يحدث ليزا عما جرى له و ماذا ينوي أن يفعل . كانت ليزا طوال الوقت باردة ، تنصت إلى سام ، و تتكلم باقتضاب . " إن كل همي يا ليزا ، و كل أوجاعي و آلامي ، تزول عندما أكون بقربك ، أنت البلمس و الدواء لي يا ليزا ، إنني أحبك من كل قلبي ، و لا أزال ، حتى بعد أن تزوجت ظللت أحبك ، أريدك أن تقفي معي يا ليزا في محنتي هذه ، أنت الوحيدة التي من الممكن أن تقف معي و تروح عن نفسي و تجعلني أحس أنني لم أخسر شيئاً ، و الآن هيا نصعد إلى فوق فقد اشتقت إليك " . ارتبكت ليزا و قالت متلعثمة " اعذرني يا سام .. لا أستطيع " - " لماذا ؟!!؟ " - " إنني متعبة جداً ، و غداً صباحاً لدي تدريبات على عرض الأزياء ، استأذنيك يا سام " قالت ليزا ذلك و قامت ، فاستمهلها سام و هو يمسك بيدها " حسناً يا ليزا ، كما تشائين .. و لكن متى تحبين أن نلتقي ؟؟ " - " لا أدري يا سام ، إنني مشغولة هذه الأيام ... إلى اللقاء " . عاد سام إلى المنزل ، كان تفكيره مشوشاً تماماً و مضطرباً ، بشأن ليزا ، كان أكثر ما يخشاه ، هو أنها لم تعد تريده ، فكر في نفسه "مستحيل .. ليزا ليست هكذا ، على كل حال سأنتظر يومين أو ثلاثة ، و بعدها أكلمها " .

بعد أربعة أيام ، ذهب سام إلى البنك الذي كان يودع فيه أمواله ، ليسأل عن الطلب الذي قدمه بخصوص القرض . استقبله المدير بالترحاب ، فسأله سام "كنت قد تقدمت بطلب للحصول على قرض من بنكي الذي أودع فيه أموالي " . ابتسم المدير و قال بوقار زائد " في الحقيقة يا مستر سام لقد عرضت الموضوع على مجلس إدارة البنك ، و لكنهم للأسف لم يوافقوا " . حذق سام بالمدير مستغرباً و قال بشيء من الانفعال " لماذا لم يوافقوا !!!؟؟ لقد أودعت كل أموالي في هذا البنك ، و أنتم تعرفون ذلك جيداً و تعرفون سيرتي و علاقاتي جيداً " . أرجع المدير ظهره إلى الكرسي المتحرك و حرك يديه شارحاً الموقف لسام " طبعاً ، طبعاً يا مستر سام ، لقد شرحت هذا لمجلس الإدارة و زكيتك عندهم ، و لكن أنت تعرف ، لقد أفلست شركتك و الجميع أضحى يعرف ذلك ، و من الصعوبة بمكان ، أن يعطي البنك قرض لشركة مفلسة لأن البنك يريد الضمان ، و أرجو أن تعذرني يا مستر سام ، كنت أتمنى من كل قلبي أن أساعدك و لكن مجلس الإدارة رفض " . ذهب سام إلى البنكين الآخرين ليسأل عن طلب القرض ، و لكنه سمع الكلام نفسه ، فعاد إلى المنزل حزيناً مهموماً ، جلس على الأريكة يفكر ماذا سيفعل ، و لم يلبث أن رن جرس الباب ، كان الدكتور بروكلمان . " ها يا سام ، ماذا حصل معك؟؟؟ " - " لقد مررت اليوم على البنوك لأسأل عن القرض ، لكنهم رفضوا يا دكتور ... ثلاثة بنوك رفضوا ... لقد رفضوا إعطائي قرضاً " . هز الدكتور بروكلمان برأسه متفهماً كلام سام و قال له " إنهم محقون في ذلك يا سام ، فالبنوك عادة لا تعطي قروضاً لشركات مفلسة ، لأنه ليس هناك ضمان " . نظر سام بياس إلى الدكتور ، و قال بنبرة حزينة " و الآن ما العمل يا دكتور هل اسأل بنوك غيرهم ؟ " . لوح الدكتور بيده نافياً " لا يا سام ، أظن أنهم سيفعلون ما فعلته البنوك الثلاثة ، و سيرفضون إعطائك قرضاً .. الجميع أصبح يعرف بقصتك يا سام " . أطرق سام إلى الأرض و قد غطى وجهه بيديه و قال بصوت متهدج " و الآن ما العمل ، ما العمل يا دكتور ... أخبرني أرجوك ... أعصابي لم تعد تحتمل " . فكر الدكتور بروكلمان قليلاً ثم

قال " اسأل أصدقاءك يا سام في النادي العام و اسأل معارفك ... لقد ساعدت أناساً كثيرين ، و علاقاتك مع الجميع طيبة " - " سأفعل يا دكتور ، سأفعل ذلك غداً " .

في اليومين التاليين جال سام على جميع معارفه الأغنياء ، و طلب الاستدانة منهم ، كلهم رحبوا به بمودة و سرور و أسفوا لما حل به ، لكن جميعهم رفضوا ، بعضهم اعتذر بأدب ، و بعضهم تهرب ، و بعضهم قال إنه لا يملك المال . حتى بعض الذين كانوا يتحلقون حوله في النادي ، لم يعودوا يفعلوا ذلك ، حتى الفتيات اللواتي كن يجالسنه ، لم يعدن كما كنّ في السابق . خرج سام من النادي حزيناً مكتئباً و ذهب إلى المنزل ، في الطريق تذكر ليزا ، اتصل بها في النادي و المنزل و الوكالة ، فقالوا له إنها غير موجودة ، فعاد للاتصال معها في اليوم التالي و أخبروه الكلام نفسه ، و في المساء توجه إلى النادي الخاص ، و عندما سأل عنها أخبروه أنها غير موجودة ، و لكنه لم يصدق ، طلب كأس ويسكي ، و عندما جاء النادل أعطاه سام مئة دولار بقشيش و قال له " ها و الآن أخبرني أين هي ليزا " . همس له النادل بخوف " إنها فوق يا سيدي " - " و لماذا قالوا لي إنها ليست هنا ؟؟؟!! لماذا لا يريدونني أن أعرف أنها هنا ؟؟ " همس النادل مرة أخرى و هو يصب لسام الكأس " لأنها تعرفت إلى رجل آخر يا سيدي " صعد الدم إلى رأس سام و قال " ماذا ؟؟؟ أين هما الآن ؟؟ أهما فوق ؟ في أي غرفة هما ؟ " - " لا أدري يا سيدي " . أخرج سام مئة دولار أخرى و دسها في يد النادل و هو يقول بغضب " في أي غرفة هما أيها الأحمق ؟ " - " في الغرفة الثالثة يا سيدي " سارع سام إلى الطابق العلوي و الدم يغلي في عروقه ، وصل إلى الغرفة الثالثة و فتح الباب بعنف و دخل كانت صدمة قوية له في السرير كانت ليزا و رجل آخر ، عارين تماماً . صاحت ليزا بخوف ، و سترت نفسها برداء " سام كيف دخلت إلى هنا ؟؟؟! " . أسرع الرجل الذي كان معها يستر نفسه هو الآخر بغطاء السرير . صاح سام و هو يرتجف من الغضب " أيتها الساقطة السافلة

بعد كل ما فعلته من أجلك ، تخونيني كل هذا الحب الذي أغدقته عليك ، و المال و الهدايا و
بعد كل هذا تخونيني أهذا هو السبب الذي منعك عني طوال هذه الفترة؟؟؟ .. أهذا هو عذرك
أيتها المومس السافلة؟؟؟ " . صاحت ليزا بارتباك " أرجوك يا سام اسمع ... أنا ... أنا ... أنت
تعرف أن النادي هنا " - " أحرصى أيتها الكلبة " قال سام ذلك و صفعها على وجهها صفعة قوية
رن صوتها كنغمة موسيقية حادة . و هنا انتفضت ليزا بشراسة و صاحت بغضب " اخرج من هنا أيها
التافه الحقير ... من أنت حتى تحاسبني على أعمالي و تصرفاتي ما صفتك بالنسبة إلي؟؟ هل أنت
زوجي؟؟ هل أنت والدي؟؟ أنت لا شيء ، لا شيء بالنسبة لي ، و الآن أخرج من هنا قبل أن
أستدعي حرس النادي ويطردوك " . تعالى صراخ سام ، و بعد قليل حضر اثنان من حرس النادي و أمسكا
به . نظر إلى ليزا و قال و بهدوء و هو يلهث "أكل هذا كان خداعاً يا ليزا؟؟ أكل هذا لأنني أفلست؟؟
..... حسناً يا ليزا ، أنت محقة " قال سام و نفض يده من الرجلين ، فقال له أحدهما بأدب "مدير النادي
يريدك يا سيدي " - " حسناً أنا ذاهب إليه " . ثم التفت إلى الرجل الذي ضبطه مع ليزا ، و قال له بكل
أدب و هدوء و هو يبتسم " أتمنى لك يا سيدي صداقة طيبة مع ليزا ، و لو أنني متأكد أنها لن تدوم ، لأنها
ستتخلى عنك عند أول لحظة تشعر فيها أنك لا تدفع المال خذها ، فلم أعد أريدها " أدار سام ظهره
و مشى .

في غرفة المدير جلس سام و هو يعدل من ياقته . " اسمح لي يا مستر سام أن أخبرك بان تصرفك هذا غير
لائق من رجل مثلك " . أشار سام بيده قائلاً "إني آسف يا سيدي و أعتذر لذلك " - " إنني آسف يا سيدي
، إنني مضطر إلى تعليق عضويتك في النادي هنا " . نظر سام إلى المدير و رفع يديه قائلاً بسخرية و هو يقلد
الحامي في مرافعته " كل هذا يا سيدي ، لأنني صرخت في وجه فتاة في النادي " - " لقد اقتحمت خلوتها

يا سيدي وهددتها ، و أنت تعرف أنظمة النادي ، الفتيات هنا لسن ملكاً لأحد " . فسأل سام بهدوء و سخرية " و إلى متى ستعلق عضويتي يا سيدي؟؟ " . أجاب المدير باقتضاب و هو ينظر إلى الحائط "لا أعرف " . ابتسم سام مرة أخرى و قال للمدير بهدوء " حسناً يا سيدي لقد فهمت كل شيء يبدو أن القانون هنا هو قانون المال ... أشكرك على توضيحك هذا الأمر ، و يسرني أن أقول لك إنه لا داعي لتعليق عضويتي في النادي ، لأنني تركته نهائياً و لن أعود إليه " نهض سام و غادر النادي . ركب في سيارته و أخذ يتجول في شوارع العاصمة ، لم يكن يعرف إلى أين سيذهب ، كان يقود السيارة إلى وجهة غير محددة ، ظل هكذا حوالي ساعة ، ثم عاد إلى المنزل . طلب من زوجته أن تعد له كوباً من الشاي ، و ذهب ليجلس على الشرفة و يتأمل أضواء المدينة وسياراتها ، و بعد قليل رن جرس الباب ، كان الدكتور بروكلمان الذي خرج إلى الشرفة و قال لسام مازحاً " أراك تجلس هنا في الشرفة ، و هذا يعني أن مزاجك قد تحسن " هز سام رأسه نافياً و قال و هو لا يزال يتأمل أضواء المدينة البعيدة " كلا يا دكتور ، إنني في أسوأ حالاتي " - " لماذا؟؟!! ما الذي حصل؟؟ " . روى سام للدكتور بروكلمان ما حصل معه و كيف أن كل معارفه من التجار و الأثرياء اعتذروا و تهربوا ، و كيف أن معارفه و أصدقاءه قد غيروا معاملتهم معه عن السابق ، كيف تصرفت معه ليزا و خاتمه . " أحس أن أعصابي منهارة يا دكتور .. أحس أنني محبط .. أظن أنه يجب علي أن أعود للدواء " - " لا يا سام لا داعي للدواء ، فأنت لست بحاجة له الدواء يعطى عند الضرورة فقط ، و أنا من يقرر ذلك أنت رجل صلب يا سام و قوي الإرادة و مؤمن ، فلا يجب أن تنهار عند كل مشكلة ، لقد أعطيتك الدواء في المرة السابقة لأن الوضع كان يتطلب ذلك ، و صدمة الإفلاس كانت قوية و مفاجئة " . فجأة أخذ سام ييكي بحرقه و هو يقول " لقد تعامل الجميع معي و كأنني شاة جرباء لم أكن أتوقع يا دكتور أن تكون هذه هي نتيجة الإفلاس هل معقول أن كل من يفلس سوف يتعرض إلى هذا المصير ؟ " . ربت الدكتور بروكلمان على كتف سام

مخفياً و مواسياً " هذا الأمر غالباً ما يحدث يا سام ، فالمفلس ، هو في عُرف الناس و المجتمع ، إنسان أصبح لا يملك شيئاً و ليس لديه أي شيء ، ليس هذا فقط ، بل إنه يريد المساعدة ، يريد المال ، و عندما يذهب لأي شخص أو يتكلم مع أي شخص ، فسيعتقد هذا الشخص أنه يريد منه شيئاً " . زفر سام زفرة حادة طويلة و قال و هو يتكئ على ركبتيه " لقد توقعت كل شيء يا دكتور ، إلا ليزا " . هز الدكتور بروكلمان رأسه مبتسماً و قال " هذا شيء طبيعي يا سام ، و هؤلاء الفتيات لا قلب لهن ولا عاطفة ، و لا يعرفن شيئاً اسمه الحب ، إنهن يعرفن المال فقط المال و الجنس " . هز سام بيديه و قال بغضب " لكن قبل ذلك ، كان لديها قلب و عاطفة و حب " . ضحك الدكتور بروكلمان و هو يهز برأسه مرة أخرى و قال " هذا عندما كنت تمتلك المال يا سام ثم أنت لديك زوجة ، فما الداعي لكل هذه العلاقات الجنسية وجود الزوجة يا سام من المفترض أن ينفي وجود هذه العلاقات " - " للأسف يا دكتور الأمر عندي مقلوباً بالعكس و وجود الزوجة هو الذي يؤدي إلى هذه العلاقات " - " كيف ؟؟؟ " بصراحة يا دكتور.... أنا نفسي أردت الزواج لهذا الغرض ، أردت أن تكون لي زوجة تكفيني و تغنيني عن العلاقات الخارجية ، و لهذا سرعان ما وافقت أهلي الذين كانوا يضغطون علي للزواج ، فتزوجت من زوجتي تلك ، و هي من البلدة ، و لكن بعد ذلك تفاجئت بأنها باردة جنسياً ولا تعرف شيئاً اسمه الجنس أو الحب ، ليس ذلك فقط بل إنها تحجل من الجنس و لا تريده ، و عندما أقوم بواجباتي الزوجية معها أحس و كأني أمام حجر إنها حتى الآن لا تقبل أن نشعل الأضواء ، و تتخرج مني عندما أنظر إليها" . استغرب الدكتور بروكلمان كلام سام ، فقال له "ولكن ألم تحاول معها عليك أن تبادر إلى جعلها تغير طباعها و تفكيرها ... لا تنسى أنها تبقى بنت البيئة التي عاشت بها من قبل " . حرك سام يديه و هز رأسه بضيق و انزعاج قائلاً " لقد حاولت دائماً يا دكتور .. مراراً و تكراراً ، و لكنني لم أفلح معها إنها غبية و جاهلة ، و لكنها خدومة و قلبها طيب ، لا أشك في حبها لي ، تصور أحياناً

عندما أكون في المكتب ، يخطر في بالي وجبة طعام معينة أتمنى أن أكلها اليوم ، فأفاجأ عندما أعود إلى المنزل ، بأنها قد أعدت الوجبة نفسها ، دائماً يتكرر هذا الأمر معي إنها هادئة و لا تتدخل فيما لا يعينها ، و غير لجوجة ، إنها غير مقصرة في شيء إلا الجنس " - " حسناً يا سام ، و الآن ماذا ستفعل ؟ " - " لا أدري يا دكتور ، معي مبلغ من المال سأعيش فيه حتى أؤمن عملاً مناسباً " - " و إذا انتهى المبلغ و لم تؤمن عملاً ؟؟ " . أجاب سام بلا مبالاة " عندها سأبيع سيارتي و منزلي ، و أعود إلى البلدة ، أرجع كما كنت في السابق ، و سأعد كل هذه الفترة التي عشتها ، بمثابة حلم جميل و انقضى " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و قال مبتسماً " أتذكر يا سام عندما كنت تعمل لدي في العيادة ؟ " . ابتسم سام هو الآخر و قال " نعم يا دكتور أذكر ، و اذكر يومها أنني سألتك عن المرضى الأغنياء الذين يأتون إليك " . فأكمل الدكتور بروكلمان قائلاً " و أجبتهك يومها أنك ستعرف الجواب لاحقاً و بنفسك ، فهل عرفت الجواب الآن " . أطرق سام إلى الأرض و قال " تقريباً " - " الحياة تجارب يا سام ، و كلما تعمق الإنسان بها و امتزج مع أحداثها و مع الناس الذين يعيشون فيها ، كلما ازدادت تجربته و خبرته ، و الذكي هو الذي يستفيد من تجاربه بالدرجة الأولى ، و بالدرجة الثانية من تجارب الآخرين " فسأل سام " و ما الفرق ؟ " - " الفرق يا سام هو بالفائدة فالفائدة التي تجنيها من تجاربك أنت هي أفضل من تجارب الناس التي تسمعها منهم أو من غيرهم ، إنها تدخل من أذنيك إلى عقلك ، و لكنها غالباً لا تنفذ إلى عقلك الباطني ، بل أنت ربما في بعض الأحيان لا تقتنع بها أو تصدقها ، أو ربما تكون هي في الأساس غير صحيحة ، و حتى لو تقبلتها و كانت صحيحة ، فإنك لن تستطيع الإحاطة بها كلها ، لأنك لم تعشها ، بالإضافة إلى ذلك ، فهي تجارب ليست خاصة بك ، بل لغيرك ، فهي قد تكون مناسبة لغيرك و لكنها ليست مناسبة لك بالرغم من صحتها . أما التجارب الشخصية التي تمر معك أنت ، فهي تجارب تؤثر بك و بعقلك و وجدانك و تنفذ إلى صميم قلبك لتستقر في عقلك الباطني و تستمر معك في اللا شعور ، هي

تجارب خاصة بك أنت و مناسبة لك ، لأنها مرت معك ، و هي صادقة لأنك عايشتها و عاينتها حواسك .. السمع و البصر و لمستها بيديك و تأكدت منها ، و لهذا أقول لك إن الذكي هو الذي يستفيد من تجاربه بالدرجة الأولى ، و من تجارب الآخرين بالدرجة الثانية لأن من لا يستفيد من تجاربه فهو حتماً لن يستفيد من تجارب الآخرين ، و هو إنسان غبي إن كل ما حصل معك يا سام ، في الماضي و حتى الآن ، قد أكسبك خبرة كبيرة عرفتھا بنفسك و عاينتها و بقيت محفوظة لديك " . كان سام ينصت إلى الدكتور بروكلمان بصمت و انتباه و عندما انتهى الدكتور من كلامه قال له " معك حق يا دكتور ، و على كل حال ليست لي الرغبة الآن بالتفكير في العمل ، أريد أن أرتاح و أتأمل ، و أفكر في كل ما حصل معي أريد أن أراجع كل حساباتي " - " و كم سيستغرق ذلك معك ؟ " - " لا أدري يا دكتور ، ربما أسبوعاً ربما شهراً ربما أكثر ... لا أدري " - " و أين ستقضي تلك الخلوة ؟ " - " عند المعلم رالف " . هز الدكتور بروكلمان برأسه و أشار بيده قائلاً " مكان مناسب ، و أيضاً في الوقت نفسه تستأنس بكلامه و رأيه هذه الخلوة لا بأس بها ، و أنت بحاجة لها ، و بخاصة مع المعلم رالف ، و لكن هل ستبات عنده " . فكر سام قليلاً و هو يطم شفتيه ثم قال " لا النهار فقط سأقضيه في الجمعية ، و الليل هنا عند زوجتي " تتمم الدكتور بروكلمان " حسناً يا سام ، قم بخلوتك افعليها " .

بدأ سام يمضي وقته عند المعلم رالف ، كان يذهب إلى هناك في الصباح الباكر ، أو عندما يستيقظ ، و في المساء كان يعود إلى المنزل و ينام ، لقد وجد الراحة و هو يجلس في الحديقة متأملاً الأشجار الطويلة في جو من الصمت و السكون . في وقت الفراغ ، كان المعلم رالف يأتي و يجلس معه ... " إذاً هكذا يا سام ، تريد أن تعيد النظر في حياتك الماضية ؟ " - " نعم يا معلم ، أحس أن هناك أخطاء كثيرة في حياتي و في داخلي أوصلتني إلى ما أنا عليه الآن " . تتمم المعلم رالف " همممم جيد ، و إلى ماذا توصلت؟ " - "

حتى الآن لم أتوصل إلى أي شيء ، و لكن سأجلس و أتأمل ، إنني أحس أن هناك شيئاً ما ... لا أعرف

قل لي يا معلم .. ما هو رأيك بالوحدة و التأمل ، بوصفك صاحب تجربة عميقة ، و باع طويل ؟ "

- " الوحدة و التأمل يا سام هما غذاء الروح يا سام ، وهما مصدر المعرفة و الإلهام ، و في الوقت نفسه هما راحة للعقل و الجسد و لا تكتمل هذه الأمور إلا بالطبيعة و الهدوء

الطبيعة يا سام هي موطن للراحة و السكينة و الهدوء

دائماً عندما تشعر بالضيق و الحرج و التعب ، أخرج إلى الطبيعة ، فهناك يأتيك الغيث " و هنا تذكر سام الملاك فقال في نفسه "الملاك

نعم الملاك يجب أن أراه " . أكمل المعلم رالف كلامه " منذ أن أسست هذه الجمعية يا سام ، تعمدت أن أبقى على هذه الحديقة ، لا بل قمت بتوسيعها على هذا النحو الذي تراه و زرعت فيها أشجاراً جديدة ، و اعتنيت بالأشجار القديمة ، تصور أنني أحضرت طبيباً من اليابان لمعالجة الأشجار هنا " نظر سام إلى المعلم رالف و قال " تقصد مهندساً زراعياً ؟ " - " لا ، لا ، يا سام ، إنه طيب أشجار " - " طيب أشجار !!؟؟..... هذه أول مرة أسمع بذلك " - " و أنا مثلك أيضاً ، لم أعرف بذلك حتى أخبرني صديق لي من اليابان أنه يوجد طيب أشجار ، فاستدعيته إلى هنا ، و قام بمعالجة الأشجار التالفة ، لقد أجرى لها عملية جراحية " . ارتد سام إلى الوراء و هو يصيح " معقول !!؟؟!! " - " نعم يا سام ، لقد أجزاها أمامي ، كان لديه أدوات للجراحة ، لقد حفر جذوع الأشجار المريضة و نظفها و أخرج منها المواد البالية ، ثم وضع بها مواد خاصة كانت عبارة عن أدوية و بعد ذلك قام بحشوها بألياف خاصة و لفها بالشاش ، تماماً مثل العمل الجراحي انظر إلى شجرة الكينا الضخمة تلك إنها إحدى الأشجار التي عاجلها ، لقد كانت متييسة تماماً ، انظر إليها الآن إنها خضراء يانعة " . سأل سام باهتمام و فضول " و أين درس طب الأشجار " - " لقد مارسها منذ الصغر ، أخبرني أنه منذ أن كان صغيراً ، كان يعيش بين الأشجار و يراقبها و يدرس عنها ، لقد علمته الطبيعة ذلك يا سام " أطرق سام يفكر ثم قال " لقد فاجأتني بهذا الكلام يا المعلم !!! " - " و أنا مثلك

فوجئت يا سام ، و الذي فاجئني أكثر ، أنه اخبرني بأنه لم يكن لديه نية في ذلك العمل و لم يخطر بباله ، بل إن غايته منذ الصغر كانت حب الطبيعة و التأمل ، و من هنا تعلم هذه المهنة ، كان يقضي معظم وقته يتأمل و يفكر بهذا الكون ... بالمناسبة إنه رجل متدين ، لقد مكث عندي حوالي الأسبوعين كان وقتها يمارس الطقوس الدينية الخاصة به و اسمها الشنتو تصور أنه كان أحياناً يقضي ست ساعات جالساً من دون حراك و هو يتأمل و في الوضعية نفسها ، حتى أن عينيه لم تكونا ترفان أو تتحركان " . رفع سام يديه متعجباً و قال " و لكنني لا أستطيع فعل ذلك " أجابه المعلم رالف ضاحكاً " لست مجبراً على فعل ذلك يا سام و لكن المهم في التأمل يا سام ، هو التفكير بالله " . أشار سام إلى المعلم رالف و قال موافقاً " لقد أحسست يا معلم بالراحة فعلاً خلال تلك الفترة التي قضيتها هنا " - " ألم تقرر شيئاً بعد يا سام ، و تخرج بنتيجة ؟ " هز سام رأسه نافياً " حتى الآن لم أصل إلى أي نتيجة و لكنني أظن أنني سأتوصل إلى حل في القريب العاجل ... ما رأيك أنت يا معلم و بماذا تنصحني ؟ " - " ليس هنالك نصيحة محددة يا سام ، و لكن أستطيع أن أقول لك أمرين اثنين ، أولاً في هذه الخلوة و التأمل ، لا تجرب نفسك على شيء محدد ، و لا تدع تفكيرك يعمل بمشيئتك ، بل اتركه يذهب وحده حيث يشاء و أينما يريد ، ثانياً عندما تنتهي من خلوتك هذه ، اعمل بما يستقر عليه تفكيرك ، أنا لا أريد أن أنصحك أو أوجهك إلى شيء معين ، لأنني إن فعلت ذلك ، فلا داعي لخلوتك هذه ... أنت تعرف أن رأيي في الماضي كان ضد عملك في التجارة ، لكن الآن أستطيع أن أقول لك و بكل صراحة و صدق اعمل ما تراه مناسباً بعد الخلوة ، لأنه سيكون الحل الأمثل لك ... فكر يا سام بهدوء و تأمل ، و أنا واثق أنك ستجد حلاً لكل مشاكلك " . فكر سام قليلاً ثم قال " بالمناسبة يا معلم ، ربما لن آتي إلى هنا في الغد " - " لماذا هل أنهيت خلوتك؟؟ " - " لا ، و لكن سأخلو بنفسي في مكان آخر ربما في الغابة خارج العاصمة " - " لا بأس ، إنه مكان جميل و هادئ و بعيد عن الضوضاء ... الحياة يا سام بحاجة إلى التأمل .. كل شيء يجب التأمل فيه "

. في المساء ذهب سام إلى المنزل و استلقى في الفراش ، كان عقله مشغولاً بالملاك ، كان يفكر به ، ظل هكذا يفكر حتى ذهب في سبات عميق .

في اليوم التالي استيقظ سام متأخراً بعض الشيء ، ركب سيارته و انطلق إلى الغابة خارج العاصمة ، كان الجو مائطراً ، في الطريق كان سام يقود السيارة و هو شارد قليلاً ، كان يتابع حركة الماسحات الزجاجية و هي تتحرك يمنة و يسرة ماسحة قطرات المطر المنهمرة على زجاج السيارة ، لم يلبث أن وصل إلى الغابة ، أركن السيارة جانب الطريق و ترجل منها ، لقد نسي أن يحضر المظلة ، و لكنه لم يأبه . مشى في الغابة بين الأشجار ، كانت السماء تبرق و ترعد و المطر ينهمر بغزارة ، تقدم بين الأشجار و هو يلتفت يميناً و شمالاً و اضعاً يديه فوق رأسه ليقى نفسه من المطر كان يبحث عن الملاك ، و فجأة و من بين مجموعة من الأشجار ، وجده جالساً بانتظاره و هو يتسّم "سام !! لماذا جئت في هذا الجو الماطر البارد " . فرد سام وهو يلهث قليلاً " جئت لكي أراك يا عزيزي الملاك ، و أشكو إليك همي " . بدت علائم الدهشة على الملاك و قال " أوه ... هممم !!!... حسناً ، ما الأمر " تنهد سام بأسى و قال " إنني واقع في كارثة كبيرة ... في مأزق ، أيها الملاك لقد أفلست " . هز الملاك رأسه بهدوء علامة التفهم و قال " و كيف حصل ذلك يا سام ؟ " - " لا أدري أيها الملاك ... لا أدري بالضبط ، و لكن كل ما أملك ذهب هباء و بلحظة واحدة " . روى سام ما حصل معه للملاك ، فرد الملاك بهدوء " و لماذا سمحت بذلك أن يحصل يا سام " - " لا أدري أيها الملاك ، لقد حصل من دون إرادتي و معرفتي " . نظر إليه الملاك بتمعن و قال بصوت رخيم هادئ " و هل أنت حزين الآن يا سام ؟ " - " نعم أيها الملاك إنني حزين ، ليس هذا فقط ، بل أكاد أجن كل هذا الذي فعلته و الذي وصلت إليه ، طار بلحظة واحدة .. بلحظة واحدة فقدت كل شيء ، ليس هذا فقط ، بل لقد تحلى عني الجميع أيها الملاك نعم الجميع " أخذ سام يصرخ و

يصيح بصوت عال و الدموع تنهمر من عينيه تحت المطر الذي كان ينهمر بغزارة ، بحيث أصبح مبللاً كله و الماء يقطر من رأسه إلى قدميه . " لماذا يفعل الناس بي هكذا أيها الملاك... لماذا .. لماذا تخلوا عني كلهم .. ما الذي فعلته لهم غير الحب و الخير " . كان سام يصيح بغضب و هو يلطم الأشجار و الأرض أمامه كالجنون ، بينما أخذ الملاك يتأمل بهدوء و صمت و وقار . ظل سام هكذا يصيح و يصرخ ، حتى انهار و سقط على الأرض الموحلة بالماء و الأغصان المكسورة و الأوراق " أرجوك أيها الملاك ، لقد جئت إليك لتساعدني " . نظر الملاك إلى سام و قال له بهدوء "و كيف أساعدك يا سام " . صاح سام بياس و هو جاثياً على ركبتيه " لا أعرف أيها الملاك ، أنت أدرى مني أنت الوحيد الذي أنقذني في الماضي مما أنا فيه " تسائل الملاك قائلاً " و لكن حسب ما أعرف ، أنك الآن في خلوة تأمل ؟ " - " نعم ، نعم أيها الملاك ، و كيف عرفت؟ " - "ألا تعلم أنني أعرف كل شيء يا سام؟ " - " آه صحيح ، لقد نسيت " - " و هل أنهيت هذه الخلوة يا سام ؟ " - " لا أيها الملاك " - " و متى ستنتهيها ؟ " - "لا أدري بالضبط .. حتى تنتهي هي من تلقاء نفسها لكن ما رأيك أنت بذلك ؟ " أوماً الملاك برأسه " عظيم يا سام ، إنه شيء جميل أن تقوم بخلوة ، و ماذا قررت في هذه الخلوة ؟ " - " حتى الآن لا أعرف ، و لكن ماذا ستفعل لأجلي أيها الملاك الطيب ليس لي غيرك ألباً إليه في هذا الزمن الذي أصبح فيه لا أحد يعرف أحداً " . فكر الملاك قليلاً و قال "عندما تنتهي من خلوتك و تقرر ماذا تريد بالضبط نتحدث في هذا الموضوع ، و الآن انهض يا سام انهض و اذهب إلى المنزل لترتاح ، لقد أصبحت ملوثاً بالأوساخ و الوحل و الأقدار إلى اللقاء يا سام ... إلى اللقاء ، و أرجو أن تستمتع بخلوتك ، و تخرج منها بنتائج هامة " . عاد سام إلى المنزل ، كان مبللاً و ملوثاً بالوحل و الأقدار ، عندما وصل ، استحم و ذهب إلى الفراش . كانت حرارته مرتفعة ، و يشعر بصداع شديد . بدأت علامات الزكام تظهر عليه ، فرفع سماعة الهاتف و اتصل مع المعلم رالف " آسف يا معلم ، لكنني لن أستطيع المجيء غداً أو بعد غد ، يبدو أنني

سأقضي الخلوة هذين اليومين في الفراش إنني اشعر بالتعب و الإعياء و أخشى أن أصاب بالحمى

أنت تعرف لقد ذهبت اليوم إلى الغابة كان الجو ماطرًا و بارداً لا بأس يا معلم ، و لكن هذا ما حصل معي حسناً ، حسناً أراك بعد يومين إلى اللقاء " . أقفل سام السماعه و استلقي في الفراش ، لبس قبعة صوفية ، و طلب من زوجته أن تعد له كوباً من الشاي الساخن مع العسل و الليمون الحامض ، كانت التدفئة المركزية في المنزل قد جعلته يشعر بالدفء . أخذ يرشف من كوب الشاي و يفكر بما حصل معه اليوم " لماذا طلب مني الملاك أن أتريث حتى انتهاء الخلوة ، و إذا انتهت الخلوة هل سيساعدني؟ و ماذا سأطلب منه ؟ .. هل سأطلب منه المال مرة أخرى ... و هل سيوافق " . أخذ يفكر و يفكر ، كان قد قضى عشرين يوماً في مؤسسة المعلم رالف خالياً بنفسه ، كان أهم ما يشغل تفكيره أمرين اثنين الأمر الأول ، هل يريد المال أم لا يريد و هل هو ذو فائدة له أم ذو ضرر، و الأمر الثاني هو معاملته للناس ، هل يجب أن تبقى كما كانت أم يجب أن تتغير . هذان الموضوعان كان أهم ما يؤرقه ، و هو حتى الآن لم يتوصل إلى البت فيهما ، لكن لقاءه اليوم مع الملاك قد جعله يحدد موقفه تقريباً بالنسبة للموضوع الأول ، و هو المال ، لقد أعطاه الملاك أملاً جديداً بالحصول على المال ، و هذا الأمل جعله لا يجذب ترك المال ، أما الموضوع الثاني فقد كان عويصاً قليلاً بالنسبة إليه ، أمسك الهاتف ليتصل مع الدكتور بروكلمان و يسأله ، و لكن " لا ، لن أستشير أحداً بعد في هذا الموضوع ، أنا وحدي من يجب أن يقرر إن كلام المعلم رالف صحيح عندما رفض أن يبدي رأيه في موضوع الخلوة ، بل قال لي اترك تفكيرك يعمل لوحده " . وضع سماعة الهاتف و عاد للتفكير قائلاً " على كل حال يجب أن أنتهي من التفكير سريعاً " . كان الفراش دافئاً ، و لم تلبث أن أطبقت أجفانه على بعضها بهدوء ، و راح في سبات عميق .

بعد يومين ذهب سام إلى مؤسسة المعلم رالف ، كان قد استعاد عافيته من جديد . استقبله المعلم رالف
ممازحاً " أهلاً يا سام ، أرجو أن تكون خلوتك في الفراش قد فتحت أمامك أفقاً جديدة ؟ " . ابتسم سام
وقال " ربما يا معلم ، و لكن الخلوة في الطبيعة تبقى مصدر للإلهام و التأمل " . أشار إليه المعلم رالف و
كأنه اكتشف شيئاً و قال " بالمناسبة يا سام ، ما رأيك أن تلقي بعض المحاضرات كونك موجوداً هنا معظم
الوقت " أشار سام بالنفي قائلاً " لا يا معلم ، إنها تلهيني عن خلوتي " - " بالعكس يا سام ، إنها قد تفتح
تفكيرك على أمور جديدة و تساعدك بالتفكير بشكل أفضل ، فالكلام أحياناً تكون له نتيجة ، مثل الصمت
، و التبادل بين الكلام و الصمت قد يكون ذا فائدة أكبر " هز سام رأسه بضيق " لا يا معلم ، أخشى أن
أعرض للأسئلة و الانتقادات من الناس ، كما في المحاضرات السابقة " - " لا ، لا تخشى شيئاً ، هذه المرة
سيكون الجمهور من المبتدئين و البسطاء ... ثم لا تنسى يا سام أن لك شعبية بين الناس " . فكر سام قليلاً
و هو يحاول التخلص من الموضوع ، ثم قال للمعلم رالف " ما رأيك يا معلم أن أقوم بذلك بعد انتهائي
من خلوتي " . مط المعلم رالف شفثيه مفكراً ثم قال " لا بأس يا سام ، كما تشاء ، و لكن كنت
أريد أن أعرض عليك عرضاً " - " ما هو ؟ " - " ليس الآن ، دعه حتى تنهي خلوتك " ألح سام على المعلم
رالف " لا ، لا أيها المعلم ، قل لي ما هو " - " في الواقع يا سام لقد عرضته عليك في السابق ، و الآن
أكرره ما رأيك أن تعمل معي في هذه المؤسسة ، بشكل رسمي ، و إذا كنت تريد المال ، فانا
سأعوضك عنه " . صمت سام لبرهة ، ثم قال " على كل حال يا معلم سأفكر ملياً بالموضوع ، و ربما أقبل
به " . انفرجت أسارير المعلم رالف و قال مبتهجاً " نعم ، نعم يا سام ، فكر ... فكر ملياً " .

تابع سام خلوته في الجمعية . أصبحت الآن تتجاذبه أمور ثلاثة المال ، والناس ، و العمل مع المعلم
رالف ، لم يكن من السهل عليه أن يتخذ قراراً في هذا الشأن ، و لهذا استمرت خلوته عشرين يوماً آخرًا ،

و هنا كان الملاك أهم ما يستحوذ على تفكيره ، و لذلك عندما أنهى خلوته ، قرر أن يستعين بالملاك . لقد توصل إلى أن علاقته مع الناس يجب أن تتغير ، أو على الأقل يجب ألا تكون كالسابق ، أو على الأقل يجب أن يأخذ حذره من الآن و صاعداً . أما موضوع المعلم رالف ، فقد تركه معلقاً .

في آخر يوم خلوة له ، عاد سام إلى المنزل و هو يفكر بالملاك " إنه الوحيد الذي ساعدني الوحيد الذي وقف معي ، و الوحيد الذي أمّن لي هذا المبلغ من المال المال ليس هو السبب فيما أنا عليه ، بل هو غبائي نعم إنه غبائي ، إنها مسؤوليتي ، إنني لم أحسن التصرف ، و لهذا لا ذنب للمال فيما حصل معي غداً سأقابل الملاك و سأشرح له كل الظروف و الملابسات .

ملاك و لكن ...

في اليوم التالي استيقظ سام باكراً ، لبس ثيابه و انطلق في سيارته نحو الغابة ، حرص على أن يكون متأقفاً في لباسه ، وعندما وصل ، أركن السيارة جانب الطريق و ترجل منها و هو ينظر من حوله ، ثم دخل إلى الغابة . كان الجو هذه المرة معتدلاً نوعاً ما . تقدم بين الأشجار الحراجية ، و عندما وصل إلى المكان المحدد ، كان الملاك بانتظاره . " مرحباً بك يا سام ، أراك اليوم سعيداً بشوشاً ، متأقفاً ، على عكس المرة السابقة " . ابتسم سام و قال بسعادة " نعم يا ملاكي العزيز " فأجابه الملاك قائلاً عظيم ، هذا يعني أن أمورك قد تحسنت " - " لا أيها الملاك ، إنها كما هي و لكن سعادتي الآن ، هي لأنني أراك " . ابتسم الملاك قائلاً " و لكنك رأيتني المرة الماضية ، و لم تكن سعيداً !!! " - " لأنني وقتها كنت يائساً محبطاً و لم أكن أدري ماذا أفعل " - " و الآن؟؟ " - " الآن أنهيت خلوتي " ابتسم الملاك و قال " و هل كانت خلوة موفقة ؟ " - " أظن أنها كانت كذلك " . صاح الملاك ببهجة " عظيم و بماذا خرجت منها؟ " - " أظن أيها الملاك أن كل ما حصل معي كان بسببي أنا ، و نتيجة لخطئي أنا ، لقد ظننت في البداية أن المال هو السبب في كل ما حصل معي ، و لقد أخبرني بعضهم بذلك و لكنني اكتشفت أن المال لا علاقة له بذلك ، بل أنا من أخطأ لقد تسرعت من دون أن أحسب حساب الخطوة التي أخطوها ، فكان أن سقطت ، لقد

خسرت كل شيء أيها الملاك ، و ها أنذا واقف أمامك أطلب العون و المساعدة منك ، و كلي أمل بأنك لن تخذلني " . فكر الملاك و قال " و لكن كيف تريدني أن أساعدك يا سام ؟؟ " . أجاب سام على الفور "كما ساعدتني من قبل أيها الملاك ... أريد المال " - و لكن يا سام برأيك هل أنت بحاجة إلى المساعدة فعلاً ، أفصد هل أنت الآن فقير و لا تستطيع أن تأكل " . هز سام برأسه نافياً " لا أيها الملاك إنني لست فقيراً أو مشرداً ، و لكنني عاجز عن القيام بأي مشروع ، أنت تعرف ، أن طموحي كبير جداً أطمح لأن أكون شيئاً في هذا المجتمع ، و بخاصة و أنه يوجد لدي كل المؤهلات لذلك ، لقد أصبح لي اسم و شهرة و مكانة في المجتمع ، و هذه الأمور كلها تؤهلني لأن أكون صاحب شأن ، أليس كذلك " . حدق الملاك بسام و قال له بهدوء "حسناً يا سام ، دعنا ندخل في صلب الموضوع بصراحة و اختصار ، و من دون مقدمات ... ماذا تريد مني بالضبط ، بعد هذه الخلوة الطويلة ؟؟ " . حدق سام هو الآخر بالملاك و قال "بصراحة أيها الملاك ، بعد هذه الخلوة الطويلة تكونت لدي قناعة و حيدة " - " ما هي " - " يجب أن أعود أغنى من السابق و بكثير " - " و لماذا ؟؟؟ " - " لأنني بصراحة أعدت النظر في أمور كثيرة " - " و ما هي هذه الأمور ؟ " - " علاقاتي مع الناس ... تعاملتي معهم .. ثقيتي بهم ، و علاقتي مع نفسي أنا نظرتي إلى نفسي ما فعلته ، و ما يجب أن افعله في المستقبل " . أشار الملاك بيده إلى سام " حسناً ، حسناً يا سام ، لنبدأ بعلاقاتك مع الناس .. كيف ستكون ؟ " - " سيشوبها الحذر الشديد و عدم الثقة " هز الملاك برأسه و قال " حسناً ، و علاقتك مع نفسك ؟ " - " سأراقب نفسي بشكل مستمر و أحدد لها مواطن الخلل و الصواب ، أما فيما يتعلق بعلمي ، فسأقوم بمشاريع كبيرة خلاقة ، منتجة و مربحة .. لقد أعجبتني هذه الفكرة عندما عرضها علينا ذلك النذل المحتال ، فكرة القيام بمشروع كبير ضخم يدر أرباحاً طائلة ، و منذ ذلك الوقت و هذه الفكرة تداعب خيالي ، و لكن هذه المرة أنا من سيقوم بها وحدي ، أي باختصار أيها الملاك العزيز ، أريد أن أكون غنياً أكثر من السابق بكثير مع تلافي جميع الأخطاء السابقة أيضاً " . كان

الملاك ينصت إلى سام بصمت ، و عندما انتهى من كلامه سأله بهدوء " و لكن هل بإمكانك يا صديقي العزيز أن تتكلم و تخبرني عن هذه الأخطاء " . حك سام رأسه ثم قال " أظن أنها كل شيء فعلته و اكتشفت أنه لم يكن علي فعله " . عاد الملاك يسأل " مثل ماذا؟؟؟ " - " مثل الثقة بالناس الغرباء ، أو التطرف الزائد أو الإفراط في أي شيء أو " سأل الملاك مقاطعاً " الجنس مثلاً ، هل هو خطأ بالنسبة لك يا سام؟؟؟ " - " لا أدري ربما المهم أن كل شيء أعرف أنه خطأ سأجنبه " - " و لكن ألا يوجد حل آخر غير المال برأيك يا سام؟ " - " لا أيها الملاك ، إنه الحل الوحيد لذلك " أجاب سام بثقة . فكر الملاك ثم قال " و لكن كيف تضمن يا سام أنه بعد حصولك على المال مرة أخرى ، أنك لن تخطئ خطأً آخر يعود بك إلى نقطة الصفر من جديد؟ " - " اطمئن أيها الملاك ، هذه المرة لن أضع البيض كله في سلة واحدة ، سأحسب كل خطوة أخطوها ، و أدرسها من كافة جوانبها " . و هنا أطرق الملاك يفكر بصمت لبعض الوقت ، ثم قال "حسناً يا سام ، لا مانع لدي ، ولكن هناك أمران يجب أن تعرفهما ، لأنه على أساسهما سيتحدد كل شيء " . أصغى سام بانتباه إلى الملاك و قال " ما هما أيها الملاك؟ " - " اسمع يا سام ، عندما ظهرت لك أول مرة في المصنع أتذكر؟؟؟ " - " نعم ، نعم أيها الملاك أذكر ذلك جيداً " - " لقد ظهرت لك وقتها لأنني كنت أريد أن أساعدك ، و لأنك كنت في وضع صعب جداً ، أصعب مما أنت عليه الآن بكثير وقتها طلبت أنت المال ، و لم أمانع أنا في ذلك عندما أصررت أنت عليه ، لم أتدخل كثيراً بقرارك هذا لأنني اعتبرت أنك أدرى بشؤونك ، و قد أمنت لك المال بطريقة ما ، و كان مبلغاً كبيراً و مع ذلك أمنتك لك ، و قد تصرفت به أنت بشكل لائق ، مثلما اتفقنا تقريباً ، و ها أنت الآن تطلب مبلغاً كبيراً جداً ، أكبر من السابق ، و سأوافقك على ذلك يا سام ولن أمانع و السبب في ذلك هو أنني كنت راضياً بشكل عام على طريقة تعاملك مع المال سابقاً ، و لو كانت هناك بعض الملاحظات التي لم أتفق معك بها يوجد أمران اثنان يجب أن تعرفهما قبل أن أساعدك ... الأمر الأول ، هناك شروط

يجب التقيد و الالتزام بها قبل المساعدة ، لأن المبلغ هذه المرة سيكون كبيراً أكبر من السابق ، و الأمر الثاني ستعرفه عندما توافق على الأمر الأول ، أي الشروط " - " و ما هي هذه الشروط ؟ " - " أولاً المال الذي ستحصل عليه سيكون في مجال الخير ، ثانياً ألا يكون في أمور تنفر الناس منك و تعطيمهم صورة سلبية عنك ، بل في أمور تجعلك قدوة و مثلاً ، و لك أنت أن تختار المجال الذي تريده ، ثالثاً ستكون هذه المرة خاضعاً لرقابتي و إشرافي هذه هي الشروط يا سام " . نظر سام إلى الملاك و قال " و الأمر الثاني أيها الملاك ، ما هو ؟ " - " عندما توافق على الأمر الأول ، أخبرك الأمر الثاني " . رد سام بسرعة قائلاً بحماس " إنني موافق أيها الملاك " - " لا ، لا ، لا يا سام ، فكر ملياً قبل أن تعطي الجواب ، خذ وقتك ، اذهب إلى المنزل و فكر ، فلا داعي للعجلة " . جلس سام على جذع شجرة مهترئ ، و هو يفكر ، بعد قليل رفع رأسه و قال للملاك " إنني موافق أيها الملاك ، فليس هناك أي مانع لدي ، بل على العكس من ذلك ، أنت تعرف أنني أحب عمل الخير و لهذا لا داعي للتفكير إنني موافق ، و من دواعي سروري أن اعمل تحت إشرافك ، و الآن هيا أيها الملاك الطيب ، أخبرني ما هو الأمر الثاني ؟؟ " . هذه المرة كان الملاك هو من صمت يفكر ، مرت فترة من الوقت و الملاك ساكت و سام ينظر إليه " هيا يا عزيزي الملاك أراك ساكناً ... ما هو الأمر الثاني ؟؟ " نظر الملاك إلى سام ملياً ثم قال " اسمع يا سام .. ما سأقوله قد يكون مفاجئاً لك و هو حتماً سوف يكون كذلك ، و قد يثير استغرابك و استهجانك و استنكارك و لكن على هذا الأمر بالذات ، يتوقف كل شيء ... و أنا مضطر لأن أقوله لك الآن ، طالما أنك تطلب المال للمرة الثانية ، و بكمية أكبر من السابق " . هب سام واقفاً و هو ينفض التراب عن بنطاله و قال " لقد أثرت فضولي أيها الملاك أخبرني ما هو الأمر الذي يجب أن أعرفه !!!؟؟؟؟؟؟ " . استجمع الملاك قواه و قال لسام " في الحقيقة يا سام أنا لست كما تتصور أنت " - " لم أفهم أيها الملاك ؟؟؟ " . رد الملاك بتلكؤ " أقصد أنني لست الملاك الذي تتخيله " . نظر سام باستغراب إلى الملاك و

قال " لست ملاكاً !!!!! ؟؟؟ إذا ماذا أنت ؟؟ هل أنت بشر ؟؟ " - " لا يا سام ، لست بشراً ، ألا ترى أنني هيولى " - " إذا ماذا أنت ؟؟ " - " إنني ملاك و لكن لست الملاك الذي يدور في رأسك " . رفع سام يديه و قال " أرجوك أيها الملاك ، لقد توترت أعصابي أخبرني ما الأمر ... أرجوك " . نظر الملاك إلى الأرض لبرهة ثم رفع رأسه و نظر إلى سام قائلاً " حسناً .. حسناً في الواقع يا سام أنا أنا الشيطان " . مرت فترة من الوقت و سام واقفاً بصمت و فمه نصف مفتوح ، كان متجمداً تماماً ، بلا حراك . حاول أن يستعيد وعيه و شيئاً من توازنه و إدراكه ، تتمم بذهول "ماذا ماذا ماذا قلت أيها الملاك ؟؟ " - " قلت إنني أنا الشيطان ، ألم تسمع بهذا الاسم من قبل ، من المؤكد أنك سمعت به كثيراً عند المعلم رالف " . حرك سام يديه ورأسه قائلاً بشروود و ذهول " و لكن و لكن مستحيل أكيد أنك تمزح معي أيها الملاك ... طبعاً إنك تمزح ، إنك تحاول اختبار إرادتي و تجربتي " . هز الملاك برأسه نافياً " لا يا سام ، أنا لا أريد أن أجربك ، و لا أريد أن أختبر إرادتك .. إنها الحقيقة . في المرة الأولى لم أشأ إخبارك بحقيقتي ، لأنني أردت مساعدتك فقط ، و أنت كنت فعلاً بحاجة للمساعدة ، و انتهى الأمر عند هذا الحد ، فضلاً على ذلك فإنه أنا من ظهر لك و جئت إليك مقدماً للمساعدة ، فلم أجد من اللائق أن أخبرك بشخصيتي ، لأن الأمر سيبدو و كأنه ابتزاز أما الآن و بما أنك أنت من جاء إلي يطلب المال و للمرة الثانية ، فلزاماً علي أن أخبرك من الآن لتعرف مع من تتعامل و ها أنذا أقول لك للمرة الثانية أنا الشيطان يا سام أنا الشيطان" قال الشيطان ذلك بشكل جدي و حازم و قد تغيرت ملامحه و لهجته . تراجع سام إلى الوراء مذعوراً و عيناه مسمرتان على الشيطان ، ارتطمت قدمه بجذع شجرة ، فسقط أرضاً على مؤخرته و عيناه لا تزالان معلقتين بالشيطان ، كان الخوف و الذعر قد تملكاه بشكل كبير ، فبقي على الأرض من دون حراك ، لا يجرؤ على النهوض . أحس الشيطان بحالة سام و ما يحدث له ، فقال له مبتسماً بصوت هادئ لطيف "انهض ..

انهض يا سام ، انهض يا عزيزي لا تخف مني ، إنني لست كما تتوقع ، أو كما يجول في ذهنك
..... أنا كما أنا ، كما رأيتني منذ أول مرة و حتى الآن انهض يا عزيزي ، لا يليق بك أن تبقى
جالساً على الوحل " . كان الشيطان يتكلم ببشاشة و هدوء و رقة مع سام ، و بشكل أعاد له بعض من
الثقة ، و أزال عنه شيئاً من الخوف . نهض سام ببطء و ارتباك و هو ينظر إلى الملاك ، و لكنه بقي ساكناً لا
يتكلم ، فعاود الشيطان مرة أخرى تهدئته و إزالة مخاوفه ، فأخذ يتكلم معه بطريقة هادئة لطيفة " لو كنت
أعرف أن هذا الأمر سيجعلك تخاف هكذا ، لما كنت أخبرتك .. و عل كل حال يا سام ، انظر إلي ، هذا
أنا كما أنا منذ أن ظهرت إليك و حتى الآن ، لم أغير و لن أغير ، و سأبقى كما كنت معك ، أنت
صديقي يا سام ، و لو كنت أريد بك شراً ، ما كنت ساعدتك منذ البداية " . استعاد سام المزيد من ثقته و
توازنه ، و زال عنه المزيد من خوفه ، و قال " و لكن مستحيل أن تكون كذلك أيها الملاك مستحيل
، إنني لا أصدق ... لقد عشت معك كل هذه السنين ، و لم اشك لحظة واحدة بل لم أكن أتخيل أنك
يمكن أن تكون ال لا ، لا ، إنني لا أستطيع أن أستوعب هذا الأمر " . ابتسم الشيطان مرة أخرى
و قال لسام بهدوء و بشاشة "أعرف ذلك يا عزيزي سام ، أعرف أنها ستكون مفاجأة و صدمة قوية
بالنسبة إليك ، و لكن لا تقلق ، أحب أن أطمئنك أنني لست كما تتخيل أو تسمع عني و الدليل على ذلك
هو تلك الفترة الماضية و السنون التي عرفتنى فيها ، هل لاحظت علي شيئاً مما سمعته أو قرأته و على
كل حال ، الأيام القادمة أيضاً ستثبت لك ذلك " . كانت المفاجأة لا تزال مسيطرة على سام الذي قال
مستغرباً "إنني غير مصدق ، أشعر و كأني في حلم " - " أعرف ما تشعر به يا سام ، و أعرف أيضاً ما
يجول برأسك ، أنت تقول في نفسك الآن ... مستحيل أن يكون هذا الملاك شيطاناً ، إن شكله لا يشبه
الشيطان أليس كذلك ؟ " - " نعم ، إن شكلك و كلامك و تصرفاتك ، هي ليست تصرفات
الشيطان " . ابتسم الشيطان ابتسامة عريضة و قال " ما هو شكل و تصرفات الشيطان بالنسبة إليك يا سام

؟ " . حك سام رأسه و فكر قليلاً ثم قال " ظننت أنه سيكون لك قرون و ذيل و أنياب و أظافر ، و شكل
مخيف " . أطلق الشيطان ضحكة رنانة ، و قال " أعجبني هذا الوصف ، و لكن انظر إلي كيف تراني " .
نظر سام إلى الشيطان و قال " إنك جميل الهيئة ، بهي الطلعة أظن انك تمزح معي ، لقد أخبرتني
عندما قدمت لي المال أول مرة أن هناك ملائكة ساعدوك " . هز الشيطان رأسه و هو يضحك و يقول "
ملائكة؟؟؟ إنهم أبالسة " . نظر سام إلى الشيطان بحيرة و هو يقول " و لكن لماذا أنت كذلك فعلاً "
 . ابتسم الشيطان و قال " هذا الأمر نتكلم فيه لاحقاً ... و الآن قل لي يا سام ، ماذا تعرف عني ؟ " - " ما
تعرفه أنت عن نفسك " . هز الشيطان رأسه نائياً و هو يقول " مع احترامي الكبير لك يا سام ، فإنه
يؤسفني أن أقول لك إن ما أعرفه عن نفسي ، لا تعرفه أنت و لا يعرفه أحد " . هز سام كتفيه و هو يرفع
يديه و يقول " بصراحة أيها الشيطان ، إن ما أعرفه عنك هو أنك الشر بعينه " . هز الشيطان رأسه متفهماً
و قال " و منذ أن تعرفت علي يا سام و ظهرت لك و حتى الآن ، كيف كنت معك ؟ " - " سكت سام
و لم يجب . " هيا يا سام أجبني " . أطرق سام إلى الأرض و قال " في الواقع ، لم تكن معي شيئاً " . عاود
الشيطان السؤال " ألم أنقذك مما أنت فيه ؟ " - " نعم " - " ألم أخلصك من عذابك و حياتك البائسة و
أنقلك إلى حياة جميلة ممتعة ؟ " - " نعم ، نعم لقد فعلت ، لقد فعلت " قال سام بضيق . استمر الكلام قليلاً
بين سام و بين الشيطان ، و بعدها قال الشيطان " و الآن يا سام ، و قد عرفت من أنا و من أكون ... فما
هو جوابك ؟ " . نظر سام إلى الشيطان و هو يحاول ألا يصدق ، ثم قال له " في الحقيقة لقد فاجأتني ، و
لا أعرف بالضبط ماذا أقول " . أشار الشيطان إلى سام و قال بتفهم " لا بأس يا سام ، أنت محق خذ
وقتك معك ثلاثة أيام لتقرر و بعدها تعال إلى هنا و أخبرني النتيجة ، فإن كنت موافقاً ، فأنت
تعرف الشروط ، و إن لم تكن موافقاً ، فسيكون هذا فراق بيننا ، و يذهب كل منا في طريقه و لكن
في الحالتين تعال إلى هنا بعد ثلاثة أيام " . كان الأمر مختلطاً على سام لم يعد يعرف ماذا يقول أو بماذا يفكر

. كان صداعاً قوياً قد بدأ يأخذ طريقه إلى رأسه ، و في غمرة الاضطراب و التشويش تلك ، خطر في باله سؤال ، نظر إلى الشيطان و قال " ولكن هناك أمر يجيرني " - " ما هو يا سام ؟ " - " طالما أنك الشيطان فلماذا تطلب مني عمل الخير و تجنب عمل الشر ؟؟؟!! " - " و هل أنت مستغرب ؟ " - " بصراحة ، نعم .. أنا مستغرب " - " في الحقيقة لا يوجد سبب هذه شروطي ، و أنت حر تقبل بها أو لا تقبل " . فكر سام مرة أخرى و قال " هناك أمر آخر " - " ما هو ؟ " - " بصراحة أيضاً طلبك مني أن أكون تحت إشرافك و رقابتك إنه أمر يثير مخاوفي " . ابتسم الشيطان و قال بلهجة فيها شيء من التهكم " لا تخف يا سام ، لن اطلب منك أي شيء يغير من إيمانك و تفكيرك " . تشجع سام و قال " أنت تعرف إن كلمة الشيطان ليس من السهل تقبلها لدى الإنسان إنها لا توحى بالثقة " . نظر الشيطان إلى سام و قال له بهدوء و سخرية " و ما الذي يوحى إليك بالثقة أيها الإنسان ؟؟ إنسان مثلك ؟؟ من يوحى لك بالثقة يا سام " صديقك جاك ؟؟؟..... شريكك و رفيق دربك الذي خانك و غدر بك " . انتفض سام و قال بذهول " ماذا ؟؟؟ جاك ؟؟؟ " - " نعم ، نعم أيها الإنسان الواثق بالإنسان أتعلم من كان سبب إفلاسك و خراب بيتك و دمار حياتك ؟ إنه صديقك الوفي جاك ... جاك الذي أعطيته ثقته لك ، هو الذي أرسل لك هذا المحتال الذي سرقك و خدعك من دون أن تدري ، وأعطى المال لجاك بعد أن أخذ أتعابه " . كانت صدمة قاسية رهيبية نزلت على سام كالماء البارد الثلج ، تتمم بذهول " مستحيل ، مستحيل إنني لا أصدق ، هذا الكلام غير معقول " أتاه صوت الشيطان ليhez كيانه من جديد " بل معقول و صحيح يا سام ، و عندما تأتي إلى هنا بعد ثلاثة أيام ، سأعطيك عنوان و مكان هذا الرجل المحتال ، و عندما سيقبض البوليس عليه ، سيعترف بكل شيء ، و بعد ذلك عندما يقبضون على جاك صديقك و رفيق دربك ، سيعترف هو الآخر انه هو الذي من سرق المال ، هذا المال الذي أعطاك إياه من أصبح لا يوحى إليك بالثقة ، سرقه منك من يوحى لك بالثقة اذهب يا سام ، اذهب و عد إلي بعد ثلاثة

أيام " - " إلى اللقاء أيها الشيطان عفواً أقصد أيها الملاك " . قال سام ، ثم استدار متجهاً نحو السيارة و هو يضع يديه على رأسه و يضغط بشدة . عندما ابتعد قليلاً ، صاح به الشيطان " بالمناسبة يا سام ، إنني لا أخرج من كلمة الشيطان أو إبليس و لا أعدهما عاراً علي ، و بإمكانك مناداتي كما تشاء ، بالشيطان أو إبليس أو حتى الملاك " . التفت سام المسكين إلى الوراء و هو لا يزال يضغط بيديه بشدة على رأسه ، فلوح له الشيطان مبتسماً .

وصل سام إلى السيارة ، أخرج المفتاح من جيبه . ظل حوالي دقيقتين و هو يحاول إدخال المفتاح في القفل ، فلم يستطع . لم يكن عقله معه ، كان شاردًا مشوشاً و مضطرباً ، أخيراً فتح الباب و جلس في السيارة ، و هو ينظر إلى الطريق ، كانت السيارات و العربات تمر من جانبه مسرعة . ظل لفترة و هو مسترخٍ في السيارة ، كان ينتابه مزيج من أحاسيس عدة ... خوف ، كره ، حقد ، استغراب ، دهشة ، عدم ثقة ، رغبة بالبكاء ، رغبة بالصراخ ، كل دقيقة كان يلتفت فجأة يمنة و يسرة أو إلى المقعد الخلفي ، ظل هكذا مضطرباً لنصف ساعة لدرجة أنه لم يعد يشعر بالصداع القوي الذي ضرب دماغه ، و بعدها نفّس رأسه محاولاً استعادة توازنه و هدوئه ، أحس كأنه قد أصبح هادئاً أكثر من قبل و أنه استعاد وعيه قليلاً ، أدار محرك السيارة و انطلق ببطء عائداً نحو المنزل ، لم يكن يجروء على زيادة السرعة ، و بالرغم من كونه صدم بشخصية الملاك الحقيقية ، إلا أن تفكيره كان مشغولاً بجاك ، كانت عيناه مثبتتين على نجمة المرسيدس الثلاثية أمامه و يدها تقبضان على المقود بشدة . " الويل لك يا جاك الويل لك يا جاك الويل لك الويل لك سأقتلك بيدي هاتين سأقصف عنقك بيدي هاتين ، كما أمسك الآن بهذا المقود " . صاح سام بغضب و هو يشد على المقود بعنف شديد ، فانحرفت المرسيدس خارج الطريق ، سيطر على توازنها و أعادها من جديد مكماً طريقه إلى المنزل ببطء شديد . عندما وصل إلى المنزل ، كان من عادته أن يفتح

الباب بالمفتاح ، لكنه لم يكن في حالة تسمح له بذلك ، فضرب الجرس . و عندما فتحت زوجته الباب فوجئت بهيئته غير الطبيعية " سام ، ما بك ؟ ... هل حصل لك مكروه ؟؟ لماذا أنت هكذا ؟؟ " . دخل سام من دون أن يجيب ، جلس على الأريكة في غرفة الاستقبال ، وضع ذراعيه على قدميه و اتكأ بوجهه على يديه ، منحنيًا إلى الأسفل بسكون و صمت . جلست زوجته أمامه و هي تنظر إليه " مالك يا سام ؟ " . هز سام رأسه ألا شيء . " هل أنت جائع ؟؟ " . هز برأسه مرة أخرى . " هل أعد لك كوب شاي ؟ " . هز برأسه أيضاً . " لقد اتصل معك " أشار لها بيديه ، أن لا أريد أن أعرف . نهض ببطء ، و ذهب إلى غرفة النوم ، أغلق الباب وراءه ، و خلع ثيابه و ارتدى ثياب النوم ، ثم استلقى في السرير ينظر إلى السقف . كان متعباً و مرهقاً ، و لكنه لم يكن يريد النوم ، كان تفكيره مشتتاً بين الشيطان و بين جاك ، و لكن جاك كان يستحوذ على تفكيره . " الحقيير ، السافل ، النذل ، التافه و لكن مستحيل كيف حصل ذلك كيف لم أنتبه لذلك و لكن من أين لي أن أعرف ؟؟ " . كانت تتنابه نوبات هدوء و تفكير ، فيجلس في الفراش ، و نوبات غضب و جنون ، فيفتح باب الغرفة و يذهب إلى الهاتف ، و يرفع السماعة ليتصل مع جاك ، و لكنه كان يضع السماعة في اللحظة الأخيرة " لا ، لن أتكلم معك الآن أيها الحقيير السافل ، دورك سيأتي فيما بعد ، عندما أعرف مكان هذا السافل المخادع الذي استأجرته كيف فعلت بي هذا يا جاك كيف ، و لماذا لماذا ؟؟ " . حاول سام أن يتذكر ما حصل معه مع جاك و توم ، لكن تفكيره المشوش و المضطرب لم يساعده في ذلك . توتره الزائد ، و دخوله و خروجه من الغرفة ، أفلق زوجته ، فاندفعت إليه و هي تصرخ قائلة " سام ، ما بك اخبرني .. هيا ، هيا - " لا شيء يا عزيزتي ، لا شيء " . أسرعت الزوجة و ضمته إلى صدرها ، فأحس بدفئها ، فعانقها هو الآخر و أخذ الاثنان يمشيان جيئة و ذهاباً في المنزل ، و هنا شعر سام بالاطمئنان ، و زال توتره عنه و اضطرابه ، و عاد إليه هدوؤه ، و لهذا لم يترك زوجته ، بل ظل متمسكاً بها . " هل أطلب

الدكتور بروكلمان ؟ - " لا يا عزيزتي ، لا ، لا داعي لذلك ، إنني متوتر قليلاً ، و بوجودك معي زال كل اضطرابي هيا دعينا نذهب إلى الفراش ، إنني مشتاق إليك " . رفعت زوجته رأسها و نظرت إليه " ألا تأكل أولاً إنك لم تأكل شيئاً منذ الصباح " - " لا أريد شيئاً ، لست جائعاً أريدك أنت ، أشتهيك أنت ... هل نام الأولاد؟؟؟ " - " نعم " - " إذاً هيا بنا " . فجأة تحول اضطراب سام إلى شبق قوي اتجاه زوجته ، فقط اتجاه زوجته . هذه أول مرة يشعر اتجاهها بهذه الرغبة الهائلة .

في اليوم التالي استيقظ سام متأخراً ، أحس بدوار في رأسه و طنين في أذنيه ، أخذ حماماً دافئاً ، و عندما خرج وضعت زوجته له الطعام ، كان يشعر بجوع شديد ، فأكل بشهية و نهم . أنهى طعامه سريعاً و ذهب إلى الصالون يفكر ، هذه المرة كان ما يشغل تفكيره هو الشيطان . " يبدو أن لدي مشكلة في الفهم و الثقة بالناس و بمن حولي ، هل من المعقول أن يكون هذا الملاك الوديع الجميل ، صاحب الصوت العذب ، هو الشيطان؟؟؟ هل من المعقول أن يكون تعاملي كل هذه الفترة مع الشيطان؟؟؟ كل أموالي و كل ما أنا فيه هو من الشيطان؟؟؟.....أهذه هي آخرتك يا سام؟؟؟ الشيطان؟؟؟ جئت أطلب المساعدة من الملاك و أتبارك به ، فأكتشف أنه الشيطان ، ليس هذا فقط ، بل أكتشف أن جاك صديقي و رفيق دربي و حياتي و شريكي في السراء و الضراء ، و الذي وثقت به ، هو الذي خانني و غدر بي و سرق أموالي ، و كان السبب في إفلاسي و تدمير حياتي يا إلهي ، صدمتان في يوم واحد؟؟؟ " . كان أهم ما يشغل سام الآن ، هو أمر واحد ، هل يقبل المساعدة من الشيطان أم لا ، أخذ يحاور نفسه مرة أخرى " كيف سأقبل منه المال لا ، لا مستحيل ولكنني قبلت في الماضي منه و لكن في الماضي لم أكن أعرف من هو بالضبط و لكن هو لا يطلب مني أن أقوم بإعمال شريرة لا يا سام ، لا تقبل ، إنه مهما يكن ، يبقى الشيطان لكنه لم يسء لي منذ أن رأيته أول مرة ، و حتى

الآن ، كلهم أسأؤوا لي ما عداه هو ، كلهم تخلوا عني ما عداه ، عندما تركني الجميع و ضاقت بي السبل ، هو الذي ساعدني هذا ليس عذراً يا سام ، إنه الشيطان و لكن و إن كان الشيطان ، فماذا يهمني ، طالما أنه ليس هنالك عمل شرير ، ثم هل من الضروري أن أنفذ كل ما يقوله لي ثم من الشيطان ، هو أم جاك ؟ أليس جاك شيطاناً ؟ أليس توم شيطاناً ؟ أليست ليزا شيطاناً ؟ أليس جميع هؤلاء الذين تخلوا عني و رفضوا مد يد المساعدة لي ، أليسوا شياطين و أبالسة ؟ و مع ذلك يا سام ، يبقى الشيطان هو الشيطان لقد سمعت و قرأت عنه كثيراً لا أدري ، و لكن أعرف أن كل من حولي شياطين ، لم يعد لي ثقة بأحد " . كانت هذه الأفكار و الهواجس تتقاذف سام ، و وصل إلى مرحلة من التفكير لم يعد يعرف ماذا يريد ، ذهب إلى المكتبة ، فتح علبة السجائر الخشبية و أخرج منها سيجاراً ضخماً ، أشعله و جلس على الأريكة ينفث الدخان بهدوء و يفكر . فجأة خطر له أن يسأل الدكتور بروكلمان أو المعلم رالف ، أو الاثنين معاً ، و لكن هل سيفضح نفسه ، هل لديه الجرأة ليعترف ويقول هذا الكلام . و ماذا سيكون موقفهما منه ؟ . ظل هكذا بين أخذ و رد و هو يفكر ماذا يفعل و كيف سيتصرف ، و في النهاية قرر أن يخبر المعلم رالف . كان من عاداته دائماً أن يستشير الدكتور بروكلمان ، و لكن هذه المرة لم يكن يدري لماذا اختار المعلم رالف . و بالرغم من كونه يشعر بالتحرج و الخوف من طرح مثل هكذا موضوع للناس ، فإنه كان يشعر بالحاجة لمن يناقشه في ذلك الأمر ، أحس أنه في هذا الأمر بالذات لا يستطيع أن يأخذ قراراً وحده ، أحس بخطورة مثل هذا الأمر . أطفأ السيجار و ذهب إلى غرفة النوم ، خلع الروب ديشانبر و لبس ثياب الخروج ، أسرعت زوجته إليه ، فطمأنها بهدوء " عزيزتي ، إنني ذاهب إلى مؤسسة المعلم رالف و لن أتغيب كثيراً " . فتح الباب الخارجي و نزل . عند مدخل المبنى بادره أحد الجيران " مستر سام ، إن مصاييح المرسيدس خاصتك مضاءة منذ البارحة و نوافذها مفتوحة ، أخشى أنها تعرضت للسرقة " . ابتسم سام لجاره قال شاكرًا " لا عليك يا صديقي ،

أظن أنني نسيتها هكذا ، أشكرك على اهتمامك " . في ساحة المبنى ، اقترب سام من السيارة ، كانت مصابيحها فعلاً مضاءة و نوافذها مفتوحة ، وصل إليها و أخذ يتفحصها من الداخل و الخارج ، كانت سليمة تماماً و لم يسرق منها شيئاً ، وقف سام أمامها ينظر إليها و يتأملها و يفكر " يا إلهي ، كيف كانت حالتي عندما جئت من الغابة ، أمن الممكن أنني لم أكن بكامل وعيي !!؟؟؟ " . فتح باب السيارة و جلس خلف المقود ، أدار المحرك و انطلق إلى مؤسسة المعلم رالف .

في المكتب ، استقبله المعلم رالف بالترحاب " أهلاً بك يا سام أين كنت يا رجل ، إنني لم أرك منذ ثلاثة أيام ، هل كنت تخلو في المنزل أم في الغابة ؟ ثم مالك هكذا كئيب حزين ؟ " . أجاب سام بصوت بطيء متعب " أيتها المعلم أريد أن أكلمك بموضوع على انفراد في الحديقة " - " كما تشاء يا سام ، اسبقني إلى هناك ، و عندما أنهي هذه الأوراق التي بين يدي ، الحق بك " . خرج سام إلى الحديقة و جلس على المقعد يفكر كيف سيفتح المعلم رالف بالموضوع " حسناً .. لا بأس ... سأتكلم كيفما اتفق ، و كيفما تنهياً لي الأفكار " . بعد قليل خرج المعلم رالف من مبنى المؤسسة و اقترب من سام . " ها يا سام ، ما هو الموضوع الذي تريد أن تحدثني به ؟ إذا كان عن المحاضرة ، فلا تخف لقد رتبت الأمور كلها بحيث " - " أرجوك يا معلم ، اسمعني قليلاً الأمر لا علاقة لا بالمحاضرة ولا بغيرها " - " إذاً عن ماذا الموضوع ؟؟ " . أجاب سام على الفور و من دون مقدمات " إنه عن الشيطان " . صمت المعلم رالف قليلاً ثم قال " الشيطان !!؟؟ ما به الشيطان ؟؟ هل ستلقي محاضرة عنه ؟ إنه موضوع جيد و من ال " - " لا يا معلم ، لا ، لن ألقى محاضرة عنه الأمر بكل بساطة ، أنني أريد أن أسألك عنه ، ما هو شكله ؟ ماذا يعمل ؟ كيف يفعل " . نظر المعلم رالف إلى سام باستغراب و قال " ألا تعرف يا سام من هو الشيطان !!؟؟ ألم تسمع به من قبل ؟ ألم تقرأ عنه ؟؟ " . رد سام بإعياء " أرجوك يا معلم ،

إنني أسألك .. كيف هو ، و ما هو عمله بالضبط ؟ - " عجيب أمرك يا سام !!!! و لكن سأجيبك ، إن شكله قبيح جداً ، و له قرون و أنياب و ذيل على شكل سهم ، كما أن له شعراً كثيفاً أسود ، و أحياناً يكون معه عصا أو رمح مخيفان ، و هو مصدر الشر و التعاسة للإنسان ، و هو الذي يجعل الإنسان يفعل الخطيئة و الشر ، و كل إنسان شرير ، يكون عمله من الشيطان ، كل شر في هذه الدنيا ، هو من الشيطان ... هذا هو الشيطان يا سام ، و لكن لماذا تسأل عنه ؟؟؟! " - " في الحقيقة يا معلم ، قد رأيت الشيطان ، و هو يعرض علي المساعدة " . انتفض المعلم رالف من مكانه قائلاً " ماذا ماذا تقول ، الشيطان ؟؟؟!!!! " آه ، نعم ، نعم يا سام ، كل إنسان منا يظهر له الشيطان و يعرض عليه الإغراءات و الشهوات و أعمال الشر ، كل منا يظهر له الشيطان و يزين له هذه الأمور ، و بخاصة إذا كان في خلوة مثلك ، لأنه لا يريدك أن تفعل الخير ، بل يريد منك الشر و الموبقات و الرذيلة " - " و لكن يا معلم " - " اسمعني يا سام ، دائماً عندما أدخلو بنفسي ، كان يظهر لي الشيطان و يحاول إغرائي و ثنيي عن هدفي ، كان يحاول أن يحطم إرادتي و كنت أعرف ذلك عندما كانت نفسي تطلب الشهوات و المغريات و أعمال الشر ، فأعرف أنه هو " - " و لكن يا معلم.... " - " اسمع يا سام ، أي عمل شرير أو عمل خاطئ تحدثك نفسك به ، ارفضه ، لأنه من عمل الشيطان " - " و لكن يا معلم " - " اسمع يا سام " . وهنا صاح سام بهياج شديد و قد توترت أعصابه " أرجوك يا معلم أرجوك أرجوك أن تسمعني " . صمت المعلم رالف وأخذ ينظر إلى سام بدهشة و استغراب . حدق سام فيه و عيناه جاحظتان و قال بهدوء "حسناً يا معلم ، حسناً باختصار شديد ، لقد ظهر لي الشيطان ، هو جميل جداً و يريد أن يساعدني و يشترط علي القيام بكل أعمال الخير ، و عدم القيام بأي عمل شرير ، أو خاطئ ، فما رأيك ؟ هل أقبل أم لا ؟؟ " . بهت المعلم رالف من كلام سام ، ثم نظر إليه بريية و شك و قال مبتسماً " أظن يا سام أنك بحاجة إلى الراحة ، ما رأيك أن تذهب إلى المنزل الآن ، و نناقش الموضوع فيما بعد " - "

هل تراني مجنوناً أيها المعلم؟؟؟ إنني أقول الصدق " . ابتسم المعلم رالف و قال " أعرف ذلك يا سام ،
أعرف ، و لكن الآن يبدو عليك التعب " . نفض سام رأسه و يديه بغضب و قال " أنا لست متعباً أيها
المعلم ، و أرجوك أنت تجيبي على سوآلي " . ضرب المعلم رالف يديه ، كفاً بكف و قال كمن يسلم أمره
" لا أعرف ماذا أقول لك يا سام ، و لكن كل ما أعرفه ، أنه لا مانع من عمل الخير مهما كان مصدره ، و
لا يجب عمل الشر مهما كان مصدره و لا أظن أن ما رأيته ، أو بالأصح ، لنقل ما شعرت به ، هو
الشيطان ، بل كل ما هنالك ، هو أن ما حصل معك ، هو خلط بين أعمال الخير و الشر نتيجة للتعب و
الإرهاق خلال الخلوة ، و هذا أمر طبيعي يا سام ، و كلما أحسست بأن الشيطان يؤثر فيك ، قم بتلاوة
الصلوات ، فيذهب فوراً ، سأعطيك تعويذة تطرد الشياطين و الأبالسة ، إنها عبارة عن قلادة مكتوب
عليها تراتيل و أدعية ، إنها نافعة جداً " . دخل المعلم رالف إلى مبنى المؤسسة و خرج منه بعد قليل و معه
قلادة غريبة الشكل . أخذ سام القلادة ، و غادر . و على الفور دخل المعلم رالف إلى المكتب و اتصل مع
الدكتور بروكلمان . " عزيزي بروكلمان ، أظن أن سام بحاجة إليك (شرح المعلم رالف للدكتور ما سمعه
من سام) نعم ، نعم اذهب إليه في المساء نعم ، نعم و اخبرني النتيجة " .

في المنزل ، جلس سام على الأريكة يفكر ، لم يصل إلى نتيجة شافية مع المعلم رالف ، إنه لم يصدقه حتى
، و عده مجنوناً ، كان يفكر و يفكر ، و لكنه كان عاجزاً عن التفكير في نقطة محددة ، كان عاجزاً أن
يحصر تفكيره في موضوع واحد ، كان تفكيره مشتتاً ... الشيطان ، الملاك ، جاك ، الإفلاس ، المال ، ليزا
، توم كان يحس أنه عاجزاً و ضعيفاً ، كانت أفكاره كلها متداخلة بعضها مع بعض ، كانت مناظر
عديدة في صورة واحدة ، و صور عديدة في كرت واحد . بعد قليل رن جرس الباب ، كان الدكتور
بروكلمان . " مساء الخير يا سام " - " أهلاً دكتور ، تفضل " - " اليوم اتصل معي المعلم رالف و اخبرني

بينما فتح سام البوفيه و أخرج منه زجاجة ويسكي ، أطفأ الأنوار و أشعل الشموع ، ثم جلس هو و زوجته على المائدة . صب سام الويسكي و قال "افرضي يا عزيزتي ، أنك كنت في ضائقة مالية و بؤس و فقر شديدين و لم يتطوع أحد لمساعدتك ، و فجأة بدأت تصلك أموال و مساعدات من شخص مجهول ، و بشكل مستمر ، و هذه الأموال ساعدتك كثيراً و أخرجتك من ضائقتك ، و حلت لك جميع مشاكلك ... و بعد فترة تكتشفين أن الذي يرسل لك هذه الأموال شخص شرير أو مجرم بالنسبة للناس و المجتمع ، ماذا تفعلين ؟ و كيف تنظرين إلى ذلك الشخص ؟ و هل تستمرين بقبول المساعدات منه ، و هل تنظرين إليه كما ينظر إليه المجتمع؟؟" . صمتت الزوجة تفكر ، ثم قالت " إن مساعدة هذا الشخص لي ، تعني إنه ليس شريراً ، أو على الأقل لا يريد بي الشر ، و إلا لماذا يرسل المال لي في الخفاء ، إنه يخشى إن عرفته ألا أقبل المال و إذا لم أقبل المال ، فستسوء حالتي ، و بخاصة و أنه لا أحد يساعدني " . نظر إليها سام و سأل " و نظرتك إليه ؟؟؟ " - " أظن أنها ستتغير ولو قليلاً ، لأنه هو الوحيد الذي قبل أن يساعدني ، في حين تخلى عني المجتمع ، و هذا يعني أنه ليس كما نعتقد لقد قرأت في إحدى الروايات البوليسية عن مجرم خطير مطلوب من البوليس بجرائم سطو سرقة و قتل ، ولكنه كان يرسل مبلغاً شهرياً بالبريد إلى دار العجزة " . رفع سام كأسه و نظر إلى زوجته مبتسماً و قال لها " بصحتك يا عزيزتي " .

في اليوم التالي استيقظ سام متأخراً ، خرج إلى الشرفة ، و أشعل سيجاراً و جلس يتأمل المدينة ويفكر . كان هذا هو اليوم الأخير لديه ، غداً سيقابل الشيطان ، و يعطيه قراره ، كان تفكيره قد أصبح أكثر تركيزاً عما قبل ، كانت فكرة الشيطان تمنعه من القبول ، و لكن فكرة حصوله على المال ، بهذا الكم الهائل ، كانت تستحق النظر . كان كلما فكر بجاك ، اتجه تفكيره للقبول فوراً . جاء المساء و لم يصل إلى قرار بعد ، بدأ الخوف يتملكه قليلاً ، فقرر أن يترك الأمر لساعة مقابلة الشيطان ، و هناك يقرر .

في اليوم التالي استيقظ باكراً و ذهب إلى الشرفة . أخذ يدخن . كان يشعر بالقلق و الخوف . ظل يروح جيئة و ذهاباً هو يفكر ، كان خائفاً من هذه المقابلة ، و للحظة خالجه شعور بعدم الذهاب نهائياً ، و نسيان الأمر برمته ، و الاكتفاء بما هو عليه الآن ، " أجل ، أجل ، سأفعل ذلك سأعده حتماً مر في حياتي وانقضى انس كل شيء يا سام و عده كأنه لم يكن موجوداً " . دخل إلى الصالون و حاول أن ينسى ، و لكن المال ، المال الذي يسري في عروقه ، من أعلى رأسه ، حتى أسفل قدميه ، شعر برغبة في الحكاك ، فاخذ يحك رأسه و جسده كله . " انس ، انس كل شيء يا سام نعم ، نعم سأنسى كل شيء " ، و فجأة برزت صورة جاك أمامه "وجاك ، هل ستتركه يا سام " . صرخ بغضب و هو يرتجف " لااااااا اللعنة عليك يا جاك اللعنة عليكم جميعاً اللعنة على هذا المجتمع الوسخ القذر ستدفع الثمن يا جاك ، مهما حصل مهما حصل ، فإنني لن أترك هكذا ستدفع ثمن فعلتك الشنيعة يا جاك ، ستدفعه غالياً ، سأعرف مكان هذا اللعين السافل توم الآن ، و سأخرجه من جحره الذي يختبئ فيه ، وبعدها سأصفي حسابي معك يا جاك " . لبس ثيابه و نزل إلى السيارة و انطلق إلى الغابة ، كان الوقت ظهيرة . في الطريق تذكر كلام المعلم رالف عن الشيطان و الطرق التي ذكرها له لطرده ، و التعويذة ، و كلام الدكتور بروكلمان بان ينظر إلى السماء و يغير تفكيره " سأجرب هذه الطرق الثلاث " قال في نفسه ورفع يده إلى عنقه و تحسس القلادة التي فيها التعويذة . ضغط أكثر على دواسة البنزين مركزاً نظره إلى الأمام . بعد قليل وصلت السيارة إلى الغابة ، أركنها خارج الطريق و ترجل منها ، ثم اتجه نحو الغابة ببطء شديد ، كان لا يريد أن يصل إلى مكان اللقاء ، أخذ يمشي بين الأشجار و قلبه يدق بعنف ، تمنى لو تطول المسافة بينه و بين مكان اللقاء ، فجأة وقف ، خطر له أن يرجع ويعود . " لا يا سام ، لا ... لا تتراجع ، أكمل .. أكمل يا سام و احسم هذا الأمر " تقدم ببطء مرة أخرى . ظل يمشي بين الأشجار ، حتى وصل إلى المكان ، نظر من بعيد ، فرأى الشيطان بانتظاره ، تذكر نصيحة

الدكتور بروكلمان ، فأشاح بوجه نحو السماء ، وأخذ يفكر بالبلدة و الطبيعة ، ثم عاد و نظر مرة ثانية فرأى الشيطان ينظر إليه و يهز رأسه مبتسماً . " ها قد فشلت نصيحتك يا دكتور " قال سام في نفسه و تقدم أيضاً ببطء و هو ينظر نحو الأرض و يتلو صلوات و أدعية ، حتى وصل إلى مسافة قريبة ، وقف و رفع رأسه ، كان الشيطان لا يزال موجوداً ، هذه المرة كان يهز رأسه و يضحك و هو يلمع تحت أشعة الشمس . "ها قد فشلت نصيحتك أيضاً يا معلم ، و لم يبق غير التعويذة " . و هنا ضحك الشيطان ضحكة رنانة و قال لسام " أهلاً بك يا سام ، لقد جئت في الموعد المحدد ، و لكنني أراك مكتئباً ، و كأنك تريدني أن أختفي من أمامك ... إذا أردت ، فممكن أن أختفي لدقيقة و أعود مجدداً ، ما رأيك ؟ " . قهقهه سام بأسى و قال " لا أيها الشيطان ، و لماذا أريدك أن تختفي ، ما دمت قد جئت لأراك " . زم الشيطان شفثيه مبتسماً و رفع يديه قائلاً " ممممم .. لا أدري و لكن قل لي ما هذه القلادة الجميلة التي في عنقك ... إنها جديدة ، و هذه أول مرة أراها !!؟ " . ارتبك سام و قال " إنها إنها تجلب لي الحظ " . صاح الشيطان بدهشة " رائع ارني إياها قليلاً من فضلك " . بهت سام و سأل الشيطان " و لكن هل تستطيع أخذها !!؟؟؟ " - " نعم أستطيع ، ارمها لي " . نزع سام القلادة من عنقه و يدها ترتجفان ، ثم رمى بها بقوة إلى الشيطان الذي التقطها بطريقة ما ، ثم نظر إليها و تأملها بإعجاب قائلاً " لقد أعجبتني هذه القلادة يا سام ، أريد أن آخذها ، فهل تعطيني إياها " . فسأله سام بدهشة " و لماذا تريدها !!؟؟؟ " - " لأجلب لنفسي الحظ و لأطرد الأرواح الشريرة .. هل تطرد هذه القلادة الأرواح الشريرة " قال الشيطان ذلك و انفجر ضاحكاً . ضحك سام بألم و قال " خذها ، إنني لا أريدها .. إنها خردة بالية لا فائدة منها و لا تلزمني في شيء " . رمى الشيطان بالقلادة إلى الأرض و قال " و أنا أيضاً لا أريدها يا سام " . حدق سام بالشيطان و قال " إذا أنت حقيقة " . بدوره الشيطان حدق بسام ، هو الآخر و قال "نعم يا سام أنا حقيقة و غيري هو الوهم .. بالمناسبة يا سام ماذا أخبرك عني المعلم رالف أيضاً ؟ " . أطرق سام بكآبة

إلى الأرض و قال بنبرة حزينة يشوبها شيء من الخجل " لقد أخبرني أنك أنت مصدر الشر ، و أن لك قروناً و أنياباً و ذيلاً في نهايته سهم و أن شعرك كثيف جداً وأنه يوجد معك عصا أو رمح ... لا أدري ، لم أعد أتذكر أكثر " هز الشيطان برأسه و قال " لقد أعجبتني وصف المعلم رالف لي ، و بالذات عبارة - ذيل و في نهايته سهم - عندما تقابل المعلم رالف في المرة القادمة قل له ، لقد رأيت الشيطان و كان تماماً كما وصفته لي ، و لكن بدل السهم في مؤخرة ذيله ، كان هناك مدفع مضاد للطائرات " ، بالرغم من توتره و اضطرابه ، لم يتمالك سام نفسه من الضحك ، فنظر إلى الشيطان و قال " بالمناسبة أيها الشيطان ، إنه يقول إنك ظهرت له أكثر من مرة في خلواته و حاولت إغواءه و إيقاعه في الخطأ " . نظر الشيطان إلى سام بوجه جامد و قال ببرود و بلهجة لا مبالية " لا أظن أنني ظهرت له من قبل " . و هنا لم يتمالك سام نفسه ، فانفجر ضاحكاً و هو يضرب كفاً بكف . نظر إليه الشيطان و قال " بالمناسبة يا سام ، لديك معلم طفرة حافظ عليه ، إنه طفرة و الآن دعك من هذه الأمور التافهة ، و لتكلم بالمهم أخبرني ماذا قررت الآن " . فكر سام قليلاً و قال للشيطان " إذا قلت لك أنني غير موافق ، هل سترشدني إلى مكان ذلك السافل الذي سرق أموالني ؟ " أجاب الشيطان على الفور " طبعاً ، طبعاً يا سام ، سأدلك على مكانه ، سواء أوافقت أم لم توافق ، فقط لأثبت لك أن أقرب المقربين إليك ، قد يكون شريراً ، و أن الشر لا يقتصر فقط على من تظن أنه شرير ، بل هناك أشرار كثيرون محيطون بك و كما أخبرتك في المرة السابقة ، إذا لم توافق ، فستكون هذه آخر مرة تراني فيها ، وسيكون هذا فراق بيني و بينك ، طبعاً بعد أن أدلك على مكان ذلك الشخص الذي سرقك و الذي هو عميل صديقك الوفي جاك ... و اعتبر مبلغ عشرة الملايين الذي أمنته لك ، هو هدية مني يا سام ، و الآن ماذا قررت؟؟؟ " . وقف سام ، و أحنى رأسه إلى الأرض و أغمض عينيه ، و على الفور أخذت تظهر أمامه صور سريعة جداً كأنها دولا ب الحظ المعلم رالف ، الدكتور بروكلمان ، البلدة ليزا ، المال ، الشركة ، السيارات ، النادي ،

التبرعات ، البيت ، الأصدقاء ، أحلامه ، زوجته ، مشاريعه ، توم ، و أخيراً خفت السرعة شيئاً فشيئاً
..... لتستقر صورة جاك أمامه . رفع رأسه ببطء و نظر إلى الشيطان و قال بهدوء " أنني موافق " . هز
الشيطان برأسه مبتسماً و قال " حسناً يا سام ، أراك متعباً ، فهل تحب أن نؤجل الحديث إلى وقت آخر ؟؟ " -
" لا ، لا ، لا أيها الشيطان ، أريد أن نتكلم الآن " - " إذاً اجلس على جذع تلك الشجرة و اسمعني جيداً " .
أشار سام إلى الشيطان " قبل كل شيء ، أريد منك أيها الشيطان عنوان ذلك السافل توم " - " سأعطيك
إياه ، و لكن دعنا الآن نتحدث في المهم ، ألا تريد المال؟؟؟ " طبعاً ، طبعاً ، أريد المال ، و لا شيء سواه
..... أريد أن أعود كما كنت في الماضي و أكثر " - " جيد ، جيد (قال الشيطان متفهماً) و لكن ما هو
المبلغ الذي بذهنك يا سام ؟ " . صمت سام قليلاً ثم قال " لا أدري و لكن هل تستطيع أن تؤمن لي
مبلغاً مثل المبلغ السابق أو أكثر بقليل " - " يعني كم مثلاً يا سام ؟؟ " . ارتبك سام و قال " يعني مثلاً
..... حوالي خمسة عشر مليون " و هنا ضحك الشيطان ضحكة عميقة و قال " بعد كل هذه
الخلوة الطويلة يا سام ، و بعد كل هذا التعب و الإرهاق و التفكير الذي عانيته خلال الأيام الماضية ، تطلب
هذا المبلغ ؟ " سأل سام باضطراب " لماذا هل هو كثير ؟؟ " - " كثير !!!!!؟؟ لقد توقعت منك مبلغاً
غير هذا إن موافقتك هذه يا سام تستحق أكثر من ذلك بكثير ما رأيك بمبلغ مئة مليون " .
صعق سام من الكلام الذي سمعه ، كان فمه مفتوحاً ببلاهة ، ظل هكذا لفترة ، ثم قال " ماذا ماذا
أيها الملاك ؟ ... إنه حلم بالنسبة لي " ابتسم الشيطان و قال " حسناً يا سام ، و أنا سأحقق لك هذا الحلم
، و إن رايتك تنفذ الشروط ، سأزيده " . لم تسع الفرحة و الدهشة سام ، فقال " لا أعرف أيها الملاك أو
الشيطان ماذا أقول لك " - " لا تقل شيئاً يا سام ، أنت طلبت المساعدة ، و سأساعدك قل لي يا
سام ، كم بقي لديك من المال " - " حوالي مئتي ألف دولار " - " حسناً ، لا بأس اسمع يا سام ما
سأقوله لك جيداً " تحفز سام في مكانه و أرهف السمع قائلاً " نعم أيها الشيطان ، إنني مصغ " تابع

الشیطان كلامه و هو یشير بإصبغه إلى سام " عندكم فی الشمال ، یوجد قطعة أرض جرداء قاحلة و معزولة ... ستشتریها یا سام ، إنها لا تساوي شیئاً ، و لكن ادفع لصاحبها المبلغ الذي یطلبه ، و بعد ذلك ستنبق فیها فی نقطة معينة ، هناك ستجد ما تسمونه أنتم البشر بالكنز .. إنه كمية لا بأس بها من النقود و التحف و التماثیل الأثریة و كلها من الذهب الخالص ، و تعود إلى فترة ماضیة " - " و أين هذه الأرض أیها الشیطان ؟؟؟ " . أعطی الشیطان مكان الأرض لسام و حدد له مكان الحفر قائلاً " تحت الصخرة البیضاء الكبیرة یا سام ، إنها واضحة و لا یوجد غیرها ، بهذا الحجم من الغد اذهب و قم بمشروعك الصغیر هذا " . لم تمنع الدهشة و الذهول سام من حل عقدة لسانه فقال " أشكرك أیها الملاك ، أشكرك ، إنی لن أنسى لك هذا الجمیل ، إنی أعترف لك أنك الوحید الذي وقف معی فی مصائبی و لكن قل لی کیف سأستخرج هذا الذهب ، و کیف سأصرف به " - تبرم الشیطان قائلاً " لا تزجني فی هكذا تفاصيل و أمور تافهة یا سام ، تصرف ، ألیس لديك مستشارین و أعوان هیا یا سام اذهب و باشر العمل ، بعد أن تبیع الذهب تعال إلى هنا لتتكلم بالشروط " . هز سام رأسه موافقاً ثم قال " كما ترید أیها الملاك و لكن بقی أمر واحد مكان السافل توم " - " آه نعم ، نعم ، هل معك ورقة و قلم ؟ " - " نعم أیها الشیطان ، لقد أحضرتهما خصیصاً لهذا الغرض " - " إذا سجل المكان بدقة ، و لا تبدأ بطلبه قبل أن تنتهی من مشروعك هذا یا سام و تحصل علی المال " . سجل سام عنوان توم و قال " كما ترید أیها الملاك ، و لكن ما فاجئنی ، أنه موجود فی البرتغال و لیس فی هولندا لقد قدمت لی خدمة كبیرة " - " إلى اللقاء یا سام عندما تنتهی من مشروعك ، تعال إلى هنا " . استدار سام عائداً إلى السیارة ، لكنه ما إن ابتعد قليلاً ، حتى صاح به الشیطان " بالمناسبة یا سام ، لديك زوجة صالحة ، اعتن بها و حافظ علیها " .

وصل سام إلى السيارة ، كان خوفه قد زال و فرحته عارمة لا توصف . وضع المفتاح بالباب و هو يقول " لا أظن أن هذا الملاك شيطان حقاً " . أدار المحرك و انطلق عائداً إلى المنزل . في الطريق كان يفكر " لقد وقعت في قبضتي يا جاك ، ولكن انتظرنى حتى أنهى عملي و بعدها سأتفرغ لك و أنت أيها السافل توم إذا أنت قابع في البرتغال تستجم هناك تمتع وقتك ، تمتع بوقتك يا ابن السافلة ، لأنك بعد ذلك ستذهب إلى الجحيم " .

عندما وصل سام إلى المنزل ، أراد أن يتصل مع الدكتور بروكلمان ، رفع السماعة مد يده ليضرب الرقم ، و لكنه توقف فجأة لماذا يتصل مع الدكتور بروكلمان ، وضع السماعة و خرج إلى الشرفة و جلس يفكر " يجب أن تكون حذراً يا سام هذه المرة لن أثق بأحد ، لقد تعلمت درساً لن أنساه يجب أن أكون حذراً من الجميع " . لقد خرج من خلوته بأمور كثيرة ، أعاد حساباته كلها من جديد " إن أفضل من أثق به الآن ، هو أخي " ، عاد إلى الهاتف و اتصل مع أخيه طالباً منه الحضور . كان أخوه لا يزال في العاصمة ، و لم يكن يعمل شيئاً بعد إفلاس سام ، و لكن سام كان يرسل له مبلغاً شهرياً متواضعاً ليعيل نفسه و أسرته ، و أبقى سيارة السيتروين معه . بعد قليل حضر أخوه " اسمع يا أخي ، سأشتري أرضاً في مقاطعة الشمال ، و لكنني لا أعرف عنها شيئاً سوى العنوان ، و سأعطيك إياه ، و من الغد ستذهب إلى هناك لتسأل عنها وعن صاحبها إنها في بلدة بعيدة قليلاً عن بلدتنا ، أريد كل المعلومات عن هذه الأرض ، و الأفضل أن تذهب أولاً إلى البلدة و تأخذ معك والدي أو أستاذ الفلسفة ، ربما يساعدناك في هذه المهمة " . هز الأخ رأسه موافقاً " بكل سرور يا سام " . ربت سام على كتف أخيه بقوة و قال له " غداً صباحاً تنطلق ، إنني أعتمد عليك هل لديك المال الكافي ؟ " - " لا بأس سأدبر أمري " - " إذن خذ هذا المبلغ و احتفظ به للطوارئ ، و حاول أن تنجز مهمتك بأسرع وقت ، و اتصل

معي إذا حصل أمر مهم، و إذا سألك أحد فقل له إنني أريد أن أبدأ مشروعاً زراعياً..... إنني أعتمد عليك في ذلك " . أجاب أخوه بجزم " لا تقلق يا أخي ، سأكون عند حسن ظنك بي " . عندما غادر أخوه ، جلس سام على الأريكة في الصالون فكر في نفسه قائلاً "هل كان من الضروري أن أشك بالدكتور بروكلمان أيضاً " . أحس بالذنب ، ولكنه نفض رأسه " لا بأس ، صحيح أن الدكتور بروكلمان صديق وفي و أنا لا أشك بإخلاصه لا هو ، و لا المعلم رالف ، و لكن يبقى الاحتياط واجب و من باب الحذر فقط ... نعم ، نعم لا بد من الحذر....حتى من أخي " .

مضى يومان و سام على أحر من الجمر و لم يتصل أخوه ، و في اليوم الثالث ، عاد أخوه " أخبرني يا أخي ماذا حصل معك ؟؟؟؟ " - " لقد فعلت كما أخبرتني يا سام .. ذهبت إلى البلدة، و فاتحت والدي بالموضوع فقال إنه لا يعرف أحداً في تلك المنطقة ، لكنه مستعد للذهاب معي إذا اقتضى الأمر ، فذهبت إلى أستاذ الفلسفة و أخبرته بالأمر و قلت له إنك تريد شراء الأرض و أخبرته بمكانها ، قال لي إنه يعرف المنطقة و له عدد من الأصدقاء هناك ، و وافق أن يذهب معي ، و فعلاً ذهبنا إلى العنوان الذي أعطيتني إياه و رأينا الأرض ، و هي خارج البلدة ... سألنا عن صاحبها ، فقيل لنا إنها لأحد الملاكين الكبار ، و قد توفي منذ زمن و توزعت الأملاك على ورثته ، فكانت هذه الأرض من نصيب أحد أحفاده ، و هو شاب عاطل عن العمل ، و يقضي يومه متسكعاً يعزف على غيتاره ، أو في الحانة مع أصدقائه ، يكره العمل و لكنه مع ذلك يحلم بأن يكون لديه مزرعة للجياد ، حيث إنه ورث أيضاً ، أرض أخرى عن جده و هي ضمن نطاق البلدة ، و لكنه لا يملك المال الكافي لاستصلاحها و إنشاء مزرعة فيها " . كان سام ينصت باهتمام و صمت لكلام أخيه ، و عندما انتهى سأله " و الأرض ، كيف رأيته يا أخي ، أقصد ما هي مواصفاتها ؟؟؟ " أجاب الأخ قائلاً " أنها خارج البلدة ، لقد ذهبنا إليها أنا و أستاذ الفلسفة و أحد

أصدقائه القدامى هي أرض قاحلة فيها عدد من الشجيرات الحراجية ، وبعض الأعشاب البرية المنتشرة هنا وهناك ، و لكن يوجد في منتصفها صخرة بيضاء كبيرة بعض الشيء " . تتمم سام " إنها هي بذاتها " . ثم نظر إلى أخيه و سأله " و لكن هل عرف أحد أنني سأشتري هذه الأرض ؟ " - " لقد عرفوا أنك ستشتري أرضاً هنا في المنطقة ، لكن لم أحدد لهم الأرض ، بل سألتهم عن أراضي عدة ، تماماً كما أفهمتنى .. و لكن لماذا تريد يا أخي شراء هذه الأرض بالذات !!؟؟ " . أجاب سام بيروود " لقد رأيتها مرة في إحدى نزهاتي و أعجبني موقعها ، فأحببت أن أشتريها و أستثمرها و الآن ، من المؤكد أنك متعب يا أخي العزيز ، ، لذلك اذهب إلى المنزل لترتاح ، و عندما أحتاجك ، سأطلبك ، ربما أسافر غداً لأراها " . عندما غادر الأخ ، عاد سام إلى الصالون ، طلب من زوجته كوباً من القهوة ، ثم أشعل سيجارة و جلس يفكر "عظيم الآن أصبحت الأمور واضحة أمامي و لم يبق غير العمل و التنفيذ " .

في اليوم التالي استيقظ سام باكراً ، و انطلق نحو البلدة ، و في الطريق ، كان يفكر كيف سيدير الأمور ، و يخطط للقيام بمهمته بنجاح ، و على أكمل وجه ، و لهذا فقد عمل على أن يحصر تفكيره في موضوع شراء الأرض فقط ، و يستبعد الأمور الأخرى . عندما بدأت الشمس تميل إلى الأفق ، وصل إلى البلدة ، قضى وقته مع أهله و في المساء ذهب لزيارة أستاذ الفلسفة ، و هناك تحدثا بالتفاصيل " لا تقلق يا سام ، إن صديقي هذا ، هو من سكان البلدة .. بالمناسبة إنه يعرفك " - " يعرفني !!؟؟ " - " طبعاً يعرفك ، لكن ليس معرفة شخصية ، إنه أحد الذين كانوا يستفيدون من تبرعاتك يا سام ، هو يحترمك جداً و يجبك إنه رجل فقير ، و قد تحمس جداً للمساعدة ، و سيسره أن يتعرف عليك و يراك " . قال سام بشيء من الإحراج " أنا آسف يا أستاذ بشأن التبرعات و الأعمال الخيرية ... و لكن أنت تعرف ، لقد أفلست و لم يعد باستطاعتي تقديم أية مساعدة " . أشعل أستاذ الفلسفة سيجارة و قال و هو يهز رأسه بأسى " لقد

حزنت من أجلك كثيراً يا سام ، و كل الذين كانوا يستفيدون من تبرعاتك حزنوا لأجلك ، إنهم يعدونك إنساناً طاهراً .. لقد أصبحت شيئاً كبيراً بالنسبة إليهم يا سام ... يكفيك أنك تمتلك هذه الشعبية الكبيرة ، لقد أخبرني أخوك أنه عندما أعلنت إفلاسك و مرضت ، وصلتك رسائل كثيرة من العاصمة " هز سام رأسه سريعاً و هو يلفلف الموضوع " نعم ، نعم ، يا أستاذ لقد حصل ذلك فعلاً ، و الآن دعنا نبحث في المهم .. ماذا سنفعل غداً؟؟ " أجاب أستاذ الفلسفة ببساطة " غداً سنذهب إلى هناك ، و إذا أردت ، فيمكن أن نتفق مع صاحب الأرض مباشرة ، أظن أنه سيقبل بالبيع ، لأنه بحاجة للمال كما فهمت " . فرك سام يديه بقلق و قال " أرجو ذلك يا أستاذ " . أخذ الأستاذ مجرة من سيكارتته و نفث الدخان في الهواء بلامبالاة و هو يقول " على كل حال لا تقلق يا سام ، صديقي هناك سيتكفل بكل شيء " . حك سام أرنبه أنفه و قال " و أنا أيضاً من الآن و حتى الغد ، سأكون قد تدبرت طريقة مناسبة للتفاوض مع ذلك الرجل " .

في اليوم التالي ، انطلق سام و أستاذ الفلسفة في السيارة إلى مكان الأرض التي كانت تبعد مسافة ساعة بالسيارة عن بلدة سام . في الطريق تحدث سام مع أستاذ الفلسفة بالتفاصيل " اسمع يا أستاذ أولاً أريد أن أرى الأرض و أعاين مكانها ، و إذا أعجبتني ، تذهب أنت و صديقك هذا و يخبر صاحبها بطريقته ، بأننا نريد شراء الأرض ، و الأفضل ألا أرى صاحبها إلا بعد أن يوافق على البيع ، ستقوم أنت و صديقك بحس نبضه أولاً ، و معرفة المبلغ الذي يريده ، إذا تمت الأمور كما اشتهي ، أراه بنفسه " . بعد ساعة وصلاً إلى المنطقة ، كانت منطقة جبلية ، تماماً مثل البلدة عندهم . التفت سام إلى أستاذ الفلسفة و قال " دعنا أولاً نمر على صديقك ، يا أستاذ ، و نصطحبه معنا لنرى الأرض ، و ثم بعد ذلك نقرر " .

كانت الطريق ترابية و وعرة ، و جعل ذلك سيارة سام المرسيديس تمشي بصعوبة و ببطء . تظاهر سام أنه يلقي نظرة على الأراضي بشكل عام ، حتى وصل إلى الأرض التي أخبره عنها الشيطان . أوقف السيارة جانب الطريق و ترجل الثلاثة منها ، سام و أستاذ الفلسفة و صديقه ، تقدم سام ، و أخذ يتمشي في الأرض و هو يفحصها بنظراته ، بينما بقي الاثنان عند السيارة ، كانت أرضاً بوراً ، جرداء ، قاحلة ما خلا بعض الشجيرات هنا و هناك ، أخذ يتأملها و يحول النظر فيها ، حتى استقرت عيناه على الصخرة البيضاء الكبيرة ، اتجه إليها و وقف عندها ، و أخذ ينظر إلى الأرض تحت قدميه و يفكر " ترى ما الذي يوجد تحت قدمي الآن ؟؟؟؟ هل معقول أنني أقف على ثروة كبيرة ؟؟" . و فجأة قطع عليه تفكيره صوت صديق أستاذ الفلسفة القادم من بعيد " ما رأيك بهذه الأرض يا أستاذنا الكبير ؟ " . عاد سام أدراجه إليهما و هو يصيح "إنها جميلة ، و لا بأس بها يبدو أنها الأرض المناسبة " . أخذ الرجل يشرح لسام عن الأرض و عن صاحبها ، فسأله سام " هل يريد أن يبيعها ؟ " . أجاب الرجل " لا أدري يا سيدي ، و لكنه الآن بحاجة إلى المال " . أشار سام بيده إلى الرجل " حسناً يا صديقي العزيز ستذهب أنت و أستاذ الفلسفة و تتحدثان إليه ، و أنا سأنتظركم في منزلك " . أجاب الرجل بحماس " على الرحب و السعة يا سيدي " . عادت السيارة مرة أخرى إلى بلدة الرجل ، و هي تتأرجح ببطء على الأرض الوعرة .

في المنزل ، جلس سام مع أسرة الرجل ، بينما ذهب هو مع أستاذ الفلسفة ، للاجتماع بصاحب الأرض . كان سام قد اتفق مع أستاذ الفلسفة على صيغة الكلام مع الرجل ، مرت ساعة و سام جالس في الباحة الخارجية لمنزل الرجل ، كان منزلاً متواضعاً . قدمت ابنة الرجل الكبرى الضيافة ، كانت فتاة جميلة جداً شقراء طويلة ، ذات جسم متناسق مكنتز ، نظر إليها سام بإعجاب شديد و شكرها على الضيافة ، جلست الفتاة على الكرسي قبالة سام ، و حولها إخوتها و أمها . نظر سام إلى زوجة الرجل و قال " بلدتكم جميلة

يا سيدتي " فردت المرأة بأدب " شكراً لك، يا سيدي " - " على ماذا تعتمدون هنا ؟ " . ردت الزوجة " نعتمد على تربية الماشية و الخيول بالدرجة الأولى ، و الزراعة بالدرجة الثانية " ، و هنا أكملت الفتاة بصوت ناعم ساحر خجول أطار صواب سام " و تبرعاتك التي كنت ترسلها إلينا بالدرجة الثالثة " . نظر سام إلى الفتاة و قال و قد تسارعت أنفاسه و ضربات قلبه " فلتشل يدي التي قطعت عنكم المال إنني آسف جداً لذلك ، كوني أمر الآن بظروف عصبية جداً ، و لكن و مع ذلك و إكراماً لك ، و لهاتين العينين الجميلتين سأندبر تأمين مبلغ شهري متواضع لكم " قال سام هو ينظر إلى الفتاة و يتتسم ، و هنا قالت زوجة الرجل " بارك الله بك يا سيدي ، إن زوجي يحبك و يحترمك كثيراً " - " بالمناسبة يا سيدتيماذا يعمل زوجك " - " إنه مزارع .. و لكن منذ حوالي ثلاث سنوات لم يعد يقوى كثيراً على العمل بسبب ظهره " - " أليس له مورد آخر ؟ " - " لا يا سيدي و بخاصة و أن جد ذلك الرجل الذي ذهبوا إليه الآن قد طرده من العمل قبل وفاته " - " لماذا؟!؟ " - "لأنه كان من أنصار حزب الشعلة يا سيدي ،و كان يسبب له المشاكل " . و هنا رجف سام من الخوف و قال للمرأة بصوت مرتبك " هذا بعني أن الرجل الذي ذهبوا إليه الآن يكن له العداء أيضاً " صاحت المرأة بلهجة عدم اكتراث " لا يا سيدي ، فذلك الشاب و بالرغم من كون جده إقطاعياً كبيراً ، فإنه كان متحمساً للأفكار البلشفية ، و كان على خلاف مع جده ، و لهذا عندما توفي ، لم يوصي له إلا بتلك الأرض القاحلة ، و أرض أخرى قريبة من القرية و لكنها جرداء أيضاً ، بينما حصل أخوته و أعمامه على حصصاً أفضل و أكبر ... إنه يود زوجي كثيراً " . و هنا تنفس سام الصعداء و قال في نفسه "لو كان هذا الإقطاعي الأبله ، يعلم ماذا يوجد في هذه الأرض ... لما أوصى بها لحفيده ؟ " . ثم نظر إلى الفتاة الشقراء و قال لها مبتسماً " ما اسمك يا حلوتي ؟ " . ردت الفتاة بنجل " اسمي كاتيا يا سيدي " - " و كم عمرك ؟ " - " عمري اثنان و عشرون عاماً " - " و ماذا تعملين ؟ " - " ليس لي عمل سوى التطريز و المطالعة ، أقرأ الكتب التي يعطيني إياها أستاذ الفلسفة

صديق والدي " . هز سام بيده نافياً و قال " أقصد ألا تعملين بعمل رسمي تحصلين منه على مرتب " - " لا يا سيدي ، لو أنني أتمنى ذلك " . اهتم سام لأمر الفتاة و سألها " و لماذا لا تعملين في الخياطة و تكسيين منها " . أطرقت الفتاة بنجمل و حزن و قالت " ليس لدي آلة خياطة " - " أوه ، أوه يا عزيزتي ، لقد أحزنتني بالفعل ، على كل حال لا تهتمي ... سأحرص على أن أجد حل لمشكلتك هذه إكراماً لطموحك النبيل " . ردت الفتاة بنجمل " أشكرك يا سيدي " . نظر إليها سام و قال في نفسه " و إكراماً لأردافك الممتلئة " . بعد قليل عاد أستاذ الفلسفة و والد الفتاة ، قال الأستاذ " إن الرجل يريد أن يراك يا سام " . سألمهم سام " و ماذا حصل معكم ؟ " . أجاب والد الفتاة " لقد قلت له ، إن هناك شخصاً يريد شراء أرض هنا في المنطقة و إنني اقترحت عليه أرضك ، و سألني عنك في البداية ظن أن أستاذ الفلسفة هو الشاري ، و لكنني أخبرته أنه ليس هو " . فسأل سام باهتمام " و هل وافق ؟ " . أجاب والد الفتاة " لقد قال أنه من حيث المبدأ موافق ، و لكنه يريد أن يرى الشاري أولاً ، و لقد مدحتك أمامه ، و قلت له إنها فرصة لا تعوض " . و هنا تدخل أستاذ الفلسفة قائلاً لسام " طالما نحن هنا الآن ، فأنا أقترح أن تراه ، لأنه يبدو عليه انه سيبيع " . هز سام برأسه متفهماً و هو يزين الأمور برأسه ، ثم قال " و كم يريد ثمنها ؟ " - " لم يقل لنا ... قال إنه يريد أن يراك أولاً " . استهجن سام الأمر و قال باستغراب " و لماذا يصر على رؤيتي أولاً؟!؟ " - " لا ندرى " . هز سام برأسه مرة أخرى .. فكر قليلاً ثم قال " لا بأس ، هيا بنا " . انطلق الثلاثة إلى منزل صاحب الأرض مشياً على الأقدام ، حيث فضل سام ألا يأخذ المرسيدس معه ، لقد فضل ألا يراها الرجل صاحب الأرض . بعد أن اجتازوا مسافة معينة ، و صلوا إلى منزل الرجل ، كان شاباً في مقتبل العمر تبدو عليه ملامح الذكاء و الاستهتار في الوقت نفسه ، و بعد تبادل قصير للتعارف و الجاملات الودية قال صديق أستاذ الفلسفة للشاب " إن الأستاذ سام يريد شراء أرض هنا ، و لقد أخبرته عن أرضك يا صديقي و رآها و هو يريد شراءها " . نظر الشاب بعينين حادتين إلى سام وسأله " و لكن

لماذا تريد شراء أرض هنا يا مستر سام؟ " . فكر سام بهدوء ، ثم قال و هو يزن كلماته بعناية " في الحقيقة
.... إنني أعمل في العاصمة ... في جو من الضجيج و الصخب .. و أنا أحب الطبيعة و الهدوء

فقررت أن أشتري أرضاً هنا لأجعلها مزرعة أرتاح فيها في أثناء الصيف " حدق الشاب مرة أخرى بسام و
سأله "و لكن لماذا اخترت البلدة هنا و لم تختار بلدتكم التي هي مشابهة لبلدتنا !!؟؟؟ " . كان السؤال ذكياً
و محرراً . صمت سام قليلاً يفكر ، بينما كان الشاب يحدق به بثبات و كأنه ينتظر جواباً مقنعاً ، في حين
جلس أستاذ الفلسفة و صديقه ينصتان بصمت و انتباه . رفع سام رأسه قال بلهجة لامبالاة " في الواقع
إنني أعمل في مجال العقارات ، و أشتري هنا هنا ، و قد اخترت هذا المكان هنا ، كون بلدتكم ذات
موقع جميل جداً ، كما أنني أعشق الخيول و بلدتكم هنا مشهورة بتربية الخيول ، كما أنها قريبة من المدينة
الشمالية(ثم حدق بالشاب و قال) و قد رأيت أكثر من أرض هنا ، و لكن صديقك هذا أقنعني
بأرضك و شجعني عليها " . فكر الشاب قليلاً " ثم قال " الحقيقة يا سيدي إن فكرة البيع لم تكن بيالي ، و
لكن إذا كان الأمر هكذا ، فلا مانع لدي " . رفع سام يده و قال للشاب " حسناً ، و كم تريد ثمنها ؟ " .
فكر الشاب مرة أخرى و قال " مئة ألف دولار " . فوجئ سام بالمبلغ فقال " و لكن أليس هذا كثيراً؟ " .
أجاب الشاب " إنني أريد إنشاء مزرعة للخيول و أحتاج لهذا المبلغ " . فقال سام باستهجان " و لكنها
أرض قاحلة مهجورة ، و لا تساوي أكثر من خمسين ألف دولار ، في أحسن حالاتها " فرد الشاب " آسف
يا سيدي ، و لكن هذا هو السعر النهائي " . و هنا تدخل صديق أستاذ الفلسفة ، و صاح بالشاب " هيا يا
صديقي ، إنها فرصة ذهبية جاءت إليك ، فلا تفوتها ، وبصراحة ، لقد شاهد الأستاذ سام أراضي أخرى و
بأسعار أرخص ، ولكن صداقتي لك هي التي جعلتني أقنعه بأرضك ، إنها فرصة ذهبية لإنشاء مزرعة خيول
، و لن تتكرر بعد ذلك " . بعد نقاش و جدال ، وافق الشاب ، و أنزل المبلغ إلى الستين ألف دولار . " .
حسناً يا عزيزي اليوم سأتصل بالمحامي ، و غداً نوقع العقود " . عاد سام و أستاذ الفلسفة إلى منزل صديقه

حيث أوصلاه . نظر إليه سام و أخرج من جيبه مبلغاً من المال و قال " إني شاكر يا صديقي العزيز ، و هذا المبلغ هو عربون شكر و تقدير ، سأحاول أن أرسل لكم مبلغاً شهرياً بسيطاً ، ليساعدكم في أموركم بالمناسبة لديك ابنة رائعة حقاً ، و مهذبة و جميلة ، سوف أبذل جهدي لمساعدتها على إيجاد عمل " .
ابتهج الرجل و قال بفرح " إن ذلك حلمها يا سيدي " . ربت سام على كتف الرجل و قال " و أنا جاهز لمساعدتها في هذا الأمر ، هل لديكم أقارب في العاصمة ؟ " - " نعم يا سيدي " - " عظيم جداً .. عندما أنتهي من مشاغلي ، سأرسل في طلبها لتعمل عندي في الشركة براتب محترم " . انفرجت أسارير الرجل و قال بسعادة غامرة " بارك الله بك يا سيدي ، إننا لا نعرف كيف نشكرك على معروفك هذا ، لقد فعلت لنا الكثير الكثير يا سيدي " .

عاد سام و أستاذ الفلسفة إلى البلدة ، و من هناك اتصل بالمحامي جيم و طلب منه الحضور إلى البلدة و معه الأوراق القانونية لإجراء عملية البيع . و في اليوم التالي تمت عملية البيع و وقعت الأوراق ، و أصبح سام مالك الأرض . ذهب إليها مرة أخرى ، و أخذ يتأملها ، و قف عند الصخرة البيضاء و نظر إلى الأسفل ، قال في نفسه " أود لو أحفر التراب الآن لأرى ماذا يوجد تحتك أيتها الصخرة .

رجع سام إلى العاصمة و هو يفكر كيف سيتصرف الآن ، كانت هذه أول مرة يتعرض فيها لمشكلة استخراج كنز . ذهب إلى البوفيه و صب كأساً من الكونياك الفاخر و أخرج سيجاراً ضخماً ، أشعله بهدوء ، و خرج إلى الشرفة يرشف الشراب و ينفث الدخان و يفكر ، كانت أضواء العاصمة في الليل تشجع ذهنه على التفكير . مضت ساعة و هو يفكر بطريقة لاستخراج الكنز ، أخيراً لمعت في ذهنه الفكرة .. لقد توصل إلى الطريقة . في البداية قرر بناء سور حول الأرض ، و فعلاً بدأ بذلك و كلف أستاذ الفلسفة بالإشراف على هذه العملية ، و لم تمض فترة حتى كان السور قد انتهى ، اتصل به أستاذ الفلسفة

و أعلمه بذلك ، فقرر تنفيذ البند الثاني من العملية ، و هو استخراج الكنز ، فذهب إلى شركة لإيجار السيارات ، و هناك استأجر سيارة رينج روفر ذات دفع رباعي ، مخصصة للجبال ، ثم ذهب إلى أحد المخازن الزراعية و اشترى معاول و رفوشاً و حبالاً و ماسورة فولاذية ضخمة ، ثم عاد إلى المنزل بسيارته الجديدة ، و في المساء اتصل بأخيه و أخبره بالعملية من دون أن يخبره الهدف منها و طلب منه التهيؤ للسفر صباحاً إلى الشمال . لقد قرر أن يقوم هو بنفسه بالعملية بمساعدة أخيه . كان كل شيء جاهزاً . ذهب إلى الفراش و استلقى فيه و أغمض عينيه بانتظار اليوم التالي .

كانت خيوط الفجر الأولى ممزوجة مع الظلام ، عندما انطلق سام و أخوه نحو الشمال ، فوجئ الأخ بالسيارة الجديدة و بالعدة ، و لكن سام قرر ألا يخبره إلا في اللحظة الأخيرة ، أي عند استخراج الكنز . وصلا وقت بداية الظهيرة ، لم يكن أحد في الجوار ، كانت المنطقة خالية تماماً و الجو بارداً أدخلوا السيارة إلى الأرض و أغلقا باب السور الخارجي ، و على الفور بدأ الحفر بهمة و نشاط ، كانا قد أحضرا معهما زاداً و طعاماً ، و من حسن الحظ أن الأرض لم تكن قاسية جداً ، و لهذا لم يمر على الوقت سوى ساعتين و نصف ، حتى كانا قد حفرا بعمق مترين ، فجلسا للراحة و أخرجوا الزاد الذي كان معهما و بدأ بالأكل ، كان الجوع و العطش قد نال منهما ، بعد الطعام ، استراحا لمدة ربع ساعة ، ثم عاودا الحفر من جديد بهمة و نشاط ، كانا يريدان أن يسبقا الوقت ؟.

كانت الشمس قد بدأت تقترب من خط الأفق عندما ارتطم معول سام بشيء قاسٍ صلب ، و أصدر صوتاً غريباً " سأله أخوه " ما هذا يا سام ؟؟! " . أجابه سام و هو يلهث " لا أدري " . أخذوا يزيلان التراب عن ذلك الجسم الصلب ، فإذا به صخرة مسطحة . " هل هذا مدفن أم قبر يا سام ؟! " . أجاب سام و قد اعتلاه الغبار " لا أدري يا أخي ، المهم دعنا نحاول رفعها " . وضع كل منهما معوله تحت

الصخرة و أخذنا يضغطان بقوة ، فبدأت الصخرة ترتفع شيئاً فشيئاً . أمسكا بها و قلباها و نظرا إلى ما تحتها ، كان هناك حجرة صغيرة مبطنه بالطين و الجص القاسي لمنع الماء من التسرب ، و فيها أربعة صناديق خشبية كبيرة . بيد مرتعشة ، أمسك سام أحد الصناديق و فتحه . صدرت من أخيه صرخة " يا للهول ما هذا ما هذا يا سام ؟!؟ " . كان الصندوق مليئاً بالنقود و التماثيل و المنحوتات و قطع الحلبي ، وكلها من الذهب الخالص . ظل الأخ يصرخ " ما هذا يا سام يا إلهي ، انظر انظر إلى هذا يا سام " . بقي سام واقفاً ينظر بذهول و صمت ، و قد جحظت عيناه . مرت فترة من الوقت على الاثنين و هما واقفان بلا حراك . ثم نفض سام رأسه محاولاً تدارك الموقف و ربت على ظهر أخيه الذي كان ينظر ببلاهة إلى الصندوق " هيا ، هيا يا أخي يجب ألا نضيع الوقت " . سال الأخ بدهشة " و لكن ماذا ستفعل .. كيف سنخرج هذه الصناديق من هنا ؟!؟ " . نظر سام إلى أخيه بجزم و قال " ابق أنت هنا ، و سأذهب لإحضار السيارة " . خرج سام من الحفرة بسرعة ، و ركض نحو السيارة ، أدار المحرك ، و قادها إلى مكان الصناديق ثم أدار مؤخرتها نحو الحفرة و نزل مسرعاً و ربط طرف الحبل بالسيارة ، و رمى بالطرف الآخر إلى أخيه " هيا يا أخي ، اربط الصندوق بالحبل جيداً و من كل الجهات " . ربط الأخ الصندوق بالحبل ، بينما وضع سام الماسورة الفولاذية الملساء فوق الحفرة لحماية الحبل من الانقطاع و ثبتها بالحجارة ، ثم صعد إلى السيارة و وضع علبة السرعة على الدفع الرباعي ثم ضغط على دواسة البنزين برفق . أخذت الرينج روفر تتقدم ببطء فوق الصخور و الأتربة و هي تهدر ، بينما كان الصندوق يرتفع شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى مستوى سطح الحفرة ، فثبت سام السيارة في مكانها و نزل منها ، و من ثم تعاون هو و أخوه على قلب الصندوق خارج الحفرة . و كررا العملية مع الصناديق الأخرى ، و بعد ذلك و بصعوبة بالغة ، تعاونوا على وضع الصناديق في السيارة . صاح سام بأخيه و قد تمزقت ثيابهما و تلتخ و وجههما بالتراب " هيا ، هيا يا أخي ، دعنا نردم هذه الحفرة " . أخذ الاثنان يقذفان التراب و الحجارة

على الحفرة ، حتى عادت كما كانت تماماً . كان الظلام قد حل و بدأت السماء تبرق و ترعد ، والمطر يتساقط . صعدا إلى السيارة ، و انطلقا بها فوق الحجارة و التراب عائدين إلى البلدة . صاح الأخ قائلاً " الباب يا سام لقد نسيت أن تغلق باب السور الخارجي للأرض " قهقهه سام بألم و قال " و من قال لك إنني سأعود إلى هنا بعد الآن ، فلتذهب الأرض و السور و الباب إلى الجحيم " . نظر أخوه إليه بدهشة و قال "ولكن ألن تؤسس مزرعة للجياد هنا كما قلت ؟؟! " - " لا سأؤسس مزرعة للأبقار " . قال سام ذلك و انفجر الاثنان ضاحكين . حرك الأخ أضلاعه قال بألم " إنني منهك تماماً يا سام ... أشعر و كأن يداي و قدماي مخدرتان ، أظن أنني قد أصبت بتمزق في أربطتي " . أجاب سام بألم هو الآخر " أظن أنه حصل معي نفس الشيء " . كانت قطرات المطر تلمع تحت أضواء السيارة . " لقد أحسنت صنعاً يا سام ، باستتجارك لهذه الرينج روفر ، لولاها ، لما استطعنا أن نفعل شيئاً انظر كيف تسير فوق هذه الجلاميد الصخرية و هي تنوء تحت حمل الصناديق " تتمم سام بإعجاب " إنها رائعة حقاً " - "والآن ماذا ستفعل يا سام؟ " - " الآن سأضع هذه الصناديق في قبو المنزل بالبلدة ، و سنقول لأهلنا إننا اشتريناها و سنخزنها هنا ، و لن نقلها من السيارة إلى القبو ، إلا بعد أن ينام الجميع ، أفهمت يا أخي " - " نعم ، نعم يا سام ، لقد فهمت " أجاب الأخ هو يتأوه من الألم . كانت السيارة تهدر وحيدة فوق الطريق الجبلية المظلمة منحدره نحو الشارع العام ، لم يكن هناك أثر لإنسان أو بناء و المنطقة مقفرة تماماً . ما إن وصلت السيارة إلى نهاية الطريق الترابية و دخلت في الطريق العام ، حتى ضغط سام على دواسة البنزين ، فانطلقت السيارة مسرعة نحو البلدة . في الطريق سأله أخوه " ماذا ستفعل بالذهب الآن يا سام ؟ " . أجاب سام و هو ينظر إلى الطريق الخالية أمامه و يفكر "هذه هي المشكلة ، و هنا يبدأ دور الدكتور بروكلمان و الحامي جيم " . كان سام يفكر ، وفجأة تذكر كاتيا ، فسرح بخياله بعيداً بعيداً في الأعماق " آه منك

يا كاتيا ، لقد خلبت عقلي و قلبي معاً ، و لا يخفف ألمي و تعبي الآن ، إلا خيالك و صورتك أمامي ، و رائحتك و ابتسامتك العذبة " .

بعد ساعة ، وصلا إلى المنزل ، كان والداهما لا يزالان مستيقظين . أدخل سام السيارة عبر البوابة إلى حديقة المنزل ، نظر إليه أخوه و قال بتعب " أقترح يا سام أن نقل هذه الصناديق غداً ، فأنا أشعر بتعب شديد " - " لا ، لا يا عزيزي من الخطر إبقاؤها هنا في السيارة بإمكانك النوم الآن ، و سأوقظك في منتصف الليل ، أمامك ست ساعات نوم تستطيع فيها أن تعوض نشاطك قليلاً ، و الآن هيا ، اذهب و أغلق البوابة الخارجية " . أطفأ سام أنوار السيارة و محركها ، و ترجل منها هو و أخوه ، و هنا كان والداهما قد خرجا إلى الشرفة . سألهما الأب بدهشة " ما الذي صنع بكما هكذا !!! ؟؟ و أين كنتما ؟؟ و ما هذه الصناديق ؟؟!! " . فرد عليه سام بشكل طبيعي " كنا نعمل بالأرض الجديدة يا أبي ، و عندما انتهينا ، تعطلت السيارة ، فاضطررنا لدفعها إلى الطريق و إصلاحها و هذه الصناديق لقد رأيتها عند أحد الباعة في الطريق ، فأعجبني ، فاشتريتها حسناً ، إننا جائعان ، ماذا أعددت لنا من طعام ؟ " . دخل سام و أخوه إلى المنزل ، و هناك استحما و تناولوا الطعام ، و بينما لم يستطع أخوه الصمود ، فذهب إلى الفراش على الفور ، بقي سام لا يستطيع النوم ، خرج إلى الحديقة ، و أشعل سيجارة و أخذ ينظر إلى السيارة و يفكر . كان الجو بارداً ، دخل إلى المنزل ، و أشعل المدفأة و جلس يفكر . عندما وسع منزل أهله ، جعل لنفسه غرفتين خاصتين به ، فقرر أن يضع الصناديق في غرفة منهما . حاول النوم و لكنه لم يستطع ، ظل هكذا حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، فنهض من مكانه و قام بإيقاظ أخيه الذي نهض بصعوبة شديدة . كانت السماء تبرق و ترعد ، و لم يلبث أن انهزم المطر بغزارة شديدة ، جهز سام مكاناً للصناديق ، و بدأ هو و أخوه بنقل الصناديق إلى الداخل ، و عندما أنجزا العمل ، عاد أخوه للنوم

مرة ثانية ، بينما بقي سام في الغرفة وحده . فتح الصناديق و أخذ يتأمل محتوياتها . كان منظرًا رائعاً لم ير مثله في حياته كان الذهب يلمع تحت ضوء المصباح و يعطي بريقاً خلاباً يخطف الأبصار و يزيغ النظر . امسك سام تمثالاً ذهبياً و أخذ يمسحه بقطعة قماش ، فازداد تالؤاً و لمعاناً ، أخذ يتأمله و يقول " يا إلهي ، هل أنا في حلم أم في علم أي نحات ، و أي فنان ، و أي صانع ، و أي سبّاك ، صنعك أيها التمثال ؟ أي عبقرى وضع لمسات يده عليك ؟.... أنت آية في الجمال و الروعة يا ترى كم يبلغ ثمنك ؟". أخذ يجيل النظر في الصناديق الأربعة المفتوحة أمامه و يتأمل التحف و القطع الذهبية و يقلبها و يتفحصها متأملاً فيها بدهشة و ذهول . ظل هكذا حتى الصباح تقريباً . أغلق الصناديق ، اقفل باب الغرفة و ذهب إلى النوم .

إلى القمة

في اليوم التالي ، لم يستيقظ سام إلا في الظهرية ، نهض من فراشه و لبس ثيابه بسرعة ، ثم انطلق هو و أخوه إلى العاصمة ، التي وصلها ليلاً ، و هناك ، اتصل بالدكتور بروكلمان و المحامي جيم و طلب منهما الحضور فوراً لأمر طارئ . عندما حضرا ، أطلعهما سام على الموضوع برمته . هز الدكتور بروكلمان رأسه بدهشة و ذهول و قال " أي حظ هذا الذي تمتلكه يا سام !!!! في المرة السابقة تربح اللوتو الكبير ... و الآن تشتري أرضاً لتكتشف أن فيها كنزاً كبيراً!!!! عجيب أي حظ هذا الذي تمتلكه!!!!!! " . رفع سام يديه و قال " هذا ما حصل يا دكتور ... و الآن أريد طريقة لتصريف الذهب ، و لهذا استدعيتكما " . نهض الدكتور بروكلمان و أخذ يمشي في الصالون و هو يفكر ، ثم قال " ليس ذلك من السهل يا سام " - " لماذا؟!؟ " - "لأنه يجب أن تعرف مصادر الشراء الرئيسية أو التجار الكبار الموثوقين " . هز سام برأسه و نظر إلى المحامي جيم قائلاً " و أنت يا مستر جيم ما قولك في ذلك ؟ " . رفع المحامي جيم يده و أشار إلى الدكتور بروكلمان قائلاً " و أنا أيضاً أضم صوتي إلى الدكتور بروكلمان ، يجب أولاً أن نعرف مصادر الشراء الرئيسية ، و كيفية التصريف " - "حسناً أيها السادة .. حاولوا إذاً أن تعرفوا مصادر الشراء في هذه الفترة و أنا أيضاً سأحاول ، و يفضل أن يتم الأمر بسرعة لأنه لا وقت لدينا "

. عندما غادر الدكتور بروكلمان و المحامي جيم ، جلس سام في الصالون يفكر ، و بعد قليل رن جرس الباب ، كان الدكتور بروكلمان مرة أخرى . " أهلاً يا دكتور ، أراك عدت ، هل نسيت شيئاً ، تفضل " .
 . حدق الدكتور بروكلمان بسام و قال " لا يا سام شكراً ... و لكن هناك سؤال أريد أن أسالك إياه " - " تفضل يا دكتور ، اسأل " . حدق الدكتور مرة أخرى بسام و قال بهدوء " كيف علمت بأمر الذهب في هذه الأرض يا سام ؟؟؟؟ " . فوجئ سام بالسؤال ، فصمت و هو يحاول اختلاق جواب مقنع " في الواقع يا دكتور إن ما حصل هو هو أن " - " هل هو الجنى أو الملاك أو الشيطان الذي حدثني عنه يا سام ؟ " - " لا أدري يا دكتور لا أدري هذا ما حصل معي لقد كان الأمر مصادفة " . هز الدكتور بروكلمان رأسه و قال " حسناً يا سام إلى اللقاء ، سأحاول معرفة كيفية تصريف الذهب و أعطيك الجواب " . أغلق سام الباب ، و دخل إلى الصالون ، أخرج سيجاراً كبيراً و صب كأس من الشراب ، و جلس يفكر .

مرت ثلاثة أيام ، عندما رن جرس الباب في منزل سام ، كان الدكتور بروكلمان . " أهلاً دكتور العزير ، أخبرني ماذا حصل معك ؟؟ " . قال سام ، وأسرع ليصب الشراب له و للدكتور . جلس الدكتور على الأريكة و قال " هناك مصادر عدة للشراء يا سام " - " ما هي يا دكتور ؟؟ " . وضع الدكتور بروكلمان قدماً فوق أخرى و رشف من كأسه و قال " أولاً لديك تجار الذهب و المجوهرات الكبار ، و ثانياً لديك الأثرياء الكبار الذين يهتمون بالتحف و الآثار ، و ثالثاً لديك دور المزاد العالمية التي تهتم بهذه الأمور " سأل سام بلهفة " و ما العمل الآن برأيك يا دكتور ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان " العمل هو أن نبحث في هذه المصادر الثلاث ؟ " - " هل توفر لك شيء ؟ " - " حتى الآن ، لا ، و لكن سأبحث في ذلك بالمناسبة ، ماذا قال لك المحامي جيم؟ " - " سيحضر الآن و نعرف منه " . و فعلاً بعد قليل ، رن جرس

المنزل ، فقال سام " أظن انه هو " . دخل المحامي إلى الصالون ، و جلس الثلاثة معاً . ابتدر سام الكلام " حسناً ... ما وراءك يا جيم ؟ " . أجاب المحامي " لقد بحثت في مصادر الشراء ، و هم تجار الذهب الكبار ... و الأثرياء الكبار الذين يهون جمع التحف و الثريات .. و دور المزاد العالمي " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و قال "تماماً كما قلت لك يا سام " . نظر سام إلى المحامي و سأله " و ما العمل الآن يا سيد جيم ؟ " - " العمل هو أن نبحث في هذه المصادر " - " هل توفر لديك شيء ؟ " - " نعم يا سام ... هناك أحد تجار الذهب و المجوهرات الكبار ، و هو يهتم كثيراً بهذه الأمور ، و قد يأخذ منك كما فهمت من أحدهم كما علمت أن هناك ثرياً كبيراً مقيماً في فرنسا يهتم بهذه الأمور ، و هناك احتمال كبير أن يشتري منك " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام قال " أظن أنه يجب ألا تتسرع يا سام عليك أن تحسب الأمور بدقة " . أشار المحامي إلى الدكتور و قال " و أنا من هذا الرأي " . فكر سام قليلاً ثم سأل المحامي جيم " قل لي يا سيد جيم ... ما هي الإشكالات القانونية في بيع الذهب " . أجاب جيم " الإشكالات يا سيدي هي أنه إذا اتخذت تلك الموجودات صفة الآثار ، فإن الدولة قد تأخذها منك و تعطيك نسبة معينة ، و إذا لم تكن كذلك ، فالإشكال هنا هو في الضرائب التي ستدفعها للدولة و التي ستكون كميتها كبيرة إذا كانت المبيعات كبيرة ، و هذا الأمر لا يكون إلا في حال تم بيع الذهب كله هنا " .. أنصت سام باهتمام لكلام جيم وسأله " و بالنسبة لموضوع الآثار ، كيف سنعرف أنها كذلك ؟ " - " هناك خبراء في الآثار و الذهب ممكن أن يفحصوا عينة منه و يحددوا الفترة الزمنية و لكن في حال تم البيع لدور المزاد العلني ، فإنها ستأخذ عمولة على عملية البيع " . فكر سام ثم سأل المحامي " و ما هي الطريقة المثلى لتفادي الضرائب و العمولات أو على الأقل التخفيف منها " . أجاب المحامي بعد تفكير " الطريق المثلى هي أن تبيع للتجار أو الزبائن ، لكنها في الوقت نفسه ليست الطريقة المثلى ، لأنك هنا قد تكون مرتبطاً بالسعر الذي قد يفرضه الزبون أو يقبل أن يدفعه لك ، بينما في بيوت المزاد ، فقد

يصل السعر إلى أرقام خيالية لأنه سيكون هناك أكثر من زبون ، و أكثر من مشترٍ و هاوٍ ، كما أنه من الممكن أن يكون الأمر سرياً ، أي لا أحد يعرف البائع ولا الشاري " . شرب سام من الكأس التي كانت معه و أخذ مجة من السيجار ، و راح يمشي في الصالون ، ثم قال " إذاً في هذه الحالة ما هو العمل أيها السادة ؟ " . قال الدكتور بروكلمان " أنا أقترح يا سام أن تباع للجهاز الثلاث ، و لا تقتصر على جهة واحدة " - " لماذا ؟ " - " لأنه عندما يتم تصريف الذهب من خلال جهة واحدة ، سيكون الأمر مفضوحاً و مكشوفاً ، و ستلقت كمية الذهب التي معك الانتباه ليس هذا فقط ، بل أقترح أيضاً أن تكون عملية البيع سرية و مضمونة " - " و كيف ذلك يا دكتور ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان " أي ألا تباع إلا عن طريق البنك ، فعندما يوافق زبون أو جهة ما على الشراء ، لا تسلمه الذهب إلا بعد أن يحول المبلغ المطلوب إلى حسابك في البنك ، بعد أن تتأكد أنت من ذلك " . جلس سام على الأريكة و قال " حسناً أيها السادة ، و كيف سنبدأ الآن ؟ " - " سنبدأ بالبحث عن الزبائن الرئيسيين و سنحدد نوعية الذهب في البداية هل لديك عينات منه هنا يا سام ؟ " - " نعم يا دكتور " - " عظيم يا سام ، إذاً من الغد سنذهب إلى أحد المختصين بالذهب و نعرف نوعيته .

بدأ سام بإجراءات بيع الذهب ، يعاونه الدكتور بروكلمان و المحامي جيم ، في البداية تم فحص العينات التي كانت مع سام ، من قبل خبير مختص ، فأكد لهم أن الذهب خالص و صافٍ ، و هو من النوع الممتاز ، يعود تاريخه ، إلى أكثر من ثلاثمئة عام ، و هو لا يدخل في نطاق الآثار . بعد ذلك بدؤوا بالبحث عن مصادر الشراء ، و هنا اقترح الدكتور بروكلمان قائلاً " أنا من رأيي يا سام أن تبدأ بتجار الذهب الكبار أولاً ، و تباعهم القطع النقدية و الحلبي فقط " - " حسناً يا دكتور (قال سام) و لكن ماذا لدينا في هذا الشأن ؟ " . أجاب الدكتور " هناك تاجران قد يشتريان منك ، إنهما من كبار التجار " - " هل تعرفهما يا دكتور

؟ " - " لا ، و لكن لي صديق يعرفهما جيداً ، و قد فاتحته بالموضوع ، و متى أردت نحدد موعداً معهم "

فكر سام ثم قال " حسناً ، اجعل الموعد بعد أربعة أيام " - " لماذا !!؟؟ " - " لأنني سأسافر غداً إلى جنيف "

" . استغرب الدكتور بروكلمان الأمر و سأل " جنيف !!؟؟ ... لماذا جنيف !!؟؟ " أجاب سام بهدوء

" سأفتح حساباً هناك ... و سيكون التسديد عليه " - " و لكن لديك حساب هنا ، كما أن بنوكنا هنا

عريقة و لها سمعتها " هز سام رأسه بالنفي و هو يبتسم " لا يا دكتور ، لا ... لا أريد ، لأنني عندما طلبت

منهم قروضاً ، رفضوا جميعهم ، إنهم لا يستحقون أن أودع مالاً لديهم ، و لولا أنني مضطر للتعامل معهم

هنا ، لسحبت كل أموالي ، بالإضافة إلى أن البنوك هناك تعتمد نظام السرية المصرفية كما عندنا هنا و لكن

بشكل أفضل و أضمن ، و هذا ما أريده " . أوماً الدكتور بروكلمان برأسه موافقاً و أشار إلى سام " في

هذه أنت محق يا سام .. حسناً ، إذاً سيكون موعدنا معهم كما ذكرت..... بالمناسبة يا سام يوجد في

سويسرا دور لبيع الذهب بالمزاد العلني ، و هي دور عالمية شهيرة ، قم بزيارتها و استفسر من أصحابها عن

هذا الأمر " - " أشكرك على ذلك يا دكتور ، لقد فاتني هذا الأمر (قال سام ثم التفت إليهما و قال)

بالمناسبة يا صديقيّ العزيزين ، عندما ننتهي من تصريف الذهب ، سيكون بانتظاركما مهمة جديدة (قال

ذلك ثم حذق بالمحامي جيم) ... و على الأرجح ستكون أنت من يقوم بها يا جيم " . سأل الاثنان دفعة

واحدة " ما هي يا سام !!؟؟ " - " لا ، لا ، إنها مفاجأة مفاجأة كبيرة ستعرفانها بعد الانتهاء من

تصريف الذهب . أعدكما بذلك " .

في اليوم التالي ، كان سام قد وصل إلى سويسرا ، حيث بقي فيها لمدة ثلاثة أيام ، قضى فيها كل أعماله و

عندما عاد ، اجتمع مرة أخرى مع الدكتور بروكلمان و المحامي جيم " أظن أن أمورنا ستسير على

ما يرام ، لقد تعرفت في جنيف على شخص كان ينزل معي في الفندق نفسه ، و هو ثري كبير ، و وافق

أن يأتي إلى هنا بعد أسبوع ليرى الذهب ، لقد رأى عدداً من النماذج بالصور الفوتوغرافية ، و أعجبه جداً و سيأتي ليراها و قد ذهبت أيضاً إلى دور للمزاد العلني ، فأخبروني أنه يوجد لديهم فرع هنا بالعاصمة ، يتعامل معهم ، و يمكن عن طريق هذا الفرع إخراج الذهب إلى هناك بواسطة شركة ضمان خاصة ، بعد توثيق القطع و أوصافها و عددها ، هذه ستكون مهمتك يا جيم " . سأل الدكتور بروكلمان " هل فتحت حساباً هناك يا سام ؟ " - " نعم يا دكتور في أشهر بنك ، إنه بنك ضخمة جداً ، و التحويل سيكون إلى هناك في حال تم الشراء و الآن ماذا لديكما هنا ؟ " . قال المحامي جيم " بإمكانك أن تباع هنا يا سام و لكن الضرائب ستكون مرتفعة قليلاً ، وأنا اقترح أن تباع هنا بعض القطع و تدفع ضريبتها كي لا تثير الشبهات ، و سأندبر أنا الأمر " . الدكتور بروكلمان بدوره أجاب " أما أنا فقد علمت أنه يوجد رجل أعمال ثري ، و يهتم كثيراً بالتحف و المجوهرات ، و هو الآن موجود هنا و إذا أردت ، يمكن أن نحدد موعداً للقاء معه " . فكر سام ، ثم قال " حسناً يا أصدقاء ، فلنبدأ العمل إذاً " .

بدأ سام بتصريف كميات الذهب الموجودة لديه ، و كانت المبالغ كلها تحول إلى حسابه في سويسرا ، و في كل مرة يبيع فيها ، كان يتصل بالبنك و يتلقى إشعاراً بالمبلغ المحول ، كان رصيده يتزايد في أثناء كل عملية بيع ... عشرة ملايين خمسة عشر مليوناً ثلاثون مليوناً أربعون .. ستون ثمانون ، حتى وصل الرقم إلى خمسة وتسعين مليوناً أصبحت الصناديق الأربعة فارغة ، و عندما تأملها وجد أنه لا تقل قيمة عن الذهب كانت من أفضل أنواع الخشب النادر و المطعم بالأحجار الكريمة و كلها محاطة بقضبان من الذهب ، فباع كل واحد منها بثلاثة ملايين دولار ، لم يفكر أن يحتفظ لنفسه و لا بقطعة من الذهب ، كان يريد حساباً في البنوك ، كان يريد مالاً .

في المنزل جلس سام و الدكتور بروكلمان و المحامي جيم " أشكركم أيها السادة ، على مساعدتكم لي .. إنكم تستحقون أتعابكم " . أجاب الدكتور بروكلمان " نحن لا نريد شيئاً يا سام ، يكفيننا المرتب الشهري الذي نتقاضاه منك " - " لا ، لا هذه لا علاقة لها بتلك ، لقد بذلتم جهوداً كبيرة لإنجاح هذا الأمر و قمتم بواجبكم بإخلاص ، و سأعطي لكل منكم مئة ألف دولار (قال ذلك و أخرج من جيبه شيكين) تفضل يا دكتور هذا شيك بالمبلغ ، و أنت يا جيم تفضل ، هذا شيك بالمبلغ " - " شكراً لك يا سام ... و لكن أئن تحتفل بهذه المناسبة ؟ " - " طبعاً ، طبعاً سنحتفل اليوم ، أنتم جميعكم مدعوون مع زوجاتكم الدكتور بروكلمان و المحامي جيم و صديقي جان و أخي ، في أفخم مطعم بالعاصمة ، وسأتصل بجان و أخي لأعلمهم بذلك " . نظر الدكتور بروكلمان إليه و قال " بالمناسبة يا سام ، لقد قلت لنا ، إن هناك مهمة جديدة و مفاجأة لنا ، فما هي ؟ " . ربت سام بيده " غداً سأخبركم بها ... اليوم دعونا نحتفل " . في مساء ذلك اليوم ، احتفل الجميع كان احتفالاً بهيجاً باذخاً امتد طول الليل ، شرب الجميع و رقصوا و غنوا بفرح . شرب سام كأسه و نظر إلى الجميع و قال في نفسه " لقد عدت يا سام ، عدت من جديد " .

في اليوم التالي ، استيقظ سام متأخراً ، استحم و لبس ثيابه و انطلق نحو الغابة . كان الشيطان بانتظاره .. قال له ضاحكاً " أهلاً بك يا سام ، هذه المرة أراك سعيداً مسروراً مبتهجاً مفتوحة أساريك ، منشرحاً وجهك ، متورداً خدك ، على عكس المرات السابقة ، عندما كنت حزيناً كئيباً شاحباً محطماً و منهياراً " . أجاب سام و هو يضحك بدوره " نعم أيها الشيطان ، لقد كنت كذلك ، و الآن و بعد أن حصلت على المال ، تغير كل شيء ، إنني أشكرك على مساعدتك لي " - " لا بأس يا سام ، لقد قلت لك إنني سأساعدك ، هاأنذا قد وفيت بوعدتي هل بعت الذهب ؟ " . أجاب سام " نعم " . سأله الشيطان "

هل هو مطابق للمبلغ الذي وعدتك به ؟ " - " نعم ، و يزيد عليه بسبعة ملايين " - " عظيم يا سام ، و هل أنت موافق على الشروط التي قلتها لك ؟ " - " طبعاً ، طبعاً موافق " - " حسناً ، اسمع يا سام ، لقد حصلت على المال ، من حقلك أن تنميه و تزيده ، أنت تحب التجارة و الربح ، و هذا شيء طبيعي ، و تحب أيضاً في الوقت نفسه عمل الخير و التبرعات في المجال الديني و الإنساني و لك باع جيد في ذلك ، إن كل ما أريده منك الآن يا سام هو أن تزيد هذا المجال و توسعه ، و أن تجعل لك أتباع و محبين ... أريدهم أن يزدوا و يكثروا ، و أريدك أن تكون قدوة اجتماعية و دينية ، و مثلما يفعل المعلم رالف ستيفل أنت ، أريد أن تكون لك مؤسستك الخاصة ، ليس بالضرورة الآن ، و لكن عليك أن تستعد لها من الآن ، و لا أريد أن يعرف الناس عنك أمراً سيئاً أو خاطئاً ... أنت تستغرب ذلك مني ، و لكن هذا ما أريده ، و هذا كل ما أريده الآن " . أجاب سام بسرعة " بسيطة أيها الشيطان ، إنه أمر سهل .. على الأقل لا أشعر بعقدة الذنب بعد الآن و أنا أتعامل معك " . رفع الشيطان يديه و قال " حسناً يا سام ، هذا كل شيء الآن ، أراك لاحقاً ، إلى اللقاء " . عاد سام إلى المنزل ، و في المساء ذهب إلى مكتبه ، و اتصل مع الدكتور بروكلمان و الحامي جيم و دعاهما للحضور فوراً ، و لم تمض فترة قصيرة ، حتى حضر الاثنان . تهيأ سام للكلام ، و كان يبدو عليه أنه سيقول شيئاً مهماً ، فتح درج مكتبه و أخرج منه سيجاراً ، ثم أشعله و نظر إليهم و قال " أيها السادة ، طلبتكم اليوم لأمر مهم أيضاً ، و لا يقل أهمية عن موضوع بيع الذهب ... و هو بخصوص ذلك السافل توم " . أشعل الدكتور بروكلمان سيكارة هو الآخر ، و أخذ ينصت إلى سام باهتمام شديد ، و كذلك الحامي جيم " . تابع سام الكلام ، فقال " لقد عرفت مكان ابن الكلبة هذا" . سأل الدكتور بروكلمان بدهشة " حقاً يا سام ؟؟! " . أجاب سام بهدوء " نعم يا دكتور ، إنه معي ، و لكن المفاجأة ليست هنا " . تحفز الاثنان في مقعديهما و هما ينصتان إلى سام الذي قال " المفاجأة أيها السادة هي أن ذلك المدعو توم ليس هو السارق الحقيقي ، بل هو شخص عميل مأجور ، أدى مهمته

وانتهى دوره " . فقال الاثنان معاً " إذن من هو السارق يا سام ؟ " . صمت سام قليلاً ثم قال بألم " السارق الحقيقي أيها السادة ... هو صديقي و شريكى السابق جاك " . ساد جو من الصمت ، و قد بانث الدهشة و الاستغراب على الدكتور بروكلمان و المحامي جيم ، و بعد قليل قال الدكتور بروكلمان " و كيف تعلم ذلك يا سام ؟؟ ... أفصد هل أنت متأكد من كلامك هذا ؟ " . هز سام برأسه و قال " نعم يا دكتور ، هناك جهة معينة أبلغتني بذلك ، و هي مصدر موثوق " . فكر الدكتور بروكلمان ثم قال " إنه كلام خطير ، و لكن مستحيل جاك ؟؟؟ " . أجاب سام مبتسماً " نعم يا دكتور ، إنه جاك " . نهض الدكتور بروكلمان من مقعده و أخذ يتمشى في المكتب و هو يقول " كنت دائماً أقول في نفسي إن هناك شيء غير طبيعي في هذه القضية كلها لا أدري يا سام ، لماذا انتابني ذات مرة شعور عابر و سريع بأن جاك قد يكون له علاقة بالأمر ، و لكنني طردت ذلك من تفكيري " . ابتسم سام مرة أخرى و قال للدكتور بروكلمان " لقد كان أمراً محبباً يا دكتور ، و بدقة و ذكاء و إتقان " . أشار الدكتور بروكلمان بيده إلى سام و قال " نعم ، نعم يا سام ... أتذكر عندما ذهبت معكم إلى النادي الخاص لأتعرف على توم و أعطيك رأيي فيه ، يومها أحسست و كأنه يعرف كل شيء ، لقد كان ينظر إلي و يتبسم بجنون ، ثم إن كلماته اللاذعة ، كانت تدل على أنه يعرف كل شيء ، لقد أخبره جاك كل شيء ، هههه ... و أنا الذي كنت أظن أنه ذكي و عبقرى " و هنا قال المحامي جيم "لقد تذكرت شيئاً ، أيضاً لقد لاحظت أنه منذ ظهور توم و حتى اختفائه ، أن سام لم يكن يجلس معنا كثيراً و لم نكن نراه كما في السابق " . أجاب الدكتور بروكلمان "برافو يا جيم ، أنا أيضاً لاحظت ذلك ، و السبب في هذا يا عزيزي أن جاك هو من أبعده عنا ، لأنه كان يرى فينا خطراً عليه و قد نكشفه ، أو ننبه سام إلى الأخطار المحيطة به ، و لكنه سمح لنا مرة واحدة أو مرتين بالتعرف على توم ، لكي يبعد عنه الشبهة ، و لكي يعرف رأينا ، فيتصرف على أساسه " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال " و لكنني لاحظت يا دكتور أن كلام توم و تصرفاته

كانا يبعدان أي شك حوله ، لقد سحرني بكلامه و أقنعني ، حتى أحسست أنه قريب مني جداً " . ابتسم الدكتور بروكلمان و قال " في الواقع يا سام ، إن جاك هو الذي أعطاه كل شيء عنك ... طريقة حياتك ... تفكيرك ... ماذا تحب ... ماذا تكره ، ، بالتالي استطاع الدخول إلى قلبك و عقلك " . قال جيم بدهشة " من المستحيل تصوّر أن جاك كان وراء توم ، لقد كان الأمر متقناً فعلاً " . فكر الدكتور بروكلمان مرة أخرى و قال " و لكن هناك أمور عدة جعلتني أضع علامة استفهام حول جاك ، أولاً طلبه فك الشراكة مباشرة بعد اختفاء توم ، و ثانياً اختفاؤه هو الآخر .. بالمناسبة هل اتصل بك أو زارك بعد ذلك يا سام ؟ " . أجاب سام " لا يا دكتور ، إنه لم يفعل " - " لقد توقعت ذلك . و الشيء الآخر هو أنني لم ألاحظ هذا الحزن على وجهه كما كان الأمر معك يا سام " . نظر إليهم سام و قال " المهم الآن أيها السادة يجب أن نبدأ العمل ، و أظن أن هذه ستكون مهمتك يا جيم " - " أنا جاهز يا سام ، و لكن بداية هل لديك تصور أو خطة معينة ؟ " - " لا أدري بالضبط " - " حسناً هل يعلم جاك بالأمر ؟ " - " لا يا جيم ، إنه حتى الآن لا يعلم " . فكر جيم قليلاً ثم قال " حسناً أولاً يجب إلقاء القبض على توم " فقال سام " و لكن لماذا لا نبدأ بجاك ، إنني أتحرق شوقاً لإلقاء القبض عليه " - " لا يا سام ، إذا وجهنا الاتهام إلى جاك أولاً ، فإنه سينكر ، و ليس هناك دليل ضده ، بالإضافة إلى أنه سوف يخبر توم الذي سيغير مكانه و بالتالي نكون قد خسرنا الاثنين معاً ، بينما المتهم الأول هو توم و هناك مذكرة بحقه ، و عندما يلقي القبض عليه ، سيعترف على جاك و هكذا تكون التهمة ثابتة " و هنا قال الدكتور بروكلمان " هناك أمر يجب أن تأخذوه بعين الاعتبار أيها السادة ، و هو أن والد جاك رجل ثري و نافذ ، و قد يتدخل لإنقاذ ابنه و يحاول إيجاد مخرج له " . فكر جيم قليلاً و هو مغمض إحدى عينيه ثم قال " في هذه الحالة سنحاول جعل الأمر أكثر سرية ، و سنبلغ في البداية عن توم و سنطلب منه اعترافه في الترويج لدى البوليس هناك قبل إحضاره إلى هنا ، و بنفس الوقت و بناء على وثيقة الاعتراف هذه سنوجه الاتهام إلى جاك لدى المدعي العام " - "

و لكن أنا لدي اقتراح (قال الدكتور بروكلمان) .. لماذا لا يكون اعتراف توم بعد إحضاره إلى هنا ليكون مفاجأة لجاك ؟ " . أجابه جيم " لا يا دكتور ، لأنه في هذه الحالة سنترك لجاك مجالاً للتصرف و تدارك الوضع إذا علم بالأمر خلال الفترة التي سيتم فيها اعتقال توم و إحضاره إلى هنا ، و هي فترة كافية له للتصرف أو الهرب أو إلى ما هنالك على كل حال هذه الأمور القانونية ، دعوها لي أنا " . نظر سام إلى جيم و قال " و متى ستبدأ العمل يا جيم " - " من الآن و سنذهب إلى مكتب المدعي العام ، و نعطيه العنوان و سيقوم هو بإخطار البوليس النرويجي بهذا الأمر عن طريق مذكرة دولية بواسطة البوليس الدولي ... إن مذكرة البحث عن توم مازالت سارية المفعول ، و القضية لم تنته بعد ، و ما عليك الآن يا سام سوى أن تعطيني مكان ابن السافلة هذا ، و سأسافر أنا إلى هناك و أقابل توم و أقنعه بالاعتراف و على الأرجح سيعترف من تلقاء نفسه ، هيا بنا يا سام " . في مكتب المدعي العام قام سام بالإبلاغ عن مكان توم ، فوعده الرجل خيراً ، و في اليوم التالي ، سافر المحامي جيم إلى النرويج و معه ورقة من النيابة العامة . في هذه الفترة ، ظل سام قلقاً يترقب ، كان كل يوم يمر عليه كأنه سنة .

بعد أربعة أيام رن جرس الهاتف في منزل سام أسرع سام إلى السماعه ، كان المحامي جيم " تهانينا يا سام ، لقد ألقى القبض على توم كالجرذ و اعترف من تلقاء نفسه بكل شيء و سوف يتم إحضاره إلى هنا ، و اليوم سترسل برقية بخصوص جاك ، و عندما يصل توم ، يكون جاك قد ألقى القبض عليه ، لقد أنهينا كل شيء هنا ، و أنا قادم اليوم بالطائرة ، نلتقي في الغد و أطلعك على التفاصيل " . وضع سام السماعه و أخذ يفكر ، صب كاساً من الويسكي و أشعل سيجاراً " ستكون مفاجأة لك يا جاك ، أريد أن أرى وجهك عندما ستعلم بالأمر .. و عندما سأقف أمامك ، ماذا سيكون موقفك ، و ماذا سيكون شعورك ؟...؟ عندها سأسألك سوآلاً واحداً .. لماذا ؟ ... لماذا يا جاك؟ ... لقد جعلتني أشك بكل إنسان ، جعلتني

لا أثق بأحد مهما كان .. جعلتني أغير تفكيري ... لقد أثرت بي يا جاك في أمور كثيرة و يجب أن تدفع الثمن " .

في اليوم التالي اجتمع سام مع المحامي جيم الذي أخبره بكل ما حصل معه و كيف ألقى القبض على توم . فقال له سام بقلق " و لكن هناك أمر يشغلني يا جيم ربما ينكر جاك كل شيء و ينكر معرفته بتوم " - " لا تقلق يا سام ، لهذا السبب ذهبت أنا إلى هناك .. لقد حسبت هذا الحساب ، توم أخبرنا كل شيء ، و عندما تم سحب النقود من هناك ، كان جاك موجوداً ، لقد تعرف عليه موظف البنك من صورته ، و الأموال المسحوبة تم وضعها في بنك آخر في حساب يخص جاك ، و معي وثيقة من البنك بهذا الخصوص ، كما أن موظف البنك الذي تم وضع النقود فيه ، تعرف هو الآخر عليه و لدي الإفادات هنا " - " و توم .. ماذا بشأنه ؟ " - " أظن أنه وصل إلى هنا اليوم و سيسلم إلى النيابة أصولاً .. لا تتصور يا سام كيف كان شكله عندما ألقى القبض عليه ، كان يتوسل و يبكي كأنه رجل مسكين ، كان يلبس ثياباً عادية ، إنه موظف و اسمه الحقيقي كيم ، لقد استحصل له جاك على جواز سفر مزور " . هز سام برأسه و قال بسخرية " و هو الذي كان يدعي أنه رجل أعمال كبير ، إنني تواق لرؤيته ، سأمسح جزمتي بوجهه عندما أراه " - " و الآن يا سام لدينا موعد في المساء مع المدعي العام ، فاستعد من الآن " .

في مكتب المدعي العام جلس سام و جيم أمام الطاولة ، كان توم قد وصل و جاك ألقى القبض عليه . طلب المدعي العام إحضار جاك ، بينما أشعل سام سيجارة و جلس ينتظر بقلق ، كان يضرب بقدمه على الأرض و ينقر بأصابعه على ركبته ، بعد قليل ، سمعت طرقة خفيفة على الباب و دخل جاك و معه رجل شرطة . فوجئ جاك بسام الذي أخذ ينظر إليه و يحدق به . نظر المدعي العام إلى جاك بوجه جامد و

قسمات لا توحى بشيء و قال " سيد جاك ، إن السيد سام يدعي عليك ، و يتهمك بسرقة أمواله " . بهت جاك من الكلام الذي يسمعه و أجاب " مستحيل يا سيدي .. أنا ؟ مستحيل ، إن سام صديقي و شريكى و رفيق حياتى .. لا بد أن فى الأمر سوء تفاهم أو خطأ " . أطفأ سام سيجارته فى صحن السجائر و هو يسحقها بقوة و عنف و عيناه مثبتتان فى عيني جاك ، ثم نهض بهدوء و وقف أمامه محققاً بوجهه و قال " أنت لست صديقى ، و لم تكن فى يوم من الأيام صديقى ، أنت شخص تافه ، سافل ، منحط ، لا ضمير لك و لا وجدان " صاح سام بغضب و هو يمسك بخناق جاك . أسرع رجل الشرطة إلى تخلص جاك ، بينما قام المحامى جيم بتهدئة سام ، و هنا قال المدعى العام لسام " أرجو منك يا سيد سام أن تلتزم الهدوء إذا سمحت .. لا يحق لك التهجم بهذا الشكل على المتهم ، أنت هنا فى مكنتى " . أمسك المحامى جيم بكتف سام مهدئاً إياه و همس فى أذنه " اجلس يا سام ، اجلس و التزم الصمت ، هذا ليس فى صالحك " . جلس سام على الكرسي و هو ينظر إلى جاك بحقد . و هنا قال جاك " حضرة المدعى العام ، لقد صفتى شراكتى مع هذا الرجل و وقعنا نحن الاثنان على ذلك ، و ليس له بدمتى أى شىء " . أجابه المدعى العام " فى الواقع يا سيد جاك ، أنت متهم بسرقة أربعة ملايين دولار من أموال السيد سام ، بالاشتراك مع المدعو كيم أو توم ، عن طريق النصب و الاحتيال ، و متهم أيضاً بتزوير جواز سفر ، و إعطاء أسماء و صفات وهمية " . رد جاك بانفعال " هذا غير صحيح يا سيدي ، إننى لا أعرف ذلك المدعو توم و ليس لى أية علاقة به .. لا بل إن سام هو من عرفنى إليه و هو الذى جرنى إلى هذه العملية الخاسرة ، و أنا أتهمه هو بالتواطؤ مع هذا المحتال ، وأريد أن أدعى أمامك الآن عليه ، لقد ظننت أنه صديق و تسامحت معه " . ابتسم المدعى العام بوقار و قال لجاك " رويدك يا سيدي ، رويدك " ثم ضغط على أحد الأزرار أمامه ، فدخل رجل شرطة آخر " أحضر لى المتهم الثانى " . بعد قليل فتح الباب و دخل توم يرافقه رجل شرطة ، كانت يداه مقيدتين . نظر إليه المدعى العام و قال " هيا يا سيد كيم أو توم ، أخبرنا بقصتك

" . بدأ توم يروي قصته من أولها إلى آخرها ، و عندما انتهى ، نظر المدعي العام إلى جاك و قال " يؤسفني يا سيد جاك أن أقول لك أنك موقوف ، و قيد الاعتقال " . اضطرب جاك قال " أريد أن أطلب محامي يا سيدي ، و أريد أيضاً أن أتكلم مع والدي " . أجابه المدعي العام "لك الحق في ذلك ، و الآن أيها الضابط ، خذهما " . هنا نهض سام قائلاً " لحظة يا سيدي " ثم اقترب من جاك و قال له " أريد أن أسألك سوآلاً واحداً يا جاك لماذا ؟ لماذا فعلت ذلك بي ؟ " . صمت جاك و لم يتكلم ، كان وجهه شاحباً مصفراً ، نكس رأسه إلى الأرض و لم يتكلم " - " حسناً أيها الضابط خذهما " قال المدعي العام ذلك ثم توجه لسام بالقول " و الآن يا سيدي ، عندما تنتهي إجراءات التحقيق هنا ، سنقدمهما إلى القضاء " . - "أشكرك يا سيدي على جهودك معنا .. هيا بنا يا جيم " .

في الطريق سأل سام المحامي جيم " لقد قال هذا السافل إنه يريد محامياً ترى ماذا يمكن أن يفعل ؟ " - " اطمئن يا سام ، إنه لن يستطيع فعل أي شيء .. كل الأدلة و الوثائق تدينه بشكل قاطع ، و هناك شهود من البنوك التي سحب منها و التي أودع فيها ، ليس هذا فقط ، بل هناك صور لهما بالفيديو التقطها كاميرات البنوك هناك بالتاريخ نفسه " . سأل سام باهتمام " و ما هي العقوبة التي ممكن أن يقضيانها؟؟ " - " إنها تتراوح من خمس إلى عشر سنوات في السجن " . نظر سام إلى المحامي جيم قال " أريدك أن تعمل على أن ينال أقصى العقوبات " .

بدأت الإجراءات القانونية لمحاكمة جاك و توم . و في ذلك اليوم ، اتصل المحامي جيم بسام ... " سام لقد اتصل اليوم والد جاك و قال إنه يريد أن يراك " سأل سام " ماذا يريد مني ؟ " . أجاب جيم " لا أدري ، لم يقل لي ، و لكن على الأرجح أنه يريد تسوية الأمر ، لقد طلب مني إخبارك بأن تذهب إليه " .

انفعل سام و قال " يا لوقاحته و قلة أدبه يريد أن أذهب أنا إليه ، ليس هذا فقط ، بل يخبرني عن طريقك أنت ... حسناً قل له إنني متأسف و أعتذر عن الحضور " . في اليوم التالي ، كان سام في المكتب يراجع بعض الأوراق عندما دخلت السكرتيرة و أخبرته أن هناك شخصاً يقول إنه والد جاك ، يريد رؤيته " حسناً دعيه يدخل " . دخل الرجل و ألقى التحية على سام ببرود ثم جلس على الكرسي المقابل و أخرج سيجاراً و أشعله ، ثم وضع رجلاً فوق رجل و قال لسام من دون أن ينظر إليه ، و بشيء من الكبرياء " أظن أنك تعرف لماذا أتيت إلى هنا " . أشعل سام هو الآخر سيجاراً ضخماً و قال و هو ينفث الدخان في الهواء " كلا يا سيدي ، في الواقع إنني لا أعرف لماذا أنت هنا " . أجاب الرجل ببرود "إنني هنا لأجل تسوية الأمر نقودك سوف تعود إليك ، و فوقها الفوائد المترتبة عنها ، و فوقها مئة ألف دولار " . فقال سام ببرود " مقابل ماذا؟ " - " مقابل أن تسحب الدعوى التي أقمتها ضد ولدي جاك " . نظر سام إلى السيجار الذي كان معه و قال " و لكن أنت تعرف يا سيدي أن الأمر قد أصبح بيد القضاء و لا أستطيع فعل أي شيء " . نظر الرجل إلى سام و قال بهدوء " بل تستطيع تستطيع أن تسقط حقه ، و هذا يخفف الحكم عن جاك كثيراً " - " و لماذا تريد تخفيف الحكم عن جاك؟ " . نظر الرجل إلى سام باستهجان و قال ببرود شديد " لأنه ولدي " . نظر سام إليه و قال " و أنا ، ماذا عني ؟ " أجاب الرجل " كما قلت لك ، أنت ستعود إليك نقودك و معها الفوائد و الإكرامية " - " هكذا بهذه السهولة ؟ " . احتد الرجل و قال " ماذا تريد إذاً ؟ " أجاب سام بهدوء " أريد أن ينال ولدك جزاءه العادل ، لن أسقط حقي في هذه القضية " . حدق الرجل بسام و قال له " أنصحك يا بني أن تفعل ذلك " سأل سام " هل هو تهديد ؟ " . أجابه الرجل " عده كما تشاء ... إنني لن اسمح لأحد بأن يتسبب بالضرر لولدي " . نهض سام من خلف طاولته و وقف أمام الرجل و قال له " و لكنك تسمح لابنك بأن يتسبب بالضرر للناس ، تسمح له بأن يخون أصدقاءه و شركاءه و يتسبب بإفلاسهم و تدمير حياتهم " . أجابه

الرجل " و لكننا سنعوض عليك " فرد سام " آسف يا سيدي ، التعويض لا ينفع الآن ربما كان ذلك ممكناً قبل انكشاف أمر ولدك أو إلقاء القبض عليه ثم لنفرض أنه لم ينكشف أمره ، فمن كان سيعوض علي ؟ .. هل كنت ستأتي إلى هنا يا سيدي و تعرض علي هذا العرض السخي الكريم !!! ثم لا تنس أن ابنك لم يسرق قسماً من مالي ، بل سرق مالي كله و لم يترك منه شيئاً ، أي أنه كان يريد تدميري بالإضافة إلى سرقتي .. فلماذا إن ابنك يا سيدي قد سبب لي الكثير من المعاناة و التعب و الألم ، و لن أسامحه على ذلك يجب أن يدفع ثمن فعلته " . نظر والد جاك مرة أخرى إلى سام بعمق و قال "أكرر نصيحتي لك يا بني بأن تقبل عرضي ، و إذا أردت ، نستطيع أن نزيد المبلغ قليلاً ، و إلا فإني لن أتسامح ، و أنت تعرفني و تعرف نفوذي " . عاد سام إلى كرسيه خلف الطاولة و قال للرجل بهدوء شديد " و أنا أقول لك أنني لن أتسامح مع أي تهديد ، و سأحرص على أن ينال ولدك جزاءه العادل ، و أرجو منك يا سيدي في المرة القادمة أن تأتي بناء على موعد مسبق ، و فيما يخص موضوع ولدك ، فكلامك يكون مع المحامي . سرني لقاءك يا سيدي " . خرج والد جاك من المكتب غاضباً ، فرفع سام الهاتف و اتصل مع المحامي جيم و أخبره بالموضوع .. " لا تقلق يا سام ، المحاكمة ستستمر ، و لكن كن على حذر ، فالرجل فعلاً له نفوذه " . فرد سام عليه " و أنت أيضاً كن على حذر ، فقد يحاول منعك بطريقة أو بأخرى " . أقفل سام الخط و اتصل مع الدكتور بروكلمان و دعاه إلى العشاء في أحد المطاعم .

في المطعم جلس سام و الدكتور بروكلمان يتحدثان . شرح سام ما حصل معه الليلة بشأن والد جاك " على كل حال يا سام ، كن على حذر " . انفعل سام و قال بجدة " و لكن ألا يوجد هنا بوليس ، ألا يوجد قانون ؟ " - " و هل تظن أنه سيتسبب لك بالمتاعب هكذا و بشكل مباشر ؟ .. لا إنه ممكن مثلاً أن يحاربك في السوق .. ممكن أن يمنع بعض التجار من التعامل معك ، ممكن أن يتسبب لك

بالمشاكل بشكل غير مباشر ، و من دون أن يكون هو في الواجهة" . فكر سام قليلاً ثم قال " برأيك ماذا يمكن أن يفعل يا دكتور ؟ " ابتلع الدكتور بروكلمان طعامه و قال " برأيي إن أول شيء يفكر فيه الآن ، هو إخراج ابنه من هذا المأزق ... لقد وضع له كبار المحامين ، و لا أظن أنه يفكر الآن بالتحرك ضدك .. أظن أنه سيرى الآن ما ستسفر عنه المحاكمة أولاً ... و لكن ربما يتجه نحو جيم " . شرب سام من كأسه و قال " لقد فكرت في ذلك و حذرت جيم " - " لا تخش شيئاً على جيم ، إنه رجل مستقيم ، و أنا أعرفه" . قال الدكتور بروكلمان ذلك ثم صمت كأنه يفكر بشيء . نظر إليه سام و سأله " هل هناك شيء يا دكتور ؟ " . أجاب الدكتور و هو ينقر بالشوكة على صحن الطعام " لقد استرعى انتباهي الحادثة التي جرت بينك و بين والد جاك ، و استوقفتني عبارة قلتها أنت له لقد قلت له إن ولده قد سلبك نقودك و لم يترك معك شيئاً و إنه كان بذلك يريد تدميرك و ليس سرقتك فقط " - " هذا صحيح يا دكتور ، و لو لم تكن المئتي ألف دولار المتبقية معي ، موجوده بالصدفة في مكان آخر ، لكنت بعت منزلي و سيارتي ، و كل ما أملك " . وضع الدكتور بروكلمان الشوكة و السكين من يديه و قال "لقد خطر لي خاطر الآن إن لجاك دافعاً آخر غير دافع السرقة ، لأنه لو أراد أن يسرق فقط ، لترك على الأقل مبلغاً معيناً يكفيك ، و لكنه سحب كل المبلغ و لم يترك لك شيئاً " . وضع سام هو الآخر الشوكة و السكين من يديه و قال و قد بدا عليه الاهتمام " و لكن ما هو هذا الدافع يا دكتور " هز الدكتور بروكلمان رأسه نائفاً و قال " لا أدري يا سام ، عليك أنت أن تعرف ، أنا أقول ذلك من باب التخمين و الاستنتاج فقط " حذق سام بالدكتور و قال " و لكن كلامك منطقي و معقول " . في تلك اللحظة جاء النادل إلى الطاولة و قال لسام " هناك مكالمة لك يا سيدي " . ذهب سام إلى الهاتف ، كان المتكلم هو المحامي جيم " سام لقد توقعت أنك هنا ، قبل قليل اتصل معي والد جاك و قدم عرضاً " - " عرضاً لك أم لي ؟ " - " بل عرضاً لي يا سام .. إنه يعرض علي أن أترك القضية لقاء مبلغ محترم ، و لكنني رفضت ذلك " - " برافو يا

جيم ، كن على حذر ، هذا الرجل لن يدع الأمر يتم بسهولة هكذا " ، أغلق سام السماعه و عاد إلى الطاولة .. " لقد حدث كما توقعت يا دكتور ، لقد اتصل والد جاك مع المحامي جيم و عرض عليه الانسحاب من القضية لقاء مبلغ محترم " . عاد سام إلى المنزل في ذلك المساء و هو يفكر بكلام الدكتور بروكلمان "معقول ، معقول جداً و لكن لماذا يفعل هذا السافل اللئيم ذلك ؟ و ما هو دافعه غير السرقة ؟ " .

اقترب موعد المحاكمة و قبل يوم واحد ، اتصل المحامي جيم مع سام "سام إنني أتكلم معك من المستشفى " . انتفض سام و قال بانفعال "ماذا ماذا تقول يا جيم ؟ ما الذي ذهب بك إلى المستشفى !!؟؟ " - "لقد كدت أقتل اليوم ، هناك سيارة حاولت صدمي ، و أنا خارج من منزلي إلى المكتب ، و لكنني تفاديتها في اللحظة الأخيرة فسقطت على الرصيف و حصلت معي بعض الرضوض " - " حسناً يا جيم أنا قادم إليك في الحال " . اتصل سام مع الدكتور بروكلمان و ذهباً إلى المستشفى . و هناك و جدا جيم راقداً في السرير " ألم أقل لك يا جيم أن تتوخى الحذر ... إنه والد جاك بالتأكيد ، لا بد من رفع دعوى ضده " - " و لكننا لا نملك دليلاً ضده يا سام " - " ألم تتعرف على السيارة يا جيم ؟ " - " للأسف لم أتبينها جيداً ، لقد لاذت بالفرار بسرعة " . ربت سام عليه و قال " المهم الآن هل تستطيع النهوض ، غداً يوم المحاكمة " - " أظن أنني أستطيع إذا استرحت الآن ، وعلى كل حال لقد أبلغت البوليس و وضعوا لي حراسة خارج الغرفة " - " نعم ، نعم لقد لاحظنا ذلك ، و الآن هل أنت واثق أنك تستطيع الحضور غداً " . ابتسم جيم و قال " نعم ، نعم إذا بقيت هكذا مرتاحاً " .

فغى اليوم التالى ، بدأت محاكمة جاك و توم . حضر الجلسة كل من سام و الدكتور بروكلمان و المحامى جيم و والد جاك و محاميه . كانت محاكمة طويلة حاول فيها محامى جاك باستماتة الدفاع عنه و محاولة تخفيف الحكم ، بجعل توم هو المسؤول ، و لكن محاولته لم تستطع إقناع القاضى و هيئة المحلفين كثيراً ، لقد كانت الأدلة كلها ضد جاك ، و هذا ما استطاع المحامى جيم إقناعهم به . انتهت الجلسة و كانت فرص جاك ضئيلة جداً ، و تحدد الموعد الثانى للمحاكمة و إصدار الحكم بعد أسبوع . عاد سام و الدكتور بروكلمان و المحامى جيم إلى المنزل ليقيموا الوضع ، و فى الطريق قال الدكتور بروكلمان ضاحكاً " مسكين توم ، لم يدافع عنه أحد ، الجميع كانوا يطالبون برأسه ، لقد كان هجوم محامى جاك عليه أشد من هجومك عليه يا جيم " . أجاب المحامى جيم " هذا شيء طبيعى يا دكتور ، لأنه كلما كانت إدانة توم قوية ، كلما خف الضغط عن جاك ، و العكس صحيح ، أى كلما خفت إدانة توم ، كلما زادت إدانة جاك ، و محامى جاك كان ينطلق من هذه النقطة ، و لهذا كنت أنا لا أهاجم توم كثيراً ، لأن هدفى هو جاك " نظر سام إلى جيم بمرآة السيارة العاكسة و قال " إن فرص جاك باتت ضئيلة ، أليس كذلك يا جيم؟ " لا يا سام ، هناك مخرج وحيد قد يخفف العقوبة عنه إلى حد كبير ، و أعتقد أنهم سيلجؤون إليه " - " ما هو ؟؟؟ " - " أن يدعى توم أنه هو الذى أغرى جاك بعمله هذا ، و أنه هو المسؤول الوحيد عن سرقة المال و هو الذى خطط و نفذ " . فسأل الدكتور بروكلمان " و لكن ماذا بشأن اعترافه السابق ؟ " - " يدعى أنه فعل ذلك ليرفع التهمة عنه و يلقبها على جاك " . فسأل سام بلهفة " ماذا لديك لتفعله حيال ذلك يا جيم ؟؟؟ " . أجاب جيم " فى الواقع ليس لدى الكثير لأفعله و لكن سأحاول و أتمنى ألا يخطر ببالهم هذا الموضوع " . أشار سام قائلاً " لقد كان يوماً حافلاً أياًها السادة ، ما رأيكم أن نذهب إلى الغداء و نكمل الكلام هناك ، و لكن فى البداية سأمر قليلاً على المكتب و من هناك نذهب إلى المطعم " . أعطى سام إشارة ضوئية و انعطف فى الشارع المعاكس ، و عندما وصلت السيارة إلى المكتب ، كان هناك ازدحام و حشد كبير من

الناس و سيارة إطفاء ، و فجأة صاح الدكتور بروكلمان " انظر يا سام إن مكتبك يحترق . أوقف سام السيارة فوراً و نزل الثلاثة مهرولين . كان رجال الإطفاء قد تمكنوا من إخماد النار ، و لكن المكتب قد تضرر كثيراً بحيث لم يعد من الممكن استخدامه . حضرت الشرطة للتحقيق و تم تدوين محضر بذلك ، و جاء في الحيشيات أن الحريق يشبه بأنه نتيجة لماس كهربائي . استشاط سام من الغضب و ذهب إلى ضابط الشرطة الذي كان يعاين المكان و طلب تسجيل إفادة ضد والد جاك . سأله الضابط " هل أنت متأكد يا سيدي من أنه هو الفاعل؟؟ " . أجاب سام بثقة " نعم يا سيدي ، لقد طلب مني منذ فترة إيقاف الدعوى التي رفعتها ضد ولده جاك ، و قال هذا بنوع من التهديد " . سأل الضابط مرة أخرى "هل كان هناك شهود معكم ، أو هل لديك إثبات بذلك ؟ " . أجاب سام بالنفي ، فقال له الضابط " آسف يا سيدي لا أستطيع فعل شيء ، إلا إذا كان هناك دليل قوي . ونحن نحتاج إلى إثباتات قوية لتوجيه الاتهام " . عندما غادر الضابط ، ذهب سام إلى اقرب هاتف عمومي و اتصل بمنزل والد جاك ، فردت عليه الخادمة " قولي لسيدك إنني سأجعله يدفع الثمن غالياً ، و سأحرص على إنزال أقصى العقوبة بولده السافل ، ليس هذا فقط ، بل سأنشر الأمر في الصحف و المجلات و سأفضحه " .

في اليوم التالي اتصل المحامي جيم بسام . " سام لقد علمت أنهم اتفقوا مع توم على أن يسحب اعترافه عن جاك و يتحمل هو المسؤولية " . صاح سام بقلق " أرجوك يا جيم ، أرجوك افعل أي شيء ، لا أريد لهذا السافل أن ينجو " - " حسناً يا سام سأفكر بالأمر و أخبرك النتيجة " - " افعل يا جيم أي شيء ، أي شيء يا جيم " . أغلق سام السماعة ، و أخذ يجوب الصالون جيئة و ذهاباً ، كان متوتراً جداً . في المساء جاء الدكتور بروكلمان و بعده بقليل ، جاء المحامي جيم " . سأله سام بلهفة " أخبرني يا جيم هل توصلت إلى شيء " صمت جيم قليلاً ثم قال " في الواقع يا سام ، ليس هناك إلا حل واحد " قال سام بسرعة و انفعال

" افعله يا جيم ، افعله يا عزيزي " . نظر جيم إلى سام و قال " يجب أن نعقد نحن أيضاً اتفاقاً مع توم " - " كيف؟؟؟ " - " تسقط حقلك عنه مقابل بقاءه على اعترافه السابق " . انتفض سام بغضب و قال "مستحيل يا جيم ، مستحيل .. هذا يعني أنه سينجو بفعلته ، إن حقدني على هذا السافل لا يقل عن حقدني على جاك " . هز جيم برأسه ورفع يديه قائلاً " يبدو أنه يجب عليك أن تضحى يا سام " . جن جنون سام و قال بانفعال " و لكن لماذا يقبل معهم يا جيم !!!؟؟؟ " . أجاب جيم بهدوء " من الطبيعي أنه سيقبل ، لأنه واقع لا محالة ، و عندما يعرض عليه مبلغ ضخم مقابل تحمله وحده العقوبة ، سيقبل لا شك ، و يحتمل زيادة السجن سنتين أو ثلاثة " . ضرب سام بيديه و قال " و الآن ما العمل " . أجابه جيم " العمل هو كما قلت لك يا سام تسقط حقلك عنه مقابل ثباته على موقفه " سأل سام بقرف " ماذا يحصل في هذه الحال ؟ " - " في هذه الحال سيطلقون سراحه بكفالة و يحملون جاك العقوبة وحده " - " إنني لا أستطيع تقبل هذه الفكرة بسهولة ... لا أستطيع تخيل ابن السافلة هذا طليقاً " . و هنا تدخل الدكتور بروكلمان الذي كان صامتاً طوال الوقت " قل لي يا سام ، ألا تلعب الشطرنج؟ " . أجاب سام بضيق " نعم يا دكتور " سألته الدكتور " ألا يوجد هناك في الشطرنج حجارة اسمها البيادق ؟ " - " نعم يا دكتور يوجد مثل هذه القطع " - " ما هو دورها يا سام ؟ " . أجاب سام بتبرم " حماية القطع الأكبر منها " . أضاف الدكتور بروكلمان " أو التضحية بها للوصول إلى القطعة الكبيرة ، أليس كذلك يا سام ؟ " . فكر سام لبرهة ثم قال " نعم ، نعم إنه كذلك " . وقف الدكتور بروكلمان و أشار إلى سام قائلاً " حسناً يا سام ، إن توم هنا يمثل حالة البيدق ... و لكنه هذه المرة بيدق مشترك بينك و بين جاك ، إما أن تستخدمه أنت للليل منه ، أو يستخدمه هو للليل منك ، و أنت الأوفر حظاً باستخدامه يا سام " - " لماذا يا دكتور؟؟؟ " - " لأن توم سوف يفضل الحرية مع مبلغ من المال ، على السجن مع مبلغ آخر " . ضرب سام بيديه و قال " و تريدني أن أدفع له أيضاً يا دكتور " . هز الدكتور بروكلمان رأسه بالإيجاب " نعم يا سام ، إذا تطلب الأمر ذلك " . و هنا

قال جيم " هيا يا سام، عليك أن تختار ، إما جاك و إما توم .. إما جاك طليقاً ، و إما توم طليقاً " . ارتسى سام على الأريكة و اتكأ برأسه على يديه و قال بغصة مرارة كبيرتين و بصوت متهدج " في هذه الحال .. أختار توم طليقاً " - " عظيم يا سام ، إذا سأبدأ من الغد و بشكل سري ، الاتفاق مع توم " . سأل الدكتور بروكلمان " و إذا خدعك و لم ينفذ الاتفاق ؟ " . أجابه جيم بثقة " اطمئن ، سأعلمه أن سام لن يسقط حقه عنه إلا بعد أن يثبت اعترافه السابق في المحكمة (ثم التفت إلى سام قائلاً) و أفضل أن تكون موجوداً معي يا سام لتكلمه بنفسك " . زجر سام قائلاً " إنني لا أطيق النظر إليه " . رد الدكتور بروكلمان " هيا يا سام ، إننا لا نستطيع أن نصل إلى كل ما نريد في هذه الدنيا و كما نشاء ، و كل شيء له ثمن ، و ليس هناك شيء من دون مقابل أو ثمن ، حتى و إن كان آجلاً " .

في اليوم التالي التقى سام و المحامي جيم مع توم في غرفة الزيارة ، و تعهد له سام بإسقاط حقه عنه و دفع أي كفالة تترتب عليه مقابل البقاء على اعترافه السابق ، و جعل الأمر سراً بينهما مع التظاهر بقبول عرض جاك " . طأطأ توم رأسه و قال "أنت تعرف يا سيد سام ، أنني عندما أخرج من هنا ، فلن يكون هناك مورد يعيلني " . نظر سام إلى توم بقرف و قال " لا بأس يا توم سأؤمن لك مبلغاً يساعدك على تدبير أمورك ، و سأدفع تكاليف الطائرة ، لترجع إلى بلادك " . أبقى توم رأسه مطأطأً و قال لسام " أشكرك كثيراً يا سيد سام ، و أنا آسف حقاً لما حصل ... صدقني ، أنه لا يد لي في ذلك ، إن كل ما حصل هو من تخطيط و تنفيذ جاك " . نظر سام إلى توم و قال " هناك أمر واحد يا توم أريد أن أعرفه منك " - " ما هو يا سيدي ؟ " - " لماذا سحب جاك كل المبلغ و لم يترك لي شيئاً ولو حتى مبلغاً صغيراً أعيش منه ؟ " - " لا أدري يا سيدي " - " هيا يا توم ، أعرفك ذكياً ، لا تدعني أترجع عن قراري " . نظر توم إلى سام ببلاهة و قال " إنني لا أفهم بالضبط ماذا تقصد يا سيدي ، أوضح لي من فضلك " فتدخل المحامي جيم

قائلاً " إن السيد سام يريد أن يقول لك ، أن دافع جاك ليس فقط السرقة ، بل هناك دافع آخر غير السرقة ، أي أنه كان يريد الإساءة إلى السيد سام ، فلماذا يا توم ؟ هل سمعت منه شيئاً بهذا الخصوص ؟ هل قال أمامك شيئاً يدل على ذلك ؟ " . صمت توم يفكر ، و بعد قليل قال له جيم " هيا يا توم سينتهي وقت الزيارة " . رفع توم رأسه و قال " إنني لا أعرف بالضبط لماذا يريد جاك لك الإساءة فهو لم يطلعني على ذلك ، و لكنني أذكر أنه عندما سحب كل المبلغ من البنك ، قال ... و الآن لنر ماذا سيفعل ذلك الفلاح نصير حزب الشعلة ، و أذكر أيضاً أنه أجرى اتصالاً هاتفياً بمؤسسة تدعى إلفا و قال للمتكلم ... قد تمكننا من هذا النذل .. " سأله جيم " هل تعرف من هو الشخص الذي تكلم معه ؟ " . رد توم " لا و لكنني اذكر أنه قال له .. يا هنري .. هذا كل ما أعرفه " . نظر سام مرة أخرى إلى توم قال له " أيضاً هناك أمر آخر يا توم " - " ما هو ؟ " - " ليزا ؟ " - " ما بها ليزا ؟ " - " هل كانت تحبني فعلاً يا توم " - " لا أدري يا سيدي " انفعل سام قليلاً و قال " كيف لا تدري ، هيا أجيني ، أنا واثق من أنك تعرف عنها شيئاً ... هل كانت متفقة مع جاك ؟ ... هيا يا توم ، إنك ذكي " . صمت توم لم يتكلم . فصرخ به سام " هيا أيها الغبي تكلم " - " في الواقع يا سيدي لا لم تكن تحبك ، ليس هذا فقط بل إن جاك كان يضاجعها دائماً ، و قد قال لي مرة " مسكين هذا الأحمق سام ، إنه يظن أن ليزا تحبه ، و لكنها ملكي أنا " . صعد الدم إلى رأس سام ، و بنوبة غضب شديدة ، قفز من كرسيه إلى فوق الطاولة و هبط على توم كالصقر الذي ينقض على حمامة بائسة ، و أمسكه من خناقه بقوة و دفع به إلى الحائط بعنف . فصاح توم بصوت متحشرج ، متهدج ، مخنوق " أرجوك يا سيد سام ، ستقتلني " . أسرع المحامي جيم و أمسك بسام محاولاً سحبه إلى الخلف ، كان سام مكشراً عن أنيابه كالحيوان المفترس و عيناه محمرتان و جسده يرتجف من الغضب ، الصق وجهه بوجه توم و ثبت نظره في عينيه و قال له بصوت هادر " اسمع يا توم ، سأتنازل عن حقي ضدك بالكامل ، و سأدفع كفالتك مهما كانت ، و سأعطيك خمسة و عشرين ألف

دولار ، و سأؤمن لك عملاً إذا أردت ، في بلدك و لكن أريدك أن تحمل جاك كل المسؤولية ، و ستشرح للمحكمة بالتفصيل ما قام به ، أفهمت يا توم ؟ ... هل فهمت أيها الأحمق " قال سام ذلك و هو يصرخ من الغضب ، و هنا فُتح باب الغرفة و دخل شرطي و هو يسأل "ماذا هناك " . اعتدل سام في وضعيته و قال مبتسماً " لا شيء أيها الشرطي ، لا شيء " . فرد الشرطي " على كل حال انتهى وقت الزيارة " - " حسناً لا بأس إلى اللقاء يا توم و لا تنس اتفاقنا " . خرج سام و المحامي جيم ، و عند الباب التفت جيم إلى توم و قال له " هذه هي فرصتك الأخيرة للنجاة " .

عاد سام إلى المنزل ، في الطريق كان عقله بليزا " سأصفي حسابي معك يا ليزا ، بعد أن أنتهي من جاك ، سيكون حسابك عسيراً " . و وصل إلى المنزل و أوقف السيارة في ساحة المبنى الداخلية . أطفأ المحرك و بقي جالساً خلف المقود ، لم يكن لديه رغبة بالنزول من السيارة ، أمسك المقود و وضع رأسه عليه و أخذ يبكي كالولد الصغير . بعد قليل ، فتح الباب و نزل من السيارة و سار نحو المنزل ببطء . دخل إلى الصالون ، صب كأساً من الويسكي و أشعل سيجاراً ، ثم لم تلبث دموعه أن بدأت تنهمر من جديد " كل الناس أشرار ، الشر في كل مكان لا يوجد مكان للحب في هذه الدنيا مستحيل ، مستحيل ، كأنني في حلم لا ليس حلم ، إنه كابوس رهيب لا ينقطع حتى أنت يا ليزا ؟ ... حتى أنت ؟ تصوري أنني كنت سأغفر لك ما فعلته بي ، بعد إفلاسي ، لأنني ظننتك تبحثين عن المال فقط و قلت في نفسي ربما معها حق ، أما أنك كنت تخونيني و أنا أعقد عليك الهدايا و المال و المجوهرات ، فلن أسامحك أبداً يا ليزا .. لا يا ليزا ، في هذه الحالة ستدفعين الثمن ، هناك فاتورة بانتظارك ، ستدفعينها يا إلهي هل معقول أن كل الناس بلا رحمة و لا شفقة و لا قلب ؟ يا إلهي لماذا يحصل كل هذا معي ؟ .. لماذا ؟ أشعر أنني بلا قلب ، أشعر أن قلبي قد أصبح حجراً ، ليس هناك حب في الدنيا . هل من المعقول أن

تكون أيها الملاك شيطاناً؟ لا ، لا أظن ذلك إن الشياطين هم هؤلاء الناس المخادعون السفلة .. هم جاك ، هم أندريه ، هم ليزا ، هم توم ، هم هؤلاء الكلاب الذين تخلوا عني " . فجأة تذكر كلام أستاذ الفلسفة الشر هو الذي يصنع الحضارة ... " هل هذا معقول؟ " . ظل هكذا يشرب و يدخن و يفكر " هذه هي حياتي ، كلها متاعب و مفاجآت و صدمات لماذا؟ .. لماذا يفعل الناس هكذا ؟ ... لم اعد أعرف من هو السيئ و من هو الصالح ، ما هو الخير و ما هو الشر ، من هو الملاك و من هو الشيطان " .

بدأت الجلسة النهائية للمحاكمة . جلس سام و المحامي جيم و الدكتور بروكلمان ، و جلس والد جاك مع محاميه ، بينما قبع جاك و توم في قفص الاتهام . كان جاك ينظر إلى سام ، و على وجهه ابتسامة صفراء . كذلك والده الذي كان هو الآخر ينظر إلى سام نظرة فيها شيء من الترفع و الاستهانة . أما سام فقد كان يضع رجلاً فوق رجل ، و بيده نكاشة أسنان ينكش بها أسنانه بنوع من اللامبالاة و ينظر إلى جاك بعيون ثابتة " سنرى أيها الولد المدلل من سيكون الفلاح منا تظن نفسك أنك ستخرج من هنا؟ حسناً سأريك ماذا يمكن أن يفعل بك هذا الفلاح " قال سام ذلك في نفسه ثم نظر إلى والد جاك و قال أيضاً " ستكون مفاجأة كبيرة لك أيها العجوز المتحاذق ، سألقنك درساً لن تنساه ، سيكون هذا أول درس لك " . دخل القضاة إلى قاعة المحكمة ، و اتخذ المحاميان مكانهما ، بينما جلس المحلفون في أماكنهم ، كان سام قد دعا الصحافة للحضور . أعلن القاضي بدء المحاكمة ، فعدل كل من سام و والد جاك من جلستهما . بدأت المحاكمة بالاستماع إلى الشهود الرئيسيين ، و بعد ذلك بدأ محامي جاك المرافعة ، فدافع عن جاك و قال إنه لا علاقة له بما نسب إليه و أن توم هو الذي شجعه و هو من خطط و كان صاحب الفكرة و أن جاك كان ضحية له ، و في النهاية أعلن أن توم لديه ما يقوله في هذا الشأن . صمت جميع من كان في

القاعة ، و توجهت الأنظار كلها إلى توم الذي كان مطأطأ الرأس قليلاً . مرت فترة من الصمت و الهدوء في المحكمة و توم ساكت ، و خلال هذه الفترة كان كل من جاك و سام يحدقان أحدهما بالآخر بتحدٍ و من دون أن يرف لكل منهما جفن ، كانت عملية التحديق أشبه بمبارزة لوي الأذرع بين رجلين يجلسان على طاولة ، كان تردد توم في الكلام يشعر كل منهما بالخوف . قطع صوت القاضي الصمت في المحكمة " هل هناك ما لديك لتقوله يا سيد كيم أو توم ؟ " . رفع توم رأسه بهدوء و قال بصوت خافت " نعم يا سيدي " - " حسناً تفضل ، الكلام الآن لك " - " في الواقع يا سيدي إن كل ما قاله السيد المحامي الآن ، هو غير صحيح إطلاقاً إن جاك يا سيدي هو الذي دفعني لذلك و هو الذي خطط لكل شيء " . أعاد توم تأكيد اعترافه السابق بحق جاك ، و أضاف ما قاله جاك عن سام . علا الضجيج في القاعة ، و أخذ جاك يصرخ " كاذب ، إنه كاذب " . ضرب القاضي بمطرقة طالباً من الجميع الهدوء ، بعد ذلك نهض محامي سام السيد جيم و قال " سيدي القاضي ، إن موكلي السيد سام لديه ما يقوله في هذا الشأن " . أشار القاضي إلى سام بالقول " تفضل يا سيد سام ، الكلام لك الآن " . نهض سام بهدوء و نظر إلى جاك و إلى والده ثم قال " سيدي القاضي ، بعد كل الذي قاله المدعو كيم و الملقب بتوم و بعدما سمعتم كلام الشهود ، أصبح لدي قناعة بان توم هو شخص مغرر به ، و إنني بناء لذلك أعلن إسقاط حقي الشخصي ، و ليس لي أي ادعاء عليه " . علا الضجيج مرة أخرى في القاعة ، ف ضرب القاضي بمطرقة طالباً الهدوء ، و بعد أن تشاور مع مستشاريه ، طلب القاضي سماع رأي هيئة المحلفين ، كان هناك إجماع لديهم بأن جاك هو المذنب . عاد القاضي مرة أخرى للتشاور مع مستشاريه ، ثم أعلن استراحة لمدة ربع ساعة ، يتلى بعدها الحكم .

بعد الاستراحة ضرب القاضي بمطرقة و أعلن الحكم " اعتبار المدعو جاك مذنباً بجرائم السرقة و النصب و الاحتيال و التخطيط لهما ، بالإضافة إلى التزوير ، و معاقبته بالسجن لمدة عشر سنوات ، و إلزامه بإعادة

المبلغ المسروق مع الفوائد المترتبة عليه و دفع تعويض إلى السيد سام بنسبة عشرة بالمئة من قيمة المبلغ المسروق . و اعتبار المدعو كيم و الملقب بتوم مذنباً بقبوله عرض المدعو جاك و إغراءه ، و إعفائه من العقوبة ، لإسقاط الحق الشخصي عنه ، و إلزامه بدفع غرامة خمسة آلاف دولار كحق عام " .

في اليوم التالي كانت الصحف تنشر نبأ المحاكمة ، و أخذت الرسائل و البرقيات و الاتصالات تتوافد على سام ، لقد ازدادت شعبيته بين الناس ، و ظهر كبطل مظلوم . في ذلك اليوم دعا سام الدكتور بروكلمان و المحامي جيم إلى حفل عشاء في أحد المطاعم الفخمة ، و في الليل أوصل المحامي جيم إلى منزله ثم ذهب لإيصال الدكتور بروكلمان . و قفت السيارة أمام منزل الدكتور ... " إلى اللقاء يا دكتور ، أراك غداً " فتح الدكتور بروكلمان الباب لينزل ، و لكنه توقف فجأة و التفت إلى سام قائلاً " هناك أمر واحد يا سام " - "ماذا هناك يا دكتور ؟ " - " كيف عرفت بأمر جاك و من أخبرك عن مكان توم ؟؟؟ " . صمت سام و لم يتكلم فسأل الدكتور " هل هو الشيطان الذي حدثتني عنه ؟؟ " . رد سام بشيء من الضيق " أرجوك يا دكتور ، هذا الموضوع لم أعد أريد التكلم فيه " - " هيا يا سام أخبرني ، ألم تعد لك ثقة بي ؟ " . نظر سام إلى سقف السيارة و قال " لا أعرف ماذا أقول لك بالضبط يا دكتور ، إنه أمر غريب و ربما لن يصدقني فيه أحد ، حتى المعلم رالف " . أجاب الدكتور بروكلمان " المعلم رالف غاضب منك جداً يا سام ، وبصراحة و بيني و بينك ، لقد بدأ يتهمك بالجنون و بالتصرفات اللاعقلانية " . التفت سام إلى الدكتور بروكلمان و قال " و أنت يا دكتور ، ما رأيك ؟ " - " أنا رجل علم يا سام ، أتعامل مع الوقائع و القرائن و المنطق ، و لا أحكم على الأمور بظواهرها ، بل أبحث و أدقق فيها ، و لا أستغرب اللا معقول ، بل أحاول إيجاد سبب و تفسير له " . سأله سام " و ما رأيك بكلامي عن الشيطان أو الملاك ، لا فرق " . قال الدكتور بروكلمان " رأيي أنه يجب أن أبحث معك في هذا الموضوع ، ربما هو غير ما تتخيل ، و في الوقت

نفسه هناك دلائل تشير إلى أمر ما كمعرفتك بمكان الذهب في أرض مهجورة قاحلة ، و معرفتك بمكان توم و بأمر جاك " - " أرجع سام رأسه على مقعد السيارة و قال و هو يزفر بعمق " لا أعرف ماذا أقول لك يا دكتور ، أنا نفسي أحياناً ، لا أصدق نفسي " . حدق الدكتور بروكلمان إليه بعمق و قال " ما رأيك أن تأتي غداً إلى العيادة لتحدث قليلاً بالموضوع ؟ " . تنهد سام بعمق و قال "حسناً يا دكتور بعد كل هذا الذي حدث معي ، و كل هذه المتاعب و المشاكل و الصدمات ، أرى أنه من المفيد أن يكون لي جلسة عندك في العيادة .. اشعر أنني بحاجة لها " .

في اليوم التالي ذهب سام إلى عيادة الدكتور بروكلمان ، كان قد أتى بعد موعد الزيارات ، كي لا يكون هناك مرضى . " قبل أن نتحدث يا دكتور ، قل لي ، هل المعلم رالف غاضب مني فعلاً " . أجاب الدكتور بروكلمان و هو ينظر إلى سام " نعم يا سام إنه غاضب جداً و مستاء ، و بخاصة عندما أرجعت له القلادة التي أعطاك إياها ، لطرد الأرواح الشريرة ، و قلت له أن الشيطان أخذها و لم تعجبه " . أجاب سام بانفعال " و لكن هذا ما حصل بالفعل يا دكتور " - " حسناً ، حسناً يا سام ، حدثني قليلاً عن هذا الملاك أو الشيطان الذي رأيته " . أخذ سام يروي للدكتور بروكلمان كيف ظهر له الملاك أول مرة و أعطاه رقم بطاقة اللوتو ، ثم كيف ظهر له في المرة الثانية و أرشده إلى مكان الذهب و أعلمه بأمر جاك و مكان توم . كان سام يتكلم بشكل مختصر و بخطوط عريضة ، و لم يدخل مع الدكتور بروكلمان في التفاصيل . وقف الدكتور بروكلمان و أخذ يتمشى في العيادة قليلاً ، ثم نظر إلى سام و قال له " اسمع يا سام ، من خلال ما أعرفه ، فإنه ربما يكون معك ما يسمى نوع من التخيل الماورائي أو اللاحق للأحداث ، فأنت مررت بظروف صعبة جداً ، و تعرضت لصدمات من صديقك أندريه ، و كنت في أثناء ذلك تقوم بعمل الخير في الجامعة و في مؤسسة المعلم رالف و كنت في الوقت نفسه تكره المال و تعده مصدر تعاسة و ألم و

نتيجة للضغوط المتزايدة و المختلفة عليك ، سحبت بالصدفة ورقة اللوتو و رجحت بالمصادفة أيضاً الجائزة الكبرى في الفترة التي كنت فيها تصد المال و تعده شراً ، فحصل لديك نوع من التنافر الهائل ، و باللا شعور خلقت لنفسك مبرراً لك ، بأن هناك ملاكاً هو من وهبك إياه ، نتيجة لأعمال الخير التي كنت تقوم بها ، هذا ما حصل معك بالنسبة للذهب أيضاً " . التفت سام إلى الدكتور و قال له " و لكن بماذا تفسر معرفتي بأمر جاك و مكان توم ، يا دكتور ؟ " . صمت الدكتور بروكلمان قليلاً ثم قال " حسناً يا سام هل تستطيع أن تستلقي على سرير الفحص ؟ " - " و لكن لماذا يا دكتور ؟ " - " سأنومك مغناطيسياً ، لأحدد المشكلة بالضبط " . استلقى سام على السرير ، وبدأ الدكتور بروكلمان بإجراءات التنويم المغناطيسي ، و عندما دخل سام في مجال التنويم ، طلب منه الدكتور أن يعود إلى المصنع في البلدة و يصف لقاءه مع الملاك . بدأ سام يكرر المقابلة في المصنع ، بعد ذلك طلب منه الدكتور بروكلمان أن يصف لقاءاته التالية مع الملاك ، أيضاً أخذ سام يكرر ما يحدث معه ، و عندما انتهى ، أيقظه الدكتور بروكلمان بحركة معينة من يده . نهض سام ببطء و قال " هل توصلت إلى شيء يا دكتور ؟ " . حك الدكتور رأسه و قال " لا أدري يا سام ، لكن ما بدا لي ، هو أنك كنت تكلم شخصاً آخر ، و هو الشخص نفسه الذي كنت تكلمه في المصنع و الغابة " . سأل سام باهتمام و قلق " و ماذا قال لي يا دكتور ؟ " . أجاب الدكتور " لا أدري يا سام ماذا كان يقول لك ، لأنك كنت تردد كلامك معه فقط و لكن من كلامك فهمت أنه حصل جدال و نقاش بينك و بينه ، في المرة الأولى و بعدها قبل بأن يعطيك المال و كأنه كان هناك نوع من الاتفاق أو الشروط بينك و بينه ، و هذا الأمر تكرر أيضاً في الغابة و قد لاحظت في إحدى مراحل التنويم المغناطيسي ، أنه بدا عليك خوف شديد ، و قد لاحظت أيضاً بأنك كنت تخاطب هذا الشخص بالملاك الخير و الطاهر و الطيب حتى مرحلة معينة و فجأة أصبحت تخاطبه بالشیطان ، و كنت تطلب منه أن يعطيك عنوان توم " . انفرجت أساير سام قليلاً و قال " إذن فكلامي صحيح يا دكتور ؟ " . هز

الدكتور بروكلمان برأسه نافياً و قال " لا أستطيع الجزم بذلك يا سام ، فكلامك مع هذا الشخص ، لا يعني بالضرورة أنه موجود ، فهناك الكثيرون من الناس يتكلمون مع أنفسهم ، و أحياناً يجرون حواراً بينهم و بين شخصية وهمية " . فسأل سام و " و لكن كيف تفسر يا دكتور معرفتي بمكان الذهب و بأمر جاك و بمكان توم ؟ " . اخذ الدكتور بروكلمان يحدق بسام بعمق ، ثم قال " بصراحة يا سام ، إن تفسيري لذلك ، هو أن هناك شخصاً حقيقياً فعلاً ، و هو الذي أمن لك الفوز بالجائزة الكبرى ، و هو الذي أرشدك على مكان الذهب ، و كشف لك أمر جاك و مكان توم و أنت لا تريد الكشف عن هوية هذا الشخص الحقيقية ، فموهت الأمر بأنه ملاك ، و عندما اختلفت معه لسبب ما ، لا أدري ما هو ، بدأت تصفه بالشیطان قل لي يا سام ، هل لك علاقة بأحد ؟ " - "لم أفهم يا دكتور؟؟؟ " - " أقصد هل أنت على علاقة بجهة معينة أو منظمة أو دولة أو أي مصدر آخر؟؟؟ " . أجاب سام بالنفي . فقال الدكتور بروكلمان بشيء من التذمر " هيا يا سام ، هل تريد أن توهمني بأن هناك ملاكاً أو شيطاناً يساعدك؟؟؟ " . رد سام ببراءة " إنني أقول الصدق يا دكتور " . اقترب الدكتور من سام و جلس على الكرسي المقابل له و قال " اسمع يا سام .. إن حصولك على الجائزة الكبرى باللوتو ، و معرفتك بمكان الذهب و مكان توم والشروط و الاتفاقات التي جرت بينك و بين هذا الشخص ، هو دليل واضح على أنك مرتبط بمنظمة ما أو وكالة معينة أو دولة أو ... سمها ما شئت ، و هذه الجهة هي التي تدعمك مقابل أمور و خدمات معينة ، و من الواضح أنها جهة قوية جداً ، و لها ارتباطات قوية ، حتى استطاعت تأمين اللوتو الكبير و مكان الذهب و مكان توم " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان بدهشة و سأله " ماذا تقصد يا دكتور!!؟؟ " . حدق الدكتور بروكلمان بسام و قال له بهدوء "كلامي واضح يا سام " . انتفض سام من مكانه واقفاً و قال " اسمع يا دكتور ، كان بإمكانني إخفاء الأمر عنك و عن المعلم رالف و اختلاق أية حجة أو لماذا أختلق حجة ، الأمور كلها طبيعية ، شيء طبيعي أن يربح المرء اللوتو ،وشي طبيعي أن

يعثر على الذهب كان بإمكانني أن أقول لكم إن هناك شخصاً مجهولاً اتصل معي وأعلمني بأمر جاك و مكان توم " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام بريية و قال " هل تظن هذا حقاً يا سام؟؟ " . نهض سام مرة أخرى من مقعده و قال بضيق " يبدو أنني أخطأت بالتكلم بهذا الموضوع إنني ذاهب " . أمسك الدكتور بروكلمان به و قال " حسناً يا سام ، اهدأ ... اهدأ و اجلس ، على كل حال هذه أسرارك الشخصية و ربما يكون معك حق في هذا و لكن كل ما أريده منك ، هو أن تكون على حذر و الآن ما رأيك أن نكمل حديثنا في المطعم، إنني جائع ، أنت اليوم مدعو على حسابي " .

في المطعم جلس الدكتور بروكلمان و سام يأكلان " و الآن ماذا نويت أن تفعل يا سام ؟ " قال الدكتور بروكلمان و هو يضع قطعة من لحم الضأن في فمه . أجاب سام و هو يأكل " سوف أبدأ العمل من جديد ، و سأوسع عمالي " . أشار الدكتور إلى سام " نعم يا سام ، إنها فكرة جيدة ، و لكن برأيي أنه يجب ألا تعمل في مجال واحد فقط ، بل في أكثر من مجال هناك أمور كثيرة يمكنك العمل بها يمكنك أن تستشير صديقك الملاك ، طالما أنه هو الذي يساعدك " . سكت سام و لم يرد ، فتابع الدكتور كلامه " بالمناسبة يا سام يجب أن تكون على حذر ، فوالد جاك من المؤكد أنه لن يسكت عنك " . فكر سام و سأل " و لكن ما العمل يا دكتور؟ " . وضع الدكتور قطعة أخرى في فمه و قال و هو يمضغها " طالما أنك تمتلك المال يا سام ، فيجب أن تضع لنفسك حماية " . سأل سام " من الشرطة يا دكتور؟ " - " لا ، لا يا سام ، بل حماية خاصة ، أي حراس شخصيين ، أنت الآن أصبحت تمتلك ثروة ضخمة و هذا الأمر كافٍ وحده أن يجعلك تضع حراسة خاصة ، بغض النظر عن والد جاك ... بالمناسبة ، ألا يؤمن لك الشخص أو الجهة التي تتعامل معك ، الحماية " . توقف سام عن مضغ طعامه و قال " أراك مهتماً كثيراً بهذا الأمر يا دكتور؟ " . أجاب الدكتور " في الحقيقة يا سام ، إنه موضوع يثير الفضول " . هز سام برأسه و أشار للدكتور قائلاً " ربما أنا مصاب بنوع من التخيل الماورائي أو اللاحق للأحداث و أرجو ألا

نعود لهذا الموضوع " - " حسناً يا سام كما تشاء " . تابع الاثنان تناول الطعام ، و بعد قليل قال سام " أتدري يا دكتور ، قد أصبح لدي شعور بعدم الثقة ... شعور بالإحباط من جراء كل ما حصل معي ... لقد تفاجئت بأمر كثيرة و بأناس كثر ، تفاجئت بجاك و بليزا و بتوم ، و كلها صدمات قاسية لي ... تصور أنه حتى مؤسسة إلفا كان لها يد في ذلك .. عجيب ، ولكن لماذا ؟ ... لقد وصلت إلى مرحلة أحسست فيها أن كل العالم ضدي .. كل الناس يتآمرون علي .. أحياناً أشعر بالعكس ، أشعر بأن الناس ربما يكونون علي حق ، لكن الخلل مني أنا ، أنا من يرى الأمور مقلوبة رأساً على عقب " أنهى الدكتور بروكلمان مضغ طعامه ثم وضع الشوكة و السكين على الطاولة و قال " برأيي يا سام ، أنه لا هذا و لا ذاك .. الحياة يا سام فيها الخير و فيها الشر ، فيها المتعة و اللذة ، و فيها الشقاء و الألم ... الكون يا سام قائم على التناقض و التضاد ، على السالب و الموجب .. الموجب يعطيك السعادة و الفرح و الثقة بالناس ، و السالب يعطيك الألم و الحزن و الحذر من الناس ... الموجب يعطيك المتعة ، و السالب يعطيك الفائدة بالرغم من كونه سالباً ... ألا تشعر يا سام أن كل هذه الصدمات التي حصلت معك قد صقلتك و أعطتك التجربة و الخبرة و الفائدة ، بالرغم من كونها أحداث مؤلمة و مفاجآت قاسية " . أجاب سام و هو يفكر " نعم يا دكتور ، أشعر إنه كذلك "أكمل الدكتور بروكلمان كلامه " الحياة يا سام تجارب ، و التجارب هي أم العلوم .. كل هذه العلوم و التقنيات التي تراها اليوم أمامك ، قائمة على التجربة .. لا تقل لنفسك ، لقد صدمت بفلان ، صدمت بجاك أو بليزا ... إن كلامك هذا معناه أن جاك و ليزا هم أشخاص طبيون ، و فجأة و من دون سبب أو مقدمات ، أصبحوا أشراراً .. لا يا سام ، الحقيقة هي أن جاك في الأساس شخص سيء ، و ليزا كذلك .. و لكنك أنت من لم يستطع اكتشاف هذا الأمر ، لأنه لم يكن لك تجربة في هذا المجال و أهم شيء في التجربة يا سام ، أن تعممها على أمور مماثلة .. الناس يا سام عبارة عن صناديق مغلقة ، لا تستطيع أن تعرف نواياهم أو ما بداخلهم ، حتى تفتح هذا الصندوق ، و

عندما تفتحه تجد أن هناك صندوقاً آخر بداخله و عندما تفتح هذا الصندوق أيضاً تجد أن هناك صندوقاً
آخرًا .. الناس يا سام ليسوا فقط صناديق مغلقة يوجد بها صناديق مغلقة ، بل أحياناً تفتح الصندوق المغلق
لتجد به لغم أو قبلة موقوتة تنفجر بك بمجرد فتح الصندوق .. فلا تقل إنني صدمت بفلان ، و لكن قل
لي تجربة مع فلان عش تجاربك يا سام ، و لكن حاول ألا يكون الثمن باهظاً ، فالإنسان العاقل و
الحكيم ، هو الذي تكون تجربته لها ثمن أقل من ثمن التجربة التي قبلها و أكبر من ثمن التجربة التي بعدها
و هكذا ، و إلا فهو حمار هذا هو معنى أن تتعلم من تجاربك يا سام " . هز سام برأسه موافقاً و قال "
معك حق يا دكتور .. لكن .. قل لي يا دكتور .. هل كل كل مريض نفسي ، يظهر عليه المرض
النفسي؟؟ " - " هنالك يا سام أمراض نفسية خفية .. هي موجودة لدى كل إنسان تقريباً و لا تظهر إلا
في حالات و ظروف معينة و ضمن شروط محددة تماماً كـ بعض الأمراض العضوية أو الجراثيم التي تكون
كامنة في جسم الإنسان لكنها لا تبدأ بالتحرك إلا ضمن درجة حرارة معينة كالأنفلونزا مثلاً " - " هل
الأمراض النفسية لها علاقة بالتحصيل العلمي للشخص؟؟ .. أقصد هل الشخص المريض نفسياً هو ذو سوية
ثقافية و علمية منخفضة؟؟ " - " لا علاقة للأمراض النفسية بالثقافة و العلم و التحصيل الأكاديمي ..
يمكن لشخص ما أن يكون مريض نفسياً و يحصل على أعلى الشهادات الأكاديمية و يتسلم مناصب إدارية
كبيرة .. تماماً كما هو المرض العضوي الفيزيولوجي ، فيمكن لشخص مصاب بقرحة معدية أن يتابع
تحصيله الجامعي و يتخرج بدرجة عالية و يكون مدير عام لمؤسسة أو شركة ما و الا ترى إلى الأشخاص
المعاقين جسدياً و بهم عاهات جسدية كالشلل و الطرش و العمى و الخرس و مع ذلك يكونوا مبدعين في
مجال التحصيل العلمي أو المهني أي مجال مهني ما كالرسم و النحت و الصناعات المختلفة . ذلك ما يمكن
إسقاطه على بعض الأمراض النفسية تماماً . و العاهات النفسية لا تختلف عن العاهات الجسدية هنا . و كما
يمكن لشخص ما أن يخفي مرضه العضوي ، يمكن لمريض نفسي في حالات معينة أن يخفي مرضه النفسي

عن الناس " سام يسال " متى يمكن يا دكتور أن نقول عن شخص ما أنه مريض نفسياً أقصد بالمعنى العريض العام و ليس الطبي البحت؟؟ " الدكتور يجيب " اسمع يا سام .. ببساطة تستطيع القول و أنتبه حرفياً إلى ما أقول .. تستطيع القول أن الشخص الفاقد للأريحية و البساطة ، ببساطة التعامل العفوي الطبيعي و ليس السذاجة المعروفة .. قد دخل في مجال المرض النفسي و أصبح قابلاً للتدرج به " - " قل لي يا دكتور ... " . الدكتور مقاطعاً " أنت قل لي يا سام ... ماذا ستفعل بشأن توم ؟ " - " سأدفع كفالتة و مصاريف سفره إلى بلده ، و سأعطيه المبلغ الذي وعدته به " - " يبدو أنك بدأت فعلاً تتعلم من تجاربك يا سام " قال الدكتور بروكلمان و هو يضع قطعة أخرى من اللحم في فمه .

صراع و حقائق

بدأ سام حياته العملية من جديد ، فأسس شركة تجارية ضخمة و أعاد تجهيز المكتب من جديد و بشكل أفضل من السابق ، و اشترى المكاتب المجاورة له ، فأصبحت شركته تحتل الطابق كله . قرر أن يعمل في أكثر من مجال في البناء و المطاعم و الكهرباء ، و هنا كان يستعين بجان الذي أثبت أن له خبرة و دراية كبيرين في هذا المجال ... ازداد عدد الموظفين لديه . استدعى كاتيا و عينها سكرتيرة شخصية له ، و أضاف إلى سيارته المرسيدس سيارة أخرى من النوع نفسه ، و لكنها أحدث و أضخم و اشترى أيضاً سيارة جاكوار فاخرة و سيارة رينج روفر ، و استبدل بيته بفيللا فخمة كبيرة في حي البرج بناها على الطراز الحديث . قرر أن يمتلك حراسة شخصية ... باختصار أصبح رجل أعمال من الطراز الأول .

في المكتب جلس يتناقش مع المحامي جيم حول موضوع الحراسة . " و لكن هل أنت متأكد من كفاءتهم يا جيم ؟ " - " طبعاً ، طبعاً يا سيد سام .. إنهم رجال مدربون على جميع الفنون القتالية و القوة البدنية و الرماية ، بقي فقط موضوع السلاح " - "هل الرخص جاهزة ؟ " - " نعم يا سيدي سبعة مسدسات ، ستة للحرس و واحد من طراز (شمايزر) لك أنت ، بالإضافة إلى بندقيتين آليتين " - "اجعلهم ثلاثة

بنادق ... واحدة للمكتب و واحدة للفيللا و واحدة للسيارة " - " و لكن أليس هذا كثيراً يا سيدي ؟ " - " لا يا جيم ، لقد تعلمت درساً من الصراع مع والد جاك ، هل نسيت إحراق المكتب ، و محاولة دهسك بالسيارة ، و إطلاق النار على منزلي القديم ؟ ... ثم لا تنس أن موضوع مؤسسة إلفا لم ينته بعد . إن عمدة المدينة عندما علم بالأمر أعطاني هذه الرخص و طلب مني أن أضع العدد الذي أريده بالمناسبة هل أرسلت له ما طلبه ؟ فزفاف ولده بعد أسبوع ؟ " - " طبعاً يا سيدي و لكن فيما يخص موضوع هنري ، هل عرفت من هو ؟ " - " لقد كلفت جان بهذا الأمر ... أذكر أنه كان يوجد ثلاثة موظفين في مؤسسة إلفا اسمهم هنري ، أحدهم هذا السافل مسؤول شؤون الطلاب و أظن انه هو المطلوب هناك أمر آخر يا جيم ، أظن أنه علينا أن نركز اهتمامنا أيضاً على الصحف ، لقد خدمتنا كثيراً في قضية جاك ، و استخدمني أيضاً في الانتشار ، هذا الصحفي الشاب الذي كتب عن قضية جاك ، أريد أن أوطد علاقتي معه و مع مديره سأكلف الدكتور بروكلمان أن يرتب لي لقاء معه على العشاء ، انظر لقد كتب عني في العدد الذي صدر قبل شهر ، لقد وصفني بأني رجل أعمال ناجح و مؤمن و خير . فجأة رن جرس الأنترفون و ظهر صوت كاتيا " سيد سام هناك سيدة تدعى ليزا تطلبك على الهاتف " تجمد سام في كرسيه ، كانت مفاجأة له ، و لم يلبث أن صعد الدم إلى رأسه . أراد أن يقول لكاتيا أن تجربها بأنه غير موجود ولكنه تراجع في اللحظة الأخيرة ... جميل ، إنها هي من جاء إليه . انحنى فوق الأنترفون و قال " حسناً يا كاتيا .. دعيها تتحدث معي " . رفع السماعة و قال " ألو " . أتاه صوت ليزا " ألو سام هذه أنا ليزا " . سرت في جسده رعشة قوية ، كان صوتها عذباً دخل إلى أعماق قلبه و شله تماماً . فلم يستطع الكلام . أتاه صوت ليزا مرة أخرى " ألو سام ، هل نسيتني هكذا فجأة ؟ " . تمالك نفسه و قال ببرود " ماذا تريدين ؟ " - " أريد أن أراك يا سام ، لقد اشتقت إليك كثيراً ، أهكذا تتخلى عني بهذه السهولة ؟ إنني أحبك يا سام ، أحبك كثيراً ، وبالنسبة لما حصل في النادي .. لم أكن أريد ذلك ، و لكن هم في

النادي طلبوا مني ذلك ... لقد أخطأت يا سام ، أخطأت و أنا أعترف بذلك ... أريد أن أراك ، هل آتي إليك الآن ؟ " . فوجئ سام بالطلب ، فكر قليلاً ثم قال " الآن لا ، إنني مشغول اليوم ، ولكن تعالي غداً في المساء " . أغلق سام السماعه و أخذ يفكر " لقد اشتقت إلي أيتها التافهة الساقطة ... تعالي ، تعالي يا ليزا ، تعالي لتدفعي فاتورتك غداً " . قطع عليه تفكيره صوت المحامي جيم " هل هي ليزا يا سام؟ " - " نعم يا جيم إنها هي بذاتها " - " و ماذا تريد منك ؟ " . نظر سام إلى الحائط أمامه و قال بهدوء وهو يفكر " تقول إنها اشتاقت إلي و إنها تحبني كثيراً .. و إنها تريد أن تراني " . هز جيم رأسه و قال بسخرية " و أين كان هذا الحب و هذه اللوعة و هذا الشوق عندما أفلست و لم يبقَ معك نقود عجيب ألا تحجل من نفسها؟ فظاعة ، أظن أن هذه المرأة لا كرامة لها " . نهض سام من وراء الطاولة و أخذ يمشي في المكتب و هو يفكر ، ثم قال لجيم " لقد رأيت البارحة في التلفاز ، إعلاناً عن سيرك روسي ؟ " . أجاب جيم " نعم يا سيدي ، يوجد في العاصمة سيرك روسي ، جاء لتقديم عروض هنا ، أظن أنه سيرك جيد ، أفكر أن أصطحب زوجتي إليه ، و لكن لماذا تسأل ؟ هل تريد الذهاب إليه ؟ " . أشار سام بيده نافياً " لا ، لا يا جيم ، و لكن لفت نظري البارحة الشياطين التي يستخدمونها مع الحيوانات و يلقنونها الحركات بها " . نظر جيم إلى سام باستغراب و قال " الشياطين؟؟!!؟؟ ما بها الشياطين ؟ " أجاب سام بهدوء و شرود " أريد واحداً منها " . أعاد جيم السؤال باستغراب " و لكن ما حاجتك إليه؟؟! " . أجاب سام و هو يضغط على أسنانه " هنالك حيوانة أريد أن ألقنها درساً لن تنساه أبداً " . تحفز جيم في مكانه و قال بقلق " هل أنت جاد يا سام ؟ " - " نعم يا جيم، إنني جاد كل الجدة ، سأجعلها تعرف من هو سام غداً .. أين يوجد هذا السيرك يا جيم ؟ " - " إنه في الطرف الجنوبي من العاصمة ، قرب دار الأوبرا أرجو ألا تقدم على عمل متهور يا سام ، لا تنسى أنك..... " . تجاهل سام كلام جيم و ضغط على زر الأنترفون و قال لكاتيا " عزيزتي كاتيا ، استدعي لي المرافق " . بعد قليل طُرق

الباب و دخل شخص قوي البنية . أشار إليه سام بإصبعه و قال بصوت حازم جامد" اسمع ، عليك الذهاب مع السائق إلى السيرك الموجود الآن في العاصمة ، إنه في الطرف الجنوبي قرب دار الأوبرا ، أريدك أن تشتري لي من هناك سوطاً ، ادفع لهم الثمن الذي يريدونه ، منهم أو من غيرهم ، المهم أحضر لي سوطاً ، هيا " - " حاضر يا سيدي " . عندما انصرف الرجل سأل المحامي جيم " ماذا تنوي أن تفعل يا سام ؟ " . أجاب سام باقتضاب " كما أخبرتك " .

في مساء اليوم التالي ، كان سام في المكتب يراجع بعض الأوراق عندما دخلت كاتيا و قالت بشيء من الضيق " هناك فتاة جميلة في الخارج تدعى ليزا ، تريد مقابلتك " . نهض سام و اقترب من كاتيا ، جذبها إليه بعنف و طبع على فمها قبلة حارة و قال " لا تقلقي يا عزيزتي ، أدخلتها " . عاد سام إلى كرسيه و أشعل سيجاراً ، و بعد قليل دخلت ليزا ، كانت تلبس ثياباً فاتنة مغرية ، ظل سام في مكانه لا يتحرك ، فبادرت ليزا بالكلام " أوه عزيزي سام ، لقد اشتقت إليك كثيراً ، أين كنت كل هذه المدة ، لماذا لم تسأل عني ؟ " . أجاب سام ببرود " أظن أنك كنت تعرفين أين كنت ، أليس كذلك يا ليزا ؟ " . جلست ليزا على الأريكة مقابل سام و وضعت رجلاً فوق رجل ، فبانت كل مفاتها الداخلية ، ثم قالت " و كيف لي أن أعرف يا سام ؟ " . فسألها سام " قللي لي يا ليزا ، كيف عرفت أنني هنا ؟ " - " خطر لي أن أتصل إلى هنا ، فوجدتك " . حذق بها سام و سألها " ألم يخطر ببالك أن تسألني جاك عني بالمناسبة ما هي أخبار جاك ، منذ مدة لم أره ، أين هو يا ترى ؟ " . صممت ليزا و لم تتكلم . أعاد سام السؤال " ها يا ليزا لم تجيبيني ؟ " . ردت ليزا بصوت خافت " إنه في السجن " . رفع سام يديه و صاح ببهجة " عظيم ، و لماذا دخل السجن يا ليزا ؟ " أيضاً صممت ليزا و لم تتكلم " . فأعاد عليها السؤال " ما بالك يا ليزا ؟ ... ألا تعرفين لماذا دخل جاك السجن ؟ " صممت ليزا قليلاً ثم قالت " لا أدري يا سام ماذا أقول لك ، لقد

تفاجئت كثيراً ، لم أكن أعرف أنه هكذا " . تكلف سام الغباء و سألها " إنه ماذا يا ليزا ؟ " . فردت ليزا بضيق و ترم " هيا يا سام ، و ما أدراني أنا " . نظر إليها سام باستهجان و سألها " ألا تعرفين يا ليزا من هو جاك ، و لماذا دخل السجن ؟..... حسناً أنا سأجيبك " نهض سام من وراء طاولة المكتب و مشى بهدوء نحو ليزا ، اقترب منها ثم انحنى و همس في أذنها " لأنه خائن يا ليزا ، و الخيانة يجب أن يكون لها ثمن كبير ، و بخاصة إذا كانت من شخص يفترض به أن يكون أميناً و مخلصاً ، في هذه الحالة يمكن أن تصل عقوبتها إلى الإعدام " . بدا الخوف و الارتباك على وجه ليزا ، فابتعد عنها سام و هو يبتسم ثم قال لها " هيا يا ليزا ، دعينا ننس أمر جاك و نتكلم في أمرك ، لقد اشتقت إليك فعلاً ، ما رأيك أن نقضي بعض الوقت معاً ؟ " . ابتسمت ليزا و عاد إليها لونها و قالت " لا تصدق يا سام كم أنا مشتاقة إليك " . ضغط سام على أحد الأزرار ، فدخلت كاتيا ... "عزيزتي كاتيا قودي ليزا إلى الغرفة المجاورة... اسبقيني يا ليزا و سألحق بك بعد قليل " ذهبت ليزا مع كاتيا ، بينما جلس سام على الكرسي بتعب و ألم كبيرين ، انحنى برأسه على يديه و أخذ يتذكر ما فعلته معه ليزا في النادي و ما سمعه من توم ، رفع رأسه بغضب شديد و قد فار الدم في عروقه ، فتح أحد الأدراج و أخرج منه سوطاً طويلاً لامعاً ، ثم هب واقفاً و ذهب إلى الغرفة المجاورة حيث قبع ليزا بانتظاره . فتح الباب و دخل ، كانت ليزا قد تعرت تقريباً ، نظرت إليه و السوط في يده ، حدق فيها ملياً بوجه طفولي ، ثم سألها و هو يكاد يبكي "قولي يا ليزا ، ما أنا بالنسبة إليك ؟ ... ماذا أشكل ؟.... ماذا ترينني ؟ " . نظرت إليه ليزا و قالت " أنت حبيبي " . قهقهه بألم و قد اغرورقت عيناه بالدموع ثم قال " هل ترينني حماراً يا ليزا إلى هذه الدرجة ؟ .. هيا أجيبني " . صمتت ليزا و لم تتكلم صاح بها " لماذا لم تتكلمي ، هيا أجيبني " صرخ بهياج و انهال عليها بالسوط بكل ما أوتي من قوة ، فصرخت ليزا بشدة من الألم "هل ترينني حماراً أيتها العاهرة الساقطة ... أيتها السافلة المنحطة " قال سام و أهوى عليها بالسوط مرة أخرى " أريد أن أسالك سوآلاً واحداً يا ليزا ...

لماذا كنت تخونيني مع جاك ، لماذا يا ليزا ؟ " . أخذت ليزا تتأوه و تصرخ قائلة " أرجوك يا سام ، أرجوك
" . كرر سام سؤاله و هو يرتجف من الغضب "أجيبني فقط على هذا السؤال يا ليزا ، و سأعفو عنك
لماذا كنت تخونيني مع جاك ، في الوقت الذي كنت تدعين فيه الحب و الإخلاص لي ؟ هيا
أجيبني ... هيا " صرخ سام بغضب و انهال عليها بالسوط من جديد " أتعرفين يا ليزا ، لو أنك
وقتها أخبرتني أنك كنت تخونيني مع جاك و أنك لا تحبينني ، لكنت سامحتك ، أما و أنك كاذبة سافلة،
فلن أتسامح معك يا ليزا ، لن أسامحك " صرخ سام و أهوى عليه بالسوط " هذا السوط هو
للحيوانات أمثالك بعد كل ما فعلته من أجلك أيتها الساقطة العاهرة ، تخونيني ، و مع من ؟ مع
جاك قولي لي ، هل أغدق عليك الهدايا و المال كما فعلت أنا ؟ طبعاً لا ، و مع هذا كنت
تكذبين علي و تخونيني ، ثم تخليت عني و تركتني بلحظة واحدة ، و بعد كل هذا تأتين الآن إلى هنا أيتها
الحشرة ، و بكل وقاحة لتعبري عن حبك الزائف الكاذب لي هل ترينني حماراً لهذه الدرجة ؟
هل هذا جزاء حبي لك ، أن أكون حماراً ؟ أجيبني ، هيا هيا " أخذ سام يصرخ بطريقة هستيرية و
ينهال على ليزا بالسوط بكل ما أوتي من قوة . و فجأة فُتح باب الغرفة و دخل الدكتور بروكلمان الذي
أسرع إلى سام و جذب السوط من يده " توقف يا سام ، توقف ، ألا ترى أنها فاقدة الوعي " . كانت ليزا
متكورة على الأرض و الدماء تخرج من كل أنحاء جسدها ، بينما وقفت كاتيا عند الباب و هي تنظر بهلع
، نظر إليها سام بعينين محمرتين و قال " انظري يا كاتيا ، انظري ، هذا هو ثمن الخيانة " . هزت كاتيا
رأسها و قد انعقد لسانها و جحظت عيناها من الرعب . أمسك الدكتور بروكلمان سام من يده برفق و
قال له بهدوء " تعال يا سام تعال معي " . نظر سام إلى المرافق و قال له " خذوها و ارموها أمام النادي
الخاص الذي جاءت منه " . أخذ الدكتور بروكلمان سام إلى غرفة المكتب ، و هناك أخذ سام يتمتم و هو

يرتجف "هؤلاء الكلاب ، هؤلاء الهمج ، سأدمرهم ، سأريهم من هو سام حتى جاك سأدمره و هو في سجنه أما مؤسسة إلفا فسأصفي حسابي معها أيضاً " .

في اليوم التالي دخل جان إلى غرفة المكتب حيث كان سام يطلع على بعض السجلات " هناك خمسة أشخاص في مؤسسة إلفا اسمهم هنري ، يا سام " . فكر سام قليلاً و قال " و لكن كيف سنعرف من هو الرجل المطلوب؟" . هز جان بكتفيه و قال " لا أدري " . عاد سام يفكر ، و فجأة دخل المحامي جيم " تفضل يا سام هذه هي رخص السلاح ، و كل رخصة تحدد نوع السلاح و اسم حامله ، و لكن تذكر ، هناك بند يقول أن السلاح يستخدم فقط لأغراض الدفاع عن النفس و الحماية الشخصية ، و البنادق الآلية سجلت جميعها باسمك ، و لكن يحق للحراس استخدامها عند الضرورة و بإذنك " - " أشكرك يا جيم ... الآن نريد منك حلاً لموضوع هنري ، إن جان يقول أن هناك خمسة أشخاص اسمهم هنري ، فكيف سنعرف من هو هنري المطلوب ؟ " . صمت جيم قليلاً و هو يفكر ، ثم قال " حسناً ، أظن أنني وجدت الحل ... هل تستطيع يا جان معرفة أرقام هواتف هؤلاء الهنريات الخمسة ؟ " - " طبعاً يا جيم ، إنها في لوحة إعلانات الجامعة ، حيث يوجد اسم كل موظف و رقم هاتف مكتبه " - " عظيم ... سنتصل مع كل واحد من هؤلاء الهنريات ، و نخبره أننا من طرف جاك ، و أنه متورط معه ، و نرى ردة فعله كيف ستكون " . نظر سام إلى جان و قال هل تستطيع يا جان أن تذهب الآن إلى مؤسسة إلفا و تحضر لنا أرقام الهواتف ؟ " - " طبعاً يا سام " - " حسناً سأرسلك مع السائق " . اتصل سام مع السائق و طلب منه مرافقة جان .

بعد حوالي نصف ساعة ، كان جان يدخل المكتب من جديد ، و معه أرقام الهواتف ، فطلب منه المحامي جيم الاتصال مع هؤلاء الأشخاص ، بينما أخذ ينصت هو و سام من جهاز آخر . تكلم جان مع أول

رجل ، فاستنكر الموقف كله ، و سأله من هو جاك و من هو سام ، كان واضحاً من كلامه أنه لا يعرف شيئاً عن الموضوع . اتصل جان مع الشخص الثاني و الثالث و الرابع ، و كلهم كانت ردة فعلهم تدل على أنهم لا يعرفون شيئاً عن الموضوع . بقي الرجل الخامس ، رفع جان السماعه و اتصل به ، كان سام قد بدأ يقلق ، لقد خشي أن تفشل العملية برمتها ، فجأة رد الطرف الآخر .." ألو " فسأله جان " هل أنت السيد هنري ؟ " - " نعم ، من المتكلم ؟ " - " أنا من طرف جاك ، و قد أرسلني إليك ، إنه يريد مساعدتك بخصوص موضوع سام " - " ماذا يريد بالضبط ؟ " - " إنه يريد أن يراك " - " مستحيل ، ألا يعرف أن هذا خطر علي اسمع قل له أنني لا أستطيع عمل أي شيء له ، لا أريد أن أتورط في هذا الموضوع " . أشار المحامي جيم إلى جان بإنهاء المكالمه ، فقال جان " حسناً يا سيدي ، سأخبره بذلك ، إلى اللقاء " . وضع جان السماعه و نظر إلى سام و جيم الذي سأله " من هو هنري هذا يا جان ؟ " - " إنه مسؤول شؤون الطلاب " . حك جيم أنفه و قال " أظن أنه هو الذي نبحت عنه هل تعرف هذا الرجل يا سام ؟ " . أجاب سام بسخرية " طبعاً أعرفه ، إنه هو الذي اصطدمت معه عندما كنت في إلفا .. و الآن ماذا سنتصرف يا جيم ؟ " . أجاب جيم و هو يفكر " ليس هناك ما نتصرفه معه ، من الواضح أنه متورط في شيء ما و لكننا لا نعرف ما هو هذا الشيء ، و كلامه هذا لا يدينه أمام القضاء " سأل سام بقلق " و لكن ماذا سنفعل يا جيم .. أرجوك " . فكر جيم قليلاً ثم قال " الآن يجب أن نعرف مدى تورطه ، و على ضوء ذلك نحدد كيفية العمل " . سأل سام بانفعال و اضطراب " و لكن كيف ستعرف ذلك يا جيم؟؟ " . فكر جيم مرة أخرى و قال " من جاك نفسه " - " كيف؟؟؟ " - " سأقول لك كيف يا سام " .

في اليوم التالي ذهب المحامي جيم إلى السجن و طلب زيارة جاك " اسمع يا جاك ، لقد اعترف السيد هنري المسؤول في مؤسسة إلفا بكل شيء ، لقد وشى عنك مقابل مبلغ من المال ، و كان السبب فيما أنت

عليه الآن " . انتفض جاك و قال بسرعة و انفعال " إنه كاذب ، إنه رجل سافل ، إنه هو السبب في كل ما حصل ، لقد قال إن سام عضو في حزب الشعلة و إنه لا يجب أن يكون معه هذا المال و كان يشجعني دائماً و لكن لماذا تسأل ، ما شأنك أنت بذلك ؟ " أجاب المحامي جيم مبتسماً " إنني أحاول أن أخفف عنك يا جاك ، يجب ألا تتحمل المسؤولية وحدك ، و ربما أقنع سام بذلك قل لي ، هل كان يعرف بالأمر قبل حدوثه ؟ " - " نعم كان يعرف ، لقد أطلعته على العملية قبل حدوثها " - " هل شارك فيها بشكل فعلي ؟ " - " بشكل فعلي ، لا ، لكن كان له دور كبير في التخطيط " - " كيف حصل هذا الأمر يا جاك " - " لقد كان يعرف أنني لا أود سام و لا أحبه ، فاستدعاني في أحد الأيام إلى مكتبه و عرض علي الفكرة ، و قبلت بها " . سأله جيم باهتمام " أنت تقصد أن تقول إنه هو من خطط لكل ذلك ؟ " - " تقريباً " . كرر جيم السؤال " إذن هو شريك لك ؟ " - " نعم يا سيد جيم " . فكر جيم ثم سأل " قل لي يا جاك ، هل أنت مستعد للإدلاء بأقوالك هذه أمام المحكمة ؟ " . فكر جاك هو الآخر برهة من الوقت ثم قال " نعم مستعد لذلك بشرط أن يسقط سام حقه عني " - " حسناً يا جاك إلى اللقاء " . أدار جيم ظهره و مشى باتجاه الباب ، فصاح به جاك " انتظر يا جيم ، و ماذا بشأني أنا؟ " أجاب جيم " لا أدري يا جاك ، و لكن سنفكر بالأمر " .

في المكتب رمى جيم شريط كاسيت أمام سام قائلاً " تفضل يا سام ، هذا شريط كاسيت مسجل بكلام جاك " . وضع سام الشريط في الجهاز و أخذ يستمع إليه بصمت ، و عندما انتهى سال جيم " هل سترفع دعوى ضد هذا الكلب هنري ؟ " . هز جيم رأسه بالإيجاب و قال " نعم يا سام ، و لكن من الأفضل أن يسجل جاك أقواله هذه أمام المحكمة أيضاً " - " هل أفنعتك بذلك يا جيم ؟ " - " نعم و لكنه يريد أن تسقط حقه عنه أولاً ، تماماً كما فعلت مع توم " . جن جنون سام و قال " مستحيل ... مستحيل

يا جيم ، هذه المرة مستحيل .. لقد فضلت أن يكون توم طليقاً و الآن أفضل أن يكون هذا السافل هنري طليقاً على ألا يخفف الحكم عن جاك يوماً واحداً هيا يا جيم .. عليك هذه المرة أن تجد حلاً آخر غير هذا .. كل شيء إلا جاك ... افعل أي شيء تراه مناسباً إلا جاك ، انزعه من رأسك ، اعتبره غير موجود على الخارطة " . أخذ جيم يتمشى في المكتب و هو يفكر ، ثم قال " حسناً في هذه الحالة ليس أمامي سوى شريط التسجيل ، و لكن قبل أن أقدم على ذلك ، هناك خطوة لا بد من القيام بها " . سأله سام باهتمام " ما هي هذه الخطوة يا جيم ؟ " - " سأرى ماذا سيقول هنري بهذا الشأن ، فربما أقواله هو الآخر تدعمنا بشيء ، و سأعتمد على جان أيضاً في هذه المرة " . في اليوم التالي ذهب جان إلى مسؤول شؤون الطلاب في مؤسسة إلفا ، و قد وضع في جيبه آلة تسجيل صغيرة و غير من شكله قليلاً لئلا يتذكره الرجل . كان المحامي جيم قد دربه على ما سيقوله . جلس جان أمام الرجل و قال له " سيد هنري إنني مبعوث إليك من قبل جاك ، و هو يقول لك ، أنه كما خططت له عملية توم ، يجب أن تخطط لمساعدته في أزمته هذه " . أجاب الرجل بقلق " و لكن هذا صعب جداً ، فالأدلة كلها ضده " . فأجابه جان " بصراحة يا سيدي ، إنه يشك بأنك أنت من أخبر سام بأمره و أخبره بمكان توم ، لتقضي عليه " . انفعل الرجل و قال بجدة " مستحيل ، هذا كلام خاطيء ، هل فقد جاك عقله ؟ ... كيف يعقل أنني أريد مساعدة سام ، و أنا أكرهه و أريد تدميره !!؟؟ ... و كيف أخرج سام من هذه المصيبة وأنا من خطط لها و رسم خيوطها و أوقعه بها ؟.... أظن أن جاك هو من قام بحركة خاطئة فتنبه سام لها " . أجابه جان " و لكن جاك يا سيد هنري لم يلتق بعد ذلك مع سام ، فكيف عرف إذن ؟ " . أجاب هنري بقلق " صدقني إن هذا الأمر يحيرني كثيراً ، قل له إنني مثله مصدوم تماماً بمعرفة سام للأمر و معرفته بمكان توم الذي لا أحد يعرف مكانه ؟؟؟!! " . سأل جان " هل هناك أحد غيركم يعرف هذا الأمر " - " لا لا أحد يعرف و لكن ما شانك أنت بهذا الأمر؟..... هيا اذهب و قل لجاك إنني لا أعرف كيف انكشف الأمر و لا علاقة

لي بذلك و لكن أخبره أنني سأحاول المساعدة ، و قل له أيضاً ألا يرسل لي أحداً بعد الآن " . عاد جان إلى المكتب ، حيث كان جيم و سام بانتظاره ، و بعد أن استمعا إلى الشريط ، قال جيم " أظن الآن أن الوضع قد أصبح أفضل بكثير ، و بإمكاننا الآن أن نرفع الدعوى على هنري و نحن مطمئنون ، تورطه الآن أصبح واضحاً تماماً و باعترافه هو " . نظر سام إلى المحامي جيم قال " هل نستطيع أن نرفع الدعوى على مؤسسة إلفا يا جيم ؟ " . أجابه جيم " بشكل مباشر ، لا يا سام ، لا نستطيع ، لأنه لا يمكن إدانة شركة أو مؤسسة أو هيئة اعتبارية بناء على تصرفات موظفيها الفردية ، إلا إذا كان هناك دليل قوي ، أو سبب موجب و لكن إذا أردت فمن الممكن أن نذكر اسم مؤسسة إلفا في الدعوى ، من دون ادعاء ، باعتبار أن هنري موظف فيها " - " حسناً يا جيم ، افعل ذلك ، افعله يا عزيزي " .

بدأ جيم إجراءاته القانونية ضد هنري ، و رفع الدعوى عليه مرفقة بشروط التسجيل ، فتم إلقاء القبض عليه و التحقيق معه ، و من ثم محاكمته ، و حكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات و تم التحقيق أيضاً مع بعض موظفي إلفا . كانت تلك ، ضربة قوية وجهها سام إلى مؤسسة إلفا .

بعد يومين ، كان سام في المكتب ، عندما دخل الدكتور بروكلمان . . . " هل قرأت صحف اليوم يا سام ؟ " . أجاب سام و هو منشغل ببعض الأوراق " قرأت بعض منها ما بها ؟ " - " إحدى الصحف نشرت اليوم لقاء مع أحد مسؤولي مؤسسة إلفا ، يتهمك بأنك من أنصار حزب الشعلة ، و يتحدث عن علاقتك مع الاتحاد السوفييتي السابق و نشاطك في حزب الشعلة عندما كنت طالباً في مؤسسة إلفا و أنك كنت من المعارضين للاتفاقية العسكرية ، و يقول إنك تنظم نشاطات معينة تحت ستار المساعدات و التبرعات في الشمال هي لأنصار حزب الشعلة هذه هي الصحيفة معي ، انظر هاهو المقال " . أخذ

سام الصحيفة من الدكتور بروكلمان و بدأ يقرأ باهتمام و قلق . كان المقال كله هجوم عليه ، عندما انتهى من قراءته خبط بيده على الطاولة قال بغضب " كذب ، كذب ..معظم ما جاء في هذا المقال لا أساس له من الصحة من أين اختلقوا كل هذه الأكاذيب ؟ " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و قال بجدية " ليس هذا هو المهم الآن ، المهم أنه يجب أن ترد على ذلك المقال ، لأنه خطير جداً و يعرض سمعتك المهنية و الخيرية و الدينية للخطر .. أنت تعرف أننا هنا في بلد رأسمالي و يتبع نظام السوق الحر و كان على شبه عداء مع الاتحاد السوفيتي السابق ، و المؤسسات الدينية ضاربة بجذورها فيه " . ضرب سام بيديه و قال و هو يضغط على أسنانه "إنهم يريدون على ما حصل لهذا السافل هنري" . رد الدكتور بروكلمان بقلق " لقد كانت ضربة قاسية لهم يا سام ، و موجعة ، لقد تسببت في وضع عضو بمجلس إدارتهم في السجن ، و هم لن يسكتوا عن هذه الإهانة الكبيرة التي لحقت بهم " قال سام بغضب " إنني لهم بالمرصاد و سأريهم من هو سام " . رد الدكتور بروكلمان مرة أخرى بجدية و هو يحدق بسام "إنهم أقوياء يا سام ، أقوياء جداً ... أقوى من والد جاك بكثير .. أقوياء أكثر مما تتصور ، إن مؤسسة إلفا يا سام ، هي رمز للأرستقراطية في البلد و لهم أنصار كثر في البرلمان و الدولة ، و أنا برأيي ألا تدخل في حرب معهم " - " سوف أرفع دعوى على تلك الصحيفة " - " لا يا سام ، هذا خطأ كبير ، لأنك بذلك ستزيد من أعدائك و خصومك " . رد سام بقلق " إذن ماذا تقترح يا دكتور؟؟ " - " أقترح أولاً أن ترد على هذا المقال بمقال آخر تنفي كل ما ورد فيه ، و ثانياً أظن أنه يجب أن تعقد معهم صلحاً ، و إذا تطلب الأمر ، أن تسقط حقلك عن هنري " - " و لكن يا دكتور " - "أرجوك يا سام ، إنني أريد مصلحتك ... صدقني ، إن كل ما أقوله لك ، هو لصالحك تماماً " . أجاب سام بعصبية " لكنهم هم من بدأ العداء ضدي يا دكتور " . أشار الدكتور بروكلمان بيديه مهدئاً " لا بأس يا سام ، بإمكاننا أن نتوصل إلى اتفاق ، كل شيء ممكن الاتفاق حوله " . فجأة رن جرس الأنترفون و ظهر صوت كاتيا " هنالك مكالمة لك يا سيدي من مكتب

الأمن العام " . نظر كل من سام و الدكتور بروكلمان إلى بعضهما بعضاً بذهول و دهشة كبيرين ، و لم يلبث الدكتور بروكلمان أن أشار له بأن يدعي أنه غير موجود . " انحنى سام فوق الأنترفون و خاطب كاتيا بلهجة مضطربة قليلاً " اسمعي يا كاتيا ، أخبريهم أنني غير موجود " . فجاء صوت كاتيا من جديد و كأنه قادم من مذياع " و لكنني أخبرتهم أنك هنا يا سيدي " . نظر سام مرة أخرى إلى الدكتور بروكلمان الذي أشار له برأسه علامة الموافقة . انحنى مرة أخرى و قال "حسناً يا كاتيا، أوصليهم بي" . رفع سام سماعة الهاتف و انتظر قليلاً ، ثم قال "ألو نعم أنا سام بخصوص أي موضوع" هل هناك إجراءات ؟ حسناً ... لا بأس ... أشكرك يا سيدي " . وضع سام السماعة و قد بدا عليه القلق الشديد ، فسأله الدكتور بروكلمان الذي كان هو الآخر بدوره قلقاً " ما الأمر يا سام ؟ ... ماذا يريدون منك؟؟؟ " . أطرق سام برأسه إلى الأرض و قال و هو يفكر " إنه المقال يا دكتور .. إنهم يريدون حضوري غداً إلى مقر الأمن العام قالوا إنهم يريدون فقط أن يسألوني بعض الأسئلة .. ماذا ترى أنت يا دكتور؟" . أشعل الدكتور بروكلمان سيجارة و نهض واقفاً و أخذ يتمشى في المكتب و على وجهه علامات القلق و التفكير .. نظر إلى سام و أشار بيده قائلاً " حسناً يا سام ، اذهب إليهم غداً و كن طبيعياً واثقاً من نفسك ، و لا داعي للقلق ، لأنه لا يوجد شيء حولك يثير الشبهات .. أجب على السؤال بكل وضوح و ثقة بالنفس و انف كل ما ورد في المقال " نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال بنبرة حزينة " معك حق يا دكتور ... و على كل حال إذا اضطر الأمر ، ستشهدون معي ، أليس كذلك ؟ " صمت الدكتور بروكلمان قليلاً ثم قال " إن شهادتي يا سام لن تفيدك شيئاً .. إن أكثر من يفيدك هنا هو المعلم رالف ، فهو يملك مركزاً دينياً واجتماعياً ، و لديه أكبر مؤسسة لذلك ، و لهذا فإن شهادته و كلامه عنك ، سيكونان حتماً لصالحك و سيؤخذان بعين الاعتبار ، و صديقك جان أيضاً يمكن أن يفيدك ،

بوصفه كان معك في أثناء الدراسة ، أما أنا فلا داعي لشهادتي ، لأنها لن تفيدك في شيء ... على كل حال ، اذهب غداً ، وعندما تعود اتصل بي فوراً " .

في اليوم التالي ركب سام سيارته و معه السائق ، و اتجه إلى مقر الأمن العام . كان ينظر إلى الأمام و هو يفكر ، و لكنه من الداخل ، كان قلقاً جداً . وصلت السيارة إلى المكان ، فترجل سام منها و طلب من السائق الانتظار ، ثم دخل إلى المبنى . في قسم الاستعلامات ، أعطى اسمه لرجل الأمن الذي كان يجلس على الطاولة ، فرفع هذا الأخير الهاتف و اتصل برقم معين بعد قليل اقبل الخط و قال له " تفضل يا سيدي ... الطابق الثاني ، الغرفة الرابعة " . صعد سام إلى هناك ، و هو متوتر قليلاً ، وصل إلى الغرفة ، ثم طرق الباب و دخل ، كان المكان عبارة عن مكتب أنيق و خلف الطاولة جلس رجل يلبس بدل رسمية . ألقى عليه سام التحية و قال له " في الواقع لقد أرسلني الموظف في قسم الاستعلامات إلى هنا " . نهض الرجل من مكانه و صافح سام بأدب ، ثم جلس قبالته و قال له " في الحقيقة يا سيد سام ، أظن أنه لديك فكرة عن المقال الذي كتب في الجريدة أمس ... و أريد أن أسألك بعض الأسئلة بهذا الخصوص إذا لم يكن لديك مانع " . أجاب سام "تفضل يا سيدي " . نظر الرجل إلى سام و سأله " ماهي علاقتك بحزب الشعلة يا سيد سام ؟ " . فكر سام قليلاً ، ثم أجاب بهدوء " في الواقع يا سيدي ، ليس لي أية علاقة بحزب الشعلة ، و كل ما في الأمر ، أنه كان معي في أثناء الدراسة ، صديق من أعضاء هذا الحزب و يدعى أندريه ، و كان يدعوني دائماً للانضمام إلى حزبه ، و لكنني كنت أرفض و " - " لماذا كنت ترفض؟ " - " لأنني لم أكن وقتها مهتماً بالسياسة " - " و هل أنت الآن مهتم بالسياسة ؟ " أجاب سام " و لا الآن مهتم يا سيدي " . سأله الرجل " هل كان لديك ميول أو تعاطف مع حزب الشعلة في وقت من الأوقات ؟ " . أجاب سام " نعم ، كان لي تعاطف في بعض الأوقات " - " و الآن؟؟ " - " و الآن يا سيدي .. لا أعرف

، لست مهتماً بالموضوع كثيراً " - " هل لك ، أو كان لك علاقة بجهات معينة في الخارج لها صلات بحزب الشعلة ؟ " - " لا يا سيدي لم يحدث هذا قط في يوم من الأيام " - " و ما كُتِبَ عنك في ذلك المقال " - " كله لا أساس له من الصحة يل سيدي .. إن المسؤولين في مؤسسة إلفا يحقدون علي لأنني كنت السبب في زج عضو من مجلس إدارتهم بالسجن ، لأنه كان المدير و المخطط لعملية الاحتيال و النصب التي تعرضت لها " - " و لماذا يفعل ذلك ؟ " - " في الحقيقة لا أدري يا سيدي ، و لكنهم يكرهونني و يحاولون الإساءة إلي ، لقد كنت الطالب الأول و المتفوق على كل طلابهم في الجامعة إنهم يظنون أنني شيوعي ، و هذه مشكلتهم و ليست مشكلتي ، فأنا منذ وصولي إلى الجامعة ، أعمل بمؤسسة المعلم رالف في مجال النشاطات الدينية و الخيرية ، و بشكل واسع ، و منذ سنين عدة ، و أظن أن هذا لا يتوافق مع نشاط حزب الشعلة " . نهض الضابط من مكانه و ذهب إلى الطاولة و سحب أحد الأدراج ، مخرجاً منه ورقة كبيرة ، و عاد إلى سام و هو يقول " و لكن يا سيدي لدي هنا تقرير يقول إن أموالك في الشمال تذهب كلها و من دون استثناء لأعضاء من حزب الشعلة أو مناصرين و مؤيدين له و منهم من له علاقات مع الاتحاد السوفييتي السابق ، و هذه قائمة باسمائهم ... تفضل " . أمسك سام الورقة و أخذ يقرأ ما فيها ... كانت عبارة عن لائحة مؤلفة من حوالي مئتي اسم و على جانب كل اسم عبارة تقول إنه من أنصار حزب الشعلة أو كان من أنصاره ، أو ماركسي ، أو بلشفي . كانت مفاجأة قاسية لسام ، فصمت و لم يعرف ماذا يقول أو يرد . قطع الصمت صوت الضابط " اسمع يا سيد سام ، نحن ليس لدينا أي إشكال في أن تكون شيوعياً أو رأسمالياً أو ديمقراطياً أو ما إلى هنالك ، فهذا ليس من شأننا ، و نحن لا نحاسب أحداً على الانتماء إلى أي حزب من الأحزاب الرسمية الموجودة و منها حزب الشعلة الذي هو حزب رسمي مثله مثل بقية الأحزاب ، و لا نتدخل في ذلك ، إن كل ما يهمنا ، هو أمن البلد و أمن المواطن ، و نحن نتدخل لمنع أي شيء يمس أمن و سلامة هذا الوطن... و لهذا فعندما نعرف أن كل الذين يتلقون منك مبالغ شهرية ،

في الشمال ، هم من اليساريين و التابعين لحزب الشعلة و فيهم من كان له علاقات و ارتباطات بالاتحاد السوفييتي السابق ، فإن هذا يجعلنا نتساءل .. لماذا ؟ و بخاصة أنك تقول إنه لا علاقة لك بحزب الشعلة و إنك من أعضاء و نشطاء مؤسسة المعلم رالف ... برأيك ألا يدعو هذا إلى التساؤل " . صمت سام و هو مذهول تماماً ، كان متفاجأ بما يرى و يسمع ، رفع نظره عن الورقة و قال للضابط " في الواقع يا سيدي أنني أنا أيضاً متفاجئ مثلك ، و لا أدري ماذا أقول و لكن أستطيع أن أقول لك شيئاً واحداً ، و هو أنني لا أعرف شيئاً عن هؤلاء الناس و لا عن انتماءاتهم و خلفياتهم السياسية ، لأنني لست أنا من يحدد نوعية الأشخاص الذين تشملهم التبرعات ... في العاصمة هنا ، يقوم المعلم رالف بتوزيع التبرعات ، و لا أهتم لمن يوزع و في الشمال ، توزع التبرعات عن طريق أحد المعارف ، و أيضاً لا أعرف نوعية الأشخاص الذين يحصلون عليها و لا خلفياتهم السياسية ، كل ما أعرفه عنهم ، أنهم فقراء و بحاجة للمساعدة ، هكذا أخبرني ذلك الشخص " - " هل هو أستاذ الفلسفة ؟ " . سأل الضابط . أجاب سام بذهول " نعم يا سيدي ، إنه هو بذاته !!!! " - " ماذا تعرف عنه يا سيد سام ؟ " - " أعرف أنه كان شيوعياً في السابق أما الآن فلا أدري ، إذا كان له علاقة بأحد و صدقني يا سيدي هذه هي الحقيقة ، و إنني لا أعلم لي بهؤلاء الناس " . هز الضابط برأسه و نظر إلى سام و قال " أنت صادق يا سيد سام ... و نحن تقريباً لدينا فكرة عن حياتك و عن أعمالك و عن مصدر أموالك ، و بخاصة الذهب الذي عثرت عليه ، و لهذا فليس لدينا أية شكوك حولك و لكن ما أريد أن أعرفه ، هل تصلك أموال من الخارج من جهة معينة أو من أحد ما " - " لا ، لا يا سيدي ، ليس لي علاقة بأية جهة خارجية ثق بهذا ، و لكن بصراحة فإنه يوجد لي حساب في سويسرا وضعت فيه مبيعاتي من الذهب " . ابتسم الضابط و قال " لدينا فكرة عن هذه الأمر ، و أنت حر في أن تضع أموالك في المكان الذي تريده ، هذا من حقلك و على كل حال أشكرك يا سيد سام ، و إذا كان لديك أي استفسار ، فأنا مستعد

للإجابة " . فكر سام قليلاً ثم سأل الضابط " هل هناك أية محاذير في أولئك الذين يتلقون الهبات و المساعدات مني ؟ " - " لا ، لا يا سيد سام أنت حر في أن تعطي أموالك لمن تشاء ضمن القانون ، لكن كما قلت لك ، فإن الأمر أثار استغرابنا ، فأردنا أن نعرف السبب... و كما قلت لك أيضاً ، إن ما يهمنا هو أمن و سلامة الوطن و المواطن ، هنا فقط تدخل المحاذير " . فكر سام أيضاً ثم سأل الضابط " و فيما يخص المقال الذي نشرته مؤسسة إلغا... هل بإمكانني رفع دعوى أو كتابة مقال مضاد ؟ " رد الضابط بهدوء " هذا ليس من شأننا يا سيد سام ، هناك قضاء مختص ، و هناك صحافة ، أنت حر ، و هذا الأمر يعود لك أنت " صمت سام قليلاً ثم قال " هل يوجد أي إشكال حولي يا حضرة الضابط أو أمر ما ، ترونه غريباً ؟ " . نظر الضابط إليه و قال مبتسماً " لا يا سيد سام ، ليس هناك أي إشكال معين ضدك و لكن يبدو أن لك حظاً كبيراً مع المال ، حتى تفوز بجائزة اللوتو الكبير قبل سنوات ، و الآن تعثر على الذهب " . ابتسم سام و قال محاولاً إخفاء ارتباكاه " ربما ، ربما يا سيدي " - " أتمنى لك حظاً موفقاً يا سيد سام ، وأرجو لك النجاح و التوفيق أعمالك ، أنت عضو فعال في المجتمع و لك سمعة جيدة " - " أشكرك يا سيدي " .

عاد سام إلى المكتب ، حيث كان الدكتور بروكلمان بانتظاره ... " أخبرني يا سام ، ماذا حصل معك هناك ؟ ... ماذا سألوك ؟ . ماذا قالوا لك ؟ " . جلس سام على المقعد يفكر ، ثم قال بضيق شديد " لقد تفاجئت يا دكتور بهذه الورقة التي أعطاني إياها ذلك الضابط لقد أوقعني أستاذ الفلسفة في ورطة كبيرة معهم حق أن يسألوا عن السبب " . سأل الدكتور بروكلمان بلهفة " و لكن ما الذي حصل يا سام ، أخبرني " . روى سام للدكتور بروكلمان ما حصل معه في مقر الأمن العام ، ثم قال له " لقد كان خوفنا مبالغاً فيه ، و الآن ما العمل يا دكتور ؟ .. لقد شوه هذا المقال سمعتي بين الناس " . أجاب الدكتور

بروكلمان بسرعة " أول شيء يجب عليك أن تفعله يا سام ، هو أن تنشر مقالاً مضاداً تنفي فيه كل ما ورد في المقابلة التي أجريت مع المسؤول في مؤسسة إلفا ، و ثانياً يجب على المعلم رالف أن ينشر هو الآخر مقالاً يتحدث عنك و عن صفاتك و أخلاقك ، فكلامه سيكون له تأثير كبير ، و ثالثاً ، يجب عليك أن تجد حلاً لمشكلة أستاذ الفلسفة هذا هذه هي الحلول المطروحة حالياً ... أهم شيء هو أن تزيل عنك هذه الاتهامات التي وجهت لك بأسرع وقت ممكن " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و أوماً برأسه قائلاً "سأبدأ من الغد بنشر مقال في الصحيفة ، و سأرصد على مؤسسة إلفا ، و سأذهب خصيصاً إلى البلدة لأتحقق من الموضوع بنفسي ... و لكن المعلم رالف ، لا أدري إن كان سيوافق ، أظن أنه مازال غاضباً مني " . أشار الدكتور بروكلمان بيده قائلاً " لا تقلق سنذهب إليه سوياً ، و سأقنعه بنفسني " .

في اليوم التالي ، طلب سام من صديقه الصحفي إجراء حوار معه كرد على حوار مسؤول مؤسسة إلفا ، فتم إجراء الحوار ، و قام سام بتكذيب كلام المسؤول و تهجم على مؤسسة إلفا بشكل غير مباشر ، و بعد ذلك سافر إلى البلدة لمقابلة أستاذ الفلسفة ، كان يريد أن ينهي هذه المسألة الكريهة بأسرع وقت ممكن . في منزله بالبلدة ، جلس هو و أستاذ الفلسفة وحدهما في الغرفة . أغلق سام الباب و سأل أستاذ الفلسفة " هل أحضرت كل الأوراق الخاصة بالعمل و التبرعات يا أستاذ ؟ " - "نعم يا سام ، إنها معي هنا في الحقيبة " . أخرج الأستاذ الأوراق من الحقيبة و أعطها لسام الذي أخذ يتصفحها لاحظ سام أن عدد الأشخاص و الأسماء مطابق تقريباً للورقة التي رآها عند ذلك الضابط . نظر إلى أستاذ الفلسفة و سأله " قل لي يا أستاذ ، هل يوجد غير هؤلاء الأشخاص المذكورين هنا أمامي في الورقة ، من يحصل على التبرعات ؟ " . أجاب الأستاذ " لا يا سام هؤلاء هم كلهم " - " ماذا يعمل هؤلاء الأشخاص يا أستاذ ... أقصد هل لهم حرفة أو مهنة معينة ؟ " - " فكر الأستاذ قليلاً ثم أجاب " منهم من يعمل و منهم من لا يعمل " - " و

هل كلهم بحاجة إلى المال؟ " - " طبعاً يا سام ، وإلا لما أعطيتهم المال " . أمسك سام بالورقة و أخذ يتأملها ثم قال " و هل لأحد منهم توجهات أو ميول سياسية معينة؟ " . أشعل الأستاذ سيجارة و نفث دخانها ، ثم نظر إلى سام بعمق و قال " لم أفهم بالضبط يا سام " . أجابه سام و هو يحدق بالورقة " كلامي واضح يا أستاذ " . صمت الأستاذ قليلاً ثم قال " أظن أنه يوجد " - " ما هي توجهاتهم؟ " رد أستاذ الفلسفة بشيء من الضيق و الانفعال " و لكن لماذا تسأل يا سام؟ " - " أرجو أن تجيبني على سوآلي يا أستاذ " . تتمم الأستاذ قائلاً " حسناً يا سام إنهم من أنصار أو أتباع أو أعضاء حزب الشعلة " - " هل يوجد أحد غيرهم له توجهات مختلفة يا أستاذ؟ " - " لا يا سام " . نظر سام إلى الأستاذ و قال " و لماذا كلهم يا أستاذ ... لماذا لم تجربني بذلك؟ " . انزعج أستاذ الفلسفة و قال بضيق " اسمع يا سام ، إذا كنت لا تثق " - " اسمعني أنت يا أستاذ ، إن ثقتي بك كبيرة و لا حدود لها ، لكنك كدت أن توقعني في ورطة كبيرة و مأزق خطير ... لقد طلبني الأمن العام قبل يومين ، و أخبروني هناك بالموضوع ... لقد شكوا بي يا أستاذ " سحب الأستاذ من سيجارته ثم قال و هو ينفخ الدخان في الهواء " و ماذا قلت لهم يا سام؟ " . رد سام بعصبية " لم أعرف ماذا أقول ، لقد قلت لهم إنني لا أعرف شيئاً عن الموضوع ... كان عليك أن تجربني بذلك يا أستاذ " . صمت أستاذ الفلسفة و هو يفكر ، ثم قال " في الواقع يا سام ، لم يخطر لي ذلك ، و أنت لم تسألني " . هز سام برأسه قائلاً " معك حق يا أستاذ ، لا أدري كيف فاتني هذا الأمر كان يجب علي أن أعرف ذلك " - " إذا كان هناك أي إشكال يا سام ، فانا مستعد لتحمل المسؤولية كاملة تجاه الأمن العام ، و تجاهك أنت أيضاً " . لوح سام بيده نائياً " لا ، لا ، يا أستاذ ، لا داعي لذلك ، و لكن المشكلة هو أن مؤسسة إلفا كتبت عني مقالاً في الصحف حول ذلك الموضوع ، و ذلك بقصد الإساءة لي " . نظر أستاذ الفلسفة إلى سام و قال بهدوء " و هل تعد ذلك إساءة لك يا سام؟؟ " - " طبعاً يا أستاذ ، إنه إساءة لي " . نهض أستاذ الفلسفة واقفاً و قال " إذا كان الأمر كذلك ، فأرجو أن تعطيني من هذه المهمة يا

سام" . أمسك سام بيد الأستاذ و قال " لا داعي لأن نسيء فهم بعضنا بعضاً يا أستاذ أنت تعرفني ، و أنا أعرفك ... كاللنا يعرف الآخر جيداً و لكن ألا ترى معي يا أستاذ أن الأمر ملفت للنظر ، لقد استدعاني الأمن العام لهذا الغرض قل لي يا أستاذ ، ألا يوجد هناك فقراء و محتاجون غير أنصار حزب الشعلة ؟ " - "نعم يا سام ، يوجد " - " إذاً لماذا اقتصررت في توزيع المال على أتباع حزب الشعلة فقط !!؟ " . أجاب الأستاذ بهدوء " لقد ساعدت من أعرفهم ، و برأيي أنهم بحاجة فعلاً للمساعدة و ليس فيهم شخص واحد لا يحتاج للمساعدة" . أشعل سام بدوره سيجارة و قال "أنا معك يا أستاذ و أصدقك ، و أتفهم موقفك ... و لكن من سيتفهم موقفي أنا ؟ ... قد قرأت منذ فترة عن تفكيك شبكة تنقل أسراراً عسكرية إلى الخارج ، و كان جميع أعضائها من ذوي الميول و التوجهات الماركسية و قد تم توجيه الاتهام إلى شخص في السفارة الروسية ، تم طرده إثر ذلك و عندما يعرف الأمن العام أو الناس بهذا الأمر ، فمن الطبيعي أن يستدعوني للتحقيق و المساءلة " . أطرق أستاذ الفلسفة برأسه إلى الأرض و قال و هو ينفث الدخان إلى الأسفل " ماذا تريد الآن يا سام ؟ " . أجابه سام بصوت جاد "اسمع يا أستاذ ...أنا بالنسبة إلي ، ليس لدي أي مشكلة أو حساسية تجاه الناس من أي لون أو جنس أو دين أو حزب أو انتماء سياسي .. و لكن عندما يصبح الأمر موضع شبهة و تساؤل ، أو تهديد لوضعي و مكانتي ، فإنني لا أتساهل أبداً ، و الأمر هنا يخضع للتدقيق و إعادة النظر .. و لهذا يجب أن نعيد النظر في موضوع المساعدات تلك ، و أترك لك أنت إيجاد صيغة جديدة لهذه المساعدات ، لا تعرضنا لمثل هكذا مواقف ... و أنا واثق من حكمتك ، و حسن تدبيرك للأمر .. هل فهمتني يا أستاذ " هز أستاذ الفلسفة رأسه هو يفكر ، ثم قال " نعم ، نعم لقد فهمتك يا سام ، و ربما تكون على حق " - " إذن ماذا تقترح يا أستاذ ؟؟ " - " لا أدري يا سام ، و لكن هل تريد أن تتوقف عن إعطاء المساعدات لهؤلاء الناس ؟ " - " لا ، لا يا أستاذ ، و لكن في الوقت نفسه ، لا أريد أن أضع نفسي موضع اتهام من قبل أي شخص كان و بالمناسبة يا

أستاذ ، ألا توافق معي أنه لا يجوز أن يكون الناس الذين يحصلون على المساعدات من فئة واحدة أو حزب واحد أو انتماء واحد ، أو يجمعهم شيء واحد ، حتى ولو لم يكونوا من أنصار حزب الشعلة ؟ " . مرة أخرى أطرق أستاذ الفلسفة برأسه إلى الأرض ثم قال " في هذه أتفق معك يا سام ... و لكنني أريدك أن تعلم شيئاً واحداً ، و هو أنني لم أتصرف إلا بما أملاه علي ضميري ، و كل الذين أخذوا المساعدات كانوا يستحقونها فعلاً " . أو ما سام بيديه و قال " أنا أتفهم موقفك أستاذ ، و من حقا أن تساعد رفاقك ، و أفهم من كلامك أيضاً أنك أيضاً قد تفهمت موقفني ، و لهذا يجب أن نجد حلاً يوفق بين موقفني و موقفك ، فهل لديك اقتراح " . حرك أستاذ الفلسفة رأسه يميناً و شمالاً و هو ينفث الدخان و يقول " لا يا سام ، أرجو أن تقترح أنت ، لا أريد أن أتحمّل مسؤولية اقتراحي " - " على العكس يا أستاذ أنا أرحب بأي فكرة تقولها " . هز أستاذ الفلسفة رأسه مرة أخرى " لا ، لا ، لا يا سام ، أرجو أن أعفني من فكرة الاقتراح هذه ، أنت صاحب المال و أنت وحدك من يقرر ، هذا حقا ... قرر أنت و أنا موافق سلفاً " . أخذ سام يدخن من السيجارة و يفكر ، ظل هكذا لفترة من الوقت ، و بعدها قال " حسناً يا أستاذ ، هل يوجد أناس غير أنصار و أتباع حزب الشعلة بحاجة للمساعدة ؟ " - " طبعاً يا سام ، يوجد " . نظر سام إلى أستاذ الفلسفة و قال " إذن ليس فقط أتباع حزب الشعلة من هم بحاجة للمال " - " طبعاً يا سام ليسوا فقط من هم بحاجة للمساعدة .. ليس هذا فقط ، بل هناك ماركسيون كثيرون لديهم ثروات طائلة ... و لكنني كما قلت لك ، فإنني قمت بواجبي تجاه زملائي الذين هم بحاجة مثلهم مثل غيرهم من الناس " . أشار سام إلى أستاذ الفلسفة بحركة من يده و قال " عظيم يا أستاذ .. الفكرة التي خطرت لي الآن ، هي أن ندخل إلى القائمة ، أناساً من غير أنصار حزب الشعلة " - " فكرة جيدة " - " هل لديك أسماء معينة أو تعرف أناساً بحاجة للمساعدة " . فكر الأستاذ ، ثم قال " يوجد يا سام ، ولكن أرجو أن مرة ثانية أن تعفني من هذا الموضوع " . استغرب سام و سأل " و لكن لماذا يا أستاذ !!؟؟ " - " بصراحة يا سام ، لا أريد أن أضع نفسي موضع

التساؤل أو الاتهام أمام رفاقي " . أشار سام بيده و قال للأستاذ مقهقها " ها يا أستاذ إذن أنا معي حق أيضاً ، إذن نحن متعادلان الآن " . أجاب الأستاذ و قد استسلم " كما تشاء يا سام ، و لكن قل لي ، هل ستحذف أسماء من هذه القائمة أم ستضيف عليها ؟ " . فكر سام ثم قال " في الواقع يا أستاذ أن أفكر أن أوسع أعمالي الخيرية بشكل أكبر من السابق ، و لهذا سأبقي على هذه القائمة التي لديك ، و لكن سأضيف إليها أعداداً جديدة و أكثر مما لديك ، بحيث تغطي على نسبة رفاقك الكادحين ، و بذلك نكون قد وصلنا إلى حل المشكلة من الطرفين ، فلا أحد يتهمني بعد ذلك بشيء ، و في الوقت نفسه لا أحد يتهمك أنت أيضاً من رفاقك " . صمت الأستاذ و لم يجب . سأله سام " كم شخصاً لديك هنا في هذه القائمة يا أستاذ ؟ " - " حوالي مائتين و خمسين " - " و كلهم لهم التوجهات نفسها " - " نعم يا سام " - " عظيم جداً ، سأضيف لهم خمسمائة آخرين من غير أنصار حزب الشعلة ، و بذلك تصبح النسبة اثنين إلى واحد ، و نكون قد حللنا المشكلة تماماً " . صمت أستاذ الفلسفة و لم يتكلم ، فسأله سام " ما بك يا أستاذ ، لماذا صمت هكذا " نظر الأستاذ إلى سام و قال بخرج " لدي اقتراح يا سام " - " ما هو يا أستاذ ؟ " - " أنا أفضل أن تكون هناك قائمتان منفصلتان ، و أن تعطى القائمة الأخرى إلى شخص آخر ، و أبقى أنا على قائمتي " . استهجن سام الأمر و قال " و لكن يا أستاذ هذا سيسبب لي ارتباكاً ، و سأضطر للتعامل مع شخصين ، و فتح حسابين بالبنك ، و مراجعة قائمتين ... سيصبح الأمر معقداً ، ألا ترى ذلك معي ؟ فضلاً على ذلك فإني أنني أثق بك و مرتاح بالتعامل معك ، لا ، لا يا أستاذ ، لقد حققت لك رجاءين قبل قليل فحقق لي أنت هذا الرجاء " . توسل الأستاذ إلى سام قائلاً " أرجوك يا سام ، هذا آخر رجاء لي ، اعتبره الأخير " . صاح سام " و لكن لماذا يا أستاذ !!!؟ لقد حيرتني ، و لا أعرف كيف أتصرف معك " تلكأ الأستاذ قليلاً ثم قال بإحراج و انكسار " لقد أخبرتك قبل قليل يا سام ، هناك من لا يقدر ، أنت تعرف أنني شخص لي مبادئ و تفكير معين نشأت عليه ، و معروف للناس جميعاً ... و عندما سيضاف هذا

العدد الهائل إلى قائمتي ، فمن المؤكد أن الناس ستذهب بتفكيرها بعيداً و سيعدونني مثل الآخرين ، أظن أنك فهمت قصدي " . تنهد سام و قال " و لكن من أين سأجلب شخصاً لهذه المهمة ؟" . أجاب أستاذ الفلسفة " أبوك مثلاً أو أخوك " . أشار سام بيده نافياً " لا ، لا ، يا أستاذ .. أخي يعمل معي في العاصمة ، و أنا لا أستطيع الاستغناء عنه ، و أبي ليس له هذه الخبرة و الدراية و العلاقات المتشعبة ، إنه لولا انتقاله من الفترة الليلية في المصنع إلى الفترة النهارية ، لقضى بقية عمره دون أن يرى بشراً هيا يا أستاذ ، إما أن تجد لي شخصاً قديراً و موثقاً ، أو أنني مضطر لتكليفك بهذه المهمة وحدك " . أشعل أستاذ الفلسفة سيجارة أخرى ، و اخذ يدخن و ينفث الدخان في و يفكر بعمق ، و سام ساكت ينظر إليه . و فجأة رفع الأستاذ رأسه قال " وجدتها ما رأيك يا سام بمديرة المدرسة ؟.... أظن أنها خير من يصلح لهذه المهمة ، لقد تقاعدت قبل سنتين و لم تعد تعمل شيئاً ، و سترحب بهذا العمل الجديد " . حدق سام بأستاذ الفلسفة و هو يفكر ، ثم ضرب بيده على رأسه و قال " صح ، يا أستاذ ... إنها فكرة رائعة ، لم تخطر ببالي ، فعلاً إنها الأنسب " . أجاب الأستاذ محملاً " طبعاً يا سام ، فهي لديها معارف كثر ، و تستطيع أن تؤمن لك ليس فقط خمسمائة شخص ، بل ألف إذا أردت ، و بهذا تكون قد أزحت عني عبئاً ثقيلاً " - " و أين هي الآن؟" - "لقد نزلت إلى المدينة الشمالية ، و لكن تستطيع أن تأخذ عنوانها من المدرسة " . فكر سام قليلاً ثم سأل " و لكن هل ستقبل ؟ " . أجابه الأستاذ بسرعة " طبعاً إنها ستقبل ، إنها تحب مثل هذه الأعمال " .

أخذ سام عنوان المديرية من المدرسة ، و انطلق في اليوم التالي إلى المدينة الشمالية لمقابلتها . استقبلته المديرية ببرود ظاهر ، و إن تفاجئت بزيارته بعض الشيء . أدرك سام ما يجول بذهن المديرية ، فبادر على الفور إلى ترطيب الجو " أراك متكدرة يا سيدتي ، هل بدر مني ما يزعج ؟ " . أجابت العجوز بصوت حاد ناعم "

طبعاً يا سام ، لقد بدر منك ما يزعج " . أجاب سام بهدوء و هو يتسم بوداعة " أخبريني يا سيدتي الفاضلة و أنا مستعد لتصحيح الخطأ " . نظرت المديرية إلى سام بعينين حادتين و قالت " لقد كنت أراك دائماً يا سام مثلاً للتلميذ العاقل الناضج ، الملتزم و المهذب .. و عندما أرسلتك إلى مؤسسة إلفا للدراسة ، رأوا فيك الصفات نفسها ، فما الذي جرى لك حتى تغيرت هذا التغير كله ، لقد تفاجئت بك " . فكر سام و هو يحك أنفه ثم قال " و لكنني يا سيدتي الفاضلة ، لم أتصرف أي تصرف سيء تجاه مؤسسة إلفا ، بل على العكس هم من بادروني العداء ، وبدؤوا بالتهجم علي ، و السيد هنري تصرف معي تصرفاً مشيناً جداً .. لقد كان هو السبب في كل ما حصل لي ، أظنك تعرفين ذلك ؟ " . أومأت المديرية برأسها الأثيب المتجدد و قالت بأسى " نعم يا سام ، قد علمت بذلك مؤخراً ، و تفاجئت به .. لقد كان تصرفه مشيناً حقاً ، و هو يستحق السجن ، و أنا أؤيدك في ذلك " - " حقاً يا سيدتي !!؟؟ " - " طبعاً يا سام ، حتى إنني تكلمت مع مجلس إدارة إلفا بهذا الشأن " . فوجئ سام بكلام العجوز ، فقال " على كل حال و إكراماً لك يا سيدتي الفاضلة ، فإنني يمكن أن أسقط حقي عن السيد هنري " . ردت المديرية بجدة " لا ، لا يا سام ، فليقع في سجنه ، إنه يستحق العقاب ، إنني لم أشك لحظة واحدة في أنه يستحق العقاب ... و لكن القضية ليست هنا يا سام " بهت سام من كلام المديرية و قال " و لكن أين يا سيدتي !!؟؟ " - " في الأخبار التي نسمعها عنك وعن تعاملك مع حزب الشعلة ... عندما كنت طالباً في مؤسسة إلفا ، أخبروني عن تصرفاتك و علاقاتك مع بعض اليساريين الراديكاليين ، و لكنني لم أحمل الموضوع أكثر مما يستحق ، لأنني كنت أعرف صفاتك و أخلاقك ، و قد عدت ذلك نوعاً من حب التعرف و نوعاً من التجربة ، لا تلبث أن تنتهي ، و قد أخبرني السيد هنري وقتها بتصرفاتك الفظة معه ، و أيضاً لم ألق بالاً للموضوع .. و لكن بعد ذلك عندما علمت أنك تدفع شهرياً مبالغ طائلة إلى هؤلاء الراديكاليين المتعصبين المتطرفين ، اعتبرت الأمر جدياً حقاً ، و أنك نسيت ماضيك و نسيت من ساعدك و وقف معك ، و انضمت إلى

أعدائه " . أدرك سام ما ترمي إليه المديرية ، فسارع إلى التوضيح قائلاً " أرجو أن تسمح لي يا حضرة المديرية أن أقول لك إن الأمر ليس كما تتصورين ، و كل ما هنالك أنه حصل سوء تفاهم بالموضوع " . صاحت العجوز مجدة " أي سوء تفاهم هذا الذي حصل يا سام و صديقك أستاذ الفلسفة ، هذا الحاقد المعقد المهووس ، لم يدع أحداً من أنصار حزب الشعلة إلا و يدعمه شهرياً بالمال " . أو ما سام بيديه مهدتاً و هو يتسم و قال " في الحقيقة يا سيدتي ، أحب أن أوضح لك أنه لم يكن لي علم بالموضوع أبداً ... و كل ما في الأمر أن أستاذ الفلسفة قد تصرف من عنده ، و لم يراجعني بذلك أبداً ، و أنا لم أدقق بالموضوع ، و لكنني حالما علمت بذلك ، جئت إلى هنا لأصحح الأمر ، و أنا عندك الآن يا سيدتي من أجل ذلك يجب أن تعرفي يا سيدتي ، أنه لم يكن لي علاقة ، لا بحزب الشعلة و لا بحزب اللهب و لا بغيره من الأحزاب ، و كل ما في الأمر ، أنها كانت فترة عابرة في مؤسسة إلفا ، و أنا سأبقى كما أنا و كما كان عهدك بي يا سيدتي " . نظرت المديرية إلى سام ، و قالت بلهجة أكثر هدوءاً " إنني آمل ذلك منك يا سام ، فما أعرفه عنك أنك مثال للنباهة و الذكاء ، و لا تنجر لمثل هكذا أمور ... ثم من قال لك إن هؤلاء اليساريين الماركسيين هم فقراء و بحاجة للمساعدة ... يوجد الكثير منهم أغنياء و ملاكي أراضي و عقارات ... هناك الكثير من غير هؤلاء ، هم بحاجة للمساعدة " . هز سام برأسه موافقاً و قال " أعرف ذلك يا سيدتي ، و لكي تتأكدي من صدق كلامي ، فإنني قررت أن أصلح هذا الخطأ غير المقصود ، و أريد أن أساعد هؤلاء المساكين المحتاجين الذين تتكلمين عنهم " . عدلت المديرية من جلستها و قد تحفزت بانتباه و قالت " لم أفهم بالضبط يا سام؟؟ " . أجاب سام موضحاً " إذا لم يكن لديك مانع ، أريدك أن تساعدني في هذا المجال ، أريدك أن تختاري لي بنفسك هؤلاء الأشخاص " . جحظت عينا المديرية و قالت بدهشة " أنا؟؟ " - " نعم أنت يا سيدتي ، كي تتأكدي بنفسك هؤلاء الأشخاص " . جحظت عينا المديرية و قالت بدهشة " حقيقتها .. إلا إذا كنت مشغولة بعمل آخر؟ " . أجابت المديرية بسرعة " لا ، لا يا سام ، ليس لدي أي

عمل بعد التقاعد " . فسألها سام " ما رأيك يا سيدتي بفكرة التبرعات هذه ؟ " - " إنها فكرة جيدة يا سام
" . نظر إليها سام مبتسماً و قال " ما رأيك يا سيدتي أن تتولي أنت هذه المهمة ؟ ... إنني أثق بك كثيراً ،
و أنت لا شك قادرة على تحديد من هم بحاجة فعلاً إلى المساعدات و التبرعات " اتسعت عينا المديرية و
أخذت تحك رأسها و قد سال لعابها ، ثم قالت بنبرة مشوبة بالفرح " في الحقيقة يا سام ، لقد فاجأتني بهذا
الموضوع " . نظر إليها سام و قال " ألا تريدان أن أصلح الخطأ يا سيدتي؟ .. ها أنا أعرض عليك هذا
العرض ، فما رأيك ؟ " . صممت المديرية قليلاً ثم قالت " و ماذا عن أستاذ الفلسفة و أتباعه الذين يحصلون
على المساعدات ؟ " - " هؤلاء انسي أمرهم ... أنت لا علاقة لك بهم ... أنت سيكون لك من تقديم
لهم المساعدة و الآن أخبريني يا سيدتي ، هل أنت موافقة ؟ " . صممت المديرية مرة أخرى و هي
تفكر ، ثم مطت شفيتها المجدتين المطليتين بأحمر الشفاه و قالت " أظن أنني موافقة " . ضحك سام ثم نظر
إلى المديرية و قال مبتسماً " حسناً يا سيدتي ، هل تستطيعين أن تهيني لي قائمة بالأشخاص الذين تظنين
أنهم بحاجة إلى المساعدة ؟ " - " نعم أستطيع يا سام ، و لكن ما هو العدد الذي تحتاجه ؟ " . أجابها سام
على الفور و باقتضاب شديد " خمسمائة شخص " . جحظت عينا المديرية و فغرت فمها و قالت "
خمسمائة !!؟؟ " . أجاب سام و هو يهز رأسه بوقار "نعم ، خمسمائة ، و ليس عشرة أو عشرين ، يجب أن
تعرفي يا سيدتي من هو تلميذك " - " حقاً إنك تلميذ نجيب يا سام ، و أنت دائماً عند حسن ظني بك ...
لقد كنت دائماً أقول لهؤلاء القابعين في إلغا ، إنك غير ما يتصورون ... حسناً يا سام ، متى تريد هذه
القائمة ؟ " - " في أقرب وقت ممكن ، و الآن أستميحك عذراً يا سيدتي ، فإنني مضطر للعودة إلى
العاصمة .. هذه هي أرقام هواتفني ، اتصل بي عندما يجهز العدد " .

عاد سام إلى العاصمة ، و عندما وصل ، اتصل مع الدكتور بروكلمان و التقيا في أحد المطاعم و هناك قام سام بإطلاعه على ما حصل معه في الشمال " رائع ، رائع يا سام ، إنه تصرف ذكي ، لقد ضربت عصفورين بحجر واحد ... أولاً أزلت عنك شبح تلك الصورة المخيفة التي كانت تحوم حولك ، ثانياً أرضيت مؤسسة إلفا نوعاً ما ، كون تلك المديرية من أعضائها المهمين " . تأفف سام قائلاً " هذا ما يزعجني يا دكتور " أجابه الدكتور على الفور " بالعكس يا سام ، إن مؤسسة إلفا هي أكثر من يبعد عنك شبح التعامل مع الخارج لأنها من ألد أعداء حزب الشعلة ، و هي مرتبطة بالحزب الديمقراطي بشكل عام ... و عندما يكون لك أنصار من مؤسسة إلفا ، فهذا يعني بالنسبة للناس و بالنسبة للأمن العام أنه لا علاقة لك بأية جهة خارجية " . تنهد سام بعمق و قال "المهم الآن أننا اجتزنا هذه الأزمة ، لقد كاد أستاذ الفلسفة أن يوقعني في مأزق خطير " . فقال الدكتور بروكلمان " لقد لاحظت الآن شيئاً من كلامك معه" - " ما هو يا دكتور ؟ " أشار الدكتور إلى سام بأصبعه و قال " ألم تلاحظ يا سام أنك عندما أخبرته بموضوع التبرعات لأنصار حزب الشعلة ، كيف انفعل و غضب و لم يقدر موقفك و عندما طلبت منه المساعدة في اختيار قائمة جديدة من غير أصدقائه و رفاقه ، اعتذر و طلب منك تقدير موقفه ، أي أنه وقع في التصرف نفسه الذي غضب منك لأجله " تتمم سام " نعم يا دكتور لقد فعل ذلك ، و لا أدري لماذا " أشار الدكتور بروكلمان مرة أخرى إلى سام و قال "الموضوع أراه من زاوية النفس الإنسانية .. من زاوية علم النفس ... في علم النفس يا سام ، هناك أمراض نفسية تكون ظاهرة للعيان و بادية على الشخص ، و هناك أيضاً أمراض نفسية أخرى لا تظهر على الشخص بشكل واضح ، فيبدو لك الشخص بحالة طبيعية ، و لكنه في الحقيقة مصاب بمرض نفسي ، و معظم الذين يصابون بأمراض نفسية خفية ، هم من الذين حصلوا على درجة معينة من الثقافة " . استغرب سام الكلام فسأل " و لكن لماذا يا دكتور ؟ " - " لأنهم يحاولون إخفاء ذلك ، فهم بشكل غير مباشر ، يشعرون به و يحاولون كبتهم ، و إذا ضُغَط عليهم ، يظهرونه

و يعبرون عنه بطرق غير مباشرة ، بينما الإنسان الأمي أو الجاهل أو الذي ليس له مستوى معين من الثقافة ، ترى تصرفاته تظهر عليه ، فهو بشكل أو بآخر يتصرف ببراءة و جهل لأنه لا يدري انه مريض ... هل فهمت المعادلة يا سام ؟ - " أظن أنني فهمت ، لكن ما علاقة أستاذ الفلسفة بالموضوع ؟ " . أشعل الدكتور بروكلمان سيجارة و قال " علاقته أنه مصاب بنوع من الأمراض النفسية الخفية ، فمثلاً هناك مرض يسمى بمرض افتعال المشاكل مع الناس ، و هو موجود لدى بعض الناس و يظهر عليهم حسب طبقاتهم و فئاتهم ، فالأميون أو المتخلفون أو الجاهلون ، تراه يظهر عليهم بالإجرام أو أي عمل مخالف للقانون أو الصياح و الشتائم ، أما المثقفون فهو يظهر عليهم بالنقد و الانتقاد على سبيل المثال ، و سبب هذا المرض بالدرجة الأولى هو أن هذا الشخص يريد أن يقول لك أنا موجود ، أنا هنا و هناك مرض آخر اسمه مرض الوعظ و النصائح ، و هو موجود أيضاً لدى معظم الناس ، فالكل يريد أن يعظ و الكل يريد أن ينصح ، و سبب هذا المرض هو أن هذا الشخص الذي وجد لنفسه مكاناً في المجتمع ، يريد أن يجد مرتبة أيضاً و هناك مرض آخر اسمه مرض البحث عن مكانة ، و هناك مرض اسمه ..أنا على حق ، و غيري على خطأ ، فالشخص هنا لا يقبل و لا بشكل من الأشكال أن يكون مخطئاً ، و لا أن يتعرض لنقد ، و هو مستعد لتدمير الآخر على ألا يقال له إنه مخطئ ، مستعد أن يرتكب خطأ أكبر من الخطأ الذي ارتكبه ، ليغطي على الخطأ الصغير ، فهو يهرب من الخطأ إلى خطأ أكبر منه حجماً ، المهم ألا يقال له أنه مخطئ ، و إذا اكتشف أنه مخطئ ، فإنه يبادر إلى الهجوم أو الانتقاد أو الإساءة ، بدل الاعتذار أو الاعتراف بخطئه ، و ذلك للتغطية و التمويه على خطئه ، و صديقك الفيلسوف هذا ، مصاب بهذه الأمراض جميعها ، فعندما أتيت إليه و أخبرته بالموضوع ، و أخذت تستفسر منه بشكل منطقي عقلاني ، أحس بالخطأ ، فبادر فوراً إلى الانفعال و الهجوم ليغطي على الخطأ الذي ارتكبه و الذي يتحمل هو وحده مسؤوليته ، و عندما أخرجته أنت و طلبت منه استلام القائمة الجديدة ، أحس بالخطر و المطب الذي أوقع

نفسه فيه ، فلم يجد مخرجاً إلا أن يغضب و يفعل و يتخذ الموقف نفسه الذي لامك عليه ، عندما قلت له أرجو أن تقدر موقفي يا أستاذ ، جن جنونه و غضب منك و تأثر و طلب ترك العمل وعد نفسه صاحب كرامة و حق و صواب ، و لكن عندما وضعته مرة أخرى في الزاوية حيث لا مخرج و لا مهرب ، ركع على ركبتيه و أخذ يترجأك لتقدر موقفه ، و لو أنه منذ البداية تفهم موقفك و اعترف بخطئه " . فكر سام ملياً بكلام الدكتور بروكلمان ثم سأله " و ماذا عن المديرية؟" - "إنها تختلف عن أستاذك هذا ، فهي و بالرغم من انزعاجها و غضبها منك ، فقد ناصرتك في موضوع هنري و عدته مذنباً و أصرت على بقاءه في السجن بالرغم من أنه صديق لها و له توجهاتها و ميولها نفسها ، و أنا أقدر لها هذا الموقف النبيل و الشهم ، لكنني أظن أنها ستقع في الخطأ نفسه الذي وقع به أستاذ الفلسفة من حيث نوعية الأشخاص الذين ستدرجهم في قائمتها ، و أنا واثق أن الخمسمائة شخص هؤلاء ، سيكونون من أنصار و مؤيدي الحزب الديمقراطي ، تماماً كما فعل أستاذ الفلسفة ، و غداً سترى بنفسك ... لقد قلت لك يا سام من قبل ، الناس صناديق مغلقة عندما تفتحها تجد في داخلها صناديق أخرى مغلقة " . فكر سام مرة أخرى ثم نظر إلى الدكتور بروكلمان و قال متسائلاً " و هؤلاء الخمسمائة الذين ستختارهم مديرة المدرسة ، هل سيسببون لي أيضاً المتاعب يا دكتور ؟ " - " لا يا سام ، على العكس ... هؤلاء سيحققون لك الفائدة التي تتوخاها ... هم سيكونون صورتك أمام الناس ... دع الناس يا سام يحققون مصالحك على طريقتهم " أوماً سام موافقاً و قال " معك حق يا دكتور .. و لكن بقي موضوع المعلم رالف " . أشار الدكتور بيده قائلاً "نعم يا سام بقي المعلم رالف و هو الخطوة الثالثة و المهمة جداً ، و هي التي ستزيل من أمامك آخر ما تبقى من هذه العقبة الكأداء " . بدا القلق على وجه سام ، فقال " و لكن هل سيقبل يا دكتور ؟ " - " نعم يا سام سيفعل هيا ، قم بنا نذهب إليه " .

في الحديقة جلس سام و الدكتور بروكلمان و المعلم رالف الذي كان صامتاً بوجه عبوس مكفهر ،
مقطب الجبين . أشار الدكتور بروكلمان إلى سام ، فابتدأ بالكلام " أراك متكدرًا يا معلم ، هل حصل شيء
؟ " . نظر المعلم رالف إلى سام نظرة نارية و لم يتكلم . هنا تدخل الدكتور بروكلمان " هيا يا معلم ، ما
بالك ، هل هناك شيء ، أراك و كأنك غاضب ؟ " نظر المعلم رالف إلى الدكتور بروكلمان و قال بجنق
شديد " و هل تريدني أن أعبر عن فرحتي و سروري يا دكتور ؟ لقد خاب أملي بسام ... سام الذي
كنت أعده مثال الدين و الطهارة و العفة و المبادئ و الإيمان " . فقال سام "هدئ من روعك يا معلم
إنني " - " و كيف أهدئ من روعي ؟ و أنا الذي كنت أعدك مثال للخير و الإيمان ، أتفاجأ
بين ليلة و ضحاها بقدمك إلي لتقول لي إنك تعرفت على الشيطان ، و هو يعرض عليك المساعدة ، و
عندما أعطيتك قلادة لحمايتك من هذه الأمور تأتي إلي في اليوم التالي لتعيدها لي و تقول إنها لم تعجب
الشيطان .. من يدري ، لعله يريد أحدث منها ... و الآن أتفاجأ أيضاً بأنه يوجد لديك تبرعات و
مساعداً سرية في الشمال و لمن ؟ .. لأولئك الكافرين الملحدين (التفت إلى الدكتور بروكلمان) أرجوك
يا دكتور قل شيئاً ، قل شيئاً أرجوك ، بصراحة إنني لم أعد أستوعب الأمر جيداً " . أجاب سام محاولاً
التبرير " هناك سوء فهم يا معلم " . فرد المعلم رالف بغضب شديد " أي سوء فهم هذا يا سام ؟ بعد
كل ما فعلته ، تقول لي سوء فهم ؟ أهذه هي النتائج الهامة التي توصلت إليها في خلوتك ؟ ... هل
توصلت بعد كل هذه الخلوة إلى أن تعقد الصفقات مع الشياطين و الأبالسة ، و ترسل الأموال للملحدين ؟
" . تدخل الدكتور بروكلمان مرة أخرى قائلاً " لا يا معلم ، هناك فعلاً سوء فهم بالموضوع ، و أنا
سأوضح لك " انتفض المعلم بانفعال و صاح " لا أريد أي إيضاح يا دكتور ، الأمر واضح تماماً إن
هذه التصرفات تدل إما على الكفر و الإلحاد ، أو على الجنون " . و هنا وقف سام بغضب و قد بدا عليه
الضيق الشديد ، فقال له الدكتور بروكلمان " سام .. انتظرني قليلاً في السيارة " ذهب سام من دون أن

يلتفت إلى المعلم رالف . نظر الدكتور بروكلمان إلى المعلم رالف و قال " اسمع يا معلم ، لا وجود للشياطين و لا غيرهم .. الأمر باختصار و بكل بساطة ، هو أن سام مر بصدمة قاسية نتيجة لما فعله به صديقه جاك ، بالإضافة إلى انه تلقى صدمات أخرى لا تقل قسوة عما فعله جاك به ، و بسبب ذلك أصبح يعتبر الناس أبالسة و كفرة نتيجة لمروره بهذه الأزمات مجتمعة و أنا بصفتي دكتوراً في علم النفس ، أؤكد لك ذلك ..أنا أدري بسام ، لقد عايشت تجربته و أعرف كل ما حصل له ... ثم ألم تره كيف كان مريضاً في الفراش يا معلم ؟ أعود و أؤكد لك يا معلم بصفتي دكتوراً في علم النفس ، إنه لا وجود للشياطين أو غيرهم أما بالنسبة لموضع تبرعاته لأنصار حزب الشعلة ، فهو لم يكن لديه علم بذلك مطلقاً ، إنه صديقه أستاذ الفلسفة الذي رأيناه مرة عنده في البلدة ، ألا تذكر ؟ ... إنه من أتباع حزب الشعلة و قد قام بإعطاء الأموال التي كان يرسلها سام إلى رفاقه و أصدقائه من الميول و الاتجاهات نفسها ... بالمناسبة ، لقد حقق الأمن العام بهذه المسألة و تأكدوا من أن سام لا علم له ، فضلاً على أن سام قام بتصحيح الخطأ فور علمه به ...هيا يا معلم ، لقد صدم سام بأناس كثيرين ، فلا تدعه يصدم بنا نحن أيضاً ، أقول لك هذا الكلام و أنا واثق منه تماماً " . فكر المعلم رالف قليلاً ثم قال " لا بأس يا دكتور ، ربما يكون معك حق ... و لكنه تصرف أحمق .. ما كان يجب عليه أن يفعل ما فعله ، أنت تعرف كم وقفت إلى جانبه و ساعدته في أمور كثيرة ، و علمته و دربته طوال هذه الفترات .. هل تصدق أنني أحياناً كنت أرى نفسي فيه " . هز الدكتور بروكلمان رأسه متفهماً و قال " إنني أقدر فيك هذا الأمر يا معلم ... و لهذا أريد منك أمراً آخر " - " ما هو؟؟ " - " لا شك انك قرأت عن المقال الذي نشرته مؤسسة إلفا عن سام ، و قد نشر سام مقالاً مضاداً له ، و هذا تعبير و برهان على أنه لا علاقة له بكل ما نسب إليه .. و لكنه الآن يحتاج إلى مقال منك أنت بالذات ، نتحدث فيه عن أعماله هنا في المؤسسة و ما تعرفه عنه ، و نفي أية علاقة له بحزب الشعلة " . رد المعلم رالف على الفور " آسف لا أستطيع " - " و

لكن هذا المقال يا معلم هو مهم جداً بالنسبة لسام و نحن يجب أن نقف معه في محنته كما وقفنا معه في السابق، وخاصة أنت " . انتفض المعلم و قال بانفعال " و لكنه خدعني و كذب علي يا دكتور ... لقد كان يقوم بأعمال التبرعات من دون علمي و دون أن يجبرني على الأقل ... إنني قد أتساهل في موضوع الشياطين و الأبالسة ، أما و أنه قام و من دون علمي بنشاط خيري و للملحدين ، فهذا ما لن أغفره له " .

صاح الدكتور بروكلمان " هيا يا معلم .. إنه أمر بسيط للغاية ، الرجل أراد أن يساعد أهل بلده و منطقته و هذا أمر طبيعي ... لا تحمل الأمر فوق حجمه يا معلم " . هز المعلم رالف رأسه بالنفي و قال " آسف يا دكتور ... لا أستطيع " . نظر إليه الدكتور بروكلمان متمعناً و قال " و لكن يا معلم أنا الذي يطلب منك ذلك ، اعتبر هذه الخدمة لي أنا " . رد المعلم رالف بإحراج " أرجوك يا بروكلمان ، لقد صفحت عنه لأجلك ، أما موضوع هذا المقال ، فاعفني منه " . أجاب الدكتور بروكلمان بهدوء "حسناً يا معلم ، في هذه الحالة سأعتبر ألا قيمة لي عندك " . فكر المعلم رالف قليلاً ، ثم أصدر نفخة قوية و قال " حسناً يا دكتور .. كما تشاء ، غداً سأنتشر هذا المقال " انفرجت أسارير الدكتور بروكلمان و قال " المهم أن تنشر ما أخبرتك عنه يا معلم " - " لا بأس ، لا بأس .. سأفعل يا بروكلمان " - "أشكرك جداً يا معلم ، و عندما تهدأ الأمور قليلاً ، سأتي أنا و سام و سيقدم لك اعتذاراً خاصاً عن كل ما بدر منه " . عاد الدكتور بروكلمان إلى السيارة و انطلق هو و سام " اطمئن يا سام ، لقد سارت الأمور على ما يرام ، و المعلم رالف صفح عنك ، و غداً سينشر المقال في الصحيفة و ينفي فيه كل ما قيل عنك ... هذا المقال بالذات يا سام سيبعد عنك أي أثر للشبهات ، كونه من المعلم رالف ... المهم الآن أن تأتي إليه خلال هذا الأسبوع و تعتذر منه بشكل رسمي ، إنه رجل طيب و يحبك يا سام " - " نعم يا دكتور ، سأفعل ذلك ، أنا مدين للمعلم رالف بأمور كثيرة " .

في المنزل ، جلس سام و زوجته يشاهدون التلفاز ، و بينما كانت الزوجة تتابع ما يجري على الشاشة باهتمام ، كان سام شارداً يفكر ، و بعد قليل ترك زوجته و ذهب إلى غرفة المكتب و أشعل سيجاراً و جلس على الكرسي يفكر في كل ما حصل له ... فكر في أستاذ الفلسفة و التصرف الذي قام به ، و في جاك و هنري ، في المعلم رالف و المجتمع كله " لم يعد لي ثقة بأحد ... لا أحد يستحق الثقة ... إن كلام الدكتور بروكلمان صحيح ، الناس صناديق مغلقة ... على كل حال يبقى أستاذ الفلسفة بالرغم من كل ما فعله ، موضع ثقة ، ربما ما قاله عنه الدكتور بروكلمان صحيحاً و لكنه لا ذنب له ، إنه ضحية هذا المجتمع كل الناس يفكرون بمصالحهم و أنفسهم فقط ... ليس هناك مبادئ ، إنها حبر على ورق .. و لكن هذه أول مرة يتكلم عنه الدكتور بروكلمان بهذه الطريقة ، فلماذا؟؟!! " فجأةً خطرت بباليه شخصيته القديمة و كيف كان يتصرف في بداية حياته ، أحس أنه أصبح شخصاً آخرًا مختلفاً ، لم يعد كما كان . حتى إنه لم يعد يتذكر كيف كان بالضبط حاول أن يتذكر ، لكن ذاكرته لم تسعفه إلا ببعض اللقطات و المواقف و التصرفات العابرة ، أعاد الكرة من جديد و لكنه لم يفلح إلا في التقاط خيالات و صور و أشباح مبهمه لم يعد يتذكر سوى شيء واحد ، و هو أنه لم يعد كما كان من قبل ، أحس برعشة قوية تسري في جسده ... لقد تغير ... و لكن لماذا تغير ؟ ... ما الذي غيره ؟ إنهما أمران اثنان ، المال و الناس ... المال غيره بنسبة معينة ، و الناس غيروه بالنسبة الباقية . لقد فوجئ بتصرفات الناس معه ، و كان له ردة فعل على هذه التصرفات ، و ربما هذه الردة الفعل هي من جعله يتغير ، تتمم في نفسه قائلاً " نعم ، نعم .. إنها هي من جعلني أتغير " . و لكن هل كان يستطيع أن يكون له هذه الردة الفعل ، لولا المال ؟ .. تتمم قائلاً " لا أظن " . لقد أثرت فيه هذه الصدمات و جعلته في فترة من الفترات ينزل إلى الحضيض ليعود مرة أخرى إلى الصعود ، هذه الصدمات و إن كانت قاسية عليه ، فإنها قد أفادته بأمرين ، الأول أنه جعلته قوياً ، و الثاني أنها علمته أموراً كثيرة كان يجهلها ، و خفايا عدة لم تكن لتخطر

له على بال .. علمته فن التعامل مع الناس ، فن التصرف و التفكير ، أعطته مجالاً جديداً .. طورت مفهوم الحيلة و الحذر لديه ، و لكنه لاحظ أمراً جديداً إنه لم يعد يتأثر كلما مر بصدمة أو مفاجأة جديدة ، كأنه قد أصبح معتاداً ، أو أنه تعرض إلى أقسى أنواع الصدمات ، فلم يعد هناك شيء أقسى منها ، و كل ما عداها ، ليس له هذا الأثر الكبير ، فكر قائلاً " يجب أن أكون قوياً .. هناك تحدٍ كبير أمامي ، و علي اجتيازه ، إنه إثبات وجودي في هذا المجتمع المخيف و المرعب و المليء بالأعداء ... لا يجوز كلما تعرضت لموقف أن تصيبيني الكتابة و الحزن و الغم ، سأوطن نفسي على الصلابة ، أظن أنه سيكون هناك الكثير من المفاجآت التي تنتظرني في هذه الحياة .. سأهتم بنفسي و أطور تجارتي و أنميها ، و أزيد من ثروتي ، إن المال هو الذي يحكم الناس و المجتمعات و الدول ... أنا املك المال ، إذاً أنا موجود " .

أنهى سام تقريباً خلافه مع المعلم رالف ، و زاد من مجال تبرعاته في العاصمة و الشمال ، في العاصمة كانت تبرعاته تحت إشراف المعلم رالف و عن طريقه ، و في الوقت نفسه بدأ أيضاً بإلقاء بعض المحاضرات في مؤسسة المعلم رالف و نشر بعض المقالات الصحفية . أما في مجال التجارة ، فقد وسع نشاطاته التجارية و نماها بشكل كبير . كانت شهرته في المجتمع واسعة ، لقد اكتسب محبة و احترام الناس و لكنه في الوقت نفسه عاد إلى علاقاته الغرامية السرية ، كانت كاتيا أول عشيقاته ، كذلك بعض الموظفين في الشركة . في السوق ، كان لا يتردد في محاربة منافسيه من التجار و يستخدم كل الوسائل المتاحة له لتدميرهم و إخراجهم من المنافسة . و عندما استقرت أموره و أنهى مشاكله مع المعلم رالف و أستاذ الفلسفة و مؤسسة إلفا ، ذهب للقاء الشيطان . ركب سيارته و انطلق نحو الغابة التي خارج العاصمة ، وصل إلى المكان و ترجل من السيارة و دخل إلى الغابة . كان الشيطان بانتظاره ... " أهلاً بك يا سام " - " أهلاً بك أيها الشيطان ، أفترض أنك راض عن العمل أليس كذلك ؟ " . أجاب الشيطان " بشكل عام ، نعم ... لقد

بدأت بداية جيدة في أعمال الخير و قطعت شوطاً لا بأس به ، و لكن هناك بعض الملاحظات يا سام " - " ما هي أيها الشيطان !!؟؟ " - " أرى أنك تفرط قليلاً في علاقاتك الجنسية ... و تصرفاتك فيها بعض القسوة و اللامبالاة " . أجاب سام مبرراً " و لكن لا أحد تقريباً يعرف بهذه الأمور ، إلا أصحاب العلاقة فقط " . فرد الشيطان محذراً " و لو يا سام ، على كل حال انتبه لنفسك ، قليلاً و حاول المحافظة على مكانتك و صورتك أمام الناس ، أما فيما يتعلق بأعمالك الخيرية و المساعدات التي تقدمها للناس ، فيجب أن تستقل بها و تكون أنت فقط المسؤول عنها و لا أحد سواك " . نظر سام إلى الشيطان بدهشة و قال " حتى المعلم رالف ؟؟ " أجاب الشيطان مؤكداً " نعم ، حتى المعلم رالف ... فليس هناك سبب لتبقى تابعاً له ، لقد تعلمت كل شيء ، و أصبح لك خبرة و دراية كبيرتين في هذا المجال " . جلس سام على جذع إحدى الأشجار المقطوعة و قال " ولكن هل من الضروري ذلك أيها الشيطان ؟ " - " نعم يا سام ، لأنك إن بقيت هكذا توزع تبرعاتك الخيرية و تقوم بنشاطاتك الدينية الاجتماعية عن طريق المعلم رالف و تحت إشرافه ، فستبقى صورتك أمام الناس مقترنة به ، و في هذه الحالة سينظرون إليه لا إليك و أنا أريد أن ينظر الناس إليك أنت فقط يا سام .. أن يعرفوك أنت فقط ، هذه هي الخطوة الأولى التي أريدها منك " أخذ سام يفكر بالموضوع ، لقد كان محرجاً بالنسبة له ، رفع نظره و قال للشيطان " و لكن هذا سيتسبب بالصدام مع المعلم رالف " أجابه الشيطان " حاول أن تجد طريقة لتجنب ذلك .. ابقَ على علاقة ودية معه ، فهذا من حقك يا سام ، أن تكون مشهوراً ، فشهرتك الآن تذهب كلها للمعلم رالف " . حاول سام التملص من هذا الأمر فقال " أظن أيها الملاك أنك تعرف أن علاقتي مع المعلم رالف كانت متوترة كثيراً لدرجة وصلت معها إلى حد القطيعة بسبب ما سمع و عرف عني ، و لولا تدخل الدكتور بروكلمان في هذه المسألة لما كنت أستطيع إصلاح العلاقة معه ، و علاوة على ذلك ، فإنه وقف معي في محنتي الأخيرة ، و أظن أنك تعرف بها ، لقد كتب مقالاً نفى فيه كل ما قيل عني ، و أنت تعرف أن له قيمته و مركزه في

المجتمع " . نظر الشيطان إلى سام و هز برأسه مبتسماً ، فسأله سام باستغراب " ماذا أيها الشيطان .. هل هناك شيء ؟ ... دائماً يكون وراء ابتسامتك تلك أمر ما " . أجاب الشيطان بهدوء " نصيحتي لك يا سام ألا تأخذ الأمور هكذا على ظاهرها ، مجردة من أبعادها ، بل يجب عليك دائماً أن تدقق في كل ما تراه و تسمعه ... فليس كل ما يُفعل لأجلك يكون فقط لأجلك " . تحفز سام في مكانه و بدت على وجهه أمارات القلق فسأل " لم أفهم بالضبط أيها الشيطان !!؟ " أجابه الشيطان " لقد مررت بأزمة يا سام ، و تجاوزتها ، لكن كان عليك أن تدقق في بعض ملابساتها " . سأل سام بقلق شديد " مثل ماذا بالضبط !!؟؟؟ " - " الدكتور بروكلمان مثلاً " . رد سام بسرعة " ما به الدكتور بروكلمان ؟؟؟ هل هو خائن أيضاً ؟؟؟؟ " - " لا ، لا ، لا يا سام ، إنه لا يخونك ، بل على العكس من ذلك ... إنه مخلص لك كثيراً... لكن ألم تلاحظ أنه كان متحمساً لمساعدتك كثيراً؟ " . فكر سام قليلاً ، ثم نظر إلى الشيطان و قال و هو يهز برأسه بقلق " نعم ، لقد كان كذلك بالفعل و أنا ... مدين له بذلك " - " لماذا يفعل ذلك برأيك يا سام؟ " . فكر سام ثم أجاب " لأنه يريد مساعدتي و إبعاد الشبهة عني ، و بخاصة أنه في فترة من الفترات شك بي ، و ظن أنني أتعامل مع جهة خارجية ، و أدرك فيما بعد أنه كان مخطئاً ... و لعله فعل ذلك لشعوره بالذنب ، فحاول التعويض عن الخطأ الذي ارتكبه بحقي " . ابتسم الشيطان مرة أخرى و قال " أو أنه فعل ذلك لإبعاد الشبهة عنه هو " . انتفض سام و هب عن جذع الشجرة واقفاً " ماذا . ماذا قلت أيها الشيطان ؟؟؟؟ " أجاب الشيطان بهدوء " كما سمعت يا سام " . نفض سام رأسه و حرك يديه دلالة الحيرة و الغموض " إنني لم أفهم بالضبط ماذا تقصد أيها الشيطان !!!!! " - " ما أقصده ، هو أن صديقك الدكتور بروكلمان هو الذي يعمل لحساب دولة خارجية ، أي ما تسمونه أنتم .. جاسوساً " . تتمم سام بذهول " الدكتور بروكلمان ؟؟؟!!!! " - " نعم الدكتور بروكلمان " . هز سام رأسه بالنفي "مستحيل غير معقول ، إنني لا أصدق ذلك و لكن كيف ... مستحيل " - " هذه هي الحقيقة يا

سام ، و الآن دعنا من هذا الموضوع ، و لنعد إلى موضوعك أنت " . رفع سام يديه و قال " لحظة .. لحظة ، أيها الشيطان و موضوع الدكتور بروكلمان ؟ .. إننا لم ننته منه بعد " - " و ما شانك أنت بهذا الموضوع ؟ .. إنه حر في أن يفعل ما يشاء ، و هو وحده من يتحمل تبعات ذلك ، و أنت ليس لك أية علاقة أو مسؤولية في هذا الأمر هل أخبرك هو يوماً عن هذا ؟ " - " لا .. و لكن أنت من أخبرني الآن " - " أخبرتك لأنك كنت تتكلم عنه و عن المعلم رالف ، و كيف ساعدك هكذا من دون سبب ، ذلك لأعطيك فكرة عن خبايا و تصرفات الناس " - " هل تقصد أنه سيء؟ " - " لا ، لا يا سام ، لم أقصد ذلك ، و لكن قصدت أن أفهمك أن الناس عادة لديهم ما يخفونه ، و هذا لا يعني بالضرورة أنهم أشرار أو سيئون " . أجاب سام باستنكار " و لكن تصرفه هذا مخالف للقانون " . رد عليه الشيطان بهدوء " أنا لا تهمني هذه الأمور يا سام و لا أبحث فيها ، مخالفته للقانون شيء ، و علاقته معك شيء آخر ، مخالفته للقانون ، يحاسبه عليها القانون ، أما علاقته معك ، فعليك أن تقيمها من خلال تصرفاته معك ، و تبعات هذا الأمر تعود عليه هو وحده فقط ، و أنا لم أخبرك بذلك إلا من باب الشرح و الإفهام ، فافهم يا سام " هز سام برأسه و هو غير مقتنع كثيراً ثم قال " فهمت ، فهمته ... و لكن لحساب من يعمل ؟ " - " لحساب دولة عظمى .. و الآن دعنا من هذا الموضوع ، و لنعد إلى موضوعك أنت " . جلس سام على جذع الشجرة المهترئ و قال " إني مصغ " . أشار الشيطان إليه و قال " الخطوة الأولى يا سام ، هي الاستقلالية عن المعلم رالف ، سوف تنشئ مؤسستك الخاصة بك " قال سام بأسى " أخشى أنني سأدخل في حرب مع المعلم رالف " . ألح عليه الشيطان قائلاً " يجب أن يكون لك كياناتك و شخصيتك المستقلة ، كما أنه يوجد هناك جمعيات أخرى غير جمعية المعلم رالف ، فلماذا لا يريد ذلك !!؟؟ .. على العكس ، واجبه أن يشجعك " . رفع سام يديه و قد سلم أمره و قال " لا أدري ، على كل حال سأحاول " - " الأمر الثاني يا سام ، هو أن تحاول التخفيف من العنف في تصرفاتك مع المحيطين بك و تمتنع عن ممارسة

الجنس ، أو التخفيف منه إلى حد كبير جداً ، و التخفيف من الأمور التي تشوه صورتك أمام الناس ، إن الانطباع لدى الناس و المجتمع عنك ، هو حتى الآن جيد جداً ، بل ممتاز ، و أنا أريد لهذا الانطباع أن يزداد " . أوماً سام بيده و قال " لا تقلق أيها الشيطان ، إنني حريص جداً على هذا الأمر ... و لكن قل لي ، ماذا بعد ذلك ؟ " - "أنت الآن قم بهذه الخطوة ، و بعدها لكل حادث حديث " . غادر سام المكان مستقلاً سيارته باتجاه العاصمة . في الطريق كان شارداً يفكر بالدكتور بروكلمان ... " إذاً هكذا يا دكتور العزير يا لها من مفاجأة غير متوقعة و لكن مستحيل كيف ذلك ؟ إنه أمر لا يخطر على بال يبدو أنني سأقضي أوقاتي بالانتقال من صدمة إلى صدمة ، و من مفاجأة إلى مفاجأة و لكن ... اللعنة لماذا يفعل ذلك الدكتور بروكلمان يا ترى !!؟؟ ... ما هو السبب ؟؟ و المعلم رالف ، كيف سأقنعه هو الآخر بهذا الموضوع ؟؟ " . هذه الأمور و الخواطر ، كانت كلها تتداخل في رأس سام الذي بدأ يشعر بصداع خفيف ... تارة يفكر بالدكتور بروكلمان ، و تارة بالمعلم رالف ... أخيراً نفض رأسه ، ثم ضغط على دواسة البنزين ، فانطلقت السيارة مسرعة نحو العاصمة . عندما وصل ، اتصل مع الدكتور بروكلمان و دعاه للحضور . كان يريد مساعدته في إقناع المعلم رالف بموضوع المؤسسة الجديدة . كان محتاراً ، هل يفتحه بموضوع علاقته مع الخارج أم لا ، و لكنه بعد تفكير رأى أن هذا الأمر قد يؤثر على موضوع المعلم رالف الذي كان يمثل الأولوية في نظره .

في المساء كان الدكتور بروكلمان يطرق باب سام . جلس الاثنان وحدهما في غرفة المكتب ، كان أمامها عشاء خفيف أعده الخدم مع بعض المشروب . بعد ثرثرة قصيرة ، دخل سام في الموضوع " في الحقيقة يا دكتور ، أريد أن أستشيرك بمسألة " - " ما هي يا سام ؟ " - " إنني أفكر أن أستقل بمشاريعي و عمالي الخيرية و الإنسانية " . رشف الدكتور بروكلمان من كأسه و قال " لم أفهم بالضبط يا سام " . أعاد سام

القول " أريد أن تكون مشاريعي الخيرية ، خاصة بي " - " و لكن أظن أنها خاصة بك يا سام ، فالأموال هي أموالك ، و أنت من يدفعها للمعلم رالف و أستاذ الفلسفة و المديرة . هز سام رأسه بالنفي و قال " لا ، لا يا دكتور ، إنني لم أقصد ذلك في الحقيقة أنا أريد أن أنشئ مؤسسة خاصة بي على غرار مؤسسة المعلم رالف .. هل فهمتني الآن يا دكتور ؟ " . أطرق الدكتور بروكلمان برأسه إلى الأرض ، و فكر قليلاً ، ثم أوماً يديه قائلاً " نعم فهمتك يا سام ، و لكن ... أظن أن هذا صعب " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان باستهجان و قال " ما هو الصعب يا دكتور؟؟ " . أجاب الدكتور ببرود و هو يقضم حبة فستق " الصعب يا عزيزي ، هو أن تنشئ مؤسسة مثل مؤسسة المعلم رالف " - " لماذا؟؟؟ " - " لأنها مؤسسة ضخمة جداً يا سام و متشعبة ، و هي ليست قائمة بالمال وحده ، بل هي نتاج سنين طويلة من الخبرة و التدين وأعمال الخير و العلاقات الكثيرة ، يضاف إلى ذلك ، شخصية المعلم رالف أيضاً ، فهو منذ أن كان صغيراً ، كان منصرفاً إلى الزهد و التأمل و عمل الخير ، و الناس أصبحت لا تعرفه إلا بهذه الصورة .. إنه عمود هذه المؤسسة ، و هي قائمة به هو " - " لا ، لا يا دكتور ، إنني لم أقصد هذا

يبدو أنني لم أعبر بشكل صحيح " - " ماذا تقصد إذن يا سام؟؟؟ " - " إن ما أقصده ، هو أنني أريد إنشاء مؤسسة خيرية خاصة بي ، وأن تكون أعمالها الخيرية و المساعدات التي أقدمها الآن ، خاصة بهذه المؤسسة التي ساديرها أنا ، و ستكون تحت إشرافي ، مع بعض المحاضرات البسيطة .. إنني أعرف بالطبع أنها لن تكون مثل مؤسسة المعلم رالف التي هي مؤسسة عريقة و ضخمة

باختصار يا دكتور، أريد أن أستقل بأعمالي الخيرية " . صمت الدكتور بروكلمان و لم يتكلم ، كان وجهه جامداً بعض الشيء ، و كأنه قد بدا عليه الانزعاج . سأله سام " ما بالك يا دكتور ؟ ... هل هناك شيء ؟ " . رد الدكتور بانفعال " نعم يا سام ، هناك شيء ما الذي جعلك تتخذ هذا القرار يا سام " . صمت سام قليلاً ثم قال "إنني فقط أريد أن أستقل بأعمالي يا دكتور ، و أظن أن الوقت قد حان لذلك ، هل هذا أمر غريب !!؟؟ " - " "

ليس غريباً يا سام أن تستقل بأعمالك ، و لكن الغريب أنك قبل أربعة أيام كنت تقول إنك مرتاح مع المعلم رالف ، و تفكر بأن تعتمد عليه بشكل أوسع في مجال الأعمال الخيرية ، فما الذي جعلك تغير رأيك !!؟؟

" . أحس سام بالحرج قليلاً ، تردد بعض الشيء ثم قال " في الواقع يا دكتور ، لقد أعدت التفكير بهذا الأمر ، و وجدت أنه من الأنسب أن أقوم بذلك وحدي " . لم يقتنع الدكتور بروكلمان بكلام سام و هو برأسه قائلاً " لا أعرف يا سام ماذا أقول لك " - " أريدك أن تساعدني في هذا الموضوع يا دكتور " . انفعل الدكتور و قال بضيق " و لكن يا سام لم يمض على مصالحتك للمعلم رالف فترة طويلة ، فهل برأيك أن هذا هو الوقت المناسب الآن لطرح مثل هكذا مواضيع " . استنكر سام كلام الدكتور ، و قال بدهشة " و لماذا يا دكتور غير مناسب ، ما هو الخطأ ، و ما هو المانع في ذلك " . أجاب الدكتور ببرود و اقتضاب " المعلم رالف " - " ما به المعلم رالف ؟ ... هل من المعقول أنه سينزعج من هذا الأمر و يسيء فهمي ؟ مستحيل يا دكتور ، لا أظن ذلك " . بدا الانفعال و الضيق على الدكتور بروكلمان الذي قال " هيا يا سام ، لا توهم نفسك ، أنت تعرف المعلم رالف جيداً ، و تعرف أن هذا الأمر حساس جداً بالنسبة إليه ... لقد حنق عليك حنقاً عظيماً ، فقط عندما علم بأنك توزع التبرعات في الشمال من دون علمه ، و تعرف ماذا حصل ، فكيف الآن عندما يعرف أنك تريد أن تنشئ جمعية خاصة بك ؟ " . سأل سام باستهجان و دهشة " و لكن لماذا يفعل المعلم رالف ذلك !!؟؟ الواجب عليه أن يساعدني في هذا الأمر ، لا أن يمنعي " . هز الدكتور بروكلمان كتفيه و قال بحيرة " إنني مثلك يا سام ، لا أدري ، و لكن هذا الأمر غير محبذ عنده ، و بالذات إذا كان من شخص مثلك ، ربما سيعد الأمر منافسة له أو نوعاً من الخيانة ، و بخاصة أنه دربك و علمك على هذه الأمور كلها " - " و لكن ألا تظن أن الأمر مبالغ فيه قليلاً يا دكتور ؟ " - " لا أدري يا سام ... هذا الأمر يعود للمعلم رالف وحده .. لا أستطيع أن أعطيك جواباً محددًا ، جرب أنت معه ، فربما نكون مخطئين " . أشار سام بإصبعه إلى الدكتور و قال " أريدك أن

تساعدني في هذا الموضوع يا دكتور" . رد الدكتور بروكلمان إلى الفور و هو يحرك يديه يمناً و يسرة "لا ، لا يا سام لا تقحمي في هذا الأمر ، لقد كادت وساطتي السابقة مع المعلم رالف لأجلك ، أن تؤثر في العلاقة بيني و بينه ، على كل حال جرب أنت ، فليس هناك داع للوساطة ، و لو أنني أنصحك الآن بالتريث " فكر سام بالموضوع ثم قال " حسناً يا دكتور ، سأقابلة غداً و أطرح معه الموضوع ، و إذا فشلت سأوسطك للتكلم معه " .

في الحديقة جلس المعلم رالف و سام على المقعد الخشبي تحت شجرة الكينا يتحدثان ، و بعد تبادل قصير للحديث ، قال سام " إنني أفكر يا معلم أن أستقل بأمور التبرعات " - " هل هناك مشكلة يا سام ؟ " سأل المعلم رالف و هو يخط التراب أمامه بقضيب طويل كان معه و دون أن يرفع نظره عن الأرض . أجاب سام و هو يتابع حركات المعلم " لا يا معلم ، ليس هناك مشكلة بمعنى الكلمة ، و لكن الأمر هو أنني أفكر بإنشاء جمعية اجتماعية خاصة بي " . ظل المعلم رالف صامتاً يحرك التراب و هو ينظر إلى الأرض ، و سام ينظر إليه . مرت فترة من الوقت قال بعدها المعلم رالف " لماذا تريد إنشاء هذه الجمعية يا سام ؟ " . أجاب سام بثقة " أظن أنه آن الأوان لكي يكون لي جمعية خاصة بي ، لقد توسعت أعمالي الخيرية بشكل كبير يا معلم ، و لا بد من وجود إدارة رسمية لهذا الأمر ، لأنني أفكر بالتوسع أكثر في هذا المجال " . غرز المعلم رالف القضيب بعمق أكثر في التراب قال " لماذا خطر لك هذا الأمر فجأة!!؟؟ " - " ليس هناك سبب يا معلم ، إنه بكل بساطة خطر لي ... إن لم يكن من قبل ، فالآن .. و إن لم يكن الآن ففي الغد " . رفع المعلم رالف رأسه بهدوء و نظر إلى سام محققاً به بعمق ، ثم قال له بهدوء أيضاً و هو يحاول كبح جماح نفسه " و لكنك تمارس نشاطك الخيري و الديني و التربوي لدينا هنا في الجمعية ، و بكل حرية ، و من دون أي عائق أو إشكال ، و المؤسسة هنا يا سام فتحت لك ذراعيها منذ أن كنت شاباً فقيراً معدماً و

لا تملك أي شيء ، فاحتضنتك و علمتك و دربتك ... و الآن تأتي لتهجرها و تتركها و تؤسس جمعية أخرى ؟ أهذا هو جزاؤها ؟ ... هل أصبحت مؤسسنا لا تعجبك يا سام ؟ " . احتار سام ماذا يقول ، و كيف يقنع المعلم رالف ، فأجاب " لا أيها المعلم على العكس من ذلك أنا أقدر مؤسستكم و أحترمها ، و أعترف لها بالكثير من الفضل ، و لكن " - " يبدو أنك متعب يا سام ، و تحتاج إلى الراحة ، أنصحك بالعودة إلى المنزل و أخذ قسط من الراحة" قال المعلم رالف ذلك و نهض من مقعده و دخل إلى مبنى الجمعية دون أن يلتفت إلى سام الذي نهض هو الآخر من مقعده و هو يرتجف من الغضب ، كان الدم قد صعد إلى عروقه . غادر المكان مسرعاً و ركب في سيارته الليموزين و طلب من السائق الذهاب إلى الشركة . هناك اتصل بالدكتور بروكلمان " لقد عاملني بوقاحة يا دكتور ... ماذا يظني ؟ .. ولداً عنده ... ماذا يظن نفسه ؟ ... ثم لماذا هذه المعارضة ؟ لماذا يعارض ؟ لماذا لا يريدني أن أنشى جمعية خاصة بي !!؟؟ " . أجاب الدكتور " لقد أخبرتك يا سام منذ البداية ، و قلت لك إنه لن يوافق " . توصل سام قائلاً " أرجوك يا دكتور ، أريدك أن تذهب إليه و تقنعه .. إنه يصغي إليك " . رد الدكتور بشيء من البرود " لا يا سام ، أعفني من هذه المهمة ، لا أستطيع القيام بهذا الأمر لا أريد مزيداً من المشاكل مع المعلم رالف ... هناك خط أحمر لا أستطيع تجاوزه معه على كل حال تريث قليلاً يا سام ، لقد طلبت منك أن تؤجل هذا الأمر قليلاً " - " لا يا دكتور ، لن أوجل هذا الأمر ، و سأبأشر من الغد بالإجراءات اللازمة لذلك ، و لست بحاجة لك ، أشكرك " . وضع سام السماعة و هو بغاية الغضب ، فكر قليلاً ، ثم رفع السماعة مرة أخرى و اتصل بالحامي جيم ، الذي ما لبث أن حضر بعد ساعة . أشار إليه سام قائلاً بلهجة حازمة آمرة " أريد منك أن تحضر لي الأوراق و المعاملات اللازمة لإنشاء مؤسسة خيرية " . سأل جيم بقلق " هل هناك شيء يا سام ؟؟؟ " - " نعم ، أريد أن أنشى مؤسسة اجتماعية خيرية على غرار مؤسسة المعلم رالف ، تكون خاصة بي ، و عليك تحضير الأوراق و المعاملات القانونية

الخاصة بذلك في أقرب وقت ممكن يا جيم " - " حاضر يا سيدي ، منذ الغد سأبدأ بتحضير هذه الأوراق
" . انصرف المحامي جيم ، و استرخى سام على كرسيه المتحرك يفكر " حسناً أيها المعلم رالف ، لقد
ضقت ذرعاً بك و بعجرتك ... آن الأوان أن أنتهي من مهزلة التبعية هذه ... و سنرى يا معلم " .

في اليوم التالي دخل المحامي جيم إلى المكتب ... " لقد حضرت الأوراق المطلوبة يا سام " . سر سام
بالكلام الذي سمعه قال " ما هي هذه الأوراق يا جيم ؟ " . أخرج جيم من حقيبته دسنة أوراق و قال "
هذه هي يا سيدي .. إنها تواقع من وزارة العدل و من المجلس الأعلى للشؤون الاجتماعية و الدينية و
بعض المؤسسات الدينية و لكن يجب أن يكون هناك مقر لهذه المؤسسة أو الجمعية " . أجاب سام
ببديهة " شركتنا هنا ستكون المقر " . فرد عليه جيم " لا يا سيدي ، يجب أن يكون هناك مقر خاص و
منفصل و يخضع لشروط معينة مذكورة هنا ، و ستقوم لجنة خاصة بالكشف عليه ، كما يريدون أيضاً
سجلاً كاملاً عن أعمالك و نشاطاتك الخيرية و الدينية و الاجتماعية " . حك سام رأسه و فكر قائلاً "
حسناً يا جيم سنؤمن كل هذه الشروط ، و بالنسبة للمقر ، فسنقوم بشراء مبنى خاص لهذا الغرض و
مطابق للمواصفات المطلوبة ، و عليك أن تقوم أنت أيضاً بهذه المهمة إلى جانب عملك في الأوراق
القانونية " . سأل جيم باستغراب " و الدكتور بروكلمان أين هو ، في العادة هو من يقوم بهذه الأمور " -
" دعك من الدكتور بروكلمان و قم أنت بهذه المهمة و حاول إنجازها بأسرع وقت ممكن ، فليس أمامنا
متسع من الوقت " . هز المحامي جيم رأسه و قال " كما تريد يا سيدي ، سأبذل قصارى جهدي في ذلك
" .

بعد حوالي أسبوع ، تم شراء مقر للجمعية و بدأ سام بتحضير الأوراق اللازمة و السير في إجراءات التأسيس و تم قطع شوط كبير في هذا المجال ... لقد أصبحت الجمعية قاب قوسين أو أدنى من الولادة . كان سام على أحر من الجمر لبدء العمل فيها . في ذلك المساء ، جلس في حديقة الفيلا أمام نافورة المياه ، كان مستلقياً في أرجوحة طويلة ، و طوال هذه الفترة لم يتصل بالمعلم رالف أو الدكتور بروكلمان الذي لم يتصل هو الآخر معه " عجيب ، إنه لم يتصل معي طوال تلك الفترة !!!؟؟ .. هل هو غاضب مني يا ترى ؟ .. أم أنه يتهرب مني كي لا أخرج مع المعلم رالف ، لقد تخلى عني ، عندما سأنتهي من إنشاء الجمعية ، سأعيد النظر بعلاقتي معه ... لقد اقترب موعد الانتهاء من تأسيس الجمعية ، و أكون قد حققت حلمي (أشعل سيجاراً و راح يفكر من جديد) ستكون جمعية ضخمة ، و سأنافس بها جمعية المعلم رالف شيئاً فشيئاً لقد آن له أن يقف عند حده ... غداً في الصباح يكون جيم قد أنهى كل شيء " أخذ مجة من سيجاره و نظر إلى النافورة ، و فكر في البعيد البعيد .

في اليوم التالي دخل جيم إلى المكتب ، كان سام بانتظاره على أحر من الجمر .. "هل أنجزت المهمة يا جيم ؟ - " نعم يا سيدي ، لقد قمنا بتوقيع كل الأوراق و المعاملات " . ابتهج سام و صاح قائلاً " عظيم ، و أين هي الرخصة ؟ هل هي معك الآن ؟ " . هز جيم برأسه علامة النفي ، فسأله سام باستغراب " لماذا !!!؟؟ " أجاب جيم " بقي توقيع واحد " - " لماذا لم تحصل عليه يا جيم !!!؟ " - " لأن صاحبه رفض التوقيع " - " و من هو صاحبه ؟؟ " . نظر جيم إلى سام و قال بهدوء " المعلم رالف " . بقي سام صامتاً لا يتكلم ، كانت مفاجأة قاسية عليه ، أشعل سيجاره و نهض من خلف طاولة المكتب يفكر ، ثم قال " و ما هي علاقة المعلم رالف بهذا الأمر ؟ " - " إنه أحد المسؤولين الأساسيين عن ذلك " - " و لماذا لم يوقع ؟ " - " لا أدري يا سيدي " - " هل ذهبت إليه ؟ " - " لا ، لقد بعثوا إليه الأوراق بشكل رسمي ، فعادت مع عدم الموافقة " أخذ سام يفكر و هو يضغط على أسنانه من شدة الغيظ ، قهقهه بسخرية ثم التفت إلى جيم و سأله

" و ما العمل الآن يا جيم ؟ " . رفع جيم يديه و قال " لا أدري يا سيدي ، و لكن لا بد من توقيع المعلم رالف " . سأل سام باستغراب " و لكن ألا يمكن تجاوزه ؟؟ " - " أظن أنه من الصعب ذلك يا سام " - " اعرض عليهم المال " . أجابه جيم بحيرة " قد دفعنا حتى الآن مائتي ألف دولار رشاوى " - " ادفع لهم أكثر يا جيم " . فكر جيم قليلاً ثم قال " لا أدري يا سيدي ، و لكن أظن أنه يجب أن تتفاهم معهم أنت بنفسك أو مع المعلم رالف " . خبط سام بيده على طاولة المكتب و قال " حسناً يا جيم ، سأفعل ذلك ... إنني أتساءل ماهي علاقة المعلم رالف بهذا الأمر ؟ . و هل سيظل هكذا جاشماً فوق صدري ؟ " .

في اليوم التالي ذهب سام و المحامي جيم إلى مقر المجلس الأعلى للشؤون الاجتماعية ، و هناك التقى المدير المسؤول و سأله عن الموضوع . أجابه الرجل ببشاشة و حبور " لا بد يا مستر سام من توقيع المعلم رالف " . سأل سام باستغراب " و لكن لماذا ؟ ... ما علاقته بهذا الموضوع ؟؟!! " . أجاب الرجل بثقة " إنه المسؤول الاستشاري الأول عن هذه الأمور و قراره هو الفيصل الأساس في ذلك " . فكر سام قليلاً ثم قال " ألا يوجد حل آخر ؟ ... أو هل يمكن تجاوزه ؟ " - " للأسف الشديد لا يمكن ذلك يا سيدي ، إن توقيعهم مهم و أساسي " . فكر سام مرة أخرى ، ثم نظر إلى الرجل و قال "إنني مستعد لتحمل تكاليف مالية إضافية إزاء هذا الموضوع " . ابتسم الرجل بأدب و قال " إنني أتفهم موقفكم يا سيدي و لكن هنا ، لا مجال لذلك ، و لو كنت أستطيع تجاوز الأمر لفعلت ذلك ، أنت تعرف ، إن المعلم رالف شخصية مهمة و كبيرة هنا ثم إنك صديقه و صاحبه ، يمكنك تسوية الأمر معه " . أيقن سام جدية كلام الرجل و إنه لن يستطيع حيال هذا الأمر شيئاً ، فhez رأسه قائلاً " حسناً يا سيدي ، أشكرك على حرصك و خدمتك ، سأعالج الموضوع بنفسني " . خرج سام من مبنى المقر غاضباً متوتراً ، و ذهب إلى المكتب ، و هناك اخذ يفكر بالأمر من جوانبه كافة " كيف سأحل هذه المشكلة العويصة ؟ .. من أين خرج لي المعلم

رالف هذا ؟ .. ماذا يريد مني هذا الرجل ؟ سأتحديث إلى الدكتور بروكلمان ، هو الوحيد الذي يستطيع أن يضغط عليه ، و إذا امتنع عن مساعدتي ، سأضغط عليه هو الآخر و أكاشفه بما أعرفه عنه ، هذا هو الحل الوحيد و الأمثل " . التقط السماعه و اتصل بالدكتور بروكلمان " مرحباً يا دكتور ، أين أنت يا رجل ؟ منذ مدة لم تتصل معي فقلت لنفسي ، أتصل أنا معك " . رد الدكتور بروكلمان بلهجة جافة جامدة " إنها المشاغل يا سام " - " هناك موضوع أريد أن أتحدث معك فيه يا دكتور ، فهلا التقينا اليوم في المساء " . رد الدكتور باللهجة نفسها " آسف يا سام ، إنني مشغول " . فرد عليه سام قائلاً " إنه موضوع يهملك كثيراً يا دكتور كثيراً ، أكثر مما تتصور ، و أرجو أن تكون عندي اليوم مساءً في الفيلا ، إلى اللقاء " . أغلق سام السماعه ، ثم وضع يده على طاولة المكتب و أخذ ينقر بأصابعه برتابة منتظمة و هو يفكر ... " الآن أصبحت مشغولاً يا دكتور العزير ؟ .. حسناً ، لا بأس ، سنرى ما سنفعله بهذا الشأن " . في المساء وصل الدكتور بروكلمان إلى الفيلا التي كانت أضواء سورها الخارجي مضاءة . قرع الباب ، ففتح له الحارس الخارجي الذي قاده إلى الباب الداخلي ، هناك قاده أحد الخدم إلى غرفة الاستقبال . كان من عادة سام أن يكون باستقباله دائماً ، و لكنه هذه المرة تعمد ألا ينزل فوراً ، مرت فترة من الوقت و الدكتور بروكلمان جالس وحده في الصالون ، بعد قليل نزل سام من الطابق العلوي و هو يلبس الروب ديشانبر و سيجاره الضخم في يده . نظر إلى الدكتور مبتسماً و صاح قائلاً " أهلاً دكتور بروكلمان ، تفضل بالجلوس " . طلب سام من أحد الخدم تحضير عشاء خفيف مع بعض المشروب ، ثم التفت إلى الدكتور بروكلمان قائلاً " أهكذا تغيب عني يا دكتور كل هذه الفترة و لا تزورني أو تتصل بي ؟ " . رد الدكتور بروكلمان بطريقة فيها بعض الجدية " كان لدي بعض المشاغل يا سام ، فضلاً على انك أنت أيضاً لم تتصل بي أو تزورني " اخذ سام سحبة من سيجاره ثم نفث دخانه الكثيف في الهواء و نظر إلى الدكتور بروكلمان قائلاً بابتسامة وادعة " لقد أحسست يا دكتور و كأنك

تتهرب مني " رد الدكتور مبرراً " ليس كذلك يا سام ، و لكن أنت تعرفني جيداً و تعرف طباعي ، إنني بصراحة فضلت أن أبتعد قليلاً عن أجواء الخلاف بينك و بين المعلم رالف ، و أن أقف على مسافة متساوية بينكما أنتما صديقان عزيزان على قلبي ، و لذلك فضلت أن أبقى بعيداً عن الخلاف و أترككما تحلان مشاكلكما بنفسيكما " . تنهد سام و قال للدكتور " يبدو أن المشاكل لن تنتهي يا دكتور ... أظن أنك تعرف ما حصل مؤخراً " - " نعم ، سمعت أنك قمت بإجراءات إنشاء جمعية خيرية اجتماعية ، و وقف الأمر عند المعلم رالف ، و لهذا فضلت أن أبتعد عن هذا الموضوع الحساس حتى لا يساء فهمي من قبل أحدكما أو كليكما " أخذ سام سحبة من سيجاره و نظر إلى الأرض و هو ينفث الدخان و قال " يبدو أنني مضطر للاعتماد عليك يا دكتور " . رد الدكتور بروكلمان على الفور " آسف يا سام ، هذا الموضوع حساس جداً ، و أنت تعرف ذلك ، و لا أريد أن تتأثر علاقتي مع المعلم رالف إن مجرد مناقشتي معه بهذا الأمر يعني القطيعة بيني و بينه ، و هذا ما لا أريده أنا ، و لا ترضاه أنت " - " و ما العمل الآن يا دكتور ؟ ... إنني مضطر " . ضرب الدكتور بروكلمان بيديه و قال " عجيب أمرك يا سام ، لماذا أنت مصر على إنشاء هذه الجمعية ، كل هذا الإصرار و بهذه السرعة ؟ هل هناك ما يدور في ذهنك يا سام ؟ هل هناك سبب معين ؟ " - " لقد أجبته سابقاً على هذا السؤال يا دكتور " . فرد الدكتور بروكلمان بعصبية " و أنا اقترحت عليك إلغاء هذا الأمر أو على الأقل تأجيله لفترة من الزمن ... لا شك أن لديك ما تخفيه في هذا الأمر ، كونك مصر كل هذا الإصرار " . حذق سام بالدكتور و قال " مثل ماذا يا دكتور ؟ " . أجاب الدكتور " لا أدري يا سام ، و لكن و بصراحة ، فإن إصرارك الغريب على هذا الأمر و في هذا الوقت بالذات يشير الشكوك " . رد سام باستهجان " أية شكوك ؟ " - " أن يكون هناك من يؤثر فيك و يجرئك على هذا الأمر . شخص ما ... جهة ما ... بالمناسبة يا سام ، لماذا لا تساعدك الجهة التي تدعمك ، في هذا الأمر ؟ " . و هنا اغتنم سام الفرصة ، فنهض من مكانه و ذهب إلى البوفيه و أخرج

زجاجة ويسكي و سكب منها في الكأس ثم قال و هو يدير ظهره إلى الدكتور بروكلمان " يبدو يا دكتور ، أنني لست أنا من يتعامل مع جهات أجنبية ، بل حسب ما وردني من معلومات ، فإن هناك من لم أكن أتوقع ، هو من يتعامل مع جهات أجنبية ، بل قل دول عظمى يا رجل " نهض الدكتور بروكلمان من مكانه و هو ينظر إلى سام بريية و شك و قلق شديد ، ظل هكذا يحدق به و هو صامت ، ثم سأله بصوت متهدج خشن " ماذا تقصد يا سام ؟؟؟؟؟ " . صاح سام ببهجة عارمة " ريلاكس دكتور بروكلمان ريلاكس يا عزيزي " . أعاد الدكتور بروكلمان السؤال بغضب و بصوت أخشن من السابق " ماذا تقصد يا سام ؟ " . هذه المرة وضع سام الكأس من يده و حدق بالدكتور قائلاً له بصوت جدي و بوجه جامد "كلامي واضح يا دكتور " . أشاح الدكتور بروكلمان بوجهه عنه و قال " إنني لا أعرف عما تتكلم " . فاستدار سام و وقف أمام الدكتور واضعاً وجهه بوجهه ، قائلاً له بهدوء "ولكنني أنا أعرف عن ماذا أتكلم إنني أتكلم عنك أنت ، أنت يا بروكلمان " . نظر إليه الدكتور بروكلمان بريية و حذر ثم قال " ماذا تعرف عني يا سام ؟؟؟؟ " . رد سام بهدوء " ما تعرفه أنت عن نفسك يا دكتور .. ليس هذا ما تقوله لمرضاك النفسانيين " . هدر الدكتور بغضب " هل تستدرجني يا سام ؟ " رد سام "إنني لا أستدرجك ، لأنني متأكد مما سمعت و مما عرفت عنك يا دكتور ، و عن الدولة التي تتعامل معها بالمناسبة إنها دولة محترمة ، و تستحق أن يتعامل معها المرء " . أشار الدكتور بروكلمان بإصبعه إلى سام و قال بغضب "هذا كلام خطير يا سام ، و أنا قد " قاطعه سام بهدوء " هذا الكلام الخطير لا يهمني يا دكتور ، و لا أريد الخوض فيه ، إنه أمر خاص بك دعنا منه يا دكتور ، و لنعد إلى موضوعنا بشأن المعلم رالف " . أمسك الدكتور بروكلمان سام و هزه بعنف قائلاً " قبل أي شيء ، أريد أن أعرف من قال لك هذا الكلام ؟؟؟ من أين حصلت على هذه المعلومات ؟؟ ... من أين؟؟؟" صرخ الدكتور بغضب . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال مبتسماً " من الشيطان من الملاك " . كشر الدكتور

بروكلمان عن أنيابه و قال بغضب "هل تسخر مني يا سام؟". أجابه سام "لقد سمعت و انتهى الأمر
المهم الآن ، دعنا من هذا الموضوع ، و كن مطمئناً ... لا أحد يعرف به غيري ، اطمئن يا دكتور ، سر
مصان " نظر الدكتور بروكلمان مرة أخرى إلى سام ، نظرة عميقة و قال " من أنت يا سام؟ ". ضحك
سام و قال و هو يتصنع البساطة " من أنا؟ أظن أنني سام ... حسناً يا دكتور ، دعنا الآن نعد إلى
موضوع المعلم رالف أريدك أن تساعدني في هذا الشأن " - " هل هو ابتزاز يا سام؟ ". حرك سام
يديه بشكل إيمائي و قال مبتسماً " أوه ، أوه عزيزي بروكلمان ، إلى متى ستظل هكذا تسيء فهمي
إنني أطلب منك ذلك لأنك صديقي و لأنك خير من يؤثر في المعلم رالف ، أما هذا الموضوع الذي يتعلق
بك ، فانا من ناحيتي قد نسيت أمره إلا إذا أردت أن تعيد فتحه من جديد ، و لا أظن أنك تريد
ذلك ". ارتدى الدكتور بروكلمان على الأريكة متهاكاً و قد شحب وجهه ، و نظر إلى الأرض و لم
يتكلم . ظل هكذا لمدة ربع ساعة و سام واقف ينظر إليه ، بعد ذلك أمسك كأس الويسكي الممتلئ و
شربه كله دفعة واحدة ، ثم نظر إلى سام و قال " حسناً يا سام ... ماذا تريد مني الآن بالضبط؟ ".
استدار سام و جلس على الأريكة المقابلة لأريكة الدكتور بروكلمان و قال له " كما قلت لك يا دكتور ،
أريدك أن تقنع المعلم رالف بالتوقيع على إضارة الجمعية ". تنهد الدكتور بعمق و قال " حسناً ... حسناً
يا سام ، كما تشاء ، غداً سأذهب إليه و أقنعه ، و لو أن ذلك سيؤدي إلى قطع العلاقة بيني و بينه و
الآن أستأذنك ، أشعر بالتعب و الإعياء ". كان الدكتور بروكلمان يتكلم و قد بدا عليه بالفعل التعب و
الإعياء . لاحظ سام ذلك عليه فقال " أشكرك جداً يا دكتور على هذه الخدمة و لن أنساها لك انتظر
قليلاً لا تذهب بسيارتك ، سأطلب من السائق إيصالك بالسيارة إلى المنزل ". صفق سام بيديه ، فجاء أحد
الخدم ، فطلب منه سام استدعاء السائق ، وعندما حضر طلب منه سام إيصال الدكتور بروكلمان إلى
المنزل . عند الباب ودع سام الدكتور بروكلمان قائلاً " أنا بانتظارك غداً مساءً هنا في الموعد نفسه عزيزي

بروكلمان " . هز الدكتور بروكلمان رأسه و هو مطأطأ قليلاً . دخل سام إلى الفيلا و أشعل سيجاره مرة أخرى و جلس يفكر .

في مساء اليوم التالي جاء الدكتور بروكلمان إلى الفيلا . كان سام بانتظاره على أحر من الجمر . جلس الدكتور بوجه شاحب و قد بدا عليه الحزن و التعب . سأله سام بلهفة " ها يا دكتور ... أخبرني ماذا حصل معك ... هل وافق المعلم رالف على التوقيع ؟ " . هز الدكتور بروكلمان رأسه علام النفي . فصاح سام بغضب " رفض إذاً أليس كذلك ؟ .. اللعنة عليه ، و لكن لماذا ؟ ... لماذا ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان بصوت خافت متعب " نعم يا سام ، لقد رفض و بشكل قاطع .. ليس هذا فقط ، بل قطع علاقته معك نهائياً ، و ربما معي أنا أيضاً ... لقد ضربه هياج شديد و أخذ ينعتك بأبشع الصفات ، و تستطيع أن تقول إنه طردني أيضاً " . ضرب سام يديه على ركبته و صاح " اللعنة و لكن لماذا ؟ ... ماذا يريد هذا الرجل مني ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان " لأنك قمت بإجراءات إنشاء الجمعية من دون إذنه و من دون علمه ، و أرسلت له الأوراق للتوقيع ... وعلى ما يبدو فإنه قد اعتبر ذلك نوعاً من التحدي له ، لقد صب جام غضبه عليك ... و علي أنا أيضاً يا سام ، لقد أصبحت علاقتي معه سيئة جداً " . أشعل سام سيجاره بعصبية و قال " و الآن ما العمل يا دكتور ؟ " . أجاب الدكتور بتعب و أسى " لا أدري يا سام ، لقد حاولت جهدي أن أقنعه ، و لكن يبدو أن قيامك بإجراءات الترخيص للجمعية ، قد ألغت كل شيء .. لقد طلبت منك يا سام أن تؤجل الموضوع قليلاً لكي نجد وسيلة نستطيع أن نقنعه بها ، و لكنك تسرعت و تصرفت من عندك فأفسدت كل شيء " . و هنا صرخ سام بغضب و بهياج شديد " اللعنة على هذا الرجل اللعنة عليك يا معلم و على جمعيتك ... سأجعلك تدفع الثمن غالياً يا معلم سأجعلك توقع رغماً عن أنفك و أنت تبتسم .. سأريك من هو سام ، لقد أصبحت الآن

مصمماً أكثر من أي وقت مضى على إنشاء الجمعية " . أجابه الدكتور بروكلمان مهدياً " لقد أخبرتك يا سام أن هذا الموضوع حساس جداً بالنسبة إليه ، و خط أحمر " . زجر سام بغضب و هدر قائلاً " و حساس بالنسبة لي أنا أيضاً ... ثم ألا يوجد جمعيات أخرى في البلد ؟ " - " نعم يا سام ، يوجد .. و لكنها صغيرة قياساً لمؤسسته و لا علاقة لها به ، و أصحابها لم يخرجوا من رحم مؤسسته مثلك ليعتبرهم خونة ، كما أن بعضها يدور في فلكه " . جلس سام على الأريكة و أخذ يدخن بعصبية ، ثم قال " و الآن ما العمل يا دكتور " . - " لا أدري يا سام ، أنا برأيي أن تلغي الموضوع أو تؤجله حالياً " . انتفض سام قائلاً " لا يا دكتور .. لا ، سأجد حلاً لهذه المشكلة .. عاجلاً أم آجلاً (فكر قليلاً ثم سال الدكتور) قل لي يا دكتور ، هل هناك وسيلة نستطيع بها الضغط على المعلم رالف " . حذق الدكتور بروكلمان بسام و ابتسم قائلاً " هل تريد الضغط عليه كما ضغطت علي أنا أيضاً " - " أوه يا دكتور ، أرجوك أن تنسى هذا الأمر ، لأنني قد نسيتته ... ثم من قال لك أنني أضغط عليك ، هذه افتراضات لا أساس لها من الصحة " . نظر إليه الدكتور بروكلمان و قال " على كل حال و حتى أوفر عليك هذا الأمر ، أقول لك إنه ليس هناك ما يمكن الضغط به على المعلم رالف " - " لماذا ؟ " - " لأنه لا يوجد شيء لتضغط به عليه ، و لأنك لست أول من يفعل ذلك ، فقد حاول خصوم كثير من قبلك أن يفعلوا ذلك و لم يفلحوا .. إنه إنسان ملتزم ، نظيف ، لا تشوبه أية شائبة " . صاح سام بغضب " و هذا الذي يفعله بي ، أليس شائبة ؟ " . صمت الدكتور بروكلمان و لم يرد . نظر سام إلى الحائط و قال و هو يفكر بشرود " و لكن هل من المعقول أن يكون المعلم رالف خالياً من الأخطاء و العيوب ؟ محال " . أجاب الدكتور بروكلمان " أنا شخصياً و من خلال علاقتي الطويلة معه ، لم أر عليه أي ممسك أو زلة أو شيء من هذا القبيل ، و هو نفسه يحرص كل الحرص على ذلك ، و كما قلت لك ، فقد حاول خصوم له من قبل أن يفعلوا الشيء نفسه و لم يفلحوا " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و لم يتمالك نفسه من الضحك قائلاً " و لكنك

قلت يا دكتور إن الناس صناديق مغلقة " . حدق الدكتور بروكلمان بسام و قال بهدوء " نعم يا سام لقد قلت ذلك ، و أنا مصر عليه الآن ، و بخاصة بعد كل هذا الذي حصل و يحصل معي الآن " - " هل تقصد إنني صندوق مغلق يا دكتور ؟ " - " نعم يا سام " . أجابه سام بابتسامة " و أنت أأست صندوقاً مغلقاً ؟ " . لم يجب الدكتور ، فقال سام " إذن في هذه الحال يا دكتور ، يجب أن نفتح صندوق المعلم رالف ، أليس كذلك ؟ " - " لا أدري يا سام ، جرب ، حاول أنا شخصياً ليس لدي القدرة على ذلك ، و لكن أنت ربما تستطيع ، ربما الجهة التي ساعدتك على فتح صندوقي ، قد تساعدك على فتح صندوق المعلم رالف " . رفع سام كأسه و قال للدكتور بروكلمان "إذن لنشرب نخب صندوق المعلم رالف " . بعد أن شرب الاثنان حتى الثمالة ، قال الدكتور بروكلمان " أتدري يا سام .. إنني أنا الآخر قد بدأت أتدمر من المعلم رالف ... إنه بالرغم من مركزه و رزاقته ، يتصرف أحياناً بطريقة غير لائقة أبداً ، و يتكلم مع الآخرين و كأنهم تلاميذ صغار عنده ، و بشكل متسلط و عنيد" - " و لكن لماذا لا يريدني أن أنشئ هذه الجمعية ؟ " - "الأمر واضح يا سام .. إنك ستكون منافساً له ، هذا هو السبب بكل بساطة " . استغرب سام كلام الدكتور و سأل " أنا أكون منافساً للمعلم رالف ؟ " . هز الدكتور برأسه و قال " نعم يا سام ، و قد تكون منافساً قوياً أيضاً ... و ربما تطغى عليه .. أنت ترى ، هذه المؤسسة تدر عليه أرباحاً طائلة من التبرعات ، فضلاً على المركز و النقود و المكانة و الشهرة الواسعة و ملكية عقارات و مؤسسات أخرى ، بالإضافة إلى أنه يملك صحيفة ... و لهذا فإن ظهور منافس له مثلك أنت ، سيشكل خطراً عليه ، و لهذا من المستحيل ، بل من رابع المستحيلات أن يوافق ... و لهذا السبب اقترحت عليك إلغاء الفكرة من أساسها ، و لا أزال عند موقفي ، لأنه لا طائل منها " . أشار سام بإصبعه إلى الدكتور و قال " و لهذا السبب يا دكتور ، يجب أن نجد وسيلة أو ممسكاً أو مأخذاً نضغط فيه عليه " هز الدكتور بروكلمان برأسه نائياً " صعب يا سام ، صعب جداً .. إن كل هذا النفوذ و هذه الشهرة ، قائمة على هذا الأمر ، و هو

حذر جداً في هذا المجال " . نظر سام إلى الدكتور و قال مبتسماً " لهذا السبب كنت تلازمه كل هذه المدة لكي تغطي نفسك " . صاح الدكتور بغضب " ماذا تقصد يا سام ؟ .. ثم إذا كنت تتهمني ، فأنت موضع الاتهام نفسه ، و إلا من أين عرفت كل هذه المعلومات و حصلت على كل هذه الثروة و القوة " - " اهدأ يا دكتور ، أهدأ " - " كيف أهدأ يا سام و أنت تكييل لي الاتهامات من كل حدب و صوب " - " آسف يا دكتور و أعتذر منك بشدة ، إنني لم أقصد الإساءة " . هدر الدكتور بغضب و قال " إذن ماذا كنت تقصد يا سام ؟ " اقترب سام من الدكتور بروكلمان و قال بهدوء " الذي اقصدته ، هو أنني اعرض عليك أن تنضم إلي يا دكتور و ما كان يعطيك إياه المعلم رالف ، سأعطيك إياه أنا ، و ما كنت تستفيد منه عند المعلم رالف و تحصل عليه ، سواء أكان مادياً أم معنوياً سأؤمته أنا لك و بالمقدار نفسه ، لا بل أكثر " . نظر الدكتور بروكلمان في عيني سام و قال له " أوضح أكثر يا سام " . أمسك سام كتفي الدكتور بروكلمان بقوة و قال له " يجب أن تساعدني في إنشاء المؤسسة التي أسعى إليها ، لأنها هي التي ستقوم بالدور الذي كانت تقوم به مؤسسة المعلم رالف لأجلك ، و تؤمن لك الحماية و التغطية اللازمة ... فكر جيداً يا دكتور ، لقد أصبح وضعك الآن سيئاً مع المعلم رالف و من الواضح أنه من الصعب عودة الأمور كما كانت عليه ، و لذلك ليس أمامك سوى هذا الخيار " . أنزل الدكتور بروكلمان يدي سام و استدار قائلاً بغضب " أنت السبب يا سام في كل ما حصل ، أنت من فعل هذا كله " . استدار سام هو الآخر و جلس على الأريكة و أخذ مجة من سيجاره و قال " لست أنا السبب يا دكتور ، بل الأحداث و الظروف هي التي شاءت ذلك ، و الآن ماذا قلت ؟ " . هز الدكتور بروكلمان رأسه علامة القبول و هو ينظر إلى سام بعينين حمراوين . ضحك سام و قال " حسناً يا دكتور ، فلنشرب نخب اتفاقنا الجديد " .

في اليوم التالي استيقظ سام متأخراً قليلاً ، أخذ حماماً فاتراً و خرج إلى حديقة الفيلا ، كان الخدم قد أعدوا طعام الإفطار جلس هو و زوجته يتناولان الإفطار ، و عندما انتهى ، سألته زوجته " هل ستذهب اليوم إلى الشركة " . رد عليها باقتضاب " لا يا حبيبتي ، لدي موعد مهم .. أعطني اللاسلكي من فضلك " . اتصل سام مع أخيه الذي كان مدير أعماله و أخبره انه لن يأتي اليوم إلى الشركة . بعد الإفطار تسلى سام مع ولده الصغير قليلاً ، ثم ركب سيارته وحيداً و غادر الفيلا . عندما وصل إلى الغابة ، أركن السيارة جانب الطريق و سار بين الأشجار و هو يلتفت يمناً و يسرة ، حتى وصل إلى المكان المحدد . كان الشيطان جالساً في مكانه المعتاد . . . " لعلك عرفت أيها الشيطان ماذا حصل معي في هذه الفترة ؟ " - " نعم يا سام لقد عرفت ، وإن كنت غير راض تماماً " - " و لكن لماذا أيها الشيطان ؟؟! " - " لم يكن هناك داع يا سام لأن تفعل ما فعلته ، ألم يكن هناك طرق أخرى لمعالجة الموضوع " . جلس سام على جذع الشجرة المهترئ الذي كان مكانه المفضل و قال " لا أيها الشيطان ، لقد استنفذت كل الفرص و لم أفلح في إقناع المعلم رالف " . سأله الشيطان بهدوء " و لكن لماذا ضغطت على الدكتور بروكلمان ، و أخبرته عما عرفته عنه ، هل كان هناك داع لذلك " . أطرق سام إلى الأرض و قال " هذا ما حصل أيها الشيطان .. الظروف شاءت ذلك ، ثم إنه لم يكن أمامي خيار غير الذي فعلته " . نظر الشيطان إليه و قال " أنت الآن قد قمت بما يسمى عندكم ، بعملية خلط للأوراق " . هز سام برأسه و قال " يبدو أنه كان لا بد من أن يحصل هذا أيها الشيطان ... أحياناً لا بد من إعادة خلط الأوراق لتسوية الأمور و وضعها في نصابها من جديد ... ثم إنني أخبرتك أنني سأدخل في حرب مع المعلم رالف ، و أنت من أراد ذلك " . رد الشيطان " إن ما قصده يا سام هو أن تعالج الأمور بالتدرج و ليس باللجوء إلى آخر الحلول في أول المشاكل " . هز سام كتفيه و قال " كان بودي أن أفعل ذلك ، و لكن أنت تعرف ما الذي حصل " - " لا بأس يا سام .. ليست قضية ، و لكن كما قلت لك ، حاول دائماً تجنب المشاكل في عملك ، حاول دائماً أن يكون عملك

هادئاً و من دون ضجيج و إثارة مشاكل " قال سام " و الآن طالما أنك تعرف ما الذي حصل ، فما العمل برأيك ؟ " - " ماذا تقترح أنت يا سام ؟ " . أجاب سام " كما ترى أيها الشيطان ، الأمر كله متوقف على المعلم رالف ، و هو يرفض رفضاً قاطعاً أن يوقع على رخصة الجمعية .. حاولت تجاوزه فلم أفجح ... بعثت له الدكتور بروكلمان و أيضاً لم نفجح .. حاولت إغراء بعضهم بالمال ، لا فائدة ، و لهذا جئت إلى هنا لأعرض عليك الموضوع " . كرر الشيطان " ماذا تقترح يا سام " . أجاب سام و هو يحك رأسه " أقترح أن نضغط عليه ، فهو لن يرضخ و يوافق إلا بهذه الطريقة " . سأل الشيطان " و كيف تقترح أن نضغط عليه " - "بان نبحث له عن ممسك أو مأخذ نخرجه و نهدده فيه ، أظن أنك فهمت ماذا أقصد " .

أوماً الشيطان قائلاً " نعم ، نعم فهمت ، أنت تريد مساعدتي في هذا الأمر ؟ " أجاب سام " بالضبط أيها الملاك الشيطان " . رد الشيطان بهدوء " إنني أستطيع أن أدلك على مأخذ أو عيب في المعلم رالف ، و لكن هل سينجح هذا الأمر برأيك ؟ " . أجاب سام بثقة " نعم .. أظن أنه سينجح " . نظر الشيطان إلى سام و سأله " لنفرض يا سام أنني أخبرتك أن المعلم رالف في يوم من الأيام و بتاريخ معين و ساعة معينة ، أقدم على فعل كذا و كذا .. سرق مثلاً أو قتل أو زنى ، أو فعل شيء من هذا القبيل ، فهل سيصدقك الناس إذا أخبرتهم أنه فعل ذلك في يوم من الأيام ، و كيف ستثبت لهم هذا الأمر ؟ " . صمت سام قليلاً و هو يفكر ، ثم قال " إذن ما العمل ؟ ... لقد جئت إلى هنا لأقول لك إنني فشلت في هذه المعضلة المستعصية " . نظر الشيطان إلى سام مرة أخرى و أشار له بيده قائلاً " لقد قلت نصف الحل يا سام " - " كيف أيها الشيطان ؟ " - " قلت أن نضغط عليه " . فرد سام " و أنت قلت لي أن الناس قد لا تصدق " . سأل الشيطان " إذن ما هو النصف الآخر لحل هذه المعضلة يا سام ؟ .. فكر ، يجب أن تتعلم التفكير ... لا يجب أن تلجأ إلي عند أول مشكلة تصادفك " . أطرق سام إلى الأرض ، أخذ يفكر و قد وضع يده على جبينه ... فكر ، ثم فكر ، و بعد قليل رفع رأسه و نظر إلى الشيطان قائلاً " هل تقصد أيها الشيطان أن تقول إن الحل هو أن

نضغط عليه بطريقة يقتنع بها الناس ، و تكون ضربة له في الوقت نفسه " . أشار الشيطان إلى سام "بالضبط يا سام " انفرجت أسارير سام و تهلل وجهه و قال " رائع .. إذاً في هذه الحالة ، أصبحت هذه مهمتك الآن أيها الشيطان (ثم نظر إليه مبتسماً) . أنا واثق من أنك تعرف هذا الأمر .. فما هو ؟ " . صمت الشيطان قليلاً و هو يتأمل سام ، ثم قال " اسمع يا سام ، في الواقع لكي لا نظلم الرجل ، فهو تقريباً ليس له هذه العيوب الكثيرة أو المآخذ التي تؤخذ عليه ... و هي نادرة جداً ، فهو لم يسرق أو يزني أو يتصرف تصرفاً خاطئاً إلا فيما ندر ، و لا أخفيك إعجابي به .. و لهذا أقول لك دائماً أنه يجب أن تقلع عن هذه الأمور التي يمكن أن تؤخذ عليك في يوم من الأيام ، حيث يتم التفتيش في دفاترك القديمة و التدقيق و التنقيب عن عيوبك و مساوئك ، تماماً كما يحصل الآن مع المعلم رالف ... و هذا الأمر سنقف عنده أنا و أنت و نناقشه و نتكلم فيه بعمق ، و سيكون لنا فيه جلسات مطولة ، و لكن ليس الآن الآن دعنا نعود إلى المعلم رالف " . صمت الشيطان مرة أخرى و هو يفكر ، ثم نظر إلى سام و قال " اسمع يا سام ، يوجد لدى المعلم رالف عيب خطير جداً ، و هو موجود فيه منذ فترة طويلة بعض الشيء و إذا ما عرفه الناس ، فإنه سيكون بمثابة ضربة قوية له ، إن لم تكن القاضية " . عدل سام من جلسته على جذع الشجرة المهترئ و قد انشّدت جميع حواسه نحو الشيطان ، و سال لعبه كان متشوقاً لمعرفة الأمر ، فقال للشيطان " أكمل ، أكمل أيها الملاك الشيطان . صاح الشيطان " اسمعني و لا تقاطعني يا سام هذا العيب هو أن المعلم رالف و الذي هو أمام الناس مثال الرحمة و المبادئ و الأخلاق ، يكن كرهاً شديداً لصغار الققط و فقط لصغار الققط ، و عن سائر جميع المخلوقات ، حتى إن الققط الكبيرة أمر طبيعي بالنسبة له ، و هذا الكره المتأصل لديه ، يجعله يقوم بقتل صغار الققط هذه و بشكل وحشي .. و هو لا يستطيع أن يحتمل رؤية قط صغير أمامه ، و هذا الأمر يقوم به بشكل سري " . ظل سام هكذا صامتاً لا يتكلم ، كان كلام الشيطان مفاجأة له . نظر إليه و قال " و لكن كيف سنهدد المعلم رالف به ؟ " .

أجاب الشيطان " هذا شانك يا سام ... تصرف بما تراه مناسباً و على فكرة يا سام ، إنني أشعر بالضيق عندما تسألني عن أمور تافهة صغيرة " . أجاب سام " و لكن المشكلة الآن أن علاقتي مع المعلم رالف أصبحت مقطوعة " . أجابه الشيطان مؤنباً " لهذا السبب قلت لك في البداية إنك تسرعت و لم تحسن التصرف ... على كل حال بما أن الأوراق قد خلطت ، استعن بالدكتور بروكلمان ، طالما أنه انضم إليك ، و لكن لا تخبره بما عرفته عن المعلم رالف إلا بعد إنجاز المهمة التي تراها مناسبة لك (صمت الشيطان قليلاً ثم قال) .. هناك أمر آخر يا سام ، قد أضطر أحياناً لاستدعائك " . سأل سام " ، كيف لي أن اعرف ذلك " - "ستظهر أمامك دائرة حمراء ، و هذه الإشارة لن يراها أحد غيرك ، و هي يمكن أن تظهر لك في أي مكان تكون فيه ، و على كل حال فإن هذا الأمر من النادر أن يحصل إلا لأمر طارئ و خطير ، كالأمر الذي سيحصل بعد حوالي ساعة " . جحظت عينا سام و تحفز في مكانه و قال " أمر طارئ و خطير ؟ ... و بعد حوالي ساعة ؟؟؟ ما هو ؟؟؟ " . أجاب الشيطان بهدوء " إنه الدكتور بروكلمان " . اشرب سام و قال بقلق " ما به الدكتور بروكلمان !!!؟؟ " . أجاب الشيطان ببرود " لقد اخبر عملاء الدولة التي يتجسس لحسابها بأنك قد كشفت أمره " . هب سام واقفاً و صاح بقلق " و ماذا سيفعلون بي ؟؟ " . أجابه الشيطان أيضاً بهدوء " إنهم لن يفعلوا بك أنت ، بل به هو سيتخلصون منه ، اليوم سيأتي رجالان من قبلهم الساعة الثانية ظهراً إلى عيادته لقتله ، فاذهب من الآن لتحذيره ، و لا تضيع الوقت ... إلى اللقاء يا سام " قفز سام من مكانه و أخذ يجري بين الأشجار باتجاه السيارة ، فصاح به الشيطان من بعيد " بالنسبة إلى المعلم رالف ، لا تأخذ له قطعاً كبيراً ، لأنه في هذه الحالة سيطعمه و يلاعبه " . وقف سام ملتفتاً إلى الشيطان ، ثم استدار و هرول باتجاه السيارة التي وصل إليها و هو يلهث ، فتح الباب و أدار المحرك و انطلق نحو العاصمة بسرعة جنونية ، و عندما وصلها اتجه على الفور و من دون شعور إلى عيادة الدكتور بروكلمان و هو يطلق الزمور للسيارات التي أمامه . كانت الساعة الثانية إلا الثلث

عندما أوقف سام سيارته أمام مبنى عيادة الدكتور بروكلمان ، لم يهتم بالخطر الذي قد يتعرض له .. انطلق مسرعاً إلى داخل المبنى و هو يصعد السلم بسرعة . كانت العيادة خالية إلا من السكرتيرة و مريض واحد عند الدكتور في الداخل . فتح سام الباب و دخل مسرعاً ، و عندما اعترضته السكرتيرة أزاحها عن طريقه و فتح باب غرفة المعاينة ، كان الدكتور بروكلمان يجلس خلف الطاولة مرتدياً مريولاً أبيض و أمامه أحد المراجعين . وقف الدكتور مستغرباً و قال " مابك يا سام !!؟؟ .. ماذا هناك ؟؟ " . أجاب سام و هو يلهث بشدة " أرجوك يا دكتور الأمر خطير جداً و لا وقت للشرح " . طلب الدكتور بروكلمان من المريض الانتظار خارج الغرفة و أمر الممرضة التي دخلت وراء سام مباشرة ، بالانصراف و إغلاق الباب " ماذا هناك يا سام ؟؟ " - " أرجوك يا دكتور غادر العيادة حالاً ... فوراً ... الآن .. هيا " - " ماذا هناك يا سام ما الذي حصل " . صاح سام بهلع شديد " أرجوك يا دكتور ، لا وقت للشرح ، عليك مغادرة العيادة فوراً " . أمسك الدكتور بروكلمان بسام و قال بقلق " أخبرني يا سام ، ماذا هناك ؟؟ " . رد سام بإعياء و توتر و قد بدأت دموعه تنهمر من عينه " الجهة التي أبلغتها بمعرفتي بعلاقتك معها ، قررت التخلص منك ، و قد أرسلوا من يقتلك في الساعة الثانية تماماً، أي بعد عشر دقائق من الآن . أرجوك يا دكتور ، غادر العيادة حالاً .. أرجوك " . خلع الدكتور بروكلمان مريوله بسرعة و انطلق هو و سام إلى الخارج . نظر الدكتور بروكلمان إلى السكرتيرة و قال بعجلة "أجلي كل الزيارات حتى موعد لاحق .. لدي حالة طارئة ، إلى اللقاء " . قال الدكتور بروكلمان ذلك و نزل هو و سام مسرعين إلى الشارع . صعدا إلى السيارة .. أدار سام المحرك و انطلق بالسيارة إلى الشارع المقابل لساحة المبنى و جلس هو و الدكتور بروكلمان يراقبان المدخل ، و فعلاً لم تمض فترة قصيرة ، حتى وقفت سيارة سوداء أمام المبنى و ترجل منها ثلاثة رجال يرتدي كل منهم نظارة سوداء سميقة ، صعد منهم اثنان إلى المبنى ، و بقي الثالث أمام السيارة و هو يلتفت حوله بهدوء . سأل سأم الدكتور " هل تعرف هؤلاء الرجال يا دكتور ؟ " .

أجاب الدكتور و هو يتابع المشهد بقلق "أظن أنني أعرف واحداً منهم ، لقد رأيته مرة في السفارة عندهم . " . أدار سام محرك السيارة و انطلق نحو الفيلا . و عندما وصل إلى البوابة الخارجية ، أطلق العنان للزمو ر . فتح الحارس الباب فأدخل سام السيارة بسرعة و طلب من الحارس إغلاق الباب على الفور . دخل هو و الدكتور بروكلمان إلى الصالون و طلب من الحرس أن يكونوا على أهبة الاستعداد و مراقبة الفيلا بشكل مشدد ، اتصل بالشركة مع أخوه و طلب منه استنفار جميع الحرس هناك مع أسلحتهم .. كان يشعر بالخوف على نفسه هو الآخر . في الصالون ، أغلق سام الستائر و جلس هو و الدكتور بروكلمان " و الآن أخبرني يا دكتور ، ماذا فعلت ؟ " - " أخبرني أنت يا سام كيف عرفت " . صاح سام بغضب و جنون " الملاك أخبرني الشيطان .. العفريت .. الإبليلس ... المارد سمه ما شئت ، المهم أنني عرفت " . صمت الدكتور بروكلمان و لم يجب ، كان غارقاً في تفكيره . فقال سام " و لكن لماذا يفعلون ذلك بك ؟؟ .. لماذا يريدون أن يتخلصوا منك ؟؟.... لأن أمرك انكشف ؟ .. يا لهم من قساة عديمي الرحمة " . أشار الدكتور بروكلمان بيده قائلاً " لا يا سام ، الخطأ مني أنا.... عندما أخبرتهم بالأمر ، طلبوا مني مغادرة البلد مع عائلتي على الفور ، وضعوا في حسابي المفتوح في البنك عندهم مبلغاً يكفيني أنا و عائلتي طوال حياتي و أمنوا لي هناك منزلاً و سيارة و عملاً مناسباً محترماً كمكافأة لي ... و لكنني في لحظة من اللحظات رفضت العرض و أصريت على البقاء و طمأنتهم و الحقيقة يا سام ، أنهم قد طلبوا مني إيقاف نشاطي منذ أن استدعاك الأمن العام ، و لكنني طمأنتهم و تعهدت لهم بحل الأمر ، و فعلاً انتهى الأمر كما رأيت ... أما الآن و قد عرفوا أن أمري قد انكشف و إنني أرفض السفر و مغادرة البلاد ، فإن ذلك يعني بالنسبة لهم نذير خطر " . سأله سام بقلق " و الآن ماذا ستفعل يا دكتور ؟ " . فكر الدكتور قليلاً ثم قال " سأتدبر الأمر " . أجابه سام بنحسية " لا أدري يا دكتور ، و لكن بصراحة ، إن الوضع قلق و حرج و غير مطمئن " . فكر الدكتور بروكلمان مرة أخرى و قال و هو شارداً الذهن " لا

تقلق بشأنني يا سام ، سأحل الموضوع معهم " . فقال سام بصوت مضطرب " و أنا ، ماذا بشأنني ؟ " . رد الدكتور بروكلمان " أنت لا علاقة لك بالموضوع ، أنا سأعرف كيف أتصرف بالمناسبة ، ماذا حصل معك بشأن المعلم رالف ؟ " . أجاب سام بغضب و ضيق " دعنا الآن من المعلم رالف و لتكلم في موضوعك أنت .. أخبرني ماذا ستفعل بالضبط ؟؟ " . أخذ الدكتور بروكلمان يفكر بقلق و ضيق ، كان متوتراً للغاية . ظل يمشي في الصالون و هو شارداً الذهن ، و أخيراً قال " لا أدري يا سام ، و لكن سأجد حلاً " . قال سام " أنا برأيي إما أن تبلغ البوليس ، و إما أن تقبل عرضهم بالسفر إلى دولتهم " . أجاب الدكتور بروكلمان و هو يمشي بالصالون و يفكر شارداً " لا تقلق يا سام ، سأجد حلاً .. سأتوصل إلى تفاهم معهم " . سأله سام بقلق و توتر "ماذا ستفعل يا دكتور ؟ ... أخبرني " . أجاب الدكتور " و هو يفكر " غداً سأذهب إلى سفارتهم ، و أقابل هناك شخصاً هو المسؤول عن كل شيء " . هز سام برأسه نافياً و قال " إنني غير مطمئن عليك يا دكتور .. على كل حال ابق اليوم هنا ولا تذهب إلى المنزل اتصل مع زوجتك و أخبرها انك مضطرب للبقاء هنا " . جلس الدكتور بروكلمان على الأريكة يفكر ، ثم رفع رأسه و قال " لا يا سام ، يجب أن أذهب الآن إلى سفارتهم ... و لكن سأرجع إلى هنا .. هل بإمكان سائقك أن يوصلني ؟ " - "طبعاً ، طبعاً يا دكتور ، إنه تحت أمرك ... و لكنني أفضل ألا تذهب الآن حتى تفكر ملياً بالموضوع و تهدئ من روعك ، إنك الآن مضطرب و متوتر " . أشار الدكتور بروكلمان بإصبعه نافياً " لا يا سام ... هذا الأمر يجب أن يحل الآن ، لأنه بعد ذلك ، من الصعب أن يحل ... لا تقلق ، ساعة و أكون عندك " . رفع سام يديه و قال بأسى " حسناً يا دكتور ، كما تشاء " . استدعى سام أحد رجاله و قال له بلهجة أمرة قاطعة "ستذهب مع الدكتور بروكلمان إلى حيث يريد ... و حتى تعودان ، ستكون تحت تصرفه و تنفذ أوامره و كل ما يطلبه منك بالحرف ، خذ معك سلاحك و جهز السيارة فوراً " - " حاضر سيدي " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قد اغرورقت عيناه بالدموع و قال " إلى اللقاء

يا دكتور ... كن على حذر .. إنني بانتظارك " . غادر الدكتور بروكلمان ، بينما صب سام كاساً من الويسكي و أشعل سيجاراً و أخذ يذرع الصالون جيئة و ذهاباً .

في هذه الأثناء ، كان الدكتور بروكلمان قد وصل إلى مبنى إحدى السفارات . نظر إلى المرافق و قال له " انتظرنى هنا أيها السائق ، و لا تتحرك حتى أعود " . دخل الدكتور بروكلمان إلى المبنى و بقي فيه حوالي ساعة و نصف ، ، خرج بعدها من المبنى و صعد إلى السيارة و طلب من السائق العودة إلى الفيلا حيث كان سام على أحر من الجمر ... " أخبرني ماذا حصل معك يا دكتور ؟ ... كيف سارت الأمور ؟؟؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان بشرود "اطمئن يا سام لقد حلت المسألة تقريباً " . نظر إليه سام و سأله و هو متردد " هل كانوا فعلاً ينوون أن " . اتكأ الدكتور بروكلمان برأسه على يديه و قال بتعب " نعم ، كانوا كذلك و لكن الموضوع انتهى " - " و كيف انتهى يا دكتور ؟ " أجاب الدكتور بروكلمان بشرود و إعياء " لقد قدمت لهم تطمينات كافية ، و أخبرتهم أنك أنت الوحيد الذي يعرف بالأمر ، وأنه لا خطر منك بل على العكس ، أخبرتهم أنك ساعدتني في أمور كثيرة " . أجفل سام قائلاً " و لكنني لم أفعل ذلك يا دكتور " . أوماً الدكتور بروكلمان بيده قائلاً " اطمئن يا سام ، كان لا بد من قول ذلك ... و على كل حال هم يعرفونك جيداً ، و لولا ذلك لما اقتنعوا معي لقد سألوني عنك يا سام ، و قالوا إذا كان هناك مجال للعمل أو التنسيق " . أجفل سام مرة أخرى و قال " لا ، لا ، لا يا دكتور ... لا أريد التورط في مثل هكذا أمور " نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و قال "هل تريد أن تقنعني يا سام أنك غير متورط ؟ ... فكيف عرفت بمحاولتهم الأخيرة تلك " . ابتسم سام و قال " ألم اقل لك يا عزيزي إن هناك ملاكاً يخبرني " . فهقه الدكتور بروكلمان و قال " هل تراني مجنوناً يا سام ولو إنني قد أجن فعلاً ، من المؤكد أنك مثلي تماماً ، تتعامل مع جهة ما " . ابتسم سام مرة أخرى و قال " لا يذهبن تفكيرك بعيداً يا دكتور ... صحيح أن هناك من يخبرني ، و لكن ليس كما تتخيل على كل حال يا دكتور ، يجب أن نبقى

حذرين ، و بخاصة أنت ، فربما يعاود أصدقاؤك هؤلاء الكرة ثانية " . استرخى الدكتور بروكلمان على الأريكة و قال بصوت متحشرج " لا تقلق يا سام ، لقد سويت الموضوع وانتهى الأمر " . نهض سام إلى البوفيه و صب كأسين له و للدكتور بروكلمان ثم قال مبتسماً "هكذا إذاً يا دكتور قلت لي أن الناس صناديق مغلقة ... إذاً اشرب نخب نجاتك " . قال سام ذلك و انفجر ضاحكاً . ضحك الدكتور بروكلمان بآلم، ثم قال بمرارة " كل هذا بسببك يا سام أنت سبب البلاء كله ... لقد دمرت علاقتي مع المعلم رالف و كدت تتسبب في قتلي ، فضلاً على إنك جعلتني في وضع حرج و سيء ... أهذا هو جزائي يا سام ؟ " . هز سام رأسه بالنفي و قال " صدقني يا دكتور ليس لي يد في ذلك ، و لم أقصد في يوم من الأيام الإساءة إليك أو حتى التسبب في أدنى إزعاج لك ، وأنت تعرف هذا جيداً و لكن هكذا شاءت الظروف ... أنت أعز صديق لي ، ولا تظن في يوم من الأيام أنني يمكن أن أتخلى عنك ، لقد خاطرت بنفسي اليوم لأجلك " - " إنني مدين لك بذلك يا سام " - " لا ، لا يا دكتور ، أنا المدين لك و بأشياء كثيرة ... لطالما وقفت إلى جانبي و ساعدتني " . أخذ الدكتور جرعة كبيرة من كأسه و قال " لا بأس يا سام ، هذا واجبي و لكن قل لي ، ماذا بشأن المعلم رالف ؟ .. هل فتحت صندوقه ؟ " . أجاب سام " نعم يا دكتور لقد فتحت صندوقه " سأل الدكتور و هو يشرب من كأسه بلا مبالاة " و ماذا وجدت فيه يا سام ؟ " . أجاب سام و هو يفكر " لقد وجدت فيه كنزاً كبيراً " - " ماذا تقصد يا سام " . أجاب سام و هو شارد الذهن " لا بأس يا دكتور ، أخبرك فيما بعد " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و قال " لم يبق غير صندوقك يا سام ، و سأفتحه لك في يوم من الأيام ، ثق بذلك " . ضحك سام و قال " لقد فتحتك لك من قبل يا دكتور ، و لكنك رفضت أن تقبل بما فيه " هز الدكتور بروكلمان رأسه و لم يتكلم ، فعاد سام وسأله " و الآن قل لي يا دكتور ، كيف السبيل إلى جعل المعلم رالف يثق بي من جديد " . أجاب الدكتور بلا مبالاة " لا أدري يا سام ، و لكن أظن أن ذلك صعب جداً ، و بخاصة بعد أن تكرر

الأمر مرتين " . أجاب سام و هو يفكر " لا بد من إيجاد طريقة ما " . فرد الدكتور " إن ذهني الآن مشوش ... مشوش جداً ، فكر أنت بطريقة أو حل معين ، و أنا جاهز للمساعدة " . أخذ سام يمشي في الصالون جيئة و ذهاباً و يدخن . كان يفكر بموضوع المعلم رالف و يحاول عصر ذهنه لإيجاد طريقة تجعل المعلم رالف يثق به من جديد . كان الخدم قد أحضروا الطعام ، و لكن سام كان مشغولاً يفكر ، بينما أقبل الدكتور بروكلمان الذي كان جائعاً على الطعام . نظر سام إليه ، كان يبدو عليه الشرود و هو يأكل بنهم .. و يبدو عليه أيضاً التعب و الإعياء ، و شعره منفوش بعض الشيء و ثيابه متهدلة بشكل فوضوي و نظراته تدل على أنه لا يفكر بشيء . استقرت عينا سام على هذا المشهد الذي أمامه . كانت هذه أول مرة يرى فيها الدكتور بروكلمان بهذا الوضع ، فكر قائلاً " يا إلهي ، هل حقاً أنا فعلت كل هذا " . اغرورقت عيناه بالدموع مرة أخرى ، فأدار ظهره و عاد ليفكر بالمعلم رالف من جديد . بعد قليل أتاه صوت الدكتور بروكلمان " لماذا لا تأكل يا سام ؟ .. إنه طعام لذيذ أرح نفسك قليلاً من التفكير " . نظر إليه سام وقال " هل انتهيت من الطعام يا دكتور؟ " - " نعم يا سام ، لقد شبعت " . وقف سام قبالة الدكتور و قال " اسمع يا دكتور ، لقد وصلت إلى حل مناسب " . أجاب الدكتور بعينين زائغتين " إنني مصغ إليك " . حرك سام يديه و هو يشرح للدكتور " علاقتنا بالمعلم رالف نحن الاثنان ، غير جيدة ، و بالوتيرة نفسها ، و من الصعب أن يثق بنا نحن الاثنان معاً و لكن ممكن أن يثق بواحد منا أو يحسن علاقته معه إذا تحمل الآخر المسؤولية كاملة ، و تبرع بأن يكون كبش فداء " . صب الدكتور بروكلمان الشراب في كأسه ، ثم رفعه إلى فمه و شربه كله دفعة واحدة ، ثم قال و هو يترنح قليلاً " فهمت يا سام ... أنت باختصار تريد أن أكون أنا كبش الفداء ، وأن أتحمّل المسؤولية كاملة ، ليصفح عنك المعلم رالف و يثق بك " . أجاب سام بإحراج " أعتذر منك يا دكتور ، يبدو أنها طريقة غير لائقة ، و لكن أظن انه لا يوجد أفضل منها " . رفع الدكتور بروكلمان كأسه و أشار إلى سام قائلاً " لا ، لا يا

سام ، إنها طريقة رائعة ، و لا مانع لدي ، بل على العكس ، أنا مستعد للقيام بها " . قال سام بخرج مرة أخرى " أرجوك يا دكتور ، إذا كان هناك أي إحراج لك ، فأنا " - " لا يا سام ، ليس هناك إحراج ، أصبح الأمر سيان عندي ، و أريد أن أنتهي من هذه القضية بأسرع ما يمكن .. قل لي ماذا تريد بالضبط ، و أنا جاهز " . فكر سام قليلاً ثم قال " أريدك أن تقول للمعلم رالف إنك أنت صاحب فكرة الجمعية ، و أنت من عرضها علي و أفنعني بها ، و إنني لم أكن أريدها من الأساس ، و إنني تراجع عنها الآن و لم أقتنع بها ، أي باختصار .. أنا بريء من فكرة الجمعية هذه " أطرق الدكتور بروكلمان رأسه إلى الأرض و قال " حسناً يا سام كما تريد " . نظر سام إليه و سأله " قل لي يا دكتور ... ألا تخشى من المعلم رالف و من انقطاع علاقتك معه ؟ " . صب الدكتور بروكلمان الويسكي في كأسه مرة أخرى و رشف منه و قال " لا يا سام ، لم أعد أخشى من المعلم رالف ، بل منك أنت و حسب ما يبدو لي ، فأنت الآن الطرف الأقوى بالمعادلة ، و تمسك بزمام الأمور كلها هذه هي المصالح يا سام .. لقد كنت إلى فترة قريبة أظن أن المعلم رالف هو الطرف الأقوى ، و بخاصة بعد أن اصطدم قرار إنشائك للجمعية بتوقيعه ، و لهذا انحزت إلى جانبه ، و انقطعت عنك ... و لكن يبدو أن حساباتي كانت خاطئة ، و الآن و بعد أن أعدت قراءة الأمور من خلال ما حصل ، عرفت أنك الطرف الأقوى و ليس هو ... و أنه سيضعف أمامك و سيوقع ، عاجلاً أم آجلاً على طلب الترخيص للمؤسسة " .

في الحديقة ، جلس المعلم رالف يقرأ كتاباً دينياً ... كان الوقت ظهراً عندما أوقف الدكتور بروكلمان سيارته أمام سور الحديقة الخارجي و دخل . أحس المعلم رالف بحركة قريبة منه ، فرفع رأسه و رأى الدكتور بروكلمان قادماً إليه . كشر عن أنيابه و قال له بغضب " أهذا أنت يا وجه الشؤم ... ماذا تريد؟ ... لماذا جئت إلى هنا ؟ " . رد الدكتور بروكلمان بابتسامة وادعة ، و هو يهدأ المعلم رالف "

سامحك الله يا معلم ، أهكذا تستقبلني ؟ " . زجر المعلم رالف و كيف تريدني أن استقبلك ؟... بالبساط الأحمر و الفرقة الموسيقية ؟" . رد الدكتور بروكلمان متظاهراً بالأسى " على كل حال يا معلم ، أنا قادم إلى هنا لأعتذر منك أولاً ، و لأصحح لك سوء الفهم الذي حصل ثانياً ... و أعترف بالذنب الذي ارتكبته ، ثالثاً " . هداً المعلم رالف من ثورته قليلاً و قال " ألا ترى يا دكتور أن تصرفاتك في الآونة الأخيرة قد أصبحت غريبة بعض الشيء ؟ ... ما الذي دهاك يا رجل ؟ ... هل أنت الدكتور بروكلمان الذي أعرفه ؟ ... إنني أستغرب دفاعك عن هذا الجاحد الكافر الأرعن ، سام " . حك الدكتور بروكلمان أرنية أنفه ثم قال " في الواقع يا معلم ، أنا هنا لأجل هذا الموضوع " صاح المعلم رالف "أجئت مرة أخرى لتقنعني بأن هذا الخبيث على صواب " - " لا يا معلم ، بل جئت لأضعك في الصورة و أوضح لك الأمر " . سأل المعلم رالف بانفعال " أية صورة ، و أي أمر ؟ " - " بصراحة يا معلم ، الذنب ليس ذنب سام ، بل ذنبي أنا " . نظر المعلم باستغراب إلى الدكتور بروكلمان و قال " عما تتحدث يا دكتور !!؟؟؟ " - " عن موضوع الجمعية التي يريد سام إنشاءها ... في الحقيقة يا معلم ، و لكي لا نظلم الرجل ، فإنني أنا من طرح عليه هذه الفكرة و أقنعه بها " . عدل المعلم رالف من جلسته ، و وضع الكتاب الذي كان يقرأ به ، جانباً ، ثم نظر إلى الدكتور بروكلمان بدهشة استغراب " ماذا ؟ .. ماذا تقول يا دكتور ؟ .. أنت من فعل ذلك !!! ؟؟ " . أوماً الدكتور برأسه " نعم يا معلم ، أنا من فعل ذلك ، أنا من طرح على سام فكرة إنشاء مؤسسة خاصة به ، و قلت له إنها فكرة رائعة ، و إن هذه المؤسسة ستعمل على مساعدة أكبر عدد ممكن من الناس ، و ستكون مركزاً للتوعية الاجتماعية " . فقال المعلم رالف بغضب " و رأيي أنا ... ألا يهملك في هذا الموضوع يا دكتور ؟ ... أليس لي رأي عندك؟ .. ثم منذ متى و أنت تتصرف في هذه الأمور و تتحدث بها ، من دون علمي يا بروكلمان ؟ ... و منذ متى أصبحت مستشاراً للغير في هذه الأمور " . أطرق الدكتور بروكلمان يفكر ، ثم قال " في الواقع يا معلم ، كنت أظن أنك لن تمنع أبداً ،

بل على العكس من ذلك ، ظننت أن هذا الأمر سيفرحك ، و سيكون مفاجأة سارة لك و ذو فائدة أيضاً
" . ضرب المعلم رالف بيديه على رأسه و قال " هكذا إذاً .. مفاجأة سارة لي ؟ ... ماذا جرى لك يا
بروكلمان ؟؟! .. هل جنتت ... هل معقول أنك أنت الذي يعالج الناس ؟؟! " . و هنا خرج الدكتور
بروكلمان عن طوره ، و فقد السيطرة على نفسه ، و صاح بهياج شديد " نعم يا سيدي .. لقد جنتت ...
أنا جنتت .. أنا الذي يعالج الناس من الجنون ، جنتت ، ألا يحق لي أن أجن مرة واحدة في العمر " . نظر
المعلم رالف إلى الدكتور بروكلمان بريبة و ذهول و قال " ماذا دهاك يا بروكلمان ؟؟! .. إنك غير
طبيعي ، بحق السماء ما الذي يحصل ؟؟ إنني لم أعد أستوعب شيئاً " . رد الدكتور بروكلمان بعصبية و
قرف " ليس هناك شيء طبيعي يا معلم " و لكنه عاد و هدأ من ثورته و انفعاله و قال متمالكاً نفسه "
إنني متعب قليلاً يا معلم ، بسبب العمل ، و لهذا تراني غاضباً بعض الشيء على كل حال أعود و
أكرر لك أن سام لا ذنب له في كل ما حصل ... أنا السبب في كل ذلك ، و بصراحة ، لا أريده أن يظلم
بسببي ... تصور يا رجل .. حتى إنه عارض في البداية فكرة الجمعية و قال إنه يفضل أن يبقى تحت
إشرافك أنت " . أخذ المعلم رالف يهز رأسه بذهول هو يقول " مستحيل إنني لا أصدق ما أسمع " .
فأجابه الدكتور بروكلمان " بل صدق يا معلم ... صدق ، إنني لا أريد أن أظلم سام ، ولا أريدك أن
تظلمه أنت أيضاً " . التفت المعلم رالف إلى الدكتور بروكلمان و قال بغضب " و لكن لماذا تفعل ذلك ، يا
بروكلمان ؟؟! .. لماذا ؟؟؟ لماذا ؟؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان و بدا عليه التعب " كما قلت لك
يا معلم ... لقد ظننت أن الأمر سيفرحك ، و لكنها غلطة أعترف أنها غلطة و كل ما أستطيع
أن أقوله لك ... أن ليس هناك سوء نية في الموضوع ، بل العكس تماماً .. و أكرر اعتذاري و أسفي يا
معلم " صمت المعلم رالف قليلاً و هو ينظر إلى الدكتور بروكلمان ثم قال " و لكن سام جاء مرة إلى هنا
، و أفهمته أنني غير راض عن إنشاء الجمعية و مع ذلك أصر على موقفه و قام بإجراءات الترخيص دون

لكن أريد أن أسمع منك أنت " . تردد سام قليلاً ثم قال " في الواقع .. نعم يا معلم كلامه صحيح " . نظر إليه المعلم و قال " و أنت يا سام ألا تريد إنشاء جمعية خاصة بك " . أجاب سام من دون اكتراث " هذا الموضوع لم يعد يهمني يا معلم .. و لم أفكر به قط في حياتي و لكن الدكتور بروكلمان طرح علي الفكرة و قال لي إن هذا الموضوع قد يسرك و يفرحك " . تمنع المعلم رالف بسام و سأله " و لكن لماذا يفعل الدكتور بروكلمان ذلك ، برأيك يا سام ؟؟ " - "أظن أنه قدر أن هذا الأمر قد يفرحك ، و لكن بجميع الأحوال أؤكد لك أنه لا يوجد أي سوء نية ، إنه يحترمك يا معلم و يقدرك ، حتى أنا عندما قمت بإجراءات الجمعية ، لم أكن متحمساً لها كثيراً " . هز المعلم رالف رأسه ، ثم غير من لهجته قائلاً " في الواقع يا سام ، أنا لست ضد أن يكون لك مؤسستك الخاصة بك ، بالمعنى الذي فهمته أنت أو فهمه الدكتور بروكلمان ... و لكن في الحقيقة ، إن مشروعاً كهذا ليس بهذه السهولة التي تظنها أو تعتقدها يا سام .. إنه لا يكفي أن يكون لديك المال فقط ، بل الخبرة و الدراية و القدرة على تحمل المسؤوليات و التفرغ التام لهذا الأمر ، و أي خطأ في ذلك يؤدي إلى الإساءة إلى سمعة الشخص القائم عليه ، و هذا يؤدي بدوره إلى فشل المشروع و إسقاطه ، و لهذا أنا لا أريدك أن تقوم بعمل و تفشل به " . نظر سام إلى المعلم رالف و أشار بإصبعه قائلاً " أتدري يا معلم ، لقد قلت كل هذا الكلام للدكتور بروكلمان " .

أجاب المعلم رالف بانفعال " و ما الذي يفهمه الدكتور بروكلمان في هذه الأمور ، حتى يعطي النصائح و المواعظ أصلاً إنه رجل غبي .. حمار ، و لا يفهم حتى في علم النفس الذي يدعي الخبرة فيه ، و أنا جعلته مستشاراً لي من باب الصداقة فقط ، و إلا فأنا لا أستشير به بشيء ، حتى إنني قد استغيت عن خدماته ... أما أنت يا سام ، فانا كلي ثقة أنك تحب الخير و المساعدة ، و مرة أخرى أقول لك إن أبواب مؤسستي مفتوحة لك ... و أي نشاط تحب أن تمارسه هنا ، تأكد أنه سيكون موضع ترحيب ، و اعتبر أن

هذه المؤسسة مؤسستك " ابتسم سام قائلاً "أقدر لك موقفك هذا يا معلم و كن واثقاً أنني سأكون عند حسن ظنك بي، وسأبقى كما عهدتني دائماً " .

بدأ سام معاودة نشاطه في مؤسسة المعلم رالف . كان يأتي إليها بشكل شبه يومي ، يجلس مع المعلم رالف و يتجول في أرجاء المؤسسة . كان يريد أن يحقق أمرين اثنين ، أولاً أن يكسب ثقة المعلم رالف ، و قد بدأ يكسبها فعلاً ، و ثانياً معرفة الأماكن التي يتردد إليها المعلم رالف باستمرار كان يتجول في كل أنحاء المؤسسة ، و من دون أن يثير الشبهات ، محاولاً معرفة الأماكن التي لم يرها من قبل و منها منزل المعلم رالف .. هو لم يره من قبل ، بالرغم من كل تلك السنين الطويلة التي قضاها في المؤسسة ... فجأة انتبه لتلك الملاحظة ... هذه أول مرة تحظر له تلك الملاحظة ، فكر في نفسه قائلاً " عجيب ، كيف لم يخطر لي ذلك من قبل !!؟؟" . عاد بذاكرته إلى الورا ، و أخذ يستعرض في مخيلته ذلك الأمر لم يطل به التفكير ، حتى اكتشف أن المعلم رالف هو من كان يتفادى دخول أحد إلى منزله أو مكان استراحته تذكر حادثتين حصلتا معه حول هذا الموضوع ... تذكر أنه يوجد للمعلم رالف خلوة خاصة به ، لم يدخلها من قبل . و فجأة تذكر الحديقة نعم ، نعم هناك أماكن في الحديقة الخلفية لم يخطر له أن يدخلها . نهض من مقعده و ذهب إلى الحديقة تظاهر أنه يتمشى بها . كانت حديقة كبيرة و مليئة بالأشجار الضخمة و الأعشاب و الممرات الضيقة المرصوفة بقطع من الأحجار الصغيرة . أخذ يتجول فيها ، ثم توجه إلى الجانب الخلفي لمبنى المؤسسة ... كانت الأعشاب في تلك الناحية كبيرة و الأرض أقل عناية . لاحظ وجود كوخ كبير نوعاً ما ، ملحق بمبنى المؤسسة . اقترب منه و أخذ يدور حوله ، حتى وصل إلى الباب ، وضع يده على القبضة و ضغط عليها ، فانفتح الباب . دخل سام ، و أخذ يتفحص المكان . كان هناك كرسي و طاولة صغيرة و قضبان معدنية و خشبية و أدوات حادة قليلاً ، و حبال ... و في إحدى الزوايا ، وجد

قفصاً كبيراً . أخذ يجول النظر في الكوخ .. السقف ... الجدران ... الأرضية ... و فجأة وقع نظره على بقعة حمراء ، اقترب منها و أخذ يتفحصها ... " هل معقول أن تكون دماء ؟ .. أم أنها صباغ ؟ ... لا ، لا.... أظن أنها دماء ، و هذا الكوخ هو أحد الأماكن التي يمارس فيها المعلم رالف هوايته المفضلة " . خرج سام من الكوخ و أغلق الباب ورائه ، و عاد أدراجه إلى المنزل . و هناك ، اتصل مع الدكتور بروكلمان ... " قل لي يا دكتور ، هل دخلت يوماً إلى منزل المعلم رالف في المؤسسة " - " لا يا سام ، لم أدخل لم تحدث مناسبة للدخول سوى مرة واحدة .. و لكن لماذا تسأل " - " لقد خطر لي بالصدفة هذا الأمر ، فأنا لم أشاهد منزل المعلم رالف طوال فترة وجودي في المؤسسة ، و هذا الأمر أثار استغرابي ، و بخاصة بعدما تفاجئت اليوم أيضاً بوجود كووخ في الحديقة الخلفية أيضاً " . أجاب الدكتور بروكلمان " نعم يا سام ، يوجد كووخ في الحديقة الخلفية ، و لكن لا أحد يستخدمه ، تستطيع القول أنه مهجور " - " أشكرك يا دكتور .. إلى اللقاء " . أغلق سام الهاتف و اخذ يفكر " يجب أن أدخل إلى منزل المعلم رالف لكن كيف ؟ ... غداً سأجرب " .

في اليوم التالي ذهب سام إلى المؤسسة كعادته ، و هناك استغل انشغال المعلم رالف بالاجتماع مع بعض الزوار ، و صعد إلى مكان إقامته الذي كان في الطابق الأخير . كان الباب مغلقاً و بجانبه نافذة مغلقة أيضاً . نظر سام عبر الزجاج كانت النافذة تطل على صالون يتفرع منه ثلاث أبواب مغلقة لم يستطع سام أن يميز غير ذلك فقط ، حاول فتح الباب و لكنه لم يفلح فنزل إلى القاعة الأرضية و أخذ يتجول في المكتبة و يتصفح بعض الكتب . بعد قليل انتهى المعلم رالف من الاجتماع ، فدخل إليه سام و أخذ يتحدثان ، نظر سام إلى المعلم رالف و قال " بالمناسبة يا معلم ، إنني حتى الآن لم أر مكان إقامتك هنا في الجمعية " . رد المعلم رالف باقتضاب "إنه فوق " . فكر سام قليلاً ثم قال " أتدري يا معلم ... يقال إنه إذا

أردت أن تعرف المرء ، فأنظر إلى بيته و أثاثه و ترتيبه " . أجاب المعلم رالف مرة أخرى باقتضاب و هو يتصفح بعض الأوراق " ربما " . نظر إليه سام و قال مبتسماً " و لهذا ، فأنا كلي فضول و شوق لأتعرف على منزل معلمي العزيز الذي لم أره حتى الآن .. إذا لم يكن لديه مانع " . و وضع المعلم رالف الأوراق بهدوء ، ثم التفت إلى سام و توقف قليلاً كأنه يفكر بشيء ، ثم قال مبتسماً " طبعاً يا سام لا مانع لدي .. و إذا شئت ، تفضل الآن " وافق سام على الفور ، صعد الاثنان إلى الأعلى . وضع المعلم رالف المفتاح بالباب و فتحه .. كان المكان نظيفاً و مرتباً بعناية ، و الأثاث يدل على ذوق رفيع ، و إن كانت به لمحة من البساطة ... لا حظ سام أن الصالون مقسم إلى قسمين ، قسم للجلوس ، و قسم للعبادة أو التأمل ، أو شيء من هذا القبيل . كان واضحاً ألا أحد يدخل هذا المكان إلا المعلم رالف . دخل سام إلى الغرفة المجاورة ، كانت مهيأة للنوم ، و بعد ذلك دخل الاثنان إلى المطبخ الذي كان كبيراً نوعاً ما . لاحظ سام وجود قضبان معدنية و خشية ، شبيهة بتلك التي رآها في الكوخ ، مع قطعة حبل ، و لفت انتباهه وجود غسالة أوتوماتيكية . نظر المعلم رالف إلى سام معلناً انتهاء الزيارة و سأله " هل أعجبك المنزل يا سام ؟ " أجاب سام و هو يعاين المكان بدقة " نعم يا معلم ، و إذا لم أكن مخطئاً ، فإنك تقضي خلواتك و أوقات راحتك هنا " . أجاب المعلم بفخر " طبعاً يا سام .. أنت تعلم أنني أحب الهدوء كثيراً ، و معظم أوقاتي نهائياً أقضيها في الحديقة ، و في الليل هنا " . فكر سام ثم سأل " بالمناسبة يا معلم قد لاحظت أن المنزل مرتب بعناية فائقة ، فهل لديك الوقت الكافي لترتيبه ، بالإضافة إلى غسل الثياب ؟؟ " - " لا يا سام هناك خدم يقومون بذلك ، و بالنسبة للغسيل ، فكل أسبوع يقومون بغسل الثياب (ثم أشار إلى سام بإصبعه شارحاً) ... إن أهم مكان بالنسبة لك يا سام ، هو المكان الذي تجد راحتك فيه ، و هذا الأمر يستوجب أن يكون نظيفاً و مرتباً " .

عاد سام إلى المنزل و هو يفكر .. كان قد توصل إلى نتيجة و هي أن المعلم رالف يقوم بقتل صغار القطط إما في منزله ، أو في الكوخ الخلفي ، أو في كليهما معاً ، و لكنه لاحظ أنه لم يكن هناك أي قطة ، فقال في نفسه "ربما لأن المعلم رالف قد قضى عليها جميعاً ... على كل حال ليس هناك طريقة غير التصوير " .

في اليوم التالي ذهب سام إلى الشركة ، و بعد أن أنهى عمله و وقع على بعض الأوراق ، استدعى جان .. " أريد أن أكلفك بمهمة يا جان ، و هي من اختصاصك " - " ما هي يا سام ؟ " . روى سام لجان ما ينوي القيام به ، و لخص له العملية ، و هي تصوير المعلم رالف ، ثم قال له " بوصفك يا جان خبيراً في الكهرباء و الإلكترونيات ، فهل يمكنك القيام بهذا الأمر؟ ... و ما هي أفضل طريقة للقيام بذلك ؟ " . فكر جان فترة من الوقت ، ثم قال " نعم يا سام ، يمكن القيام بذلك ، و أفضل طريقة هي زرع كاميرات تصوير خفية و صغيرة في المكان المراد تصويره " . سأل سام بلهفة و فضول " و كيف ستم عملية التصوير؟؟؟ " - " سنوصل الكاميرات بجهاز فيديو و تلفزيون في الوقت نفسه " سأل سام مرة أخرى بقلق " ، كيف ستتدبر ذلك يا جان ؟ " - " يجب أن نحدد المكان الملائم لذلك " . صاح سام " و لكن كيف ذلك يا جان ؟ .. كيف؟ " . فكر جان مرة أخرى و قال " هناك طريقتان يا سام .. الطريقة الأولى هي أن يوضع جهاز الفيديو و التلفزيون في سيارة صالون مغلقة ، تقف بجانب السور الخلفي لمؤسسة المعلم رالف ... أما الطريقة الثانية ، فهي أن يوضع جهاز الفيديو في مكان خفي داخل المؤسسة " . سأل سام " و لكن ما الفرق بين العمليتين " . أجاب جان " العملية الأولى هي أضمن من ناحية التصوير ، حيث تستطيع أن تتحكم بعملية التسجيل و تسجل الصور التي تريدها ، و لكنها أصعب و مكلفة أكثر ، لأنها تستلزم وجود شخص مناوب يجلس أمام التلفزيون لمراقبة التصوير بشكل دائم ، و سيارة صالون ، أما الطريقة الثانية فهي أسهل ، و لكنك لا تستطيع أن تتحكم بعملية التصوير ، فهنا يتم تشغيل الجهاز من

دون معرفة ماذا يصور ، لتعود بعد الانتهاء و ترى ماذا صورت ، و هنا أنت لست بحاجة إلى شخص مناوب أو إلى سيارة " سال سام بحيرة " ماذا تقترح أنت يا جان " - " لا أدري بالضبط برأيي أن الطريقة الأولى مضمونة أكثر ، و لكن في كلتا الحالتين ، فإن أهم شيء هو تأمين عملية تركيب الكاميرات الصغيرة " - " لا تقلق يا جان ، سأتدبر هذا الأمر ... أما بالنسبة لموضوع التصوير ، فأنا أفضل الطريقة الأولى أيضاً ... من الغد استأجر السيارة التي تراها مناسبة لهذا الأمر ، و ستقوم أنت بالمراقبة يا جان و بعملية التصوير من بدايتها و حتى نهايتها ، أريد أن يكون العمل متقناً " . ابتسم جان و قال " لا تقلق يا سيدي ، فانا الذي قمت بعملية تركيب أجهزة المراقبة هنا في الشركة و في الفيلا عندك " . صمت سام قليلاً ، ثم صاح "الفيلا ... نعم الفيلا لماذا لا نجري تجربة أولية أو بروفة في الفيلا ؟ اذهب يا جان إلى مدير الحسابات و خذ المبلغ اللازم لشراء الأجهزة التي تحتاجها بما فيها السيارة ، و غداً أريد أن تكون كاميرات المراقبة جاهزة في حديقة الفيلا " - " حاضر سيدي " . بعد يومين ، وجه سام الدعوة إلى المعلم رالف إلى الغداء عنده في الفيلا ، و قبل الموعد بيوم ، استدعى سام أحد الخدم و أمره قائلاً " اسمع .. أريد عدداً من صغار القطط و ليس من كبارها ، هنا عندي في الفيلا حالاً ، أحضرها من أي مكان .. هيا .. اذهب و نفذ ما أمرتك به " .

في اليوم المحدد ، وصل المعلم رالف إلى الفيلا ... استقبله سام وزوجته بكل حفاوة و ترحيب ، و اصطحباه إلى الحديقة ، و هناك جلسوا يتبادلون أطراف الحديث . كان كل شيء قد أعد بعناية فائقة ، و بعد قليل و بينما هم يتحدثون ، ظهرت في الحديقة أربعة من صغار القطط ، تلعب بين الأشجار على مقربة منهم ، نظر إليها سام و قال بشكل عادي " يا لهذه الحيوانات الكريهة ، إنها تفسد كل شيء في الحديقة و تحرب الورود و الأزهار " . نظر إليها المعلم رالف و قال " و لكن لماذا تربيها عندك في الحديقة؟؟ " .

أجاب سام ببرود " إنني لا أريها ، لكنها تأتي من المنزل المجاور ، إنه منزل مغلق منذ مدة و أصحابه ليسوا هنا ، و لذلك فقد استعمرته القطط ، إنها تقفز من السور إلى هنا و تسبب لنا الكثير من المشاكل ... إنني أفضل تربية الكلاب على القطط ، فالكلاب نظيفة و أليفة و مطيعة و خدومة ، أما القطط فهي قذرة و مشاكسة ، و إذا شبت ، تترك و تذهب " . بعد قليل أحضر الخدم الطعام ، كان غداءً فاخراً

شمت القطط الصغيرة رائحة الطعام ، فاقتربت من المكان و بدأت تحوم حول المائدة . أخذ سام يراقب المعلم رالف من طرف عينيه ، كان المعلم يأكل و ينظر إلى القطط و هي تموء بصوت عالٍ مزعج و تدخل تحت الطاولة و بين أقدامهم . تظاهر المعلم رالف باللامبالاة و هو يأكل ، محاولاً كتم غيظه و غضبه ، و في الوقت نفسه تظاهر سام بالانزعاج و صاح قائلاً " تباً لهذه الحيوانات اللعينة ، لقد أخبرت الجوار أنني سأقتل أي قط يتسلل إلى الحديقة " . بعد الغداء ، أشار سام إلى الخدم بالانصراف ، و بقي هو و المعلم رالف وحدهما يتحدثان . نظر المعلم إلى الحديقة بإعجاب و قال " أرى أن لديك حديقة جميلة يا سام و كبيرة أيضاً " . أخذ سام يشرح للمعلم رالف عن الحديقة و الأشجار التي بها ، و بعد قليل جاء أحد الخدم ليخبر سام أن هناك شخصاً بانتظاره . نظر سام إلى المعلم رالف مبتسماً و قال " أستأذنك يا معلم ، سأعود بعد قليل ، بإمكانك التجول في الحديقة و اكتشاف معالمها .. تتمتع بوقتك " . بقي المعلم رالف وحيداً هو و القطط الصغيرة ، بينما جلس سام في الداخل إلى جانب جان ، و أمامهم عدد من الشاشات التلفزيونية التي غطت كل أنحاء الحديقة ، و أخذوا يراقبان المعلم رالف الذي ظهر في إحداها . بعد قليل أخذ المعلم رالف يتلفت في كل الاتجاهات ، فلم يرَ أحداً حوله ، نظر إلى القطط الصغيرة و اخذ يشير لها بيديه ، و لم يلبث أن اقترب أحد القطط منه ، فرفع المعلم رالف قدمه ببطء شديد ، و ما إن وصل إليه القط ، حتى أخذ يدوسه بقدميه ، بقوة و عنف حتى قتله . صاح سام " هل سجلت اللقطة يا جان ؟ " . أجاب جان و هو يضغط بعض الأزرار " نعم ، نعم يا سام ، و لكنني أخشى أن يذهب أحد الخدم إلى الحديقة ، فيفسد

كل شيء " . ربت سام على كتفه و هو يتابع المشهد قائلاً " لا تخف ، فتعليماتي لهم واضحة ... تابع التسجيل " . في الحديقة ، نظر المعلم رالف مرة أخرى حوله ، و أيضاً لم يجد أحداً ، فامسك القط الصغير المقتول الذي تهشم و تكسرت أضلاعه و رقبتة ، من ذنبه ، ثم لوح به بقوة و عنف ، قاذفاً إياه نحو حديقة المنزل المجاور . و هنا هربت القطط الصغيرة الباقية. صاح جان ضاحكاً و هو يتابع المشهد خلف الشاشة "أوه ، يبدو أن صاحبك لاعب بولينغ ممتاز " . فربت سام فوق كتفه بقلق "المهم أن تسجل اللقطات يا جان " - " لا تقلق يا سام ، إنني أسجل كل شيء " .

خرج سام من الداخل و ذهب إلى الحديقة "ها أيها المعلم ، كيف رأيت هذه الحديقة ؟ " . أجاب المعلم رالف و هو مفعم بالسعادة و السرور " لديك حديقة رائعة يا سام ، اعتن بها جيداً ، إنها أجمل شيء في هذا المنزل و الآن يا سام ، إنني مضطر للعودة إلى المؤسسة لدي بعض الأعمال و يجب إنهاؤها ... لقد سررت كثيراً بهذه الزيارة " . استدعى سام السائق و طلب منه إيصال المعلم رالف إلى المؤسسة ... عند الباب ، ودع سام المعلم ، و قفل عائداً إلى الداخل ، حيث كان جان يجمع الأسلاك و الأجهزة .. " هل سجلت كل شيء يا جان ؟ " - "نعم يا سيد سام ، و أظن أن هذا هو ما تريده ، لا حاجة للتصوير بالمؤسسة" . أخذ سام يستعيد اللقطات المصورة و هو بغاية الذهول و الدهشة . و عندما انتهت المشاهد ، قال " لا ، لا ، لا ... يجب أن نصور فيلماً كاملاً جهز نفسك يا جان ، سنقوم بالتصوير أيضاً هناك " . سأل جان ضاحكاً " هل يوجد هناك قطط أيضاً ؟ " - " لا أظن يا جان ... بل نحن من سيحضرها إلى هناك " . " هل ستبدأ من الغد ؟ " - " لا يا جان ، بل بعد أسبوع ، كيلا نشير شبهات و شكوك المعلم رالف ... بعد أسبوع ، ستظهر صغار القطط في المؤسسة هناك و بشكل طبيعي ، و من دون لفت الأنظار ، و ستكون الأجهزة مركبة و جاهزة .. عليك من الغد شراء أو استئجار سيارة الصالون تلك " . هز جان برأسه و قال " كما تشاء ، و لكن يجب أولاً أن أرى الأماكن التي تريدني أن

أزرع فيها الكاميرات ، لأعرف كيف سأصرف " . أجاب سام " لا بأس يا جان .. من الغد ستذهب إلى المؤسسة .. و ستأتي بعدي ، و ستتظاهر أن هناك أمراً يخص العمل تريد أن تخبرني به ... لا أريد أن أثير الشكوك ، يجب أن يكون كل شيء طبيعياً " .

في اليوم التالي حضر جان كما طلب منه سام ، كان المعلم رالف مشغولاً مع بعض الزوار ، فاستغل سام الفرصة و صعد هو و جان إلى الطابق الثالث حيث منزل المعلم رالف . كان المنزل مغلقاً أيضاً ، و لكنهما نظرا من النافذة .. أخذ جان يجول النظر من وراء النافذة و يتفحص المكان ، بعد ذلك نزل الاثنان بشكل طبيعي إلى الحديقة ، متظاهرين بالتجول فيها ، و من ثم تسللا خلسة إلى الكوخ حيث قام جان أيضاً بمعاينة المكان كله ، من الداخل و الخارج بعد ذلك ذهبوا إلى خارج سور الجمعية ، و دارا حولها لانتقاء المكان المناسب الذي ستقف فيه سيارة الصالون ، و من هناك غادرا المكان إلى الشركة لتقييم الوضع . في المكتب أشعل سام سيجارة و طلب من السكرتيرة ألا تدخل أحداً ، ثم جلس هو و جان يتناقشان " و الآن يا جان ، و بعد أن عاينت المكان .. ما هو تقييمك للوضع ؟؟ " . أجاب جان و قد اختمرت الفكرة برأسه " هناك ثلاث نقاط ... مكان سيارة الصالون ، و الكوخ ، و منزل المعلم رالف ، و أصعب هذه النقاط هو المنزل " سأله سام " لماذا يا جان ؟ " - "أولاً لأنني لم أر المكان جيداً ، صحيح أنني رأيت الصالون ، لكن لم أر المطبخ حيث سأركب الكاميرا .. ثانياً ، كيف سندخل إلى المنزل ؟ " . فكر سام بعمق ثم قال " هذا الأمر سأديره أنا ... و لكن ماذا عن الكوخ و مكان السيارة " . أجاب جان " الكوخ أمره سهل جداً ، لقد عاينته و حددت مكاناً لوضع الكاميرا ، و أستطيع القيام بذلك من دون لفت أنظار ، كونه معزولاً ... أما مكان السيارة ، فقد حددته أيضاً ، و سيكون بجانب محول الكهرباء الموجود خلف مبنى المؤسسة ، لأنه أقرب مكان إلى الكوخ و لا يبعد عنه أكثر من أربعة أمتار و يوجد

بينهما شجرة ضخمة مناسبة لإخفاء الأسلاك ، فضلاً على أنه مكان مناسب لوقوف السيارة من دون إثارة الشبهات " . صاح سام " عظيم يا جان ، إنك مهندس كهرباء بارع ... و الآن عليك بتجهيز نفسك و الاستعداد منذ الآن ، لأنه في نهاية الأسبوع بالضبط ، ستركب الكاميرات ... و خلال هذه الفترة ، أكون أنا قد تدبرت أمر دخولك إلى منزل المعلم رالف " .

لم يمض أسبوع ، حتى كانت جميع المعدات جاهزة ، بما فيها السيارة ، و في اليوم المحدد ، انطلق سام نحو مؤسسة المعلم رالف ، كان قد اتفق مع جان على اللقاء خلف مبنى المؤسسة ، حيث ستقف سيارة الصالون ، و بعد قليل أتى جان و هو يقود السيارة ... أوقفها في المكان المحدد و نزل . سأله سام " حسناً ... و الآن ماذا ستفعل يا جان ؟ " . أجاب جان و هو يخرج المعدات من السيارة " سأجهز المعدات و الأسلاك " - " عظيم ... إذن سأدخل أنا في هذه الفترة ، و عندما تنتهي ، أدخل ورائي .. ستراني في البهو الأرضي ... لقد اخترت هذا اليوم لأن المعلم رالف سيكون مشغولاً بالقاء محاضرة ، و سيقوم الخدم بتنظيف المكان .. اتبعني عندما تنتهي " . دخل سام إلى مبنى الجمعية و أخذ يراقب الوضع ، كان قلبه يخفق قليلاً .. تجول في المبنى ثم صعد إلى الطابق الثالث و ألقى نظرة ، ثم نزل إلى الحديقة ... كان هناك ازدحام في المبنى . في الحديقة ، جلس على أحد المقاعد ثم أشعل سيكارة و أخذ يفكر بقلق ... بعد حوالي النصف ساعة دخل جان و معه حقيبة جلدية متوسطة ، و اتجه نحو سام الذي نهض على الفور و قال له " اسمع يا جان .. الوقت ملائم الآن ، و المبنى مكتظ بالجمهور ، و المعلم رالف مشغول بالمحاضرة ... سنصعد الآن إلى مكان إقامته . هناك بعض الخدم يرتبون المكان .. سأقوم أنا بإشغالهم ، فتدخل أنت في هذه الفترة و تتركب الكاميرات .. لن يكون لديك متسع من الوقت ، عليك في هذه الفترة القصيرة أن تختار المكان المناسب في المطبخ و تتركب الكاميرا .. هل فهمت؟ " . أجاب جان بثقة و حماس " لا تخش

شيئاً يا سام .. اعتمد علي " - "حسناً .. هيا بنا " . دخل سام و جان بهدوء إلى القاعة الأرضية . كان هناك أناس عديدون ، و أصوات من كل جهة ، صعد الاثنان إلى الطابق الثالث .. كان باب المنزل مفتوحاً و في الداخل اثنان من الخدم ينظفان المكان نظر سام إلى جان و قال له " ابق هنا يا جان ... سأدخل لإلقاء الخدم و إخراجهم إلى الشرفة الخارجية ، و متى خرجنا إلى هناك ، تدخل فوراً إلى المطبخ و تقوم بمهمتك .. كن حذراً و تذكر أنه ليس أمامك متسع من الوقت .. هيا " . دخل سام إلى المنزل و ألقى التحية على الخادمين " مرحباً أيها الشباب " - "أهلاً مستر سام ، تفضل " - " أشكركما ... و لكن في الواقع كنت أريد أن أسألكما عن موضوع أعمال التنظيف ... أنتما تعرفان أنه يوجد لدي شركة ضخمة تحتاج إلى تنظيف يومي ، و لهذا أريد أن أتعاقد مع بعض المستخدمين و بأجور عالية جداً ، فأحببت أن أسألكما عن هذا الأمر إذا كان لديكما معرفة بأحد " . رد الشابان بحماس و قد أسالت لعابهما ، كلمة أجور عالية " نعم ، نعم مستر سام نحن نستطيع أن نساعد في هذا الأمر " . رد سام و قد تظاهر بالسعال " لا أريد أن آخذ الكثير من وقتكما ، و لكن ما رأيكما أن نتحدث في الشرفة ، فالغبار يضايقني " . ما إن خرج سام و الشابان ، حتى دخل جان مسرعاً إلى المطبخ و أخذ يتفحص المكان ، ثم فتح الحقيبة التي كانت معه و بدأ بالعمل ... و لم تمض فترة قصيرة ، حتى أنهى عمله و خرج إلى مدخل المنزل .. عندما لمح سام ، أعطى كلاً من الشابين مبلغاً من المال و قال لهما " أشكركما ، و على كل حال سأفكر بالموضوع ، و ربما أحتاجكما عندي في الشركة ... أراكما لاحقاً " . غادر سام و نزل إلى البهو الأرضي حيث كان جان بانتظاره ... " لم تستغرق وقتاً طويلاً يا جان ؟ " - "من حسن الحظ لقد وجدت في المطبخ فتحة تهوية ، فأخفيت الكاميرا داخلها ، وهي تكشف كل المطبخ ، و أنزلت الأسلاك منها إلى الأسفل ... و هكذا لن يكتشف الأمر أحد .. و الآن سأذهب إلى الكوخ لأكمل العمل " . أجابه سام و هو يلتفت حوله " إذاً الأفضل أن تذهب وحدك ، كي لا نلفت الأنظار ، و عندما تنتهي ، انتظرني في سيارة

الصالون . غادر جان ، بينما بقي سام في المبنى ، ذهب إلى البوفيه و طلب فنجان نسكافيه ، ثم خرج إلى الحديقة ، أشعل سيجارة و جلس يفكر . كان توتره قد هدأ قليلاً بعدما أنهى جان المهمة الأصعب و هي منزل المعلم رالف . بعد حوالي ساعة خرج من المؤسسة و مشى بجانب السور الخارجي ، حتى وصل إلى سيارة الصالون ، نقر على الباب بلطف ، ففتح له جان و ابتسامة عريضة على شفثيه . سأله سام بلهفة " هل أنهيت عملك يا جان ؟ " - " طبعاً يا سام .. كل شيء جاهز ، ادخل و انظر بنفسك " . دخل سام و أخذ يتفرج على المعدات ... كان هناك شاشتان صغيرتان و بالقرب منهما جهاز فيديو موصول بهما و عدد من الأجهزة . ضغط جان على أحد الأزرار ، فأضيئت الشاشتان و ظهر في إحدهما المطبخ في منزل المعلم رالف و بشكل واضح ... و على الأخرى ، ظهر الكوخ من الداخل . صاح سام ببهجة "عظيم يا جان .. هل أحس بك أحد؟؟؟ " - " لا يا سام ، لقد تم العمل بنجاح كامل .. ركبت الكاميرات ، و وصلت الأسلاك بشكل خفي .. و لكن ماذا سنفعل الآن؟؟؟ " . وضع سام يده على كتف جان و ربت عليه مبتسماً و قال "الآن يا عزيزي ... ستبدأ صغار القطط بالظهور في الحديقة ، ابتداءً من اليوم ... لقد كلفت من يقوم بوضع أربعة فراخ كل يوم ... بعد قليل سيذهب الجميع ، و سيخرج المعلم رالف إلى الحديقة ليرتاح بعد عناء هذا اليوم ... المهم ، أن تكون يقظاً .. هل لديك أفلاماً كافية ؟ " - " لا تقلق يا سام ، هذا هو عملي ، بإمكانك الذهاب و أنت مطمئن " . هز سام برأسه و قال "حسناً يا جان .. أنا ذاهب إلى الفيلا لأرتاح قليلاً و سأبقى على اتصال معك بالهاتف الجوال ... و سوف أرسل لك الطعام تبعاً ... بعد حوالي ساعتين سيخرج المعلم رالف و ستبدأ القطط الصغيرة بالظهور .. كن مستعداً .. إلى اللقاء " .

بعد أن استراح المعلم رالف قليلاً ، نزل إلى الحديقة و جلس في مقعده المعتاد يمارس هواية التأمل ، و فجأة لاحت منه التفاتة ، فرأى أربعة من القطط الصغيرة تتجول في الحديقة .. وقف على قدميه و مشى

باتجاهها .. اقترب منها و لكنها ابتعدت عنه ، حاول إمساكها ، فلم يفلح ، فأسرع إلى الكوخ و أحضر قفصاً خشبياً و عصا صغيرة ، ربطها بالحبل و أسند القفص إليها ، ثم أسرع إلى الداخل و أخضر قطعة من اللحم ، وضعها في القفص و اختبأ وراء الأشجار يراقبها و بيده الحبل ، بعد قليل شممت القطط الصغيرة رائحة اللحم ، فأسرعت إلى القفص و هي تلتفت بجذر شديد ، في البداية ، أخذت تدور حوله ، ثم ما لبثت أن دخلت جميعها إليه ، و هنا سحب المعلم رالف الحبل ، فسقطت العصا و أغلق القفص على القطط . أسرع المعلم رالف و حمل القفص وذهب به إلى الكوخ ، حيث بقي فيه حوالي ساعة ، ثم خرج و معه كيس توجه به إلى حاوية القمامة و رماه بها ، ثم عاد مرة أخرى إلى الكوخ، و خرج منه و معه القفص و به اثنان فقط من صغار القطط، إلى مبنى الجمعية و دخل إليه... و بعد حوالي ساعة أيضاً ، خرج منه و معه كيس توجه به إلى حاوية القمامة و رماه فيه . في المساء اتصل سام مع جان ... " أخبرني يا جان ، كيف سارت الأمور؟" . صاح جان "إنك لن تصدق ما سوف تراه يا سام " - "لماذا؟ .. ماذا سجلت ،؟؟؟" أجاب جان بهول " مجازر .. مجازر يا سام " - "عظيم يا جان .. غداً في الصباح الباكر ستتكرر العملية نفسها .. بإمكانك الذهاب الآن إلى المنزل ، و العودة إلى السيارة قبل انبلاج الفجر .

في صباح اليوم التالي ، تكررت العملية نفسها .. و اتصل سام بجان مرة أخرى ... " كم ساعة تسجيل أصبح لديك يا جان؟؟ " - " حوالي ثلاث ساعات " - " عظيم جداً ، هذا كاف .. انزع الأسلاك و اسحب الأجهزة و تعال إلى الفيلا لترى ماذا صورت " .

في الفيلا ، جلس سام و جان يتفرجان على المشاهد .. لم يصدق سام عينيه و هو يرى الصور التي تعرض أمامه . كان المعلم رالف يقوم بتعذيب القطط الصغيرة ثم يفتأ أعينها و يقتلها بوحشية و غضب و هيجان

شديد ، و بعد ذلك ربط إحداها بجبل من ذنبه علقه في السقف و أخذ يكيّل له اللكمات حتى مات .
انفجر جان ضاحكاً و قال " آه يا سام ، لو يفتح المعلم رالف مدرسة للملاكمة ، سأكون أول من يتدرب عنده .. انظر كيف يكيّل اللكمات ببراعة و سرعة " . بعد ذلك ظهرت لقطة أخرى في المطبخ حيث وضع المعلم رالف أحد القطط الصغيرة في الغسالة الآلية ثم أدار المفتاح على وضعية التنشيف السريع جلس يتفرج ، بعد ذلك أخرج القط الصغير و الدماء تخرج من كل أنحاء جسده .. أمسكه من ذيله و أخذ يضرب به الجدار بعنف " . و هنا لم يتمالك سام نفسه ، فصاح " ماذا يفعل هذا المجنون؟؟ " . أجابه جان ضاحكاً " إنه يكوي الغسيل بعد أن نظفه في الغسالة " . لم يستطع سام أن يضحك .. كان يشعر بقرف شديد و هو يتابع المشاهد أمامه ... لا بل أنه لم يكن يعرف بماذا يشعر ، و ماهي الأحاسيس التي تتملكه ... ذهول .. حزن .. كآبة .. استغراب ... دهشة .. صدمة . بعد انتهاء المشاهد ، قال سام لجان بصوت حزين خافت " عليك أن تجمع هذه المشاهد في فيلم واحد يا جان " . أجاب جان و هو يطفئ جهاز العرض " غداً سيكون عندك الفيلم " سأله سام و الحزن بادٍ على وجهه و على كلامه " هل فككت جميع الأجهزة الأسلاك؟ " - " نعم يا سيد سام .. ما عدا الكاميرا التي في منزل المعلم رالف " . فرد سام بكآبة " لا بأس غداً سأذهب بنفسى و أسحبها .. أين هي بالضبط؟ " - " إنها في فتحة التهوية التي فوق البراد " .

لم يستطع سام النوم في تلك الليلة .. بل لم يستطع حتى أن يأكل لبس الروب ديشانبر و خرج إلى الحديقة يتمشى انتابته نوبة من اليأس .. أحس أنه لم يعد يريد أن ينشئ الجمعية ، ولم يعد يريد أن يضغط على المعلم رالف ، و لم يعد يريد شيئاً ، فكر قائلاً " يا إلهي مستحيل ... هل أنا أحلم؟ ... هل معقول أن يكون كل هذا حلم و أنا لا أشعر؟ .. ما الذي يحدث؟ .. و لماذا؟ .. و كيف؟ .. إن

عقلي لم يعد يستوعب شيئاً " . أحس أنه لا يستطيع النظر في وجه المعلم رالف ، و لا أن يراه " هل معقول أن كل الناس هكذا .. المعلم رالف و الدكتور بروكلمان و جاك و توم و ليزا و أندريه و أستاذ الفلسفة و فلان و فلان .. كل هؤلاء الناس كنت أعدهم مثلاً أعلى لي في المبادئ و الصداقة و الحب و الإخلاص .. المعلم رالف كنت أعده مثلي الأعلى في الطهارة و العفة ... الدكتور بروكلمان كذلك أيضاً جاك كان مثال الصداقة و الإخلاص .. ليزا كانت مثال الحب .. أستاذ الفلسفة كان مثال المبادئ و القيم العليا .. فلان .. و فلان .. و لكن أنا ...من أنا ؟ ماذا يوجد بداخلي ؟ " . فجأة سرت في جسده قشعريرة قوية و أحس ببرد شديد يدخل إلى أعماقه ، بدأت أسنانه تصكصك و أطرافه ترتجف ، دخل مسرعاً إلى الفيلا و ذهب إلى الفراش ، ثم استلقى فيه و غطى نفسه بلحاف سميك و لبس طاقة صوف ، ولم يلبث حتى راح في نوم عميق .

في اليوم التالي ، استيقظ متأخراً ، كان الوقت ظهيرة ، أحس بدوار خفيف في رأسه ، أخذ حبة مسكنة للألم و حماماً ساخناً . جاءت زوجته و أخبرته أن جان حضر و ترك له مغلفاً كبيراً . فتح سام المغلف ، فوجد فيه فيلم الفيديو و وضعه في الجهاز و مد إصبعه ليشغل المفتاح ، و لكنه توقف ... أخرج الفيلم من الجهاز و وضعه في درج المكتب و أقفل عليه ، لم يكن لديه الرغبة أن يشاهده . قرر أن يذهب إلى البلدة ليرتاح .

في البلدة قضى سام وقته بين الحقول و الغابات ، يتمشى بين الأشجار و على الأعشاب و يستمتع بمناظر الطبيعة و أصوات الأبقار و الماعز و الطيور و المزارعين الذين كانوا يجيونه من بعيد و هم يرفعون قبعاتهم و فؤوسهم و معاولهم . أحس بشيء من الراحة و الاستقرار في نفسه .. بعد الظهر ، كان يقضي وقته في

المنزل حيث كان أستاذ الفلسفة يزوره و يتحدثان " قل لي يا أستاذ ، ما هو شعورك عندما ترى شخصاً تظن أنه مثال للطيبة و الطهارة و العفة و النزاهة ، ثم تكتشف فجأة أن له أفعالاً شريرة جداً ؟ ... ألا يشكل ذلك لك نوعاً من الصدمة ؟ " . أجاب الأستاذ " هذا يتوقف على عدد المرات التي يتكرر فيها هذا الأمر .. في المرة الأولى ، لا شك أن الصدمة ستكون قاسية ، و إذا تكرر الأمر مع شخص آخر ، تكون الصدمة أخف من الأولى ، و مع الشخص الثالث أخف ، حتى يصل الأمر إلى درجة أنك إذا رأيت شخصاً مثالياً ، تتوقع في نفسك أنه ليس كذلك " . سأل سام " و إذا تكررت الصدمة مع الشخص يا أستاذ ؟ " . أجاب الأستاذ بهدوء و هو ينفث دخان سيجارته في الهواء " في هذه الحالة يكون هذا الشخص حمراً أصيلاً من سلالة عريقة " . أحس سام بالانزعاج و الضيق الشديد ، و لكنه كبت شعوره ، بينما تابع أستاذ الفلسفة شارحاً " لأننا إذا دققنا في كلمة الصدمة ، نرى أنها جاءت من كلمة الاصطدام ، و هي تحمل في طياتها عنصر المفاجأة .. و الاصطدام بين شيئين أو جسمين ، يعني أنه حصل بشكل مفاجئ ، فالسائق الذي يصطدم بسيارته ، سيارة أخرى أو حائط ، قد يكون معذوراً أو ليس هو من تسبب بالخطأ ، و لكنه عندما يصطدم بسيارته بالحائط في كل مرة يقودها بها ، فهذا يعني أنه هو سبب الخطأ و أنه لا يجيد قيادة السيارة " . نظر سام إلى أستاذ الفلسفة و قال " كم مرة صدمت بجياتك يا أستاذ ؟ " . أخذ الأستاذ حجة من سيجارته و هز رأسه و قال " صدمت كثيراً يا سام .. صدمت بأناس لم أكن أتوقع أن أصدم بهم ... صدمت بأشياء كثيرة ، لدرجة أصبح الأمر سيان عندي .. و الآن فإن أكبر صدمة أو مفاجأة ، لا تهز شعرة واحدة بي " . سأله سام " و إذا توفي لك شخص عزيز .. ابنك مثلاً " - " هذه ليست صدمة بالمعنى الذي نتحدث عنه يا سام ، لأن الموت في ذهن كل شخص منا .. فأنا لا أتوقع وفاة ولدي أو صديق عزيز لي ، و لكن لا أستبعد هذا الأمر كلياً ، لأنه في عقلي و شعوري ، إنه ممكن الحدوث و لا شيء يمنعه ، صحيح أن الأمر قد يشكل صدمة ، و لكنها نوع من الحزن لفقدان شخص عزيز ، و أنت

تقبل هذا الأمر لأن أسبابه موجودة أمامك ، بينما الصدمة التي نتكلم عنها هنا ، هي غير منطقية لأنه في هذه الحالة لا يوجد في عقلك أو مخيلتك أن هذا الشخص هو في الحقيقة سارق أو قاتل أو مجرم أو .. أو .. و الصدمة أحياناً يا سام ، لا تكون في الأشخاص ، بل تكون في الأفكار والآراء أيضاً ... و على كل حال ، فقد علمتني الحياة أن الشخص الذي يُصدم دائماً ، هو .. حمار " .

عاد سام إلى العاصمة و كلمة أستاذ الفلسفة (من يُصدم كثيراً هو حمار) تطن في أذنه . فكر في نفسه و قال " معك حق يا أستاذ ... من يُصدم كثيراً ، هو حمار " . عندما وصل إلى العاصمة اتصل بالدكتور بروكلمان و طلب منه الحضور إلى الفيلا . لقد حسم أمره و قرر وضع المعلم رالف تحت الأمر الواقع ، و في الوقت نفسه كان يريد أن يسمع رأي الدكتور بروكلمان بكلام أستاذ الفلسفة . لم يمض وقت طويل ، حتى أتى الدكتور بروكلمان و جلس هو سام في الصالون .. طرح عليه سام ما دار بينه و بين أستاذ الفلسفة و سأله عن رأيه " في الحقيقة يا سام ، إن كلام أستاذ الفلسفة ليس خطأ و هو مقبول إلى حد ما " . سأله سام " و لكن ماذا يقول علم النفس في هذا ؟ " أجاب الدكتور " قول مشابه لما سمعته ، و لكن التعبير قد يختلف " - "كيف؟؟" - " إن الإنسان بطبيعته يكتسب مناعة أو اعتياداً للشيء في حال تكراره ... فأني منظر غير طبيعي أو غريب ، يصبح مألوفاً لديك في حال تكراره ، فالتكرار يؤدي إلى الاعتياد ، و عندما لا يؤدي هذا التكرار إلى الاعتياد ، يكون هناك خلل لدى هذا الإنسان ، كالتلميذ الذي لا يستوعب الدرس عندما يكرر أمامه أكثر من مرة ... و هناك حالة من حالات تشخيص بعض الأمراض النفسية و هي أن الشخص لا يستطيع التكيف مع الوسط المحيط به ... و بالمناسبة يا سام ، هذا الأمر ليس لدى الإنسان ، بل حتى لدى الحيوان .. أذكر إننا كنا ندرس مادة في علم النفس عن سلوك الحيوان ، و هناك تجربة كان يحدثنا أستاذنا عنها ، تلخص في وضع قرد في قفص لا يمكن فتحه إلا عن طريق مزلاج

خارجي ، و بالتالي لن يستطيع هذا القرد أن يخرج إلا إذا مد يده من خلف القضبان و حرك المزلاج
في المرة الأولى استغرق القرد حوالي نصف ساعة ، و في المرة الثانية ، استغرق حوالي خمس و عشرين دقيقة
و في الثالثة ، عشرين دقيقة و هكذا حتى وصل إلى مرحلة استطاع أن يفتح فيها القفص و يحرر نفسه ،
خلال خمس ثوانٍ .. و هناك تجربة مشابهة مع القطط " . و هنا نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال له "
بالمناسبة يا دكتور ... طالما أن الأمر وصل إلى القطط ، فإنني أريد رأيك حول هذه التجربة العلمية " . قال
سام ذلك و هو يضحك ، فسأله الدكتور بروكلمان " أية تجربة هذه ، و لماذا تضحك هكذا ؟؟ " . نهض
سام من مكانه و ذهب إلى المكتبة و أخرج منها فيلم الفيديو ، ثم وضعه في جهاز العرض و أدار المفتاح ،
فبدأت المشاهد و الصور تظهر على الشاشة ... أخذ الدكتور بروكلمان ينظر بدهشة و ذهول و هو يضع
نظاراته الطبية المدورة ، محاولاً تثبيتها أمام عينيه .. "مستحيل .. غير معقول ... ما هذا ؟ ... ما هذا يا سام
؟ ... بربك قل لي ما هذا " . كان الدكتور يصيح و هو يتابع المشاهد أمامه . بعد قليل نهض سام و ذهب
إلى البوفيه و سكب كأسين من الويسكي ثم سأل الدكتور بروكلمان و هو يبتسم " قل لي يا دكتور ، ما
هو رأي علم النفس بذلك ؟ " . صمت الدكتور بروكلمان ولم يتكلم . ظل هكذا صامتاً بذهول ، فقال له
سام " ها يا دكتور ، ما هو رأي علم النفس في ذلك ؟ " تتمم الدكتور بروكلمان بذهول و شرود " لا
أدري بالضبط ... إن كل ما أعرفه هو أن هذه كارثة بكل ما في الكلمة من معنى " . سأله سام " و لماذا
كارثة يا دكتور ؟ " . استجمع الدكتور بروكلمان وعيه مرة أخرى و قال " لأن المعلم رالف من أنصار
الرفق بالحيوان ، و له مؤتمرات عدة و ندوات في ذلك ، و آخرها كان منذ فترة حيث جاءت وفود و
جمعيات و منظمات من الخارج .. ليس ذلك فقط ، بل إنه يتهجم على صانعي ألبسة الفراء و صيادي
الحيوانات و قد رفع دعاوى عدة ضد شركات و هيئات .. حتى أنه رفع مرة دعوى على السيرك الوطني
لأنهم يستغلون الحيوانات " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال " هذا هو صندوق المعلم رالف يا

دكتور ... و الآن هيا بنا نذهب إليه " - " الآن يا سام ؟ " . أجاب سام بغضب " نعم الآن يا دكتور
لقد آن الأوان لإيقافه عند حده .. انتهت اللعبة يا دكتور ... هل ستبقى متردداً بعد كل هذا الذي رأيته
؟" . أخذ سام أوراق ترخيص الجمعية و انطلق هو و الدكتور بروكلمان .

وقفت الليموزين السوداء أمام مبنى مؤسسة المعلم رالف ، كان الوقت ليلاً ترجل سام و الدكتور
بروكلمان و مشيا إلى داخل المبنى ... كان المعلم رالف وحيداً في مكتبه ، يراجع بعض الأوراق ، عندما
دخل سام و الدكتور بروكلمان و ألقيا التحية عليه . رد المعلم بجفاء ظاهر ، معبراً عن عدم ارتياحه لوجود
الدكتور بروكلمان ، ثم قال لسام " أرى أنه يوجد لديك ما تقوله يا سام ، حتى تأتي في هذه الساعة أنت
و صديقك هذا ؟ " . تنحى سام قليلاً ثم قال " في الحقيقة ، نعم يا معلم .. يوجد هناك ما أود قوله " -
"حسناً ماذا هناك ؟ " . عدل سام من جلسته و قال " في الواقع يا معلم إنه بخصوص الجمعية التي كنت
أريد إنشاءها " - " ما بها الجمعية ؟ " . أجاب سام بثقة " أنت تعرف يا معلم أنني كنت أريد إنشاء
مؤسسة اجتماعية خاصة بي و لكنك اعترضت و امتنعت عن التوقيع ، من دون تقديم أسباب أو مبررات
، و توقفت أنا عن ذلك المشروع و فضلت أن أعود لأعمل معك هنا في المؤسسة تحت إشرافك ، و لكن
يبدو أن هناك سبباً قوياً جعلني أعيد النظر مرة أخرى في الأمر و أقرر إعادة تأسيس الجمعية " . نظر المعلم
رالف إلى سام باستهجان شديد و قال بلهجة غاضبة " و ما هو هذا السبب ؟ " . رد سام " أريد أن أعرف
أولاً يا معلم ، ما هي الأسباب التي دفعتك إلى الاعتراض على أن يكون لدي مؤسسة خيرية اجتماعية ، و
بخاصة و أنك الوحيد المتعرض من بين جميع أصحاب العلاقة ؟ " . نظر المعلم رالف إلى سام نظرة فوقية ثم
أشار إلى الدكتور بروكلمان ، و هو يقول لسام " هل أقنعك هذا المأفون مرة أخرى يا سام؟ " - " لا يا معلم
، الدكتور بروكلمان لا علاقة له البتة و لكنني أريد أن أعرف السبب علني أفتنع به " . صاح المعلم رالف

" هل هو تحقيق أم ماذا؟" . رد سام بهدوء " لا يا معلم ، إنه ليس تحقيقاً ، و لكن من حقي أن أعرف الأسباب إذا كان هناك فعلاً أسباب " . زجر المعلم رالف صائحاً "ليس من حقك أن تعرف شيئاً .. و لا تتجاوز حدودك " . فقال سام بانفعال "إذاً اسمح لي يا معلم أن أقول لك إنه يوجد لدي سبب قوي جداً يجعلني أعود للمطالبة بحقي في إنشاء مؤسسة لي " رد المعلم رالف بغضب ممزوج بالسخرية و الاستهزاء " لا يهمني إذا كان لديك سبب أم لا ، المهم أنني لن أوافق ، و لست مجبراً على إعطائك أية مبررات .. يبدو أنني أعطيتك أكثر مما تستحق و احترمتك أكثر من اللزوم و أخطأت في ظني بك " . صاح سام " أرجوك يا معلم ، لا داعي لهذا الكلام .. دعنا نكون بألفاظنا مهذبين " . فرد عليه المعلم رالف بغضب و احتقار " اسمع .. إنني مشغول ولا وقت لدي للكلام .. و الآن انصرفا و لا تعودا إلى هنا بعد الآن هيا " . و هنا انتفض سام و هب من مكانه و صاح هو الآخر بغضب " لا يا معلم إلى هنا و قف عند حدك ... لقد طفح الكيل " قال سام ذلك و أخرج من جيب سترته شريط الفيديو و أعطاه للمعلم رالف قائلاً بنبرة عدم احترام " خذ .. شاهد أولاً هذا الشريط و بعدها نتكلم " . قال سام ذلك ثم جلس على الكرسي و وضع رجلاً فوق رجل و أشعل سيجاراً ضخماً و نفث دخانه في الهواء بعنجهية و كبرياء . وضع المعلم رالف الشريط في جهاز العرض و هو ينظر إلى سام و الدكتور بروكلمان بريبة و شك ، ثم أدار المفتاح ، فبدأت المشاهد و الصور تظهر تباعاً . أخذ سام و الدكتور بروكلمان يراقبان المعلم رالف و هو يتفرج على المشاهد التي تظهر أمامه . جحظت عينا المعلم رالف و تصلبت عروقه في رقبته و وجهه ، أخذ يتنفس بشكل قوي و مسموع .. كان جامداً تماماً من دون حراك و عيناه مسمرتان على الشاشة لم يكن هناك صوت في الغرفة سوى أصوات الزعيق التي تصدر من شريط الفيديو . كان الجميع صامتين يراقبون المشاهد . انتهى الفيلم ، و ساد الصمت في الغرفة باستثناء شهيق و زفير المعلم رالف ... ظل الوضع هكذا لبرهة من الوقت ، حتى قطع سام الصمت قائلاً " و الآن أيها المعلم

رالف ... ما رأيك بما رأيت و شاهدت؟؟ " . ظل المعلم رالف صامتاً لا ينطق ، فأعاد سام السؤال مرة أخرى " ماذا قلت يا معلم ، إنك لم تجب " . نهض المعلم رالف من مقعده ببطء شديد ، كان وجهه أصفرًا كالحا ، التفت بهدوء و نظر إلى الدكتور بروكلمان ، ثم صرخ بصوت مدوي كالرعد " بروكلمان!!! " و انقض عليه كالوحش المفترس و أخذ يكيّل له اللكمات و هو يصرخ بهستيرية " أيها الخائن ... أيها الحقير ... أيها الكلب يا ابن السافلة " . أسرع سام محاولاً تخليص الدكتور بروكلمان و إبعاد المعلم رالف عنه ، و في الوقت نفسه دخل أحد الخدم الذي ساعد في التخليص أيضاً ، و أخيراً و بعد لأي ، تم إبعاد الدكتور بروكلمان الذي كان ينزف من فمه و أنفه و وجهه ، عن برائن المعلم رالف الذي أخذ يصيح محاولاً العودة للدكتور مرة أخرى " أيها النذل ... لقد خدعتني ... الآن عرفت .. الآن عرفت كل شيء يا ابن الزانية " كان المعلم رالف يلهث ، بينما أخرج الدكتور بروكلمان منديلاً و أخذ يمسح الدماء عن وجهه و أنفه و قال للمعلم رالف " أنا خائن ؟ .. أيها الجاحد الناكر للجميل ... أيها المغرور المتغطرس لقد خدمتك و احترمتك طوال هذه السنين ، فماذا تريد بعد كل هذا ؟ ... هل تريد أن تأكل كل شيء؟ ... هل تريد أن تبتلع كل شيء ؟ " . فصاح به المعلم رالف و هو يلهث " اخرس أيها التافه الخائن .. الآن عرفت كل شيء ... الآن عرفت الفخ الذي وقعت فيه .. أنت السبب ، أنت من جعلني أثق بسام " . و هنا قطع سام الجدال و النقاش قائلاً بجدية و حزم " لا داعي لكل هذه المهاترات (ثم نظر إلى المعلم رالف) .. و الآن يا معلم ماذا قلت ؟ " . أشار المعلم رالف بيده للخادم ، فانصرف . استدار المعلم رالف و جلس على كرسيه و نظر إلى سام نظرة النمر المفترس المحبوس في فقص و قال " لقد خدعتني يا سام ، و كذبت علي قل لي ، كيف عرفت بهذا الأمر " . أجاب سام باقتضاب و بوجه جامد " إنها مصادفة " . هدر المعلم رالف " لا إنها ليست مصادفة ... هناك من أخبرك ، فمن هو يا سام؟؟؟ " . أجابه سام و هو يحدق به " الذي يعرف أنك تقوم بهذا العمل " . زجر المعلم

رالف مرة أخرى و قال " لا أحد يعرف أنني أقوم بهذا العمل " . فرد سام بدوره " إذاً ... منطقياً ، لا أحد أخبرني " - " هل تهزأ بي يا سام ؟ " - " لا يا معلم ، و لكن فكر ملياً بالأمر طالما أنك تقول إنه لا أحد يعرف ، إذن لا يوجد هناك من أخبرني " . طأطأ المعلم رالف رأسه بغضب و غيظ و هو يزفر بقوة ، فأخرج سام أوراق ترخيص الجمعية و قدمها إلى المعلم رالف قائلاً " و الآن يا معلم ، هل ستوقع؟ " . صمت المعلم رالف قليلاً ، ثم صاح بغضب " و لكن مستحيل ، غير معقول ... كيف عرفت بذلك ؟ .. من أخبرك؟؟؟ " . و هنا جاء صوت الدكتور بروكلمان " الشيطان " . التفت المعلم رالف ببطء و هدوء إلى الدكتور بروكلمان و قال " ماذا ؟ .. ماذا قلت؟ " . كرر الدكتور بروكلمان بصوت ثابت مع نغمة مطولة " الشيطان " . نظر المعلم رالف إلى الدكتور بروكلمان بذهول بينما وقف سام صامتاً يحدق في عيني الدكتور بروكلمان و قد تفاجأ هو الآخر بدوره . صرخ المعلم رالف و هو ينظر إلى الدكتور بروكلمان بريية " ماذا هذا الهراء الذي تقوله ؟ ... هل تعني ما تقول ؟ " . أراد الدكتور بروكلمان الكلام ، و لكن سام قاطعه قائلاً للمعلم رالف " في الحقيقة يا معلم ، إنني أحب أن احتفظ لنفسي بهذا الموضوع ... و لا أريد أن أصرح عن كيفية حصولي على هذه المعلومات ، تستطيع أن تقول أنني حصلت عليها بالمصادفة ... و الآن هيا يا معلم ... وقّع " . وقف المعلم رالف مرة أخرى صامتاً ثم قال لسام " و الفيلم ، هل رآه أحد غير كما ؟ " . رد سام مبتسماً " اطمئن يا معلم ، لم يره أحد و لن يراه ، أعدك بذلك و يمكنك أن تنسى أمره إذا وقّع هنا " . صمت المعلم رالف برهة و هو يفكر ثم جلس على كرسيه متهاوياً و قال بلهجة حزينة كثيفة ، مكسورة الخاطر " لا أدري كيف حصل هذا الأمر كان هذا منذ فترة طويلة خرجت ذات مرة إلى الحديقة ، فرأيت هرة و معها صغارها الأربعة ... كنت أحب الحيوانات كثيراً ، و منها القطط .. أسرعت إلى الداخل و أحضرت صحن حليب و وضعته على الأرض فأسرعت القططة الكبيرة نحو الطعام و تبعها قط آخر كبير ، أما القطط الصغار فقد

بقيت حذرة ، و أخذت تقترب شيئاً فشيئاً من الطعام و هي تنظر إلي بخوف و حذر أخذت أشير إليها و أصفر و لكنها بقيت حذرة ، تقترب من الطعام ، ثم تبتعد إلى الوراء و هي تنظر إلي ، فغازني ذلك جداً و أكثر ما غازني ، هو قط صغير مبرقع ... أسود و أبيض ... وجهه أبيض و حول عينيه بقع سوداء ... اخذ يقترب من الطعام ، و ما إن يصل إليه ، حتى ينظر إلي و يهرب مبتعداً و كأنني عدو مفترس ، و كلما فعل ذلك ، تبعته القطة الأخرى ، و ظل ابن العاهرة هذا يفعل ذلك مرات عدة، و في كل مرة ، يلتفت يمناً و يسرة و هو ينظر إلي بوجهه المبرقع .. و يتظاهر بأنه خائف و محرج و مذعور ، ليعود و يقترب من جديد مكرراً فعلته و كأنه يسخر مني " . كان المعلم رالف يتكلم بإسهاب و توتر و هو يقوم بحركات إيمائية ، كان واضحاً أنه فقد السيطرة على نفسه بعض الشيء ، بينما اخذ كل من سام و الدكتور بروكلمان ينظران إلى بعضهما بعضاً بدهشة و صمت ... تابع المعلم رالف كلامه " ماذا يظن نفسه هذا السافل النذل ؟ ... إنه يريد أن يفهمني أنه شيء له قيمة ... إنه خائف ، و يجب علي أن أراعي خوفه ... و أن أقدر أنه حسّاس و خجول و له وضع خاص" و هنا لم أعد أحتمل أكثر ، فاقتربت من الطعام ، و مددت رجلاً إلى الأمام و أخرى إلى الخلف ، تماماً كما يفعل اللاعب حين يستعد لركلة جزاء ... و ما إن عاد هذا السخيف التافه النذل إلى الطعام ليتظاهر بالخوف مني ، حتى ركفته بكل ما أوتيت من قوة ، فطار في الهواء و الدم يتطاير منه ، وقد تهشم رأسه و تكسرت أضلاعه ، فاصطدم بالجدار بعنف و سقط على الأرض ، فذهبت إليه و لا أعرف إذا كان قد مات أم لا ، و بدأت أدوسه بقدمي ، حتى خرجت أحشاؤه من بطنه ، و من يومها ، كلما رأيت قطاً صغيراً ، تنتابني الرغبة في قتله " .

نظر سام و الدكتور بروكلمان إلى بعضهما مرة أخرى بصمت . بينما اتكأ المعلم رالف برأسه على يديه . نهض سام ببطء ، و قدم الأوراق إلى المعلم رالف قائلاً له بصوت خافت " تفضل يا معلم وقع هنا " . أمسك المعلم رالف الأوراق بيد مرتجفة ، ثم نظر إلى الدكتور بروكلمان نظرة لها معنى ، و كذلك إلى

سام ، ثم رفع يده و أخرج القلم من جيبه و هو متردد ، توقف قليلاً ثم وقع ، أخذ سام الأوراق من يد المعلم رالف بلطف و قال بصوت هادئ و باحترام " أشكرك يا معلم ... و تأكد تماماً أن ما حصل ، لن يغير في علاقتنا أبداً ... على الأقل من ناحيتي أنا و الآن أستأذنك بالانصراف ، و أهلاً بك في أي وقت ... إلى اللقاء " . خرج سام و الدكتور بروكلمان ، و عند الباب وقف الدكتور بروكلمان و التفت إلى المعلم رالف و قال له "لقد ظلمتني يا معلم و ليس الأمر بيدي كما ظننت " .

في الطريق سال سام الدكتور بروكلمان " ما رأيك يا دكتور أن أدعوك إلى العشاء ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان بتعب و قرف " أرجوا أن تعفيني من ذلك يا سام ، فأنا متعب ، و لا أحس بأي رغبة في الكلام أو الطعام .. أريد أن أذهب إلى المنزل لأرتاح " . سأله سام مرة أخرى " إذاً ما رأيك فيما حصل قبل قليل؟" . نظر الدكتور بروكلمان إلى أضواء السيارات أمامه و قال بشرود " في الحقيقة يا سام ، لا أستطيع الآن إعطاء تقييم واضح في ظل هذه الأحداث و المفاجآت ، و هذا الغموض .. و لكن أستطيع القول إن المعلم رالف أخطأ التصرف ... إنه لم يتصرف بشكل صحيح و لائق ، لا الآن ، و لا من قبل ... في السابق ، كنت أقول إن كل ما حصل ، كان بسببك ، و لكنني أعدت النظر الآن ، و اكتشفت أن كل ما حصل ، كان بسببه هو.... بسبب عناده و رفضه السماح لك بإنشاء مؤسسة خيرية ... نعم ، إن ما حصل معي و معه هو ، كان بسبب هذا الرفض ، ولو أنه قبل منذ البداية و وافق ، لما حصل ما حصل لقد كدت أقتل يا رجل .. و كاد هو أن يتعرض لكارثة تطيح به إلى الأبد .. في الوهلة الأولى يبدو أنك أنت السبب و لكن من الحكمة و التبصر أن يقال إنه هو السبب " . التفت سام و سأل الدكتور بروكلمان " و لكن لماذا قلت له عندما سألني عن سبب معرفتي بأمره ... أن الشيطان هو السبب " . رد الدكتور بروكلمان و هو ينظر إلى سام بتمعن "خاطر ، خطر لي فقلته " - " هكذا من دون سبب

؟؟ " تنهد الدكتور بروكلمان و هو شارذ بالسيارات التي أمامه و قال " لا أدري يا سام و لكن في غمرة كل هذه الأحداث التي حصلت وانتهت بهذا الضرب المبرح الذي تعرضت له .. خطر لي أن أقول هذا ... لقد قلت أنت من قبل هذا الكلام عن الشيطان ، و لكنني ظننتك تمزح أو تخفي شيئاً أما الآن ، فقد بدأ ينتابني شعور خفي بأنه يوجد شيء من هذا القبيل . لم أكن أتوقع أن يتصرف المعلم رالف بهذا الشكل ... على كل حال ، إنه يستحق ما حصل له ، و يجب أن ينال جزاءه " . صمت الدكتور بروكلمان قليلاً، ثم نظر إلى سام و قال متابعاً كلامه بقهر " كلنا يجب أن ننال جزاءنا " - " لا تقلق يا دكتور ، سأعوضك عن كل ما حصل لك " .

أوصل سام الدكتور بروكلمان إلى منزله ، و عاد إلى الفيلا ، و في غرفة المكتب ، جلس خلف الطاولة ، و وضع الأوراق أمامه ، ثم نظر إلى توقيع المعلم رالف و قال " و الآن أيها الشيطان ما هي الخطوة التالية؟؟ " .

في اليوم التالي استدعى سام المحامي جيم و طلب منه إكمال إجراءات الترخيص ، و لم يمض أسبوع ، حتى كانت الرخصة على الطاولة في مكتب سام . أمسك بها و راح يتأملها بفرح و سعادة غامرة ، ثم نظر إلى المحامي جيم و قال له " أشكرك يا جيم .. أما الآن فسنحدد موعداً للافتتاح ، و سندعو جميع المعنيين بهذا الأمر .. سيكون حفلاً ضخماً ... ما رأيك يا دكتور بروكلمان ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان بابتسامة عريضة واسعة " تهانينا يا سام و لكن هل ستدعو المعلم رالف ؟ " - " طبعاً يا دكتور " . فقال الدكتور بروكلمان من دون اكتراث " أظن انه لن يأتي " . رد عليه سام " على كل حال ، سنوجه له الدعوة و هو حر " ، أشعل الدكتور بروكلمان سيجارة و قال " كيف ستم إدارة هذه المؤسسة يا سام ؟ ... هل حسبت هذا الحساب من قبل ، و استعدادك للأمر ؟ " . أشار سام بإصبعه إلى الدكتور بروكلمان

و قال " ماذا تقترح أنت يا دكتور ؟ .. إنني اعتمد عليك " . أجاب الدكتور بروكلمان " لقد فكرت بهذا الأمر هناك اثنان من رجال الدين الذين كانوا يعملون في هذا المجال بالمجلس الاجتماعي ، سيعملون عندنا لديهم خبرة واسعة ، بالإضافة إلى خبرتي و خبرتك أيضاً ... و سنتعاقد مع عدد من الباحثين و المختصين ، و سأحاول في أثناء حفل الافتتاح أن نوقع عدد من الاتفاقيات مع بعض الجمعيات ، من داخل و خارج البلاد " . صاح سام بشعور من الرضا " عظيم جداً يا دكتور ... فكرة رائعة ، و ستكون أنت المستشار العام " . فقال الدكتور " أشكرك يا سام على هذه الثقة ، و لكن هناك أمر أساس لا بد منه للإقلاع بالمؤسسة و نجاحها و النهوض بها " - " ما هو يا دكتور ؟ " - " المال يجب ضخ المال في شرايين و عروق هذه المؤسسة يا سام يجب أن تدفع بشكل أكبر من غيرك ، لكي تستقطب من حولك " . فكر سام ، ثم هز برأسه موافقاً " لا بأس يا دكتور ... سنقوم بهذا العمل " .

كان حفل افتتاح الجمعية ضخماً ، دعا إليه سام كل معارفه من كبار التجار و رجال الدولة و أعضاء مجلس الشؤون الاجتماعية و رؤساء و أعضاء الجمعيات الاجتماعية الدينية ، و وجه الدعوة إلى المعلم رالف الذي لم يحضر ، كان هذا موضع تساؤل لدى بعض الحضور .. و لكن في الوقت نفسه ، فإن هذا الحضور الكبير ، كان بمنزلة اعتراف بمؤسسة سام الاجتماعية . ألقى عدة كلمات في الحفل الذي وضعه برنامج الدكتور بروكلمان ، منها كلمة سام ، و كلمة ممثل المجلس الديني الاجتماعي ، و كلمة مديرة المدرسة التي حضرت من الشمال هي و أستاذ الفلسفة ... أستاذ الفلسفة كان قد حضر هو الآخر كلمة لإلقائها ، و لكنه مُنع بأدب . انتهى الحفل في وقت متأخر من الليل . و كان سام مسروراً من الكيفية التي سار بها الحفل ، و لكنه في الوقت نفسه ، كان متعباً ، لذلك ، ما إن وصل إلى منزله ، حتى لبس ثياب النوم و ذهب إلى الفراش .

في اليوم التالي استيقظ سام متأخراً كعادته عندما يسهر طويلاً . تناول طعام الإفطار و لبس ثيابه ، ثم انطلق بسيارته إلى الغابة ، و عندما وصل إلى المكان المعتاد ، ظهر له الشيطان الذي كان هذه المرة مبتسماً بشوشاً .. "أهلاً بك يا سام ... اسمح لي في البداية أن أقدم تهاني الحارة بمناسبة إنشائك المؤسسة .. كان بودي الحضور ، و لكن أنت تعرف أنه من الصعب ذلك" . نظر إليه سام و قال مبتسماً " و لكن كان بإمكانك أن ترسل مندوباً شخصياً عنك أو إكليل ورد " . ضحك الشيطان و قال " أنت محق ... في المرة القادمة سأتدارك هذا الأمر (ثم قال مجدية) .. على كل حال يا سام ، هذه خطوة جيدة " . فرد سام " أفترض أنك راض عن سير العمل ؟ " - " نعم يا سام ، أنا راض ، و كما قلت لك ، فإن هذه خطوة جيدة ، و لكنها الخطوة الأولى .. و إياك أن تفضح المعلم رالف بعد أن قام بتنفيذ المطلوب منه .. ليس من شيمنا الإساءة دونما سبب " . تنهد سام قال " حسناً أيها الشيطان ، ما هي الخطوة الثانية ؟ " - " الخطوة التالية يا عزيزي ، هي أنك بعد أن تقوي وضع مؤسستك تلك و تزيد من أعمالها ، عليك أن تجعلها المؤسسة رقم واحد في البلد كله و حتى في البلدان المجاورة ، و اجعل لها فروعاً في الخارج إن استطعت و يمكنك مثلاً أن تفتح فرعين في الشمال ، واحد لمديرة المدرسة تلك ، و آخر لأستاذ الفلسفة . هذه هي الخطوة الثانية .. هل لديك ملاحظة أو اعتراض ؟ " . هز سام برأسه نافياً " لا .. لا يوجد " . سأله الشيطان مرة أخرى " هل هناك إحراج لك " . أجاب سام " أيضاً ، لا .. بل على العكس من ذلك ، لقد توقعت منك أن تطلب غير ذلك ، و لكن قد يحتاج هذا الأمر إلى وقت و جهد ، أنت تعرف ، لقد تعرضت إلى مقاومة شرسة من المعلم رالف ، فقط لمجرد ترخيص المؤسسة ، فكيف إذا أردت توسيعها في الداخل و الخارج ؟ .. هذه المرة سيكون الأعداء و الخصوم أكثر " . أشار الشيطان بيده متفهماً " أعرف ذلك يا سام ، و أظن أنك إلى الآن تستطيع أن تتدبر أمورك و على كل حال ، لا تقلق ، سأكون معك بالطبع و

سأقف إلى جانبك و أمد لك يد العون ... بالمناسبة ، كيف هي أمورك المالية ؟ " . رد سام بهدوء " بخير ،
إنني أحقق أرباحاً من تجارتي " - " كم أصبح لديك الآن ؟ " . فكر سام قليلاً و قد أغمض عيناً و فتح
الأخرى ، ثم قال " حوالي مئتي مليون " . أشار الشيطان إليه قائلاً " يجب أن تزيد هذا المبلغ إلى نصف
مليار .. حتى تستطيع أن تتماشى مع هذه التطورات " . سأل سام بمزيج من الفرحة و الدهشة " ، كيف
ذلك " . أجاب الشيطان ببرود و عدم اكتراث " سأعطيك بعض الاستشارات التي ستجعلك تصل إلى هذا
المبلغ (صمت قليلاً ثم قال) و لكن ما يهمني الآن هو تصرفاتك التي أخبرتك عنها سابقاً .. عليك أن
تلغيها" . تتمم سام " سأحاول التخفيف منها قدر الإمكان " . رد الشيطان بحزم " بل عليك إلغاؤها ..
فأنت الآن ، سوف تصبح محط الأنظار أكثر من السابق ، و إذا اكتشف الناس فيك هذه العيوب ،
فسيدهب عملنا هباءً منثوراً ... ألم تر كيف كان المعلم رالف حريصاً كل الحرص على هذه الأمور ، لو
لم أخبرك عن تصرفاته، لما كنت استطعت أن تفعل معه شيئاً ، أما الآن فقد أصبح تحت رحمتك و يخشاك ،
بسبب هذه الأمور " . أطرق سام برأسه إلى الأرض و قال " حسناً... حسناً، سأحاول " .

بدأ سام نشاطه الخيري و الاجتماعي في مؤسسته الجديدة التي كانت إلى حد كبير ، مشابهة لمؤسسة المعلم
رالف من حيث النظام و طريقة العمل .. فهناك مطعم للفقراء و المتسولين و مستوصف صغير ، و قاعة
للمحاضرات و مكتبة ثقافية متنوعة . كان سام سعيداً جداً بهذه المؤسسة ، لدرجة أنه كان يقضي معظم
وقته فيها ، و يشرف على الموظفين و الموجهين و يلقي المحاضرات ... كان يخصص مبالغ ضخمة للتبرعات
، و كان الدكتور بروكلمان بمنزلة النائب و المستشار الشخصي له و الذي يشرف على المؤسسة في أثناء
غياب سام . و لم تمض فترة قصيرة ، حتى قرر سام أن ينشئ فروعاً للمؤسسة في البلاد ، فاجتمع مع
الدكتور بروكلمان و طرح معه فكرة الموضوع "هذا ممكن يا سام ... ممكن أن نفتح فرعاً في الشمال

و آخر في الجنوب ، و واحد هنا في العاصمة ، و في الوقت نفسه ، تكون الإدارة فيها " . أطرق سام يفكر ، ثم قال "في الحقيقة يا دكتور ، أنا أفكر أن يكون في الشمال فرعين ، لا فرع واحد" . رد الدكتور بروكلمان " لا داعي لذلك يا سام .. يكفي فرع واحد يغطي مقاطعة الشمال بأسرها " - " لا ، لا يا دكتور ، أظن أنه يجب أن يكون هناك فرعان " . سأل الدكتور بروكلمان مستغرباً " و لكن لماذا في الشمال و ليس في الجنوب الذي هو أكبر عدداً من سكان الشمال " لم يعرف سام كيف يبرر الأمر للدكتور بروكلمان ، فقال باقتضاب " أظن أنه ربما يوجد إمكانية لفتح فرعين في الشمال " . سأل الدكتور بروكلمان مرة أخرى و قد بانت الدهشة على وجهه " و لكن لماذا يا سام ؟ ما هي وجهة نظرك بالضبط؟" . فكر سام لبعض الوقت و قال " باعتبار أنه يوجد لدي قائمتان هناك ... واحدة لأستاذ الفلسفة ، و الأخرى لمديرة المدرسة ... و هما قائمتان مختلفتان و مستقلتان عن بعضهما كما تعرف ... و الفكرة التي أطرحها ، هي أن أوسع مجال عمل كل منهما و أجعلهما فرعين مستقلين " هز الدكتور بروكلمان برأسه مستهجنًا الموضوع و قال " و لكن يا سام ، إن قائمة أستاذ الفلسفة و قائمة المديرة ، هما في الواقع يمثلان فكرين و مفهوميين مختلفين و متناقضين تماماً ، ليس هذا فقط ، بل هما في الواقع يمثلان حزبين متناحرين متصارعين في البلد ، و عندما ستجعل من كل منهما فرع مستقل بذاته ، فإن هذا يعني أنك ستزيد من حدة الخلاف و الصراع بينهما " . أخذ سام يحك رأسه و يفكر ، و بعد قليل قال " ماذا تقترح أنت يا دكتور ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان على الفور " أنا أقترح أن يكون هناك فرع واحد في الشمال و تتبع له المجموعتان في الوقت نفسه ، و هذا الأمر يزيد من تقاربهما بعض الشيء ، و بذلك تكون قد خلقت نوعاً من التناغم و الانسجام في المؤسسة " . كان سام يفكر في كلام الشيطان له ، التفت إلى الدكتور بروكلمان و سأله " أهذا ما تراه يا دكتور ؟ " - " طبعاً ، طبعاً يا سام ... في السابق عندما لم تكن تمتلك مؤسسة رسمية خاصة بك ، كان من الصعب دمج تلك المجموعتين ، و كنت تتعرض للانتقادات و

للمسائلة أما الآن ، فطالما لديك مؤسسة رسمية خاصة بك ، فكل شيء قانوني و نظامي " . فكر
سام مرة أخرى ، ثم هز برأسه و أشار بيده قائلاً " و مع ذلك أفضل أن يكون هناك فرعان مستقلان ... و
على كل حال ، سأذهب بنفسي إلى الشمال لأستطلع الموضوع ، و أقف على حقيقة الأمر " . هز الدكتور
بروكلمان كتفيه و قال " أنت حر يا سام و القرار يعود إليك ... و لكن أرجو أن تفكر ملياً فيما قلته لك
، لأنه برأبي هو الحل الأمثل " .

في البلدة ، جلس سام و أستاذ الفلسفة في الغرفة يتحدثان ... " كم هي الزيادة عندك يا أستاذ ؟ " - "
حوالي خمسة و عشرين شخصاً " - " عظيم ، هل هناك من هو بحاجة للمساعدة غير هؤلاء ؟ " - " طبعاً يا
سام هناك من بحاجة للمساعدة " - " حسناً يا أستاذ إنني أفكر أن أوسع قائمتك أنت و قائمة مديرة
المدرسة ، و أطورهما ، و أجعل من كل منهما فرعاً مستقلاً تابعاً للمؤسسة في العاصمة .. أي أن يصبح
هناك فرعين في الشمال " . صاح أستاذ الفلسفة ببهجة " عظيم ، عظيم يا سام ... و لكن هل سيكون
الفرع مستقلاً بذاته عن الفرع الآخر ؟ " - " طبعاً يا أستاذ ، و لكن سيكون تابعاً للإدارة في العاصمة " - "
إنها فكرة رائعة أنا أؤيدك في ذلك ... إن هذا الأمر سيحل مشاكل كثيرة " . سأله سام " إذاً هل أنت
موافق على أن يكون هناك فرعين مستقلين في الشمال ، واحد خاص بك ، و الآخر بمديرة المدرسة ؟ " - "
أجاب أستاذ الفلسفة بحماسة و ثقة " نعم يا سام ، إنني موافق تماماً " . سأله سام مرة أخرى مؤكداً "
هل هناك أي إشكال أو ملاحظة في ذلك يا أستاذ ؟ " أجاب الأستاذ بسعادة و فرح غامرة " لا ، لا يا سام
، لا مشكلة في ذلك " .

في الصالون الأنيق ، رشف سام من كأس الشاي ، و وضعه أمامه على الطاولة الخشبية المزخرفة و المنحوتة بإتقان و قال للمديرة " طالما انك تقولين إنه يوجد أشخاص بحاجة للمساعدة غير الذين في القائمة لديك ، و كذلك قال أستاذ الفلسفة ، فأنا أفكر أن أطور القائمتين خاصتكما و أوسعهما و أجعل منهما فرعين مستقلين ، ما رأيك بذلك يا سيدتي ؟ " . صاحت المديرة بفرح عارم " أوه ... رائع .. رائع مسيو سام ، إنها فكرة عظيمة ، أوه إنها ... " لكنها فجأة توقفت عن الكلام ، و تغيرت سحتها ، ثم نظرت إلى سام قائلة "ولكن لماذا تريد أن تفتح فرعين يا سام ؟ .. لماذا لا تفتح فرعاً واحداً فقط ، يكون تحت إدارتنا ؟ إنني لا أظن أن قائمة أستاذ الفلسفة يمكن أن تصبح فرعاً ، إنها صغيرة جداً ... ثم إنك تعرف أن هذا الأمر قد يثير التساؤل " هز سام برأسه و تتمم قائلاً " لا بأس يا سيدتي ، سأفكر بالموضوع على كل حال " .

في العاصمة .عقد سام اجتماعاً لمجلس إدارة المؤسسة المؤلف من سام و هو الرئيس ، و الدكتور بروكلمان نائباً و مستشاراً و اثنين من رجال الدين ، و باحث في التربة الاجتماعية . طرح سام فكرة إنشاء فرعين في الشمال ... واحد لأستاذ الفلسفة و آخر للمديرة ، وطلب من الأعضاء إبداء الرأي كرر الدكتور بروكلمان رأيه السابق ، ثم قام رجل الدين الأول و قال " أنا أقترح أن يكون هناك فرع واحد في الشمال برئاسة مديرة المدرسة ، و يشمل في الوقت نفسه قائمة أستاذ الفلسفة ، و أظن أنها أقدر منه على الإدارة " . قام بعد ذلك رجل الدين الآخر و أيد وجهة نظر زميله ، ثم قام العضو الخامس وأدلى برأي مشابه . نظر سام إليهم جميعاً ثم قال "على كل حال ، سأفكر بالموضوع .. و إن كنت أميل بقوة إلى فتح فرعين في الشمال " .

في اليوم التالي ، كان سام جالساً في مكتبه يراجع بعض الأوراق ، عندما دخلت عليه السكرتيرة و قالت له أن مديرة المدرسة و معها ثلاثة رجال ، يريدون الدخول . فوجئ سام بالأمر قليلاً ، ثم قال لها " حسناً أدخلهم " . خرجت السكرتيرة ، و بعد قليل طُرق الباب و دخلت المديرة و الرجال الثلاثة .. كان واضحاً من تجاعيد وجوههم و شيب شعرهم ، الكبر في السن . رحب بهم سام و دعاهم للجلوس ابتدأت المديرة بالكلام قائلة "أعرفك يا سام على السيد مدير مؤسسة إلفا و السيد عضو مجلس الإدارة ، و السيد عضو مجلس الإدارة " . كانت مفاجأة لسام الذي تدارك نفسه و رحب بهم مرة أخرى ثم أخذ يتمعن بمدير مؤسسة إلفا ، كانت هذه أول مرة يراه فيها ، لقد سمع عنه الكثير ، عن قوته و عن نفوذه و مكانته عدل من ياقته ثم تحفز باهتمام و هو ينظر إليهم . عادت المديرة مرة أخرى للكلام "في الحقيقة يا سيد سام ، نحن نعتذر على مجيئنا فجأة و من دون موعد .. و لكن أعرف أنه في هذا الوقت ، لا يكون لديك أعمال كثيرة أو زوار ، فأحببنا أن تكون زيارة مجاملة و تعارف ... و السيد مدير مؤسسة إلفا و بعدما حدثته طوال الفترات الماضية عن أعمالك الخيرية في الشمال و المساعدات التي تقدمها ، و عن شخصيتك و أخلاقك ، أحب أن يتعرف عليك بنفسه و يزورك شخصياً " . كانت المديرة تمهد الكلام للمدير ، بينما كان سام يتفحصه بنظراته ، كان يبدو عليه أنه طاعن في السن قليلاً بدين مع وجه أبيض ، حليق و ممتلئ ، أصلع الرأس مع شعيرات بيضاء ممتدة من خلف أذنيه ، و نظارة طبية من الذهب أمام جفون سميكة مطبقة إلى النصف ، تخفي خلفها عيوناً تراقب سام بغموض ودقة شديدة ، متفحصه كل حركاته ، مع ابتسامة خفيفة جداً ، لا تكاد تبدو واضحة تماماً " . كانت زيارة مفاجئة تماماً لسام و لم يكن يتوقعها أبداً و لم يكن يخطر في باله أنها يمكن أن تحصل .. أحس في داخله أنه يوجد سبب لهذه الزيارة المفاجئة . عندما أنهت المديرة حديثها ، أعطت الكلام للمدير الذي تكلم بهدوء و تأنٍ "في البداية ، نعتذر منك يا مستر سام على هذه الزيارة المفاجئة .. و أريد أيضاً أن أبدي اعتذاري و باسم مؤسسة إلفا ،

عن التصرفات التي قام بها السيد هنري و الدور الذي لعبه ضدك في قضية صديقك جاك ... على كل حال إنه يستحق ذلك الجزاء ، و أحب أن أقول لك إنه لا يد و لا علم لمؤسسة إلفا بالتصرف الذي قام به .. لقد كان تصرفاً فردياً منه كما أود أن أعرب عن أسفي الشديد للمقال الصحفي الذي صدر بجحك من قبل مؤسسة إلفا ... و أرجو أن تعتبره ردة فعل غير مبررة لما حصل للسيد هنري (صمت الرجل قليلاً و هو يتلع ريقه، ثم تابع) ... في الحقيقة يا مستر سام ، إن زيارتي لك الآن ، لها أسباب عدة ، أهمها أنك كنت الطالب المتفوق الأول و المثالي في مؤسسة إلفا ، طوال فترة دراستك التي قضيتها عندنا ، و هذا شيء نفخر و نعتز به لقد حصلت بعض الإشكالات في أثناء دراستك عندنا و ما بعدها ، و لكن اتضح لنا فيما بعد ، أننا كونا فكر خاطئة عنك ، و بخاصة بعدما شققت طريقك بكد و نجاح و تعب ، و أصبحت رجل أعمال ناجح جداً و موجه تربوي كبير ، تساعد الناس و ترشدهم و تدلهم على طريق الخير و الصلاح و الهداية ، و في الوقت نفسه حافظت على مبادئك و أخلاقك و قيمك النبيلة و عصاميتك في الحياة ، و هذا أيضاً ما نعتز و نفخر به لقد حدثتني السيدة مديرة المدرسة مراراً و مطولاً عن أعمالك و نشاطاتك ، و أعطتني صورة ناصعة و فكرة واضحة عنك يا مستر سام ، و نحن الآن نفخر بك أمام المجتمع ، تماماً كما كنا نفخر بك عندما كنت طالباً عندنا ، و نقول بفخر و اعتزاز أمام الناس ... إن رجل الأعمال و البر و الخير و المجتمع ، سام هذا .. هو خريج مؤسسة إلفا ... و كما كرمتك إلفا عندما كنت طالباً ، فهي ستكرمك الآن يا مستر سام ، اعترافاً منها بأخلاقك و مثاليته .. و طياً لصفحة الإشكالات و القطيعة التي حصلت في الماضي ، و فتح صفحة صداقة و تعاون جديدة ، فإن مؤسسة إلفا تفتح لك ذراعها يا مستر سام ، فماذا قلت ؟ " . صمت سام قليلاً يفكر ، كان مبتهجاً و مسروراً جداً . رفع رأسه و نظر إلى ضيوفه ، كانوا كلهم ينظرون إليه محققين بانتظار رده ، فقال " في الحقيقة يا سيدي ، هذا شرف لي و مبادرة طيبة أقبلها بكل سرور و امتنان " . و هنا نهض المدير و تقدم نحو سام الذي نهض

هو الآخر بدوره . و تصافح الاثنان مرة ثانية ، و بجرارة . ثم تقدم أحد الرجلين و أعطى المدير مغلفاً متوسط الحجم ، أخذ المدير المغلف ، ثم قال لسام " في الحقيقة يا مستر سام ، إن مؤسسة إلفا ستقيم حفلاً تكريمياً لك ، و ستدعو إليه كبار رجال المجتمع من كافة الفئات ، سيكون هذا الحفل مناسبة لتكون عضواً فخرياً في مؤسسة إلفا " رد سام بأدب شديد و هو يخفي فرحة عارمة "أشكرك جداً يا سيدي ، و أرجو أن تكون هذه المناسبة حافزاً مشجعاً لي على مواصلة الجهد و العمل و مساعدة الناس .. و السيدة المديرة تعرف ذلك جيداً " . أجابت المديرة بسرور " نعم ، نعم يا سام لقد أخبرت السيد المدير بذلك " . و هنا نظر مدير إلفا إلى سام و قال له " بالمناسبة يا مستر سام ، سمعنا أنك ستفتح فروعاً جديدة لمؤسستك الاجتماعية ؟ " - " نعم يا سيدي سوف أفعل ذلك ، أريد أن أوسع مجال عملي في هذا المضمار " . فكر المدير قليلاً ثم قال " سمعت أنك تريد فتح فرعين في الشمال ؟ " . و هنا أدرك سام على الفور ما يجول بخاطر المدير ، فقال و هو يزن كلماته بعناية " نعم يا سيدي ... في الواقع ، لدي هناك قائمتان ، واحدة للسيدة المديرة ، و أخرى لشخص آخر ... و هما قائمتان مستقلتان ، و أفكر أن أجعل من كل منهما فرعاً مستقلاً بذاته " . أجابه المدير بهدوء " نصيحتي لك كخبير يا مستر سام ، هي أن تتمهل قليلاً في هذا الأمر ، و تدرسه من جوانبه كافة ، و تفهم كل خباياه (صمت قليلاً ثم حدق به قائلاً) و على حد علمي ، أنك ملم بخفايا و خبايا أمور كثيرة كما علمت " . تكلف سام السداجة و قال " لم أفهم بالضبط يا سيدي ... هل هناك أمر ما ، تود قوله " . ابتسم المدير العجوز و كأنه أدرك ما يجول برأس سام و قال " على كل حال لا بأس يا مستر سام ... عندما نلتقي في الحفل ، نتحدث بشكل موسع ... و الآن تفضل يا سيدي ، هذه دعوة رسمية خاصة بك " . عندما انصرف الضيوف ، ضغط سام على زر الأنترفون و قال مخاطباً السكرتيرة " أريد الدكتور بروكلمان حالاً " . لم يمض وقت قصير حتى حضر الدكتور بروكلمان ، فأخبره سام بكل ما حدث بينه و بين زواره من مؤسسة إلفا . كان الدكتور بروكلمان ينصت باهتمام بالغ

، و عندما أنهى سام كلامه ، قال له " أظن أن هذه فرصة ذهبية و نادرة ، و ستفتح أمامك أبواباً كثيرة و برأبي ألا تفوق هذه الفرصة ، إن مؤسسة إلفا ممكن أن تخدمك في أمور كثيرة جداً يا سام ، و هم لم يأتوا إلى هنا إلا بعد أن أحسوا بأهميتك و قوتك يا سام " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال " و لكن الكلام الذي قاله المدير عن إنشاء فرعين في الشمال ؟ " . رد الدكتور بروكلمان " أظن أنه جاء إليك لهذا الغرض ، بعد أن أخبرته المديرة بذلك ... من المؤكد أنهم لا يرغبون بأن يكون هناك فرع خاص لحزب الشعلة " . تساءل سام " و لكن لماذا؟؟ " - " هذا شيء طبيعي يا سام ، و هو الكلام نفسه الذي قلته لك من قبل و الذي قاله أعضاء مجلس الإدارة ، و على كل حال دعنا لا نستبق الأمور ، و نرى ماذا سيقوله لك في الحفل .. و لكن أكرر نصيحتي لك بإنشاء فرع واحد في الشمال " . تمتم سام ، مفكراً " ربما يكون هذا هو الحل الأمثل ... سأتصل اليوم بأستاذ الفلسفة و أضعه في صورة الموقف " فقال الدكتور بروكلمان " لا داعي لأن تشرح له كل شيء ، فقط أبلغه النتيجة " . في ذلك المساء اتصل سام بأستاذ الفلسفة و أخبره بعزمه على إنشاء فرع واحد فقط في الشمال .

في اليوم التالي ، كان سام في المكتب يراجع بعض شؤونه ، عندما دخلت عليه السكرتيرة و أخبرته أن أستاذ الفلسفة و معه سبعة أشخاص ، يريدون مقابلته صاح سام بدهشة " ماذا تقولين؟! ... سبعة أشخاص زائد أستاذ الفلسفة؟! !!! " - " نعم يا سيدي " - " حسناً ، فليدخلوا ، و لكن بعد دقيقة من الآن " . وضع سام الأوراق التي كانت معه في المصنف ، و أخذ يفكر ، و بعد قليل طُرق الباب ، و دخل أستاذ الفلسفة و معه سبعة أشخاص . رحب بهم سام و دعاهم للجلوس ، ابتداءً أستاذ الفلسفة الكلام قائلاً " أعرفك يا سام على السيد رئيس حزب الشعلة ، و السيد مدير قسم العلاقات الثقافية ، و السيد مسؤول قسم الشمال ، و السادة أعضاء من الحزب . أدرك سام على الفور السبب الذي جاء الجمع من أجله ، فرحب بهم مرة

ثانية و جلس في مكانه ساكتاً ينصت . عاد أستاذ الفلسفة للكلام مرة أخرى " في الحقيق يا سام ، لقد أحب السيد رئيس الحزب و السادة الأعضاء ، أن يتعرفوا عليك ، بعدما حدثتهم عنك طويلاً ، و بخاصة بعدما أخبرتهم عن نيتك في إنشاء فرعين في الشمال ... و على كل حال ، أترك الكلام للسيد رئيس الحزب " . بدأ رئيس الحزب الكلام مع سام ، كان رجلاً في الخمسينات من عمره ، ذا شعر كثيف ، و لكن أبيض ، و وجه مائل قليلاً إلى السمرة مع بعض التجاعيد الصغيرة ، و عيون مفتوحة متوقدة ، كان قصيراً بعض الشيء ، و يتكلم بتمهل ، و لكن بصوت قوي ، و يحرك يديه بجوية و هو يعبر عن كلامه ، و كأنه يلقي خطاباً " في الواقع يا رفيق سام ، لقد سمعنا الكثير عنك ... لقد حدثنا أستاذ الفلسفة عن أخلاقك و صفاتك الحسنة الطيبة ، و عن أعمال الخير التي تقوم بها من أجل هؤلاء الكادحين ، و هو ما لم يفعله أحد غيرك ... و هو أيضاً ما سبب لك النعمة من الاستغاليين و أعداء العمال و الفلاحين ... إن أعمالك هذه يا سام ، هي مدعاة للفخر بالنسبة لنا ، و نحن نفتخر بك دائماً ، و نعتبرك و كأنك واحد منا ، و الكثير من أعضاء حزبنا ، و بخاصة في مقاطعة الشمال ، يشنون عليك و يمدحون بك ، و منذ فترة سمعنا خيراً أفرحنا كثيراً ، و أثلج صدورنا ، و صدور الرفاق الفقراء الكادحين الذين يرونك رفيقهم في السراء و الضراء ... لقد سمعنا أنك قررت أن تجعل من قائمتهم فرعاً مستقلاً ، تابعاً لإدارتك في العاصمة ، و هذا الأمر يجعلنا ننحني له ، نحن و جميع الرفاق باحترام و إجلال ، لأنه يعني أنك ستولي لهؤلاء الفقراء ، المزيد من رعايتك و عنايتك و اهتمامك ، و تهتم بحقوقهم و حوائجهم أكثر ... و لكننا تفاجئنا في الأمس أنك غيرت قرارك ، و عرفنا أن هذا الأمر قد تم نتيجة لضغوط من البرجوازيين الانتهازيين و الأرستقراطيين الذين وصل جشعهم و طمعهم إلى حد جعلهم يمنعون عن رفاقنا المحتاجين أي مساعدة و عون ... علماً أنهم و كما نعلم ، لديهم قائمة أكبر من قائمة رفاقنا عندك في الجمعية ، فلماذا يريدون أن يمنعوا هذا الحق عنهم و يأخذوه هم وحدهم ، بينما رفاقنا هم الأكثر حاجة منهم .. (صمت الرجل قليلاً ليلتقط أنفاسه و

يمسح عرقه ، ثم تابع) ... نحن نعتبرك يا سيد سام صديق الحزب ، لا بل و أكثر من ذلك ، نحن نعتبرك عضواً في الحزب .. و لهذا فقد جئت إلى هنا أنا و الرفاق ، نيابة عن كل أعضاء الحزب و عن الناس الذين تساعدكم ، لنطلب منك ألا تستمع لأعداء الحزب ... و تستمر ماضياً في إنشائك فرعاً خاصاً لرفاقنا المحتاجين ، و بذلك تكون قد وفيت بوعدك لهم و حميتهم من أي تدخل ، و هذا ما نأمله منك يا سيد سام ، و نتمنى ألا تخيب رجاءنا " . كان سام يستمع إلى كلام رئيس الحزب و قد تأثر فيه كثيراً ، و ما إن انتهى الرجل من كلامه ، حتى قال له " اطمئن يا سيدي ، سأعيد النظر بقراري الأخير ، و أجعل من قائمتكم فرعاً خاصاً مستقلاً " . انفرجت أسارير الرجل و قال " هذا الأمر يهمنا كثيراً يا سيد سام .. و بالمناسبة ، يسرنا أن ندعوك لحضور الحفل التكريمي الذي سنقيمه لك في مقر الحزب " . و هنا شعر سام بالخرج الشديد ، ففكر قليلاً ثم قال " أشكرك كثيراً يا سيدي ... ربما لن أستطيع الحضور ، و لكنني سأحاول ، ثق بذلك " . بعد ذهاب الوفد ، ضغط سام من دون تردد على زر الأنترفون طالباً من السكرتيرة استدعاء الدكتور بروكلمان . ثم جلس يفكر بالمعضلة التي هو فيها ، و بعد قليل دخل الدكتور بروكلمان ... " ها يا سام ، هل أنت مستعد لحفل مؤسسة إلفا ، إنه بعد يومين " . أجاب سام بأسى " نعم ، إنني مستعد ، و لكن أظن أن هناك مشكلة يجب حلها أولاً " . روى سام للدكتور بروكلمان ما دار بينه و بين وفد حزب الشعلة . فكر الدكتور بروكلمان قليلاً ، ثم قال " أنا أرى يا سام أن تضع بيضك في سلة مؤسسة إلفا ، إنها هي الأفضل و الأضمن بالنسبة لك ، فضلاً على أنها تمثل الآن الجهة الأقوى في البلاد ، على عكس حزب الشعلة الذي هو الآن في أضعف حالاته ، و في ذروة التفكك و التضعف و الإنفلاش ... لقد سمعت منذ فترة أنه جرى نقاش فيه للتصويت على حله أو تغيير برنامج عمله ، من قبل بعض أعضائه ... و لهذا و عطفاً على كل ذلك ، فإنه لن يخدمك في شيء " . هز سام برأسه و هو يفكر ، ثم قال " لكن من غير الممكن أن أتركهم هكذا يا دكتور ، و مهما يكن ، فهم يستحقون مني شيئاً على

الأقل " . أجاب الدكتور بروكلمان " على كل حال يا سام ، دعنا لا نناقش هذا الأمر ، إلا بعد الحفل الذي ستقيمه مؤسسة إلفا على شرفك ، و بعدها نقرر " .

كان الحفل الذي أقامته مؤسسة إلفا ، كبيراً جداً ، دعي إليه عدد لا بأس به من رجال البلد و من مختلف الفعاليات من خريجي مؤسسة إلفا . في بداية الحفل ، ألقى مدير مؤسسة إلفا ، كلمة ترحيبية بالضيوف ، ثم تحدث عن سام و عن دراسته في مؤسسة إلفا و عن تفوقه و نجاحه و عن أخلاقه ، ثم تحدث بعد ذلك عن مؤسسة إلفا و نشاطاتها . بعد ذلك ألقى مديرة المدرسة كلمة مشابهة لكلمة المدير ، و بعدها ألقى سام كلمة شكر فيها مؤسسة إلفا و أعضاءها على هذا الحفل . استمر الحفل حوالي ساعتين ، و بعد انتهائه ، اجتمع سام و الدكتور بروكلمان ، مع مدير مؤسسة إلفا و أعضاء مجلس إدارتها ، بحضور المديرة ، و أخذوا يتناقشون و يتحدثون بالشؤون العامة .. و بعد قليل سأل المدير ، سام عن موضوع إنشاء فرع لأستاذ الفلسفة في الشمال ، فأجابه سام قائلاً " في الحقيقة يا سيدي إنهم يضغطون علي و يطالبونني بأن يكون لهم فرع خاص بهم .. و أنا شخصياً ، لا أظن أن ذلك يشكل خطراً عليكم أو ضرراً بكم ، لأنهم سيكونون تابعين لإدارتي و تحت إشرافي " . ابتسم المدير بهدوء و وقار و قال " نحن نقدر شهادتك يا مستر سام ، و حبك للخير ، و لكن هناك أمور و جوانب أخرى قد لا تدركها أنت .. إن هؤلاء يا مستر سام ، لا يطلبون منك إنشاء فرع خاص بهم لأجل عمل الخير ، أو لأنهم خائفون على أنفسهم منا ، و لكن لاستغلال هذا الأمر و تقوية أنفسهم ، فهم الآن ضعاف جداً ، و يبحثون عن أي شيء يدعمهم و يقوي موقفهم ، و هم يرون في الفرع الذي تنوي إقامته لهم ، ملاذاً و دعامة سياسية ، و ليس دعامة اجتماعية أو خيرية ، إنهم كاذبون و مفترون ... يقولون لك إننا سنمنع عنهم المساعدات ، و أنت تعرف أننا لم نطلب منك ذلك ، بل على العكس ، نحن من نطلب أن يكون هناك فرع واحد يضم القائمتين " . فكر سام قليلاً

ثم قال بأدب " و لكن تحاشياً للصدام ، ألا ترى معي يا سيدي أنه يجب أن يكون هناك فرعان منفصلان ؟" . ابتسم الرجل مرة أخرى و قال "لا يا مستر سام ، لا أظن أنه يمكن أن يكون هناك صدام ، على الأقل من ناحيتنا نحن ، أنت تعرف أننا لا نسعى إلى أي صدام . و على كل حال ، فمن الممكن أن يكون هناك اتفاق على نقاط معينة تمنع حدوث الصدام " كان سام محرراً بعض الشيء ، و لا يريد أن يذهب بعيداً في الصدام مع أي طرف ، لهذا فكر بالموضوع سريعاً و قال " أنا أضمن لكم يا سيدي ، أنه في حال تم إنشاء فرع خاص لهم ، أنهم سيكونون تحت رقابتي و إشرافي ، و أنه لن يحدث أي شيء مما تتصورون " . هز مدير إلفا برأسه الأبيض مبتسماً و قال " إنك لن تستطيع ذلك يا مستر سام ، فهم أذكى مما تتصور ، ثم هل ستقف فوق رؤوسهم ؟ " . استمر الكلام و النقاش بين سام و مدير مؤسسة إلفا . كان سام قد عاد و اقتنع بفكرة مدير إلفا ، و لكنه كان يحاول أن يخلص نفسه من تأنيب الضمير الذي وقع به . لاحظ الرجل ذلك عليه فقال له " نحن مستعدون يا مستر سام ، أن نقف معك و ندعمك بكل شيء ... لدينا كوادر متخصصة في التربية و علم الاجتماع و الإعلام .. و حتى في مجال التبرعات ممكن أن نساعدك ، و في مجال التجارة أيضاً ، المهم ألا يكون لهم فرع ، لأنك بذلك يا مستر سام ، سوف تفتح لهم باباً من الصعب إغلاقه " . هز سام رأسه بضيق شديد و قال " إنني مقتنع تماماً بكلامك يا سيدي المدير ، و هو كلام منطقي و سليم ، و لكن يجب أن نصل إلى حل يرضي الطرفين معاً " . صمت الرجل قليلاً يفكر ، و قد أدرك الحرج الذي يحيط بسام ، ثم التفت إليه و قال "أنت محق يا مستر سام ، وأنا معك في هذا الرأي ، و نحن حريصون عليهم أكثر مما هم حريصون علينا ، و لذلك ، فأنا لدي اقتراح سيرضيهم و لا شك " . سأل سام على الفور " ما هو يا سيدي ؟ " . أجابه الرجل " نقيم فرعاً واحداً في الشمال ، و تكون السيدة مديرة المدرسة ، رئيسة هذا الفرع ، و هذا الذي يسمي نفسه أستاذ فلسفة نائباً لها ... أليس هذا حلاً مناسباً؟" . و هنا تدخل الدكتور بروكلمان الذي كان صامتاً طوال الوقت فقال لسام " أظن أن هذا حل

رائع يا سام ، و لا يمكن لأستاذ الفلسفة رفضه " . و هنا تشجع سام و قال للمدير " إنني موافق تماماً يا سيدي ، على هذا الاقتراح ، و أشعر بالارتياح ، إنه فعلاً حل مناسب " . رد مدير إلفا قائلاً بابتسامة واضحة " أظن ألا أحداً بعد الآن يستطيع اتهامنا بأننا نعمل ضده ، أو لا نريد له الخير " .

في الطريق إلى الفيلا ، أخذ سام و الدكتور بروكلمان ، يقيمان الوضع ، فسأل سام "ما رأيك يا دكتور فيما حصل اليوم؟" . رد الدكتور بروكلمان بانسراح " أظن أن الأمور قد أصبحت واضحة تماماً ، و الخيار كذلك أصبح واضحاً و لا مجال للتردد .. تستطيع الآن أن تحسم أمرك ، و أنت مرتاح البال و برأيي أنها فكرة ذكية من مدير إلفا ، لا أدري كيف خطرت له ، و كيف قبلوا بها .. أن تكون مديرة المدرسة ، رئيسة الفرع و أستاذ الفلسفة نائباً لها ، هو حل يرضي جميع الأطراف " . أجاب سام و هو يمسك بالمقود و يفكر " أنت محق يا دكتور ، إنه حل مناسب ، و لكن هل سيرضى أستاذ الفلسفة بذلك؟" أجاب الدكتور بروكلمان بشيء من الانفعال " يرضى أو لا يرضى ، هذا أمر يجب ألا تشغل بالك به يا سام ، أنت صاحب المال و التبرعات ، و أنت مدير المؤسسة ، فمن هو حتى يرضى أو لا يرضى يجب أن تفرض شخصيتك بشكل حازم يا سام ، و برأيي أن أستاذ الفلسفة ليس أصعب من جاك أو توم أو المعلم رالف أو أنا " قال الدكتور بروكلمان و هو بنظر إلى سام ، نظرة لها معنى . في المكتب ، أمسك سام السماعه و اتصل مع أستاذ الفلسفة ... " إنني مضطر يا أستاذ أن أعود إلى فكرة الفرع الواحد ، بدلاً من الفرعين " . فصاح الأستاذ " و لكن لماذا يا سام ؟؟؟ " - " لقد حصلت ظروف طارئة تستوجب ذلك " - " و لكن يا سام " - " لا تقلق يا أستاذ ستكون أنت نائباً للمديرة في الفرع ، و بذلك لا يضيع حقكم " . فقال الأستاذ بأسى "أهذا هو الحل يا سام ؟ أهذه هي النتيجة التي توصلت إليها بعد كل هذه المناقشات و الكلام الذي سمعته من رئيس الحزب " . فرد سام مهدتاً " و

لكن هذا حل مناسب يا أستاذ... أليس من العدل أن تكونوا مشتركين معاً في فرع واحد؟ " - " لا يا سام ، إنه ليس عدلاً ، إنه الظلم بعينه... هل وثقت بهؤلاء يا سام؟ ... هل خدعوك بكلامهم المعسول؟ لقد دمرونا و حاربونا طويلاً ، فهل تظن أنهم سيتركوننا مجالنا " . رد سام مرة أخرى محاولاً التهذئة " لا تخش شيئاً يا أستاذ ، فأنتم ستكفونون تحت إشرافي و إدارتي ، و لن أسمح بحصول أي ظلم أو ضرر لكم ، و لا أظن أن هذا سيحصل " . صاح أستاذ الفلسفة " و لكن هناك أمور لا تدركها أنت يا سام ، إنهم يريدون ذلك لإضعافنا ، و التحكم بنا و شلنا نهائياً ، إنهم كاذبون و مفترون... إنهم يخدعونك يا سام " . و هنا انفع سام و صاح بغضب " لا أحد يخدعني يا أستاذ ، أفهمت؟ ... لست غيباً لهذه الدرجة ، حتى تخدعونني أنتم أو يخدعونني هم.... هل ترونني مغفلاً إلى هذه الدرجة؟ .. لقد سئمت هذه المهاترات بينكم " - " و لكن هذا..... " - " هذا هو قراري الأخير ، و أنا هنا سيد العمل ، و لا أسمح لأحد بالتدخل في قراراتي " . فرد أستاذ الفلسفة " إذاً في هذه الحالة سأترك العمل " . أجابه سام بغضب " أنت حر يا أستاذ " . فقال أستاذ الفلسفة بأسى " أهذا هو قرارك يا سام؟ .. أهذا هو وعدك " . أجاب سام و قد تأثر قليلاً " لقد عرضت عليك يا أستاذ حلاً مناسباً و أنت من رفضه " - " و لكنك تعرف في قرارة نفسك ، أنه حل غير مناسب " . أجاب سام بتعب " المهم الآن أنني حسمت أمري و اتخذت قراري " - " و ماذا أقول لرئيس حزب الشعلة؟ " - " قل له ما قلته لك ، و أخبره أن هذا هو قراري النهائي ، و لا داعي لمراجعتي " . فقال الأستاذ بلهجة حزينة كثيفة و هو يكاد يبكي " حسناً.. حسناً يا سام أنت حر " . وضع سام السماعه ، ثم انحنى برأسه على الطاولة و أطلق زفيراً حاداً ، فسأله الدكتور بروكلمان " ما بالك يا سام؟ " . رد سام بتعب و شرود " لا شيء يا دكتور.. لا شيء " - " هل ستتصل مع مؤسسة إلفا و تخبرهم النتيجة؟ " . رفع سام سماعة الهاتف مرة أخرى و اتصل مع مدير مؤسسة إلفا الذي رد عليه قائلاً " أهلاً بك يا سام .. كيف سارت الأمور؟ .. طمئني " . رد سام ببرود " لقد سارت

على ما يرام " . صاح الرجل ببهجة " عظيم يا سام ، تهانينا .. السيدة المديرية هنا ، و هي تبلغك تحياتها " - " أشكرها و أشكركم يا سيدي .. و لكن أريد أن أقول شيئاً لمديرة المدرسة و أريح ضميري " - " تفضل يا سام ، ما هو ؟ " - " في الحقيقة يا سيدي ، و شهادة حق تقال .. أنه عندما عرضت على أستاذ الفلسفة في السابق إنشاء قائمة من غير أنصار حزب الشعلة ، لم يمانع و عندما عرضت عليه إدارتها ، اعتذر ، و عندما طلبت منه إيجاد شخص لاستلامها ، رشح لي مديرة المدرسة ، و هو الذي عرضها علي و ذكرني بها ... و عندما أخبرته عن عزمي إنشاء فرعين واحد له و آخر لمديرة المدرسة ، لم يمانع و رحب بالفكرة " . قال سام بنبرة كئيبة حزينة ، ضحك مدير إلفا لأول مرة و قال " على كل حال نحن نقدر شهامة السيد أستاذ الفلسفة و أخلاقياته العالية ، و لكن يجب أن يعلم أننا نحن أيضاً لدينا الشهامة و الأخلاقيات نفسها ، و إلا لما قبلنا أن نتشارك سوية في فرع واحد ، في حين يرفض هو ذلك حاول أن تخبره بذلك و تقنعه " . رد سام بيأس " أظن انه قد فات الأوان لذلك ، لقد اتخذت قراري ، و سأبشر تنفيذه من الغد " . جاء صوت المدير من الطرف الآخر " عظيم يا سام ، و نحن سندعمك بكل الوسائل و نقف إلى جانبك " . وضع سام السماع و نظر إلى الدكتور بروكلمان الذي سأله " هل صحيح ما قلته لمدير إلفا عن أستاذ الفلسفة ؟ " - " نعم يا دكتور إنه صحيح .. أستاذ الفلسفة هو الذي ذكرني بمديرة المدرسة و رشحها لي و أقنعتني باستخدامها عجيب هذا الزمن " . أطرق الدكتور بروكلمان برأسه و قال " هذه هي الحياة يا سام ، إنها مليئة بالمتناقضات و الغرائب ... و الآن متى ستبدأ بالإجراءات ؟ " - " من الغد " قال سام ، و لكنه لم يكذب من كلامه ، حتى ظهرت أمامه دائرة حمراء . حدق سام بها مذهولاً ، ثم نظر إلى الدكتور بروكلمان ليرى إذا كان قد رآها هو أيضاً . صاح الدكتور بروكلمان " مابك يا سام ، لماذا انتفضت هكذا ؟ ... ماذا هنالك ؟ هيه ، سام ... ما بك " نفص سام رأسه و قال " لا ، لا شيء يا دكتور لا

شيء ، لقد تذكرت أن لدي موعداً مهماً جداً ، أرجو أن تعذرني يا دكتور ، فأنا مضطر للمغادرة الآن .
" قال سام و قد أدرك أن الدكتور بروكلمان لم يرَ الدائرة الحمراء .

في الطريق إلى الغابة ، كانت الرينج روفر تلتهم الإشارات البيضاء المصبوغة على الطريق ، بسرعة كبيرة .
كان سام قد اعتاد أن يغير سيارته الليموزين عند ذهابه للقاء الشيطان ، حتى لا يلفت الأنظار . فكر في نفسه قائلاً " ترى ماذا يريد مني !!!؟؟ ... و ما هو الأمر الطارئ الذي يجعله يطلبني بهذا الشكل الملح " .
" وصل سام إلى الغابة ، و ترجل من السيارة ، ثم دخل إلى الغابة ، و هو يلتفت يميناً و شمالاً " ، كان يشعر بالقلق الشديد ، و عندما وصل إلى المكان ، كان الشيطان بانتظاره ... سأله سام بقلق " أظن انك تريد رؤيتي ؟ " - " نعم يا سام ، أخبرني ماذا حصل معك في الفترة الماضية " . روى سام للشيطان كل ما حصل معه و ختم كلامه قائلاً " أظن أن هذا هو الحل الأفضل " . فرد الشيطان بهدوء " و لكن أنا لا أظن انه الحل الأفضل " . سأله سام " ماذا تقترح علي إذا ؟ " . رد الشيطان ببرود " كما قلت لك سابقاً ... أن تنشئ فرعين في الشمال .. واحداً لأستاذ الفلسفة و الآخر للمديرة " . فقال سام " و لكن هذا الأمر سيسبب لي الكثير من المشاكل ، و أظنك تعرف ذلك ، كما أن فتح فرع واحد يضم القائمتين ، سيحل المشكلة برمتها و في الوقت نفسه سأكسب مؤسسة إلفا إلى جانبي ، و هذا يعني أنه ستفتح أمامي أبواباً و أفاقاً كثيرة ، و أظن أن هذا هو ما تريده أنت " . رد الشيطان أيضاً بهدوء " لا يا سام ، ليس هذا ما أريده " . نظر سام إليه و قال باستهجان " ألم تقل لي إنك تريد المزيد من أعمال الخير ، و تريد أن يرتبط اسمي بهذا الأمر ؟ ... فهل تراجع عن قرارك ؟ " . رد الشيطان و هو يتأمل سام " لا يا صديقي ، إنني ما زلت على موقفي ، و لكن ليس بهذه الطريقة التي تقولها أنت " . صاح سام " و لكنها أفضل طريقة لعمل الخير " . ابتسم الشيطان و قال " لا يا سام ، ما هكذا توردد الإبل " - " إذاً كيف؟؟ " - " كما قلت لك ،

عليك أن تفتح فرعين في الشمال ... ليس هذا فقط ، بل أريدك بعد ذلك أن تركز على فرع أستاذ الفلسفة و تزيد من حجمه و أعداد المستفيدين منه " . فوجئ سام بما يسمعه ، فقال " و لكن لماذا؟ .. ما هو قصدك من ذلك " . رد الشيطان باقتضاب شديد "ستفهم لاحقاً" . فقال سام بضيق واضح " و لكنني سأقع في مشاكل كثيرة ، و بخاصة مع مؤسسة إلفا ... سيعودون لمحاربتني من جديد ، و هذا ليس في صالحني ، و لا في صالح المشروع الذي تريده أنت " . صمت الشيطان قليلاً ، ثم قال " أولاً ، هم لا علاقة لهم بك .. ثانياً منذ متى تتلقى تعليماتك منهم ؟ .. أأنت أنت المسؤول عن شؤونك و أعمالك ؟ " - " طبعاً ، طبعاً أنا المسؤول ، لكن المشكلة ، أن الجميع عارضوا تلك الفكرة ، و لم يجذبها أحد باستثناء أستاذ الفلسفة و جماعته " . رد الشيطان ببرود " المهم أنني أريدها " - " و مؤسسة إلفا ، ماذا أصنع بها ؟ ... من المؤكد أنهم سيعادونني من جديد ، و أنت تقول انه يجب ألا يكون لي أعداء " - "هناك اعتبارات و أولويات تؤخذ بعين الاعتبار ... و بالنسبة لمؤسسة إلفا ، تستطيع أن تتفاهم معهم بطريقة أو بأخرى ، و إذا تعرضت لخطر ما ، فسأكون إلى جانبك و أحميك " . تتمم سام بضيق " حسناً كما تريد " - " هناك موضوع آخر يا سام " - " ما هو؟؟ " - " تصرفاتك لقد تجاوزت المعقول ، بالرغم من تحذيري إياك ، لقد أصبحت تمارس الجنس مع من هب و دب ، و تتصرف بتصرفات قد تقضي على سمعتك ، و تدمر ما قد بنيناها " . تتمم سام مرة أخرى " لم أفهم ماذا تقصد " - " بل تفهم يا سام ، تفهم علاقتك مع الشاب الذي يعمل عندك في الشركة ، و الشاب الذي يعمل في مؤسستك الخيرية ، و الخادم و الخادمة ، و زوجة صديقك جان ، و زوجة مدير مكتبك " . ظهر الارتباك و الاضطراب على وجه سام ، فقال بتلعثم " هل تعرف بهذه الأمور أيها الشيطان ؟ " . رد الشيطان بهدوء " هل تسخر مني يا سام ؟ " . أشار سام بيده مضطرباً "عفواً .. لا تؤاخذني ، لقد نسيت و لكن اطمئن ، هذه الأمور سرية ، و لا أحد يعرف بها غيري " . صاح الشيطان " و هؤلاء الأشخاص الذين يشاركونك لهوك و متعك ، ألا يمكن

لواحد منهم أن يتفوه بكلمة و يفضحك " طأطأ سام رأسه و قال " إنهم يتقاضون أجورهم " . صاح الشيطان من جديد " و هذا الموظف الذي يعمل لديك ، و الذي تسببت بدخوله السجن ، ليخلو لك الجو مع زوجته ، و ذلك التاجر الذي ينافسك في السوق ، و الذي أحرقته له مخزنه و تسببت في تشويه الحراس الذين كانوا فيه ، و ابنه الذي بعثت من يضع له حبوب المخدرات اسمع يا سام ، لقد حققت نجاحاً كبيراً إلى حد ما في مجال إعطاء صورة ناصعة عن نفسك للمجتمع ، و لا أريد لهذه الأمور أن تشوه هذه الصورة .. هل فهمتني يا سام؟" . رفع سام رأسه و قال بنبرة حادة قليلاً " بصراحة ، إنني مستغرب أن تكون أنت من يطلب ذلك مني أيها الشيطان ، بدلاً من أن تشجعني على ذلك " . نظر الشيطان إلى سام و تأمله قليلاً ، ثم قال له " يبدو أنك تستغرب كثيراً هذه الأيام يا سام .. و هذه نقطة ضعف جديدة تضاف إليك " . رد سام باستهجان " هل تمزح معي أيها الشيطان ؟ ... أنت تعرف ما نقرؤه و ما نعرفه و ما نسمعه عنك " . نظر الشيطان إليه و قال بسخرية " يمكنك اعتبار ذلك نوعاً من تأنيب الضمير يجب أن تعلم يا سام أنني أنا الوحيد الذي وقف إلى جانبك ، و أن كل ما تراه أمامك الآن من تملق و مداهنة و رياء ، هو بسبب المال الذي تملكه و الذي كنت أنا سبب حصولك عليه ... و الآن هيا يا عزيزي ، اذهب و باشر ما اتفقنا عليه ... رافقتك السلامة" .

عاد سام إلى الفيلا . كان مشوشاً متضيقاً ، و يكاد ينفجر من الغيظ . بدل ملابسه و ذهب إلى الصالون ، ثم سكب كأساً من الشراب و أشعل سيجاراً ، و جلس يشرب و يدخن ... و يفكر بشرود " اللعنة إنه يعرف عني كل شيء .. كل شيء ... إنه يحيط بي من كل جانب ... إنه يمسك بكل شيء .. يمسك بكل الخيوط .. و لكن كيف له أن يعرف ؟ ... كيف ؟ ... كيف ؟ .. ثم لماذا يطلب مني كل هذا !!!؟ ... عجيب أمره ، يطلب مني فعل الخير و عدم ارتكاب المعاصي .. ماذا يريد مني ؟؟ ... ماذا يدور

بذهنه؟؟ .. إلى ماذا يريد أن يصل؟ " . أسئلة كثيرة كانت تمر في ذهن سام . فكر بمشكلة الفروع في الشمال ، و كيف سيجد لها حلاً . أمسك الهاتف ، و اتصل مع الدكتور بروكلمان و طلب منه الحضور .

بعد قليل حضر الدكتور بروكلمان و سأل سام بفضول "أين كنت يا سام؟" . رد سام بلا مبالاة " اجلس يا دكتور ... اجلس ، هناك موضوع يجب أن نخله " - " أي موضوع؟؟" - " موضوع الفروع في مؤسستي لقد أعدت النظر في قراري الأخير ، و قررت إنشاء فرعين في الشمال " . نظر الدكتور بروكلمان بذهول إلى سام و قال له مستغرباً " ماذا هناك يا سام أراك متكدرًا ، هل حصل شيء؟ " رد سام بغيظ " لا يا دكتور ، و لكن كما قلت لك ، لقد أعدت النظر بقراري الأخير " . قال الدكتور بروكلمان و هو يمعن النظر بسام ، محاولاً قراءة أفكاره "من المؤكد أن ذهابك المفاجئ إلى المكان الذي كنت فيه ، هو السبب في تغيير قرارك .. قل لي ماذا حصل؟ .. و لماذا غيرت قرارك " . رد سام بعصبية " أرجوك يا دكتور ، لا تسألني ... لقد غيرت قراري و كفى " . أوماً الدكتور بروكلمان بيديه " حسنًا ، حسنًا يا سام .. أهدأ أرجوك ، و لكن لي سؤال واحد ، و إذا أردت .. فلا تجب عليه " . رد سام بصوت ناشف " ماذا تريد؟ " - " هل هو نفس الشخص الذي أُرشدك إلى جاك و المعلم رالف و عني أنا " .

أطرق سام برأسه إلى الأرض و لم يتكلم . فتمتم الدكتور بروكلمان " حسنًا يا سام ، لقد فهمت كل شيء (ثم استدرك قائلاً) ... و ماذا ستفعل بخصوص مؤسسة إلفا؟ ... لا أظن أنهم سيكونون مسرورين بهذا القرار " . صاح سام " أنت معي أم معهم يا دكتور؟ " - " لا يا سام ، إنني معك ، و لكن عندما تستشيرني بأمر ما ، فإنني أشير عليك بالحل الأمثل و الذي أراه كذلك ، و في النهاية يبقى القرار لك أنت و بكل الأحوال ، تأكد أنني معك يا سام ، و لكن قل لي ، ماذا قررت بشأن إلفا؟ " خبط سام يديه على ركبته ، و قال " لا أدري يا دكتور و لهذا طلبتك إلى هنا ، لتجد لي حلاً لهذه المشكلة العويصة " . حك الدكتور بروكلمان رأسه و نهض إلى البوفيه قائلاً " في هذه الحالة ، سأشرب كأساً من

الكونياك لأستطيع التفكير بشكل أفضل " قال سام بشرود و تعب "اسكب ما تريد و فكر كما تشاء .. و في هذه الأثناء سأتصل مع أستاذ الفلسفة ، لأزف له الخبر السعيد ، قبل أن يقدم على الانتحار " . صاح الدكتور بروكلمان و هو يسكب الشراب في الكأس " انتظر قليلاً ، لا داعي لإخباره الآن ... حتى أنتهي من التفكير ، فربما يكون هو جزء من الحل بالمناسبة ، هل من الممكن أن يقدم على الانتحار فعلاً؟" . رد سام بكآبة و هو يفكر " ما رأيك أنت أأستدكتوراً في علم النفس؟" . أعاد الدكتور بروكلمان زجاجة الشراب إلى البوفيه و عاد إلى الأريكة و هو يرشف من كأسه ، ثم قال " في الواقع ، أنا لم أختلط معه كثيراً لأستطيع تقييم شخصيته و سلوكه " . ارتد سام بظهره إلى الأريكة و نظر إلى السقف المزخرف و قال " إنه ... رجل عصبي ... حساس صاحب مبادئ لا يتزحزح عنها انتقد أي شيء أمامه ، إلا لينين ، فلا تقترب منه أو تتعرض له ... لديه نظرة سوداوية قليلاً نحو المجتمع و الناس و يعتبر أن معظم الناس منافقين و خونة ... هذا ما أستطيع أن أتذكره الآن عن صفاته ، و لكن تبقى له ميزة أعترف له بها ، و هو أنه صادق مع نفسه و مع الآخرين " . رشف الدكتور بروكلمان من الكأس مرة أخرى و قال ضاحكاً " أخشى أن هذه الأسباب جميعها تدفع إلى الانتحار ، و بخاصة الميزة الأخيرة التي ذكرتها " . فرد سام و هو لا يزال ينظر إلى السقف " إذا أسرع في إيجاد الحل قبل أن ينتحر " . أخذ الدكتور بروكلمان يشرب من كأسه و يفكر ، و لم ينته من الشراب ، حتى نهض من مكانه و قال " أهم شيء الآن يا سام ، هو أن تخفف قدر الإمكان من معاناة مؤسسة إلفالك ، و حتى تفعل ذلك ، يجب أن يقتنعوا بالمبررات التي ستقدمها لهم ... و حتى يفعلوا ذلك ، يجب أن يعرفوا أن السبب أو جزءاً منه ، ليس منك أنت ، و أنك تعرضت لضغوط قوية " . رفع سام رأسه و نظر إلى الدكتور بروكلمان قائلاً "هل تلمح إلى الزيارة التي قمت بها اليوم ؟" . هز الدكتور بروكلمان رأسه بالنفي " لا ، لا يا سام ، لم أقصد ذلك ، و لكن خطرت لي فكرة طالما أنك ذكرت أستاذ الفلسفة الآن ، فلماذا لا نجعله هو السبب " . سأله سام

باستغراب " كيف ؟؟؟!؟ " . أشعل الدكتور بروكلمان سيجارة و قال " نقول إنه هو من ضغط عليك ، و هيج عليك أنصار حزب الشعلة في الشمال ، الذين احتجوا على هذا القرار ، و تظاهروا أمام منزلك في الشمال ، و هم يصرخون و يبكون ، و يطالبونك و يستعطفونك ... و يرافق هذا الأمر ضجة في الشمال ، و تعرف بها المديرية ، حتى تخبرهم هي بنفسها " . صاح سام "عظيم يا دكتور .. فكرة رائعة ، و لكن كيف خطرت لك ؟ " . أجاب الدكتور "بصراحة ، لقد استوحيتها الآن من الكلام الذي ذكرته لي عن أستاذ الفلسفة ، و من الزيارة السرية التي قمت بها اليوم ، و التي كما يبدو لي ، تعرضت من خلالها إلى ضغوط كبيرة ... ففقت بكل ببساطة بوضع أستاذ الفلسفة مكان ذلك الشخص المجهول ، و الذي كلي توق لأعرف شخصيته في يوم من الأيام " . . أجابه سام متهرباً " إنك تبالغ قليلاً في تحليلاتك يا دكتور " .

هز الدكتور بروكلمان رأسه و هو غير مقتنع بكلام سام و قال " ربما نعم ، و ربما لا على كل حال اتصل الآن بأستاذ الفلسفة و أخبره بقرارك و اطلب منه الحضور إلى هنا لتعلمه كيف سيقوم بالدور الذي سيوكل إليه " . شرح الدكتور بروكلمان لسام ، ما يجب عمله ، و بعد ذلك اتصل سام بأستاذ الفلسفة ، الذي رد بصوت كئيب غاضب " ماذا تريد يا سام ؟ " . أجابه سام محملاً إياه "أريد أن أزف إليك خبراً سيفرحك جداً " . رد الأستاذ بكآبة " ليس هناك ما يفرح يا سام " - "بلى ، بلى يا أستاذ ، هناك ما يفرح ... لقد أعدت النظر في قراري الأخير ، و قررت أن أجعل لكم فرعاً خاصاً بكم " . و هنا تغيرت لهجة أستاذ الفلسفة و قال بصوت عالٍ "حقاً ؟ ... حقاً ستفعل ذلك يا سام ؟؟ " - "نعم ، نعم يا أستاذ ، و لكن قبل كل شيء ، أريدك غداً هنا في العاصمة ... بالمناسبة ، لا تطلع أحداً من الأهالي أو غيرهم على ذلك .. إلى اللقاء " .

في اليوم التالي ، كان أستاذ الفلسفة يطرق باب مكتب سام " أهلاً يا أستاذ ، تفضل " - " إنني شاكر لك من كل قلبي يا سام على هذا الجميل ، و الرفاق في الحزب أيضاً يعيشون لك " - " دعني الآن من رفاقك في الحزب ، و استمع إلى ما سأقوله لك جيداً " . أخذ سام يشرح للأستاذ الخطة التي سيقوم بها ، و عندما انتهى ، سأله " هل فهمت الخطة جيداً يا أستاذ ؟ .. أم أعيدها عليك مرة أخرى ؟ " . فوجئ الأستاذ بكلام سام ، فقال له غاضباً مستهجنًا " لا يا سام ، لقد استوعبتها ، و لكن قل لي لماذا تفعل ذلك ؟ ... لماذا تريد أن تظهر للناس أننا نحن من فرضنا ذلك عليك ؟ لماذا تريد أن تظهرنا أمام الناس و كأننا نستجدي ذلك منك ؟ .. لماذا لا تفعل ذلك مع مديرة المدرسة أيضاً ؟ " . أشار سام بيده ، و قال " لا وقت الآن للشرح يا أستاذ ، افعل ما أقوله لك ، و حسب " هب الأستاذ واقفاً و صاح بانفعال " لا ، لن أفعل " . أطرق سام برأسه إلى الأرض و أطلق زفيراً قوياً ، ثم قال للأستاذ بملل و بصوت متعب " اسمع يا أستاذ إنني أتعرض لضغوط قوية ، و من أكثر من جهة ، لكي لا يكون لكم فرع خاص بكمم و الجميع لديهم الرأي نفسه ، و سوف أتعرض لحرب شرسة ، إن فعلت ذلك ، و أنت تعرف ذلك جيداً على ما أظن ... و لهذا ليس هناك إلا هذا الحل ، حتى أخفف الضغط عني قليلاً ... و بصراحة ، فإنني لم أعد أحتمل مهاترات و مشاكل ... قرر الآن و أنت حر .. و يجب أن تعلم شيئاً واحداً ، و أظنك تعلمه ... لقد وقفت إلى جانبكم كثيراً و تعرضت لمشاكل و حروب كثيرة بسببكم منذ أن كنت أدرس في الجامعة و حتى الآن " . جلس أستاذ الفلسفة على مقعده مرة أخرى ، و قال بصوت خافت هادئ " حسناً يا سام ، كما تشاء ... سأفعل ذلك ... إنني أقدر لك موقفك ، و ظروفك " . هز سام برأسه و قال " ممتاز ... إذاً هيا إلى البلدة يا أستاذ و حضرّ للأمر جيداً ، و سأتبعك بعد يومين .. إلى اللقاء " . عندما ذهب أستاذ الفلسفة ، دخل الدكتور بروكلمان ، فقال له سام " لقد نفذت الخطة يا دكتور ، و ماذا بعد الآن ؟ " . أشار الدكتور بروكلمان إلى الهاتف " اتصل مع مدير إلفا و أخبره أنك ستباشر بالإجراءات التي

اتفقتما عليها ، لكي تموه الأمر قليلاً ، و لكي يقتنعوا بعد ذلك ، بأنك فعلاً قد تعرضت للضغوط " - " معك حق يا دكتور " . قال سام ذلك و رفع سماعة الهاتف و اتصل مع الرجل .

بعد يومين ، سافر سام إلى الشمال ، و وصل إلى البلدة بعد الظهر . جلس مع أهله و تحدث معهم ، و في الليل ذهب إلى فراشه و هو يترقب يوم غد بلهفة و قلق ... كان الجو في الخارج هادئاً و الصمت يجيم على المكان مع نسيمات هواء عليلية ، تهب بين الفينة و الفينة أغمض سام عينيه و استسلم لنوم بانتظار ما يحمله الغد .

في اليوم التالي ، استيقظ سام على يد والدته و هي تهزه بعنف ، أجفل سام و قال لأمه " ماذا هناك يا أمي " . أجابت الأم بذعر " هناك جموع غفيرة خارج بوابة المنزل ، تصرخ و تصيح بصوت عال " . بالفعل كانت هناك أصوات ضجيج و صخب تأتي من الخارج . نهض سام مسرعاً ، و لبس الروب ديشانبر ، و أسرع إلى النافذة العلوية المطلة على خارج سور المنزل ، و ما إن ألقى نظرة على الخارج ، حتى صاح " يا إلهي .. ما هذا ؟؟! ... من أين جاء كل هؤلاء الناس؟ .. من أين أتى بهم أستاذ الفلسفة ؟؟؟! !!! " . كان هناك جموع غفيرة من الناس ، رجال .. نساء ... أطفال ، منهم من يصرخ و منهم من يبكي ، و منهم من يلطم على رأسه ، و ما إن رأوا سام ، حتى أخذوا ينادونه و يشيرون إليه و يصرخون . تراجع سام بذعر إلى الورا ، و أسرع إلى الهاتف ، و طلب أستاذ الفلسفة ، و لكن لم يجب أحداً .. بعد قليل جاء أبوه و أخبره أن أستاذ الفلسفة و معه رجلان ، يريدان مقابلته . قال سام لأبيه " دع الأستاذ فقط يدخل " . بدل سام ثيابه على الفور ، و بعد قليل ، دخل أستاذ الفلسفة ... " ها يا سام ، ما رأيك الآن ؟ .. هل أنت راض عن سير العمل ؟ " . أجاب سام بقلق " في الحقيقة إنني خائف ... و لكن كيف استطعت أن

تجمع كل هذا العدد الهائل؟" . أجاب الأستاذ مبتسماً " هذه كانت مهنتنا يا سام .. لقد جاؤوا من أكثر من منطقة من الشمال " . قال سام بدهشة " لم أكن أتوقع أن يكون العدد بهذه الضخامة ... و لكن كيف ستحكمون بهم ؟ " . أشعل أستاذ الفلسفة سيجارة و نفث دخانها في الهواء و قال " لا تخف إننا نمسك بلجامهم ... إنهم لا يتصرفون بشيء ، من دون إشارتنا" . نظر سام إلى الأستاذ باستغراب و قال " إشارتكم؟؟ و لكن من أنتم " . أجاب الأستاذ " أنا و هذان الرجلان ، اللذان في الخارج .. إنهما عضوان عتيقان في الحزب ، و يفرضان احترامهما على الجميع ... و لكن لماذا لم تدعهما يدخلان يا سام ؟!!؟" . أشار سام بيده " سأدعهما يدخلان ، و لكن بعد أن أفهم منك التفاصيل .. قل لي ، هل أخبرتهم أن هذه خطة ؟ " - " لا يا سام ، لقد أبقيت الأمر سراً كما أخبرتني ، و لا أحد يعرف به غيري ... و الآن قل لي ، ما هي الخطوة التالية ؟ " . فكر سام قليلاً ، ثم قال " أولاً ، يجب أن يأخذ هذا الأمر ضجة كبيرة " . و ما إن أنهى سام عبارته تلك ، حتى رن جرس الهاتف . طلب سام من أبيه أن يرد . رفع الوالد السماعة ، ثم عاد إلى سام و هو يقول " إنه مدير مؤسسة إلفا " . أجاب سام " قل له إنني غير موجود " - " إنه يسأل عن مكانك ، و عن المتظاهرين في الخارج " . أجاب سام " قل له لا أعرف شيئاً ، عندما يأتي ، سيتصل بك " . نظر أستاذ الفلسفة إلى سام و قال " أظن أن الأمر قد أخذ ضجة يا سام " . صاح سام " عظيم يا أستاذ .. و الآن سندخل صديقيك اللذين في الخارج ، و سنتظاهر أمامهما أنك أفنعتني و أنني قد أشفقت على هؤلاء المجتمعين في الخارج ، و بعد ذلك سنخرج سوية إلى هذه الجموع الثائرة و نتكلم معهم " و هنا أيضاً رن جرس الهاتف .. كانت المديرية هي المتكلمة ، طلب سام من والده أن يخبرها أنه غير موجود " . أجاب الوالد " إنها تلح أن تعرف أين أنت " - " قل لها إنني في الخارج " . عاد سام إلى الحديث مع أستاذ الفلسفة ، و مرة أخرى ، رن جرس الهاتف فقال سام لوالده " قل للمتكلم إنني لست هنا " . رفع الوالد السماعة ، ثم قال لسام " إنه عمدة مقاطعة الشمال " التقط سام السماعة و تحدث مع العمدة . " ألو " - "

صباح الخير مستر سام " - أهلاً و سهلاً يا حضرة العمدة " - "لقد سمعت أن هناك تجمعات أمام منزلك ،
و سوف أرسل لك قوة لحمايتك " - " لا ، لا يا سيدي ، إنهم فقراء و مسالمون ، سأندبر الأمر معهم ..
إنني شاكر لكم جداً" - " على كل حال ، إذا احتجت إلى مساعدة ، اتصل بي " - " سأفعل يا سيدي ...
إنني أقدر لك موقفك النبيل هذا و أشكرك من كل قلبي إلى اللقاء " . وضع سام السماعه و قال
"عظيم جداً ، يبدو أن الأمر قد أخذ بالفعل ، ضجة كبيرة .. و الآن دع الرجلين يدخلا " . فتح أستاذ
الفلسفة الباب و استدعى الرجلين ، و ما إن دخلا ، حتى رحب بهما سام قائلاً " أهلاً و سهلاً بكما ،
تفضلاً بالجلوس " . جلس الرجلان ، و قال أحدهما و هو الأكبر سنّاً " في الحقيقة يا سيدي ، نحن جئنا
إليك مع هؤلاء الناس الذين في الخارج ، لكي تصدق فعلاً أننا بحاجة إلى أن يكون لنا فرع خاص بنا ، و
أننا من المستحيل أن نكون مع أعدائنا في فرع واحد ، لأنه لن يكون هنالك تفاهم و لا انسجام بيننا للحظة
واحدة ، بل صراع دائم" . أشار سام إلى أستاذ الفلسفة بعينه ، إشارة لها معنى ، فقال الأستاذ " على كل
حال أيها الرفاق ، لقد اقتنع الأستاذ سام بفكرة إنشاء الفرعين و هو منذ البداية كان يريد ذلك .. و الآن
أيها الرفاق دعونا نخرج إلى المتجمهرين في الخارج و نتحدث إليهم " . خرج سام و أستاذ الفلسفة و
الرجلان إلى البوابة الخارجية للمنزل ، حيث كان حرس سام قد أوصدوها من الداخل ، و وقفوا بأسلحتهم
على أهبة الاستعداد ، أشار سام للحراس ، ففتحوها البوابة ، و هنا بدأ الناس المتجمعون بالصياح و البكاء و
التوسل ، و تعالت الصرخات من كل جانب " لا تتركنا يا سام اجعل لنا فرعاً خاصاً بنا ارحمنا
يا سام لا تجعلهم يتحكمون بنا يا سام أنت شهيم يا سام ... اللعنة عليك يا سام " كانت
الأصوات عالية جداً و الصراخ يتعالى من كل الجهات ، و هنا رفع أستاذ الفلسفة يديه للأعلى ، فسكت
الجميع دفعة واحدة ، و خيم الصمت و الهدوء على المكان ، ثم توجه أستاذ الفلسفة إلى الحشد بالكلام
قائلاً " أيها الرفاق الأحبة إن الرفيق سام ، لن يتخلى عنا ، و لن يتركنا ، كما كان عهدنا معنا دائماً ، و

هو في كل خطوة كان يقوم بها أو يفعلها لأجلنا كان يقصد بها مصلحتنا و منفعتنا ، و خطوته السابقة تلك التي تجمعنا مع قائمة الحزب الديمقراطي ، كان يظن أنها لمصلحتنا و لكن عندما عرف أنها ليست كذلك ، غير رأيه على الفور و قرر أن ينشئ لنا فرعاً خاصاً بنا " . تعالت الأصوات من جديد " عاش سام ... عاش سام البطل " . كان الأستاذ يتكلم و إلى جانبه الرجلان الاثنان ، يهزان رأسيهما علامة الموافقة ، و عندما انتهى من الكلام ، تحدث سام إلى الجمهور قائلاً " أيها الأعزاء ، لن أضيف كثيراً على كلام الأستاذ ، و لكن نزولاً عند رغبتكم ، و احتراماً و عطفاً على هؤلاء الصغار و النساء و العجائز اللواتي أراهم الآن أمامي ، و إكراماً للنساء و الفتيات صاحبات العيون المتوسلة ، و التي أقف عاجزاً ضعيفاً أمامها ، سأنشئ لكم فرعاً خاصاً بكم ، و سأكون كما قال أستاذ الفلسفة ... إلى جانبكم دائماً " . تعالى الصياح و الهتاف من جديد ، و هنا رفع أستاذ الفلسفة يديه و صفق بهما قائلاً " هيا أيها الرفاق الأحبة ، فلينصرف كل منكم إلى بيته أو حقله أو عمله ، نشكركم جميعاً ، لقد قمتم بواجبكم و نحن نقدر لكم هذا التعب و العناء " . بدأ الناس بالتفرق و الانصراف ، و لم تمر دقائق ، حتى كان المكان خالياً تماماً . نظر سام إلى أستاذ الفلسفة و الرجلين و قال " و الآن أيها السادة تفضلوا إلى الداخل ، لتحدث قليلاً " . دخل الأربعة إلى المنزل بينما قام الحرس ، بإغلاق البوابة الخارجية . في الصالون ، تبادل سام الحديث مع أستاذ الفلسفة و الرجلين ، و بعد قليل نظر سام إلى أستاذ الفلسفة و غمزه بعينه ، فنظر الأستاذ بدوره إلى الرجلين ، و غمزهما بعينه ، فقاما و استأذنا بالانصراف . نهض سام من مكانه و قال لهما " أشكركما من كل قلبي أيها السيدان ، و كونا مطمئنين .. سأباشر إجراءات إنشاء الفرع فور عودتي إلى العاصمة و الآن لحظة واحدة من فضلكما " . ذهب سام إلى الداخل ، و عاد و معه رزمتان من النقود ، أعطى واحدة لكل من الرجلين قائلاً " أرجو أن تتقبلا هذه الهدية مني ، عربون صداقة و احترام " . أخذ الرجلان المال ، و شكرا سام ، الذي استدعى السائق و طلب منه إيصال الرجلين إلى منزليهما ، ثم جلس هو و أستاذ

الفلسفة يتحدثان ، سأله الأستاذ " هل ستباشر فعلاً بإنشاء الفرع يا سام " . أشعل سام سيجاره الضخم و نفث دخانه في الهواء ، و هو ينظر إلى أستاذ الفلسفة و يقول " طبعاً يا أستاذ ، و إلا فلماذا فعلنا كل هذه الضجة و التظاهرة ؟ " . صاح الأستاذ بفرح " عظيم يا سام .. و الآن ما هي الخطوة التالية ؟ " . أجاب سام باقتضاب و هو يفكر " ليس هناك خطوة تالية يا أستاذ " . نظر الأستاذ إلى سام بعمق و قال " بصراحة يا سام ، إنني أشعر بالضيق و الانزعاج لأنني فعلت ذلك .. أشعر و كأنني خدعت هؤلاء الناس جميعاً " . نفث سام دخان سيجاره و نظر إلى السقف و قال " لا يا أستاذ ، إنك لم تخدع أحداً .. أنا من طلب منك ذلك ، ثم إن هذا كان من أجلكم أنتم " - " بل من أجلك أنت يا سام " - " من أجلي و أجلكم ... ثم إن الغاية تبرر الوسيلة " . أشعل أستاذ الفلسفة سيجارة هو الآخر و قال " إن هذه العبارة تذكرني بالعبارة التي تقول . الحاجة أم الاختراع فكل حاجة لها اختراع خاص بها ، لا تصح إلا به ، و كذلك الغاية ، لها وسيلة لا تصح إلا بها و برأيي أن الغاية يجب ألا تبرر الوسيلة ، إلا إذا كانت حاجة مشروعة ... أي الحاجة تبرر الوسيلة " . سأل سام " حتى و لو كانت الوسيلة غير مشروعة ؟ " . أجاب الأستاذ " أظن نعم ، و على كل حال هذا الكلام يخضع أيضاً للنسبة " - " كيف ؟؟؟ " . أطلق أستاذ الفلسفة دخان سيجارته في الهواء و قال " لنفرض أن هناك غاية بررت وسيلة ما ... فهناك شخص قد يراها غاية مشروعة تبرر وسيلة مشروعة ، و شخص آخر يراها غاية مشروعة تبرر وسيلة غير مشروعة ... و شخص يراها غاية غير مشروعة تبرر وسيلة غير مشروعة ، و رابع يراها غير مشروعة تبرر وسيلة مشروعة و على كل حال يا سام ، فإن فكرة الغاية تبرر الوسيلة ، موجودة منذ ظهور الكائنات الحية على وجه الأرض ، بما فيها بني البشر " . نظر سام إلى أستاذ الفلسفة باستغراب و قال " إذاً أنت تريد أن تقول إن هذه العبارة صحيحة " . أجاب الأستاذ "صحيحة و ليست دقيقة " - " لم أفهم يا أستاذ ؟ " . أخذ الأستاذ مجمة من سيجارته و قال " الأصح أن يقال إن القوة تبرر الوسيلة ، و ليس الغاية لأنه ليس كل غاية ، تتاح لها الوسيلة لتبريرها أو

حتى للقيام بها ... و الغاية من دون قوة يا سام ، لن تجد وسيلة لها لتبررها أو لا تبررها ، حتى المفاهيم و الأفكار النظرية يا سام ، تنطلق من هذا المبدأ و تعتمد عليه " - هل تقر هذا المبدأ يا أستاذ ؟ " أجاب الأستاذ بهدوء " المبدأ هو الذي يقر نفسه يا سام ، و القوي هو الذي يجدد و يفرض المبدأ الذي يريده " . نظر سام إلى أستاذ الفلسفة و قال له " كأنك تتكلم كلاماً غامضاً يا أستاذ " - " على العكس يا سام .. إن كلامي واضح و بصراحة أكثر ، لقد تكونت لدي قناعة فلسفية جديدة " . سأله سام على الفور " ما هي؟؟؟!" أجاب الأستاذ بهدوء أيضاً "البقاء للأصلح " - " هل تقصد الأشخاص الصالحين و الطيبين في هذه الدنيا؟" - " بل أقصد الصالحين للبقاء و المتفوقين و القادرين " - "هذا كلام جديد يا أستاذ !! " - " ليس جديداً، بل هو موجود منذ الأزل ، و لكنني للأسف لم أحس به إلا الآن ، و في هذه الفترة التي نعيشها " - " و هل أنت مقتنع به يا أستاذ ؟ " - " كما قلت لك قبل قليل ، المبدأ هو الذي يقرّ و يفرض نفسه " . و هنا نظر سام إلى أستاذ الفلسفة بعمق ، ثم سأله " قل لي يا أستاذ ... من هو الأصلح منكما ليكون له فرع خاص به ، أنت أم مديرة المدرسة ؟ " . فكر الأستاذ قليلاً ، ثم قال " من واجبي أن أقول لك نحن ... فهذا يفرضه علي شرف العقيدة و الانتماء الحزبي " . نظر سام إليه و سأله " و غير ذلك ؟ " . أطرق الأستاذ برأسه إلى الأرض ... صمت برهة ثم قال " غير ذلك ، أقول إن الذي يحصل بالنهاية على فرع خاص به ، بقوته و آرائه و حججه و منطقيته " . ابتسم سام و سأل " من كان سيحصل على الفرع ، بهذه الأشياء التي ذكرتها " . أجاب الأستاذ بصدق " المديرية و مؤسسة إفا " . أطلق سام ضحكة خافتة و سأل الأستاذ مرة أخرى " و لماذا هم و ليس أنتم ؟ " أجاب الأستاذ مرة أخرى بثقة " لأنهم الأقوى " - " لماذا هم الأقوى يا أستاذ ؟ " - " لأنهم فرضوا عليك ذلك ، و لأنك تحشى معاداتهم ، و لذلك طلبت مني القيام بهذه التظاهرة " . فقال سام " و لكنني سأنتشئ لكم فرعاً بالرغم من اعتراضاتهم ، فلماذا إذاً برأيك أفعل ذلك " . هز الأستاذ برأسه و قال " لا أدري " - " كيف لا تدري ؟ " . و هنا نظر أستاذ الفلسفة إلى

سام نظرة عميقة و قال " لأنني لا أدري ما هو السبب المجهول الذي جعلك في اللحظة الأخيرة تقرر إنشاء فرع خاص بك ، بعد أن كنت قد قررت جمعنا بفرع واحد ، و كان ذلك قراراً نهائياً بالنسبة إليك " قال أستاذ الفلسفة ذلك و هو يحدق بسام ، بنظرات ثاقبة متفحصة تحمل علامة استفهام ، فقال سام و هو يهرب من نظرات أستاذ الفلسفة " لقد أمضينا وقتاً عصيباً " ، ثم نهض إلى الداخل ليعود بعد قليل ، و معه رزمة مالية و يقول " تفضل يا أستاذ ، إنك تستحقها .. اصرفها لشؤونك الخاصة " . أعاد الأستاذ الرزمة قائلاً " لا يا سام ، أشكرك ... لا أريد مالا .. أهم شيء الآن ، هو أن تباشر بإنشاء الفرع هذه أفضل مكافئة تقدمها لي " . رافق سام أستاذ الفلسفة إلى البوابة الخارجية للمنزل ، تحدث معه قليلاً ، ثم قفل عائداً إلى المنزل حيث أخبره أبوه ، أن رجلاً من الأمن العام قد اتصل معه من العاصمة ... " لماذا لم تجربني يا أبي ؟ " أجاب الوالد " لقد قلت له أن ينتظر قليلاً ، حتى أرسل من يخبرك ، لكنه قال .. لا داعي " . سأله سام بقلق "ماذا قال لك ؟ " - "سألني عما حصل اليوم " - " و ماذا قلت له ؟؟؟؟؟ " . أجاب الوالد بهدوء "طمأنته أنه لم يحصل شيء ، و أن الأمر انتهى بسلام " . جلس سام يفكر في نفسه ... " ترى ماذا يريد مني ؟ ... ثم ما هو رأيهم في موضوع إنشاء فرع خاص بقائمة أستاذ الفلسفة ؟ أما كان يجب أن آخذ رأيهم أولاً ؟ كيف فاتني هذا الأمر .. من المؤكد أنه اتصل لهذا السبب ... كأنه يريد تذكيري و تنبيهي لهذا الأمر ، و إلا لماذا لم يصر على الكلام معي شخصياً كالبقية يجب أن أعود إلى العاصمة فوراً و أقابله " . جهز سام أغراضه و عاد في اليوم نفسه إلى العاصمة التي وصلها مساءً . في الفيلا ، استلقى أمام حوض السباحة و أخذ يفكر بما حصل ، كانت تتوارد في ذهنه أفكار كثيرة .. التظاهرة التي حصلت ... كلام أستاذ الفلسفة اتصال مدير إلفا ... اتصال مديرة المدرسة ... و لكن أهم ما كان يشغله ، هو اتصال الأمن العام . ظل يفكر ، حتى شعر بالنعاس ، فذهب إلى فراشه و نام بعمق .

في اليوم التالي استيقظ سام من فراشه .. تناول طعام الإفطار ، ثم ذهب إلى الشركة ، حيث قضى بعض الأعمال ، و من هناك توجه إلى مقر الأمن العام . أركن سيارته ، في مكان قريب ، ثم دخل إلى المبنى ، و توجه إلى غرفة الضابط الذي قابله أول مرة . رحب به الرجل بابتسامة بشوشة " أهلاً سيد سام ، تفضل " . جلس سام على الكرسي قبالة الضابط و قال " أشكرك يا سيدي ، و لكن كنت أتساءل إذا كنت أنت الذي اتصلت معي البارحة إلى البلدة ؟ " - " نعم يا سيد سام ، لقد اتصلت لأطمئن عليك " . أجاب سام بدمائة " أنا آسف جداً يا سيدي ، لقد كنت فعلاً عند البوابة الخارجية للمنزل ، و كنت أتمنى أن أتحدث معك ، و لكن للأسف ، لم يخبرني أبي إلا بعد فوات الأوان ، لقد عاتبته على ذلك " . فرد الضابط مبتسماً " لا يا سيد سام ، أنا من طلب منه ذلك ، لقد طلبت منه عدم إزعاجك بالمناسبة ، ما هي قصة هذه التظاهرة التي حصلت عندك في البلدة؟؟؟ " - " في الحقيقة يا سيدي ، أنت تعلم أنني أهتم بالأمر الخيرية و الدينية و الإنسانية ، و لقد أنشأت في الشمال قائمتين للمساعدات الخيرية ، واحدة لأستاذ الفلسفة و هي التي تحدثنا مرة عنها ، و أخرى لمديرة المدرسة ، وبعدها أنشأت مؤخراً مؤسسة اجتماعية خاصة بي و قررت أن أنشئ فروعاً لها في مختلف المقاطعات ، و في الشمال ، قررت أن أجعل كلاً من قائمة أستاذ الفلسفة و قائمة المديرية فرعين منفصلين ، و لكن و على ما يبدو ، فقد حصلت اعتراضات من مؤسسة إلفا ، و من مجلس إدارة مؤسستي أيضاً على فكرة الفرعين ، بينما أراد أستاذ الفلسفة أن يكون لهم فرع خاص بهم ، أنت تعرف .. هناك حساسيات بين الطرفين ، و بعد نقاشات و خلافات طويلة ، قررت أن أنشئ فرعاً واحداً يضم القائمتين ، و لكن أستاذ الفلسفة و من ورائه حزب الشعلة ، رفضوا ذلك المقترح و أصروا على فكرة القائمتين ... لقد تخوفوا من أن يصيبهم غبن في الفرع الواحد ، و عندما ذهبت إلى البلدة قبل يومين ، جاء جميع أعضاء قائمة أستاذ الفلسفة و معهم نساؤهم و أطفالهم و تجمعوا أمام المنزل ليكون يطالبون بإنشاء فرع خاص لهم ، فوعدتهم خيراً ... و لكن قبل أن أقدم على أية خطوة ، أحبيت أن آخذ

رأيكم بهذا الموضوع أظن أنه كان يجب علي أن أفعل ذلك من قبل ، أنا آسف لهذا الخصوص " . هز الضابط برأسه و قال " لا مشكلة يا سيد سام ... و بالنسبة لنا ، فنحن ليس لدينا أي إشكال في ذلك ... و لكن و كما قلت لك سابقاً ، إن ما يهمنا هو أمن الوطن و المواطن .. أي أمن هذا البلد و المواطنين الذين يقطنون فيه ، و أي شيء آخر لا يتعارض مع هذا الأمر ، و مع القوانين التي تضعها الدولة ، لا نعترض عليه " . نظر سام إلى الضابط و قال " هل أفهم من ذلك يا حضرة الضابط ، أنه ليس لديكم مانع من إنشاء فرعين في الشمال " . أجاب الضابط " لا يا سيد سام ليس لدينا أي اعتراض ... و لكن حبذا لو تعطيني فكرة عن ماهية الفرع الذي ستقومون بإنشائه لأستاذ الفلسفة " . أجاب سام بشكل طبيعي " إنه مثل بقية الفروع الأخرى ، و سيكون نشاطه اجتماعياً و خيرياً حصراً ، و لن يكون هناك أي نشاط سياسي فيه ، كما أنه سيكون خاضعاً لإشرافي ، و هذا الأمر سينطبق على بقية الفروع الأخرى " . ابتسم الضابط و قال " حسناً يا سيد سام ، نتمنى لك التوفيق و لكن هناك بعض الملاحظات ، هي من باب الفضول لا أكثر " - " تفضل يا سيدي " . حدق الضابط بسام و قال "حسب ما أعرف ، فإن المعلم رالف كان معارضاً و بشدة لأن يكون لديك مؤسسة خاصة بك ، و ظل يرفض التوقيع لفترة طويلة ، على أوراق الترخيص ... فما الذي جعله فجأة هكذا و من دون مقدمات ، يوقع لك على إنشاء المؤسسة ، و هو معروف لدينا بأنه عنيد و صعب المراس ، و إذا اتخذ قراراً فمن النادر و الصعب جداً و تحت أي ضغط أو ظرف ، أن يغيره فكيف استطعت أن تغير له رأيه و تقنعه حيث فشل الكثيرون ؟؟؟ !! " . صمت سام قليلاً يفكر ، ثم قال " في الواقع ... لا أدري بالضبط يا سيدي ربما لأنه رأى ألا فائدة من ذلك ، أو لكوني كنت عضواً فعالاً في مؤسسته ، و قدمت له خدمات و معونات مالية كبيرة ... على كل حال ، هو أدري ، و بإمكانك سؤاله " . نظر الضابط إلى سام و قال مبتسماً " أنت تعرف أنني لن أسأله و على كل حال ، أتمنى لك التوفيق في مؤسستك الجديدة " . عاد سام إلى المكتب ، و هناك

استدعى المحامي جيم ... " أريدك يا جيم أن تباشر بإجراءات إنشاء فروع للمؤسسة في مقاطعات البلد كافة ، مع لخط إنشاء فرعين في الشمال " - " حاضر يا سيدي " - " هل يستغرق ذلك وقتاً طويلاً " - " ليس وقتاً طويلاً .. هناك إجراءات بسيطة في المجلس الأعلى للشؤون الدينية و الاجتماعية ، و في وزارة العدل أيضاً ، و هي تشكل نسبة عشرين بالمئة من عموم الإجراءات ، و الباقي إجراءات داخلية ضمن المؤسسة تقوم بها أنت " - " ما هي هذه الإجراءات ؟ " - " تحديد مباني للفروع ، و عدد الموظفين ، و المهام و المبالغ المرصودة .. و ما شابه " . فكر سام قليلاً ، ثم هز برأسه و قال " حسناً إذاً ... ستباشر من الآن ، و سوف أتصل مع الدكتور بروكلمان لنقرر كيفية سير الأمور " . عندما غادر المحامي جيم ، رفع سام الهاتف و اتصل مع الدكتور بروكلمان الذي حضر إلى المكتب و بدأ هو و سام نقاشاً و دراسة حول تشكيل فروع المؤسسة " بالنسبة للشمال يا دكتور ، فسيكون الفرع الأول في المدينة الشمالية ، و ستديره السيدة مديرة المدرسة ... أما الفرع الثاني ، فسيكون في البلدة عندنا ، كونها أكبر بلدات المنطقة هناك ، و سيكون تحت إشراف أستاذ الفلسفة .. بقي فرع العاصمة ، و فرع الجنوب ، فمن تقترح أن نضع عليها يا دكتور " . فكر الدكتور بروكلمان و هو يحك رأسه بقلم الرصاص الذي كان بيده ، و قال " بالنسبة لفرع العاصمة ، أقتراح المستر كوين ، فهو خبير بشؤون العاصمة ، و لديه دراية و خبرة في هذا المجال ، و بالنسبة لفرع المقاطعة الجنوبية ، أقتراح المستر إدوارد ، فهو رجل كفاء و نزيه ، و لديه خبرة لا بأس بها ، كما أن أصله من مقاطعة الجنوب ، و عاش فيها لفترة طويلة " . فكر سام قليلاً ثم هز برأسه موافقاً و قال "حسناً يا دكتور ، فليكن " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و سأله " و ماذا عن مقرات الفروع ؟ " .

أجاب سام " سنشتري طابقاً في أحد الأبنية التجارية التي في سوق المدينة الشمالية ، و سيكون مقراً لفرع مديرة المدرسة ، أما الأستاذ ، فسنبني له مقراً في البلدة .. و بالنسبة لفرع العاصمة ، فسيكون في مقر المؤسسة نفسها ، في الطابق الأرضي ، أما فرع الجنوب ، فسنشتري له مقراً في أحد الأبنية التجارية هناك

" . عاود الدكتور بروكلمان السؤال " و بالنسبة لحجم الفروع و نسبتها ، كيف ستكون ؟ " . أجاب سام "ستكون كلها بنسبة واحدة ، ما عدا فرع أستاذ الفلسفة ، سنزيد من حجمه و نسبته" و هنا قال الدكتور بروكلمان " لدي ملاحظة يا سام " - " ما هي يا دكتور ؟ " - " أقترح في البداية أن تكون نسبة فرع مديرة المدرسة أعلى من كل القوائم الأخرى ، على الأقل لفترة معينة ، حتى لا نهيج مؤسسة إلفا ضدنا ، و بخاصة و أنك قررت إنشاء فرع خاص لأستاذ الفلسفة ، و هذا ما سوف يثير حفيظتهم حتماً ... و بعد ذلك ، افعل ما تراه مناسباً " صمت سام قليلاً ، ثم أشار بإصبعه إلى الدكتور بروكلمان وقال " معك حق يا دكتور ... هذا كلام سليم ، و لكن بقي أيضاً موضوع آخر " - " ما هو يا سام ؟؟ " - " الرقابة يا دكتور يجب أن تخضع الفروع الأربعة كلها إلى رقابة شديدة و صارمة بالنسبة للنشاطات التي تقوم بها ، و بخاصة فرع أستاذ الفلسفة ... فأني نشاط سياسي ممنوع به مهما كان نوعه ، و سنقوم أنا و أنت بهذه المهمة سوياً .. و عندما تنتهي الإجراءات ، سندعو الجميع إلى هنا و نعطيهم التعليمات اللازمة " .

أطرق الدكتور بروكلمان إلى الأرض يفكر ، ثم رفع رأسه و قال "بالنسبة لأستاذ الفلسفة ، أنت تعرف أن علاقتي به متوترة قليلاً " . سأل سام باستغراب " لماذا يا دكتور ؟؟ !! " - " لا أدري يا سام .. أشعر أنه غير مرتاح بوجودي ، و لا يكن لي الود كثيراً .. و لذلك بالنسبة للتعليمات و التوجيهات ، أرجو أن تقوم أنت بها ، أما باقي الأمور ، فأنا مستعد للقيام بها" . لم يكذ الدكتور بروكلمان ينهي حديثه ، حتى رن جرس الهاتف الشخصي لسام الذي رفع السماعه و تكلم قليلاً ، ثم أقفل الخط . سأله الدكتور " من هذا يا سام ؟ " . أجاب سام و هو يفكر بقلق " إنه مدير مؤسسة إلفا ... يريد أن نتحدث قليلاً ، من المؤكد أنه سيتكلم بخصوص الفرعين في الشمال سنلتقي بعد ساعتين على العشاء في نادي العاصمة الدولي ، جهز نفسك ، ستذهب معي " .

كان نادي العاصمة الدولي من أفخم و أرقى النوادي في البلاد ، و أغلاها ، و لا يمنح عضويته إلا للقلّة المميزين من رجال الأعمال و المسؤولين و المشاهير العالميين . جلس سام على طاولة مدير إلفا الذي كان مع أحد معاونيه .. كان النقاش كله دائراً حول قضية إنشاء فرع لأستاذ الفلسفة نظر المدير إلى سام من خلف نظارته الطبية الذهبية ، و قال " نحن قلنا لك يا سام ، إننا سندعمك و نقف معك بكل طاقاتنا و إمكانياتنا ، ليس هذا فقط ، بل عرضنا حلاً مشتركاً يرضي الطرفين ، و رفض صديقك هذا المدعو أستاذ الفلسفة ، و هذا دليل واضح على معاداته لنا ، و أظن أنك تدرك هذا الأمر جيداً " . أطرق سام برأسه و هو يفكر ، ثم قال " إنني مدرك لذلك يا سيدي ، و أنت تعرف أنني أيدت حلّكم هذا ، و اعتبرته حلاً مناسباً يرضي الطرفين ، و هو فعلاً كذلك و لكن ماذا أفعل ، لقد تعرضت لضغوط كثيرة ، و أظنكم علمتم ماذا حصل في البلدة المشكلة يا سيدي أنه أحياناً يكون هناك أمور تفرض نفسها بنفسها و لا نستطيع تجاوزها ، و لا بد من أخذها بعين الاعتبار كواقع قائم لا يمكن تجاهله بالمناسبة يا سيدي ، إنني أرى أنكم متخوفون من هذا الأمر أكثر من اللازم ، ألا تظن انه مبالغ به قليلاً " . نظر المدير إلى سام و قال مبتسماً " لا يا سيد سام ، إنك لا تدرك خطورة الوضع ... هل تظن أنهم يريدون ذلك فقط للأموال الخيرية و الاجتماعية ؟ لا ، إنهم سيستغلون ذلك سياسياً ، و إلا لماذا رفضوا الانضمام إلينا " أجابه سام " صدقني يا سيدي إنهم مساكين ، و ليس لهم هذه التطلعات ... و على كل حال ، و درءاً لهذا الأمر ، و زيادة في اطمئنانكم ، فقد قررت حظر أي نشاط سياسي لكل الفروع ، و بالذات فرعهم هم ، و سيكونون تحت رقابة مشددة و دائمة ، ليس هذا فقط ، بل إن قائمتهم ستبقى كما هي ، على عكس قائمة مديرة المدرسة التي ستزداد ، و أظن أن هذا حل مناسب أيضاً للطرفين " . استمر النقاش و الكلام بين سام و مدير مؤسسة إلفا . كان حديث المدير ينصب كله على محاولة إقناع سام بالعدول عن قراره الأخير ، بينما كانت طريقة سام ، و بناء على مشورة الدكتور بروكلمان ، هي التمسك برأيه و إقناع مدير إلفا به

و التخفيف من خطره . بعد انتهاء العشاء ، صافح سام مدير إلفا الذي بدا عليه الانزعاج ، و قال له " تأكد يا سيدي أنني حريص كل الحرص على ألا ينالكم أي ضرر من جراء هذا الأمر ، ولولا هذا الضغط الشديد الذي تعرضت له ، لما حصل ذلك . أطرق مدير إلفا قليلاً ثم قال " لا بأس يا مستر سام ... فليأخذوا قطعة الحلوى تلك " .

عندما اكتملت إجراءات تجهيز جميع فروع المؤسسة . دعا سام رؤساء الفروع الأربعة .. مديرة المدرسة ، و أستاذ الفلسفة ، و المستر كوين ، و المستر ادوارد ، بحضور الدكتور بروكلمان و أعضاء هيئة المؤسسة و الحامي جيم . جلس رؤساء الفروع الأربعة في الديوان المقابل لطاولة سام . و في حين كان أستاذ الفلسفة سعيداً مسروراً مبتسماً ، كانت مديرة المدرسة التي تجاوزت الخامسة و السبعين بوجهها المجمع ، عابسة مقطبة الجبين . بدأ سام بالكلام ، معطياً تعليماته و توجيهاته للرؤساء الجدد " لقد استلتمم الآن إدارة فروعكم ، و يجب أن تعلموا أن هذه المؤسسة و الفروع لم تأت من عبث ، بل صرف عليها المال الكثير و المبالغ الطائلة ، و كلفت أبنية و تجهيزات كثيرة ، و تعب كثير ، و الهدف من هذا كله ، هو مساعدة الناس المحتاجين و توعيتهم و تثقيفهم اجتماعياً و روحياً ، و الهدف من افتتاح فروع لمؤسستنا هو الإتاحة لأكبر عدد ممكن من الفقراء و المحتاجين في البلاد ، الاستفادة منها ، و هذا المكان هو مسؤولة بالنسبة لكم ، و قد وضعتكم فيه لثقتي بكفاءتكم و همتكم في العمل ، لهذا فإن ما أريده منكم هو الإخلاص و التفاني في العمل و هناك موضوع آخر مهم جداً يجب أن تعرفوه جداً و هو أن النشاط السياسي محظور تماماً مهما كان نوعه و حجمه (قال سام هذه العبارة و هو ينظر إلى أستاذ الفلسفة) و سوف تقدمون كل شهر تقريراً مفصلاً عن نشاط فروعكم ، و سيكون الدكتور بروكلمان هو المشرف العام عليكم من بعدي ، في حال كنت مشغولاً " . عندما انتهى الاجتماع ، بدأ الجميع بالانصراف و التوجه

نحو القاعة الرئيسية التي سيقام فيها حفل افتتاح الفروع ، و هنا انفرد أستاذ الفلسفة بسام و قال له " أرجو منك يا سام ، أن تكون علاقتي معك أنت شخصياً ، و ليس مع الدكتور بروكلمان " . أجاب سام مستغرباً " و لكن يا أستاذ أنت تعرف أنه مستشاري و نائبي في المؤسسة هنا " . توسل الأستاذ قائلاً " أعرف هذا و لكن ... بصراحة .. لا أرتاح في التعامل معه " . هز سام برأسه و قال بضيق " إنه إنسان عاقل و مهذب ... و على كل حال ، لا بأس ... كما تريد " . نظر أستاذ الفلسفة مرة أخرى إلى سام و همس بنجل " بالنسبة إلى الفرع عندي لم تعطوني أية زيادة في العدد على عكس بقية الفروع الأخرى ، و بخاصة فرع المديرية " . أشار سام بيده مسرعاً و همس إلى الأستاذ قائلاً " حالياً سيبقى الوضع هكذا لأسباب تقنية ، و لكن مؤقتاً فقط ، و بعدها لكل حادث حديث .. و الآن هيا ، انضم إلى زملائك بسرعة ، سيبدأ الحفل بعد قليل " .

كان حفل الافتتاح بهيجاً ، و قد دعا سام إليه عدداً كبيراً من رجال الأعمال و الصحفيين ، و رجال الجمعيات الخيرية في الداخل و الخارج . لقد أراد دعاية كبيرة للفروع التي أنشأها . كان يتنقل بين الموائد مرحباً بالضيوف ، يلقي التحية على هذا . يصافح ذاك .. يتحدث مع الآخر قليلاً ، و فجأة سمع صوتاً يناديه .. كان أحد أصدقائه من رجال الأعمال ، دعاه إلى المائدة فذهب إليه ... هب الرجل مصافحاً " أرجو أن تتقبل أطيب التهاني يا سام ... و الأمنيات بالنجاح و التوفيق ، لهذه المؤسسة الاجتماعية الرائدة " أجاب سام ببشاشة و فرح " أشكرك يا صديقي ، و أتمنى أن تستمتعوا بوقتكم هنا " . أمسك الرجل بيده و قال " اجلس قليلاً معنا يا مستر سام ، سأعرفك على صديقي المستر شارل ... أظنك سمعت به من قبل ، إنه مدير المؤسسة الاستشارية الخاصة للخدمات التجارية " . أجاب سام مرحباً بالسيد شارل " نعم ، نعم ، لقد سمعت بها ، إنها مؤسسة عريقة .. تشرفنا يا سيدي " . أجاب السيد شارل و هو ينحني بأدب جم "

الشرف لي أنا يا مستر سام ، و يسعدني أن أكون بخدمتك دائماً ، أنا و مؤسستي " . نظر صديق سام إليه و قال " المؤسسة الاستشارية يا مستر سام ، مؤسسة هامة تقدم المشورات و الخبرات التجارية لكل الشركات التجارية ، ومعظم المشاريع الناجحة هنا ، كانت هي من أعد دراستها و قدمت مشورتها فيها" . هز سام رأسه بإعجاب و هو يصغي إلى صديقه . و هنا قال السيد شارل "هناك موضوع يا مستر سام ، أحب أن أتحدث فيه إليك " - " تفضل يا سيدي ، أنا بخدمتك " . تلفت السيد شارل من حوله و قال " أظن أن المكان و الوقت الآن ليسا مناسبين ، لكن ما رأيكم لو تفضلتم بزيارتي في المؤسسة ، أو أزوركم أنا " . أوما سام برأسه موافقاً و قال " كما تشاء يا سيدي ، و مكتبي مفتوح لك في أي وقت تريد" . فكر السيد شارل قليلاً ثم قال " إذاً يوم الثلاثاء القادم ، الساعة الثانية ظهراً ، بعد أن يكون موظفوك قد غادروا .. هل هو مناسب لك ؟ " . فوجئ سام بالكلام ، فكر قليلاً ثم قال " نعم إنه مناسب و الآن أترككم لتستمعوا بوقتكم سوف أطوف على بقية الموائد . عن إذنكم " . أخذ سام يطوف على الموائد و يلقي التحية على أصحابها و يتلقى التهئة منهم ، و بعد ذلك جلس على طاولة مدير مؤسسة إلفا و أعضاء إدارتها و تبادل الحديث معهم .

بعد انتهاء الحفل جلس سام و الدكتور بروكلمان وحدهما في المكتب . سأله الدكتور " كيف رأيت الحفل يا سام " . أجاب سام و هو يفرك يديه " أظن أنه كان حفلاً ناجحاً جداً و بكافة المقاييس " . قال الدكتور " غداً ستنشر عنه الصحف و كذلك التلفاز " . فكر سام قليلاً ثم سأل الدكتور بروكلمان " قل لي يا دكتور ما هي معلوماتك عن المؤسسة الاستشارية الخاصة ؟ " . مط الدكتور بروكلمان شفطيه و قال بيروود "حسب ما أعرف ، إنها مؤسسة تقدم المشورات التجارية و التقنية و حتى القانونية أحياناً ... و لها علاقات تعاون مع شركات مماثلة في الخارج " . نظر إليه سام و قال "لقد تعرفت اليوم على مديرها ، و

قال إن هناك موضوعاً يريد التحدث به معي" أجاب الدكتور بروكلمان بلا مبالاة " ربما يريد أن يعرض عليك خدماته ، و يطلب منك أن تكلفه بدراسة إحدى المشاريع أو الاستثمارات التي ستقوم بها ... إنهم يتقاضون أجوراً لا بأس بها " . سأل سام " و هل الدراسة التي يقومون بها تكون ناجحة ؟ " رد الدكتور باقتضاب " غالباً نعم " .

كان سام جالساً في المكتب وحيداً يراجع بعض الأوراق ، عندما دخلت السكرتيرة و أخبرته بوجود شخص يدعى المستر شارل . أشار لها سام بأن تدخله بعد دقيقة و أن تلغي كل الزيارات ، و عندما خرجت السكرتيرة ، أنهى سام الأوراق التي كانت بين يديه و وضعها في الدرج . بعد قليل طُرق الباب و دخل المستر شارل . نهض سام من خلف طاولته و رحب به ، ثم جلس الاثنان يتحدثان ، و بعد المجاملات و تبادل الأحاديث العامة ، قال السيد شارل " في الحقيقة يا مستر سام لقد جئت بخصوص الموضوع الذي حدثتكَ عنه في أثناء الحفل " - " تفضل يا سيدي " - " في الواقع قد جئت إلى هنا لأبحث معكم ، ما إذا كان هنالك إمكانية للتعاون بيننا " . أجاب سام " إنه من دواعي سروري .. و لقد توقعت ذلك ، و أنا أرحب بهذه الفكرة ، فأنتم حسب ما علمت مؤسسة رائدة في مجال الاستشارات و ربما في القريب العاجل أقوم ببعض الاستشارات و المشاريع ، و سوف أعرضها عليكم بالتأكيد " . ابتسم السيد شارل و قال بتهذيب شديد " لنا الشرف يا مستر سام أن نقوم بدراسة مشاريع مؤسستكم ، و هذا شيء يسرنا كثيراً .. (صمت السيد شارل قليلاً ، ثم قال) .. و لكن ليس هذا بالضبط ما جئت لأجله " . بدا الفضول على وجه سام ، فقال " إذاً ما هو الموضوع يا سيدي ؟؟؟!! " . حك السيد شارل رأسه و قال بشيء من الإحراج " سأدخل في صلب الموضوع مباشرة ... في الواقع يا مستر سام نحن معروفون لدى الناس أو العامة ، بأننا مؤسسة استشارية ، و بالرغم من أن هذا الأمر يدر علينا أرباحاً لا بأس بها ، فإنه

ليس عملنا الأساس ، بل هناك مجال آخر نقوم به ، و هو أيضاً في مجال الخدمات ، و لكنه لقلّة من الزبائن الكبار ، و هو يدر علينا أموالاً طائلة " . كان سام ينصت باهتمام كامل للسيد شارل الذي صمت قليلاً ثم تابع كلامه قائلاً " في الواقع يا مستر سام إن مجال عملنا الأساسي هو بيع المعلومات .. أية معلومات تُطلب منا .. و آية عملنا باختصار ، هي الحصول على معلومات معينة يطلبها الزبون و العميل منا ، و بيعها له ... أحياناً تكون موجودة لدينا سلفاً ، و أحياناً نسعى للحصول عليها ... و سعر المعلومة يتوقف على أهميتها ، و هي قد تكون عن شخص معين أو شركة تجارية أو صفقة معينة" . هز سام برأسه و قال " على كل حال يا مستر شارل ، لا مانع لدي أيضاً من أنه إذا احتجت لأية معلومة ، سأطلبها منكم " . أيضاً ابتسم السيد شارل مرة أخرى و قال بوقار " مع إن هذا من دواعي سرورنا يا مستر سام ، ويشرفنا ، إلا أنه أيضاً ليس هو الموضوع المقصود ، بل العكس تماماً " . بهت سام من كلام الرجل قال " أعذرني يا سيدي و لكنني لم أفهم بالضبط ماذا تريد !! " ، ابتسم السيد شارل و قال " الحق معك ... بصراحة يا مستر سام ، أننا نحن من يريد المعلومات منك ... و التعاون إذا تم ، سيكون على هذا الأساس " . هز سام برأسه علامة النفي و قال باستغراب " أيضاً لم أفهم يا سيدي !!!؟؟" . و هنا قال السيد شارل بجدية " بصراحة يا مستر سام ، فإن المعلومات التي لدينا عنك ، هي أنه يوجد لديك مصدر معلومات مهم جداً ، يتيح لك الحصول على المعلومات التي تريدها ، مهما كانت سرية .. و لكننا لا نعرف هذا المصدر أو الجهة أو الشخص الذي يزودك بهذه المعلومات ، و على كل حال ، هذا أمر خاص بك و ليس لنا أي حق بالتدخل فيه " صمت السيد شارل مرة أخرى ثم نظر إلى سام و قال له بهدوء و هو يحدق به " العرض الذي أقدمه لك ، هو أن نحصل نحن أيضاً من هذا الشخص أو الجهة ، و عن طريقك طبعاً على معلومات معينة نطلبها منك ، و ندفع لك ثمنها و بالمناسبة ، فإن أقل ثمن ندفعه هو مليون دولار ، أي أن المبلغ سيكون ابتداءً من مليون دولار فما فوق ، و قد يصل أحياناً إلى عشرة ملايين دولار أو أكثر ... و هذه

الأمر كلها ستكون بشكل سري ، أي لن يعرف الزبون مصدر المعلومات و لا كيفية الحصول عليها " .
عدل سام من جلسته و قد سال لعابه على ذكر المبالغ التي قالها السيد شارل ، نظر إليه باهتمام و قال " و
كيف سيتم الدفع" ، أجاب السيد شارك مبتسماً و هو يحدق بسام " فور الحصول على المعلومات ، سيتم
تحويل المبلغ إلى رقم حسابك في البنك ، و بحضورك إذا أردت " . فكر سام قليلاً ، ثم قال " و بالنسبة
لصحة المعلومات " . أشار السيد شارل إليه بإصبعه و قال له مجدية " هذه مسؤوليتك يا مستر سام ..
و أعتقد أن الثقة هي التي ستكون العامل المشترك بيننا و إذا أردت ، ممكن أن نبدأ الآن " . قال السيد
شارل ذلك ثم فتح حقيبة السمسونات التي معه و أخرج منها مغلفاً صغيراً و قال "لدي هنا ظرف فيه اسم
شخص و عمله و المعلومات المطلوبة عنه " . أدرك سام أنه تسرع قليلاً في الكلام لماذا يكشف أوراقه
للرجل ، إنه لم يتعرف عليه كثيراً ، فكر قليلاً ثم قال " على كل حال يا مستر شارل ، أريد أن آخذ وقتاً
للتفكير و بعد ذلك أرد عليك ... ثم لا تظن أنني على هذه الدرجة التي في ذهنك " خرج السيد شارل ،
و جلس سام خلف طاولته يفكر .. " لقد أصبح الآن أكثر من سبب لمقابلتك أيها الشيطان " .

في اليوم التالي انطلق سام بسيارته الجيب نحو الغابة ، أركن السيارة في المكان المعتاد و دخل يمشي بين
الأشجار ، و عندما وصل إلى المكان المحدد ، لم ير أحداً ، تلفت يمناً و يسرة .. إلى الأمام و إلى الخلف ، و
لكن لم يظهر أحد ، ظل هكذا فترة منتظراً ، و أيضاً .. لا أحد ، أخذ يتجول بالقرب من المكان و هو
يلتفت من حوله ، و لكن من دون جدوى ، فعاد أدراجه إلى السيارة و هو في غاية العجب و الدهول ، أدار
المحرك و انطلق عائداً إلى المنزل ، في الطريق فكر في نفسه قائلاً " عجيب ، لماذا لم يظهر يا ترى ؟؟!!
هل هناك سبب ما ؟؟!! سأنتظر يومين ثم أعود مرة أخرى" . بعد يومين أعاد سام الكرة من جديد ، و
أيضاً لم يظهر أحد كرر الأمر بعد فترة أيضاً ، و لم ير أحداً . في الفيلا جلس يفكر .. " لماذا لم يعد يظهر

؟ ... هل قرر إنهاء علاقته معي !!؟؟ هل قرر أن يبتعد بعد أن أنشأت فروعاً لمؤسستي ؟؟ .. هل هذا هو الهدف الذي كان يريد مني ، و عندما حققته ، ابتعد ؟؟ و لكن لماذا يفعل ذلك و هو الشيطان !!؟؟ أي نوع من الشياطين هذا ؟؟؟ و هل هو الشيطان حقاً ؟؟ هل ؟؟ " .
عادت الأسئلة تتوارد من جديد على سام ، و لم يجد لها جواباً .

مر حوالي شهر و نصف على الحادثة ... كان الوقت ظهيرة عندما انصرف الموظفون من الشركة ، و بقي سام و حيداً في المكتب يراجع بعض الأوراق ، و السكرتيرة بانتظاره أنهى مراجعة الأوراق ، و وضعها في الدرج ، ثم هم بالنهوض من كرسيه لمغادرة المكتب ، و لكنه لم يكذب يفعل ذلك ، حتى ظهر الشيطان أمامه . ارتدى سام على كرسيه مذهولاً و هو يحرق بالشيطان ثم قال بتلعثم و قد تملكته المفاجأة " أين كنت أيها الشيطان ... لقد ذهبت ... إليك أكثر من مرة إلى الغابة ... لماذا لم تظهر لي ؟؟؟ " . نظر إليه الشيطان بتمعن و قال بهدوء " لأنك كنت مراقباً يا عزيزي " . تتمم سام بذهول "مراقب ؟؟؟؟!!.... أنا ؟؟ .. ممن ؟؟؟ " . أجابه الشيطان ببرود "من أربع جهات يا صديقي ... مؤسسة إلفا ، و الأمن العام ، و سفارة الدولة التي يعمل لحسابها الدكتور بروكلمان ، و صديقك الجديد السيد شارل ، كل هذه الجهات الأربع كانت تراقبك يا سام و أنت لا تشعر بها " . حرك سام رأسه ببطء و هو يحرق بالفراغ بذهول و يصفر ثم قال " كل هذه الجهات ؟؟؟!!!!!! .. مستحيل .. كيف حتى السيد شارل !!!؟ حتى الدكتور بروكلمان !!! " . فقاطعه الشيطان قائلاً " الدكتور بروكلمان لا علاقة له ، إنه لا يعرف بالأمر " . أطرق سام إلى الأرض بصمت و ذهول ، ثم قال " كل هؤلاء كانوا يراقبونني " . قهقهه الشيطان و قال " نعم كل هؤلاء ، و ليس في الغابة فقط ، بل في الفيلا التي تسكن بها و النادي الذي تذهب إليه ، حتى في مكتبك هنا .. لقد زرعوا أجهزة تنصت في كل هذه الأماكن " ففر سام من كرسيه

كالمسوع ، خائفاً مضطرباً و قال بقلق شديد " هذا يعني أنهم يستمعون إلينا الآن هذا يعني أن أمري قد انكشف " . ابتسم الشيطان و قال مهدئاً " اطمئن يا سام و لا تخف إنه بمجرد دخولي إلى المكتب تتوقف جميع تلك الأجهزة عن العمل ، و لن تعود إلا بعد خروجي " . نظر سام حوله في أرجاء المكتب ، فلاحظ أن شاشات أجهزة الكمبيوتر الثلاث لديه ، مضطربة بعنف ، أشعل التلفاز و نظر إليه ، و لكن لم يكن هنالك بث ، كانت الشاشة سوداء تماماً و في منتصفها نقطة بيضاء . أشعل جهاز الراديو و أخذ يحرك الإبرة ، كان البث مقطوعاً أيضاً " . نظر إلى الشيطان و قال " و لكن كيف تمكنوا من فعل ذلك؟؟؟ " .

أجابه الشيطان بلا مبالاة " مؤسسة إلفا و وضعت جهازها عن طريق سكرتيرتك الجديدة التي دسوها لك لمراقبتك ، و في المنزل عن طريق احد الخدم ... الأمن العام و وضع الأجهزة عن طريق أحد العمال هنا ، و في الفيلا ، عن طريق مندوب لإحدى شركات المبيعات الذي و وضع الجهاز في الثريا الجديدة التي اشترتها زوجتك ، و سفارة الدولة التي يعمل لحسابها الدكتور بروكلمان ، عن طريق خبير اختصاصي مدرب تسلل ليلاً إلى مكتبك ... و مؤسسة صديقك الجديد شارل ، الاستشارية ، عن طريق أحد موظفيك ... كل هذه الأمور زائد مراقبة هواتفك " . اتكأ سام برأسه على يديه ، و بقي هكذا مصعوقاً مذهولاً لا يتكلم ، و عندما أفاق من دهشته ، قال " كل هذا يحصل ، و أنا لا أعلم !!!؟؟؟؟؟؟ " . صمت الشيطان قليلاً ثم قال " أظن الآن يا سام ، أنهم في مؤسسة إلفا قد أحسوا بتوقف الأجهزة ، و هم الآن يتصلون مع السكرتيرة الجديدة ليعلموها بذلك " . نظر سام إلى شاشة المقسم الإلكتروني أمامه ، كان خط السكرتيرة مشغولاً بالفعل . قال له الشيطان "إنهم الآن يطلبون منها الدخول إليك و التأكد من الوضع ، و سوف تدخل الآن " . ضغط سام على أحد الأزرار ، تحت الطاولة فأقفل باب مكتبه على الفور بواسطة قفل كهربائي موصول بالزرر بواسطة سلك . بعد قليل حاولت السكرتيرة فتح الباب ، فلم تفلح ، فأخذت تطرق على الباب . ضغط سام على زر الأنترفون و طلب من السكرتيرة الانتظار في الخارج . ثم خبط

بيديه على الطاولة و قال بغضب " سوف أدمرهم ... سوف أسحقهم سحقاً ... أين هي هذه الأجهزة أيها الشيطان " - " لا يا سام .. ما هكذا تحل الأمور ، إنك بهذه الطريقة ستنبههم ، و ستضطرهم إلى اللجوء إلى وسائل أخرى .. و لهذا ، دع الأمور كما هي .. دعهم يمشون في هذا الطريق " . صاح سام " و لكن لماذا يفعلون هذا ؟؟ " - " يريدون أن يعرفوا من يقف وراءك و من يدعمك و يوجهك " . نظر سام إلى الشيطان و قال " إذاً كيف سألتقي معك و أين ؟ " . أجاب الشيطان " في قبو الفيلا عندك ، إنه معزول و لا أحد يشك به ... و الآن سأغادر ، نلتقي اليوم هناك " قال الشيطان ذلك ، و اختفى من أمام سام ... لا حظ سام أن الأمور قد عادت جميعها إلى طبيعتها .. أجهزة الكمبيوتر و الراديو و التلفاز . ضغط على زر الكهرباء أمامه ، ففتح باب المكتب و دخلت السكرتيرة .. " ماذا هناك يا سيدي ، لقد كان الباب مقفلاً ؟؟ " . قالت السكرتيرة و هي تجول بعينها في أرجاء المكتب . " لا شيء ، لا شيء ... اذهبي الآن رافقتك السلامة " . عندما ذهبت السكرتيرة ، غادر سام بعد أن أقفل باب المكتب . طلب من السائق قيادة السيارة و جلس هو في المقعد الخلفي مهموماً حزيناً . أخذ ينظر إلى السائق و يقول في نفسه " ترى هل أنت عميل لجهة ما ؟ اللعنة ، كل مرة يتحفي فيها هذا الشيطان بمفاجأة جديدة ... كل مرة أفاجأ بصدمة جديدة ... اللعنة ، لا أدري ماذا يحصل معي ... هل أنا غيبي لهذه الدرجة ، أم أن المكر و الكذب و الخداع و النفاق ، هم سمة هذا الكون يبدو لي أن هذه الحياة أبواب متعددة ، كلما فتحت باباً ، ظهر لي مئة باب ... لقد صدقت يا بروكلمان ، الناس فعلاً صناديق مغلقة ، كلما فتحت صندوق ، ظهر لي صندوقاً آخر مغلق ، ليس هذا فقط ، بل الحياة نفسها ، إنها هي الأخرى صندوق مغلق ... ترى ما الذي سيأتي لي بعد ذلك ؟ ... لماذا الشيطان هو بالذات دائماً من يخبرني بكل هذه الأمور ؟؟ ... لماذا لا أكتشف أنا ذلك بنفسي ؟ .. و لكن كيف سأكتشف ذلك ، مستحيل ... لن أستطيع فعل ذلك ، و لا أي إنسان آخر إنه هو وحده من يفعل ذلك ... الشيطان وحده و إلا

لماذا يتهافت الجميع الآن عليه ، و بخاصة مؤسسة الاستشارات الخاصة ؟؟؟ " . كان سام شارداً يفكر بكل هذه الأمور ، و فجأة انتبه على صوت السائق " لقد وصلنا إلى المنزل يا سيدي " نزل سام من السيارة و مشى ببطء إلى الداخل و هو مطأطئ الرأس ، دخل إلى الصالون و ألقى بنفسه على الأريكة ، و شرد بنظره نحو السقف المزخرف بالمنحوتات الخشبية و الحجرية ، قطعت عليه زوجته سلسلة أفكاره " هل أمر الخدم أن يجهزوا الطعام " . نظر سام إليها و قال ببطء " لا يا عزيزتي ، لست جائعاً ، أحس أنني مرهق قليلاً ... اذهبي أنت و تمتعي بوقتك " . ذهبت الزوجة و عاد سام مرة أخرى ينظر إلى السقف و يتأمل الزخارف و النقوش التي تغطيه " أشعر و كأني حمار أشعر و كأني مخدوع سأدمرهم ... سأدمرهم جميعاً ، سألقنهم درساً لن ينسوه أبداً ، و بخاصة مؤسسة إلفا و هذا المدعو شارل ، إنه يراقبني قبل أن يتعرف علي ، من المؤكد أنه طلب التعارف و أتى لزيارتي ، بعد أن فشل في معرفة أي شيء عني و هذه الدولة التي يعمل لحسابها الدكتور بروكلمان ، لماذا تراقبني هي الأخرى ؟ .. إنني لا أعرف من هم بالضبط اللعنة ، هناك أناس يراقبونني ، و لا أعرف حتى من هم ثم كيف استطاع الرجل الذي أرسلوه أن يتخطى الحراس و يصل إلى مكثبي؟؟ يجب أن أعيد النظر بكل شيء سأغير الطاقم كله " . كان سام يفكر بكل هذه الأمور ، و هو يتأمل موزاييك الألوان و الزخارف المنحوتة في السقف و الجدران ، قال في نفسه " هذه هي الحياة ، إنها عبارة عن موزاييك متنافر من الأشخاص و العقول و المفاجآت " .

في المساء لبس سام الروب ديشانبر و نزل إلى قبو الفيلا ، كان تفكيره مشتتاً قليلاً ، جلس على أحد الكراسي و بعد قليل ظهر له الشيطان "أراك مهموماً يا سام؟" رد سام بكآبة " نعم إنني مهموم و أشعر بالضيق بعد كل هذا الذي أخبرتني به اليوم أتدري ، لم يعد لي ثقة بأحد ... و لا بأي أحد على

الإطلاق " . ابتسم الشيطان ابتسامة بانته أسنانه اللامعة ، و قال " حتى أنا ؟ " . ضحك سام بمرارة و قال " المشكلة أنك أنت الذي ينبهني على ما يحصل معي أنت الذي كشفت لي كل هذا الأفق أنت الذي غيرت لي كل حياتي و أوصلتني إلى ما أنا عليه ... للأسف إنني مدين لك بكل هذا " . نظر الشيطان إلى سام و قال " و لماذا للأسف؟؟ " . أجاب سام بكآبة " لأنك الشيطان " . نظر الشيطان إلى سام و قال له " هل أنت متأسف لهذا ؟ " . هز سام برأسه و قال " لا أعرف لم أعد أعرف شيئاً أحس و كأنني في حلم غريب ، أحياناً تمر بي لحظات ، لا أصدق ما يحصل معي أحس و كأن الدنيا حقل ألغام ، تمشي فيه بجزر شديد ... خطوة إلى الأمام خطوة إلى الخلف ، أخرى إلى اليمين و أخرى إلى الشمال ... تضع قدمك على الأرض بجزر و بطفء ، و أنت خائف مرتبك ، لا تدري ، أنتها لغم أم لا .. هل سينفجر بك أم لا لقد أصبحت الحياة بالنسبة إلي ، عبارة عن مفاجآت ، كلها مفاجآت لم أكن أتوقع أن أفاجئ بكل هؤلاء الأشخاص .. جاك و توم ، و ليزا ... و الدكتور بروكلمان ، و المعلم رالف حتى أنت أيها الشيطان ، لقد ظهرت في البداية كملاك بالنسبة لي ، و فجأة تخبرني أنك الشيطان حتى أنت يا بروتوس " . و هنا أطلق الشيطان ضحكة مدوية و قال " لقد أعجبتني هذه ... حقيقة أعجبتني " . أطرق سام برأسه إلى الأرض و قال " أحياناً أحس أن هذه الدنيا تمشي بالقلوب ، من تظن انه شريف و طاهر و مثال العفة و النزاهة تفاجأ أنه أتفه و أخس الناس ... و من تظن أنه مثال الشر و الأذى تفاجأ أنه يقف إلى جانبك و يطلب منك عمل الخير و الإحسان إلى الناس " - " هل تقصدني في هذه العبارة يا سام " . أجاب سام مجزم " نعم ، إنني أقصدك أنت ... و حتى الآن لم أجد تفسيراً لهذا السبب " . أجاب الشيطان " على كل حال ، هذا الأمر ممكن أن نبحث فيه لاحقاً بالمناسبة ، قل لي يا سام ، لماذا كنت تريد مقابلي في الغابة ، لقد ذهبت إلى هناك أكثر من مرة؟؟ " . نفذ سام رأسه بعنف محاولاً تجميع أفكاره المشتتة ، ثم قال " في الواقع هناك أمران كنت أريد إطلاعك

عليهما ... الأمر الأول هو إطلاعك على ما حصل معي بالنسبة لفروع المؤسسة الاجتماعية ، و الثاني هو موضوع السيد شارل نفسه ... كما تعرف ، لقد عرض علي التعاون مقابل مبالغ كبيرة من المال " . نظر الشيطان إلى سام و سأله بهدوء " و أنت ما رأيك ؟ " . أجاب سام على الفور " إنه عرض مغر ، و يجب ألا نفوته ، و لهذا ذهبت لمقابلتك في الغابة لأطلب منك المساعدة في هذا المجال ، و تسديني هذه الخدمة أيها الشيطان " - " آسف ... آسف يا سام ، لا أستطيع المساعدة في هذا المجال ... أعتذر " . قال سام بدهشة و إحباط " و لكن لماذا أيها الشيطان ... هذا الأمر سيدر علي الأموال الطائلة ، و لن يضرك في شيء " . نظر الشيطان إلى سام و قال له " و لكنك تملك الأموال الطائلة يا سام ؟؟ " . أجاب سام " لا يضر أن يضاف إليها أموال جديدة ما المانع " - " المانع أنني لا أريد ذلك " . توسل سام قائلاً " أرجوك أيها الشيطان ، إنها فرصة لن تفوت أبداً ، هل تعلم ماذا يعني أن أقبض عشرة ملايين دولار عن كل معلومة ؟؟ ... أسدني هذه الخدمة و سأكون ممتناً لك طوال حياتي " . هز الشيطان برأسه و قال بهدوء و اقتضاب " آسف يا سام " . صاح سام بألم " و لكن لماذا ؟ ... ما هو السبب " - " لأنه لا مصلحة لي بذلك ، ثم ألا تعرف أن هذا الأمر سيضر بأناس و أشخاص كثيرين " ، فقال سام باستهجان " و لماذا أنت مهتم بضرر الناس إلى هذا الحد ، إنني أستغرب منك ذلك " . أجاب الشيطان و قد تمالك نفسه "إنني لا أعمل هكذا ، شيئاً عبثاً و من دون أن يكون لي فيه هدف ... و لا أقوم بفعل أي شيء إذا لم يكن لي فيه مصلحة حقيقية و هذا الذي تطلبه مني ، لا مصلحة لي فيه ، و لا فائدة " . فقال سام بتذمر إنك دائماً تفرض علي أموراً لا أريدها ، و تحرمني من أمور أشتهيها و أرغب فيها " . رد عليه الشيطان مقاطعاً " كل ما تشتهي ، تفعله يا سام ، ليس هناك شيء يخطر على بالك ، إلا و تفعله ، و بالمناسبة هذا الأمر سأناقشه معك الآن لقد تجاوزت تصرفاتك الحدود يا سام ، و كنت في المرة الماضية قد نبهتك إلى ضرورة إيقافها ، و لكنك لم تفعل شيئاً بهذا الصدد ، بل على العكس ، دخلت فيما هو أسوأ من ذلك " . سأل

سام باستهجان " عما تتكلم أيها الشيطان؟ ". أجاب الشيطان و هو يحدق بسام " عن المخدرات هل أصبحت تتعاطى المخدرات يا سام ؟ " . ارتبك سام قليلاً و قال بتلعثم " في الواقع أنت تعرف أنا منذ فترة أتناول حبوباً مهدئة و بانتظام و لكنها في الآونة الأخيرة .. خف مفعولها قليلاً ... و لذلك من حين لآخر ، آخذ بعض الجرعات الخفيفة ... إنها تريحني قليلاً " . صاح الشيطان بغضب "هل تريد أن تهدم كل ما بنيته يا سام ؟ ... هل بعد أن قطعنا شوطاً كبيراً نحو ما نريد تحقيقه ... تأتي الآن لتخرب و تهدم كل ما أنجز " . رد سام بارتباك واضح " و لكن أنت تعلم أنه لا أحد يعرف بذلك " . رد الشيطان و لأول مرة بشيء من الغضب " لقد سئمت هذه العبارة الغبية الكئيبة منك " - " أرجوك أيها الشيطان " - " لا داعي للرجاء يا سام ، يجب عليك التراجع فوراً عن كل هذه الأمور " . اتكأ سام برأسه على يديه و قال " أخشى أن ذلك صعب صعب " . صاح الشيطان " ما معنى ذلك " . أجاب سام بيروود و لا مبالاة " لقد أصبحت هذه الأمور في دمي ... و لا أستطيع الحياة من دونها " . تأمل الشيطان قليلاً بسام ثم قال له " ماذا تريد يا سام لقد حصلت على كل ما تريد ... كنت تريد المال ، فحصلت عليه هناك بعض الذين أزعجوك و ضايقوك ، فأزحتهم لك عن الطريق ، و لكنك تريد أن تحل محلي الآن و تمارس هواية الإزاحة و التدمير ... لقد اتفقت معك منذ البداية يا سام ، و لا أريدك أن تخلف بوعدك لي ؟ " . أجاب سام بصوت خافت و قد أطرق برأسه إلى الأرض "أخشى أنني لا أستطيع " . صاح الشيطان بصوت مدوي " هل تعصي أوامري يا سام ؟ " . رد سام بضيق " إنني لا أفهم لماذا تطلب مني الامتناع عن هذه الأفعال كلها " - " لقد شرحت لك من قبل ... هذه الأفعال تشوه صورتك أمام الناس ، و أنا لا أريد أن تشوه صورتك أمام الناس ، أريد للناس أن يعرفوا أن سام هذا .. هو مثال الأدب و الأخلاق و المبادئ الصالحة ، و هم يعرفونك كذلك منذ الصغر و حتى الآن ، و تصرفاتك هذه إذا علم بها الناس ، سيزول من أذهانهم هذا الانطباع على الفور ... هل فهمت أم أعيدها عليك مرة

أخرى؟" . صاح سام " و لكن لماذا لا توافق على مساعدتي في موضوع السيد شارل" . تمالك الشيطان نفسه مرة أخرى و قال "اسمع أيها الفتى الغر ... أولاً هذا الأمر يضرك على المدى البعيد ، و ثانياً سيؤدي إلى أخطاء كثيرة ، فهذه الملايين العشرة التي ستقبضها ، ستسبب في حدوث تدمير و خسائر لجهات معينة بمئات الملايين ، و أنا ليس من طبعي كما قلت لك ، أن أقوم بأشياء ليس لها مبرر أو دافع قوي عندي ... و ثالثاً و هو الأهم ، إن هذا الأمر سيفتح علينا أنا و أنت ، أبواباً و عيون كثيرة ، ربما قد لا نستطيع التحكم بها فيما بعد ، و تؤدي إلى انكشاف أمري و أمرك ، و بالتالي فشل كل ما أقوم به من الأساس ... و هذه آخر مرة أشرح لك فيها هذا الأمر " . كان سام يشعر بالتعب فقال " لا أدري ماذا أقول الآن " . أجابه الشيطان بصوت قاطع جازم " لا داعي لأن تقول ... المهم أن تنفذ " - "على كل حال أيها الشيطان ، وضعي الآن لا يسمح لي بالمناقشة ، أرجو منك أن نؤجل هذا النقاش إلى يوم آخر ، لأنني في الحقيقة ، فعلاً متعب " . رد الشيطان بصوت جامد " حسناً يا سام ، كما تشاء ... فليكن ، سأؤجل الأمر لأسبوع ، هل هذا مناسب لك " أو ما سام برأسه و قال بتعب " نعم إنه مناسب ، و لكن أريد منك أمراً آخر .. أريد أن تدلني على جهاز التنصت الذي وضعته مؤسسة إلفا و السيد شارل " - " ماذا ستفعل بها ؟ " - " سأنتزعها و سأطرد جميع العاملين معهم ، أظن أن هذا من حقي " - " حسناً يا سام ، كما تشاء ، هذا من حقلك " .

في صباح اليوم التالي ، و بعد أن أنهى سام توقيع البريد ، استدعى سكرتيرته ، و بعد قليل دخلت السكرتيرة و هي تبسم ابتسامة عريضة و قالت " هل سنذهب اليوم إلى الشقة ؟ " . نظر إليها سام و ابتسم ابتسامة عريضة ، بانث منها أسنانه البيضاء اللامعة و قال لها " بل ستذهبين أنت يا عزيزتي " . قالت السكرتيرة و هي تقوم بحركات إغراء " و لكن إلى أين سأذهب ، يا سام" - " إلى منزلك يا حلوتي " - " لم أفهم يا

حببي؟؟؟ " . نهض سام من وراء الطاولة و أسنانه البيضاء لا تزال تلمع خلف ابتسامته العريضة .. اقترب منها ، و حدق بها ، و فجأة انهال عليها بالضرب و اللكمات .. " أيتها الساقطة ، أيتها الحقيرة أيتها العاهرة .. أيتها السافلة " . سقطت السكرتيرة على الأرض و هي تصرخ ، فأخذ سام يركلها بقدميه ، ثم مد يده إلى الأقرط الماسية المعلقة في أذنيها و سحبها بقوة ، و مد يده إلى العقد الماسي و انتزعه من رقبتها قاطعاً إياه بعنف ، و كذلك فعل بالأساور الذهبية . ثم أمسكها من يدها بعنف و فتح باب المكتب و قذف بها إلى الخارج قائلاً " إياك أن تعودى إلى هنا أيتها الساقطة التافهة " . كان الموظفون قد خرجوا كلهم من مكاتبهم على صوت الصراخ و تجمعوا في الصالة يتفرجون . هرولت السكرتيرة إلى الخارج و هي في حالة يرثى لها . عدل سام من ياقته ثم نظر إلى أحد الموظفين الصغيرات و صرخ " دينا تعالي إلى هنا و استلمي مكان هذه الكلبة ... هيا " أسرع الفتاة و هي خائفة و جلست خف الطاولة نظر سام إلى الموظفين و قال " هذا هو جزاء الخيانة " . ثم صفق بيديه و قال " و الآن يا أحبتي ، لقد انتهى درس اليوم ، فليعد كل منكم إلى عمله " . أسرع الموظفون بالعودة إلى مكاتبهم ، أما سام فقد عاد إلى مكتبه ، و رفع الهاتف و اتصل مع السيد شارل ، طالباً منه الحضور لأمر هام ، ثم أخرج جهاز التنصت التابع لمؤسسة إلفا و حطمه .. خطر له أن يتكلم مع مديرها و لكنه عدل عن الفكرة . بعد حوالي ساعة دخلت السكرتيرة الجديدة و أعلمته أن السيد شارل ينتظر في الخارج . أشار لها سام بيده قائلاً " حسناً دعيه يدخل يا حلوتي " . دخل السيد شارل و سلم على سام " مرحباً مستر سام ... أتوقع أن أسمع منك أخباراً سارة " . صافح سام السيد شارل بابتسامة عريضة و أسنان لامعة و قال " طبعاً ، طبعاً في الواقع يا عزيزي ، يؤسفني أن أقول لك ، إن طلبك مرفوض " . بهت السيد شارل من الكلام و قال " لماذا يا مستر سام؟؟؟ .. هل هناك إشكال ما؟؟؟ " . أشعل سام سيجاره الضخم و وضع رجلاً فوق رجل ، ثم حك رأسه و قال " لقد قلت لي يا مستر شارل في اللقاء السابق ، إن الثقة هي القاسم المشترك بيننا " . صاح السيد شارل " طبعاً ،

طبعاً يا مستر سام ، هذا شيء أكيد " . أخذ سام حجة من سيجاره و نفث الدخان بوجه السيد شارل و قال " عظيم ... إذاً إليك عربون الثقة المشتركة بيننا " قال سام ذلك ، و أخرج من جيبه جهاز التنصت و قدمه للسيد شارل مع ابتسامة عريضة " تفضل يا سيدي ، هذا هو عربون الثقة بيننا" تجمد السيد شارل في مكانه من دون حراك ، كان متفاجئاً تماماً ... ضغط سام جرساً تحت طاولته ، فدخل أحد الحرس نظر إليه و قال " أدخلوا لي ذلك الموظف الخائن " ، بعد قليل فتح الحرس الباب و أدخلوا رجلاً شبه فاقداً للوعي و الدماء تملئ وجهه و جسده من الضرب . نظر سام إلى الحرس و قال ببرود " أرموه خارج الشركة ليصطحبه المستر شارل معه " . ثم نظر إلى السيد شارل و قال له بهدوء و هو ينفث دخان سيجاره في وجهه مرة أخرى " و الآن يا سيدي ، انتهت الزيارة " نهض السيد شارل من مكانه و هو مضطرب قليلاً ثم ذهب ، و ما إن وصل إلى الباب ، حتى ناداه سام قائلاً " مسيو شارل ... أرجو ألا يتكرر هذا الأمر مرة أخرى ، و إلا فإنني بمعلومة بسيطة ، سأدمرك أنت و شركة معلوماتك تلك " . خرج السيد شارل و جلس سام يفكر " اللعنة ... كانت فرصة لا تعوض ... و لكنك أنت من أجبرتني على رفضها أيها الشيطان .. على كل حال ، سوف أضع حداً لكل هذا ، سوف أنهي علاقتي معك ، و يذهب كل منا في طريقه " .

بعد أسبوع و عندما حان موعد اللقاء مع الشيطان في قبو الفيلا ، لم يذهب سام ، و تجاهل الأمر تماماً و استمر في عمله و حياته بشكل طبيعي . مر أسبوع ، و أسبوع آخر ، و شهر ، و لم يذهب سام للقاء الشيطان ، و في أحد الأيام ، و بعد أن ذهب الموظفون من الشركة ، و بينما كان سام يستعد للمغادرة ، ظهر له الشيطان بشكل زوبعة كبيرة ، كان بادياً على وجهه الغضب ، نظر إلى سام و قال بنبرة حادة " لماذا لم تأت في الموعد المحدد يا سام؟؟ " . تمالك سام نفسه هذه المرة و قال "بصراحة أيها الشيطان ، إنني لا أريد

أن أستمر معك .. لا أريد أن أستمر في هذا الأمر أريد أن أعيش حياتي كما يحلو لي " . نظر إليه الشيطان شزراً و قال باستهزاء " كما يحلو لك؟؟ " . أجاب سام بصلاية " نعم ، كما يحلو لي .. و أنا حر ... و أنت بعد الآن لا علاقة لك بي ، إنني لا أسمح أن يحدد لي أحد تصرفاتي و علاقاتي مع الناس " . أجابه الشيطان بهدوء " لا يا سام ، أنت لست حرّاً" صاح سام " بل أنا حر .. ثم بأي حق تتدخل أنت الشيطان في شؤني " . قال الشيطان بابتسامة " الآن يا سام ... الآن أصبحت أنا الشيطان ، أتدخل في شؤونك .. يبدو أنك نسيت نفسك ، و أصبحت لا تدري ما تقول ، يبدو أن المخدرات و الكحول و النساء قد أثروا على تفكيرك " . انفجر سام غاضباً و قال " إنني لا أسمح لك .. ثم من أنت حتى تعيرني ... أنت أسوأ مني .. أنت تمثل الشر كله ، فبأي وجه حق تحاسبني؟؟ هل تظن أنني لا أفهم في الدين شيئاً ، هل تظن أنني رجل غير صالح ... لقد خالفت الله بسببي أنا ابن آدم عندما امتنعت عن السجود لي " . نظر الشيطان إلى سام بوجه جامد و قال له ببرود شديد " أولاً أنت إنسان جاهل و غبي و أحمق .. و لا تفقه شيئاً .. ثانياً ، إنه من دواعي سروري و افتخاري أنني لم أسجد لك " . و هنا ضحك سام و قال " و ماذا كانت النتيجة ؟ .. لقد جعلتك تدفع الثمن غالياً ، لقد تسببت في طردك إلى الخارج .. ما رأيك بذلك ، ألسنت ذكياً " نظر إليه الشيطان متأملاً ، ثم ابتسم و قال " و ماذا فعلت أنا بك بعد ذلك لقد جعلتك تدفع الثمن أضعافاً مضاعفة ، و تسببت في طردك من الجنة التي كنت تصطاف و تستجم بها .. ما رأيك بهذا الخازوق ؟ .. أليس رائعاً ؟ .. لم أشأ أن أعادر قبل أن آخذك معي ... كما تعرف ، أنت عزيز على قلبي جداً " . صمت سام قليلاً ثم قال بضيق " لماذا لا تدعني و شأني ؟ ... ماذا تريد مني ؟ .. أريد أن تدعني و شأني ، و يذهب كل منا في سبيله " . قال الشيطان بهدوء "هكذا .. و بهذه السهولة ؟" – " نعم هكذا بهذه السهولة " . فكر الشيطان قليلاً و قال "حسناً يا سام كما تشاء .. سأدعك و شأنك ، و لكن عليك أن تعود كما كنت في السابق ، قبل ظهوري لك في المصنع ...

فقيراً معدماً مشرداً ضائعاً تائهاً محبطاً ... تعود إلى ذلك الحارس الليلي المسكين الذي اسمه سام ، الذي يفكر كيف سيساعد والده و يسدد قرض البنك " . قال الشيطان ذلك ، ثم مد يده في الهواء و رسم بإصبعه مستطيلاً كبيراً و أشار إليه ، فأضاء و أخذ شكل شاشة سينمائية ، ثم لم تلبث أن ظهرت فيها صورة سام و هو في معمل البلدة يجرس في البرد القارس ... بدا عليه الهزال و التعب و الإعياء .. وجه شاحب كالخ و ثياب و سخة مهترئة ، و الريح تصفر من حوله ، بينما تكور هو في زاوية الحائط و أخذ ينفخ يديه من البرد . صاح الشيطان قائلاً " انظر يا سام ، هذا أنت يوم ظهرت لك أول مرة في المعمل .. تمنع بها جيداً ... انظر إلى نفسك يا سام " . نظر سام إلى الشاشة المضيئة أمامه و المعلقة في الهواء ، و بلحظة واحدة عادت إليه كل أيامه السوداء ، فأشاح بنظره على الفور عن الشاشة المضيئة و قد سرت في جسده قشعريرة فظيعة و برودة قوية دخلت إلى عظامه . جلس على الكرسي و انحنى برأسه صامتاً من دون كلام . و بعد قليل أتاه صوت الشيطان " اسمع يا سام ... إنني قادر و خلال شهر واحد على أن أعيدك كما كنت .. حارساً ليلياً في معمل البلدة ، و هذا حقي .. لأن هذا المال أنا من أعطاك إياه و هذا الغنى و الجاه الذي أنت فيه ، أنا من أوصلك إليه .. لقد كنت صريحاً معك منذ البداية و لم أخدعك ، و وقفت إلى جانبك في كل محنك و عرضت عليك شروطي و أظن أنها ليست صعبة أو محرجة ، و أنت قبلت بها من دون إكراه ، و على هذا الأساس اتفقنا ... فإذا أردت أن تفسخ العقد الذي بيننا ، فلا مانع لدي .. و لنعد إلى الوضع الذي بدأنا منه أنا و أنت ... تعيد إلي كل ما أخذته مني ، و نفترق .. و هذه الفترة التي عشتها أنت في هذا النعيم ، اعتبرها بمثابة عربون صداقة و هدية متواضعة و ذكري جميلة ... لقد تحملتك يا سام طويلاً ، و سايرتك كثيراً .. و لكن إلى هنا و كفى " . بقي سام جامداً في مقعده لا ينبس بشفة ، و عيناه مسمرتان على الأرض . جاءه صوت الشيطان من جديد " ها ... ماذا قلت يا سام " . بقي سام صامتاً لا يتكلم ، فقال له الشيطان و قد أصبحت لهجته أرق من السابق " يبدو أنك متعب يا سام ... على كل حال

، لا بأس .. سأتركك الآن و أعطيك مهلة أسبوع و احد لتفكر ، و بعدها وافني إلى مكان لقائنا المعتاد ، و لكن هذه المرة لا تتأخر علي كما فعلت إلى اللقاء " . قال الشيطان ذلك و اختفى من أمام سام ... بقي سام في وضعه كما هو ، بعد قليل طرقت السكرتيرة الباب و دخلت ... " هل ستبقى هنا يا سيدي ؟ " . رفع سام يده ببطء ، و من دون أن يتكلم أو ينظر إليها ، أشار لها بالانصراف . ذهبت السكرتيرة و بقي سام وحده في الشركة . بعد قليل نهض من مكانه ببطء شديد ، فتح باب مكتبه و خرج لم يكن أحد في مبنى الشرطة باستثناء الحرس في الطابق الأرضي .. أخذ سام يتمشى في ممرات الشركة الفارغة و ينظر إلى غرف الموظفين .. أجهزة الكمبيوتر و الفاكس و الهواتف و المصنفات و الطاومات و الأرضية و الجدران و السقف . نزل إلى الطبق الثاني ثم الأرضي و هو يتأمل غرف و أقسام مبنى الشركة الضخم . وصل إلى الباب المؤدي إلى الخارج ، ففتح تلقائياً ، خرج إلى باحة المبنى و نظر إلى سيارته الليموزين الفخمة و الحرس الواقفين بانتظاره صعد إلى السيارة و طلب من السائق الذهاب إلى مقر المؤسسة الاجتماعية . انطلقت السيارة و خلفها سيارة حراسة أخذ سام ينظر إلى مبنى شركته الضخم و وسط السوق التجاري ، و بعد قليل وصلت السيارة إلى مقر مؤسسة سام الاجتماعية ، فتح النافذة و أخذ يتأمل المبنى قليلاً ، ثم اتكأ إلى الوراء و قال للسائق " اذهب إلى الفيلا " . ضغط السائق على دواسة البنزين ، فانطلقت السيارة نحو الفيلا التي وصلتها بعد قليل . ضرب السائق زمور السيارة ففتح الحارس الباب الحديدي للسور الخارجي للفيلا . أخذ سام يتأمل الزخارف الذهبية التي تملأ الباب و السور ، دلفت السيارة إلى داخل السور المزخرف بالنقوش الحجرية و وراءها سيارة الحرس ، بينما كان سام يتأمل الحديقة الكبيرة و المسبح ، و ملعب التنس الصغير . وقفت الليموزين السوداء أمام بوابة الفيلا الداخلية ، فنزل سام منها و أخذ يتأمل الفيلا الفخمة الجميلة التي نفذتها له شركة هندسية سويسرية ، دخل إلى الفيلا و قف في الصالون الرئيسي و أخذ يتأمل أعمدة الممر و الزخارف و النقوش الذهبية و الخدم بلباسهم الشبيه

بلباس الهنود و هم يقومون بأعمالهم .. و فجأة أحس و كأن كل هذه الأشياء بدأت تختفي من أمامه .. الخدم .. أثاث الفيلا .. أعمدتها .. الفيلا نفسها .. الحديقة .. المسبح .. السيارات .. الحرس .. الشركة .. الموظفين .. المؤسسة الخيرية ... كل هذه الأشياء بدأت تختفي من أمامه ، ثم تراءى له أنه قد أصبح وحيداً في صحراء خالية مقفرة انتفض في مكانه بسرعة و هز رأسه بعنف ، فعادت صورة الفيلا و الحديقة و الخدم تظهر أمامه من جديد . دخل إلى غرفة مكتبه الخاص في الفيلا و أقفل الباب وراه ، ثم أزاح إحدى الصور المعلقة في الجدار ، فظهرت له خزانة فولاذية مصفحة ، مد يده ببطء شديد و أخرج مفتاحاً خاصاً غريب الشكل ، وضعه في الخزانة و أداره ، فانكشف جزء صغير من الباب عن علبة أزرار رقمية .. ضغط سام الأزرار على رقم معين ، ثم حرك قرصاً صغيراً على وضعية معينة ، ففتح باب الخزانة .. مد يده و أخرج جهاز كمبيوتر بحجم الكتاب ... شغل الجهاز و ضغط على أزرار معينة، أوصلته إلى بنوك في جنيف و أمريكا ، ضرب رقماً سرياً خاصاً به ، فطلب منه كمبيوتر البنك إدخال الشيفرة الثانية ، و عندما فعل " طلبت منه أجهزة البنوك التكلم بعبارة متفق عليها لتمييز نبرة صوته ، فتكلم سام بكلمة سر معينة ، و فجأة تغيرت شاشة الكمبيوتر و أخذت شكلاً آخر ، و بدأت تعرض له أرصدته في تلك البنوك ، و الودائع الموجودة فيها مع صوت من جهاز الكمبيوتر يسأله إذا كان يريد القيام بعملية معينة . أخذ سام ينظر إلى الأرقام التي تظهر أمامه و التي تعبر عن مئات الملايين من الدولارات ، و فجأة تراءى له أن الرصيد هو صفر ، و أن هناك صوتاً يقول له أن لا رصيد لديه ... انتفض مرة أخرى و هز رأسه بعنف ، ثم نظر إلى الأرقام التي عادت إلى وضعها السابق . أغلق سام الجهاز و أعاده إلى الخزانة مجدداً .. أقفل الباب و خرج إلى الصالون ، و نادى رئيس الخدم و طلب منه ألا يعطي أية مواعيد لأي إنسان ، كذلك اتصل مع مدير أعماله في الشركة و أخبره أنه سيتغيب عن الشركة لمدة أسبوع و طلب منه نفس ما طلب من رئيس الخدم . لقد قرر أن يقضي أسبوعه هذا في منزله و يفكر بوضعه كله . كان في

داخله صراع رهيب عنيف ، إلى جانب هذا الصراع ، كان هنالك حيرة ، و إلى جانب الحيرة ، كان هناك فراغ ... الصراع كان بين فكرة التخلي عن هذه الثروة الطائلة و الأملاك و الشركات و المؤسسات التي يملكها ، و هذا العز و الجاه الذي وصل إليه ، و بين التخلي عن شهواته و تنفيذ أوامر الشيطان الدقيقة و الصارمة .. كان مجرد التفكير بالتخلي عن أمواله و ممتلكاته و العودة إلى الوضع الذي كان عليه ، يمثل بالنسبة إليه رعباً حقيقياً .. كلما حاول أن يفكر و يتذكر كيف كان وضعه قبل ظهور الشيطان له ، يهرب بتفكيره و يتراجع خائفاً مذعوراً .. لم يستطع أن يعود بتفكيره إلى تلك الأيام السوداء . أما الحيرة ، فقد كانت من هذا الشيطان نفسه و ما يطلبه منه . مضى الأسبوع تقريباً و سام يفكر بوضعه .. لم يستطع أن يتوصل إلى شيء أو إلى نتيجة محددة ، و لكن كان لديه قناعة شبه تامة أنه لا يستطيع التخلي عن أمواله و أملاكه .. توصل إلى أن هذا الأمر مستبعد لديه ، و لكنه في الوقت نفسه ، كان لديه شعور بالخوف و القلق من الاستمرار بالعلاقة مع الشيطان .. كان هناك إحساس قوي قد بدأ ينمو لديه بأن الشيطان هو مصدر الشر للبشر و يجب الابتعاد عنه .. هذا الموضوع كان يفرض نفسه عليه و لم يستطع التهرب منه . بقي يوم على موعد اللقاء مع الشيطان أخيراً توصل إلى قرار إنه في الأحوال كافة يجب ألا يستمر مع الشيطان قبل أن يعرف ما الذي يريد منه بالضبط و لماذا .

في الموعد المحدد نزل سام إلى القبو السفلي في الفيلا .. لقد قرر أن يلعب لعبته الأخيرة مع الشيطان كان قد استعاد قليلاً من صفاء ذهنه و قرر أن يناور بين مسألة ما يريد هو لنفسه ، و ما يريد الشيطان . عندما وصل إلى القبو ظهر له الشيطان مبتسماً .. " ها يا سام ، أراك اليوم أفضل من المرة الماضية .. هل فكرت جيداً فيما قلته لك ؟ " . أجاب سام باقتضاب "نعم أيها الشيطان " - " جيد .. و ماذا قررت ؟؟ " . فكر سام قليلاً ثم رفع نظره إلى الشيطان و قال و قد استجمع قواه الذهنية " اسمع أيها الشيطان ...

صحيح أنك أوصلتني إلى ما أنا عليه الآن ، و صحيح أنه كان هناك اتفاق سابق بيننا ، و لكن هناك أمور لم نتفق عليها " . سأله الشيطان و هو يحدق به " مثل ماذا ؟ " . و هنا لعب سام ورقته الأخيرة بشجاعة ، فحدق هو الآخر بالشيطان و قال " الثقة بصراحة أنا من حقي أن أعرف ماذا تريد مني بالضبط هل أنت تريد لي الخير فعلاً؟؟.... أظن أنه حان الوقت لتكلمم بصراحة و جدية ، طالما أن الأمور قد وصلت إلى هذا الموصول " . تحفز الشيطان باهتمام و قد أدرك أن الوضع حساس جداً ، ثم قال لسام " إنني مصغ إليك يا سام ... تكلم " . أخذ سام يعيد ترتيب أوراقه بهدوء و قد أدرك أن هذه هي معركته الأخيرة ، فكر لبعض الوقت ثم قال " أنت تعرف أيها الشيطان ، انك بالنسبة إلينا نحن البشر مصدر الشر و الخطر و الغواية .. و أنك لا تريد لنا الخير ، و أنت السبب في خروج آباءنا من الفردوس و لا يوجد أحد من بني البشر تقريباً إلا و يعرف هذا الأمر ... و أنت نفسك صرحت لي بذلك منذ أسبوع ثم تأتي إلي و تطلب مني عمل الخير .. ألا ترى أنه أمر يثير الشبهة و الاستغراب و الشكوك ... و لهذا ، و بناء على ما تقدم ، فإنني لن أقدم على أي خطوة معك ، قبل أن أعرف إلى أين أنا ذاهب ، و ما هي الغاية من ذلك ... و لا داعي لأن ترسم لي مستطيلاً أو مثلثاً في الهواء لتريني كيف كنت لأنني أفضل العودة إلى ما كنت عليه ، إذا لم أعرف ماذا تريد مني بالضبط و لماذا " . كانت هذه ورقة سام الأخيرة التي بيده ليلعبها . أخذ الشيطان يتأمل بهدوء و روية ، صمت قليلاً و كأنه يفكر ، ثم قال " في هذه النقطة ، أنت محق يا سام .. من حقا أن تتساءل و تستوضح عن أي أمر تريده ... أنا منطقي ، و أتعامل مع الواقع بجدية ، فاسأل ما تريد " . فكر سام هو الآخر بدوره ثم قال " لماذا تطلب مني أن أبتعد عن كل تصرفاتي الغريزية و السلبية ، و تطلب مني التركيز على الخير و المساعدات و الأخلاق الفاضلة و أنت الشيطان الذي تغوي البشر و تضلهم و تجعلهم ينحرفون عن جادة الحق و الصواب و الإيمان؟؟ " . صمت الشيطان مرة أخرى يفكر ، ثم قال لسام "حسناً يا سام ... سأقول لك لماذا في الواقع يا سام أنا و كما تعلم ، منذ

بدء الخليقة و أنا عدو للإنسان ، و كنت دائماً أقوم بالأعمال التي تجعله يعصي الله ، و أزينها له و أغريه بها .. و أبعده عن الأعمال التي تجعله يقترب من الله و يجوز على رضاه ... و منذ بدء الخليقة و حتى الآن فعلت الكثير الكثير يا سام أغويت الكثيرين .. حرفت أموراً كثيرة ، و شوهت مفاهيم أكثر ، و بدلت أشياء و أشياء و هذا كله منذ اليوم الذي خالفت فيه الله و لم أسجد لأبيكم الإنسان الأول كما هو مذكور في بعض الأديان ، و هذه الأعمال كلها ، كما تعلم تثير غضب الرب علي ... و بعد كل هذه الأعمال و الأفعال التي قمت بها و التي أبعدتني عن الرب ، و كانت السبب في غضبه علي ، فكرت في نفسي و قلت لماذا لا أقوم بفعل أو بعمل واحد يقربني من الله ، و يكون ذخراً لي يوم الحساب ، فقررت أن أقوم بهذه التجربة و أرى ما يمكن عمله في هذا الشأن ، و رأيت أن أفضل شيء هو أن أقوم بمساعدة شخص محتاج ، و هذا الشخص يجب أن يكون مؤمناً و طاهراً ليزيد إيماني ، ليس هذا فقط ، بل يجب أن أساعد هذا الشخص أيضاً علي أن يفعل الخير و ينشر الإيمان و يحاول اجتثاث الأفكار السيئة و يزرع بدلاً منها أفكاراً خيرة ، و القصد من كل هذا أن أحسن وضعي عند الرب " كان الشيطان يتكلم و يقوم بحركات إيمائية بيديه موحياً بالجدية و هو يتابع كلامه " و لهذا فقد وقع اختياري عليك يا سام ، و رأيت أنك تحمل كل صفات الشخص المطلوب و الذي أبحث عنه بالضبط ، فظهرت لك ، و كان ما كان " ثم غير الشيطان من صوته و لهجته و أخذ يتكلم بطريقة عاطفية ذات ترنيمة خاصة و هو يومئ بيديه " و لكن يا سام هذه التصرفات التي تقوم بها أنت ، ستؤدي إلى فشل كل ما أقوم به ، و ستؤدي إلى إظهارى مرة أخرى بمظهر المخرب للإنسان .. ماذا سأقول للرب يوم الحساب ؟ .. سوف يقال لي إنك حاولت الإصلاح ، فخربت ، و لهذا فضلت أن ألغي الأمر برمته و أجعلك تعود إلى ما كنت عليه في السابق ، لكي أتجنب حدوث المزيد من الأخطاء ، فخيرتك بين الاستمرار أو العودة إلى نقطة البداية حيث التقينا أول مرة " . كان سام مصدوماً بما يسمع .. فكر قليلاً ثم قال " في الواقع أنا متفاجئ قليلاً أيها الشيطان و لا أدري

ماذا أقول لك " . أجاب الشيطان بثقة " هذا هو جوابي يا سام ، و حتى تثق بي أكثر و تطمئن ، أقول لك من الآن أنني أسمح لك في المستقبل بالانسحاب من اتفاقنا هذا عندما أطلب منك أن ترتكب أي شيء محرم مذكور بالكتب الدينية أليس هذا ضمناً كافياً لك ؟ " . صمت سام قليلاً .. أحس و كأن الشيطان قد باغته بهذا الكلام انتابته الرغبة بأن يقول لا ، و لكنه تذكر أمواله و أملاكه ، فرفع رأسه و قال " حسناً أيها الشيطان إذا كان الأمر كذلك ، فلا بأس " . نظر إليه الشيطان و قال " هل هناك أسئلة أخرى يا سام " . أجاب سام " نعم يوجد هناك أسئلة ... و لكن أرجو أن تعطيني مهلة أخرى ، فهناك أسئلة كثيرة ، و لكنها ليست بيالي الآن ... أنت تعرف ، هذا الأمر لا يأتي بهذه السرعة ... أريد أن أحيط بالأمر من كافة جوانبه" فكر الشيطان ، ثم قال " قبل أن أعطيك المهلة أريد أن أعرف ، هل أنت موافق مبدئياً على ما أخبرتك به الآن ؟ " . أجاب سام " نعم إنني موافق مبدئياً ... و لكنني أريد منك أجوبة صريحة " - " حسناً يا سام ، لك ذلك " . - " إذا نلتقي في الأسبوع القادم إلى اللقاء " . استدار سام عائداً إلى الطابق الأرضي ، و هنا ناداه الشيطان قائلاً " سام ... حضر كل ما تريد من الأسئلة ، لأن هذه آخر مرة يكون فيها أسئلة ... و أرجو أن تكون الأسئلة منطقية و معقولة و في حدود ما تحتاج معرفته فقط .. لتزداد ثققتك بي و لأستطيع الإجابة بصراحة و وضوح أنا الآخر " . هز سام برأسه موافقاً ثم استدار مرة أخرى و صعد إلى الأعلى .

في الفيلا ، جلس سام يفكر " اللعنة إنه أذكى مما تصورت لقد فاجئني بهذا الكلام إنني محتار ، و لا أستطيع أن أصدق ، و في الوقت نفسه لا أستطيع أن أكذب و أنفي المشكلة أنه فعلاً يطلب مني أعمال الخير والبر .. هل هو الشيطان حقاً ؟؟؟!! هل أنا في حلم .. إنني سأجن على كل حال يجب أن أعرف كل شيء عنه ، يجب أن أتأكد من كل شيء قبل أن أزج نفسي في هذه المعمة و

أسلك هذا الطريق .. يجب أن أسأله عن كل شيء ، عن كل ما يخطر لي و لكن ماذا سأسأله؟؟ ...
يجب أن أرتب الأسئلة و أسجلها على ورقة " . كان سام يحاول كسب الوقت ، عله يستطيع أن يغيّر شيئاً
من المعادلة الجديدة التي فرضها عليه الشيطان ، و لكنه أدرك أنه ليس أمامه خيارات كثيرة في هذا المجال ، و
لذلك قضى الأسبوع كله يفكر ماذا سيفعل و ماذا يسأل الشيطان .

جاء الموعد المحدد للقاء الثاني و نزل سام إلى القبو ، كان الشيطان بانتظاره ، نظر إليه و قال مبتسماً " أهلاً
بك يا سام أرجو ألا تكون الأسئلة صعبة ... أريد أن أنجح في الامتحان ، بامتياز " . ضحك سام ثم
جلس على الكرسي ، و ما إن هم بالكلام ، حتى قاطعه الشيطان قائلاً " هل أنت موافق مبدئياً على كلامنا
الأخير؟؟ " - " نعم " - "حسناً يا سام تفضل إذاً و اسأل ما تريد " . صمت سام قليلاً ، ثم أخذ يسترجع
الأسئلة في ذاكرته ، و بعدها رفع رأسه و نظر إلى الشيطان و سأله " لماذا اخترتني أنا بالذات أيها الشيطان ؟
" . فقال الشيطان " لقد أجبتك من قبل على هذا السؤال يا سام " . هز سام برأسه نافيةً " لا ، لا أيها
الشيطان أقصد ألم يكن من الأفضل و الأسهل لك أن تختار رجلاً سيئاً و شريراً لتساعده ، بدلاً من
رجل صالح و مؤمن ، و بذلك تكسب جزاء أكثر " - " لا يا سام ، إن ما يهمني هو الرجل الصالح و
المؤمن مثلك ، لأنه أقدر على فعل الخير من الشرير ، ثم إنه لا وقت لدي لأضيعه مع الأشرار ، بل إن مجال
عملي الأساسي هو الصالحون و الأبرار .. إنهم كما يقال في الأعراف التجارية عندكم .. بيزنس جيد " .
نهض سام من مكانه و قد تحمس لطرح الأسئلة و أخذ يتمشى في الغرفة و يسأل الشيطان و كأنه محقق "
قلت لي أيها الشيطان إنك تفعل ذلك ليكون لديك عمل صالح يخدمك يوم الحساب و طالما أنك
تفعل ذلك فلماذا لا تصلح خطيئتك الأولى المتعلقة بالسجود ، و تسجد لي الآن " كان سام يحاول
استفزاز الشيطان و إحراجه و في الوقت نفسه كان يراقب ردة فعله كيف ستكون . صمت الشيطان قليلاً

ثم قال لسام و هو يبتسم " لا مانع لدي أن أسجد لك إذا طلب الله مني ذلك " . فكر سام قليلاً ثم قال " و لكنني أنا أطلب منك " . أجاب الشيطان و هو يبتسم مرة أخرى " و لكنك تغضب ربك منك بهذه الطريقة " . فقال سام " و لكن أنت تعرف أن الرب لن يطلب منك السجود لي " . أجابه الشيطان ببرود شديد " طالما أنا أعرف و أنت تعرف أن الرب لن يطلب مني هذا الطلب ، فلماذا تسأل هذا السؤال السخيف إذاً ؟ ألم أقل لك يا سام أن تسأل أسئلة منطقية و معقولة ؟ " . فكر سام مرة أخرى ، و قد شعر بالضيق الشديد ، و لكنه تمالك نفسه و طرح السؤال الثاني " قل لي أيها الشيطان ... لماذا أنت الآن بصورة غير الصورة التي نعرفها عنك ؟ " . ضحك الشيطان و قال " هل تظن يا سام أنني كما يصورني الناس مرعب و مخيف ، و لي أنياب و أظافر و قرون و ذيل ؟ " قال سام " و لكن هذا هو المعروف عنك " . رد الشيطان " لو كنت كذلك يا سام ، فكيف سأقنع الناس ... انظر إلي ، كيف تراني " - " تالله إنك جميل الهيئة ، بهي الطلعة " . فقال الشيطان " أنا يا سام لست كما تتخيل ، لسبب بسيط ، و هو أن هذه الأمور تتنافى مع مهمتي الأساسية و هي الإقناع و الإغواء قل لي ، هل من الممكن أن تغويك عجوز شمطاء قبيحة المنظر و تثير فيك الشهوة الجنسية " . ضحك سام و أجاب " لا بالطبع " - " هذا شبيه بذلك ... إن آلية عملي يا سام و منذ ظهور البشرية ، تقوم على الإقناع و الإغراء و الإغواء ، و هذا لن يتحقق لي إذا ما ظهرت على تلك الهيئات التي نتحدث عنها ، أو فعلت تلك الأفعال " . فقال سام " و لكنك ربما تفعل ذلك لكي ترهب الناس و تجبرهم على الإقناع بك " . رد الشيطان "القناعة أو الإيمان أو الاعتقاد يا سام ، هي شيء ، و التصرف و الفعل شيء آخر الترهيب يا سام يكون عادة لإجبار شخص على القيام بفعل لا يريد ... و هو قد يقوم به و يفعله ، و لكنه في داخله لن يقتنع به ، و سينكره و يرفضه في أول فرصة تسنح له ، و متى زال هذا الترهيب أو الإكراه ، زال هذا الفعل فوراً و حل مكانه الفعل المعاكس له أما الإقناع يا سام ، فإنه لا يتأتى إلا بالترغيب ، و سياستي كانت كلها عبر التاريخ

هي الترغيب و ليس الترهيب ، لأن الأمر الذي أريد للإنسان أن يفعله ، ليس آتياً بل دائماً ... و لو كانت سياستي يا سام و صفاتي كما تقول ، لما كان العالم الآن كما تراه الآن .. هل فهمت يا سام ؟ " . أوماً سام برأسه و قال " فهمت و لكنك هكذا تستغل سذاجة الناس البسطاء " . ابتسم الشيطان و قال " أيضاً وقعت هنا في الخطأ يا سام فأنا عادة و في الغالب ، لا أتعامل أو أقنع إلا الناس الأذكياء و أصحاب العقول ، و هؤلاء هم غاييتي .. أما الجاهل أو الغبي أو الأحمق ، فإنني على العكس مما تتصور ، لا أقرب منه أبداً ، لسبب بسيط و هو أنه لن يعمل كما أريد ، علماً أن إقناعه أسهل من إقناع الذكي أو العاقل ، و لكن فرص نجاحه بالعمل الذي اقتنع به ، تكون أضعف بكثير من الذكي أو العاقل الذي عندما يقتنع ، فإنه يسخر كل عقله و علمه لما اقتنع به هل فهمت أيها التلميذ النجيب " . ابتسم سام و قال " نعم ، فهمت و لكن قل لي أيها الشيطان ، هل أغويت أشخاصاً كثيرين " . أجاب الشيطان " نعم .. الكثيرين الكثيرين " . سأل سام بدهشة " أهذه الدرجة ؟ " . أجاب الشيطان " حدث و لا حرج " . فسأل سام " هل من الممكن أن تشرح لي كيف أغويت كل هؤلاء البشر " هز الشيطان برأسه نائفاً و قال " لا أستطيع يا سام ، لأنني سأظل هكذا أتكلم من الآن و إلى ما لا نهاية " . فكر سام قليلاً ثم سأل " الذين أغويتهم ، هل كنت تجد صعوبة في إغوائهم ؟ " . أجاب الشيطان " حسب الشخص هناك أشخاص سقطوا من الجولة الأولى .. و هناك أشخاص وجدت صعوبة في إغوائهم " - " من هم الذين وجدت سهولة بإغوائهم أكثر من غيرهم ؟ " . أجاب الشيطان ببرود " المغرورون و الحاسدون و الذين لديهم مركب نقص أو عقدة " - " هل تقصد أنهم أغبياء أيها الشيطان؟ " - " لا علاقة للذكاء أو الغباء بهذه المسألة يا سام قد يكون الإنسان ذكياً جداً و لكن به مقدار ضئيل من الغرور ، فأدخل إليه من هذه الثغرة " . شعر سام بالفضول فسأل الشيطان " حدثني عن أحد الذين أغويتهم و كانوا من هذا النوع " . فكر الشيطان قليلاً ثم قال " منذ حوالي ثلاثمائة سنة ، كان هناك رجل زاهد متدين ... كان مثقفاً و

متعلماً و ذكياً، ولكنه مغرور و يجب المديح و التباهي بنفسه ، فدخلت إليه من هذا الباب و حرفته و أضلته عن أمور كثيرة، و جعلته يقوم بأمر أخرى ، و بعد فترة ، لاحظ عليه أصحابه ذلك ، فبهوه و قالوا له إن هذا خطأ ، و لكنه رفض و أبى أن يعترف ، و ازداد إغوائي و تضليلي له ، بحيث أصبح هو بواد و الحق بواد آخر ، و بعد فترة قررت أن أظهر له و أخبره بما فعلته به لأرى ردة فعله كيف ستكون و هل سيقر و يعترف ، أم لا . فظهرت له و أخبرته عن حقيقتي و قلت له ماذا فعلت به ، فأبى أن يصدق و أن يعترف ، بل زاده هذا الأمر غروراً و أخذ يقول لأصحابه أنني ظهرت له و حاولت إغواءه ، فلم أفجح ... و ذهب الرجل و مات و هو يظن أنه على صواب " . صمت سام يفكر بكلام الشيطان ، كان الأمر مشوقاً له ، رفع رأسه و قال "حدثني عن أحد الذين وجدت صعوبة كبيرة بإغوائهم " . صمت الشيطان مرة أخرى و هو يفكر ، ثم قال " هنالك حادثة جرت بيني و بين أحد الأشخاص قبل حوالي خمسمائة سنة ... كان الرجل تقياً و طاهراً جداً و صاحب مبدأ و دين ، لم يرتكب في حياته معصية إلا نادراً جداً ، و كان دائم العبادة و الصلاة ... حاولت أن أغويه فلم أستطع ، لا بالجنس و لا بالمال و لا بأي شيء آخر بذلت كل الجهود الممكنة ، فلم أفجح ، لقد أتعبني و عذبتني فترة طويلة " . سأل سام بفضول " و كيف أغويته إذن؟؟؟ " . أجابه الشيطان " إنك لن تصدق لقد ظهرت له و كشفت عن حقيقتي أمامه و أخبرته أنني أريد أن أناقشه و أجادله ، فكان يجيب و يناقش و يجادل بشكل ملفت للنظر ، و في النهاية ، أظهرت له أنني اقتنعت به و طلبت منه أن المساعدة لتخليصي و إرشادي ، و هنا كانت البداية " - " آية بداية ؟ " - " بداية الغواية " - " كيف ذلك أيها الشيطان ... اشرح لي " - " حسناً يا سام ... هو رجل زاهد متدين و طالب للتعبد و الإيمان ، و كل محاولاتي معه باءت بالفشل كل محاولاتي التي خر لها العباقره و الجهابذة و عجز عنها الكبار ، لم يخضع هو لها ... ماذا يعني هذا يا سام؟ " - " لا أدري أيها الشيطان " - " هذا يعني أنه طالما لم تؤثر فيه كل تلك الأمور ، إذاً لن يبقى غير أمر

واحد ... و هو أنه لن ينخدع إلا بنفسه .. و ذكائه و علمه الذين أعجزاني ، سيكونان هما الطعم الذي سيوقعه " . سأل سام باستغراب " و كيف ذلك أيها الشيطان " - " كما قلت لك ، ظهرت له و عرفته بنفسه بكل صراحة ... ليس ذلك فقط ، بل أخبرته كيف أنني كنت أنا الذي يقوم بإغوائه في يوم كذا و ساعة كذا " - " و لماذا تفعل ذلك !!؟؟ " - " لكي يصدقني لأنه يعرف متى و أين كانت تأتيه الرغبة في الخطأ " - " ما الغاية من ذلك؟؟ " - " الغاية أن يغتر بنفسه ، أن يفخر بنفسه و تغمره السعادة و نشوة الانتصار أن يصدق أنني هزمت أمامه " - " ما الغاية من ذلك؟؟؟ " - " الغاية أن أقنعه بأنني اقتنعت بأنني على خطأ و هو على صواب " - " ما الغاية من ذلك ؟ " - " الغاية أن أطلب منه المساعدة على إرجاعي إلى جادة الصواب " - " ما الغاية من ذلك ؟ " - " الغاية أنه وقع في الفخ لأنه بدأ يثق بي ، و يفتح قلبه لي من دون أن يشعر ، و هنا كانت البداية ، فدخلت " . أطرق سام برأسه إلى الأرض و هو يفكر بكل ما يسمعه ، ظل هكذا فترة من الوقت ، ثم رفع رأسه و قال " هل هناك أناس لم تستطع إغواءهم ؟ " - " في الحقيقة نعم يا سام " - " ، من هم ؟ " - " الذين لم أستطع إغواءهم " . نظر سام إلى الشيطان ثم ابتسم قائلاً " و الآن قل لي أيها الشيطان ... أنا من أية فئة .. هل من الذين سقطوا من الجولة الأولى ، أم من الذين وجدت صعوبة في إغوائهم ، أم من الذين لم تستطع إغواءهم ؟ " . ابتسم الشيطان بدوره و قال ضاحكاً " أنت من الذين لا أريد إغواءهم " . نظر إليه سام و قال " جرب أن تغويني قليلاً أيها الشيطان ، لأرى كيف تكون عملية الغواية " . أطرق الشيطان برأسه إلى الأرض و هو يضحك . فقال له سام " كأنني بك أيها الشيطان تقول ... لقد أغويتك يا سام و انتهيت " و هنا ضحك الشيطان بعمق و قال " أتدري يا سام لقد أحببتك بالفعل ، و أستطيع أن أقول لك إنني ملزم معك باتفاق " . نظر إليه سام و سأله " قل لي أيها الشيطان .. ما هي بالضبط الآلية التي تغوي بها الناس ؟ " . أجاب الشيطان " آسف ... هذا سري تماماً " - " أرجوك أيها الشيطان " - " و لكنك لن تفهم يا سام ... حتى و إن

أخبرتكَ ، فالأمر فوق مقدرة الإنسان على الفهم " - " و لكن لماذا أيها الشيطان " - " لأنك لو فهمت ، فلن أكون أنا الشيطان ، و إذا لم أكن أنا الشيطان ، فقوانين الكون لن تصح هل فهمت ؟ " . هز سام برأسه و قال " أظن كأنني فهمت و لكن ألا تستطيع أن تشرح لي و لو شيئاً يتناسب و مقدرتي على الفهم " . أطرق الشيطان برأسه و هو يفكر ، ثم قال " أقترح عليك تغيير السؤال " . هز سام برأسه و هو يفكر بالسؤال التالي ، ثم قال " هل صحيح أنك في الماضي كنت تظهر للبشر بأشكال مختلفة ، كصور الحيوانات مثلاً ؟ " - " نعم يا سام كنت أفعل ذلك ، أما الآن فلا " - " و لكن لماذا أيها الشيطان؟ " - " لقد مللت يا رجل ... لقد سئمت من ظهوري ، مرة بشكل قطة و مرة بشكل طير ، و مرة بشكل أفعى ... في الماضي كنت أفعل ذلك كي لا يتعرف على الناس ، لكنني اكتشف مع الزمن أن بعضهم كانوا يعرفون و مع ذلك كانوا يفعلون ما أطلبه منهم ، لقد كانت العملية أشبه بعدم تسبب الإحراج لي أو لهم ... تستطيع أن تسميها حفظ ماء الوجه أو نوعاً من قواعد الاتيكيت و لكن الآن و مع تطور العلاقات العامة و تشعبها ، قررت أن أعتمد نظام العقود و الاتفاقيات ... أظهر للشخص و أعرفه عن نفسي إما عاجلاً أو آجلاً و أعقد معه صفقة ... ثم بربك قل لي ، ما الداعي لأظهر بشكل هر أو أرنب أو حمامة و الشخص مهياً سلفاً للتعامل معي؟ " . فكر سام مرة أخرى بالسؤال الذي سيطرحه ، رفع رأسه و قال " المعلم رالف ... " - " ما به المعلم رالف ؟ " - " ما هو بالنسبة إليك أيها الشيطان ؟ " - " إنه في نواح معينة .. صنيعتي " - " هل لك علاقة به ؟ " - " لا يا سام ... إنه صنيعتي من دون أن يعرف ... هناك الكثيرون صنعتهم من دون أن يعرفوا " . نظر سام إليه و قال " و أنا هل أنا صنيعتك أيضاً ؟ " . ابتسم الشيطان و قال " لا يا عزيزي أنت شريكي في المشروع الذي سأقوم به " . صمت سام قليلاً يفكر ثم قال " لماذا أنت شرير أيها الشيطان ؟؟ .. مبتسماً ، أجاب الشيطان " أنا لست شرير يا سام " - " و ماذا تسمي كل هذا الذي تفعله و الذين اعترفت به أمامي الآن ؟!! " . حدق الشيطان بسام متمعناً ثم قال " أنا

المجرب يا سام .. أنا أدعى المجرب .. أنا الذي بواسطتي يتم اختبار الإنسان .. ألا ترى إلى قوانين و نواميس الدنيا أن هنالك طرفي نقيض دائماً؟؟ في القضاء هنالك محام و هنالك مدعي عام .. هذا دوره دفع المتهم إلى البراءة و الآخر دوره دفع المتهم إلى الاتهام .. ألا ترى إلى اختبارات القوة البدنية و مسابقات التحمل كيف يكون هنالك شخص أو حارس مهمته منع المسابق من الوصول لهدفه ، لمعرفة مدى تحمله بالشكل الدقيق؟؟.. أنا هو ذلك الشخص أنا الحارس يا سام " . بدا سام مشتتاً بعض الشيء و فجأةً خطر له المال .. نظر إلى الشيطان متأملاً و قال " ما رأيك أيها الشيطان بمقولة أن المال يمكن أن يأتي بالتعب ؟ " الشيطان يجيب " ممكن أن يأتي قدر معين من المال عن طريق التعب و الاجتهاد و الظروف المساعدة و الحظ .. (صمت قليلاً ثم أشار إلى سام بإصبعه) و لكن المال و الغنى الفاحش لا يأتي إلا عن طريق دور يجب على الشخص القيام به ليناله . فافهم ذلك جيداً . و إياك أن تصدق أن شخصاً من ذوي الثراء الفاحش أو من طواغيت رأس المال قد كسب ذلك عن طريق التعب ، بل عن طريق دور أو مهمة موكولة إليه .. ليس بالضرورة مني أنا .. هذا ما عندي و لا مزيد " . أطلق سام زفيراً قوياً و قال " بقي سؤال أخير أيها الشيطان ... لماذا تصارحني بكل هذه الأمور ، ألا تحشى مني ؟ " . ابتسم الشيطان وقال " لا لا أخشى منك ... لأنك أولاً أصبحت متأثراً بي من رأسك و حتى أحمص قدميك ، و ثانياً أنت شريكى و يجب أن تعرف هذه الأمور لتثق بي و تتأكد أنني صريح معك " - " ألا تحشى أن أكشف أمرك للناس ؟ " - " لا تستطيع . لأنه لن يصدقك احد " - " هل أعطيتني كل شيء عنك أيها الشيطان ؟ " - " أعطيتك ما يجب أن تعرفه في حدود معرفتك و مستوى فهمك فقط " . أطرق سام إلى الأرض يفكر ، فسأله الشيطان "هل انتهت الأسئلة يا سام ؟ " . نظر سام إلى الشيطان و رفع يديه و هز كتفيه و قال "أظن نعم " - " و ماذا قررت يا سام ؟ ... هل ستمضي معي ، أم يذهب كل منا بحال سبيله ؟ " . فكر سام ثم تنهد بعمق و قال " نعم أيها الشيطان سأمضي معك " . تنهد الشيطان هو الآخر و قال " ممتاز ... إذا ابتداء من

الآن سنتفد كل ما أقوله لك و أول شيء هو أنك ستتخلى نهائياً عن كل تصرفاتك الطائشة تلك و التي تهدد بفشل مشروعنا من أساسه و التي لحسن الحظ لم يعرف أحد بها حتى الآن .. أريدك أن تعود نظيفاً كورقة بيضاء .. فمهامك ستزداد و سيكون عليك أعباء كبيرة " . قال سام " سأحاول أن أخفف منها قدر الإمكان " - " لا ، لا ، لا يا سام ... التخفيف غير كاف ، يجب أن تقطعها نهائياً " . فقال سام بقلق " و لكن قطعها هكذا سيسبب لي مشاكل كثيرة أعدك بأنني سأخففها ، أعدك أيها الشيطان " - " لا ، لا يا سام ... و لكن على كل حال و مبدئياً فقط ، سأسمح لك بيوم واحد كل شهر ابتداءً من اليوم ، و لفترة معينة و بعدها ستنقطع نهائياً عن ذلك ، لأننا لا نستطيع أن نقوم بالخطوة التالية ما لم ننته من الخطوة الأولى " . أجاب سام بجزن و كآبة " كما تشاء " . فكر الشيطان قليلاً ثم قال " إذاً في هذه الحالة سوف ندخل في الخطوة التالية قل لي يا سام هل أعضاء حزب الشعلة يمارسون الطقوس الدينية ؟ " . أجاب سام بلا مبالاة " لا إنهم لا يفعلون ذلك ... إنهم ضد الدين أصلاً و لا يعترفون به و لا بالله .. و لا بك أنت أيضاً " . ضحك الشيطان و قال " عظيم جداً ، ستبدأ من الآن بزيادة أعدادهم في فرع أستاذ الفلسفة و بنسبة كبيرة جداً " . فقال سام بقلق " و لكن أخشى أن تعترض مديرة المدرسة و مؤسسة إلفا " . أجاب الشيطان من دون اكتراث " لا تأبه لهم و لا تلق لهم بالاً " . هز سام برأسه و قال " كما تريد أيها الشيطان ، و لكن هل لي أن أعرف إلى أين تريد أن تصل بالضبط و ما هو مشروعك ، ما دمت قد أصبحت شريكك " فكر الشيطان لبعض الوقت ثم قال " لا بأس يا سام ، سأخبرك مشروعني هو أنه يجب أن نزرع الأفكار الدينية الخيرة و البناءة في عقول هؤلاء و طالما أنه ليس لديهم أي أفكار أو عقائد دينية مسبقة ، و بما أنهم الآن في فراغ و تحبط ، نتيجة سقوط نظريتهم ، فيجب أن ندخل نحن و نزرع فيهم هذه الأفكار " . فقال سام " و لكن هناك البعض منهم قد بدأ بالعودة فعلاً إلى أصوله و جذوره الدينية " أشار الشيطان بيده إلى سام " أنت محق يا سام ، و هناك أيضاً بعض الجهات قد بدأت بالدخول

إليهم ، و لهذا يجب أن نتدخل نحن و نسبق الجميع و ننفذهم من هذا الأمر ، هذا هو مشروعى ، و هكذا أريد أن أكفر عن ذنوبي " . سأله سام " و لكن كيف تعرف الأفكار الصحيحة من الأفكار الخاطئة ؟ " - " طبعاً يا سام أعرف ، لأنني أنا من زرع الأفكار الخاطئة و المضللة في عقول الناس منذ القدم ، و أعرف الصح من الخطأ " . صمت سام يفكر مرة أخرى ، ثم قال " و إذا وقفت مؤسسة إلفا في وجهي أقصد في وجه هذا المشروع ؟ " . حدق الشيطان في وجه سام و قال بهدوء " ساعتها سأدمرها لأجل عينيك يا سام و الآن هل فهمت ؟ " - " نعم فهمت " - " إذا عليك و قبل كل شيء أن تتخلص و بسرعة من تصرفاتك تلك حتى يزيد احترام الناس لك و يتقبلوا الأفكار التي ستلقنهم إياها بسرعة ، و ثانياً عليك أن تزيد من أعداد فرع أستاذ الفلسفة بشكل كبير ، و إذا اضطر الأمر .. افتح فروعاً لهذا الفرع بالذات ، في البلاد كلها هذه ستكون النواة الأولى ، و بعد ذلك نبدأ بالتوسع خارج البلاد " - " و كيف ذلك أيها الشيطان " - " دعنا لا نستبق الأمور يا سام ، و نمشي خطوة خطوة كل مرحلة ، أخبرك في حينها ماذا ستفعل ... أمامك مهام كبيرة و جسيمة ستقوم بها و لذلك أريدك أن تكون على قدر المسؤولية ، لأن جزء هذا الأمر كبير .. كبير جداً " . هز سام برأسه متفهماً و قال " و بالنسبة إلى المال ، هل أزيد التبرعات ؟ " - " طبعاً يا سام ، هذا شيء أكيد .. المال هو المحرك الأساسي لنا ... بالمناسبة ، استعد يا سام .. ابتداءً من الآن ستدخل عتبة المليار فما فوق " . صاح سام بدهشة " أنا !!؟؟ " - " نعم أنت يا سام أولاً هذه مكافأة لك و ثانياً لتسد ما تحتاجه من مصاريف و نفقات ... سأعطيك بعض المشورات في هذا المجال " . أخبر الشيطان سام ما يجب عليه فعله ، ثم قال له " لقد كان يومك هذا حافلاً يا سام و كذلك أنا ، و الآن اذهب لترتاح ... بالمناسبة خذ إجازة قبل أن تبدأ بهذه المهمة ، حتى تريح نفسك وأعصابك ... سافر إلى أي مكان تترتاح فيه و خذ معك زوجتك و ولدك و احرص على أن تبدو الأب المثالي أمام الناس .. إلى اللقاء يا سام و سوف نلتقي بعد أن تنجز الخطوة الأولى " . صعد سام إلى

الطابق الأرضي ، و ذهب إلى الصالون سكب كأساً من الويسكي و أشعل سيجاراً و جلس يفكر .
كان هناك أمران يتجاذبان تفكيره .. ما قاله الشيطان عن نفسه ... و مبلغ المليار . فكر قائلاً " إنه شيء
جميل أن يصبح المرء مليارديراً للمليارديرية نكهة خاصة ، طعم جميل ... ترى كيف سيكون شكلي
عندما أصبح مليارديراً؟ هل ستتغير سحتي ؟ هل سيتغير صوتي ؟ " . عاد سام يفكر مرة أخرى
بكلام الشيطان ، و لكن كلمة مليار كانت قد أخذت عقله و لبه ، فعاد إليها من جديد . كان يحاول
التركيز على الكلام الذي قاله له الشيطان ، و لكن مبلغ المليار قد شل تفكيره تماماً و أسر عقله ... حمل
سيجاره و كأسه و خرج إلى الحديقة و جلس أمام المسبح ، كان الوقت قد أصبح ليلاً و أنوار الفيلا و
السور الخارجي تتألاً و تنعكس فوق مياه المسبح ، بعد قليل انضمت إليه زوجته . فسألها " هل نام الفتى ؟
" - " نعم يا حبيبي " - " حسناً " . أشار سام بإصبعه ، فاقترب رئيس الخدم " قل للطباخ أن يعد لنا
عشاءً خاصاً و يحضره إلى هنا " - " أمرك سيدي " . نظر سام إلى زوجته و قبلها ثم قال لها " هل تمتعت
بيومك ؟ " - " نعم يا عزيزي .. و لكننا نفتقدك أحياناً " . أشار لها بيده مبتسماً و قال " أنت محقة ... إنه
العمل ... و لكن لا عليك ، سنذهب في رحلة استجمام إلى سويسرا و نقضي هناك خمسة عشر يوماً .. ما
رأيك ؟ " . صاحت الزوجة بفرح " رائع إنه شيء ممتع حقاً .. و لكن متى سنذهب ؟ " . صاح سام " .
أوه .. أوه ... متى سنذهب ... حسناً " . أخرج من جيبه الهاتف النقال و اتصل مع مدير إحدى شركات
السياحة . تكلم معه قليلاً ، ثم أقفل الخط و قال لزوجته " بعد يومين يا حبيبي ، سنكون في سويسرا " .

سافر سام و عائلته إلى سويسرا و قضوا هناك وقتاً ممتعاً ، لم يفكر خلاله سام بأي شيء ، إلا بمبلغ المليار
الذي كان يضمن عليه بريقاً وهاجاً و ابتسامة رضى و سعادة . و عندما انتهت الإجازة و عاد سام و
عائلته إلى العاصمة فرغ نفسه لما قاله له الشيطان ، اتصل مع أستاذ الفلسفة و طلب حضوره . و

عندما جاء الأستاذ من البلدة جلس سام يتحدث معه ... " قل لي يا أستاذ، كيف هو الحال عندك؟ " .
أجاب الأستاذ " كل شيء يسير على ما يرام " - " هل هناك أية إشكالات؟ " - " لا يا سام .. ولكن " -
" ولكن ماذا يا أستاذ؟ " . قال الأستاذ بنبرة حزن " الأعداد عندنا في الفرع قليلة بالنسبة إلى الفروع
الأخرى ... و الرفاق سيكونون ممتنين لو أضفت أعداداً أخرى إلى القائمة " . سأله سام " هل هناك أناس
آخرون بحاجة أيضاً إلى المساعدة؟ " - " طبعاً يا سام " - " و كم يبلغ عددهم؟ " - " إنهم أكثر جداً
و على كل حال ، نحن لا نريد سوى مجموعة بسيطة فقط ، لسد الحاجة ... طالما أن هذا الأمر يسبب لك
إحراجاً مع مؤسسة إلفا و الحزب الديمقراطي " - " قل لي يا أستاذ ، كم يبلغ عدد أفراد فرعك " - "
مئتان و خمسون " . ضغط سام على أزرار الكمبيوتر الذي أمامه ، ثم نظر إلى الشاشة و قال " كلامك
صحيح يا أستاذ ، أنتم فقط مئتان و خمسون ... و فرع المديرية هنا أمامي ، ثلاثة آلاف و بقية الفروع ألف
و خمسمائة " . نظر أستاذ الفلسفة من طرف عينيه إلى سام و قال " لقد وعدتني بأن تزيد العدد قليلاً يا سام
" . نظر سام إلى الأستاذ و قال " لا يا أستاذ لن أزيد العدد قليلاً " . صاح الأستاذ بنبرة حزينة " لماذا يا
سام؟ " . ابتسم سام و قال " لأنني سأزيده كثيراً " - " حقاً؟ " - " نعم يا أستاذ .. كما سمعت
سأزيده كثيراً .. سأجعله عشرة آلاف " - " ما ... ماذا ... ماذا قلت يا سام (صاح الأستاذ بدهشة)
إنني ... إنني لا أصدق ما أسمع ، هل تتمزح معي " . هز سام برأسه نائفاً و قال " لا يا أستاذ .. إنني جاد
كل الجد ... و عليك الآن الذهاب إلى الشمال و تهيئة قائمة بهذا العدد و إحضارها لي خلال أسبوع على
الأكثر " - " و المديرية و مؤسسة إلفا و الحزب الديمقراطي .. ماذا ستقول لهم؟ " أجاب سام بعدم اكتراث
" لا تقلق بهذا الشأن ، سأصرف .. و لكن قل لي أولاً ، هل تستطيع استيعاب عشرة آلاف شخص؟ " .
صاح الأستاذ ببهجة عارمة و هو يكاد يطير من الفرح " طبعاً ، طبعاً يا سام أستطيع أوه ... هذه
خطوة ستعيد لنا الحياة من جديد .. من جديد لقد أحييتنا يا سام .. نعم .. أحييتنا .. إنني غير

مصديق نفسي ، سأبلغ الرفاق الآن " . خرج أستاذ الفلسفة لا يلوي على شيء و السعادة و السرور
يغمرانه . فصاح به سام " لا تنس القائمة يا أستاذ " - " نعم ، نعم يا سام ... سأعدها لك خلال أسبوع
" . رفع سام السماعه و اتصل مع الدكتور بروكلمان ، الذي حضر بعد ساعة " قل لي يا دكتور ،
كيف هو الحال في المؤسسة الاجتماعية؟ " - " كل شيء يسير على ما يرام يا سام " - " هل هناك مشاكل يا
دكتور " . فكر الدكتور بروكلمان قليلاً ثم قال " لا ، ليس هناك مشاكل تذكر ... أحياناً تحدث بعض
المشاكل التقنية ، و لكننا نعمل فوراً مع مدير الفرع الذي تحدث فيه المشكلة " هز سام برأسه
علامة الرضى ثم قال " و مدراء الفروع ، كيف هم ؟ " - " إنهم مجدون و أكفاء في العمل ، و لقد أثبتوا
نجاحهم في إدارة فروعهم " . سأل سام " هل يقدمون لك التقارير بشكل دوري ؟ " - " نعم يا سام و أنا
بدوري أحولها من الكمبيوتر الذي في المؤسسة إلى الكمبيوتر الموجود عندك هنا في المكتب " . ضغط سام
على أزرار الكمبيوتر الذي أمامه و أخذ يتأمل الشاشة " هم م م م .. عظيم ... رائع ، إنهم يطبقون
البرامج بشكل جيد و ماذا عن فرع أستاذ الفلسفة ؟ " أجاب الدكتور بروكلمان " أنت تعرف ... أنه
مستقل عنا تقريباً و علاقته بالدرجة الأولى ، معك أنت " - " و ماذا عن نشاطهم ؟ .. أليس لهم نشاط
كبقية الفروع ؟ " - " لا يا سام .. إنهم يحصلون فقط على المساعدات لقد أرسلت لأستاذ الفلسفة
نسخة من البرامج و الكتب و المحاضرات الدينية و الاجتماعية التي تمارسها فيه الفروع عندنا ، و لكن
حسب ما سمعت ، فإنه قد مزقها و رمى بها في سلة المهملات " . أشار سام بيده و قال " عظيم
سوف أزيد من أعداد هذا الفرع يا دكتور .. سأجعلهم عشرة آلاف " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و
قال بدهشة " ماذا؟؟؟ .. عشرة آلاف ؟؟؟!! " - " نعم يا دكتور ... عشرة آلاف " . نظر الدكتور
بروكلمان إلى سام بعمق و قال " هنالك شيء ما بذهنك يا سام ، فما هو ؟ " . ابتسم سامك و قال " و ما
الذي جعلك تظن ذلك يا دكتور ؟ " . رد الدكتور بروكلمان بهدوء " إنني خبير بك يا سام ، و أعرف

متى يكون ببالك أمر معين " . هز سام برأسه موافقاً و قال " نعم ، أنت محق يا دكتور هنالك أمر معين ببالي ، و سوف أخبرك به بالوقت المناسب " . فقال الدكتور " و مؤسسة إلفا و الحزب الديمقراطي ، ماذا ستفعل بهم ؟ .. ماذا ستقول لهم ؟؟ " . قال سام ببرود و عدم اكتراث " لن أقول لهم شيئاً ، فليذهبوا إلى الجحيم هذه أعمالي و أنا حر بها .. هل سأخذ إذنهم و موافقتهم كلما أقدمت على خطوة من خطواتي " - " طبعاً لا يا سام ، و لكن أنت تعرف أن لهذا الأمر خصوصيته بالنسبة لهم " - " لا تقلق يا دكتور ... سأتدبر الأمر معهم " . نظر الدكتور بروكلمان مرة أخرى إلى سام بعمق ، محاولاً أن يسبر أغواره و قال " أرى أنك واثق من نفسك كثيراً يا سام " . تتمم سام "شيء من هذا القبيل .. و أنت ، هل تثق بمقدرتي ؟ " - " في الحقيقة ، نعم .. أثق بمقدرتك يا سام ، و لكن لا أدري لماذا أشعر أن الحرب بينك و بين الديمقراطيين ستكون هذه المرة حرباً شرسة " . أشعل سام سيجاره و التفت إلى الدكتور بروكلمان " قل لي يا دكتور ... ما هو مفهوم الشر و الخطأ بالنسبة لعلم النفس ؟ " . أجاب الدكتور " علم النفس بشكل عام ، لا يدرس مفهوم الشر و الخطأ ، قدر ما يدرس و يعالج و يحلل طبيعة النفس و السلوك البشريين ، فضلاً على أن مفهوم الخطأ أو الشر بشكل عام .. هما مفهومان نسيان ، أي غير ثابتين ، و لا يمكن تحليلهما كظاهرة ثابتة ... فما هو خطأ بالنسبة لك ، قد يكون صحيحاً بالنسبة لغيرك و كذلك الشر " . و هنا تذكر سام مقولة أستاذ الفلسفة ، فسأل الدكتور بروكلمان " ما هو رأيك يا دكتور بهذه المقولة .. الشر هو الذي يصنع الحضارة ... ؟ " - " من الذي قال لك هذه العبارة يا سام ؟ " - " أستاذ الفلسفة " . صمت الدكتور بروكلمان قليلاً ثم قال " المشكلة يا سام في بعض الأمثال و الأقوال المأثورة أنها ربما تكون نتيجة لردة فعل معين أو ظرف آني ضيق ، و هي هنا ربما قد تفتقر إلى الدقة و كلام أستاذ الفلسفة هذا ، أخشى أنه نسبي أيضاً ، فالشر الذي يراه هو ، قد لا يكون شراً بالنسبة لغيره ، و أنا كدكتور في علم النفس ، لا أستطيع إطلاق الأحكام قبل أن اجلس مع أستاذ الفلسفة و أفهم منه

بالضبط ماذا يقصد .. و على الأرجح فإن هذا كلام فارغ .. معظم مرضاي النفسيين لديهم أمثالهم الخاصة بهم .. و لكن لا أدري لما أشعر أن هذا الشخص لديه كره خفي تجاهك و بنظري كدكتور في علم النفس ، إن المرء سيظهر إن عاجلاً أم آجلاً ما بداخله من شعور تجاه شخص أو شيء ما إما كردة فعل تجاه تصرف معين أو عند توفر ظرف مناسب و حجة معينة لإظهارها " .

في ذلك المساء اجتمع سام مع الشيطان و أخبره بما قام به ... " رائع يا سام ، هذه خطوة جيدة لم أتوقع منك هذا العدد الهائل " - " هذا ما حصل .. لقد أردت إرضاءك " - " برافو يا سام .. و لكن ماذا عن الموضوع الذي طلبته منك ؟.. هل بدأت بتنفيذه ؟ " - " تقصد موضوع المحرمات التي طلبتها مني نعم أيها الشيطان ، لقد بدأت في ذلك .. و لكن لا أدري لماذا أحس بالضيق ، و أن هناك شيئاً ما في داخلي سوف ينفجر " - " هذا شيء طبيعي يا سام ، لأن أطلقت العنان لنفسك سابقاً ، و لكن لا بأس .. هذه الأمور ستزول تدريجياً " . قال سام " أفكر أن أستشير الدكتور بروكلمان " . فصاح الشيطان " لا ... إياك يا سام إياك أن يعرف أحد بذلك .. عليك فقط ضبط نفسك و كفى ... هذا ليس بالأمر العسير " . و فجأة خطر لسام خاطر فقال " بالمناسبة أيها الشيطان ، لماذا لا نبدأ بإدخال المحاضرات الدينية إلى فرع أستاذ الفلسفة قبل زيادة العدد ؟ .. أليس هذا أفضل ؟ " . أجاب الشيطان " لا يا سام ، أنت زد أولاً العدد و بعدها نقوم بهذه الخطوة " . سأل سام مستفسراً " و لكن لماذا أيها الشيطان ...إنني لم افهم بالضبط " - " حسناً يا سام ، سأشرح لك أولاً عدد هذا الفرع هو مائتان و خمسون شخصاً فقط ، و في حال رفض أستاذ الفلسفة تبني هذا الموضوع و أظن أنه سيرفض حتماً و بشدة ، فانا أعرف نفسيته جيداً ، فقد يتفق معه هؤلاء ، لأنهم قلة و قد يؤثر فيهم ... و لكن في حال كان العدد عشرة آلاف ، فمن غير الممكن أن يتفقوا كلهم على أمر واحد و من غير الممكن أن يؤثر فيهم هو ، لأنهم جدد و لكل منهم

تفكير مختلف ، بينما الذين هم عنده الآن ، قد انتقاهم واحداً واحداً ، و هو يعرفهم جيداً و قد طبعهم بطابعه ... مائتان و خمسون قد يتفوقون على أمر واحد ، أما عشرة آلاف ، فلا ... ثانياً لنفرض أن أستاذ الفلسفة وافق و تم الأمر ، و عندما نأتي لنزيد العدد ستعترض إلفا و الحزب الديمقراطي ، فماذا ستقول لهما ، لن يكون هنالك حجة لديك ... أما الآن فعندما تزيد العدد و تعترض مؤسسة إلفا فمن الممكن أن تحبرهم أنك تفعل هذا لكي تجعل من هؤلاء الناس مؤمنين و أنك تريد أن تخرجهم من ربة الإلحاد إلى الإيمان .. هل فهمت يا سام " . أو ما سام برأسه و هو يقول " نعم فهمت .. لقد فهمت " . فقال له الشيطان مشيراً إليه بإصبعه " لذلك يا سام ، دعني أتصرف و لا تسألني بعد الآن و لا تقلق ، فقد حسبت حساب كل شيء " . و هنا قال سام بقلق " و لنفرض أن مؤسسة إلفا رفضت هذه الفكرة .. و لم ينفع معها شيء حتى المال ؟ " - " كما قلت لك من قبل يا سام ، في هذه الحالة سأدمرها و أجعلها تتهاوى أمام عينيك ، هي و غيرها ، المهم أن تكون أنت مطمئناً و لا تحف من أحد ... فقد بدأ عملنا الآن ، و يجب أن نكون حريصين و حذرين .. نمشي نحو هدفنا حتى النهاية و لا ندع أحداً مهما كان يخرب لنا مشروعنا ، و أهم شيء هو عدم ارتكاب الأخطاء .. لقد بدأت المرحلة الحساسة ، و أي خطأ ، سيفشل العمل كله ، و عليك منذ الآن أن تقوم بضبط نفسك و ستقوم بتنفيذ كل خطوة أو الإشراف عليها و سوف تتكشف لقاءاتنا أنا و أنت ، و كل خطوة سيعقبها لقاء .. هل فهمت يا سام ؟ " - " نعم فهمت " .

بدأ سام بتنفيذ المرحلة الثانية من المشروع ... كان أستاذ الفلسفة قد أعد له القائمة التي طلبها منه ، فقام سام بإدخالها إلى جهاز الكمبيوتر الخاص به ، و لم يمض يومان حتى كانت مديرة المدرسة عنده في المكتب .. " ما هذا الذي تفعله يا سام ؟ . هل صحيح ما سمعته ؟ " - " نعم يا سيدتي الفاضلة ، إنه صحيح " . صاحت العجوز بجنون " و لكن لماذا تفعل ذلك ؟ " . أجاب سام ببرود " لدي أسبابي الخاصة

أيتها المديرية " . فقال العجوز بصوت مضطرب "أرجوك يا سام لا تفعل ذلك .. إنها كارثة ... كارثة كبيرة ... لقد سمعت أن فرع أستاذ الفلسفة كان البارحة مثل خلية النحل ... المئات ... بل الآلاف كانوا يتدفقون عليه و يملؤون استماراتهم و بطاقات العضوية فيه " . فقال سام مبتسماً " لا تقلقي يا سيدتي " - " كيف لا أقلق يا سام .. هل تعرف ماذا يعني ذلك ؟ " . و هنا رن جرس الهاتف . كان مدير إفا ، تكلم معه سام بهدوء " أهلاً سيدي نعم ، نعم ، إنها هنا ... حسناً لا بأس اليوم مساءً سأشرح لك لاحقاً .. إلى اللقاء " . أغلق سام الهاتف و التفت إلى مديرة المدرسة و قال مبتسماً " حسناً يا سيدتي الفاضلة اليوم سألتقي مع مدير إفا و نتحدث بالموضوع ... أشكرك على اهتمامك " - " و لكن يا سام " - " قلت لك أيتها المديرية إنني سأحدث اليوم مع مدير إفا ... رافقتك السلامة " . صاح سام بغضب و قد توترت أعصابه . فانصرفت المديرية و على وجهها علائم القلق . و لم يلبث أن غادر سام المكتب و على وجهه هو الآخر علائم القلق لم يكن يدري ماذا يقول لمدير إفا ، فقرر أن يعرض الموضوع على الشيطان . صعد إلى سيارته و طلب من السائق الذهاب إلى الفيلا ، و هناك نزل إلى القبو حيث ظهر له الشيطان ... "ماذا هناك يا سام ، أراك متوتراً " . أجاب سام بقلق " اليوم جاءت مديرة المدرسة و استفسرت عن الموضوع ، و بعدها اتصل بي مدير إفا و سأل هو الآخر عن الموضوع " - " و ماذا قلت لهما ؟ " - " لم اقل للمديرة شيئاً ، و لكن مدير إفا طلب مني بتهذيب تلبية دعوته للعشاء ... من المؤكد أنه لأجل ذلك الموضوع ، فلا أدري ماذا أقول له .. هل أفاتحه بموضوع تغيير برامج فرع أستاذ الفلسفة لقد فضلت أن أراك أولاً " . أشار الشيطان إلى سام قائلاً " أحسنت صنعاً يا سام إذ فعلت ذلك و جئت إلى هنا ... على كل حال لا تخبره شيئاً الآن بل بعد فترة ... لأنك إن أخبرته الآن ، ربما يجبر بدوره أستاذ الفلسفة و تفشل الخطة من أساسها ... و لكن حاول تأجيل الموضوع معه قليلاً ، حتى يتم تثبيت هذا العدد الضخم في الفرع و نجعل هؤلاء الناس يعتادون على الوضع الجديد ،

و منذ اليوم الأول ، باشر بتوزيع المعونات على الوافدين الجدد حتى نكسب الوقت " . فكر سام ثم قال " و لكن كيف سأؤجل الموضوع مع مدير إلفا ؟ " - " ابعث إليه اليوم الدكتور بروكلمان ليخبره ، بأنك أصبت بوعكة صحية و أنه تم تأجيل الموضوع حتى الأسبوع القادم .. و عندما تلتقيان بعد أسبوع ، أخبره أن هناك تغيرات ستجري لصالحهم و لكن لا تخبره بالضبط ما هي ، و ماطل معه قليلاً حتى تكون الأمور قد استقرت قليلاً و سيطرت أنت على الوضع " . هز سام برأسه و قال بصوت متعب "حسناً أيها الشيطان ، و لو أنني أحس فعلاً بوعكة صحية نتيجة التخفيف من عاداتي الشخصية " . صعد سام إلى الطابق الأرضي ، ثم اتصل مع الدكتور بروكلمان و طلب منه الحضور ، و عندما أتى جلس سام يشرح له ما عليه فعله " هل فهمت يا دكتور ؟ " - " نعم يا سام لقد فهمت ... و لكن إذا سألني سؤلاً غير متوقع ؟ " - "مثل ماذا؟؟؟ " - " لا أدري .. أي سؤال غير متوقع ؟ " . أجاب سام بتعب " تصرف أنت بما تراه مناسباً " . فكر الدكتور بروكلمان لبرهة ثم قال " حسناً .. أنا ذاهب " .

في مكتب مدير مؤسسة إلفا دخلت السكرتيرة و أخبرته أن الدكتور بروكلمان يريد مقابلته " دعيه يدخل " . انصرفت السكرتيرة ، بعد قليل ، دخل الدكتور بروكلمان ، فرحب به المدير قائلاً ببشاشة " أهلاً دكتور بروكلمان تفضل " - "في الواقع يا سيدي ، لقد جئت لأخبركم أن السيد سام قد تعرض لوعكة صحية ألزمته الفراش ، و قد أرسلني إليكم ، ليعتذر منكم عن الموعد الذي كان بينكم " . نظر مدير إلفا إلى الدكتور بروكلمان من تحت نظارته الطبية بعيون مرتابة و قال " ما الذي أصاب المستر سام بالضبط ؟؟؟ " أجاب الدكتور بروكلمان بشكل طبيعي " إنها وعكة صحية نتيجة التعب و الإرهاق و قلة التغذية .. يجب أن يرتاح أسبوعاً على الأقل ، لقد وصفت له بعض المهدئات و المقويات ... و على كل حال ، فإنه سيتصل معكم في الأسبوع القادم " . نظر مدير إلفا إلى الدكتور بروكلمان النظرة السابقة

نفسها و قال " مستر بروكلمان .. ما هي قصة زيادة أعداد فرع أستاذ الفلسفة إلى هذا الكم الهائل " - " لا أدري بالضبط يا سيدي ، فسام هو من اتخذ هذا القرار ، و يبدو أن له أسبابه الخاصة ... أظن أنه سيشرح لكم هذا الأمر في اللقاء القادم " . فكر مدير إلفا قليلاً ، ثم نظر إلى الدكتور بروكلمان و سأله " مستر بروكلمان .. كم تتقاضى من المستر سام شهرياً ؟ " . نظر الدكتور بروكلمان إلى الرجل باستهجان و قال " عفواً يا سيدي ، لم أفهم ؟ " - " أقصد هل أنت سعيد بالعمل معه ؟ " - " طبعاً يا سيدي إنني سعيد بالعمل معه " . حك المدير رأسه الأبيض السمين و قال " كنت أفكر أننا بحاجة لمستشار لدينا بالمناسبة ، نحن ندفع رواتب و عمولات مغرية جداً ... جداً " . حذق الدكتور بروكلمان بالرجل و قال له بهدوء " أتمنى لكم كل التوفيق يا سيدي بإيجاد المستشار المناسب و الآن أستأذنكم بالانصراف " .

في الفيلا ، أخبر الدكتور بروكلمان سام بكل ما حصل معه ... " و الآن ماذا ستفعل يا سام ؟ " . فكر سام و قال بشرود " سأنتظر حتى الأسبوع القادم ، و بعدها أقرر " . و بينما هما يتحدثان ، دخل أحد الخدم و قال لسام " سيدي ، هناك إكليل من الورد وصل لتوه " . ظهرت الدهشة و الاستغراب على وجه سام و سال الخادم " ممن هذا الإكليل أيها الخادم ؟ " - " مكتوب عليه مؤسسة إلفا إنه عند الباب " . هرع سام و الدكتور بروكلمان إلى الإكليل و ألقيا نظرة عليه ... كان كبيراً و فاخراً و عليه لافتة مكتوب عليها " مع تمنياتي بالشفاء العاجل ، و اللقاء قريباً ... مدير مؤسسة إلفا " نظر سام و الدكتور بروكلمان بعضهما إلى بعض و ابتسما .

قضى سام أسبوعه يفكر ... كان قد أرسل المبالغ المالية و العينية للوافدين الجدد إلى فرع أستاذ الفلسفة ، و في نهاية الأسبوع اتصل مع مدير مؤسسة إلفا و حدد معه موعداً للعشاء .. و في الموعد المحدد ، اصطحب

معه الدكتور بروكلمان و ذهباً إلى مكان اللقاء . كان مدير إلفا و معه شخص آخر .. " أهلاً مستر سام .. كيف أصبحت الآن ؟ ... لقد قلقنا عليك كثيراً .. أتمنى أن تكون قد تجاوزت هذه الوعكة " قال مدير إلفا ذلك و هو ينظر إلى سام و يبتسم ابتسامة مأكرة " أشكرك يا سيدي " - " بالمناسبة يا مستر سام ... أعرفك على السيد رئيس الحزب الديمقراطي .. إنه صديق عزيز " . صافح سام الرجل قائلاً " أهلاً و سهلاً يا سيدي .. تشرفنا " . لاحظ سام وجود عدد من الحراس حول المكان . بعد تبادل المحادثات و الترحيبات قال سام " أظن يا سيدي أنك تريد أن تسأل عن موضوع زيادة فرع أستاذ الفلسفة ؟ " . نظر مدير إلفا إلى سام و قال بجدية " في الواقع ، نعم يا مستر سام ... لقد أثار هذا التصرف استهجاننا و استغرابنا .. و هذا أمر لم نعهده منك من قبل " . فكر سام و هو يزن كلماته بعناية و قال " إنني أقدر قلقكم و تخوفكم هذا يا سيدي ، و لكن أحب أن أطمئنكم أن الأمر ليس كما تعتقدون .. فانا سوف أقدم على هذه الخطوة لأنني أريد أن أجري تغيرات جذرية في هذا الفرع بالذات " . تمنع مدير إلفا بسام ثم سأله باستغراب " ما هي هذه التغيرات يا مستر سام ؟؟؟؟!! " . أطرق سام إلى الأرض قليلاً ثم رفع رأسه و قال " كل ما أستطيع أن أقوله لكم الآن ، هو أن هذه التغيرات إيجابية و هي لصالحكم مئة في المئة " . نظر كل من مدير إلفا و رئيس الحزب الديمقراطي إلى بعضهما البعض بدهشة و فضول ، ثم التفت رئيس الحزب الديمقراطي إلى سام و قال له " هل نستطيع يا مستر سام أن نعرف ماهية هذه التغيرات ؟ .. فربما يكون لنا رأي معين أو نصيحة أو مشورة " . رد سام بأدب " أرجو أن تعذروني أيها السادة .. إنها تجربة أقوم بها ، و في حال فشلت ، أعدكم أن الأمر سيعود كما كان عليه " . فقال مدير إلفا " و لكن لماذا لا تشاركنا في أفكارك يا مستر سام فنحن لدينا خبراء و فنيون و مستشارون يمكن أن يسدوا إليك النصيحة " . أجاب سام " كما قلت لكم أيها السادة ، إنها تجربة .. و على كل حال ، سأطلعكم عليها بعد فترة " - " ، كم تستغرق هذه الفترة يا مستر سام ؟ " - " حوالي شهر أو شهرين و بعدها إن قررت الاستمرار

سأخبركم بها، وإن فشل الأمر ، سألغي الموضوع ، و يعود فرع أستاذ الفلسفة كما كان في البداية " .
كانت نظرات الشك و الاستغراب و الحيرة بادية على كل من رئيس الحزب الديمقراطي و مدير مؤسسة
إلغا الذي قال بقلق " أنت تعرف يا مستر سام ، إن هذا الموضوع خطير بالنسبة إلينا ، و إنه " - "
أرجو يا سيدي أن تطمئن تماماً ، و تأكد أنني لن أقوم بأي فعل من شأنه الإساءة إليكم ، أو الإضرار
بمصالحكم " - " حسناً يا سام سنرى ... و لكن نرجو ألا تطول مدة انتظارنا " .

عاد سام إلى الفيلا ... كان قد أصبح له مدة طويلة لم يمارس فيها شيئاً من عاداته ... بدأ يحس بالتعب و
الإرهاق و بأن جسمه غير طبيعي .. كان يحس أن هناك شيئاً ما في داخله يضايقه و يزعجه .. أحس أن
هذا الذي يحصل معه ، سببه الضبط الصارم الذي وضع نفسه فيه ... كان مولعاً بالجنس و الضرب و
التهجم على موظفيه ، فضلاً على أنه قد بدأ يدمن شيئاً فشيئاً على المخدرات .. أما الآن فقد أجبر نفسه
على التغاضي عن كل هذه الأمور .. جلس على الأريكة و هو يحس بتعب و ضيق ... كانت حرارته
ترتفع و تنخفض .. أمسك بالسماعة و اتصل بطيبه الخاص الذي حضر على الفور ... كان مستلقياً في
الفرش عندما أخذ الطبيب يعاينه ... بعد الفحص ، هز الطبيب برأسه و قال لا أظن أنك تشكو من شيء
عضوي يا سيدي ... إنه إرهاق فقط " . فقال سام بقلق و تعب " و لكنني أحس أن هناك شيئاً ما بداخلي
أيها الطبيب ... أحس أنه موجود في داخلي " . أجاب الطبيب مهدئاً سام " أظن أنها أوهام ... و عل كل
حال ، سأكتب لك على مهدئات ، و عليك بالتخفيف من التعب " - " و لكنني لا أجهد نفسي يا دكتور
" . هز الطبيب برأسه مرة أخرى و قال " لا بأس ، لا بأس .. إنه عارض و سيزول قريباً " عندما ذهب
الطبيب ، نزل سام إلى القبو و هناك ظهر له الشيطان الذي لاحظ عليه التعب " ما بك يا سام ؟؟ " . جلس
سام على الكرسي و أحنى رأسه إلى الأرض و قال " أحس أنني متعب .. لقد استدعيت الطبيب اليوم " - "

و ما هو السبب يا سام؟؟؟ " - " لا أدري ، و لكن و منذ أن توقفت عما كنت أقوم به من عادات . بدأ هذا الأمر يظهر معي " - " إنه أمر طبيعي يا سام فعندما تمتنع عن شهواتك و ما تريده و تتمناه نفسك ، ستشعر بالضيق .. إنني أعرف مدى حساسية و تأثير هذا الأمر بالنسبة للإنسان ، و مدى خطورته في الوقت نفسه .. و لهذا طلبت منك التوقف عنه " . رفع سام رأسه ببطء و قال بتعب " لقد بررت اليوم موقفني أمام مدير مؤسسة إفا و رئيس الحزب الديمقراطي ، و لكنهم لم يقتنعوا كثيراً ، و سكتوا على مضض " . فكر الشيطان قليلاً ثم أشار إلى سام " الخطوة التالية يا سام ، هي أنك ستضع فرع أستاذ الفلسفة تحت إشراف الدكتور بروكلمان مثل بقية الفروع الأخرى .. أي أن علاقته معك ستصبح ابتداء من الآن عن طريق الدكتور بروكلمان " - " و لكن لماذا ؟ " - " لتجعل بينك و بينه حاجزاً نفسياً و إدارياً في الوقت نفسه ... يجب أن يعتاد منذ الآن على التقيد بالقوانين الإدارية الصارمة ، لكي نهيه نفسياً على تلقي الأوامر و إطاعتها .. و عليك منذ الآن أن تعامله بشكل رسمي .. و الآن اذهب يا سام ، فأنت على ما يبدو متعب قليلاً .. خذ قسطاً من الراحة .. إلى اللقاء " .

في اليوم التالي اتصل سام مع أستاذ الفلسفة و أبلغه بوضعه تحت إشراف الدكتور بروكلمان . فصاح الأستاذ " و لكن أنت تعرف يا سام أن علاقتي معه " - " لا يوجد يا أستاذ في العمل علاقة جيدة أو سيئة هناك إدارة و تسلسل هرمي ثم ما شأنك به ؟ .. إن كنت غير مرتاح له ، فهذا لا علاقة له بالعمل ... ثم إن الدكتور بروكلمان ليس سيئاً إلى هذا الحد " - " و لكنني لا أرتاح بالتعامل معه يا سام ، ثم إنني " - " اسمع يا أستاذ .. لدي مشاكل و هموم كثيرة ، و منذ الآن لن أستطيع التفرغ بشكل تام لأمر المؤسسة فلدي مشاغلي الأخرى، و لهذا ستكون علاقتك مع الدكتور بروكلمان .. و عل كل حال لقد أخبرته بالموضوع و أوصيته بك ، و هو سيعاملك مثل بقية الفروع الأخرى ، فلا تقلق من هذا

الأمر ... و ابتداءً من الآن ، أي شيء تريده ، أطلبه من الدكتور بروكلمان .. و الآن إلى اللقاء يا أستاذ ،
فأنا مشغول قليلاً ... أتمنى لك حظاً طيباً " . أغلق سام الهاتف و استرخى في مقعده ، ثم أشعل سيجاراً
وأخذ يفكر .

ظهور الوحش

مضى الشهر تقريباً.... كان سام قد طلب من الدكتور بروكلمان ضخ المساعدات و المعونات بشكل مكثف إلى فرع أستاذ الفلسفة و في الوقت نفسه ، كان يطبق تعليمات الشيطان الصارمة بالابتعاد عن شهواته و نزواته .. كان يشعر بالضيق و التعب الشديد من جراء ذلك ، و يحس بأنه غير طبيعي .. لم يكن يعرف ماذا به بالضبط .. لقد بدأت تنتابه نوبات خفيفة متقطعة ، عبارة عن رغبة شديدة جداً و جامحة لممارسة الجنس أو التكسير أو التحطيم أو الصراخ ، و لكنه كان يضغط على نفسه بقوة ، محتملاً الألم أحياناً كان ينتابه دوار شديد و صداع هائل ، مصحوب بصفير ودوي قوي في رأسه ... و لكن أكثر ما كان يخيفه ، هو الحركات اللا إرادية التي تصدر عن أطرافه ، فاتصل بطبيبه الخاص مرة أخرى و أطلعه على الأمر .

في المستشفى .. جلس سام أمام الدكتور الذي فحصه بشكل كامل ، و أجرى له تخطيط قلب و دماغ ، و أجرى له أيضاً تحاليل طبية كاملة "للأسف يا سيد سام ، لم يظهر في التحاليل أي شيء يدل على أنك مريض و زيادة في التأكد ، فقد فحصك اثنان من زملائي أيضاً ، و أعطوا النتيجة نفسها " .

فقال سام بقلق " إذاً لماذا يحصل هذا الأمر معي ؟ " . أطرق الطيب برأسه إلى الأرض و قال " أظن أنه ربما يجب عليك مراجعة الدكتور بروكلمان " . صاح سام " ماذا ؟؟؟!!؟ ... هل أنا مريض نفسياً؟؟ .. هل أنا " - " لا ، لا مستر سام .. لا تسئ فهمي ، إنني لم أقصد ذلك ، و لكن ما قصدته هو أنه ربما تكون متعباً نفسياً من الظروف المحيطة بك ... أما عضوياً ، فأنت سليم تماماً " . في الطريق إلى الفيلا ، كان سام يفكر في نفسه "ماذا سأقول للدكتور بروكلمان ؟ هل أكشف له حقيقتي و أخبره بما أقوم به و أفعله ؟ ... هل أخبره عن نزواتي الجنسية و عن تعاطي المخدرات و عن الناس الذين تسببت بتدميرهم ، و أنني لا أستطيع العيش من دون هذه الأفعال ؟ هل أخبره أنني كنت أضاجع زوجة صديقي العزيز جان ؟ .. هل أخبره عن ... و عن ... و عن .. ؟ لا ، لن أخبره ... و سأتحمل الأمر " في ذلك المساء نزل سام إلى قبو الفيلا و التقى مع الشيطان " غداً سأجتمع بمدير مؤسسة إلفا ، فماذا أقول له ؟ " - " أخبره أنك تريد إدخال العلوم و المحاضرات الدينية و الاجتماعية إلى فرع أستاذ الفلسفة و أنك تريد أن تغير من أفكارهم ، و في الوقت نفسه باشر بهذا الأمر ، و اطلب من الدكتور بروكلمان إدخال البرامج الدينية و الاجتماعية " . نظر سام إلى الشيطان و قال " لقد قلت لي إن لديك أفكاراً تريد إدخالها ... فأين هي ؟ " . أشار الشيطان بيده إلى سام قائلاً " إنها الخطوة التالية يا سام و لكن يجب أولاً أن نهى هؤلاء الناس في البداية لتقبل ما نريد أن نقوله لهم " .

في اليوم التالي استيقظ سام من النوم متأخراً ، و الصداع يملأ رأسه ... كان يعد الأيام المتبقية لنهاية الشهر ، كي يمارس شهواته و نزواته .. كان يحس بالراحة عندما يفعل ذلك ، و يحس كأنه قد أفرغ كل شحناته ، و في الوقت نفسه تختفي كل هذه الأعراض لديه ... عندما خرج من الحمام ، اتصل مع الدكتور بروكلمان و طلب منه أن يقوم بإدخال البرامج الدينية و الاجتماعية إلى فرع أستاذ الفلسفة ... أغلق

السماعة و ذهب إلى الشركة ، كان لديه بعض المناقصات و العروض للاطلاع عليها . لم تمض ساعة ، حتى كان الدكتور بروكلمان يطرق باب المكتب في الشركة ... " ماذا وراءك يا دكتور ؟ " . أجاب الدكتور بضيق و انزعاج " لقد رفض أستاذ الفلسفة بشكل قاطع إدخال البرامج الدينية على فرعه و طلب مني بفظاظة عدم التدخل " . صاح سام بغضب " ما هذا الكلام .. هل نحن هنا في مؤسسة موز " ثم رفع السماعة و اتصل مع أستاذ الفلسفة " ما هذا الذي سمعته يا أستاذ ، هل صحيح ما قاله لي الدكتور بروكلمان ؟ " . فكرر أستاذ الفلسفة السؤال نفسه " أنا الذي أريد أن أسألك السؤال ذاته .. هل صحيح ما سمعته من الدكتور بروكلمان " . أجاب سام و قد تمالك نفسه " نعم صحيح يا أستاذ " . فرد الأستاذ بانفعال " إذاً صحيح ما قاله لك أنت أيضاً " . تمالك سام نفسه مرة أخرى و قال للأستاذ بهدوء " و لماذا تفعل ذلك يا أستاذ؟؟ " . صاح الأستاذ بجدة " كيف لا أفعل ... أنت تعرف أن موضوع الدين لا يمكن القبول به أبداً عندنا ... ثم إن هذه أمور شخصية خاصة بالشخص نفسه و لا نستطيع أن نجبر أحداً على قبول الدين " . أجاب سام بصوت هادئ متعب " و لكن هذه هي البرامج عندنا يا أستاذ " . فصاح الأستاذ مرة أخرى " و منذ متى تطبق علينا هذه البرامج يا سام؟؟ " - " منذ الآن " - " و نحن نرفض بشكل قاطع هذا الأمر " . و هنا صعد الدم إلى عروق سام ، فصاح بهياج " و من أنت حتى ترفض أو تقبل ؟ .. هذه المؤسسة ، مؤسستي .. و هذا الفرع الذي تديره ، هو لي أنا ... و أنا من وضعك عليه و أستطيع أن أغريك فوراً " . فرد أستاذ الفلسفة باستفزاز واضح " لا يا سام ، إنك لا تستطيع " . فصاح سام " هل تحداثي ؟ " . أجاب الأستاذ باللهجة نفسها " نعم .. أتحداك ، و أنا لن أقبل بأن يفرض علينا أحد الدين ، و ما رفضناه في السابق ، لن نقبله الآن " - " إذاً سألغي الفرع كله " - " أنت حر يا سام .. و لكن أكرر لك ... الدين لن نقبله أبداً " فقال سام بصوت غاضب مكبوت " لم أكن أعرف أنك ملحد و كافر لهذه الدرجة " . فرد أستاذ الفلسفة " و أنا لم أكن أعرف أنك مغرور و قاصر النظر لهذه الدرجة " ، و هنا انفجر سام

بهياج شديد " أيها السافل أيها التافه ... أيها الوضيع .. اترك الفرع حالاً و غادر المبنى .. أنت مطرود منذ الآن " . فرد أستاذ الفلسفة "لا أيها الحقير البائس ... سنترك كلنا جميعاً و لسنا بحاجة إلى أموالك " . أغلق أستاذ الفلسفة الخط بوجه سام ، الذي احمر وجهه من شدة الغضب و الغيظ ، و كانت يدها ترتجفان و أسنانه تصطك بعضها ببعض . و هنا تدخل الدكتور بروكلمان .. " اهدأ يا سام ... اهدأ ... استرخ على المقعد و هدى من روعك " . زجر سام بصوت غاضب مكبوت " سأقتله ... هذا الحقير التافه .. السافل ... من يظن نفسهصاحب مبادئ إنه يتحداني ، و أنا الذي صنعته لقد كان منبوذاً بين الناس ، و أنا الذي صنعته ... أنا يا بروكلمان " - " اهدأ يا سام أرجوك إنه رجل تافه فعلاً ، و مريض نفسياً و من خلال لقاءاتي و حديثي معه ، أدركت أنه غير طبيعي " . فهدر سام " هذا الكافر الملحد يتمرد علي ؟ ... علي أنا " . قال الدكتور بروكلمان " أنا أرى أن تعزله فوراً " ، فقال سام وقد هدأ من ثأثرته قليلاً " و لكنهم قد يتضامنون معه و يتركون الفرع كلهم " - " ماذا ستفعل إذا ؟ " . فكر سام قليلاً ، ثم قال " حسناً يا دكتور ، إنني مضطر للمغادرة الآن ، و لاحقاً أخبرك ماذا سأفعل " . غادر سام إلى الفيلا ، و هناك نزل إلى القبو حيث ظهر له الشيطان " أظنك تعرف ما حصل أيها الشيطان " - " نعم ، نعم يا سام " - " و الآن ماذا سأفعل ؟ كيف سأصرف ؟ " . صمت الشيطان قليلاً ثم قال " هل تذكر يا سام الرجلين اللذين أحضرهما أستاذ الفلسفة في أثناء المظاهرة التي افتعلها أستاذ الفلسفة أمام بيتك في البلدة ؟ " - " نعم أذكر ... ما بهما " - " وقتها يا سام ، عرضت عليهما المال ، فقبلا ، بينما رفض أستاذ الفلسفة " - " نعم ، نعم أذكر هذا جيداً " - " حسناً يا سام ، اذهب إلى هناك و أعرض الأمر عليهما و اطلب منهما العون " . فقال سام بقلق " أخشى أن يرفضاً ، و لا يقفوا معي " - " لا ، لا يا سام سيقفان معك طالما أنهما قد قبلا المال .. بالمناسبة ، اعرض عليهما مبلغاً لا بأس به كهدية " . فقال سام بياس و انفعال ، و هو يضرب بيديه على جانبيه " و لكن لماذا لا تتدخل بشكل مباشر و تخلصني

من هذا السافل النذل أيها الشيطان ؟ " . هز الشيطان برأسه و قال مبتسماً " متى ستتعلم يا سام هناك ألف طريقة للتخلص من شخص ما من دون لفت الأنظار ... عليك دائماً أن تبدأ بالخطوة الأولى .. ألم أشرح لك كيف كنت أفعل مع الناس ؟ ... كنت أبدأ مع الشخص خطوة خطوة ... أجرب الأسهل ، فإن لم ينجح ، أنتقل إلى مستوى أعلى و هكذا و الآن هيا ، اذهب إلى الشمال و قم بعزل أستاذ الفلسفة ، و اطلب مساعدة هذين الشخصين " . في اليوم التالي ذهب سام إلى الشمال و معه الدكتور بروكلمان ، و عندما وصلا إلى البلدة ، كان الوضع متوتراً هناك ، و مضطرب جداً . نظر الدكتور بروكلمان من نافذة السيارة و هي تمضي مسرعة ثم قال بقلق " يبدو أن أستاذ الفلسفة قد هيج عليك الناس يا سام " . عندما وصلت السيارة إلى المنزل ، كان هناك عدد لا بأس به من المتجمعين الذين ما إن رأوا سام ، حتى أخذوا يصيحون بوجهه و يقذفونه بما معهم ، ثم حاولوا التهجم عليه ، و لكن حرسه تدخل فوراً و أطلق النار في الهواء ، فتراجعوا إلى الوراء . دخلت السيارات إلى باحة المنزل الداخلية و أغلقت الأبواب .. في الداخل ، كان أهل سام خائفين و مضطربين . صاح سام " ما الذي حصل يا أمي ؟ ... ما الذي حصل ؟ " . أجابت الأم و قد أمسكت بولدها و هي تبكي بخوف " منذ الصباح الباكر و هؤلاء متجمعون هنا و هم يصرخون و يطلقون الشتائم و التهديدات و الحجارة أيضاً ، و قد كسروا عدداً من النوافذ ، فقمنا بإغلاق البوابات و أوصدناها من الداخل ... و البارحة اتصل أستاذ الفلسفة إلى هنا و قام بشتمك بأفزع الشتائم " . قالت الأم ثم ضمت سام إليها و هي تبكي " . هداً سام والدته و هو يتمتم بصوت يشبه صوت الحيوان المفترس " سأقتلك ... سأقتلك هذه المرة " ثم التفت إلى أهله و قال لهم مهدئاً و متمالكاً نفسه أمامهم " لا تقلقوا .. اطمئنوا ، ساحل الموضوع بسرعة ، أنتم ابقوا في الداخل فقط " .

ذهب سام و الدكتور بروكلمان إلى غرفة المكتب الخاص و هناك سأل الدكتور بروكلمان " و الآن ماذا ستفعل يا سام ؟ ... الوضع متوتر " ، أمسك سام بالهاتف و اتصل بالرجلين اللذين قال له عنهما الشيطان

، و طلب منهما الحضور . ثم فكر قليلاً و قال " هذه المرة سأحتاج إلى عمدة المقاطعة هنا " . رفع السماعه مرة أخرى و اتصل مع عمدة الشمال و أطلعه على الموضوع ، فطمئنه الرجل قائلاً " لا تقلق يا مستر سام حالاً سأصدر أوامري ، و سأرسل قوة لحمايتك و اعتقال هؤلاء الهمج و تقديمهم للعدالة " .

أغلق سام الهاتف ، ثم جلس هو و الدكتور بروكلمان يتدارسان الموقف . و بعد قليل جاء أبوه ليخبره أن الرجلين اللذين استدعاهما ، قد حضرا رحب سام بالرجلين و أخذهما إلى غرفة المكتب حيث الدكتور بروكلمان ، و هناك تكلم معهما قائلاً " أنتما تعرفان جيداً ما قمت به من خدمات لأجلكم جميعاً و لأجل أنصار حزبكم لقد فعلت الكثير ، و ما لم يفعله غيري " . أجاب الرجل الأول "نعم ، نعم يا سيد سام ، لقد فعلت الكثير لأجلنا " . أضاف سام قائلاً " و قد وثقت بأستاذ الفلسفة و اعتبرته صديقي و رفيق عمري ، و تعرضت لضغوط و حروب و مضايقات كثيرة لأجله ، و مع هذا وقفت إلى جانبه و أعطيته ثقتي و لم أتخل عنه .. و ها هو الآن يخونني و يغدر بي لأبسط الأسباب ، و يتمرد علي و يهيج ضدي الناس ، فقط لأنني أريد إدخال برامج التعليم الديني إلى الفرع ، أسوة ببقية الفروع الأخرى في مؤسستي ... إنني أريد أن أزيل عنكم تهمة الكفر و الإلحاد ، وهو يريد تثبيتها عليكم و لهذا أيها السادة أريد مساعدتكم ، و أنا جاهز لأي شيء " . هز الرجل الأول برأسه متفهماً و قال " ربما يكون معك حق يا سيد سام " . فقال الرجل الثاني معترضاً " و لكن هل من الضروري يا سيد سام أن يكون هنالك برامج دينية ؟ " . و هنا دار بين الرجلين نقاش و جدال حاد .. قال الأول " نعم إنه من الضروري ذلك هل من الضروري أن نعيش حياتنا كلها في فقر و حاجة ... لقد أخذ منا الديمقراطيون كل شيء .. حتى انتخابات البرلمان الأخيرة ، خسرتنا فيها خمسة مقاعد لصالح الديمقراطيين .. لقد ذهب الاتحاد السوفييتي ، و لم نكوّن لأنفسنا شيئاً ... و لا حتى رأسمال خاص بنا أو مؤسسة أو جمعية لقد أصبح معظمنا يعمل بالأجرة لدى الديمقراطيين الذين أصبحوا يحتكرون كل شيء ... رأس المال ..

الصحافة .. الإدارة .. حتى الزراعة ، أصبحوا ينافسوننا عليها لقد تغير الواقع ، و علينا أن نعي ذلك جيداً لقد ساعدنا السيد سام كثيراً و وقف إلى جانبنا و تعرض لضغوط و هجمات كثيرة من أجلنا أفلا نلبي له هذا الطلب ماذا فعل لنا أستاذ الفلسفة ؟ ... إنه لم يفعل شيئاً ، و كل هذه المساعدات هي عن طريق السيد سام ... ثم لا يحق له مهما حصل أن يعامله بهذه الطريقة " - " و لكن " - " اسمع .. يجب أن تنضم إلي في هذا الأمر ، فلا خيار أمامنا غير ذلك " . كان سام و الدكتور بروكلمان ينصتان باهتمام إلى حديث الرجلين و ينظران بعضهما إلى بعض استمر نقاش الرجلين فترة من الوقت ، و في النهاية ، بدأ أن الرجل الثاني قد اقتنع بكلام الرجل الأول . فنظر الاثنان إلى سام و أوما برأسيهما موافقين . و هنا قال سام للرجل الأول " و لكن ربما ينحاز أعضاء الفرع إلى أستاذ الفلسفة و يتركون الفرع " . ابتسم الرجل و قال ببرود " لا يا سيد سام ، ليسوا جميعهم معه " . فسأل سام بقلق " و هؤلاء المتجمعون في الخارج ... و الذين هم في الفرع هناك ؟؟؟ " . أجاب الرجل أيضاً ببرود " إنهم أنصاره ، و حتى هؤلاء ، عندما يتعلق الأمر بالمال ، فإنهم يتخلون عنه أنت لا تدرك يا سيد سام الناس بحاجة إلى المال ، إننا بأمس الحاجة إلى المال " . و هنا دخل والد سام قائلاً " سام ... هناك ضابط يريد رؤيتك " . أجاب سام على الفور "دعه يدخل يا أبي " . دخل الضابط و ألقى التحية على سام قائلاً " سيدي أنا هنا مكلف بحمايتك و خدمتك فأبي شيء تطلبه مني .. أنا جاهز " - " أشكرك يا سيدي و أشكر السيد العمدة ... في الواقع و كما ترى ، هناك بعض الرعاى الذين يتجمعون في الخارج ، لقد تسببوا بالخوف و الذعر لأسرتي " . رد الضابط بحزم "سأقوم الآن بطردهم ، و كل من يرفض سأعتقله على الفور " . خرج سام و الضابط و الدكتور بروكلمان و الرجلين إلى الخارج ، و هناك أمر الضابط أفراد الشرطة الذين كانوا معه ، بطرد المتجمعين و اعتقال كل من يتخلف منهم و على الفور بدأ الناس ينسحبون إلى مبنى الفرع ، حيث كان أستاذ الفلسفة موجوداً . نظر سام إلى الضابط و قال " أظن يا

سيدي أنهم ذاهبون إلى الفرع التابع لمؤسستي ، حيث أعلن أستاذ الفلسفة التمرد علي و هو يهيج الناس هناك ضدي " . فسأله الضابط " بماذا تأمرني يا سيدي ؟ " . أجاب سام " لقد عزلت هذا الرجل أيها الضابط ، و أريدك أن تطبق هذا الأمر " - " حسناً يا سيدي ... فلنذهب إلى هناك " . و هنا نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال له " ستتولى يا دكتور عملية الإشراف على العزل ، و سوف تقوم بتعليق ورقة الطرد أمام باب الفرع ، حتى يراها الجميع " ثم التفت إلى الرجلين قائلاً " أما أنتما أيها السيدان ، فأريدكما أن تقنعا الناس هناك بوجهة نظرنا هيا بنا " . ذهب الجميع إلى مكان الفرع ، كان يوجد أعداد كبيرة من المتجمعين ، فقام الضابط باستدعاء قوات إضافية من الشرطة ... كان المتظاهرون يحملون العصي و الحجارة ، و قوارير زجاجية .. حاول الضابط في البداية إقناع المتجمعين بالعودة إلى منازلهم بالحسنى و لكنه لم يفلح ، فأمر قوات الشرطة بتفريق الناس ، و هنا اندلعت المواجهة بين رجال الشرطة و بين المتجمعين الذين هرب قسم منهم و بقي قسم آخر يقاتل بضراوة . أخذ رجال الشرطة يستخدمون العصي و الهراوات في تفريق الناس الذين أخذوا بدورهم يضربون الشرطة بما يحملونه معهم ، و لم تلبث أن جاءت قوات إضافية .. كانت المواجهة حامية و عنيفة استخدم فيها الرصاص و أخيراً تمكنت الشرطة من ضبط الوضع و تم اعتقال العديد من المهاجمين و فر بعضهم الآخر من المعركة ، بعد ذلك ، دخل أفراد الشرطة إلى مبنى الفرع و اعتقلوا أستاذ الفلسفة الذي كان بداخله ، و قيده و أخرجوه من المبنى ، ثم أحضروه إلى الضابط . و ما إن رأى سام ، حتى انتابته نوبة من الغضب و الهياج ، فأخذ يسبه و يشتمه و يشتم الرجلين الذين كانا معه ، واصفاً إياهما بالخونة أمر الضابط بوضع أستاذ الفلسفة في السيارة ، فأمسك به رجلين من الشرطة و اقتادوه إلى السيارة ، بينما التفت هو برأسه إلى الورا ناظراً إلى سام و الرجلين و الدكتور بروكلمان و هو يصق نحوهم بشكل مستمر . فقال له أحد الشرطيين اللذين يقودانه إلى السيارة " سيجف حلقك يا سيدي ، و تصاب بالعطش ، إذا استمررت بالبصاق هكذا " .

نظر الضابط إلى سام و قال له " لقد هدأت الأمور يا سيدي ، و لكن مع هذا ، سأضع حراسة على المبنى هنا ، تحسباً لأي طارئ أو إشكال قد يحدث لاحقاً ، و أرجو منك إذا سمحت أن توافيني إلى مركز الشرطة بعد ساعة ، لتسجيل إفادتك ضد من تهاجموا عليك و ضد هذا الرجل " . ذهب الضابط ، و أخذ سام يلتفت حوله ... كانت آثار المعركة واضحة للعيان... الزجاجات المكسورة و القضبان و العصي و الدماء التي سقطت من الطرفين ، من الشرطة و من المتجمعين ، فضلاً عن آثار الرصاص في الجدران .. كانت سيارات الإسعاف قد حضرت و أخلت الجرحى الموجودين .

دخل الجميع إلى المبنى الذي كانت أبوابه و نوافذه مكسرة ، و أثاثه محطماً تقريباً و قطع الزجاج و الخشب منتشرة في كل مكان ... كان هناك بعض الموظفين في الداخل . التفت سام إلى الرجلين و قال لهما بهدوء أرجو منكما أيها السيدان أن تدعوا الآن أعضاء الفرع لاجتماع عاجل لتعيين مدير جديد ... و تحيير الأعضاء إما بالاستمرار أو سنلغي عضويتهم " . رفع أحد الرجلين الهاتف ، و أخذ يتصل مع بعض الأشخاص ، بينما قام الدكتور بروكلمان بتعليق ورقة طرد أستاذ الفلسفة ، و أخذ أسماء الموظفين الموجودين في الفرع .. أخذ سام يتأمل النوافذ المكسرة و الأبواب الخارجية المحطمة و بقايا الزجاج و الخشب و الدماء ، لم يستطع بالضبط تحديد ماهية الشعور الذي ينتابه .. غضب ، فرحة .. تشفي .. غيظ ، إنه لم يعرف . بعد قليل حضر أحد الرجلين و قال لسام " لقد اتصلت بمندوبين عن كل أعضاء الفرع و سيحضرون إلى هنا بعد ساعتين " أشعل سام سيجاراً و نفث دخانه في الهواء و قال "عظيم جداً ... دعونا أيها السادة نعد إلى المنزل لنقرر ماذا سنفعل" .

في المنزل ، أخذ سام يشرح للرجلين و الدكتور بروكلمان ، كيفية العمل "سنجري استفتاء على الوضع الجديد و الموافقون هم الذين سيقون في الفرع و يستفيدون من خدمته ، أما الآخرون ، فسيتم فصلهم و

سيقوم المندوبون بهذه المهمة .. كل منهم سيجري الاستفتاء في بلده .. و الذين شاركوا اليوم في العصيان و التمرد ، سيتم فصلهم و طردهم بالأحوال كافة .. أما أنتما أيها السيدان الجليلان ، فسيكون دوركما إقناع المندوبين بالأفكار و المنهج الجديد و هم بدورهم سيقنعون الناس ، و بعد ذلك سنبت بشأن موضوع رئاسة الفرع " . قال الرجل الأول " اطمئن يا سام ، سنقنع المندوبين بذلك " . ربت سام على كتف الرجل الأول مبتسماً ، ثم ذهب إلى الداخل و عاد بعد قليل و بيده رزمتان ماليتان كبيرتان . نظر إلى الرجلين و قال " أيها السيدان لقد مررتم اليوم بوضع عصب ، و تحملتم المسؤولية بشجاعة و صدق و إخلاص ... و لهذا أقدم هذه الهدية المتواضعة لكل منكما .. و أيضاً سنعطي المندوبين بعض المبالغ للمساعدة .. تفضلاً " ، أخذ الرجلان المال و قال الأول منهما " شكراً لك يا سيد سام و سوف نكون عند حسن ظنك بالتأكيد " . ربت سام مرة أخرى على كتف الرجل و قال " حسناً أيها السادة .. لقاءنا في الفرع بعد ساعتين للاجتماع مع المندوبين " .

في المساء و بعد أن أنهى سام أعماله جلس هو و الدكتور بروكلمان في حديقة المنزل بالبلدة ، يتحدثان . كان الجو جليلاً بارداً و الغابات الخضراء و الحقول الممتدة أمامهم ، تأتي برائحة منعشة مزيج من رائحة الأرض و الأعشاب و الخشب .. و أصوات الضفادع تملأ المكان . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و سأله " قل لي يا دكتور .. ما هو تفسيرك لهذا التصرف المفاجئ الذي قام به أستاذ الفلسفة " . فكر الدكتور بروكلمان قليلاً ثم أجاب " في الواقع إنه فعلاً تصرف مفاجئ لقد كنت أتوقع منه ذلك الأمر ، و لكن ليس بهذه الدرجة و هذه الحدة يبدو لي و من خلال معرفتي به و لقاءاتي القليلة معه ، أنه يحمل نوعاً من الحقد و الكره لكل ما هو رأسمالي أو ديني ... كما أنه مصاب بنوع من حالة تسمى كره المجتمع و الناس ... و المرء هنا يعد نفسه مصيباً و غيره هو الخطأ ، و أن الناس منافقون و كذابون و

أشرار .. و أظن أن صاحبنا هذا يحمل هذه البذور جميعها في جعبة عقله الباطني " . اهتم سام بكلام الدكتور بروكلمان ، فقال له " اشرح لي أكثر يا دكتور " - "يقال يا سام ، أن المرء أسير تصرفاته ... و لكنه أيضاً و في بعض الأحيان ، يكون أسير ما يصفه به الناس أو يضعونه فيه ... فمثلاً إن أنت عاملت أحد الأشخاص على انه مجرم مثلاً أو شرير و جعلته يشعر بهذا بشكل دائم ، فإنه و في ظروف معينة قد يتأثر بهذا الأمر و أستاذ الفلسفة برأيي هو أسير ظروف معينة مر بها ... فمعظم الناس قد حاربوه كما أخبرتني مرة ، و خانته بعض أصدقائه ... الخ ، فهذه الأمور على ما يبدو قد أثرت فيه و جعلته ينظر إلى الجميع بالمنظار نفسه " . تساءل سام بدهشة " حتى أنا يا دكتور؟؟ " . أو ما الدكتور برأسه موافقاً " حتى أنت يا سام ، بل لعلك أول من ينظر إليه هكذا ... فعلى ما يبدو يوجد في عقله الباطني .. كره الرأسمالية ، و كره الأغنياء و ربما كره كل ما هو سعيد " - " هل هذا يعني أنه إنسان حسود؟ " - " ليس بالضرورة ، و لكن المشكلة هي أن كل الذين كانوا خصوماً و أعداء له سواء من الناحية المادية أو الفكرية ، هم على هذا النحو ، و لهذا أصبح ينظر إلى هذا الصنف أو الفئة ، تلك النظرة على كل حال ، فإن هذه الحالة موجودة عندنا في علم النفس ، و لكن شرحها معقد و طويل ... و لكن ما أستطيع قوله لك ، هو أن هذه الصفات موجودة فيك ، و لذلك فإنه قد رفضك بالاشعور و من دون أن يحس ... و بالاشعور أراد أن يجاربك ، و بخاصة أنك كنت في بعض الأحيان مختلفاً معه بالرأي .. هناك أمراً آخر ... لقد أخبرتني أنه قال لك يوماً إن الشر هو الذي يصنع الحضارة ... و هذا ما يصدق كلامي و تحليلي لشخصيته " . فقال سام باستغراب " و لكنني في الفترة الأخيرة حققت له كل رغباته التي كان يتمناها ... صنعت له فرعاً و زدت له عدده إلى عشرة آلاف " . ابتسم الدكتور بروكلمان و أشار إلى سام بإصبعه قائلاً " قد يكون هذا بالذات هو السبب الذي جعله يفعل ذلك لأن هذه الأمور جعلته يشعر بالنقص و الإحباط ... فمصدر سعادته و تحقيق أحلامه ، هو من شخص يعد في عقله الباطني عدواً أو خصماً أو نداً له " . صاح

سام بدهشة " هل هذا معقول يا دكتور " . أجاب الدكتور و هو يتأمل الطبيعة الجبلية التي أمامه " أظن أن هذا هو الحل الأقرب للصواب ، فأنا لم أجلس مع أستاذ الفلسفة كفاية لأكون نظرة عنه " .

في اليوم التالي ، عاد سام و الدكتور بروكلمان إلى العاصمة . و في المساء، نزل سام إلى القبو و التقى مع الشيطان ، وعرض مع ما حصل معه " جيد يا سام .. ما قمت به ، كان عملاً صائباً " . فقال سام و هو محتار " و لكن من سأعين بدل أستاذ الفلسفة " . أجابه الشيطان " أحد الرجلين اللذين وقفنا معك ، و أفضل الرجل الأول ، كونه تحمس لك منذ البداية ... أما أستاذ الفلسفة ، فعليك أن تسقط حقلك الشخصي عنه " . صاح سام باستغراب " و لكن لماذا أيها الشيطان؟؟.... يجب أن ينال جزاءه " . ابتسم الشيطان و هز برأسه نافيةً " لا يا سام ... يجب أن تفعل ذلك لكي تكسب قلوب الناس و تضمهم إلى جانبك فهناك الكثيرون الذين قد لا يؤيدون فكرة أستاذ الفلسفة بل و يختلفون معه ، و لكنهم في الوقت نفسه يحترمونه و يحبونه ، و لا يتمنون دخوله السجن ، و بالتالي فقد ينفرون منك أو يبغضونك من الداخل ، و هذا ما لا أريدهأريد أن يحبك جميع أعضاء الفرع يا سام و يثقوا بك هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى ، فإن بقاء أستاذ الفلسفة في السجن ، سيجعل منه بطلاً في أعين الناس ، و يجعل منك أنت جباناً أو أية صفة سلبية ، و هذا ما لا أريده أيضاً ، و لذلك فعندما تقوم بإطلاق سراحه ، سينتقل دور البطل تلقائياً منه إليك ، و هذا بالضبط ما أريده .. (قال الشيطان ذلك ثم غير من صوته) ... لا أريد لهذا الرجل أية مكانة بين الناس ... أريده نكرة منبوذاً " . هز سام برأسه موافقاً و قال " لقد فهمت .. و لكن ماذا سأفعل الآن بالضبط " - " ستتصل الآن مع الرجلين في الشمال و تخبرهما أنك قررت إطلاق سراح أستاذ الفلسفة و إسقاط حقلك عنه ، و دعهم يبلغوا هذا الأمر لكل الناس " - " و مؤسسة إلفا ماذا أصنع بها .. لقد اتصلوا معي أكثر من مرة هذا اليوم؟؟" أشار الشيطان بيده " أيضاً

أخبرهم ماذا حصل معك ، و قل هم أنك ستغير من أفكار أنصار حزب الشعلة ، و تجعل بدلاً منها أفكاراً دينية اجتماعية ، و هم سيعرضون عليك المساعدة ، و لكن إياك أن تقبل بذلك ... إياك أن تدخل أحداً في هذا الموضوع نهائياً ... هذا الموضوع خاص بي أنا فقط ، و الأوامر تتلقاها مني أنا بالذات ... و لكن اقبل مساعدتهم في كبح جماح حزب الشعلة الضعيف ، في حال تعرض لك أحد من أعضائه " قال الشيطان ذلك ثم حرق بسام متفحصاً و سأله " لماذا تهتر يداك هكذا يا سام ؟ .. و ما هذا السواد تحت عينيك ؟ .. و لماذا وجهك شاحب هكذا ؟ " . أجاب سام بصوت متعب " هذا بسبب امتناعي عن الأشياء التي أحبها ، و التي لا أصدق أن يأتي آخر الشهر ، حتى أقوم بإفراغ الشحنات المتراكمة بداخلي ، و أحس بارتياح عميق " . صمت الشيطان قليلاً ثم قال " أخشى يا سام ، أني سأطلب منك بعد فترة الامتناع نهائياً عن هذا الأمر ، و لا حتى مرة واحدة في الشهر " فقال سام بصوت مضطرب قلق " و لكن أرجوك أيها الشيطان إنك بذلك تحملني فوق طاقتي " . أجاب الشيطان بشكل قاطع " عليك التحمل يا سام .. عليك التحمل يجب أن ينجح مشروعنا ، و حتى ينجح ، يجب ألا يكون هناك أية أخطاء تحمل يا عزيزي تحمل " . خرج سام من القبو و صعد إلى صالون الفيلا ببطء شديد متكئاً على السلام . أشعل سيجاراً ثم فتح البار و صب كأساً من الويسكي ، ثم رفع الهاتف و اتصل مع الرجلين في الشمال و أخبرهما أنه سيطلق سراح أستاذ الفلسفة و يسقط حقه عنه و طلب منهما إخبار المندوبين بذلك و أن يخبر المندوبين أعضاء الفرع جميعهم . و عندما أنهى المكالمة ، أخبره الخادم أن مدير مؤسسة إلفا قد اتصل معه . رفع السماعة و اتصل مع مدير إلفا الذي سأله بشيء من الارتياح " هل صحيح هذا الذي حصل معك في الشمال يا مستر سام ؟ " . أجاب سام بتعب " نعم يا سيدي ، إنه صحيح " . فسأله الرجل مرة أخرى و السعادة بادية بشكل واضح في صوته " و هل صحيح يا مستر سام أنك تريد أن تبدل أفكار و عقائد هؤلاء القوم " . أجاب سام بتعب أيضاً و اقتضاب " نعم يا سيدي " . فقال الرجل " ما رأيك أن تقبل دعوتي

اليوم على العشاء " . اعتذر سام قائلاً " لا أستطيع يا سيدي ، فأنا متعب جداً " . سأله الرجل بمكر " هل هو التعب نفسه الذي أصابك سابقاً " - " لا أدري يا سيدي ، و لكنني فعلاً أشعر بالتعب " . فقال الرجل " على كل حال يا مستر سام ، كنت أفكر فيما إذا كنت بحاجة للمساعدة في هذا المجال ... فنحن جاهزون " رد سام بأدب " أشكرك كثيراً يا سيدي و أقدر لك هذه المكرمة ... و لكن لدينا هنا في المؤسسة كوادر متخصصة ، و هي ستقوم بدورها خير قيام و لكن ربما يقوم حزب الشعلة بعرقلة هذه الإجراءات الجديدة ، و هنا قد أحتاج لمساعدتكم " . هلل المدير قائلاً " على الرحب و السعة يا مستر سام نحن جاهزون أيضاً في هذا المجال .. و لكن لا تقلق بشأنهم ، فقد أصبحوا ضعافاً جداً و منقسمين بعضهم على بعض ، و هذا الذي فعلته أنت سيزيدهم انقساماً و على كل حال ، و حتى تضمن أنهم لن يتدخلوا ، أنا أقترح أن تضم فرعهم إلى فرع مديرة المدرسة " . فقال سام بجزع " لا ، لا يا سيدي ، هكذا أفضل إنني لا أريد فتح معارك و جبهات جديدة ... فأنا لتوي قد خرجت من هذه المعركة الطاحنة " . قال الرجل " على كل حال يا مستر سام ، فكر بهذا الأمر ، و لست مجبراً على فعله و لكن فيما بعد " . أجاب سام و قد نال التعب منه هذه المرة " حسناً ، حسناً يا سيدي سأفكر ، و الآن أستميحك عذراً ، فإنني متعب جداً .. إلى اللقاء " .

بعد يومين ، سافر سام و الدكتور بروكلمان إلى الشمال مرة أخرى للاطلاع على نتيجة الاستفتاء ، و في المنزل ، اجتمعوا بالرجلين ... " كيف كانت نتيجة الاستفتاء أيها السادة ؟ " - " لقد وافق الجميع يا سيد سام إلا نسبة ضئيلة جداً " - " عظيم ، هل ظهرت هناك مشاكل ؟ " - " في البداية نعم ، و حسب ما أخبرنا به المندوبون فإن نسبة لا بأس بها امتنعوا عن القبول ، و لكن و عندما عرفوا أنك ستطلق سراح أستاذ الفلسفة وتسقط حقلك عنه ، حتى شعر الجميع بالارتياح و وقعوا جميعهم " . صاح سام بهجة "

رائع إذا لم يبق لدينا الآن سوى تعيين رئيس جديد للفرع ؟ " - " تماماً يا سيدي " . نظر سام إلى الرجل الأول و قال له " إنني لا أرى أكثر منك جدارة في استلام هذا المنصب ... و أنت خير من يدير هذا الفرع ، نظراً لكفاءتك و خبرتك في العمل و إخلاصك ، و سيكون زميلك ، معاوناً لك .. ما رأيك يا دكتور بروكلمان ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان موافقاً " إنه قرار صائب يا سيد سام ، و هذان السيدان لا تنقصهما الخبرة و لا الإخلاص " . صمت الرجل الأول يفكر ، ثم نظر إلى سام و قال له " أرجو منك يا سيد سام أن تعفينا من هذه المسؤولية التي هي شرف كبير بالنسبة إلينا " . صاح سام مستغرباً " و لكن لماذا ؟؟؟!! " . رد الرجل بإحراج " أنت تعرف يا سيدي الحساسيات هنا .. بالإضافة إلى أننا لا نريد أن نظهر أمام الناس كما لو أننا فعلنا ذلك لنحل مكان أستاذ الفلسفة إننا نفضل أن نبقي هكذا موظفين عاديين في الفرع و مساعدين لك في الخفاء " . التفت سام إلى الدكتور بروكلمان الذي أومأ له برأسه موافقاً ... فكر قليلاً ثم قال للرجلين " حسناً أيها السيدان .. كما تشاءان ، لكما ذلك ، و لكن من تقترحان أن يكون مديراً لهذا الفرع " . أجاب الرجل الثاني " في الحقيقة لا ندرى يا سيدي ، و لكن ممكن لأي رجل أن يحل مكان أستاذ الفلسفة " . أشار سام بيده نافياً " لا ليس أي شخص ممكن أن يحل مكانه هذا الفرع بالذات يجب أن يديره شخص له مؤهلات خاصة " . و هنا تدخل الدكتور بروكلمان قائلاً " ممكن أن نرسل أي شخص من المؤسسة عندنا " . هز سام بيده مرة أخرى نافياً و قال " لا يا دكتور .. الشخص الذي يجب أن يدير هذا الفرع ، يجب أن ينتقى بعناية على كل حال ، لا بأس ... ساحل هذه المشكلة بنفسى و سريعاً " .

عاد سام و الدكتور بروكلمان إلى العاصمة ، و في المساء نزل إلى القبو في الفيلا " هناك مشكلة أيها الشيطان " - " ما هي يا سام ؟ " - " لقد اعتذر الرجلان عن إدارة الفرع لوجود حرج لهما في ذلك ، و لا

أدري من هو البديل الذي سيكون مكان أستاذ الفلسفة يجب أن يكون له مؤهلات خاصة " . فكر الشيطان ثم قال " نعم يا سام أنت محق في ذلك ... يجب أن يكون له مؤهلات خاصة " . فقال سام " و لهذا جئت إليك أيها الشيطان لتحل لي هذه المشكلة " . صمت الشيطان يفكر ... ظل هكذا لبعض الوقت ... ثم قال "هنالك شخص ممكن أن يحل مكان أستاذ الفلسفة و يتمتع بميزات و مواصفات تناسبنا ، و تجعله مستعداً لتقبل التعليمات و تنفيذها بكل دقة ، و من دون أن يشعر أحد " . صاح سام بلهفة " من هو؟؟ " - " إنه صديقك القديم أندريه " . صمت سام و قد فوجئ بكلام الشيطان ، ثم قال بعد قليل "هل تقصد أندريه الذي خذلني في يوم من الأيام و تنكر لي و لصداقتي معه؟؟" . أجاب الشيطان بهدوء " نعم يا سام ، أندريه الذي خذلك في يوم من الأيام ، و الذي تنكر لصداقتك معه ، هو أصلح من يقوم بهذا الدور إنه عضو سابق في حزب الشعلة و أصله من الشمال ، و ملم بالأمور " . قال سام مستهجنًا " و لكن بعد كل هذا الذي فعله بي ، تريدني أن " - " نحن يا سام يهمننا الهدف ... الغاية و دائماً الغاية تبرر الوسيلة ، و بخاصة إذا كانت الغاية هي عمل الخير " . و هنا تذكر سام كلام أستاذ الفلسفة ، فانتابه شعور من الكآبة و الحزن . أخفاها و توجه إلى الشيطان قائلاً " و ما الذي يجعلك تظن أنه الأصلح " رد الشيطان بهدوء " خبرتي يا سام خبرة آلاف السنين ... هذا ما يسمى عندكم أنتم أبناء آدم .. بسر المهنة " . تنهد سام بعمق و قال ببرود " حسناً ... و أين سأجد هذا الحمار؟ " . أجاب الشيطان هو الآخر ببرود "هذا الحمار يعمل كاتباً في إحدى الصحف الشعبية ، و يسكن وحيداً في غرفة حقيرة في أطراف العاصمة ، و هو الآن في وضع يسمح له بتنفيذ كل طلباتك ... سأعطيك عنوانه ... استدعه و كلفه بالمهمة ، و لقنه ما يجب عليه حفظه فقط ... بالمناسبة ، أراك اليوم مرتاحاً و وجهك مورداً ، فما الأمر؟ " . ابتسم سام و قال "البارحة كان آخر الشهر ، و أنت تعرف ، لقد أفرغت جميع شحناتي الكهربائية " . نظر الشيطان إلى سام و قال " أخشى أنه يجب عليك أن تقلع نهائياً عن تصرفاتك تلك يا

سام " . فصاح سام بيأس " و لكن أيها ال " - " لا أستطيع أن أغامر بهذا الأمر يا سام ، لقد دخلنا في أجواء المرحلة الحساسة و الخطرة على الأقل حتى ننتهي من مشروعنا ، و بعدها يمكن أن تعود ليوم واحد في الشهر ... أما الآن ، فعليك الإقلاع نهائياً ، و حتى إشعار آخر " . في مساء اليوم التالي و بعد أن أنهى سام توقيع و مراجعة بعض الأوراق في مكتبه ، ضغط على زر الأنترفون و طلب من السكرتيرة استدعاء مدير مكتبه ، و عندما دخل الرجل ، أعطاه سام ورقة صغيرة ، قائلاً " يوجد لديك اسم و عنوان شخص ، أريده هنا في مكثبي في غضون ساعة على الأكثر " - " حاضر سيدي " . اخذ الرجل الورقة انصرف .

في أطراف العاصمة ، و في أحد الأحياء الشعبية الفقيرة ، جلس رجل هزيل نحيل ذو لحية كثيفة و يلبس معطفاً من الصوف ، و يضع قبعة جلد نصفية تغطي أعلى رأسه مع نظارة طيبة سميكة جلس أمام أحد المطاعم الشعبية ، يأكل سندويشة من اللحم و البيض بنهم شديد منشغلاً عن كل ما يدور حوله ، كان يقضم حواف السندويشة كالجرذ بعد قليل ، اقتربت من المكان سيارة ليموزين سوداء فخمة ، عكست أنوارها قطرات المطر الخفيف ... و قفت السيارة على مسافة قريبة من المطعم ، و ترجل منها رجلان ضخمان يرتدي كل منهما بذلة رسمية ، استوقفا أحد المارة و تكلما معه ، فأشار لهما إلى الرجل الذي يأكل السندويشة أمام المطعم اقترب الرجلان من الشخص صاحب السندويشة الذي لم ينتبه إلى وجود السيارة أو وجود الرجلين ، إلا عندما أصبحا فوقه تماماً " هل أنت السيد أندريه ؟ " . توقف الرجل عن مضغ الطعام و نظر إلى الرجلين باستغراب و خوف ، قال " نعم أنا هو ... هل من خدمة ؟ " - " تفضل معنا إذا سمحت " . ابتلع الرجل على عجل بقية الطعام الذي كان في فمه و قال بقلق واضح " من أنتما ، و ماذا تريدان مني ؟ " . أجاب أحد الرجلين و هو يرتب بيده على كتف الرجل " هناك صديق

قديم يود رؤيتك " - " صديق قديم ؟؟؟!!... من هو ؟ " - " عندما تراه سوف تعرفه .. و الآن تفضل معنا إذا سمحت ... السيارة بانتظارنا " - " حسناً كما تريدان " . قال الرجل ذلك و التفت إلى صاحب المطعم قائلاً " سجل ثمن هذه السندويشة أيضاً عندك في الدفتر " .

في المكتب أشعل سام سيجاراً و أخذ يفكر ... كان يشعر بشيء من القلق "بعد كل هذه السنين سنلتقي يا أندريه ... ترى كيف سيكون شكلك و حالك؟ ... كيف ستكون ردة فعلك عندما تراني ؟ " . أخذ سام يتذكر أيام الدراسة في مؤسسة إلفا ، و كيف كان أندريه بالنسبة له مثلاً أعلى ، و موجهاً و قدوة ... أخذ يتذكر كيف كان أندريه يجلس أمامه على طاولة البوفيه و يتحدث معه بصورة خطابية ، كأنه أستاذ يلقي درساً على تلميذ ، و هو جالس ينصت إليه باهتمام تذكر كيف كان يجلس دائماً معه و يزوره في غرفته .. و كيف كان يكلفه بمهام و طلبات معينة ، فيليها سام بطواعية و سرور ، و كأنه يؤدي واجباً وطنياً ، و أخيراً تذكر كيف تهرب منه أندريه في النهاية و تخلى عنه . كانت كل هذه الأفكار تتوارد أمام سام ، و واحدة تلو الأخرى ، كان يفكر كيف سيقابل أندريه .. إنه يخشى أن يضعف أمامه كما في المرات السابقة ، انتابه هذا الشعور بسرعة و لكنه رفض رأسه بغضب .. " لا ، لن أضعف ... أنا سام الذي يريد الجميع رضائي " . قطع عليه تفكيره طرق خفيف على الباب ، حيث دخل مدير مكتبه و أخبره بوجود أندريه ... " دعه يدخل .. و اطلب الدكتور بروكلمان أيضاً " . خرج الموظف ، و بعد قليل فتح الباب و دخل أندريه و وراءه مدير المكتب و أحد المرافقين نظر سام إليه و قال في نفسه " يا إلهي كم تغيرت يا أندريه و أصبحت هزياً و يبدو عليك البؤس و الشقاء " . ثم قال بصوت مرتفع " أهلاً و سهلاً يا أندريه ... ألم تعرفني ؟ " . مشى أندريه ببطء إلى داخل المكتب و هو يضع يده على نظارته الطبية السمكية محاولاً تمييز معالم الشخص الواقف أمامه " أرجو المعذرة يا سيدي الكريم ، إن ذاكرتي

اللعيبة تخونني دائماً... و لكن الصوت ليس غريباً عني " . وضع سام سيجاره الضخم في فمه ، ثم مج منه
مجة عميقة و نفث الدخان في الهواء قائلاً " أنا سام يا أندريه صديقك القديم ، أيام الدراسة في
إلفا... هل نسيته بهذه السرعة يا رجل ؟ " . ثبت أندريه مرة أخرى نظارته أمام سام ، ثم فغر فمه و قد
بدا عليه الاستغراب و الدهشة ، و قال في نفسه " يا إلهي كم تغيرت يا سام ، و أصبحت بديناً سميناً و
يبدو عليك الغنى و الجاه " ... ثم قال بصوت مرتفع " أهذا أنت يا سام .. لا تؤاخذني لقد تغيرت كثيراً ،
و لم أعرفك ، و لكنني معذور فمنذ أكثر من خمسة عشر عاماً لم أرك " - " تفضل .. اجلس يا أندريه " قال
سام ذلك ، و أشار للرجلين بالانصراف . جلس أندريه على الأريكة و قال بانبهار و دهشة " هل كل هذا
المبنى هو لك يا سام ؟ " . أجاب سام باقتضاب و هو يتأمل أندريه " نعم يا أندريه إنه لي " . فقال أندريه
" يبدو أن أحوالك قد أصبحت ممتازة جداً يا سيد سام ؟ " . نفث سام دخان سيجاره في الهواء و قال
بيرود " نعم يا أندريه ... و أنت كيف هي أحوالك " - " في الواقع إنني أمر بظروف عصيبة جداً يا
سام ... فأنا أعمل كاتباً في صحيفة شعبية ، و أحياناً بعد الظهر أعمل في مكتب محام و أتقاضى أجري عن
كل ورقة أكتبها " . تظاهر سام بالانزعاج و قال " لماذا لم تأت إلي إذاً و تطلب المساعدة .. ألا تعرف أنني
صديقك القديم " . أجاب أندريه " بصراحة كنت خائفاً أن تصدني .. فضلاً على أنني ذهبت مرة إلى
بيتك القديم و أخبروني أنك انتقلت من هناك ، و لم يخبروني إلى أين ذهبت " . فقال سام بنفس اللهجة
السابقة " لكن ألم تعرف أنه قد أصبح لي مؤسسة اجتماعية و شركات تجارية و فروع في كل مكان " .
ابتسم أندريه و قال " نعم ، نعم أعرف هذا ، و لكنني و كما قلت لك ، لم أكن أملك الجرأة
لزيارتك لقد ذهبت مرة إلى الفرع الذي أقمته في الشمال ، و عندما وصلت إلى الباب ، رجعت
بعدما علمت أن أستاذ الفلسفة هو الذي يديره " . أخذ سام يتأمل أندريه و الهيئة المزرية التي هو عليها ، و
سأله " ما الذي حصل معك يا أندريه ؟ ... و لماذا وصلت إلى هذه الحال من البؤس " . أطرق أندريه إلى

الأرض ، صمت قليلاً ثم رفع رأسه و قال بنجل و إحراج " أنت تعرف الأحداث و الانقسامات التي حصلت عندنا في الحزب .. و الأجنحة التي انشقت عنه منذ حوالي خمسة عشر عاماً .. بعد التغيرات التي حصلت في الاتحاد السوفيتي و توقيع الاتفاقية العسكرية .. في هذه الأثناء وقعت في حيرة من أمري ، و لم أعرف إلى أي جناح انضم ... إلى الجناح المعتدل المنفتح ، أم إلى الجناح المتشدد المحافظ .. و أخيراً حسمت أمري و انضمت إلى الجناح المعتدل ، و لكنهم طلبوا مني البقاء في معسكر المتشددين و التجسس عليهم ، حتى جاء يوم الانتخابات في البرلمان .. وقتها حصل صراع عنيف بين التيارين حول مقاعد البرلمان (صمت أندريه قليلاً و كأنه يسترجع الأحداث ، ثم تابع) يومذاك عين المتشددون مندوبين سرين لجمع الأصوات ، و كنت أنا أمين سر اللجنة . فسرت لائحة بأسماء المندوبين إلى الجناح الآخر ، و قبضت عليها مبلغاً محترماً ، و لكن و على ما يبدو ، فإن أمري قد كُشف ... و بينما أنا عائد ليلاً إلى المنزل و معي حقيبة النقود ، هاجمتني مجموعة من رجالهم عند جسر العاصمة الذي يقطع النهر ، و انهالوا علي بالعصي و المرات و اللكمات و الركلات ، فسقطت أرضاً و ظلوا يضربونني حتى ظنوا أنني قد فارقت الحياة ثم جردوني من ثيابي و أخذوا حقيبة النقود ، و ألقوا بي في النهر الذي كان متجمداً في ذلك اليوم الشتوي البارد ، و أنا مخضب بالدماء .. مكسر و مهشم ، و لكن شاءت الصدفة أن يراني أحد المتسولين ، فأبلغ الشرطة ، و تم نقلي إلى المستشفى .. و لكن الضرب الذي تعرضت له و الفترة التي بقيت فيها ملقى على الجليد .. أصابتنني بالشلل لمدة سنتين كاملتين ، و بعدها تحسنت بالتدريج و تعافيت ، و لكن بصري كان قد تأثر إلى درجة كبيرة ، بعد ذلك تبرع أحد الأصدقاء و أمن لي عملاً بالجريدة التي أعمل فيها الآن " . هز سام رأسه بألم و قال " حسناً يا أندريه لقد أرسلت خلفك ، لأنني أريد أن أساعدك ، فأنت صديقي القديم " - " و لكن ما الذي جعلك تتذكرني الآن ، و كيف خطرت على بالك .. و كيف عرفت بمكاني ؟؟ " . رد سام " هذا موضوع آخر يا أندريه .. المهم الآن دعنا في موضوعك أنت ... ما

رأيك يا أندريه أن أنتشلك من هذا الوضع الذي أنت فيه ، و أو من لك عملاً محترماً لائقاً " . صاح أندريه " حقاً يا سام سأكون شاكراً لك مدى الحياة ، وهذا معروف لن أنساه طوال حياتي " . و هنا طرق الباب و دخل الدكتور بروكلمان ، فصاح سام " تفضل يا دكتور ... ألم تعرف هذا الشخص ؟ " . نظر الدكتور بروكلمان إلى أندريه ، نظرة فاحصة وقال ببرود " لا .. لم أعرفه ... من هذا ؟!! " . فقال أندريه و هو يبتسم " هذا أنا يا دكتور .. أندريه ، صديق سام القديم " . صمت الدكتور بروكلمان قليلاً ثم صاح " أأاه ... أندريه نعم ، نعم لقد تذكرتك لقد التقيت معك آخر مرة منذ حوالي عشرين عاماً في مقر حزب الشعلة ، و أخبرتك أن سام مريض و يريد أن يراك ، و لكنك اعتذرت متهرباً " . تكور أندريه في جلسته وأطرق برأسه إلى الأرض و قال و هو يضحك بنجمل " نعم ، نعم يا سيدي ... لقد التقينا هناك " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال " سوف نؤمن للسيد أندريه عملاً عندنا هنا في الجمعية .. عملاً لائقاً محترماً ... سوف نضعه بدل أستاذ الفلسفة ، ما رأيك بذلك يا دكتور ؟ " . نظر الدكتور بروكلمان إلى أندريه نظرة قرف و استهجان ثم قال لسام ببرود " إنها مكرمة و شهامة منك يا سام أن تفعل ذلك " . التفت سام إلى أندريه و قال له " حسناً يا أندريه ، هل أنت مستعد للقيام بعملك الجديد ؟ " . صاح أندريه بحماس " طبعاً ، طبعاً يا سيد سام ... أنا مستعد ، و أنا شاكر لك كثيراً أيها الصديق الوفي .. و لكن المشكلة هي أنني لم أعمل يوماً في هذا المجال " . أشار سام بيده " من هذه الناحية اطمئن ... نحن سندربك و نعلمك ، سيقوم بهذه المهمة الدكتور بروكلمان . هو نائبي في المؤسسة ، و ستخضع لإمرته و ستكون علاقتك معه ، و ستتلقى الأوامر مني أو منه " . و هنا تدخل الدكتور بروكلمان قائلاً " و طبعاً أوامر سام هي النافذة بالدرجة الأولى " . تابع سام كلامه لأندريه " أهم شيء عندنا يا أندريه هو الطاعة و النظام ، و تنفيذ الأوامر بدقة ، و من دون سؤال أو نقاش ، و عدم البوح بأسرار العمل " . هز أندريه رأسه و قال " طبعاً ، طبعاً " . نهض سام من خلف الطاولة و مشى باتجاه أندريه و قال

له بهدوء "و الخيانة عندي جريمة لا تغتفر ، و خطيئة كبيرة ، و ذنب فظيع ، لا أتسامح فيه ، و عقوبته فورية و قاسية جداً.... أظن أنك فهمت " . صاح أندريه " حاشى يا سام أن أخونك .. أنت صديقي الوفي ... إنني لا أستطيع أن أبادل معروفك و صنيعك هذا معي بالشر ... سأكون عند حسن ظنك بي ، تأكد من ذلك " . عاد سام إلى الطاولة قال "حسناً إذاً يا أندريه ... أنت منذ الآن معّين عندي هنا ، و سأصدر أمراً بذلك .. و حالياً ستقيم في شقة تابعة لنا خلال هذا الأسبوع الذي ستتدرب فيه ، و بعدها ، سأصدر أمراً بتعيينك في فرع الشمال" . فكر أندريه قليلاً ، ثم قال " و أستاذ الفلسفة " . أجاب الدكتور بروكلمان " أستاذ الفلسفة خالف أوامر السيد سام ، فكانت عقوبته فورية و قاسية ، و ستعرف ذلك بنفسك " . فكر أندريه مرة أخرى ثم قال " و الغرفة التي أقيم فيها الآن " . أجاب سام " ستتركها يا أندريه بالمناسبة هل يوجد عليك ديون ؟ " - " نعم يا سيد سام ... إيجار الغرفة ، و بعض الديون لصاحب المطعم و البقال " . هز سام برأسه و قال " حسناً لا عليك ، سأبعث الآن من يدفع عنك هذه الديون و ينهي وضعك هناك .. لا داعي لأن تذهب أنت ، و لا داعي لتخبر أحداً أيضاً بعملك الجديد " . فصاح أندريه " و أغراضي في الشقة ؟ " - " ما هي أغراضك يا أندريه " - " بعض الثياب و الأثاث الخفيف " . ضغط سام الجرس ، فدخل مدير مكتبه ، فقال له " خذ مفتاح غرفة السيد أندريه و أرسل من يحضر حاجياته من الغرفة التي هو فيها و يدفع جميع ديونه في الحي الذي هو فيه .. أعطه المفتاح يا أندريه و سجل له الحاجيات و الديون و أصحابها ، على ورقة " . أخذ الرجل المفتاح و الورقة و انصرف . و هنا نظر أندريه إلى سام و قال " كنت أتمنى فعلاً أن أعرف السبب الذي جعلك تتذكرني في هذا الوقت بالذات يا سيد سام ، و لماذا اخترتني أنا بالذات لأحل مكان أستاذ الفلسفة " . قال أندريه ذلك ، بينما كان الدكتور بروكلمان يمدق بسام منتظراً الجواب . أطلق سام دخان سيجارته باتجاه أندريه و قال " هل تريد العنب ، أم تريد الناطور يا أندريه ... إذا كنت لا تريد العمل ، أخبرني من الآن حتى نلغي كل شيء " . صاح

أندريه " لا ، لا ، يا سام .. أنا آسف .. معك حق ، إنني أتدخل فيما لا يعنيني " . و هنا قال الدكتور بروكلمان لأندريه و هو ينظر إلى سام " كُلُّ العنب ... كُلُّ العنب يا أندريه ، و أشكر الناظر الذي سمح لك بالدخول " . بعد ساعة ، دخل مدير المكتب و أخبر سام أن ديون أندريه قد سددت و أن حاجياته في باحة مبنى الشركة " . أشار سام للرجل بالاقتراب ، ثم همس بإذنه بضع كلمات ، فhez الرجل برأسه و انصرف . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و أندريه و قال " حسناً أيها السادة ، لقد تأخر الوقت ، دعونا ننزل " .

في باحة الشركة ، كانت الأضواء الخافتة تلقي بنورها على المكان ... شغل المرافقون السيارات للانطلاق ، بينما انتشر الحرس في الباحة عندما وصل سام إلى باب المبنى الخارجي و معه الدكتور بروكلمان و أندريه . نظر سام إلى مدير مكتبه و قال له " أين هي أغراض أندريه ؟ " . أجاب الرجل باحترام "إنها هناك يا سيدي " . نظر سام إلى مدير مكتبه و أوماً له برأسه ، فأوماً هو الآخر بدوره إلى أحد الحرس ، الذي قام بسكب قليل من البنزين على أغراض أندريه و أضرم فيها النار التي هبت بشكل قوي و طغى لهيبتها و نورها على الأضواء الخافتة ، و على وجوه الحاضرين . صاح أندريه و هو يكاد يبكي " أرجوك يا سام ، هذه أمتعتي أرجوك قل لهم أن يطفئوا النار " . التفت سام إلى أندريه و قال له بهدوء " هذه الأمتعة البالية ، لست بحاجة لها بعد الآن يا أندريه ، ستحصل على أمتعة و حاجيات جديدة أفضل منها بكثير " . ربت الدكتور بروكلمان بدوره على كتف أندريه و قال و هو ينظر إلى اللهب الذي بدأ يخف و هجه قليلاً " أحرق ماضيك يا أندريه أحرقه و ابدأ مستقبلاً جديداً " بعد قليل ، خمدت النار ، فصاح سام " لقد كان يوماً حافلاً أيها السادة .. أوصل أندريه إلى الشقة الجديدة يا دكتور و ابدأ بتدريبه و تأهيله من الغد ، ليكون بعد أسبوع في الشمال بالمناسبة يا أندريه ، لا تنس أن تأخذ حماماً عندما تصل إلى الشقة ،

فرائحتك قدرة جداً.... طاب يومكم أيها السادة " . صعد سام إلى سيارة الليموزين التي انطلقت و خلفها سيارتي حراسة .

في الفيلا ، نزل سام إلى القبو و اجتمع مع الشيطان " ها قد أحضرت أندريه ، و سأبدأ بتأهيله من الغد " - " جيد يا سام ... لقد أنجزنا معظم الخطوات ، و لم يبق أمامنا سوى المرحلة الأخيرة مرحلة إدخال الأفكار و المعلومات التي نريد إدخالها" . سأل سام " و متى ذلك أيها الشيطان " - "بعد شهرين ، كي لا نلفت الأنظار أولاً ، و ثانياً لكي نختبر قدرة أندريه و نرى كيفية إدارته للعمل " . فكر سام قليلاً ثم قال " و لكنني أخشى أن يخونني ، مثلما خان زملاءه و رفاقه من قبل " - " لا أظن ذلك يا سام ، فهو قد تعلم درساً قاسياً لن ينساه طوال حياته " فكر سام ثم قال " و لكن كيف سنعلم أنه لن يخوننا و يفشي أسرارنا لأحد ؟ " . أجاب الشيطان ببرود " أولاً هو لن يعلم بهذه الأمور ... هو سينفذ الأوامر فقط ، ثانياً سوف يخضع لرقابتي المشددة ، و أي حركة خاطئة من قبله ، سأكون له بالمرصاد و لن أمهله حتى يقوم بها ... و عليك أن تراقبه أنت أيضاً بوسائلك الخاصة ... و على كل حال ، يستبعد أن يقوم بذلك ، و لكن لا أستبعد أن تحاول إلغا استمالته ... بالمناسبة يا سام ، هناك أعضاء في مؤسسة إلغا يعرضون أسهمهم فيها للبيع ، يبدو أنهم يمرون بظروف اقتصادية حرجة " . قال سام بلا مبالاة " و ما شأنني بهم؟" . ابتسم الشيطان و قال " لماذا لا تشتري أنت هذه الأسهم ؟ " و تشتري أسهم غيرها و تصبح رئيس مجلس إدارة مؤسسة إلغا " ... رئيس مجلس إدارة إلغا ... أحدثت هذه الكلمة هزة في دماغ سام .. رفع نظره و قال بهول و شرود " أنا ؟؟ " . أجاب الشيطان مبتسماً " نعم أنت إننا بحاجة بعد الفرع في الشمال ، إلى أن يكون لنا انتشار واسع و دعامة فكرية و أكاديمية على المدى البعيد " . نظر سام إلى الشيطان و قال " لقد دغدغت مشاعري أيها الشيطان و أسلت لعابي " . ضحك الشيطان و قال " ألا تعرف يا سام . أن

اختصاصي منذ القدم هو دغدغة المشاعر وإسالة اللعاب " . هز سام رأسه و قال " إنه أقصى ما أحلم به أيها الشيطان . أن تكون إلفا لي .. و لكن أليست هذه عملية مكلفة و صعبة ؟ " . أجاب الشيطان " نعم إنها عملية مكلفة و صعبة ... و حسب ما أعرف أنهم لا يتداولون الأسهم إلا للخاصة منهم و للمعارف أو المقربين " - " و كيف العمل الآن ؟ " - " يجب أن تدفع أكثر من أي شخص ، و لهذا يجب أن تدخل عتبة الخمسة مليارات ، فاستعد منذ الآن يا سام " . خرج سام إلى الطابق الأرضي و النشوة تملؤه من رأسه حتى أحمص قدميه . ذهب إلى البوفيه و صب كأساً ، ثم رفعه في الهواء و صاح " يا إلهي خمسة مليارات ؟ سأبتلعك يا إلفا ابتلاعاً .. يا إلهي " . ، في تلك اللحظة بالذات عاودته الحركات اللا إرادية . فرمى الكأس من يده من دون شعور ليصطدم بزجاج البوفيه و يحطمه محدثاً صوتاً قوياً . هرع الخدم إلى المكان ... " سيدي ... سيدي .. ماذا هناك ؟ " . كانت يد سام ترتجف و تنفسه يزداد ، فقال بتعب " لا شيء .. لا شيء .. أزيلوا الزجاج " . لقد عاوده التعب من جديد ، فذهب إلى الفراش ليرتاح . و فجأة أحس بألم قوي في أسنانه ، ما لبث أن شعر و كأن أنيابه قد بدأت تطول . نهض كالمجنون من الفراش وذهب إلى المرأة و هو يحدق بنفسه بذعر ، قد فتح فمه مكشراً عن أسنانه ، ولكن كانت أسنانه طبيعية ، مد يده و تحسس لثته ، كان الدم يخرج منها بشكل خفيف ، فاستدعى طبيب الأسنان الخاص به . في الصالون أخذ الطبيب يفحصه ، و لم يلبث أن قال له "أسنانك سليمة يا سيدي ، و كذلك لثتك " . فصاح سام بذعر " و هذا الدم الذي خرج منهما؟؟؟ " . أجاب الطبيب بهدوء " لا تقلق يا سيدي .. إنه أمر طبيعي ، فربما ضربت يدك فمك دون أن تشعر بذلك ، أو أصابتك نثرة زجاج " .

في اليوم التالي ذهب سام إلى المكتب ، كان يحس بالتعب يعاوده من جديد ، فقد انقطع هذه المرة نهائياً عن شهواته و نزواته " اللعنة .. لو يسمح لي الشيطان مرة واحدة فقط .. كل هذا الذي حصل معي

البارحة بسبب هذا الأمر" . بعد قليل ، دخل الدكتور بروكلمان ، فسأله سام بتعب " ها يا دكتور ، كيف هو حال المدرب الجديد؟ " - لا بأس به .. إنه يستوعب التعليمات جيداً ... أظن أنه سينجح في إدارة الفرع " . أشار سام بيده للدكتور قائلاً "تعامل معه يا دكتور كما أوصيتك ، يجب أن يستلم عمله الجديد خلال أسبوع على الأكثر " أجاب الدكتور بروكلمان و هو ينظر إلى سام بريية " لا تقلق يا سام ... و لكن أراك شاحباً و متعباً و متعرقاً . هل أنت بخير ؟ " - " نعم ، نعم أنا بخير .. بالمناسبة يا دكتور ... هناك موضوع أريدك أن تتأكد لي منه " - " ما هو يا سام ؟؟ " - " لقد سمعت أن مؤسسة إلفا تعرض بعض أسهمها للبيع . أريدك أن تتأكد بطريقتك الخاصة عن هذا الموضوع و تستعلم عنه من دون أن يشعر أحد ، و تخبرني النتيجة اليوم مساءً " . حك الدكتور بروكلمان رأسه الذي بدأ يشيب ، و قال " حسناً .. إذاً في هذه الحالة سأذهب الآن " . انصرف الدكتور بروكلمان ، و نهض سام من مقعده و قد بدأت تنتابه نوبات حرارة و برودة متغيرة ، و صداع قوي " . غادر الشركة متوجهاً إلى الفيلا . ليرتاح .

في المساء حضر الدكتور بروكلمان " ها ، ماذا وراءك يا دكتور ؟ " - " لقد استقصيت لك عن الموضوع من أحد معارفي المطلعين على شؤون إلفا .. و فعلاً هناك عملية بيع للأسهم ، و هي تتم كل فترة ، حيث يسمح لبعض الأعضاء الذين هم بحاجة إلى المال ، أن يبيعوا أسهمهم لأشخاص من دائرة إلفا أو الحزب الديمقراطي أو المتعاطفين معهم ، و هذا الأمر يتم بشكل سري ، و يتم خلاله انتخاب مجلس إدارة جديد و أعضاء جدد ، و يكون رئيس مجلس الإدارة من يمتلك أسهماً أكثر " . هز سام رأسه و قد تحفز في مقعده و قال " و هل عرفت الأشخاص الذين سيبيعون أسهمهم؟ " أخرج الدكتور بروكلمان من جيبه ورقة صغيرة و قال " لقد استطعت الحصول على ثلاثة أسماء و هي هنا في هذه الورقة مع العناوين و أرقام الهواتف . و لكن لماذا لا تتصل مع مدير إلفا و تعرف منه الموضوع " . هز سام برأسه و قال " لا ، لا ،

لا أريدهم أن يعرفوا بأني أسعى لشراء الأسهم .. على كل حال اتصل بهؤلاء الأشخاص و اعرض عليهم شراء الأسهم و اشتر السهم بأضعاف ثمنه ، و حاول أن يكون الأمر بشكل سري ، كما يفعلون هم أيضاً ، و في الوقت نفسه حاول أن تحصل منهم على أسماء أخرى ، لنقوم بشراء حصصهم " . فكر الدكتور بروكلمان ، ثم قال " حسناً يا سام اليوم سأتصل مع صديقي هذا و نقابل الأشخاص و نعرض عليهم الأمر " . عندما غادر الدكتور بروكلمان ، خرج سام إلى الحديقة و أخذ يتمشى فيها و يفكر .. " إذا وصلت إلى رئاسة إلفا ... فسيكون هذا هو الحلم الذي أريده سأزيجك خارجاً أيها العجوز البدين إنني لائق لألفا أكثر منك " . فجأة بدأت تتابه رغبة بالضرب و التكسير و التحطيم .. كان قد وصل إلى شجيرة صغيرة ... تلفت حواليه و أخذ يرفسها بعنف و يدوسها بقدميه ... ثم لم يلبث أن أمسك بها بكتنا يديه و أخذ يجذبها بعنف ، و لما أعياه ذلك ، قلعها من الأرض و أخذ يكسر أغصانها الصغيرة واحداً ، واحداً ، و هو يصدر صوتاً غريباً غاضباً ، و لم يترك الشجيرة الصغيرة حتى أصبحت عوداً عارياً ، فاستدعى أحد الخدم ، و طلب منه خلع ما تبقى من الشجيرة الصغيرة ، فقال للخدام " و لكنك يا سيدي أنت من طلبت منا أن نزرع هذه الشجرة هنا " . و بنوبة غضب شديد ، طوح سام بيديه و سدده إلى الخدام لكمة قوية ، بكل ما أوتي من عزم ، ثم أخذ يرفسه بعنف " أيها السافل ... أيها القذر .. هل تريد أن تعصي أوامري ؟ " ، ثم توقف فجأة و هو يلهث . ، انحنى فوق الخدام الذي بدأت الدماء تنزف منه بغزارة ، ، أخذ يصيح " يا إلهي ، ماذا فعلت بك .. اللعنة ماذا فعلت " . صاح للحارس و طلب منه نقل الخدام إلى المستشفى فوراً . أسرع أربعة من الخدم إلى نقل الخدام المسكين إلى السيارة ، بينما جاءت زوجة سام و أمسكت به قائلة " ماذا هناك يا سام ، ما الذي حصل ؟ .. ماذا فعل هذا الخدام ؟ " . قال سام بكآبة و الدموع تنهمر من عينيه " إنه لم يفعل شيئاً لم يفعل شيئاً ، يا عزيزتي .. بل أنا من فعلت .. و لا أدري ماذا فعلت ، و لماذا فعلت " . أمسكت به الزوجة و أخذته إلى الفيلا . صاح سام و هو يشهق " غداً

سأزوره في المستشفى و اطمئن عليه" . كانت يدها ترتجفان بشكل غريب . فاتصلت زوجته مع الطبيب الخاص الذي حضر مسرعاً . كان سام مستلقياً على الفراش بينما كان الطبيب يقيس نبضات قلبه ، نزع السماعات الطبية و قال " قلبك يدق بسرعة كبيرة .. سأخذ قياس ضغطك الآن " . أخذ الطبيب يلف جهاز الضغط حول يد سام ، ثم أخذ يضخ الهواء إليه و هو ينظر إلى المقياس .. هز برأسه و قال " ضغطك مرتفع قليلاً .. على كل حال ، سأعطيك بعض المهدئات ... و لكن هل عرضت الأمر على الدكتور بروكلمان ؟ " . هز سام برأسه نافياً . فقال الطبيب " لقد قلت لك من قبل يا سيدي .. يجب أن تستشير الدكتور بروكلمان " . هز سام برأسه و قال " حسناً ، سأفعل ذلك ، سأفعل " . عندما ذهب الطبيب نظرت زوجته إليه و قالت " سأتصل مع الدكتور بروكلمان الآن " . صاح بها سام " لا ، لا لا داعي ... اشعر أنني تحسنت .. إنه أمر عارض ، و سيزول " . اجلسي .. اجلسي يا عزيزتي و حدثيني قليلاً " . لم يمض وقت قصير حتى كان الدكتور بروكلمان قد حضر . نظر سام إلى زوجته و قال لها " لا تقولي له إنني متعب ، اذهبي و سآتي بعد قليل " . ذهبت الزوجة و لم تلبث أن عادت يتقدمها الدكتور بروكلمان و بيده حقيته الطبية " سام .. ما بك يا سام ، لقد اتصلت معي قبل قليل طبيبك الخاص و أخبرني بوضعك .. ماذا هناك ؟ " قال الدكتور بروكلمان و علائم القلق بادية على وجهه . أشار سام بيده متكلفاً القوة و قال " لاشي يا دكتور ، إنه عارض بسيط أنت تعرف الإعياء في العمل و الإجهاد الذي نتعرض له " . نظر الدكتور بروكلمان إلى زوجة سام و قال لها " أرجو يا سيدتي ، إذا لم يكن لديك مانع أن تتركينا لوحدنا قليلاً " . أومأت الزوجة برأسها و قالت " بكل سرور ... و لكن ماذا تحب أن تشرب يا دكتور ؟ " - " شاي من فضلك " . ذهبت الزوجة و بقي سام و الدكتور بروكلمان وحدهما " و الآن يا سام ، لقد أصبحنا وحدنا .. هيا قل لي ما بك ، إن الكلام الذي قاله لي الآن طبيبك الخاص لا يدل على تعب أو إعياء ، و إلا لما كان اتصل بي هيا يا سام ، أنا دكتورك و مستشارك و صديقك ... إلا إذا

كنت لا تثق بي " . أطرق سام برأسه ، ثم تنهد بعمق و روى للدكتور بروكلمان كل ما حصل معه ،
بينما كان الدكتور يصغي بانتباه شديد ، و عندما انتهى سام ، فتح الدكتور بروكلمان الحقيبة التي كانت
معه و أخرج منها مطرقة صغيرة و أجرى لسام فحص أعصاب في قدميه . ثم فتح له عينيه و أخذ يفحصها
، ثم أخرج أداة معدنية أخرى من حقيبته و أخذ يضغط بها على أماكن متفرقة من جسد سام و يسأله عن
شعوره ، بعد ذلك طلب من سام أن يريه نتائج التحاليل التي أجراها في المشفى . نهض سام ببطء و ذهب
إلى الدولاب ، اخرج منه مصنفاً فيه دسنة من الأوراق ، و أعطاه للدكتور بروكلمان ، و هنا دخلت زوجة
سام و قدمت الشاي للدكتور و لسام ، ثم انصرفت ... أخذ الدكتور بروكلمان يرشف من الشاي
بصمت و يقرأ الأوراق التي أعطاه إياها سام . رفع نظره و قال لسام " منذ متى تأتيك هذه الحالات يا سام
؟ " . أجاب سام " منذ حوالي شهر تقريباً " - " بماذا تشعر بالضبط ؟ " - " لا أدري بالضبط يا
دكتور ... أشعر و كأن شيئاً في داخلي يريد أن يخرج ... و أشعر بصداغ لا يلبث أن يزول ، أو بحرارة
شديدة يعقبها فجأة ، إحساس بالبرد و أحياناً تتحرك أطرافني بشكل لا إرادي .. و كان هناك شيء ما
يحركها من الداخل " . فكر الدكتور بروكلمان قليلاً ثم سأل سام " ما هي الرغبات التي تنتابك عندما
تأتيك هذه الحالات يا سام ؟ " - " أشعر برغبة بالتكسير و التحطيم و الضرب و الـ الجماع " - " هل
تمارس الآن هذه الرغبات التي ذكرتها " - " لا يا دكتور " - " و قبل ذلك ... هل كنت تمارسها " .
أطرق برأسه و بقي صامتاً ، فعاد الدكتور بروكلمان يسأله مجدداً " لم تجبني يا سام ... هل كنت تمارس
هذه العادات من قبل ؟ " أجاب سام بصوت خافت " نعم يا دكتور " - " و لماذا امتنعت عنها الآن ؟ " - "
لا أدري يا دكتور " . صاح الدكتور بضيق " لا يوجد هناك شيء اسمه لا أدري يا سام هناك نتيجة
و سبب ، علة و معلول " . فكر سام قليلاً ثم قال " في الواقع يا دكتور لا أريد أن أستمر بهذه الأمور
، لأنها أمور غير شريفة و غير مناسبة لشخص مثلي ، أنت تعرف ... يجب ألا أكون بهذا المظهر " - " هل

انقطعت عن هذه العادات نهائياً يا سام؟ - "لا يا دكتور ، إنني أمارسها مرة واحدة في الشهر " - " و لماذا مرة واحدة في الشهر؟ " - "لأنه أرجوك يا دكتور ، دعك من هذه الأمور و لنتحدث في شيء آخر ، إنه عارض مؤقت و سيزول " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و قال له " هل هناك مهدئات أو ما شابه تأخذها يا سام " ، أجاب سام بصوت خافت و هو مطأطئ الرأس " نعم يا دكتور " - " أرني إياها يا سام " . نهض سام إلى الدولاب مرة أخرى و أحضر معه ظرفين من الحبوب و أعطاهما للدكتور بروكلمان بجياء ... " ما هذا يا سام هل جننت؟ كيف تأخذ هذه الحبوب؟ " . صاح سام بتعب " لقد تركتها الآن يا دكتور ... منذ مدة لم آخذ منها " . تتمم الدكتور " ربما هي التي تؤثر فيك على كل حال اسمع يا سام عاداتك تلك يجب ألا تقطعها فوراً ، بل مبدئياً و على الأقل ، ممكن أن تمارسها كل أسبوع " . صاح سام بانفعال " لا ، لا أستطيع " . نظر الدكتور بروكلمان إليه باستغراب و قال " ماذا هناك يا سام؟؟ " - " لا شيء ، لا شيء يا دكتور على كل حال إنني أشعر الآن بتحسّن بعدما ضربت هذا الخادم المسكين ... ربما سأعطيّه تعويضاً ... و الآن قل لي يا دكتور ، ماذا حصل معك بشأن إلفا؟ " . أغلق الدكتور بروكلمان حقيبته و قال لسام " على كل حال طالما أنك امتنعت عن هذه الحبوب منذ مدة ، فإن هذا العارض سيزول تدريجياً سألتني عن إلفا ... في الواقع يا سام ، لقد قابلت الأشخاص الثلاثة ، و عرضت عليهم شراء الأسهم و بالأسعار التي ذكرتها ، فوافق اثنان منهم ، أما الثالث فقد طلب مهلة للتفكير ، لقد فوجئوا بالأسعار ، و لكنهم طلبوا أن يكون الأمر سريعاً و بأسرع ما يمكن .. و لذلك أنا أقترح أن تتم عملية الشراء من الغد " . أشار سام بيده للدكتور بروكلمان "نعم ، نعم يا دكتور ، غداً خذ المحامي جيم و أتمم الصفقة مع الرجلين ، و اذهبوا إلى الثالث فربما يكون قد قرر البيع " . فكر الدكتور بروكلمان ثم قال " و بالنسبة لتسديد الثمن " - " خذ رقم حساب الرجلين و في الوقت

الذي يتم فيه التوقيع ... إما أن أعطيهم شيكاً بال مبلغ ، أو أحوله إلى حسابهم في البنك ... حسب رغبتهم .. و الآن هيا بنا إلى الصالون ، لنشرب نخب شراء الأسهم و نكمل حديثنا هناك " .

في ظهيرة اليوم التالي كان سام في مكتبه عندما دخل الدكتور بروكلمان و المحامي جيم ، و معهم الرجلان ، قال الدكتور بروكلمان " أعرفك يا سيد سام على العضوين في مؤسسة إلغا ... لقد وافق السيدان على بيع الأسهم و ها هي الأوراق جاهزة مع المحامي جيم و لم يبق إلا توقيع الأطراف صاحبة العلاقة " . رجب سام بالرجلين و دعاهما للجلوس ، ثم تفحص الأوراق ، بعدها نظر إلى الرجلين قائلاً " هل يرغب السيدان بأن يأخذا شيكات بالمبلغ ؟ " . فقال أحد الرجلين " لا يا مستر سام ، إننا نود أن تكون عملية تحويل مباشرة " - " حسناً ... إذا أعطوني أرقام حساب كل منكما في البنك ، و عنوان البنك أيضاً .. و تفضلوا إلى جهاز الكمبيوتر " . فقال الرجل نفسه "نحن معنا هنا أجهزتنا المحمولة و نفضل أن يعمل كل منا على جهازه ... ما رأيك بذلك ؟ " . أوماً سام برأسه موافقاً " كما تشاءان ... إذاً سأبدأ الآن من جهازي عملية الاتصال مع بنكي أرجو أن تتابعا العملية من جهازيكما و يتصل كل منكما مع البنك خاصته " . أخرج كل من الرجلين جهاز كومبيوتر محمول و فتحه ، ثم بدأ العمل عليه ، و كذلك فعل سام ... مرت حوالي خمس دقائق ، قال بعدها سام للرجلين "أنا جاهز " . حذق الرجل الأول إلى جهازه المحمول و قال بعد قليل " و أنا أيضاً جاهز " ، و لم يلبث بعده بقليل ، أن قال الرجل الثاني و هو ينظر إلى جهازه " و أنا أيضاً جاهز " . فقال سام " حسناً أيها السادة ، فليعطني كل منكما رقم حسابه المصرفي . أعطى كلاً من الرجلين رقم حسابه المصرفي لسام الذي بدأ العمل مرة أخرى على جهازه ، بعد قليل ، نظر إلى الرجل الأول و قال " أنا جاهز يا سيدي ، هلا وقعت الأوراق من فضلك " وقع الرجل الأوراق و ظل محتفظاً بها معه . فأشار سام إلى المحامي جيم الذي اطلع على التوقيع و أوماً إلى سام بإشارة منه ، فضغط سام على أحد

أزرار الكمبيوتر الذي معه و قال للرجل الأول " هل تم الأمر ؟ " . نظر الرجل إلى شاشة جهازه بوجه جامد متحفز لبعض الوقت ، ثم لم يلبث أن ابتسم ابتسامة عريضة و قال " لسام " مبروك يا سيدي .. تفضل هذه هي الأوراق " . أشار سام إلى المحامي جيم الذي اخذ الأوراق من الرجل . ثم التفت سام إلى الرجل الثاني ، و جرت الأمور كما حصل مع الرجل الأول . بعد ذلك تبادل الجميع التهاني . و هنا سأل سام الرجلين ، عما إذا كان هناك أعضاء آخرون في إلفا يودون البيع ، فأعطوه عدداً من الأسماء . بعد انصراف الرجلين جلس سام مع الدكتور بروكلمان و المحامي جيم " و الآن ما العمل ؟ ... كيف سنتصرف مع هؤلاء ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان ببرود " كما تصرفنا مع هؤلاء " . فكر سام قليلاً ثم قال " بالمناسبة يا دكتور لقد قلت لي إن هناك رجلاً ثالثاً يريد البيع ... فماذا حصل معه " . نهض الدكتور بروكلمان إلى الهاتف و قال " لقد طلب مهلة للتفكير ، و لكن سأتصل معه الآن لأقف على رأيه " . رفع الدكتور بروكلمان الهاتف و اتصل مع الرجل تحدث معه لبعض الوقت ، ثم أغلق السماعة و قال " لقد وافق على البيع و لكنه يطلب سعراً أعلى من السعر الذي قبل به الرجلين الذين كانا هنا السافل ، كأنه أحس أننا بحاجة إلى الأسهم " . أجاب سام من دون اكتراث " أعطه السعر الذي يريده " . فصاح الدكتور باستغراب " و لكن يا سام هذه أسعار خيالية خيالية جداً، إنه " - " أعطه السعر الذي يريده يا دكتور أعد الاتصال معه ، و حدد موعداً لعملية البيع " . اتصل الدكتور بروكلمان مرة أخرى بالرجل و طلب منه تحديد موعداً للبيع ، ثم أغلق السماعة و قال " في الغد يمثل هذا الوقت ، و هو أيضاً يريد أن تكون عملية البيع سرية على كل حال أرجو يا سام أن تعيد النظر بقرارك هذا " .

في اليوم التالي تمت عملية البيع ، بمثل ما تمت مع الرجلين السابقين ، و عند الانتهاء ، سأل سام الرجل " كم يلزم يا سيدي حتى يحصل الشخص على رئاسة مجلس الإدارة في إلفا ؟ " . أجاب الرجل " يجب أن

يكون معك على الأقل خمس و ثلاثون بالمئة من نسبة الأسهم وحدك أنت فقط ، أي زيادة عن نسبة المدير الحالي بخمسة بالمئة ، و هكذا تضمن التفوق المطلق" . هز سام برأسه و قال " و هل يوجد هناك أشخاص يريدون البيع ؟ " - " نعم يا سيدي يوجد و لكن لا أعرف بالضبط من هم ... و لكن ممكن أن أعرف إذا أردت " . صافح سام الرجل و قال " أشكرك يا سيدي ، و إذا احتجت إليك سأتصل بك " . بعد ذهاب الرجل ، سأل سام " عجيب ... لماذا أعطى الرجلان الأولان أسماء لأشخاص يريدون البيع ، و هذا قال أنه لا يعرف؟؟!! " . أجاب الدكتور بروكلمان " إنه كاذب .. إنه يعرف ، و لكن أظن أنه يريد أن تكون عملية البيع عن طريقه هو ليحصل على عمولة " . فكر سام قليلاً ثم قال " حسناً يا دكتور .. ابدأ إذاً اتصالاتك مع الأشخاص الذين أخذنا أسماءهم من الرجلين " .

في اليوم التالي حضر الدكتور بروكلمان إلى الفيلا ، قال لسام " لقد اتصلنا مع الأشخاص ، و لكنهم اعتذروا عن البيع إما أنهم حذرون أو أنهم فعلاً لا يريدون البيع " . صاح سام بقلق " و الآن ما العمل يا دكتور ؟ " . فكر الدكتور بروكلمان قليلاً ثم قال " لدي فكرة سنجعل الرجلين اللذين اشترينا منهما أولاً ، يشترون هم من الأشخاص و يحولون الأسهم إلى اسمك أنت .. ما رأيك " . أشار سام بإصبعه إلى الدكتور بروكلمان و قال بفرح " برفو يا دكتور اتصل الآن معهما " . رفع الدكتور بروكلمان الهاتف و اتصل مع أحد الرجلين ، تكلم معه لبعض الوقت ، ثم هز برأسه و أغلق السماعة " ماذا هناك يا دكتور ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان " لقد قال لي الرجل إنه لا يستطيع لا هو و لا زميله القيام بهذا العمل " - " و لكن لماذا؟؟ " - " لأن الجميع يعرف أنهما سيبعان أسهمهما ، و أنهما بحاجة للنقود .. و بالتالي فإن طلبهما شراء أسهم ، سيثير الشكوك ؟ " صاح سام بإحباط " اللعنة و ما العمل الآن؟؟ " . فكر الدكتور بروكلمان قليلاً ثم قال " يبدو أنه لا خيار أمامنا سوى الرجل الثالث الذي

باعنا آخر مرة لقد عرض عليك هذا الأمر بشكل غير مباشر " . أوماً سام بيده و قال " اتصل معه و اطلب منه المساعدة " . صاح الدكتور بروكلمان بغضب " من المؤكد أنه سيطلب عمولة خاصة به " . فقال سام بتعب " فليطلب يا دكتور ... فليطلب .. اتصل معه الآن " . رفع الدكتور بروكلمان السماعه و اتصل مع الرجل ... ظل لبعض الوقت يتكلم معه ، ثم أغلق السماعه و قال بغضب " السافل التافه إنه يريد أن يشتري الأسهم لحسابه ثم يبيعنا إياها بسعر أعلى هذه هي شروطه " . فكر سام قليلاً ثم قال " حسناً اعقد الصفقة معه " - " و لكن أرجوك يا سام .. ما الغاية من كل هذا .. إنك تشتري هذه السهم بمبالغ خيالية ... لقد دفعت حتى الآن مئة و خمسين مليون دولار و لم تصل إلا إلى نسبة عشرين بالمئة من الأسهم " . أشار سام بتعب " لا يهمني يا دكتور ، لا يهمني ... أريد فقط أن أصل إلى رئاسة مجلس إدارة إلفا إنه الحلم الأخير في حياتي أعد الاتصال مع الرجل و حدد معه طريقة البيع و الشراء " . رفع الدكتور بروكلمان السماعه و تكلم مع الرجل مرة أخرى .. استمرت المكالمه حوالي الربع ساعة ، و بعدها أغلق الدكتور بروكلمان الخط و التفت إلى سام قائلاً " إنه يريد أن تكون العملية هذه المرة ، عن طريق اعتماد بنكي " - " و كيف ذلك؟ " - " قال إنه لن يشتري الأسهم من أصحابها إلا بعد أن تفتح أنت اعتماداً بنكياً لشراء الأسهم منه و بالسعر الذي حدده " . و هنا التفت سام إلى المحامي جيم و قال " ما رأيك يا جيم في ذلك ؟ " . أجاب المحامي جيم " لا ضير في ذلك يا سيدي ، و لكن اتفق معه على أن يتحمل هو مصاريف الاعتماد في حال فشلت الصفقة .. و بذلك تضمن جديته في العمل " . أوماً سام إلى الدكتور بروكلمان بأن يتصل مع الرجل ، ففعل ، و بعد انتهاء المكالمه ، قال " لقد وافق الرجل ، و ما عليك الآن سوى أن تفتح اعتماداً بنكياً و تخبره كي يياشر فوراً إجراءات الشراء " . هز سام برأسه و قال "عجيب ، أهذه الدرجة هو واثق من نفسه و من شرائه للأسهم حسناً فلنباشر بإجراءات الاعتماد " .

كان الضابط يجلس في مكتبه عندما رن جرس الهاتف ... رفع السماعة و تحدث "ألو نعم إنه هنا ، موجود لدينا نعم ، نعم حاضر سيدي نعم لقد وصلت مذكرة إخلاء سبيله قبل قليل طبعاً " . أغلق الضابط السماعة و ضغط أحد الأزرار ، فدخل شرطي و ألقى التحية عليه ، نظر إليه الضابط و قال ببرود " اذهب إلى هذا المدعو أستاذ الفلسفة و أحضره إلى هنا .. سنخلي سبيله ... بالمناسبة هل تناول طعامه اليوم " - " لا يا سيدي ، إنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام " . أشار الضابط بيده قائلاً " حسناً ... أحضره إلى هنا على الفور ، و لنسرع في إخلاء سبيله ، فربما يأكل في بيته " . ذهب الشرطي و عاد بعد قليل و معه أستاذ الفلسفة .. كان شاحباً هزيباً ، و قد بان شعر لحيته النابت ، بشكل واضح ... كان يبدو عليه التعب و الإعياء . أشار له الضابط بالجلوس ، فارتدى متهاكاً على الكرسي نظر إليه الضابط و قال "لماذا لم تأكل يا سيدي ؟ . ألا يعجبك الطعام هنا ؟ " . أطرق أستاذ الفلسفة برأسه إلى الأرض و لم يتكلم . أعاد الضابط السؤال "هل أساء أحد معاملتك ؟ " . بقي الأستاذ صامتاً و لم يرد . نظر إليه الضابط و قال " على كل حال لقد جاءت اليوم مذكرة إخلاء سبيلك ، لقد أسقط السيد سام حقه عنك ، و دفع كفالتك كاملة " . أخذت أسنان أستاذ الفلسفة تصكصك و أطرافه ترتجف ، و كأن نوبة من البرد قد أصابته . سأله الضابط " هل تشعر بالبرد يا سيدي ؟ " . فلم يرد الأستاذ . هز الضابط برأسه و قال " حسناً يا سيدي ... وقع هنا إذا سمحت ، و اذهب مع الشرطي لتبدل ثيابك و تستلم أغراضك " . أمسك أستاذ الفلسفة القلم بيد مرتجفة و وقع على الورقة ، فقال له الضابط " أتمنى لك التوفيق يا سيدي اذهب الآن مع الشرطي رافقتك السلامة " .

في الفيلا جلس سام مع الدكتور بروكلمان و المحامي جيم يشربون نخب النجاح بشراء الأسهم . سأل الدكتور بروكلمان " كم أصبحت تملك الآن من أسهم إلفا يا سام؟ " . أجاب سام " حوالي ثلاثين بالمئة

" . فقال الدكتور "و الخمسة بالمئة الباقية ... كيف ستحصل عليها " . أجاب سام " لا أدري يا دكتور .
لقد استنفذنا جميع الفرص و يجب أن نجد وسيلة لذلك .. يجب أن نضغط على أحد ما لكي يبيع " . و هنا
رن جرس الهاتف ، فجاء الخادم ليقول " سيدي .. شخص يقول إنه مدير مؤسسة إلفا ، أخذ سام السماعه
و قال "ألو " . فجاءه صوت هادئ من الطرف الآخر و لكن بنبرة غضب " كيف تمكنت من فعل ذلك يا
سام ؟ " - " فعل ماذا يا سيدي ؟ " . صاح الرجل بغضب " هل تراني غيباً حسناً سأكون غيباً
لقد اشترت عشرة آلاف سهم من مؤسسة إلفا و من دون علمي ، هل علمت الآن ماذا فعلت ؟ " فقال
سام بهدوء " و ما العيب في ذلك يا سيدي ؟ ثم إنني عضو فخري في إلفا ، و أنا مستغرب استنكارك
لشرائي الأسهم " . رد الرجل بهدوء و هو يكتم غيظه " بل أنا المستغرب يا سام لماذا اشترت هذه العشرة
آلاف سهم في الخفاء و بأسعار خيالية ... ماذا يدور في رأسك ؟ هل هناك ما تفكر به و يدغدغ
خيالك .. أجبني يا بني " . فكر سام قليلاً ثم قال " لا يا سيدي ، ليس هناك مما يخطر ببالك " . أجاب
الرجل بهدوء و برود " على كل حال ما يخطر ببالك ، صعب يا سام .. صعب إنه محال ... و هو لا
يكون بهذه الطريقة " - " صدقني يا سيدي إنني مستغرب ما تقوله ، و أستهجنه ، لقد كنت أريد أن أجعلها
مفاجأة سارة لك ، ففوجئت بغضبك " . صمت الرجل قليلاً ثم قال " إنها فعلاً مفاجأة سارة يا سام ... و
لكنها لن تتكرر ، و على كل حال تهانينا ، لقد لعبت جيداً هذه المرة .. و لكن كن مطمئناً ... ما تسعى
إليه ... لن تصل إليه ... إلى اللقاء " . و ضع سام السماعه و روى للدكتور بروكلمان المحامي جيم ما
قاله له مدير إلفا . فقال الدكتور بروكلمان بقلق " أظن أنه جاد يا سام في ما يقوله ليس هذا فقط ،
بل أظن أنك دخلت في دائرة الخطر ، لقد قلت لك من قبل إنك ستدخل في حرب شرسة مع إلفا
احترس يا سام .. احترس " . صاح سام بغضب و بدا عليه قليل من التعب و التعرق " هذا هو هدي في
الأخير و سأحققه سأحققه يا بروكلمان ... إنه أقصى ما يمكن أن أحلم به إنها مسألة حياة أو

موت بالنسبة لي " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام متمعناً و قال و هو يفكر " أظن أنها ستكون كذلك ... مسألة حياة أو موت " . فكر سام قليلاً ثم قال " و لكن مهلاً ... لقد ذكر مدير إلفا عشرة آلاف سهم ، في حين أنني اشتريت حتى الآن ثلاثين ألفاً .. ماذا يعني ذلك يا دكتور ؟ " فكر الدكتور قليلاً ثم قال " إنها واضحة يا سام .. الرجل الثالث الذي اشترينا منه الأسهم ... لقد اشترينا الأسهم البقية عن طريقه هو و باسمه ، و لهذا لم يعرف مدير إلفا بذلك حتى الآن " . صاح سام و قد بدا عليه التعب واضحاً "يجب أن ننبهه بألا يخبر أحداً " ، قال الدكتور بروكلمان و هو ينظر إلى سام بقلق "سأقوم بذلك ... و لكن ما بك يا سام أراك متعباً ؟ " أجاب سام " يبدو أنني أشعر بالضيق قليلاً " - " أنا أقترح أن تذهب إلى البلدة و تستريح هناك فترة معينة ، ثم تعود إنه أفضل حل لك ... بالمناسبة لقد سافر أندريه إلى هناك ، و استلم منصبه الجديد منذ يومين ، بإمكانك زيارته و تفقد العمل " . فقال سام بتعب " و الخمسة بالمئة الباقية من السهم ؟؟؟ " - " لا عليك يا سام ... أنت اذهب الآن ، و بعدها نفكر في هذا الأمر و الآن سنتركك لترتاح ... إلى اللقاء " . غادر الدكتور بروكلمان و المحامي جيم ، بينما نزل سام إلى القبو ، و هناك ظهر الشيطان له . نظر إليه سام و قال بإعياء "افترض أنك راض عن العمل " . أجاب الشيطان و هو ينظر إلى سام بقلق "نعم ، نعم و لكن لماذا أنت متعب هكذا و وجهك شاحب ؟؟ " - " لا أدري إنها نوبات تأتيني ما بين الحين و الآخر .. لقد طلب مني الدكتور بروكلمان للتو أن أذهب إلى البلدة و أرتاح هناك لفترة من الوقت " . أجاب الشيطان و قد اهتم بالأمر " نعم ... لا بأس . اذهب إلى هناك و استرح بعض الوقت " . هز سام برأسه و قال "بالمناسبة لقد اشتريت حتى الآن ثلاثين بالمئة من أسهم مؤسسة إلفا ، و بقي خمسة بالمئة فقط ، و لكن لا أدري من سيقبل ببيعها لي ، قد حاولت و لكن لم أفجح ... ليس هذا فقط ، بل أن مدير إلفا اتصل قبل قليل و هددني بشكل مبطن ، لقد أدرك ما أنوي القيام به" هز الشيطان برأسه و قال " نعم يا سام ... إنه جاد في ذلك ... و جيد أنك أتيت إلى هنا

الآن " . صاح سام " ماذا هناك أيها الشيطان ؟ .. أخبرني " . أجاب الشيطان " إنهم يدبرون لاغتيالك " .
انتفض سام في مكانه كالمجنون و صاح " أنا ؟... متى ؟ و كيف ؟؟ " . أشار الشيطان بيده مهدئاً سام
"رويدك يا سام ... رويدك ... إنهم يتكلمون الآن بالموضوع ... المدير و بعض معاونيه ، بالاتفاق مع
الحزب الديمقراطي و حتى الآن لم يتتوا بالأمر أو يحددوا كيفية الاغتيال ... على كل حال لا تقلق
، أنا معك أنت الآن تصرف بشكل طبيعي و تابع حياتك و كأن شيئاً لم يكن اذهب إلى البلدة و
استرح بعض الوقت .. أريدك أن تكون مرتاحاً معافى " . قال سام و قد نسي كل تعبته " لقد أفلقتني الآن
أيها الشيطان إنني خائف بحق " . قال الشيطان بهدوء و حزم " قلت لك لا تخش شيئاً و أنا معك ، لن
يستطيعوا أن يمسوا شعرة من رأسك طالما أنا هنا ... إنهم الآن يتكلمون بالفكرة و لن تكون جاهزة قبل
فترة من الوقت ، و إلى ذلك الوقت ، لكل حادث حديث ، الآن أنس الموضوع و لا تهتم " . فكر سام
قليلاً ثم قال " حسناً أيها الشيطان و لكن ماذا بشأن شراء الأسهم الباقية " - " ما هي المشكلة بالضبط
يا سام " - " المشكلة أنني أريد أحد أعضاء مؤسسة إلغا ... إما أن يبيعي أسهمه ، أو يشتري لي هو الأسهم
من أحد ما " . فكر الشيطان لبعض الوقت ثم قال " أن تجد أحد من أعضاء إلغا يبيعك ، فهذا صعب جداً
لأن مديرها قد أصدر قراراً يمنع بموجبه بيع الأسهم إلا للأعضاء الأصليين في إلغا أو في الحزب الديمقراطي
، و حصر عملية البيع بموافقته هو و لم يبق أمامك إلا أن تجد أحد من الأعضاء يقبل بأن يشتري هو
لك " . صاح سام بيأس " و لكن كيف سأجد هذا الشخص " . اجابه الشيطان بهدوء " إنه موجود يا سام
و تحت أنظارك ، و لكن أنت من لا يراه " . فكر سام قليلاً ثم ضرب بيده على رأسه و قال " نعم ،
نعم ... أنها هي ... مديرة المدرسة كيف غاب هذا عن ذهني .. و لكن لا أظن أنها ستقبل " . ابتسم
الشيطان و قال " أنها لن تقبل .. و لكن تحت ضغط التهديد بالسجن ، ستقبل " . نظر سام بدهشة إلى
الشيطان و قال "لم أفهم بالضبط " . أجاب الشيطان بهدوء " يوجد في فرع السيدة المديرة مئة اسم وهمي ،

تقبض أموالهم لحسابها " . فغر سام فمه و قال بذهول "ماذا؟؟" . صاح الشيطان " هيا يا سام ... هل ستفتح فمك هكذا كالأبله في كل مرة أخبرك فيها شيئاً ... ألم تتعلم بعد يا رجل ... هيا اذهب و احضر ورقة و قلم لتسجل الأسماء الوهمية تلك ، و لتسجل أيضاً أملاك و عقارات المديرة التي تخفيها عن مصلحة الضرائب منذ سنين عدة " . أسرع سام كالغزال إلى الطابق الأرضي و أحضر ورقة و قلماً ، و أخذ يسجل ما يمليه عليه الشيطان ، و عندما انتهى قال له الشيطان "استشر محاميك بهذا الموضوع أيضاً ... و الآن ، أتمنى لك رحلة موفقة إلى الشمال .. هيا يا عزيزي أراك لاحقاً " .

في الصالون ، سارع سام إلى الاتصال بالمحامي جيم و طلب منه الحضور فوراً ، ثم جلس يستعرض الورقة التي معه و يقول " حتى أنت أيتها العجوز الشمطاء ... لم أكن أعلم أن وجهك المجدد المقرف يخفي خلفه خبثاً و دهاءً كبيرين اللعنة .. حتى على الدولة تحتالين ... حسناً سنرى ما يمكن عمله في هذا الشأن " . بعد قليل حضر المحامي جيم " ها يا سيد سام .. من المؤكد أنه هناك شي مهم حتى تعاود طلبي " - " نعم يا جيم ... هناك شي مهم ... هناك موضوع أريد استشارتك به ... خذ اقرأ هذه الورقة و قل لي ما هي العقوبات القانونية ، لما هو مكتوب فيها " . أخذ المحامي جيم يقرأ الورقة بعناية و تركيز ، و قد وضع نظارته الطبية .. ثم رفع رأسه و قال " من هو سيء الحظ هذا الذي يقوم بهذه الأفعال ؟ " . ابتسم سام و قال " أولاً قل لي يا جيم ما هي العقوبات المترتبة على هذه الفعال ؟ " . أعطى المحامي جيم الورقة لسام و قال " بالنسبة لقبض معاشات الأشخاص الوهميين ... فإن عقوبتها السجن لمدة خمس سنوات على الأقل مع إلزام الشخص دفع كل ما سرق من نقود مع الفوائد المترتبة عليها و دفع غرامة باهظة .. أما التهرب الضريبي و تقديم معلومات كاذبة عن الأموال ، فهو كارثة حقيقية عندنا و أنت تعرف هذا الأمر ، إنه أبشع من جريمة القتل و عقوبته على الأقل عشر سنوات مع إلزامه دفع مبالغ باهظة جداً و

غرامات خيالية لم تقل لي .. من هو سعيد الحظ هذا " . ضحك سام و قال " بل قل من هي سعيدة الحظ هذه إنها مديرة المدرسة يا سيدي المحامي مديرة المدرسة التي كانت في الماضي القريب مثلاً لنا في العفة و المبادئ و الأخلاق و الصدق ... تسرقني و تسرق الدولة أيضاً " . صاح جيم بدهشة و ذهول و هو يقهقه "مديرة المدرسة اللعنة و الآن ماذا ستفعل ؟ ... هل سترفع عليها دعوى قضائية ؟ " . هز سام برأسه و قال " لا يا جيم ... بل سأصطحبك معي غداً إلى الشمال ، لتخبرها بنفسك بالعواقب الوخيمة التي تنتظرها ، و في الوقت نفسه تستجم ... ألا تحب الاستجمام في الشمال يا جيم ؟ " . ضحك المحامي جيم و أوما برأسه موافقاً .

في اليوم التالي وصل سام إلى بلدته عند الغروب و معه المحامي جيم . كان أبوه و أمه يجلسان على الشرفة بصمت و قد بدا عليهما الحزن . ترجل سام من السيارة و صعد هو و المحامي جيم إلى الشرفة ألقى التحية على والده و أمه ، فردا التحية باقتضاب ... جلس سام على الكرسي و دعا المحامي جيم للجلوس ، ثم نظر إلى والديه و سألهما مستغرباً " ماذا هناك يا أبي ؟ .. كأن على رؤوسكم الطير " . أطرق الوالد برأسه إلى الأرض و لم يتكلم ، بينما نظرت أمه إليه و قالت بجزن " لقد توفي أستاذ الفلسفة اليوم " . نظر سام إلى أمه بصمت و قد جمد في مكانه ... في البداية لم يستوعب الكلام جيداً ظل هكذا صامتاً بذهول ، و بعدها نظر إلى المحامي جيم و قال له بصوت مضطرب " المعذرة يا جيم .. سأدخل قليلاً إلى الغرفة ... استأذنيك " . نهض سام من مكانه ببطء ، و مشى إلى الداخل ... فتح باب غرفته و جلس على سريره .. أغمض عينيه قليلاً ... ثم انحنى برأسه على يديه و انفجر باكياً ... أخذ يبكي و يبكي كالطفل الصغير و هو يشهق و يهز رأسه بألم أحس و كأنه فقد شيئاً عزيزاً عليه ، و لن يستطيع استعادته بعد قليل طرق أبوه باب الغرفة و دخل ربت على كتف ولده مهدئاً " سام .. يا ولدي ... لا

تبك ادع له بالرحمة يا ولدي ادع له بالرحمة " . رفع سام وجهه و الدموع تنهمر من عينيه بغزارة و قال و هو يبكي " هل أنا السبب يا أبي ؟ هل أنا مذنب يا أبي ؟ " ضم الأب ابنه إلى صدره و قال و قد انهمرت الدموع من عينيه هو الآخر " لا يا ولدي كلا كما غير مذنب ... رحمه الله ، لقد كان قاسياً و صعب المراس قليلاً ... عاش وحيداً ... و مات وحيداً " . مسح سام الدموع من عينيه و قال " و لكن كيف توفي يا أبي ؟ " - " يقولون إنه عندما أخلي سبيله البارحة ، توجه إلى الفرع و هو صامت ، و عندما دخل إليه ، فوجئ بصديقك هذا الذي اسمه اسمه أندريه ، فخرج من الفرع و هو يهذي و يتفوه بكلمات غريبة ، و توجه مباشرة إلى بيته ، حيث توفي صباح هذا اليوم " . نظر سام إلى والده و الدموع ما تزال تهطل من عينيه و قال " و أهل البلدة ... ماذا يقولون عني يا أبي ؟ " - " لا يقولون عنك شيئاً يا ولدي ، بل على العكس ، إنهم يقولون أنه لا ذنب لك فيما حصل ، و أنه هو من أخطئ بحقك " ، توقف سام عن البكاء فجأة و نظر إلى الحائط أمامه و أخذ يفكر و الألم يعتصر قلبه أخذ يتذكر الحياة التي عاشها مع أستاذ الفلسفة منذ أن كان طالباً بالمدرسة ، و حتى الآن ... صاح بغضب " لماذا فعلت ذلك يا أستاذ ؟ .. لماذا ؟ أنت السبب ... لقد آلمتني مرتين مرة عندما فعلت ما فعلته .. و مرة عند موتك ... لماذا لماذا يا أستاذ تحب أن تغيظني و تسبب لي الألم ؟ ... لماذا " . ربت الوالد مرة أخرى على كتف ولده و قال " هيا يا بني .. هيا ، السيد جيم في الخارج وحيداً .. هيا بنا " .

في صباح اليوم التالي ، كان أندريه في مكتبه يعطي التوجيهات للموظفين ، عندما فتح الباب فجأة و دخل سام و المحامي جيم . انتفض الجميع واقفين في أماكنهم . تمتم أندريه بذهول " سيد سام ... أهلاً و سهلاً .. تفضل " . اقترب سام من أندريه و خبط بيده بقوة على صدره ، ثم أمسك بخناقه و جذبته إليه بعنف قائلاً له بصوت يشبه هدير الوحش " أندريه .. ماذا فعلت لأستاذ الفلسفة عندما أتى أول أمس إلى

هنا؟" . صاح أندريه بذعر و هو يكاد يبكي " صدقني يا سيد سام لم أفعل شيئاً ... لقد دخل فجأة إلى هنا ، و عندما رأني .. تفوه بكلمات غريبة و استدار خارجاً من الفرع ... صدقني لم أقل له شيئاً .. أليس كذلك يا شباب ؟ " . نظر سام إلى الموظفين و هو لا يزال يمسك بخناق أندريه ، فأومأ جميعهم موافقين . أرخى سام يده عن خناق أندريه الذي أفسح له المجال ليجلس مكانه ، ثم جلس على الكرسي ، بينما انضم أندريه إلى الموظفين نظر سام إليهم جميعاً بوجه جامد عابس ، ثم خاطب أندريه قائلاً "كيف تجري الأمور معك يا سيد أندريه ؟ " - " إنها تسير على ما يرام يا سيد سام " - " و البرامج الجديدة هل تطبقونها في الفرع ؟ " - " نعم ، نعم يا سيدي ، إنها تطبق بحذافيرها تماماً و الأعضاء بدؤوا يقبلون عليها " - "عظيم أين سجلات و دفتر حسابات الفرع ؟ أريد أن ألقى نظرة عليها " . بعد أن اطلع على السجلات و الدفاتر . أعطى سام توجيهاته ، ثم سأل الموظفين عن استفساراتهم ، و بعدها خرج من الفرع إلى المدينة الشمالية و معه المحامي جيم ، عند السيارة أخرج من جيبه مبلغاً من المال و أعطاه لأندريه قائلاً " أندريه احتفظ بهذا المبلغ لشؤونك الخاصة " عندما اختفت سيارته عن الأنظار و خلفها سيارة الحرس ، همس أحد الموظفين في أذن زميله " هل سمعت صوته عندما أمسك بخناق السيد أندريه كان شبيهاً بصوت النمر أو الذئب ... لقد دب الرعب في أوصالي يا رجل ، و تجمد الدم في عروقي " . أجاب الموظف الآخر " و أنا كذلك يا صديقي لقد ظننت لوهلة أن هنالك ضبعاً أو نمراً قد دخل الغرفة " .

في الصالون الأنيق ، جلس سام و المحامي جيم يتهامسان ، عندما دخلت مديرة المدرسة " أوه .. مسيو سام ، يا لها من مفاجأة سارة أن أراك هنا أنت و المسيو جيم " . بعد تبادل المحاملات ، نظر سام إلى العجوز و قال مبتسماً " كيف هو الحال في الفرع سيدتي الفاضلة " . صاحت المديرة بفرح " ممتاز .. إنه رائع ، الأمور تسير على ما يرام هل تحب أن نذهب الآن إلى هناك لتفقد سير العمل ؟ " - " لا ، لا يا

سيدتي ... إنني مستعجل ، و يجب أن أكون في العاصمة اليوم ... و لكن في الواقع ، قد جئت إليك الآن لموضوع مهم ... إنه بخصوص شراء أسهم من مؤسسة إلفا " . أجفلت المديرية في مكانها و عبست بوجهها المجدد؟ " و قالت "لم افهم بالضبط يا سيد سام " . نظر سام إلى العجوز مرة أخرى و قال مبتسماً "باختصار شديد يا سيدتي ، أريد أن أشتري أسهماً من مؤسسة إلفا كأبي مواطن في هذا البلد و كعضو فخري في إلفا " صاحت المديرية باستهجان "و ما علاقتي أنا بالموضوع" أجاب سام بهدوء " علاقتك بالموضوع ببساطة ، هي أنك أنت من سيشتري لي هذه الأسهم " . انتفضت العجوز قائلة " ما هذا الهراء آسفة يا سام ، إنني لا أستطيع" - " و لكن يا سيدتي " - " أرجوك يا سام ، لا أريد الحديث في هذا الموضوع و لتكلم بموضوع آخر بالمناسبة ، هل علمت بموت هذا النذل أستاذ الفلسفة" . و هنا جن جنون سام ، فنهض من مكانه و أمسك بخناق العجوز و جذبها إليه بعنف مزجراً في وجهها بصوت هادر مرعب " إياك أن تتكلمي عن أستاذ الفلسفة أيتها العجوز الشمطاء إنك أكثر سفالة و ندالة و خسة منه " أسرع المحامي جيم لتخليص العجوز من براثن سام . الذي نظر إليه و قال "جيم ... أعطني الورقة التي معك " . أخرج المحامي جيم من حقيبته ورقة من القطع الكبير و أعطها لسام ، الذي أعطها بدوره إلى المديرية التي كانت جاحظة العينين ، فاغرة فمها بلا حراك " هذه لائحة بمئة اسم موجودين لديك في الفرع أريد أن أراهم الآن ... هيا اتصلي معهم ليحضروا إلى الفرع و مع كل منهم هويته الشخصية أو جواز سفره هيا اتصلي معهم الآن " . أمسكت العجوز الورقة بيد مرتعشة و أخذت تنظر إليها ، ثم قالت بصوت مضطرب " و لكن يا سام أخشى أنهم لن يستطيعوا الحضور " - " لماذا أيتها الفاضلة؟؟ " . فتمتمت العجوز بهلع " لأنهم لأنهم " . اقترب سام من المديرية و ألصق وجهه بوجهها و هو يحدق بها، ثم صاح بصوت أرفعها "لأنهم في المريخ أيتها الفاضلة الشريفة أم لأنهم شخصيات هامة أم لأنهم ماتوا كما فعل أستاذ الفلسفة أم

لأنهم غير موجودين ؟ " . جحظت عينا العجوز من الرعب و انعقد لسانها و لم تتكلم ، فنظر سام إلى المحامي جيم و قال له "جيم ... أعطني الورقة الثانية " . فتح جيم حقيته و أعطى سام ورقة أخرى أعطى سام بدوره الورقة للمديرة و قال " تفضلي يا سيدتي الشريفة ... هذه لائحة بأملالك التي تتهريين من دفع ضرائبها للدولة و تقدمين بياناً كاذباً عنها " . أخذت العجوز تحمق بالورقة بذعر شديد و لسانها ما يزال معقوداً " . جلس سام على الكرسي و عدل من ياقته ، ثم أخرج سيجاراً و أشعله ، و نفث دخانه بوجه العجوز التي كانت تحمق ببلاهة و قال للمحامي " مستر جيم هلا تكرمت و أبلغت سيدتنا المحترمة عن العقوبات التي سوف تواجهها .. غير الفضيحة و الطرد من الفرع؟" . وقف المحامي جيم و وضع نظارته الطبية و قال مبتسماً بوقار " سيدتي الفاضلة .. إنك ستواجهين السجن لمدة خمسة عشر عاماً مع دفع غرامات كبيرة باهظة على أقل تقدير ... لقد جهزت مذكرة بهذا الخصوص إلى المدعي العام و هي تنتظر التقديم " انهارت المديرية على مقعدها و أخذت تصيح و هي تبكي بذعر "أرجوك يا مسيو سام أرجوك ... إنني أتوسل إليك " . نظر إليها سام و قال لها بهدوء و برود " اسمعي .. لا وقت لدي أضيعه بالكلام و النقاش باختصار شديد ، هل ستشترين الأسهم لحسابي أم لا " - " نعم ، نعم سأفعل ، و لكن المشكلة أن مدير إلفا أصدر قراراً بالألا يتم البيع إلا للأعضاء و بعد موافقته هو " - " عظيم يا سيدتي اليوم ستتوجهين للعاصمة ، و ستقابلينه و تعبرين له عن استيائك الشديد من شرائي للأسهم ، و تقولين له إنني لست أفضل منك ، و إنه من حقك أنت شراء الأسهم المهم أن تتدبري أمرك و تقنعيه و سأعطيك مهلة يومين فقط ، وبعدها سيتولى المسيو جيم الموضوع و إذا تم الموضوع بنجاح سأتغاضى عن كل ذلك و سأعد مبالغ المئة شخص الوهميين هؤلاء ، هدية مني إليك و لكن إياك أن تلعبى بذيلك المهترئ معي لأنني ساعتها ، لن أرحمك ، و ستلحقين بجاك و السيد هنري إلى السجن ، حيث تقضين بقية أيامك هناك ... طاب يومك ، و أنا بانتظارك في العاصمة " . غادر سام و

المحامي جيم ، منزل المديرية ، عائدتين إلى العاصمة . و في الطريق سأل سام المحامي جيم " هل ستوافق هذه الحرباء النتنة برأيك يا جيم ؟ " - " أظن أنها ستوافق يا سيدي ، فالتهرب من الضرائب ، جريمة لا تغتفر عندنا و ، و عقوباتها واضحة ، و لا يمكن لأحد التلاعب بها " . نظر سام من نافذة الليموزين الجانبية إلى المناظر الطبيعية أمامه و تتمم قائلاً " حسناً .. سنرى ... سنرى " .

في اليوم التالي ، كان سام في المكتب ، عندما دخلت مديرة المدرسة كان واضحاً عليها النذل و انكسار الخاطر ... نظرت إلى سام و قالت " مسيو سام ، لقد أمنت لك زبوناً الآن ، و هو جاهز للبيع و لديه سبعة آلاف سهم ، لكن لا أعرف كيف ستتم العملية " . ضغط سام أحد الأزرار ، فدخلت السكرتيرة .. " اطلب لي المحامي جيم على الفور .. و اطلب كأساً من شراب الجاما يكا الفاخر مع الفواكه للسيدة الفاضلة مديرة المدرسة ... يبدو أنها مرهقة قليلاً " . خرجت السكرتيرة ، و بعد قليل دخل أحد الخدم و معه كأس الشراب و قدمه للمديرة .. ثم لم يلبث أن أتى بعده المحامي جيم " مستر جيم ، هلا شرحت لمربيتي الفاضلة سابقاً ، كيف ستتم عملية بيع و شراء الأسهم بواسطتها ؟ " . جلس المحامي جيم و أخذ يشرح للمديرة التفاصيل بدقة ، و عندما انتهى سأها " هل ترغبين يا سيدتي أن أعيد الشرح مرة أخرى ؟ " . أجابت العجوز بصوت خافت مضطرب " لا ، لا ، لا ، لقد فهمت و لكن أرجو أن يبقى الأمر سرياً " - " إنه سيكون كذلك .. و الآن اتصلي مع الرجل من فضلك ، و نفذي البند الأول من العملية " .

في المساء ، نزل سام إلى القبو و اجتمع مع الشيطان .. " ماذا حصل معك يا سام " . أجاب سام " لقد أنهيت كل شيء أيها الشيطان و أصبحت أملك الآن سبعة و ثلاثين بالمئة من أسهم إلفا ... بعد حوالي شهر ستتم انتخابات مجلس الإدارة " - " رائع يا سام .. هذا جيد .. و لكن من الجيد أيضاً أنك قد أتيت

الآن ... فعملية اغتيالك ، قد أصبحت جاهزة " . خفق قلب سام بقوة و قال بصوت مرتعش " ، لكن كيف أيها الشيطان .. أخبرني " - " غداً وأنت خارج من مكتبك في الشركة ، سيكون بانتظارك قناص على سطح مبنى الشركات السياحية ... إنه بعيد نسبياً عن مبنى شركتك و لكنه يطل عليها بشكل مستقيم ... هذا كل شيء حتى الآن . قم بما تراه مناسباً " . أوماً سام برأسه و قال بشرود " حسناً أيها الشيطان ، سأتصرف " . نظر إليه الشيطان بقلق و قال " مالي أراك هكذا متعرقاً و يداك ترجفان !!!؟؟ " . قال سام بتعب " لا أدري ... هذه الظاهرة اللعينة تأتيني من وقت لآخر ... و لكن لا بأس فقد اعتدت عليها " .

في مساء اليوم التالي ، كان سام في المكتب ، عندما دخل المحامي جيم ... " ها يا جيم .. ماذا وراءك ؟ " - " لقد ألقى القبض على الرجل .. و لكنه لم يعترف بأنه كان يريد قتلك أو أن أحداً أرسله لذلك .. لقد قال أمام المحقق إنه كان يريد تجريب بنديته " . صاح سام بغضب " ماذا يعني هذا يا جيم ؟ " - " هذا يعني يا سيدي أنه سيقضي شهرين في السجن ، لحيازته سلاحاً غير مرخص " - " حسناً يا جيم ، انصرف الآن " . خرج المحامي جيم وأغلق الباب خلفه ، بينما زجر سام بغضب ثم رفع سماعة الهاتف و اتصل مع مدير إلفا .. " مرحبا سيدي .. أنا سام " . فقال الرجل بلهجة مضطربة قليلاً " أهلاً مستر سام ، كيف حالك " . رد سام بهدوء " سيدي الكريم أظن أنك تجاوزت حدودك كثيراً إنك تلعب بالنار " - " ماذا تقصد يا سام ... إنني لم أفهم ؟ " - " هذا القناص الذي أرسلتموه لقتلي ... لقد اعترف بكل شيء " - " إنني لا أعرف عن ماذا تتكلم " - " لكنني أنا أعرف ... و أحذرك ... لقد تجاوزت حدودك " . أغلق سام السماعة و أخذ يفكر ، و فجأة سمع من داخله صوت كأنه صوت وحش ، و في الوقت نفسه انتابته نوبة من الغضب الشديد ، كانت حرارته مرتفعة و العرق يتساقط منه بغزارة . اجتاحه شعور عارم

بممارسة الجنس و ، فأخذ يصرخ بهياج شديد و يضرب الحائط بيديه ، و لم يلبث أن خرج إلى الباب و هجم على السكرتيرة ، ثم جرها إلى الداخل و هو يجأر بصوت مخيف ، و أخذ يمارس معها الجنس بشكل متوحش حيواني " فتح الباب على عجل و دخل الدكتور بروكلمان الذي كان بعض الموظفين قد أبلغوه بالهاتف .. أمسك الدكتور بروكلمان و أحد الحرس ، بسام محاولين شده إلى الخلف ، فلم يستطيعا ، فدخل أنثان آخران و شاركا معهما بمحاولة السيطرة على سام ، و أخيراً تمكنوا من تثبيته ، فأعطاه الدكتور بروكلمان إبرة منوم ، فترنح في مكانه و هدأ صوته و لم يلبث أن ذهب في نوم عميق . نظر إليه أحد الحرس و قال " ألم تلاحظ يا دكتور أن قوته كانت خارقة بشكل غريب ، و صوته كأنه وحش " .
نهر الدكتور بروكلمان الحارس " أحرص أيها الغبي و إياك أن تتفوه بذلك " . ضمد الدكتور بروكلمان يدا سام اللتان كانت تنزفان ، ثم أمر الحرس بنقله إلى الفيلا .

كان الوقت ليلاً عندما فتح سام عيونه ببطء ميز أمامه خيالات عدة متماوجة ، و شيئاً فشيئاً بدأت هذه الخيالات تهدأ و تتضح أكثر لتثبت بعد قليل و قد أصبحت واضحة تماماً . كانت زوجته و الدكتور بروكلمان جالسين أمامه و شخص آخر غريب لم يعرف من هو . نظر إليه الدكتور بروكلمان و قال " سام .. كيف أصبحت الآن ؟ هل أنت بخير ؟ . حرك سام عيونه في الغرفة ، و نظر إلى يديه المضمدين ، ثم قال " ما هذا ما الذي حصل ؟؟!! " . ربت الدكتور بروكلمان على يديه و قال " لا شيء يا سام .. لقد مررت بوعكة صحية بسيطة في المكتب ... أعرفك على صديقي الدكتور هانس ، إنه اختصاصي بعلم و جراحة الأعصاب " . سيفحصك و يسألك بعض الأسئلة إذا لم يكن لديك مانع " . هز سام برأسه موافقاً . فنظر إليه الدكتور هانس مبتسماً و قال " هل أنت بخير الآن يا سيدي ؟ " - " نعم أشعر أنني بخير " - " هل تستطيع أن تتذكر ماذا حصل معك اليوم ؟ " فتح سام فمه ليتكلم ، و لكنه انتبه

لوجود زوجته ، فأحجم عن الكلام ... نظر الدكتور بروكلمان إلى زوجة سام و قال لها مبتسماً "سيدتي الكريمة ... أرجو أن تتركينا لبعض الوقت من فضلك " . خرجت الزوجة ، فبدأ سام الكلام " منذ مدة و هذه الحركات و التصرفات اللاإرادية ، تأتيني و لكن على ما يبدو ، فإنها اليوم كانت شديدة ... لا أدري ما الذي حصل لي بالضبط انتابني فجأة شعور عارم بالغضب ... بممارسة الجنس ... بالتحطيم و الضرب و التكسير .. أحسست أن شيئاً ما في داخلي يريد أن يخرج ، و هو الذي كان يحركني ... أحسست فجأة أنني أصبحت شخصاً آخر ، أصبحت هذا الشيء الذي بداخلي ، و الذي لا أعرف ما هو بالضبط " - " منذ متى يا سيدي بدأت معك هذه الظاهرة ؟ " - " منذ أن انقطعت عن بعض العادات الشخصية التي كنت أمارسها " . فتح الدكتور هانس حقيته و أخرج منها جهازاً موصولاً بأسلاك و وضع طرفها على رأس سام و أخذ ينظر إلى الجهاز ، ثم وضعها على قدميه و أخذ يتابع حركات الجهاز ، بعد ذلك طلب من سام أن يحرك أطرافه بحركات معينة ، ثم اطلع على التحاليل التي أجراها سام في المشفى ... فهز رأسه و قال " في الواقع إن ما يبدو لي يا مستر سام ، أنك طبيعي على الأقل حالياً على كل حال سأكتب لك على مهندات إضافية ، تأخذها عند شعورك ببدء هذه الحالة ، و أتمنى أن تزورني غداً في المستشفى لاستكمال بعض التحاليل و الآن أتركك لترتاح ... عمت مساءً " . رافق الدكتور بروكلمان ، الدكتور هانس إلى الباب الخارجي و في الصالون سأله " ما رأيك يا دكتور بهذه الظاهرة ؟ " . هز الدكتور هانس برأسه و قال " لا أدري بالضبط يا بروكلمان ... إنه يبدو لي طبيعياً تماماً ، على الأقل الآن ... غداً سأجري له تحليل للسليالة العصبية و تنظير لبعض المناطق العصبية و الدماغية .. و أقرر " فقال الدكتور بروكلمان " و لكن يا دكتور . إنك لم تره عندما جاءته تلك الحالة في المكتب ، لقد كان يصدر صوتاً كالوحش تماماً لقد ظننت لوهلة أن هناك نمراً أو ذئباً في الغرفة ... لم يكن صوتاً بشرياً ، ليس ذلك فقط ، بل إن قوته البدنية و الجسدية أصبحت فجأة هائلة بشكل مخيف ، لقد كنا خمسة

رجال ، و بالكاد استطعنا أن نهدئه و نخلص تلك الفتاة المسكينة من يديه ... لقد كان ينهشها كالوحش تماماً " . نظر الدكتور هانس إلى الدكتور بروكلمان و قال " هذه النقطة تدخل في نطاق عملك أكثر من نطاق عملي ، و على كل حال يمكن أن يظهر لنا غداً شيء ما في التحاليل " . استدار الدكتور هانس و مشى باتجاه الخارج ، و عند الباب ، وقف ، ثم التفت إلى الدكتور بروكلمان و قال " بالمناسبة يا بروكلمان ... عندما ينزف في المرة التالية في أثناء النوبة القادمة إذا أتت ... حاول أن تحلل الدم النازف ، و تطلعني على النتيجة .. عمت مساءً " . غادر الدكتور هانس ، بينما وقف الدكتور بروكلمان مذهولاً ، ثم استدار و مشى إلى الداخل .. جلس أمام سام سألته " ما الذي يحدث معك يا سام ؟ . أخبرني " . أجاب سام بصوت متعب " كما أخبرتك يا دكتور و لكن لماذا يداي مضممتان هكذا ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان و هو يتأمل سام " لقد ضربت لوح الزجاج بيدك يا سام و كاد أن يقتلك " . تأمل سام يديه بألم و قال " بالمناسبة ... من هو الدكتور هانس هذا ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان بهدوء " إنه من كبار أطباء و جراحي الأعصاب في العالم ... و غداً سنذهب إليه لاستكمال بعض التحاليل ، فلا تقلق " . ظل الدكتور بروكلمان حوالي ساعة مع سام ، ثم سألته " هل أنت بحاجة يا سام لأن أبيت عندك اليوم هنا ؟ " - " لا ، لا يا دكتور ، لقد أتعبتك معي ... اذهب و استرح ، و غداً نذهب إلى الدكتور هانس " - " حسناً يا سام ، عمت مساءً ، و إذا جد أي جديد اتصل بي " خرج الدكتور بروكلمان من الغرفة و تكلم مع زوجة سام " اسمعني جيداً يا سيدتي ... عليك ملازمة سام جيداً ، و عند أول بادرة لحدوث أزمة ما اتصلي معي على الفور .. و في حال نزف منه دم ، فحاولي تجميعه في كأس أو وعاء ، و لا ترميه حتى حضوري " . غادر الدكتور بروكلمان ، و بعد قليل ، نهض سام من فراشه و مشى باتجاه القبو ، فلحقت به زوجته .. " إلى أين أنت ذاهب يا سام . أشار لها سام بيده متكلفاً القوة و النشاط " ابقني أنت هنا يا عزيزتي ... سأراجع بعض الأوراق في الأسفل و أعود حالاً لا تقلقي " . هبط سام إلى

القبو و التعب بادٍ عليه كان الشيطان بانتظاره . نظر سام إليه و قال " كنت سآتي إليك من تلقاء نفسي " . فقال الشيطان بقلق واضح " ما هذا الذي يحدث معك يا سام ؟ " . أجاب سام بوهن " لا أدري منذ أن أقلعت عن عاداتي السابقة و هذه الحالة تأتيني .. و لكنها على ما يبدو ، كانت اليوم قوية و مفاجئة ، لقد جاءت من دون سابق إنذار " . فقال الشيطان " بصراحة لقد أفلقني كلام الدكتور بروكلمان و زميله عندما كانا يتحدثان في الصالون " . انتفض سام و قال بتعب " هل رأوك ... هل تكلمت معهما ؟ " . أجاب الشيطان بسخرية " نعم يا سام ، و لقد شربنا الشاي معاً ... ما بك يا رجل ؟ .. ألا تعلم أنهم لم يروني " . أشار سام بيده مغتاضاً " أنا آسف ... أنا آسف لقد نسيت أنك ... اللعنة ، أعذرنى " . نظر الشيطان إلى سام و قال له " قل لي يا سام ... بماذا تشعر بالضبط ؟ " . أجاب سام " بصراحة ... أشعر و كأن هناك وحشاً في داخلي ... وحشاً مفترساً " . و هنا ظهر القلق على وجه الشيطان و قال لأول مرة بصوت مضطرب " هل أنت متأكد من ذلك يا سام؟؟ " . هز سام برأسه و قد بدأ العرق يغطي وجهه " لا أدري ، و لكن هذا ما أشعر به " . تمتم الشيطان بقلق " يجب أن ننتهي من مشروعنا بأسرع ما يمكن يا سام .. ابتداء من الشهر القادم ستبدأ بإدخال الأفكار التي حدثتك عنها " . قال سام " حسناً .. و لكن هل هي كثيرة .. أقصد هل هي بحجم كتاب مثلاً أو " ضحك الشيطان و قال " لا ، لا يا سام إنها فقط بضعة عبارات ليس غير ، عليك إدخالها في مواضعها المحددة ، و انتهى الأمر ، و بذلك يكون مشروعنا قد اكتمل " قال سام بدهشة " فقط بضع عبارات؟!!! .. لقد ظننت أنك ستدخل منهاجاً تعليمياً جديداً و كتباً و مجلدات ؟ " ضحك الشيطان مرة أخرى و قال " لا تقلق ستظهر الكتب و المجلدات فيما بعد و من تلقاء نفسها ، و من دون أن تكلف نفسك عناء ذلك .. المهم الآن ، عليك بضبط نفسك ... على الأقل حتى ينتهي مشروعنا " . هز سام برأسه و قال " حسناً كما تريد ... و لكن بالنسبة لألفا ماذا سأفعل ؟ " . أشار الشيطان بإصبعه و قال " آه . صحيح . بالمناسبة

يا سام ، لقد اكتشفوا أمرك و عرفوا أنك اشترت أسهماً أخرى عن طريق أعضاء آخرين ، و لذلك فقد قرروا إعادة محاولة اغتيالك من جديد " . ضرب سام بيده على المقعد و قال " اللعنة .. ماذا يريد هؤلاء مني ؟ ماذا سأفعل الآن ؟ " - " عليك أن تطلب أنت بنفسك موعداً لانتخابات مجلس الإدارة فهذا من حقك ، و اجعل الموعد قريباً جداً خلال أسبوع مثلاً ... و اضغط على مديرة المدرسة و الأعضاء الذين اشترت منهم الأسهم ليقفوا إلى جانبك ... و سأعطيك الآن معلومة عن كل واحد منهم تجعله يطلب رضاك و يقبل نعليك " نسي سام تعب و سأل الشيطان بقلق " و عملية الاغتيال كيف ستتم هذه المرة ؟ " . أجاب الشيطان "هذه المرة يا عزيزي ستتم عن طريق أحد خدمك " تتمم سام بذهول "خدمي أنا؟؟!! " - " نعم يا سام ، خدمك أنت إنه ذلك الشاب الأصهب الذي عينتموه قبل حوالي شهر ، عن طريق زوجتك .. طبعاً إنها لا تعرف بالأمر لقد اتفقوا معه بالسر و دفعوا له مبلغاً كبيراً ليقوم بالعملية و التي هي ببساطة ، دس مادة شديدة السمية في طعامك ، و لكنها لا تترك أثراً ... و العملية ستتم بعد غد " . هز سام برأسه و قال بهدوء " هكذا إذا ... حسناً سنرى ما يمكن عمله في هذا الشأن " فقال الشيطان "و الآن اذهب إلى الفراش يا سام و لا تنس ما قلته لك إن حالتك هذه التي تمر بها بدأت تقلقني حقاً ، لا تنس أن تذهب غداً إلى هذا الدكتور الذي يدعى هانس " .

في اليوم التالي استيقظ سام من الفراش ، كان يشعر هذه المرة بالنشاط و الحيوية ، نزع الضمادات عن يديه و أخذ حماماً ساخناً ، ثم خرج كان الدكتور بروكلمان بانتظاره " كيف تشعر اليوم يا سام ؟ أراك بحالة جيدة " - " نعم ، نعم يا دكتور ، أشعر أنني بحال جيدة ... ما رأيك أن نذهب إلى صديقك الدكتور هانس " - " حسناً هيا بنا " .

في المشفى ، بدأ الدكتور هانس بإجراء الفحوصات لسام ، و عندما انتهى ، قال له "إنك سليم تماماً يا سيدي .. على الأقل الآن على كل حال ، حاول ألا توتر نفسك كثيراً و ابق هادئاً مسترخياً دائماً "

ثم التفت إلى الدكتور بروكلمان و قال له " عفواً يا دكتور .. لدينا حالة نفسية في الغرفة المجاورة ... و أتمنى أن آخذ من وقتك دقيقتين لمعاينتها ... عن إذنك يا سيد سام ... دقائق و نكون عندك " . في الغرفة المجاورة ، نظر الدكتور هانس إلى الدكتور بروكلمان و قال له " إن السيد سام حالياً سليم تماماً ، و لم يظهر أي شيء يدل على غير ذلك و لكن التحاليل هنا تقول إن هناك تغيراً مؤقتاً مجهول الهوية في المنظومة العصبية قد حدث له ، و لا أعرف بالضبط ما هو و لذلك أرجو منك يا دكتور ، في المرة القادمة و كما قلت لك من قبل ، أن تحاول الحصول على عينة من دمه عندما تأتيه هذه الحالة ، و إرسالها إلى المخبر لإجراء تحاليل كاملة عليها ، ثم وافني بها " . هز الدكتور بروكلمان رأسه بقلق ، ثم غادر مع سام . متجهين إلى أحد المطاعم ، و هناك أطلع سام الدكتور بروكلمان على عملية الاغتيال التي أعدتها له إلفا ، عندما انتهى قال له " هذه المرة يجب ألا يفلتوا منا يا دكتور كما حصل مع القناص " . فكر الدكتور بروكلمان لبعض الوقت ثم قال و قد بدا عليه القلق " نعم يا سام هذه المرة يجب ألا يفلتوا ... و لكن كيف علمت بأمرهم؟؟!! " - " لقد أخبرني أحد الأشخاص بذلك .. أتدري .. سأستغل هذه العملية للوصول إلى رئاسة مجلس الإدارة في إلفا " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و قال "أتدري يا سام ، هناك شيء لا أفهمه ، يحصل هناك أمر ما تخفيه عني لقد أصبحت شخصية غامضة بالنسبة لي يا سام إنك كل يوم تزداد غموضاً بالنسبة لي " . ابتسم سام و قال " إنك تبالغ يا دكتور ... على كل حال دعنا الآن نفكر بطريقة للتعامل مع يوم غد " . فكر الدكتور بروكلمان ثم قال " أظن أنه يوجد لدي طريقة محكمة للتعامل مع هذا الموضوع " .

في اليوم التالي ، جلس سام و زوجته و الدكتور بروكلمان و المحامي جيم على مائدة الغداء في الفيلا . و بعد قليل بدأ الخدم يضعون الطعام ، و بعد قليل جاء الخادم الذي تكلم عنه الشيطان و بيده طبق كبير فيه عدد من صحون الحساء ، و وضع واحداً أمام سام و واحداً أمام زوجته و البقية أمام الدكتور بروكلمان و المحامي جيم ، ثم استدار لينصرف ، فصاح به سام " مهلاً أيها الخادم " . التفت الشاب إلى سام و قال بأدب شديد " نعم يا سيدي " . نظر إليه سام و تأمله من رأسه إلى أخمص قدميه ، ثم أشار إلى صحن الحساء قائلاً بهدوء " أمسك الملعقة ... و تناول كل الحساء الموجود في هذا الصحن " . أجفل الشاب قليلاً ، و لكنه ضبط أعصابه و قال " عفواً يا سيدي ، لا يليق أن أكل من صحنكم " . فقال له سام بهدوء و برود شديدين " ألا تعلم أن هذا اليوم هو عيد الخادم العالمي و في هذا اليوم يأكل الخادم مع سيده ... هيا يا عزيزي ، تناول هذا الصحن ، و كل عام و أنتم بخير " . فقال الخادم بصوت مضطرب قليلاً " أرجوا أن تعفيني يا سيدي ، لأن معدتي ليست على ما يرام " - " فقال سام بسخرية " و لكن الحساء مفيد للمعدة ، أليس كذلك يا دكتور بروكلمان ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان مبتسماً " نعم يا سيد سام إنه مفيد جداً ، و أظن أن خادمنا الأمين هذا سيشفى من كل آلام معدته عندما يتناول هذا الحساء ... هكذا يقول الطب " . التفت سام إلى الخادم و قال " هل سمعت يا عزيزي ؟ ... هيا أمسك الملعقة و تناول الحساء " - " لا أستطيع يا سيدي " . فقال سام بهدوء " هل ستأكل من تلقاء نفسك أم استدعي الحرس ليطعموك ، بأنفسهم " . و وضع الشاب الطبق الكبير من يده على الطاولة ، ثم مد يده بهدوء متظاهراً بأنه سيأكل ، و لكنه ما لبث أن قفز فجأة محاولاً الهرب ، و هنا تلقاه الحرس من كل الجهات و أمسكوا به ، ثم أخرجوا من جيبه علبة فيها مسحوق . نهض سام من مقعده بهدوء و اقترب من الشاب و قال له " هل ستعترف بكل شي ، أم سأجعلك تتناول هذه العلبة التي كانت معك ؟ " . صاح الشاب بذعر " سأعترف ... سأعترف يا سيدي " . اعترف الشاب بكل ما كلفوه به في إلفا أمام الكاميرا التي سجلت كل

شيء ، و هنا قال له سام " و الآن يا عزيزي ستتصل مع مدير مؤسسة إلفا و تقول له بالحرف ما سيقوله لك الدكتور بروكلمان " . أمسك الشاب بالسماعة ، و اتصل مع مدير إلفا " ألو سيدي .. إنني أتكلم من هاتف عمومي ، لقد وضعت السم كما أمرتني بالصحن ... و لكن شاءت الصدفة أن تأخذ زوجته الصحن بدلاً منه ، فماذا أفعل ؟ " . جاء الصوت من الطرف الاخر " أيها الأحمق الغبي كيف سمحت بذلك ؟ لقد فشلت بمهمتك ، و لن تأخذ أي مبلغ " . نظر الشاب إلى المحامي جيم الذي أعطاه ورقة صغيرة ، نظر إليها و قال لمدير إلفا "و لكن يا سيدي ، بقي نصف السم في العلبة ، فهل أضعه له في المساء ؟ " . صاح المدير بقلق " إياك إياك أن تفعل ذلك ، فإن ذلك سيثير الشبهات عندما يموت هو و زوجته في الوقت نفسه ... على كل حال لا تتصرف شيئاً ، و لا تتصل إلى هنا حتى أطلبك مرة أخرى " . أغلق الشاب السماعة ، فنظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال "هل تم تسجيل المكالمة " - " نعم يا سام ، بالكامل " . التفت سام إلى الشاب الذي كان يرتجف من الخوف و قال له " هيا اعد الاتصال مع مدير إلفا و قل له ما سأقوله لك الآن " ، أنصت الشاب قليلاً إلى سام ، ثم رفع السماعة و اتصل مرة أخرى مع مدير إلفا " ألو .. سيدي ... هذا أنا لقد وضعت السم مرة أخرى في الطعام و لكن هذه المرة شاءت الصدفة أن يأكله كلبه المدلل " . جن جنون المدير و صاح بغضب " أيها الحيوان الغبي ، من قال لك أن تفعل ذلك ... تعال إلى هنا فوراً " - " لقد بقي قليل من السم يا سيدي و لا أعرف لمن أضعه ، السيد سام يقول لي أن أضعه لرئيس الخدم " . تتمم المدير بذهول " ماذا ماذا تقول ؟ " . و هنا أخذ سام السماعة من الخادم و قال " ألو معك سام " . صمت المدير قليلاً ثم قال " ما هذا الهراء يا سيد سام ؟ ... هل تمزح معي أم تسخر مني ؟ .. كيف تسمح لخادمك هذا أن يتصل إلى هنا ؟ " . أجاب سام بهدوء " اسمع أيها الحيوان القذر لقد اعترف الخادم بكل شيء ، و تم تسجيل صوتك بالكامل في المكالمة السابقة وإذا لم تكن عندي أنت و رئيس الحزب الديمقراطي هنا خلال ساعة ،

فسوف أجد طريقي إلى مكتب السيد وزير العدل بالذات هل فهمت أيها العجل الضاحك ... إياك أن تتأخر " أغلق سام السماعه ، و نظر إلى رئيس حرسه و قال له مشيراً إلى الخادم " احتفظ بهذا النذل في مكان آمن ، حتى أقرر ماذا سأفعل به " . أمسك الحرس الخادم و اقتادوه بعيداً ، بينما جلس سام و الدكتور بروكلمان و المحامي جيم يتدارسون الموقف ، سأل الدكتور بروكلمان " و الآن يا سام ، ماذا ستفعل " . أجاب سام " الآن سوف أطلب منهم إجراء انتخابات مجلس الإدارة بأسرع وقت ، أظن أن هذا من حقي كوني أمتلك أكبر نسبة من الأسهم الآن أليس كذلك يا جيم ؟ " . أجاب المحامي جيم " نعم يا سيدي حسب قوانين الشركات و المؤسسات المساهمة عندنا ، يستطيع صاحب أكبر نسبة من الأسهم أن يطلب تقريب موعد انتخابات مجلس الإدارة ، بعد موافقة مدير المنشأة ، و باعتبار أن مؤسسة إلفا هي في الأساس شركة ساهمة ، فأن هذا الأمر ينطبق عليها " . بعد قليل رن جرس الهاتف ، كان مدير مؤسسة إلفا ... " مستر سام ... لقد اتصلت مع رئيس الحزب الديمقراطي ، و وافق على الاجتماع ، و لكن ليس عندك في الفيلا بل في النادي ، بعد ساعة ... ما رأيك ؟ " . أجاب سام ببرود " آسف يا سيدي العجل ... لا أستطيع .. أريدكم هنا بعد ساعة ، و إلا فأنت تعرف .. " - " و لكن يا سيد سام أنت تعرف ، إن طلبك حضورنا معاً إليك ، يثير المخاوف ... أنت تعرف " - " لا تقلق لا تقلق يا سيدي إنني لست خائناً و غداراً مثلكم ... ثم إنني زرتكم أكثر من مرة في المؤسسة و مقر الحزب ، أفلا يحق لي أنا أيضاً بزيارة منكم ... و بصراحة ، فإنه لم يعد لي ثقة بكم يا سيدي العجل ، و لذلك فأنا بانتظار تشريفكم لي بعد ساعة من الآن ، و قل لرئيس الحزب الديمقراطي أن يكون مطمئناً " . أغلق سام السماعه ، ثم نظر إلى الدكتور بروكلمان و المحامي جيم قائلاً " أظن أن هذه هي فرصتي الوحيدة لأضغط عليهم " . بعد حوالي الساعة ، كانت هناك سيارة ليموزين فخمة تدخل إلى الفيلا ، و وراءها سيارة حراسة . بينما كان حرس سام منتشرين في كل مكان و معهم بنادقهم الآلية . استقبل سام الضيوف

مرحباً بهم " مدير إلفا عندنا ؟ .. يا مرحبا ، يا مرحبا ... أوه سيدي رئيس الحزب الديمقراطي ، يشرفني حضورك .. تفضلوا أيها السادة إلى الداخل " ، فقال مدير إلفا " لا يا مستر سام ، يفضل أن نبقي هنا في الحديقة قبي الهواء الطلق " - " حسناً كما تشاؤون ، تفضلوا إلى الحديقة " . في الحديقة ، جلس سام و الرجلان على الطاولة ، بينما كان الدكتور بروكلمان و المحامي جيم يقفان على مسافة قريبة نسبياً . نظر سام إلى رئيس الحزب الديمقراطي و قال " في الواقع يا سيدي ، لم أكن أظن أنكم ديمقراطيون لهذه الدرجة ... أنا أقترح أن تسموا حزبكم ، حزب ما فوق الديمقراطية ... أو حزب الديمقراطية التحت الحمراء ، أو الفوق البنفسجية " . امتعض الرجل من الكلام و قال " في الحقيقة يا سيد سام ، أريدك أن تعرف أنه لا علاقة لي بالموضوع ، لا من قريب و لا من بعيد ، و أنا مستغرب استدعاءك لي ، و لكنني أتيت لأثبت لك حسن نيتي ... و أرجو أن ندخل في صلب الموضوع فوراً ، لأن وقتي ضيق قليلاً " . هز سام برأسه و أشار بإصبعه إلى الرجل قائلاً " أنت محق صلب الموضوع يا سيدي ، و بكل بساطة و جدية هو أنني أريد أن أكون رئيس مجلس إدارة ألفا " . ابتسم الرجل و قال " هكذا ؟ ... و بهذه السهولة ؟ " . نظر سام إلى الرجل و قال " و قرار تصفيتي ؟ هل هكذا يتخذ ، و بهذه السهولة ؟ " - " و لكنني قلت لك انه لا علاقة لي بالموضوع يا مستر سام " - " أطرق سام برأسه إلى الأرض و قال " يبدو أنك لا تريد أن تدخل في صلب الموضوع يا سيدي ، لأن وقتي أنا أيضاً ضيق و سأدخل أكثر في صلب الموضوع ... قل لي يا سيدي ماذا يعني لك أنني علمت بموضوع القنص الذي أرسلتموه لقتلي ، و موضوع هذا الخادم الذي طلبتم منه وضع السم لي ؟ هذا يعني أنني أعرف كل شيء عنكم و عن فضائحكم السياسية و المالية ... باختصار شديد أريد أن أكون رئيس مجلس إدارة إلفا ، و إلا فإن هناك ملفات كثيرة ستكون بانتظاركم ، و على طاولة السيد وزير العدل..... بالمناسبة هذه آخر مرة أسمح فيها بتكرار هذا الأمر و إلا فأني سأرد بعدها رداً عنيفاً قاسياً و لن أرحم ، هذا ما عندي باختصار شديد ...

فكروا و أنتم أحرار " . أطرق رئيس الحزب الديمقراطي برأسه إلى الأرض يفكر ، ثم قال " و لكن يا مستر سام ، إن من يجب أن يكون رئيس مجلس الإدارة في إلفا ، يجب أن يكون أكثر الأعضاء حيازة للأسهم " .

ابتسم سام و قال "إنني يا سيدي أمتلك أسهماً في إلفا بنسبة سبعة و ثلاثين بالمئة من كمية السهم الإجمالية " ، أخذ رئيس الحزب الديمقراطي يفكر بهدوء و أناة ، بينما كان مدير إلفا ينظر إلى سام بصمت و هو يرتجف من الغيظ و الغضب . بعد قليل رفع رئيس الحزب الديمقراطي رأسه و قال " حسناً يا سيد سام كما تشاء ، لك ذلك بشرط أن نطوي كل الصفحات الماضية ، و نبدأ صفحة جديدة " . صاح مدير إلفا " و لكن يا سيدي " - " اصمت أنت ..(ثم التفت إلى سام) ... و لا داعي يا مستر سام أن تتقدم بطلب لتقريب الانتخابات نحن بأنفسنا سنجعلها بعد أسبوع واحد ، و سنقترح اسمك تهانينا سلفاً " .

فصاح مدير إلفا مرة أخرى باضطراب " و لكن يا سيدي ... " . فزجر الرجل بعصية " قلت لك اخرس أنت أنت سبب البلاء كله أنت من تسبب بكل هذا بغبائك ، و سوء تدبيرك ... معه حق المستر سام أن يناديك بالعجل " . قال الرجل ذلك ، ثم التفت إلى سام و ابتسم مرة أخرى قائلاً " تهانينا يا مستر سام ، إنك تستحق هذا المنصب بجدارة ، و أنا أقولها لك بكل طيبة خاطر " قال الرجل ذلك ثم مد يده إلى سام . نظر سام إلى يد الرجل متردداً ، ثم مد يده ببطء ، فشد عليها الرجل بقوة ، و قال " تهانينا ..

الأسبوع القادم سيتم الأمر ، و لكن كما قلت لك نطوي الصفحات الماضية ، و نفتح صفحة جديدة " . بعد الاتفاق على صيغة معينة غادر الرجلان ، و دخل سام و الدكتور بروكلمان و المحامي جيم إلى الصالون .. " ما رأيكم أيها السادة ، بما حصل الآن " . قال الدكتور بروكلمان " لقد فتح لك المجد أبوابه على مصراعيه يا سام " . هز سام برأسه و قال بسعادة و نشوة " فلنشرب الآن نخب ذلك أيها السادة " .

في المساء نزل سام إلى القبو ، و هناك ظهر له الشيطان مبتسماً "تهانينا يا سام .. لقد حققت كل أحلامك و مشاريعك التي تطمح إليها و بقي مشروع المتواضع " . أشار سام إلى الشيطان بيده و قال "

سأحققه لك سأحققه لك ، و إذا أردت ابتداء من الغد " - " لا ، لا ، يا سام ، بل دعه إلى حين استلامك مجلس إدارة إلفا ، لكي تتفرغ له بشكل كامل ، لقد اقتربنا من الهدف " - " و لكنك قلت لي إنها بضعة كلمات أيها الشيطان " . ضحك الشيطان و قال " بضع الكلمات هذه يا عزيزي .. سوف تحتاج إلى غرفة عمليات خاصة إننا الآن كالطبيب الجراح الذي يشق رأس المريض و يجري عملية جراحية في دماغه ، هل فهمت يا عزيزي " - " بالمناسبة أيها الشيطان لقد طويت مع إلفا و الحزب الديمقراطي ، الصفحات الماضية و فتحنا صفحة جديدة " . تتمم الشيطان مبتسماً " جيد ، لكن لا بأس من أن تأتي إلى هنا قبل موعد الانتخابات يومين " - " لماذا أيها الشيطان ؟ ... هل سيفكرون بعمل آخر ؟ " - " أنت تعال على كل حال ، و حتى ذلك الوقت نرى ما إذا كانت الصفحات قد طويت فعلاً " .

بعد حوالي يومين ، كان سام في مكتبه في مبنى المؤسسة الاجتماعية عندما شعر بجرارة قوية تنتابه مع نوبة من الصداع ، و فجأة بدأت أطرافه تهتز بقوة و يخرج منه صوت مخيف مرعب ، و لم يلبث أن بدأ يضرب الأثاث بعنف ، ثم اتجه نحو باب المكتب و فتحة ، و هجم على الخادم الذي أخذ يصرخ مستغيثاً ... و هنا دخل الدكتور بروكلمان و معه خمسة من الحرس ، حاولوا الإمساك به ، لكنه كان قوياً إلى درجة مخيفة فاستدعوا حراساً إضافيين ، حتى استطاعوا أن يثبتوه ، و هنا كان الدكتور بروكلمان قد حسب حسابه مسبقاً ، فأخرج ، حقنة فارعة ، و سحب قليلاً من دم سام ، ثم أخرج إبرة مخدرة ، و حقنه بها ، فأخذ يترنح في مكانه ، شيئاً فشيئاً ، و قد خرج الدم من يديه و أنفه و أذنيه ... طلب الدكتور بروكلمان من الحرس إيصاله إلى المنزل ، و ذهب هو على الفور إلى المخبر مع عينة الدماء ... و وضعها هناك ، ثم عاد مسرعاً إلى الفيلا ، حيث كان سام نائماً في الفراش بعمق ، فحصه الدكتور بروكلمان قليلاً و هو نائم و قام بقياس ضغطه و نبضات قلبه ، كان ضغطه عالياً و نبضات قلبه تدق بسرعة و عنف ، ثم وضع

سماعته الطبية على صدر سام ، و أخذ يستمع ، و لوهلة ، خيل إليه كأنه يسمع صوتاً غريباً . رجع إلى الورا بسرعة ، ثم أعاد الكرة مرة ثانية ، و لكن ذلك الصوت الغريب كان قد اختفى .. ظل الدكتور بروكلمان حوالي ساعة قرب سام الذي كان ما يزال نائماً ، ثم تذكر موعد ظهور نتائج التحاليل الطبية للدماء ، فنظر إلى زوجة سام التي كانت تذرف الدموع و قال لها " ابقى بجانبه يا سيدتي إنه لن يستيقظ قبل ساعة ، سأذهب إلى المخبر ، ثم إلى الدكتور هانس ، و أعود إلى هنا ... إذا حصل أي أمر طارئ ، اتصل بي إلى هاتفي الجوال " .

في المخبر ، أعطى الدكتور بروكلمان الإيصال للممرض الذي كان يجلس خلف الطاولة . نظر الممرض إلى الإيصال ، ثم دخل إلى إحدى الغرف ، و خرج و معه مغلف أبيض " تفضل يا سيدي ليس هناك أي مشكلة عند كليك ، إنه سليم تماماً " . فوجئ الدكتور بروكلمان بما يسمع ، فأمسك بخناق الممرض و صاح به بصوت غاضب قوي " ماذا تقول أيها الوغد التافه " ، فصاح الممرض بدعر " و لكنني ماذا فعلت يا سيدي ؟ " . فصرخ الدكتور بروكلمان بغضب " أين مدير المخبر ؟ ... أريد أن أراه ... خذني إليه ... هيا " . في غرفة مدير المخبر، عرف الدكتور بروكلمان عن نفسه ثم صاح بغضب " ما هذا المهراء الذي يتفوه به هذا الممرض هل هكذا تتعاملون مع زبائنكم ؟ " . هدأ مدير المخبر من روع الدكتور بروكلمان ، ثم فتح مغلف التحليل ، و قال " عفواً دكتور تعال و ألق نظرة إذا سمحت " . اقترب الدكتور بروكلمان و أخذ ينظر إلى الورقة التي كانت بيد مدير المخبر " انظر يا دكتور ، ليس هناك أي مرض سوى أن عينة الدم التي أخضرتها ، هي عبارة عن دم مؤكسج بدرجة عالية جداً ... انظر هنا من فضلك ... و أنت تعرف أن هذا من غير الممكن أن يكون عند الإنسان ، بل يكون عادة عند الحيوانات اللاحمة كالذئب أو الكلاب أو الحيوانات المفترسة انظر هنا أيضاً إلى هذه الإشارة " صمت

الدكتور بروكلمان قليلاً و هو يفكر ، ثم قال " و لكن هل أنت متأكد أن هذه العينة هي التي أخضرتها أنا ؟ ... ربما هناك خطأ " . هز الرجل رأسه و قال " لا يا سيدي ، لقد انتهيت للتو من إجراء الاختبار ... تفضل لأريك العلبة و العينة " . في عرفة التحليل قال المدير " هذه هي العلبة التي أحضرتها يا دكتور ، و هذه هي العينة ، إنها لا تزال في جهاز التحليل بالمناسبة ، لمن عينة الدم هذه ؟ " . ظل الدكتور بروكلمان صامتاً لا يتكلم ، كان وجهه شاحباً ، تمتم بذهول و قال " أنا آسف يا سيدي ، يبدو أنني أخطأت ، لقد أخضرت العينة الخطأ على ما يبدو ... أكرر أسفي و اعتذاري " . أخذ الدكتور بروكلمان نتائج التحاليل ، و انطلق إلى عيادة الدكتور هانس " انظر يا دكتور إلى هذه الورقة لقد مر اليوم سام بنوبة ثانية و أخذت منه عينة دم كما طلبت مني ، و هذه هي نتائج التحاليل تفضل " . أخذ الدكتور هانس يتأمل الورقة بهدوء و صمت ، ثم التفت إلى الدكتور بروكلمان قائلاً " ما هذا يا بروكلمان !!!؟؟ " - " كما ترى يا دكتور " - " و لكن مستحيل ... هل أنت متأكد من أنها هي نفسها عينة الدم التي أخذتها منه !!!؟؟ " - " نعم يا دكتور ، إنها هي بالذات " . أخذ الدكتور هانس يتأمل الورقة بذهول و هو يفكر ، ثم قال " قم معي يا بروكلمان يجب أن آخذ عينة أخرى من دمه بنفسني " .

في الفيللا قام الدكتور هانس بأخذ عينة من دمء سام الذي استفاق ، و لكنه كان لا يزال راقد على الفراش ، ثم أرسلها إلى المخبر الخاص به ، و طلب تحليلاً سريعاً لها ، و لم تلبث أن جاءت النتيجة طبيعية تماماً . نظر الدكتور بروكلمان هانس إلى سام و قال له " كيف تشعر الآن يا سيدي ؟ " . أجاب سام " بخير أشعر أنني بخير " - " حسناً سأتركك الآن لترتاح " . في الصالون أخذ الدكتور بروكلمان و الدكتور هانس يتناقشان " أظن يا بروكلمان ، أنها حالة نفسية فالرجل سليم تماماً من الناحية

العصبية ... حتى الغدد ، هي أيضاً سليمة لديه ، أظن أنه عملك أكثر مما هو عملي " - " و لكن يا دكتور ، لا يمكن اعتبار حالة المريض نفسية في حال وجود سبب عضوي ... أي على سبيل المثال ، إذا كان هناك مريض يتوهم أنه يشكو من معدته مثلاً ، فإن علم النفس لا يعد هذه الحالة نفسية ، في حال ثبت وجود سبب عضوي أو فيزيولوجي موضعي في المعدة ، و حتى تكون الحالة نفسية ، يجب ألا يكون هناك سبب عضوي أو فيزيولوجي ، و أن يكون العضو سليم تماماً و في حالة سام فإن عينة الدماء التي أخذتها منه في أثناء النوبة التي جاءته ، و القوة الغريية التي ظهرت فيه ، و الصوت الغريب أيضاً كل هذه الأمور تنفي الوهم النفسي ، حتى أنت قلت لي إن هناك تغيراً مجهولاً مؤقتاً قد طرأ على جملته العصبية " .

هز الدكتور هانس برأسه و قال " لا أدري يا بروكلمان ... و على كل حال إذا تكررت هذه الحالة معه ، فلا بد من أن يبقى في المستشفى و يخضع لمراقبة دائمة ... هذا كل ما أستطيع أن أقوله حالياً " . رافق الدكتور بروكلمان الدكتور هانس إلى الباب الخارجي ، ثم عاد و جلس يتحدث مع سام الذي بدا طبيعياً تماماً و لكنه متعب ... أخذ الدكتور بروكلمان يسأله أسئلة معينة و سام يجيب ، و لكنه لم يصل إلى شيء محدد . ظل الدكتور بروكلمان عند سام حتى المساء ثم ودعه قائلاً " أقترح يا سام أن تتوقف عن الذهاب إلى العمل حالياً ، و في هذه الفترة بالذات ، فموعد الانتخابات في إلفا ، بعد يومين ، و يجب أن تستعد له و تكون بأفضل حال ... سأترك الآن لترتاح و غداً صباحاً أعود إليك ... إلى اللقاء " . عندما غادر الدكتور بروكلمان نهض سام من فراشه ببطء و نزل إلى القبو ، و هناك ظهر له الشيطان و على وجهه أمارات القلق " سام ، قل لي ما هذا الذي يحصل معك بالضبط؟؟ " . هز سام رأسه بتعب و قال " لا أدري ... لا أدري ، منذ أن منعتني عن عاداتي و رغباتي و هذه الحالة اللعينة تأتيني " . فكر الشيطان قليلاً ، ثم قال " لقد أفلقني كلام الدكتور بروكلمان و زميله اليوم ، على كل حال اتبع نصائح الدكتور بروكلمان و ابق هذه الفترة في المنزل حتى تنتهي من مشروعنا هذا " . نظر سام إلى الشيطان و قال " و

لكن انتخابات إلفا بعد يومين ، و يجب أن أكون هناك " . هز الشيطان برأسه وقال " نعم ، نعم ، و لكن " - " و لكن ماذا أيها الشيطان؟؟" صمت الشيطان قليلاً و قال " في الواقع يا سام يبدو أن هناك عملية اغتيال جديدة " ضرب سام بيده على المقعد و قال بتعب و إعياء " اللعنة ماذا يريد مني هؤلاء ... أليس لهم كلمة شرف " - " كلامك الأخير لهم يا سام ، أقلقهم جداً و أثار مخاوفهم " نظر سام إلى الشيطان بيأس و إحباط و قال " و كيف ستكون عملية الاغتيال هذه المرة ؟ " . أجاب الشيطان بهدوء " هذه المرة يا عزيزي ستكون عملية محكمة تماماً و على مستوى عال من القدرة و المهارة ، التي لا تتوفر لأي كان ، لقد خططوا لها بشكل دقيق و متقن جداً " . شعر سام بالقلق الشديد مما يسمع ، فسأل الشيطان بصوت مضطرب " و ما هي أداة الاغتيال هذه المرة ؟ " . نظر الشيطان إلى سام و قال " فلاش كاميرا " . فغر سام فمه و قال " إنني لم أفهم شيئاً " . أجاب الشيطان " فلاش الكاميرا سيكون هو أداة الاغتيال يا سام ، إنه عبارة عن ضوء معين يتسبب بحدوث جلطة دموية قاتلة خلال أربع و عشرين ساعة و من دون أن يترك أثرا ، إنها تقنية متطورة ، توصلتم إليها أنتم البشر يبدو أنكم تتقدمون بالعلم بشكل جيد" . نسي سام كل تعبته فتحفز في مكانه و قد انشدت كل جوارحه إلى الشيطان و قال " و كيف سيفعلون ذلك ؟ " . أجاب الشيطان " لقد اتفقوا مع أحدهم أن يقوم بتصويرك في أثناء حفل الانتخاب هذا كل ما في الأمر ، طبعاً سيكون هناك مصورون كثر " . فكر سام و قال " إنني لن أذهب إلى هذا الحفل اللعين " - " بل ستذهب يا سام .. ستذهب و تنهي هذا الأمر إلى الأبد " - " و لكن كيف سأتصرف هذه المرة ؟ " . نظر الشيطان إلى سام و قال له ببرود " أنت درست الكيمياء ، أليس كذلك ؟ " - " نعم ، نعم لقد درستها في مؤسسة إلفا اللعينة تلك " - " حسناً يا سام سأعطيك الآن وصفة لمركب كيماوي مضاد لهذا الضوء ، ستدهن به نفسك ، و لكن يجب أن تستحم بعد عملية التصوير بخمس ساعات على الأكثر ، و سأعطيك اسم و عنوان الشخص الذي سيقوم بتصويرك ، و سأقول لك كيف تتصرف ، فاستمع إلي

جيداً يجب أن ننتهي من هذا الموضوع و نتفرغ لمشروعنا " . أخذ الشيطان يشرح لسام ما يجب عليه فعله ، و سام ينصت إليه باهتمام و يسجل الكلام على ورقة أحضرها معه " .

جاء يوم الحفل ، و بدأ المدعوون يتوافدون إلى المكان الذي كان في أحد الفنادق الفخمة . قبل بدء الحفل بساعة ، كان سام في صالون الفيلا مع الدكتور بروكلمان و المحامي جيم و رئيس الحرس ومصور من البلدة استدعاه سام ... نظر سام إليهم و قال " هل فهتم أدواركم جيداً " . أجاب الجميع "نعم " . نظر سام إلى رئيس الحرس الذي كان موضع ثقته المطلقة و قال له " هل فهم الرجال مهمتهم جيداً ؟ " . أجاب الرجل " نعم يا سيدي ، لقد عاينوا المكان مرتين ، و استوعبوا أدوارهم جيداً " . نظر سام إلى صديقه المصور و قال له " و أنت هل فهمت مهمتك جيداً ؟ " . أجاب الرجل بثقة " نعم يا سيد سام " . نظر سام إليهم جميعاً و قال " عظيم جداً انتظروني هنا سأبدل ثيابي و نذهب جميعاً بعد ذلك .. أما أنت أيها المصور ، فتهذب وحدك الآن كي لا تثير الشبهات ، ستدخل بموجب بطاقة الدعوة ، و المهمة الصحفية التي استحصلتها لك ، و في حال لم تنجح هذه الخطة ننتقل إلى الخطة البديلة ... رافقتك السلامة " . دخل سام إلى غرفة النوم ، و خلع ثيابه ، ثم أخذ يدهن جسده كله بالمادة التي و صفها له الشيطان ، ثم ارتدى ثياب السهرة و خرج إلى الصالون و قال " هل أنتم جاهزون ؟ " . اقترب الدكتور بروكلمان من سام و همس في أذنه قائلاً "سام ... إذا أحسست بأن هذه الحالة ستأتيك و أنت في الحفل ، فخذ هذه الحبة على الفور " . أخذ سام الحبة من الدكتور بروكلمان ثم قال "هيا بنا " .

كان حفل انتخاب مجلس إدارة إلفا بهيجاً .. حضره نخبة من كبار القوم في البلد . ألقى مدير إلفا كلمة هنا فيها سام بالمركز الجديد ، و ذكر أخلاقه و صفاته و أهليته لاستلام هذا المركز . ثم بدأ بعض الحضور

يرقصون على أنغام الفرقة الموسيقية ، و بعضهم الآخر يأكل و يثرثر ، و آخرون يقومون بالتعرف بعضهم على البعض . . . لاحظ سام أن مدير إلفا و رئيس الحزب الديمقراطي ، كانا معظم الوقت يتعدان عنه ، بعد قليل بدأ المصورون يقومون بالتقاط الصور التذكارية ، وقف سام و مدير إلفا و رئيس الحزب الديمقراطي يأخذون الصور التذكارية ، و في اللحظة التي انسحب فيها مدير إلفا و بقي سام وحده ، اقترب أحد المصورين منه ، ثم ابتسم قائلاً " من بعد إذنك يا سيدي " ، و التقط له صورتين متتاليتين ، و هنا نظر سام إلى مدير إلفا ، فرآه ينظر إليه و يبتسم ، و يرفع كأسه له ، ابتسم سام له و رفع كأسه هو الآخر ، و لكن قلبه من الداخل ، كان ينبض بعنف من الذعر و الخوف ، و هنا اقترب أحد خدم الفندق من المصور ، و قال له " هل أنت السيد فلان ؟ " - " نعم " - " هنالك مكالمة هاتفية لك من المنزل ، يبدو أنه أمر طارئ الهاتف في الغرفة رقم أربعة في الطابق السفلي " . ذهب الرجل إلى الطابق السفلي الذي كان خالياً ، أمسك بالسماعة ، و ما إن قال ألو ، حتى جاءت ضربة من الخلف على رأسه فسقط فاقد الوعي ، فامتدت يد و أخذت الكاميرا منه ، بينما امتدت أياد أخرى و سحبتة إلى سيارة كانت متوقفة خارج الفندق .

في قاعة الحفل ، كان سام يراقب باب القاعة بقلق شديد عندما دخل صديقه المصور الذي نظر إليه و غمره بعينه مشيراً إلى الكاميرا التي كانت بيده و قد غطاها بواق من الجلد حتى لا تُعرف ، نظر سام إليه ، ثم نظر إلى الكاميرا و هز رأسه بحركة خفيفة ثم توجه إلى حيث كان يقف مدير إلفا ، الذي ما إن رأى سام قادماً إليه ، حتى قال " تهانينا القلبية يا مستر سام " - " أشكرك يا سيدي ، و أرجو ألا أكون قد سببت لك أي إحراج بالنسبة للمنصب الجديد " . ابتسم الرجل و قال " لا يا مستر سام ، بالعكس هل تصدق إذا قلت لك أنني الآن في قمة السعادة و النشوة صدقني أنني الآن أشعر و كأن كابوساً سينزاح عني

" فقال سام " نعم أشعر بهذا يا سيدي ، أشعر به جيداً " . و هنا اقترب منهما صديق سام المصور و قال مبتسماً " من بعد إذنكم يا سيدي ، أريد التقاط صورة لكما . ابتسما من فضلكما " . و من دون انتظار الإجابة صوب المصور الكاميرا إلى سام و مدير ألفا ، ثم ضغط على زر الكاميرا ، فانطلق منها وميض قوي انعكس على وجهه و أسنان الاثنين لقم المصور الكاميرا مرة أخرى و قال " صورة ثانية يا سيدي للاحتياط " . ضغط المصور على زر الكاميرا ، فانطلق الوميض منها ليرتطم مرة أخرى بوجهه و أسنان الاثنين " أشكركما يا سيدي ، و سأرسل الصور لكما في الغد " . عندما غادر صديق سام الفندق و ركب في سيارة كانت بانتظاره . نظر سام إلى مدير ألفا و قال له " أتدري يا سيدي ... أنا الآخر أشعر و كأن كابوساً سينزاح عن صدري " . نظر مدير ألفا إلى سام و قال و هو ينظر إليه مبتسماً " فلنشرب إذاً نخب هذا الكابوس الذي سينزاح عنا نحن الاثنين بصحتك يا سيدي " . رفع سام كأسه و حدق هو الآخر بمدير ألفا مبتسماً ثم قال " بصحتك يا سيدي " . ارتطم الكأسان ببعضهما ببعض ، في الوقت الذي كانت نظرات العيون ترتطم ببعضها أيضاً ، بقسوة و لؤم . استمر الحفل حوالي ثلاث ساعات ، غادر بعدها سام المكان بعد أن تلقى تهاني المدعوين . و عندما وصل إلى الفيلا ، خلع ثيابه على الفور و ذهب إلى الحمام و اخذ يدلك جسده بالماء و الصابون ، ثم خرج إلى الفراش مباشرة ... كان يشعر بتعب ، استلقى و أغمض عينيه محاولاً عدم التفكير بشيء ، و لم يلبث أن ذهب بنوم عميق .

في اليوم التالي استيقظ سام متأخراً ، نهض من فراشه و خرج إلى الحديقة و جلس على أحد المقاعد يتأمل المناظر أمامه ، بعد قليل حضر أحد الخدم و بيده الهاتف " سيدي ، إنه الدكتور بروكلمان " . أخذ سام الهاتف و تكلم بتثاقل و ببطء " أهلاً دكتور ، ماذا وراءك ؟ " - " ألم تسمع الأخبار يا سام ... لقد توفي مدير مؤسسة ألفا هذا الصباح " - " حقاً ... إنه أمر مؤسف ... يجب أن اتصل برئيس الحزب

الديمقراطي و أعزیه ... إلى اللقاء يا دكتور ، أراك لاحقاً " . ضغط سام أزرار الهاتف ، و وضعه على أذنه منصتاً ، و لم يلبث أن ظهر صوت رئيس الحزب من الطرف الآخر " آلو " - " مرحباً سيدي ... أنا سام " .

أجفل الرجل و لم يتكلم ، فأعاد سام الكلام " آلو سيدي ، هل تسمعي ؟ " رد الرجل بصوت مضطرب " أهلاً ... أهلاً مستر سام " . أجاب سام بسخرية "يؤسفني وفاة السيد مدير مؤسسة إلفا ، أظن أنه مات همماً و غمماً بسبب ضياع المنصب منه ، و لو كنت أعرف ذلك لما تقدمت لشغل هذا المنصب يرحمه الله .. لقد عاش عجباً ، و مات عجباً ، مسكين ، لقد كان هناك كابوس يؤرقه جداً ، و الآن لقد ارتاح منه ... بالمناسبة يا سيدي سأنزل اليوم إلى مكنتي الجديد في إلفا ، و للذكرى سأعلق صورتني أنا و السيد المدير التي التقطناها بالأمس ، في المكتب عرفاناً مني بأمانته و وفائه بكلماته و تعهداته " . أغلق سام الهاتف ، و أخذ يفكر ، كان يشعر بالقرص من هذه الدنيا و الناس و المجتمع " اللعنة .. إنه مجتمع مليء بالوحوش .. يجب أن أكون وحشاً مثلهم ، بل و أقوى " . كان في داخله يشعر بضيق شديد ، نهض واقفاً و دخل إلى الفيلا ، و لم يلبث أن ارتفعت حرارته ، و أخذ يتنفس بسرعة ، و فجأة أحس أنه أصبح كائناً آخر ... له مخالب و أنياب ، اخذ يجأر بعنف و يضرب الأثاث و الزجاج بيده محطماً كل ما يراه ، أسرعت زوجته للاتصال بالدكتور بروكلمان الذي حضر على الفور ، حقن سام بالإبرة المنومة ، ثم سحب منه عينة من الدماء ، و ذهب بها إلى المخبر هذه المرة كان يريد أن يتأكد بنفسه من الموضوع ، و لذلك بقي عند جهاز التحليل في المخبر و تأكد بنفسه من وضع العينة فيه ، بعد حوالي نصف ساعة ظهرت النتيجة " انظر يا سيدي ، إنها النتيجة السابقة نفسها .. الدم مؤكسج بدرجة عالية " . نظر الدكتور بروكلمان إلى مدير المخبر و قال له " و لكن هل يمكن لإنسان أن يكون لديه مثل هذه العينة من الدماء " . أجاب الرجل "مستحيل يا سيدي ، إذا حقنت أي شخص بهذه الدماء ، فإنه سيموت فوراً " .

خرج الدكتور بروكلمان من المخبر و هو غير مصدق نفسه " من أنت يا سام ... من أنت ؟ " .

في الفيلا كان سام قد استفاق ، و لكنه لم يكن بكامل وعيه ، لقد تلقى ضربة قوية على رأسه . نظر إليه الدكتور بروكلمان و قال " اقترح يا سام أن تذهب إلى المستشفى و تبقى هناك تحت الرقابة الدائمة " - " لا ، لا يا دكتور ، أشعر بتحسن " - " أي تحسن هذا يا سام ؟ إنك غير طبيعي " . أوماً سام بيده و قال " لا بأس .. لا بأس يا دكتور ، في المرة القادمة سأذهب و لكن لماذا رأسي مضمد هكذا ؟ " - " لقد ارتطم رأسك بالحائط في ذروة هياجك يا سام " . حاول سام النهوض و لكنه لم يستطع ، كان يشعر بدوار شديد . صاح بغضب " أريد أن أنزل إلى مكنتي الجديد في إلفا " - " اهدأ يا سام ، إنك متعب و لن تستطيع الحركة " . صرخ سام " أريد أن أنزل إلى هناك ، أريد أن أثبت للناس أنني قوي ، أريد أن يعرف هؤلاء الكلاب السفلة ، أنني أصبحت رئيسهم " حاول الدكتور بروكلمان تهدئة سام ، و لكنه ازداد هياجاً و أخذ يصرخ بغضب " اللعنة عليهم اللعنة عليكم .. اللعنة على هذا المجتمع ... كلكم منافقون كذابون ، لديكم ألف وجه و وجه .. كل الناس منافقين .. أليس كذلك يا دكتور بروكلمان ؟ " - " نعم ، نعم يا سام إنه كذلك ، و لكن اهدأ الآن و غداً تنزل إلى مكنتك الجديد " . كان الدوار شديداً على سام ، فهدأ و أغمض عينيه نصف إغماضة ، ثم لم يلبث أن راح في نوم عميق .

في اليوم التالي استيقظ سام باكراً ، لبس ثيابه ثم ذهب إلى سيارته ، فقال له السائق " هل أقود عنك السيارة يا سيدي " فضربه سام على صدره بعنف و قال " هل تراني ولداً صغيراً أيها الأحمق ؟ .. أغرب عن وجهي ، إنك مطرود من العمل ؟ " . جلس سام في السيارة و أدار المحرك ، ثم اتجه إلى المقر المركزي لإدارة مؤسسة إلفا ، بينما أسرع السائق و اتصل بالدكتور بروكلمان . في مقر مؤسسة إلفا . دخل سام بهدوء إلى المبنى ، فوقف له الحارس باحترام و وصل إلى المكتب ، و دخل ، ثم جلس على الكرسي و أخذ يتأمل المكان بهدوء ، بعد قليل دخلت السكرتيرة و أعلمته بحضور أعضاء مجلس الإدارة " دعهم

يدخلوا ، خرجت السكرتيرة و بعد قليل دخل الأعضاء واحداً واحداً ، جلسوا في أماكنهم ، أخذوا ينظرون إلى سام بقلق و اضطراب ... أخذ سام بدوره ينظر إليهم و يتأملهم ، صمت قليلاً ثم قال " حالياً لن يكون هناك أي برامج للمؤسسة ، حتى نضع نحن خطة جديدة و لذلك أرجو من كل واحد منكم أن يضع تصوراً أو خطة عمل لما يمكن أن يراه مفيداً و كل الأخطاء الماضية سوف نتلافها أريدكم أن تجعلوا من إلفا مارداً ... مارداً جباراً .. أنا الآن ليس لدي أي اقتراح أو تصور ، و لكن فيما بعد ربما يكون هناك رأي أو اقتراح ، و سنتعاون فيه جميعاً .. اليوم لن نناقش شيئاً ، بل أريد فقط أن أتعرف على أسماء حضراتكم و عمل كل منكم " . أخذ كل واحد من الأعضاء يعرف عن نفسه و عمله ، بعد ذلك أنهى سام الاجتماع ، و قبل أن ينصرف الأعضاء ، نظر إليهم و قال " بالرغم من أنه سيكون هنالك تعاون و مشاور ، إلا أن القرار الأخير في النهاية سيكون لي أنا سام ... رئيس مجلس إدارة إلفا " . بعد أن غادر الأعضاء ، و قف سام وحيداً في المكتب ، أخذ يلمس الطاولة و الأثاث بيديه ... " يا إلهي ، أنا الآن رئيس مجلس إدارة إلفا و أخيراً أخيراً أصبحت لي يا إلفا يا زوجتي و حبيبتي وعشيقتي الوحيدة ، أنت لي أخيراً لطالما اشتهيتك في الخفاء و أنا أكرهك كنت أبغضك كثيراً ، و لكنك كنت تجرين في عروقي .. في دمي " . طرقت السكرتيرة الباب و قالت " سيدي هناك شخص بالباب يريد الدخول ، اسمه الدكتور بروكلمان " - " دعيه يدخل دعيه يدخل يا حلوتي فسوف يكون مسؤولاً عنك " . دخل الدكتور بروكلمان قلقاً ملهوفاً ... " سام كيف أنت الآن ؟ هل أنت بخير ؟ " - " نعم ، نعم ، يا دكتور ، أشعر أنني بخير ... انظر يا دكتور ، انظر ، هاهي إلفا بكل عظمتها و جبروتها ، قد خرّت تحت قدمي " قال سام ذلك و قد بدأ العرق يتصبب منه بغزارة . نظر الدكتور بروكلمان إلى المكتب الفخم الكبير متأملاً ، ثم نظر إلى سام قال "هنياً لك يا سام هنياً لك ... إنك فعلاً تستحق كل ذلك إنني لم أر في حياتي شخصاً تعرض لحرب شرسة ، مثلما تعرضت أنت ،

و لكنك في النهاية تخطيت الجميع لقد كنت حملاً وديعاً يا سام ، و أنا أذكر ذلك جيداً ، و لكنهم حولوك إلى وحش إنني لا أدري ما أنت عليه بالضبط ، لقد حاولت كثيراً أن أفهم شيئاً من هذا الذي يحصل معك ، و لكنني لم أستطع ، لقد غامرت بجيأتي من أجلك يا سام ، و طلبت من تلك السفارة البقاء هنا بالرغم من كل الأخطار التي تتهددني ، لسبب واحد ، و هو أنني أريد أن أعرف سرّك يا سام ، فما استطعت ... منذ أن رأيتك أول مرة في حديقة المعلم رالف ، أدركت أنك شخصاً لست عادياً أدركت أنك شخصية نادرة تشكل مادة دسمة لعلم النفس فقررت ملازمتك و درستك عن كثب (ضحك الدكتور بروكلمان و تابع) .. و لكنني كل يوم كنت أكتشف فيك غموضاً جديداً و مفاجأة جديدة ... حتى هناك في السفارة ، أصبحت لغزاً محيراً لهم ، لقد طلبوا مني مراقبتك و دراسة وضعك و معرفة سر شخصيتك و سر نجاحك " . استرخى سام على المقعد بتعب و قال " قل لي يا دكتور في حال ذهبت أنا أو تركت هذا البلد ... أو ما شابه ، فماذا ستفعل أنت ؟ " . أجاب الدكتور بروكلمان على الفور و بثقة " سأغادر أنا بدوري ، في الحال هذا البلد و أطلب من تلك السفارة تدبر أمر سفري إلى دولتها فهناك ينتظرنني منزل و عمل محترم و سيارة " . هز سام رأسه و قال " لا يا دكتور بل ستبقى أريدك أن تبقى " . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام برؤية و حيرة و قال "ماذا هنالك يا سام ، أخبرني " . أطرق سام إلى الأرض و العرق لا يزال يتصبب منه ، ثم رفع رأسه و قال " أشعر يا دكتور أنني سأسافر ، و قريباً ، قريباً جداً " - " إلى أين يا سام !!!؟ " صدقني ، حتى الآن لا أعرف ، و لكن إذا ذهبت ، أريدك أن تكون أنت المشرف على أملاكي ، و على كل ما أدير ، حتى مؤسسة إلفا ، حتى يدخل ولدي السن القانونية " - " و لكن يا سام ... خذني معك " - " لا يا دكتور ، إنك لا تستطيع الذهاب معي ، أريدك أن تعدني بأن تبقى هنا و تستلم إدارة كل ما أملك هل تعدني يا دكتور؟ " . أطرق الدكتور بروكلمان إلى الأرض ، ثم رفع رأسه و قد بدا عليه حزن شديد و قال " أعدك يا سام و

لكن ... " - " هيا بنا يا دكتور ، أشعر بالجوع ، أأست جائعاً ؟ ما رأيك أن نذهب إلى ذلك المطعم الذي تناولنا طعام الغداء فيه أول مرة .. هل تذكره ؟ " . ضحك الدكتور بروكلمان بجزن و قال " نعم يا سام ، أذكره و لكن لي طلب عندك قبل أن نذهب " - " ما هو يا دكتور ؟ " - " هذا السائق المسكين ، لقد اتصل معي اليوم و أخبرني عنك و قال لي إنك طردته " . ابتسم سام و قال " لا بأس يا دكتور ، لا تقلق ... هيا بنا " .

في المطعم جلس سام و الدكتور بروكلمان صامتين كانت الذكريات القديمة في المطعم قد أثارت الحزن فيهما . نظر الدكتور بروكلمان إلى سام و قال " قل لي يا سام ... لماذا تريد مني أنا بالذات أن استلم شؤونك في حال سفرك ... لم لا يكون أخاك مثلاً ؟ " . نظر سام إلى الدكتور بروكلمان و قال " ببساطة يا دكتور ... لأنك تحمل قلباً كبيراً في داخلك ... ولأنك تحب عمل الخير لأي إنسان ، و لأنك تتحمل الإساءة مهما كانت ، و لا ترد عليها ... و لأنك لم تسئ إلى أحد في يوم من الأيام ... و كما كنت تراقبني و تدرس تصرفاتي ... كذلك أنا يا دكتور ، كنت أفعل الشيء نفسه معك و أنت أفضل شخص أأتمنه على ولدي الذي تحبه و يحبك كثيراً .. بالمناسبة إنه يشكك و ابتكك روز الرائعة زوجاً مثالياً " . بعد قليل ، أحضر النادل الطعام ، و بدأ الاثنان يأكلان بصمت .

في ذلك المساء ، استدعى سام المحامي جيم و سلمه مظروفاً " هذا المغلف يا جيم هو بمثابة الوصية ، أريدك أن تحفظه لديك و تسجله بشكل نظامي " - " حاضر يا سيد سام ، كما تريد " . انصرف المحامي جيم و نزل سام إلى القبو حيث كان الشيطان بانتظاره و على وجهه علائم القلق الشديد ... " أريد أن اعرف ما هذا الذي يحصل معك بالضبط يا سام ؟ " . جلس سام على المقعد متهاكاً و اخرج من جيبه ورقة و قلماً و قال " هيا أيها الشيطان أعطني الأفكار التي تريد إدخالها أشعر أنه لم يعد أمامي متسع من

الوقت " .صاح الشيطان " ما هذا الذي تقوله يا سام ... ماذا تشعر ... إذا كان هناك أي مرض خطير ،
فأنا أستطيع تأخيرته لأمد طويل " - " لا ، لا ، لا أيها الشيطان لا يوجد أي مرض مما تصف ، لم تثبت
التحاليل أي شيء من هذا القبيل " . صاح الشيطان " إذاً بماذا تشعر يا سام ؟ ... قل لي " كان سام يتنفس
بسرعة و ضيق عندما قال " أشعر أن هناك كائناً في داخلي يراقب تصرفاتي ، يتحكم بركاتي ... و لهذا
هلا تكرمت أيها الشيطان و أعطيتني تلك الأفكار التي تريد إدخالها في فرع الشمال " . صمت الشيطان
قليلاً ، ثم نظر إلى سام و قال " حسناً يا سام .. اكتب ما سأمليه عليك " . أخذ سام يسجل كلام الشيطان
، و بعد أن انتهى من التسجيل ، نظر إلى الورقة و تمت قائلاً " كلام جميل .. من يستطيع أن يعترض
عليه إنه أمر سهل للغاية ، و سأذهب بنفسي إلى الشمال و أشرف على تنفيذه" قال الشيطان " نعم يا
سام أسرع و قم بتنفيذه " - " بالمناسبة أيها الشيطان ... لقد قررت في حال حصل لي شيء أن أسلم
الدكتور بروكلمان إدارة أملاكي من بعدي ، بما فيها أسهم مؤسسة إلفا، حتى يدخل ولدي السن القانونية
التي أصبح قريباً منها " - " إنه عمل صائب ، فهو الوحيد الذي يمكنه القيام بذلك " - " هل ستظهر له أيها
الشيطان في حال فشل الأمر ، و تكلفه بمتابعة الموضوع من بعدي ؟ " - " لا يا سام ، لأن هذا الأمر لا
أحد يستطيع القيام به غيرك أنت ... و كلي ثقة انك ستقوم به " - " حسناً أيها الشيطان سأذهب إلى
الشمال غداً ، و أنهي الموضوع " - " رافقتك السلامة يا سام .. انتبه لنفسك ، و أنا بانتظارك " . صعد
سام السلام ببطء شديد . كان قد وضع الورقة في مغلف صغير و معها تعليمات بكيفية بتنفيذها . و طلب
من زوجته أن تعطيها للدكتور بروكلمان في حال غيابه . بعد ذلك ذهب إلى غرفة النوم ... استلقى في
الفرش و فتح يديه و رجليه و أخذ ينظر إلى السقف ... "اخرج أيها الوحش .. اخرج أريد أن
أراك أريد أن أراك الآن إنني أتحداك أن تخرج ... لماذا تختبئ في داخلي أيها الجبان ... أنت جبان
، تأتي جلسة و تذهب جلسة أنت لست وحشاً ، أنت فأر " . و هنا ، بدأت أطرافه ترتجف و أسنانه

تصكصك بقوة وعنف ، أحس معها بألم شديد في أظافره و أسنانه و عيون و فروة رأسه ، و ما لبث أن بدأ ينتفض في الفراش بعنف شديد و هو يصدر صوتاً هادراً مربعاً فنهض من مكانه و نظر إلى المرأة ، و ما لبث أن أطلق زئيراً قوياً مدوياً . لقد كان منظرها مربعاً في المرأة ... أنياب و مخالب و شعر كثيف

فجن جنونه ، و سدد ضربة قوية إلى المرأة ، التي تناثرت شظاياها على يديه و وجهه .. دخلت زوجته إلى الغرفة و ما إن رآته حتى صرخت و أسرعت إلى الهاتف لتتصل بالدكتور بروكلمان . فذهب سام خلفها ، و بضربة واحدة حطم باب غرفة النوم الخشبي ، ثم خرج و أخذ يضرب كل شيء يراه أمامه ، اعترضه أحد الحرس محاولاً تهدئته ، و لكنه أمسكه بيد واحدة و طوح به في الهواء ، قاذفاً إياه على بعد أمتار ، فجأة أحس و كأنه قد حصل فرز في جسمه ، فأصبح نصفين .. نصفاً متوحشاً و نصفاً بشرياً ، و دار صراع عنيف بين النصفين ... كل منهما يريد أن يدمر الآخر و يقتله و هنا بدأ سام يركض بقوة و يرتطم بالجدران و الأثاث بعنف شديد . كانت الدماء تنزف منه و أصوات مختلطة ما بين الزئير المتوحش و الصراخ البشري تصدر عنه ، تارة يذهب نحو اليمين و يرتطم بالجدار أو الزجاج ، و تارة نحو الشمال ليرتطم بشيء آخر ، أما الحرس فقد وقفوا ينظرون إليه من دون أن يجرؤوا على الاقتراب منه ، و فجأة نظر إلى الحارس الملقى على الأرض و اتجه نحوه و هو يصدر أصواتاً مخيفة ... امتدت إحدى يديه لالتقاط مسدس الحارس ، بينما أسرعت اليد الأخرى لتمسك بها و تمنعها ، و لكن اليد أمسكت بالمسدس .. و هنا دار صراع عنيف بين اليدين ... اليد الأولى تضغط بقوة محاولة تصويب المسدس إلى أحد النصفين لتطلق عليه النار ، و اليد الأخرى ممسكة بها بقوة لتمنعها .. و هنا وصل الدكتور بروكلمان ، فصرخت زوجة سام برعب وهي تبكي " أرجوك يا دكتور أرجوك أسرع سيطلق النار على نفسه " . و بلحظات كأنها سباق مع الزمن .. فتح الدكتور بروكلمان حقيبتة و أخرج منها إبرة مخدرة وهو يجري نحو سام و يصبح بالحرس " أيتها الأغبياء البلهاء .. لماذا أنتم واقفون هكذا ؟ .. تحركوا " . اندفع الحرس راكضين

بدورهم نحو سام ... و ما إن وصل الدكتور بروكلمان إلى سام و غرز الإبرة فيه ... حتى انطلقت ثلاث

رصاصات بصوت مدو ... بم ... بم ... بم .

النهاية

في غرفة العناية المشددة ، كان سام ممدداً على السرير و على وجهه زجاجة أوكسجين موصولة بأنبوب ، و فوقه كيس من الدماء موصول بذراعه . فتح إحدى عينيه إلى النصف ببطء شديد ، فلمح الدكتور بروكلمان و الدكتور هانس و طبيباً آخر .. كان الثلاثة يتحدثون معاً و يشيرون بأيديهم ، كأنهم يناقشون أمراً ما . فجأة التفت الدكتور بروكلمان إليه و صاح بفرح " سام لقد استيقظت ... لقد استيقظت سام يا دكتور " .

اقترب الأطباء الثلاثة منه ، و أخذ الدكتور بروكلمان يقول له " سام هل تسمعي ؟ .. سام .. حرك عينيك إذا كنت تسمعي ؟ " .

حاول سام الكلام أو الحركة ، و لكنه لم يستطع .. كان عاجزاً تماماً ... كان يسمع فقط ... سمع الطبيب الثالث يقول للدكتور بروكلمان و الدكتور هانس " إنه لا يزال في مرحلة الخطر الشديد .. و لا أستطيع التكهن بشيء الآن .. الأفضل أن نتركه بهدوء " . و هنا انحنى الدكتور بروكلمان و قبل سام من رأسه و قد اغرورقت عيناه بالدموع و قال " إنني بانتظارك يا صديقي .. بانتظار خروجك سليماً معافى

" . أراد سام الكلام ... الحركة .. و لكنه لم يستطع ... غادر الأطباء الثلاثة غرفة العناية المشددة ، و بقي سام وحده و صوت جهاز تخطيط القلب يطن في أذنيه .

فجأة بدأت تظهر أمامه صور حياته و كأنه شريط فيديو .. بدأت الصور بأخر حدث حصل له ، حيث كان يتصارع مع الوحش في حديقة الفيلا .. ثم أخذت تكرر راجعة إلى الوراء بسرعة هائلة مروراً بحفل مؤسسة إلفا و تظاهرة أستاذ الفلسفة حربته مع جاك و والده استخراج الكنز إفلاسه أول مرة ... زواجه..... حياته مع ليزا تعرفه على جاك فوزه باللوتو الكبير حياته البائسة في المصنع تعرفه على أندريه تعرفه على جان نزوله إلى العاصمة أول مرة حياته في البلدة عندما كان عمره عشر سنوات عندما كان عمره خمس سنوات أربع سنوات سنتين سنة واحدة ظلام دامس . ثم عاد النور إلى الغرفة .

فجأة فتح الباب و دخل ممرضان يلبسان ثياباً بيضاء بالكامل جلسا إلى جانبه و أخذتا يتكلمان مع بعضهما دون أن يعيراه أي انتباه ، كان يسمع كلامهما بوضوح قال الأول للثاني " هل صحيح أن الوحش الذي ظهر له .. هو السبب في ذلك ؟ " . أجاب الثاني " نعم ، نعم الوحش هو السبب و لكن من حسن حظهم أن ظهر هذا الوحش له إنه رحمة له إنه أعماله الخيرة التي كان يقوم بها ، و قد ظهرت له في اللحظة الأخيرة على شكل هذا الوحش " .

هنا فتح الباب مرة أخرى و دخل أحد الأطباء يلبس ثياباً بيضاء من رأسه حتى أخمص قدميه . لم يره سام من قبل دخل الطبيب و أغلق الباب خلفه ، فصمت الممرضان عن الكلام ، و نهضا واقفين باحترام شديد . أمسك الطبيب ورقة المعاينة المعلقة على السرير ، و نظر إليها ، ثم هز برأسه قائلاً " جيد .. لقد تحسنت أمورك " ثم جلس على السرير قرب سام و قال له مبتسماً " كيف تشعر الآن يا سام؟ " .

فجأة أحس سام أنه يستطيع الكلام و الحركة ، فحرك يديه و رجليه قائلاً بفرح " أشعر أنني بخير " . ابتسم الطبيب مرة أخرى و قال هل تشعر بوجود الوحش يا سام ؟ " . تحسس سام نفسه و صاح بفرح " لا ، لا أشعر انه لا وجود له ، لقد ذهب إلى الأبد لقد زال تماماً " . نظر إليه الطبيب ملياً و سأله " قل لي يا سام متى كانت آخر مرة ذكرت ربك فيها؟ " . فكر سام قليلاً ثم قال " لا أدري يا سيدي ... و لكن لماذا تسأل؟ " . ضحك الطبيب و قال " لا شيء .. لا شيء .. حسناً يا سام ، بإمكانك المغادرة الآن ... لقد شفيت تماماً و لم يعد هناك داع لبقائك هنا " - " حقاً يا سيدي؟ " - " نعم ، نعم ، يا سام .. تفضل ، رافقتك السلامة " .

نهض سام من السرير و تحسس أطرافه بفرح و سعادة ، ثم اتجه إلى الباب . و ما إن فتحه و خرج حتى فوجئ أنه في فراغ مظلم شعر بالذعر و التفت إلى الباب محاولاً فتحه و لكنه لم يستطع . و فجأة ظهر أمامه طريق ، بدأ يمشي فيه من دون إرادته ، ظل يمشي و يمشي ، حتى وصل إلى ساحة كبيرة ، فيها طابور طويل ، مشى بجانب الطابور حتى وصل إلى أوله ... حيث كان يجلس شخص يبدو عليه الوقار الشديد ... أخذ سام ينظر و يراقب كان الناس يأتون و يقفون أمام ذلك الشخص ، فينظر إليهم ثم يفتح كتاباً أمامه و يقول لهذا " أنت إلى الجحيم ، فيصيح الرجل " و لكن لماذا ؟ ... مستحيل " ، فيجيبه ذلك الشخص " إنك لا تدري ماذا فعلت " ثم يأتي آخر و ينظر إليه الشخص و يفتح الكتاب و يقول إما إلى الجحيم و إما إلى الفردوس ، فيصيح الرجل و يسأل " لماذا ؟ " ، فيجيبه الشخص " إنك لا تدري ماذا فعلت " .

كان سام يراقب العملية بذهول و خوف و قد شعر بالقلق الشديد ... تلفت حوله ، فرأى من بعيد شجرة خضراء فذهب إليها و قرر البقاء عندها ، و عدم المجازفة بمعرفة مصيره كان المكان جميلاً نوعاً فظل سام فيه مضى يوم و يومان ... ثم أسبوع و شهر ، و سام على هذه الحالة ، مفضلاً البقاء في مكانه

و عدم المجازفة مرت حوالي السنة و سام جالس في مكانه ، و أخيراً بدأ يشعر بالملل و الوحدة
حاول أن يتحمل و يضغط على نفسه ، فبقي شهر آخر ، لم يستطع بعده التحمل ، فقرر الذهاب إلى ذلك
الشخص ، في البداية تردد ، و لكنه أخيراً حسم أمره و ذهب وصل إلى المكان و نظر إلى الشخص ،
ثم قال له " أرجوك يا سيدي أريد أن أعرف إلى أين أذهب لقد سئمت البقاء هناك " . هز الشخص الوقور
رأسه بهدوء ، و أخرج كتابه و نظر فيه ملياً ، ثم رفع رأسه و نظر إلى سام قائلاً " للأسف لم يبت إلى الآن
بشأنك في الأعلى ، لذلك ستبقى حيث كنت في هذه الواحة الجميلة ، حتى إشعار آخر " . فصاح سام "
و لكن لماذا ماذا فعلت ؟ " . نظر إليه الشخص و قال بيروود "إنك لا تدري ماذا فعلت " .

- (انتهى) -

سعر الرواية ١٢ دولار

القارئ المحترم .. إذا كنت قد قرأت روايتي هذه و أعجبتك ، و أحببت أن تساهم بمبلغ ما .. أنت تراه
مناسباً ، يمكنك مشكوراً التحويل إلى حسابي البنكي التالي مع ذكر أسباب التحويل . (نزار يوسف)

INTERMEDIARY BANK : BYBLOS BANK SAL BEIRUT LEBANON

SWIFT CODE : BYBALBBX

BENEFICIARY BANK : BYBLOS BANK SA SYRIA

SWIFT CODE : BYBASYDA

BENEFICIARY A/C NO : 2200405395001 165089

BENEFICIARY NAME : NIZAR SLEIMAN YOUSEF

REASON OF PAYMENT : (needful) يجب ذكر سبب التحويل

العنوان أعلاه للتحويل من خارج سورية ، أما للتحويل من داخل سورية ، يُكتفى فقط برقم الحساب

ملاحظة : لا يوجد حساب آخر .



أنا و الملاك ... رواية تطرح بالدرجة الأولى مشاكل النفس الإنسانية و إرهاباتها . تندخل بالقارئ إلى أغوار و خبايا هذه النفس و تبرز التناقضات و الصراعات الصارخة فيها . تطرح العيوب الخفية تلقائياً أو عمداً لهذه النفس البشرية المختلفة تحت ألف قناع و قناع .. تطرحها أسلوب يشد القارئ من باب الثقافة العلمية التي تناولها المؤلف و أجراها على السنة شخصيات الرواية من باب السرد القصصي المشوق الذي جاء ضمن إطار حبكة مميزة تنقل القارئ عبر حقل من الأحداث و المفاجآت و التناقضات ، وضمن سلاسة برع فيها الكاتب و أجاد ، بحيث لا يشعر القارئ بمفاصل هذه التقلات .

الرواية كما قال الكاتب في بدايتها " لا نقرأ من وجه واحد ، بل لها عدة وجوه للقراءة " فبعض الشخصيات الرئيسية فيها قد لا تكون ربما شخصيات بقدر ما هي حالات نفسية و رموز أخلاقية أو اعتبارية تمثل الخير أو الشر أو القوة و الضعف و غيرها .

لقد فرضت شخصيات الرواية على ما يبدو نفسها ، و أخذت مواقعها و مواقفها بشكل تلقائي عفوي ربما يكون الكاتب قد اصطدم به ، و لكنها تبقى رواية مميزة ، أهم ما فيها أنها تبدأ بشد القارئ إليها من اللحظة الأولى و بوتيرة متصاعدة حتى يصل إلى مرحلة لا يستطيع طيها لأخذ قسط من الراحة أو تناول وجبة الطعام ...

الناشر ...